الكامل

في اللغة والأدب

لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

مكتبة المعارف
بيروت

الكامل

في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعلم أن أصول فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع لها وفروع منها اه .

ابن خلدون

الجزء الاول

روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ خطية ومطبوعة وشرح الضروري منها وصححت بمعرفة لجنة من المحققين

باشراف مكتبة المعارف – بيروت

الناشر

مكتبة المعارف

بيروت

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

حدثنا أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن جابر قال حدثنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش قراءة عليه قال قرىء لي هذا الكتاب على أبي العباس محمد بن يزيد المُبرِّدِ .

الحمد لله حمداً كثيراً يَبْلُغُ رضاه ويوجب مَزيده ويُجيرُ من سَخَطِهِ وصلى الله على محمد خاتمِ النبيين ورسول رب العالمين صلاة تامة زاكية تؤدّي حقه وتُزْلِفُه عند ربه (قال أبو العباس) : هـذا كتاب ألّفناه يجمع ضروباً من الآداب ما بين كلام منثور وشِعْرٍ مَرْصوف ومَثَلٍ سائر وموعظة بالغة واختيار من خُطبة شريفة ورسالة بليغة والنيّة فيه أن نُفَسِّرَ كل ما وقع في هذا الكتاب من كلام غريب أو معنى مُسْتَغْلِقٍ وأن نشرح ما يَعْرِضُ فيه من الإعراب شرحاً شافياً حتى يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفياً وعن أن يُرْجَعَ الى أحد في تفسيره مستغنياً وبالله التوفيق والحول والقوة وإليه مَفزَعُنا في دَرْك كل طَلِبةٍ والتوفيق لما فيه صلاح أمورنا مِن عَمَلٍ بطاعته وعَقدٍ يرضاه وقولٍ

Marfat.com

صادقٍ يرفعه عمل صالح انه على كل شيء قدير . قال رسول الله ﷺ للانصار في كلام جرى: انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع، الفزع في كلام العرب على وجهين ، أحدهما ما تستعمله العامة تريد به الذعر والآخر الاستنجاد والاستصراخ من ذلك قول سلامة بن جندل :

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنابيب

يقول إذا أتانا مستغيث كانت إغاثته الجد في نصرته يقال قرع لذلك الأمر ظنبوب به اذا جد فيه ولم يفتر ويشتق من هذا المعنى أن يقع فزع في معنى أغاث كما قال الكلحبة اليربوعي :

(قال أبو الحسن الكلحبة لقبه واسمه هبيرة وهو من بني عرين بن يربوع والنسب إليه عريني وكثير من الناس يقول عرني ولا يدري وعرينة من اليمن ، قال جرير يهجو عرين بن يربوع :

عرينٌ من عرينة ليس منا برئت إلى عرينة من عرين)

فقلت لكأس الجميها فإني حلئت الكثيب من زرود لافزعا

يقول لأغيث وكأس اسم جارية وانما أمرها بالجام فرسه ليغيث والظنبوب مقدم عظم الساق . وقال رسول الله ﷺ: ألا أخبركم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطؤن أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون ألا أخبركم بأبغضكم الي وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة الثرثارون المتفيهقون قوله ﷺ الموطؤن أكنافاً مثل وحقيقته ان التوطئة هي التذليل والتمهيد يقال دابة وطيء يا فتى وهو الذي لا يحرك راكبه في مسيره وفراش وطيء إذا كان وثيراً لا يؤذي جنب النائم عليه فأراد القائل بقوله موطئاً الأكناف ان ناحيته يتمكن فيها صاحبها غير مؤذى ولا ناب به موضعه . (قال أبو العباس) : حدثني العباس بن الفرج الرياشي قال حدثني الأصمعي قال قيل لأعرابي وهو المنتجع بن نبهان ما السمدع ؟ فقال السيد الموطئ الأكناف وتأويل الأكناف الجوانب ، يقال المتفيهقون : من فهق (بكسر بين فتحتين) الغديرُ : أي امتلأ ماء .

Marfat.com

في المَثَل فلانٌ في كَنَفِ فلانٍ كما يقال فلان في ظل فلان وفي ذَرى فلانٍ وفي ناحية فلان وفي حَيِّزِ فلان وقوله ﷺ : الثرثارون يعني الذين يُكثرون الكلام تَكلُّفاً وتجاوُزاً وخروجاً عن الحق. وأصل هذه اللفظة من العين الواسعة من عيون الماء يقال عين ثَرْثارة ٌ وكان يقال لنهر بعينه الثرثارُ وإنما سمي به لكثرة مائه ، قال الأخطلُ (واسمه غياثُ بن غَوْثٍ يُكَنّى أبا مالك ويلقب بدَوْبَلٍ والدَوبَلُ الخنزير) :

لَعَمْري لقد لاقَتْ سُلَيْمٌ وعامرٌ على جانب الثَرْثارِ راغيةَ البَكْرِ

قوله راغية البكر أراد أن بَكرَ ثمود رغا فيهم فأُهلِكوا فضربته العرب مَثَلاً وأكثرت فيه ، قال عَلْقَمةُ بن عَبَدةَ الفَحْلُ :

رغا فوقهم سَقْبُ السماءِ فَداحِضٌ بِشِكَّتِهِ لم يُسْتَلَبْ وسَلِيبُ

(قال أبو الحسن الداحض الساقط والداحض أيضاً الزالق) وكذلك إذا لم تُضَعِّف الثاء فقلتَ عين ثَرَةٌ فانما معناها غزيرة واسعة قال عَنْترةُ :

جادَتْ عَلَيْها كلُّ عينٍ ثرَّةٍ فَتَرَكْنَ كلَّ حَديقةٍ كالدرهم

(قال أبو العباس) : وليست الثرة عند النحويين البصريين من لفظة الثرْثارة ولكنها في معناها ويجب أن يكون من الثَّرةِ ثَرَارةٌ . وقوله ﷺ المتفيهقون انما هو بمنزلة قوله الثرثارون توكيد له ومُتَفَيْهِقٌ مُتَفَيْعِلٌ من قولهم فَهِقَ الغَديرُ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماءً فلم يكن فيه موضع مَزيدٍ كما قال الأعشى :

نفى الذَّمَّ عن رَهْطِ المحَلَّقِ جَفْنَةٌ كجابيةِ الشيخ العِراقيِّ تَفْهَقُ

كذا يُنشِدُهُ أهل البصرة وتأويله عندهم ان العراقيَّ إذا تمَكَّنَ من الماء ملأ جابيته لأنه حَضَريٌّ فلا يعرف مواقع الماء ولا مَحالَّهُ (قال أبو العباس) : وسمعت أعرابية تُنشِدُ : (قال أبو الحسن هي أمُّ الهَيْثَمِ الكِلابيّة من ولد المحلَّق وهي راوية أهل الكوفة) كجابية السَّيْحِ تريد النهر الذي يجري على

Marfat.com

جابيته فماؤها لا ينقطع لأن النهر يَمُدُّهُ. ومثل قول البصريين فيما ذكَروا به العراقيَّ الشيخَ قولُ الشاعر (قال أبو الحسن هو ذو الرُّمَّةِ) :

لها ذَنَبٌ ضافٍ وذِفرَى أسيلةٌ وخَدٌّ كمِرْآةِ الغَريبةِ أسْجَحُ

يقول ان الغريبة لا ناصح لها في وجهها لبعدها عن أهلهـــا فمرآتها أبداً مجْلوَّةٌ لفرط حاجتها اليها وتصديقُ ما فسرناه من قول رسول الله ﷺ أنـه يريد الصدقَ في المَنطِقِ والقصدَ وتركَ ما لا يُحتاجُ اليه قولهُ لجرير بن عبدالله البَجَلِيِّ: يا جرير إذا قلتَ فأوجِزْ وإذا بَلَّغتَ حاجتَكَ فلا تتكلف (قال أبو العباس) : ومما يؤثرُ من حكيم الأخبار وبارع الآداب ما حُدِّثنا به عن عبـد الرحمن بن عوف وهو أنه قال دخلت يوماً على أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في عِلَّتِه التي مات فيها فقلت له أراكَ بارئاً يا خليفة رسول الله ﷺ فقال أما أنِّي على ذلك لَشديدُ الوجع ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وجعي اني وَلَّيتُ أموركم خيرَكم في نفسي فكلُّكم وَرِمَ أنفُه أن يكون له الأمر من دونه، واللهِ لَتتَّخِذُنَّ نَضائد الديباج وسُتور الحرير ولَتألمُنَّ النوم على الصوف الأذرَبيِّ كما يألمُ أحدُكم النوم على حَسَكِ السَّعْدان والذي نفسي بيده لأن يُقَدَّم أحدُكم فتُضرَبَ عُنُقُهُ في غير حَدٍّ خير له من أن يخوض غمَرات الدنيا، يا هاديَ الطريقِ جُرْتَ انما هو واللهِ الفَجرُ أو البَجرُ فقلتُ خَفِّض عليه يا خليفة رسول الله ﷺ فان هذا يَهيضُكَ إلى مـا بك فوالله ما زِلتَ صالحاً مُصْلِحا لا تَأسَ على شيء فاتك من أمر الدنيا ، ولقـد تحَلَّيْتَ بالأمر وحدك فما رأيت الا خيراً،قوله نضائد الديباج واحدتها نَضيدة وهي الوسادة وما يُنضَدُ من المتاع قال الراجز :

وقرَّبَتْ خُدَّامُها الوسائدا حتى إذا ما علَوا النَّضائدا
سَبَّحْتُ ربي قائماً وقاعداً

وقد تسمي العرب ذلك النَّضَدَ والمعنى واحد ، انما هو ما نُضِدَ في البيت من متاع قال النابغة: ورَفَّعتُه إلى السجْفينِ فالنضدِ. ويقال نَضَدْتُ المتاع

Marfat.com

إذا ضممت بعضه إلى بعض فهذا أصله. قال الله تبارك وتعالى: لها طَلْعٌ نضيدٌ وقال عز وجل: في سدْرٍ مَخضودٍ وطَلح مَنضودٍ ويقال نَضَدْتُ اللبنَ على الميت. وقوله على الصوف الأذربي فهذا منسوب الى أذربَيجانَ وكذلك تقول العرب قال الشَمّاخُ :

تَذَكَّرْتُها وَهناً وقد حال دونها قُرى أذربَيجانَ المسالِحُ والجالِ

وقوله على حَسَكِ السَعْدان فالسعْدان نبت كثير الحسك تأكله الابل فتسمن عليه ويغذوها غذاء لا يوجد في غيره فمن أمثال العرب مَرعىً ولا كالسَعدان تفضيلاً له قال النابغة :

الواهبُ المائةَ الابكارَ زَيَّنها سَعْدانُ توضِحَ في أوبارها اللبَدِ

ويروى في بعض الحديث انه يؤمَرُ بالكافر يوم القيامة فيُسحَبُ على السَعدان والله أعلم بذلك (قال أبو الحسن السَعدان نبت كثير الشوك كما ذكر أبوالعباس ولا ساق له انما هو مُنفرشٌ على وجه الأرض. حدثنا أبو العباس أحمد ابن يحيى الشَيبانيّ عن ابن الاعرابي قال قيل لرجل من أهل البادية وخرج عنها أترجع الى البادية فقال أمّا ما دام السَعدانُ مُستلقياً فلا يريد، انه لا يرجع الى البادية أبداً كما ان السعدان لا يزول عن الاستلقاء أبداً وقال أبو عليّ البَصير واسمه الفَضْل بن جعفر، وان لم يكن بحجة ولكنه أجاد فذكرنا شِعره هذا لجودته لا للاحتجاج به، يمدح عُبَيدَ الله بن يحيى بن خاقان وآلهُ فقال :

يا وُزَراءَ السلطان أنتم وآلَ خاقان
كبَعضِ ما رَوَينا في سالِفات الأزمان
ماءٌ ولا كَصَدّاءِ مَرْعىً ولا كالسَعدان

وهذه الأمثال ثلاثة منها قولهم مَرْعىً ولا كالسعدان وفتىً ولا كمالِكٍ وماء ولا كصَدّاء تُضرَبُ هذه الأمثال للشيء الذي فيه فضل وغيره أفضلُ منه كقولهم ما من طامّةٍ إلا وفوقها طامّةٌ أي ما من داهيةٍ الا وفوقها داهيةٌ. ويقال : طَما الماءُ وطَمّ، اذا ارتفع وزاد. ومالك الذي ذكروا هو مالك بن

Marfat.com

نوَيرةَ أخو مُتمّم بن نويرة، وصَدّاء يُمَدُّ وبعضهم يقول صُدًى فيضم أوله ويَقصُرُ. فأما أبو العباس محمد بن يزيد فانه قال لم أسمع من أصحابنا الاصَدآءَ يا فتى وهو اسم لماء معرفة وهما همزتان بينهما ألف والالف لا تكون الا ساكنة كانك قلت صَدْعاءَ يا هذا) ، وقوله انما هو والله الفجر أو البَجْرُ يقول ان انتظرتَ حتى يُضيء لك الفجرُ الطريقَ أبصرتَ قَصدَك وان خَبطتَ الظلماءَ وركبتَ العَشواء هَجما بك على المكروه وضربَ ذلك مَثلاً لغَمرات الدنيا وتحييرها أهلَها، وقوله يَهيضُكَ مأخوذ من قولهم هيض العَظمُ اذا جُبر ثم أصابه شيء يُعنِتهُ فآذاه فكسره ثانية أو لم يَكسِرهُ وأكثر ما يستعمل في كَسرهِ ثانيةً ويقال عظم مَهيضٌ وجناح مَهيضٌ في هذا المعنى ثم يشتق لغير ذلك وأصله ما ذكرت لك فمن ذلك قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما كَسَر يزيدُ بن المُهلّبِ سِجنه وهَرَب فكتب اليه لو علمتُ انك تبقى ما فعلتُ ولكنك مسموم ولم أكن لِأضع يدي في يد ابن عاتكة (هو يزيد بن عبد الملك بن مَروانَ وأمه عاتكة بنت يزيد بن مُعاوية ولِيَ الملكِ بعد عمر بن عبد العزيز ولا يعلم أحد أعرَقُ في الخلافة منه)فقال عمر اللهم انه قد هاضني فَهِضهُ فهذا معناه . وقوله فكلُّكم وَرمَ انفُهُ يقول امتلأ من ذلك غضَباً وذكر أنفَه دون السائر كما يقال فلان شامخ بانفه يريد رافع رأسه وهذا يكون من الغضب كما قال الشاعر : ولا يُهاجُ اذا ما أنفُهُ ورما، أي لا يُكلَّمُ عند الغضب ويقال للمائل برأسه كِبراً مُتشاوسٌ وثاني عِطفهِ وثاني جيده انما هذا كله من الكبرياء. قال الله عز وجل: ثانيَ عطفِهِ ليُضلّ عن سبيل الله. وقال الشمّاخُ (يهجو الرُبيعَ ابن عَلياء السُلَميّ) .

نُبّئتُ أن رُبَيعاً أنْ رَعى إبلا يُهدي إليَّ خَناهُ ثانيَ الجِيدِ

وقوله أراكَ بارئاً يا خليفة رسول الله ﷺ وسلم يكون من بَرِئتُ من المرض وبَرَأتُ كلاهما يقال فمن قال بَرِئتُ قال أبرَأُ يا فتى لا غير ومن قال بَرَأتُ قال في المضارع أبرأ وابرُؤُ يا فتى مثل فَرَغَ يَفرَغُ ويَفرُغُ والآية

Marfat.com

تُقرأ على وجهين: سَنَفرُغُ لكم أيها الثَقَلانِ وسنفرَغُ: والمصدر فيهما البُرْءُ يا فتى . ومما روي لنا عنه رضي الله عنه حيث عَهِدَ عند موته وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عَهدَ به أبو بكر خليفةُ محمد رسول الله ﷺ عند آخر عهده بالدنيا وأوّل عهده بالآخرة في الحال التي يؤمنُ فيها الكافر ويَتّقي فيها الفاجر اني استعملتُ عليكم عمر بنَ الخطاب فان بَرّ وعَدلَ فذلك عِلمي به ورأيي فيه وان جار وبَدّل فلا علمَ لي بالغيب والخيرَ أردتُ ولكل امرىء ما اكتسَبَ وسَيَعلمُ الذين ظلموا أيّ مُنقَلَبٍ يَنقَلبون نصَبَ أي بقوله يَنقلبون ولايكون نصْبها بسيعلم لأن حروف الاستفهام اذا كانت أسماء امتنعت مما قبلها كما يمتنع ما بعد الألف من أن يَعْملَ فيه ما قبله وذلك نحو قولك علمتُ زيداً منطلقاً فان أدخلتَ الألف قلتَ علمتُ أزيدٌ منطلقٌ أم لا فأيٌّ بمنزلة زيدٍ الواقع بعد الألف، ألا ترى ان معناها أذا أم ذا. وقال الله عز وجل لنعلمَ أيُّ الحِزْبينِ أحْصَى لما لَبِثوا أمَداً لأن معناهـا أهذا أم ، هذا وقال تعالى فَلْيَنظرُ أيُّها أزكى طعاماً على ما فسرتُ لك، وتقول أعْلمُ أيُّهمْ ضَربَ زيد او أعلم أيُّهمْ ضرب زيدٌ تنصب ايا بضَرب لأن زيداً فاعل فانما هذا لما بعده ، وكذلك ما أضيف الى اسم من هذه الأسماء المُستَفهَم بها نحو قد علمتُ غلامُ أيهمْ في الدار وقد عرفتُ غلامُ مَنْ في الدار وقد علمتُ غلامَ مَن ضربتَ فتنصبه بضربتَ فعلى هذا مجرى الباب ، ومما يُؤثرُ من هذه الآداب ويُقدّمْ قولُ عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في أول خُطبة خَطَبها حدثنا العُتبيُّ قال لم أر أقلّ منها في اللفظ ولا أكثر في المعنى حَمد الله وأثنى عليه وهو أهله وصلى على نبيه محمد ﷺ ثم قال: أيها الناس انه والله مافيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعفُ عندي من القويّ حتى آخذ الحق منه. ثم نزل وانما حَسُنَ هذا القولُ مع ما يستحقه من قِبلِ الاختيار بما عَضَدَهُ به من الفعل المشاكل له (قال أبو الحسن قد رَوينا هذه الخطبة التي عزاها إلى عمر ابن الخطاب عن أبي بكر رضي الله عنهما وهو الصحيح) قال أبو العباس ومن ذلك رسالته في القضاء الى أبي موسى الأشعري وهي التي

Marfat.com

جَمَعَ فيها جُمَل الأحكام واختصرها بأجود الكلام وجعلَ الناس بَعده يتخذونها إماماً ولا يجد مُحِقٌ عنها مَعْدلاً ولا ظالمٌ عن حدودها مَحيصاً، وهي: بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيْس: سلامٌ عليك أما بعد فان القضاء فريضة مُحْكَمَة وسُنّة مُتَّبَعَة فافهَمْ إذا أُدْلِيَ اليك فانه لا ينفع تَكلُّمٌ بحق لا نفاذ له، آسِ في الناس بين وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يَطمَع شريف في حَيْفك ولا يَيْأس ضعيف من عدلك، البيّنة على من ادعى واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً احَلّ حراماً أو حرّمَ حلالاً لا يمنعنك قضاءٌ قضيتَهُ اليومَ فراجعتَ فيه عقلك وهُديتَ فيه لرُشدك أن ترْجِعَ الى الحق، فان الحق قديم ومراجَعةُ الحق خير من التمادي في الباطل الفَهْمَ الفَهْم فيما تَلَجْلَجَ في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ثم اعرفْ الأشباه والأمثال فقِسْ الأمور عند ذلك واعمِد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق واجعل لمن ادعى حقاً غائباً أو بينةً أمداً ينتهي اليه فان أحضر بينته أخذتَ له بحقه والا استَحللْتَ عليه القضية فانه أنفى للشك وأجلى للعمى. المسلمون عُدول بعضُهم على بعض إلا مَجلوداً في حدٍّ أو مُجَرَّباً عليه شهادةُ زورٍ أو ظنيناً في ولاءٍ أو نَسب فان الله تولّى منكم السرائر ودَرَأ بالبينات والأيمان واياك والقَلَق والضَجَر والتأذّي بالخصوم والتَنكُّر عند الخصومات فان الحق في مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجر ويُحْسِنُ به الذُخْرَ فمن صحّت نيته وأقبل على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تَخَلّق للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانَه الله فما ظنك بثواب غير الله عز وجل في عاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام. (قال أبو العباس) : قوله آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك يقول سوِّ بينهم وتقديره اجعل بعضَهم أسْوَةَ بعضٍ، والتأسّي من ذا أن يَرى ذو البلاء مَنْ به مِثلُ بلائه فيكون قد ساواه فيه فيُسَكّن ذلك من وَجدِه قالت الخَنْساء:

فلولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانِهمْ لقتَلْتُ نفسي

Marfat.com

وما يَبْكونَ مثلَ أخي ولكن أُعَزّي النفسَ عنـــه بالتأسّي
يُذَكّرُني طُلوعُ الشمسِ صخراً واذكرُهُ لكلِّ غروبِ شمسِ

تقول أذكره في أوّل النهار للغارة وفي آخره للضيفان، وتَمثّلَ مُصعَبُ بن الزُبَيرِ يوم قُتِلَ بهذا البيت :

وإنّ الأولى بالطفِّ من آل هاشمٍ تأسَوْا فسَنّوا للكِرام التأسيا

وقوله حتى لا يطمَعَ شريفٌ في حِنْفك يقول في مَيْلك معه لشرفه وقوله فيما تلَجْلَجَ في صدرك يقول تردَّدَ وأصل ذلك المُضْغةُ والأكْلةُ يُرَدِّدُها الرجل في فيه فلا تزال تتردد إلى أن يُسيغَها أو يقْذِفها والكلمة يرددها الرجل إلى أن يَصِلَها باخرى، يقال للعَيِيِّ لَجْلاجٌ وقد يكون من الآفة تعْتري اللسان قال زُهيرٌ :

تُلجْلِجُ مُضغَـــةً فيها أَنيضٌ أصَلَّتْ فهي تحت الكَشْحِ داءُ

وقوله أنيضٌ أي لم تَنضَجْ، ومن أمثال العرب الحقُّ أبْلَجُ والباطلِ لَجْلَجٌ أي يتردد فيه صاحبه فلا يصيب مَخْرجاً . وقوله أوْ ظَنيناً في وَلاءٍ أو نسب فهو المُتّهَمُ وأصله مَظنون وهي ظننت التي تتعدى إلى مفعول واحد ، تقول ظننتُ بزيد وظننت زيداً أي اتّهَمْتُ ومن ذلك قول الشاعر وأحْسِبُهُ عبد الرحمن ابن حَسّان :

فلا وَيمينِ اللهِ مـــا عَنْ جِنايةٍ هَجَرْتُ ولكنّ الظنينَ ظَنينُ

وفي بعض المصاحف وما هو على الغَيْب بظَنين. وإنما قال عمر رضي الله عنه ذلك لما جاء عن النبي ﷺ مَلْعون مَلْعون من انتَمى الى غير أبيه أو ادّعى الى غير مَواليه فلما كانت معه الاقامةُ على هذا لم يره للشهادة موضعاً . وقوله : ودَرْأ بالبينات والأيمان إنما هو دَفْعَ ، من ذلك قول رسول الله ﷺ : ادْرَؤا الحُدودَ بالشُبُهات وقال الله عزّ وجل : قُلْ فادّرَؤا عن أنفُسِكُم الموْتَ إن كنتمْ صادِقين وقال فادّارأتُم فيها أي تَدافعتُم. وأما قوله وإياك والفَلَق والضَجَرَ فانه ضيقُ الصدر وقلة الصبر يُقال في سوء الخُلُقِ رجل غَلِقٌ وأصل

Marfat.com

ذلك من قولهم أُغْلِقَ عليه أمرُهُ إذا لم يتّضح ولم ينفتح، من ذلك قولهم غَلِقَ الرَهنُ أي لم يوجد له تخلّصٌ وأغْلَقْتُ الباب من هذا قال زُهيرٌ :

وفارَقْتُكَ بِرَهْنٍ لا فَكاكَ لهُ يَومَ الوَداعِ فأمْسى الرهنُ قد غَلِقا

قوله ومن تَخلّقَ للناس يقول أظهرَ للناس في خُلُقِه خلافَ نيّته، وقوله تَخلّقَ يريد أظهرَ خُلُقاً مثل تَجَمّل يريد أظهر جمالاً وتصنّعَ وكذلك تجبّر إنما تأويله الاظهار أي أظهر جَبَرِيّةً (وإن شئت جَبَرُوّة وإن شئت جَبَروتا وان شئت جَبَرُوتيَ ومن كلام العرب على هذا الوزن رَهبوتيَ خيرٌ لك من رَحموتيَ أي لأن تُرْهَبَ خيرٌ لك من أن تُرْحَمَ) قال أبو العباس: وأنشدونا عن أبي زيد (الشعر لسالم بن وابِصَةَ الأَسدِيّ) :

يا أيها المُتَحَلّي غَيْر شيمَتِهِ (ومن سَجِيّتِهِ الأدْغالُ والمَلَقُ
دَعْ التَخَلّقَ يَبْعُد عنك أوّلُهُ) إن التَخلّقَ يأتي دونَهُ الخُلُقُ
ولا يُؤاتيكَ فيما نابَ من حَدَثٍ إلا أخو ثِقَةٍ فانظُر بِمَنْ تَثِقُ

قال : وأنشدَتني أمُّ الهَيْثَمِ الكلابيّةُ :

ومَنْ يَتّخِذْ خِباً سِوى خِيمِ نفسِهِ يَدَعْهُ ويَفْلِهْ على النفسِ خِيمُها

وقال ذو الإصبَعِ العَدْوانيُّ (ذو الاصبع اسمه حُرْثانُ بن الحَرِث بن مُحَرِّثٍ وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى نهَشَتْ اصبعه) :

كلّ امْرِئٍ راجِعٌ يوماً لشيمَتِهِ وإن تَمَتّعَ أخلاقاً إلى حينِ *

وأما قوله ثواب فاشتقاقه من ثابَ يَثوبُ اذا رَجع وتأويله ما يَثوبُ اليك من مُكافأة الله وفضله .

وكتب عثمان بن عفّان الى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما حين أحيطَ به : أما بعد فانه قد جاوَزَ الماءُ الزُبى وبَلغَ الحِزامُ الطُبْيَين وتجاوَزَ الأمر بي قدْرَهُ وطَمِعَ فيَّ من لا يَدْفَعُ عن نفسِه .

فان كنتُ ماكولاً فكُنْ خيرَ آكِلٍ وإلا فأدْرِكني ولمّا أُمزَّقِ

قوله قد جاوز الماء الزبى فالزُبْيَةُ مصيدة الاسد ولا تُتّخَذُ إلا في قِلّة

* وإن تقنع : وفي رواية أخرى : وإن تقنع (بالتشديد) ، والمعنى واحد ، وتقنع أصرح .

Marfat.com

أو رابيةٍ أو هَضْبةٍ قال الراجز :

(فأنت والأمرُ الذي قدْ كيدا) كاكالتذْ تزَبّى زُبْيَةً فاصْطيدا

وقال الطِرِمّاحُ :

يا طَيىءَ السَهْلِ والأجْبالِ موعِدُكمْ كمُبْتَغي الصيْد أعلى زُبْيَةِ الاسَدِ

(ويروى في عرِّيسة الأسد) وتقول العرب قد علا الماءُ الزُبى وقد بَلغَ السكينُ العَظْمَ وبَلغَ الحِزامُ الطِبْيَيْنِ وقد انقطع السَّلى في البطن فالسَلى من المرأة والشاة ما يَلتَفُّ فيه الولدُ في البطن . قال العجّاجُ : فقدْ علا الماءُ الزُبى فلا غِيرْ . أي قد جَلَّ الامرُ عن أن يُغَيَّرَ ويُصْلحَ وقوله وبلغ الحزام الطبيين فان السّباع والخيل يقال لمواضع الاخْلاف منها أطْباءٌ يا فتى واحدها طِبْيء كما يقال في الظِلفِ والخُفِّ خِلفٌ هذا مكانُ هذا فاذا بلغ الحزامُ الطبيين فقد انتهى في المكروه ومثل هذا من أمثالهم التَقَتْ حَلْقَتا البِطان ويقولون التقتْ حَلقتا البطان والحقَبُ ويقال حَقِبَ البعيرُ إذا صار الحزامُ في الحقَبِ قال الشاعر (قال أبو بكر هو الوليدُ بن يَزيد بن عبد الملِك وأوّله :

سُلَيْمى تلك في العِيرِ قِفي إن شِئتِ أو سيري
فلما أن بَدا الصبحُ بأصواتِ العصافيرِ
خَرَجْنا نَبْتغي الصيد بأمثال اليَعافيرِ)
إذا ما حَقَبٌ جالَ شَدَدْناه بتَصْديرِ
(زَجَرْنا العِيسَ فارْمدْت باهْدابٍ وتشميرِ)

وقال أوْس بن حَجَرٍ :

وازْدَحَمَتْ حَلْقَتَاالبِطانبأقوا مٍ وطارَتْ نفوسُهُم جَزَعا

وتَمَثُّلُهُ بالبيتِ يشاكِلُ قول القائل :

فان أكُ مَقتولاً فكُنْ أنتَ قاتِلي فبَعضُ مَنايا القومِ أكرمُ من بَعْض

ويُروى عن قَنْبرٍ مولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال: دخلتُ مع علي بن أبي طالب على عثمان بن عفّان رضي الله عنهما فأحبّا الخلوَة فأومأ إليّ عليٌّ

Marfat.com

بالتَّنَحّي فتَنَحّيْتُ غيْرَ بَعيدٍ فجَعلَ عثمانُ يعاتب عليـــاً وعليٌّ مطرِقٌ فأقبلَ عليه عُثمانُ فقال : ما بالك لا تقول. فقال: إن قلتُ لم أقل إلا ما تكرَهُ وليس لك عندي إلا ما تُحبُّ، تأويل ذلك إن قلتُ اعتَدَدْتُ عليك بمثل ما اعتددتَ به عليَّ فلذَعكَ عتابي وعَقْدي ألا أفعَلَ وإن كنتُ عاتباً إلا ما تُحِبُّ. وتحدَّثَ ابن عائشة في إسنادٍ ذكره ان علياً رضي الله عنه انتهى اليـه أن خيلا لمعاوية وردت الأنبار فقتلوا عاملاً له يقال حَسّانُ بن حسان فخرج مُغْضَبـاً يجُرُّ ثوبه حتى أتى النُخَيْلةَ واتبعه الناس فرَقِيَ رباوَةً من الارض فحمدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال: أما بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنة فمَنْ تركه رغبةً عنه ألبسه الله الذل وسيما الخَسْفِ ودُيِّثَ بالصَّغار وقد دعوتكم إلى حَرْب هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً وسرّاً وإعلاناً وقلتُ لكم اغزوهم من قبـل أن يَغْزوكم فوالذي نفسي بيـــده ما غُزيَ قومٌ قطُّ في عُقْر دارهم إلا ذلّوا فتخاذلتم وتوَاكلْتمْ وثَقُل عليكم قولي واتخذتموه وراءكم ظِهْرياً حتى شُنّتْ عليكم الغاراتُ هذا أخو غامدٍ قد وَردتْ خَيْلُهُ الانبار وقتـلوا حسّان بن حَسّان ورجالاً منهم كثيراً ونساءً والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يُدخَلُ على المرأة المسلمة والمعاهِدة فتُنْتَزَعُ أحجالها ورُعُثُهما ثم انصرفوا موفورين لم يُكلَمْ منهم أحدٌ كلْماً فلو ان امرأً مسلماً مات من دون هذا أسفاً ما كان عندي فيه ملوماً بل كان عندي جَديراً ، عَجَباً كلُّ العَجب عَجبٌ يُميت القلب ويَشْغَل الفَهْم ويُكثِر الاحزان من تَضافُر هؤلاء القوم على باطلهم وفشَلِكم عن حقّكم حتى أصبحتم غَرَضاً تُرْمَوْنَ ولا تَرْمون ويُغارُ عليكم ولا تُغيرون ويُعصى الله عزّ وجل فيكم وتَرْضَوْنَ إذا قلتُ لكم اغزوهم في الشتـاء قلتم هذا أوانُ قرٍّ وصرٍّ وإن قلت اغزوهم في الصيف قلتم هذه حَمارّةُ القَيْظ أنظِرْنا يَنصرمُ الحرُّ عنا فاذا كنتم من الحر والبرد تفِرُّون فأنتم والله من السيفِ أفرُّ يا أشباهَ الرجال ولا رجالٌ ويا طَغامَ الاحلام ويا عُقولَ رَبّاتِ الحِجالِ والله ،لقد أفسدتم عليَّ رأيي بالعِصْيان ولقد ملأتم جوفي غيظاً حتى قالت قُرَيْشٌ ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رأيَ له في الحرب، لله دَرُّهم ومَنْ ذا يكونُ أعلم بها مني أو أشدّ

Marfat.com

لها مراساً! فوالله لقد نهَضت فيها وما بَلغت العِشرين ولقد نيِّفتُ اليوم على الستين ولكن لا رأي لمن لا يُطاع يقولها ثلاثاً فقام اليه رجل ومعه أخوه (الرجل وأخوه يُعرفان بابني عَفيفٍ من الانصار) فقال: يا أمير المؤمنين أنا وأخي هذا كما قال الله تعالى: رَبِّ إني لا أَملِكُ إلا نَفسي وأخي فمُرْنا بامرك فوالله لننتهين اليه ولو حال بيننا وبينه جَمْرُ الغَضَى وشوْكُ القَتَادِ. فدَعا لهما بخير ثم قال لهما وأين تَقعان مما أريد ثم نزَلَ (قال) أبو العباس قوله سيما الخَسْفِ قال هكذا حدّثونا وأظنه سيمَ الخَسْفَ يا هذا من قول الله عزّ وجل: يَسومونكم سوءَ العذابِ ومعنى قوله سيما الخسفِ تأويله علامَةُ هذا أصل ذا. قال الله عزّ وجل سيماهُم في وجوهِهِمْ من أثرِ السُجودِ وقال عزّ وجل يُعرَفُ المجرمون بسيماهم وقال أبو عبيدة في قوله عزّ وجل مُسَوّمين قال مُعلَمين واشتقاقه من السِّيما التي ذكرنا ومن قال مُسوّمين فإنما اراد مُرسَلين من الابل السائمة أي المرسَلةِ في مراعيها وإنما أُخذَ هذا من التفسير وقال المفسرون في قوله تعالى والخيل المسوّمةِ القولين جميعاً من العلامة والإرسال. وأما قوله عزّ وجل: حِجارةً من سِجّيل مَنضودٍ مُسوّمةً عند ربك، فلم يقولوا فيه إلا قولاً واحداً قالوا مُعلَمَةً وكان عليها أمثال الخواتيم ومن قال سيما قصر ويقال في هذا المعنى سيماء ممدود قال الشاعر (وهو ابن عَنقاء الفزاريُّ في عُمَيلَةَ الفزاريّ) :

غلامٌ رَماهُ اللهُ بالحسْنِ يافعاً ... لهُ سيمياءُ لا تشُقُّ على البَصَرْ
(كأنَّ الثُريّا عُلّقَتْ في جَبينِه ... وفي أنفِهِ الشِعْرى وفي جيدِهِ القمَر)

وقوله: وقتلوا حسّانَ بن حسّان من أخذَ حسّاناً من الحُسْنِ صرَفهُ لأن وزنه فعّالٌ فالنون منه في موضع الدال من حَمّادٍ ومن أخذَهُ من الحسِّ لم يَصرِفْهُ لانه حينئذ فعْلانُ فلا ينصرف في المعرفة وينصرف في النكرة لانه ليست له فَعْلى فهو بمنزلة سَعْدانٍ وسرْحانٍ. ودُبَّتَ بالصغار تأويله ذُلّل يقال للبعير إذا ذلّلتَهُ الرياضةُ بعير مُدَبَّتٌ أي مذلل. وقوله في عُقر دارهم أي في اصل دارهم والعُقْرُ الاصل ومن ثمّ قيل لفلان عَقار أي أصل ومال. ويروى

Marfat.com

عنه ﷺ انه قال من باعَ داراً او عقاراً فلم يَردُدْ ثمنهُ في مثله فذلك مال قَمَنٌ ألا يُبارَكَ له فيه. وقوله قَمَنٌ يريد خَليقٌ ويقال أيضاً قَمِينٌ وقَمِنٌ (قال أبو الحسن من قال قَمَنٌ لم يُثَنِّ ولم يَجْمعْ ومنْ قال قَمِنٌ وقَمِنٌ ثنّى وجَمَع) ويقال للرجل اذا اتخذ ضَيعةً أو داراً تأثّلَ فلانٌ اي اتخذ اصلَ مالٍ. وقوله تواكلتم إنما هو مشتق من وكلْتُ الامر اليك ووكلتَهُ انت إليَّ اي لم يَتولَّهُ واحدٌ منا دون صاحبه ولكن أحال به كلُّ واحدٍ منا على الآخر، ومن ذلك قول الحُطيئة:

فلأياً قَصَرْتَ الطرْفَ عَنْهُمْ بِحَسْرةٍ أمُونٍ اذا واكلْتُها لا تُواكِلُ

وقوله واتخذتموه وراءكم ظِهْرِيّاً أي رميتم به وراء ظهوركم أي لم تلتفتوا اليه ويقال في المثَل لا تجْعَل حاجَتي منك بظَهْرٍ اي لا تَطرَحها غير ناظر اليها. وقوله حتى شُنَّتْ عليكم الغاراتُ يقول صُبّتْ يقال شَنَنْتُ الماء على رأسه اي صَبَبْتُه وشَنَنْتُ الشراب في الاناء اي صَببْتُهُ، ومن كلام العرب فلما لقِيَ فلانٌ فلاناً شَنَّهُ السيفَ اي صَبّه عليه صَبّاً. وقوله هذا اخو غامدٍ فهو رجل مشهور من اصحاب معاوية من بني غامد بن نَصر بن الازْد بن الغَوث وفي هذه القبيلة يقول القائل:

ألا هَلْ أتاها على نأيها بما فَضَحَتْ قَوْمَها غامدُ
تَمَنَّيْتُمُ مائَتَيْ فارسٍ فَردٌّكُمُ فارسٌ واحِدُ
(هو رَبيعَةُ بن مُكدَّمٍ)
فلَيْتَ لنا بارْتباط الخُيو لِ ضأناً لها حالبٌ قاعِدُ

وقوله فتَنْتَزِعُ أحجالَهُما يعني الخلاخيل واحدها حِجْل، ومن هذا قيل للدابة مُحَجَّلٌ ويقال للقيد حِجْل لانه يقع في ذلك الموضع قال جريرٌ يُعَيِّر الفَرَزْدق حين قيّدَ نفسه وأقسم ألا يَحُلَّها حتى يحْفظَ القرآن فلما هاجى جرير البعيثَ هجا الفرزدقُ جريراً مَعونةً للبَعيث وذبّاً عن عشيرتِهِ فقال جرير:

ولما اتّقى القَيْنُ العِراقيُّ باستِهِ فرَغتُ الى العبدِ المقيّد في الحِجل

(يعني بقوله ولما اتقى القين العراقي باسته البعيثَ وسمّاهُ القين لأنه من رهط

Marfat.com

الفرزدق) ومعنى فرغت عَمدْتُ قال الله عزّ وجل: سَنفرُغُ لكم أيها الثقلان أي سنَعْمِدُ (تميم تقول فرَغَ يَفرَغُ فراغاً واهل العالية وهم قُريشٌ ومن والاها يقولون فرِغَ يفرُغُ فروغاً). وقوله ورُعْتُهما الواحدة رَعْثة وجمعها رِعاثٌ وجمع الجمع رُعُثٌ وهي الشُنوفُ وقوله ثم انصرفوا مَوْفورين من الوَفر أي لم يُنَلْ أحدٌ منهم بان يُرْزأ في بَدنٍ ولا مالٍ ،يقال فلانٌ مَوفور وفلان ذو وَفرٍ أي ذو مال ويكون مَوفوراً في بدنه اذا ذكر ما أصيب به غيرُه في بدنه قال حاتم الطائيُّ :

وَقدْ عَلِمَ الاقوامُ لو أن حاتماً أراد ثراءَ المال كان لهُ وَفرُ

ويروى أمسى له وَفر وقوله لم يُكلمْ أحد كَلْماً يقول لم يُخْدشْ أحدٌ منهم خدشاً وكلُّ جرحٍ صَغُرَ أو كَبُرَ فهو كلْمٌ. قال جرير :

تواصَتْ من تَكرمِها قُريْشٌ بِرَدُّ الخيْـــل داميَة الكلوم

وقوله ماتَ من دون هذا أسفاً يقول تحسّراً فهذا موضع ذا وقد يكون الاسف الغضب قال الله عزّ وجل : فلما آسفونا انتَقمنا منهم ، والاسيفُ يكون الاجير ويكون الاسير فقد قيل في بيت الاعشى :

أرى رجُلاً منهم أسيفاً كأنما يَضُمُّ الى كشحَيْه كفّاً مُخَضّبا

المشهور انه من التأسف لقطع يده وقيل بل هو أسير قد كُبِلتْ يدُهُ ويقال قد جَرَحها الغُلُّ والقول الاول هو المجْمَعُ عليه. ويقال في معنى أسيف عسيفٌ ايضاً وقوله من تضافُرِ هؤلاء القوم على باطلهم يقول من تعاوُنِهم وتظاهُرهم . وقوله وفشلكم عن حقكم يقال فشِلَ فلانٌ عن كذا اذا هابه فنكل عنه وامتنع من المُضِيِّ فيه .وقوله قلتم هذا أو ان قُرّ وصرّ فالصرُّ شدّة البرد قال الله عزّ وجل: كمثل ريح فيها صرٌّ وقوله هذه حَمّارةُ القيْظ فالقيظُ الصيف وحمّارتُه اشتداد حرّه واحتدامُهُ وحمارّةٌ مما لا يجوز ان يحتج عليه ببيت شعر لان كل ما كان فيه من الحروف التقاء ساكنين لا يقع في وَزن الشعر إلا في ضربٍ منه يقال له المُتقارِبُ فانه جُوِّزَ فيه على بُعدِ التقاءُ الساكنين وهو قوله :

Marfat.com

فذاكَ القِصـــاصُ وكان التَقا ص فرْضاً وَحَتْماً على المُسلمينا

ولو قال وكان القصاص فرضاً كان أجود وأحسن ولكن قد أجازوا هذا في هذه العَروض ولا نظير له في غيرهامن الأعاريض، وقوله يا طَغامَ الأحلام فجازُ الطغامِ عند العرب مَن لا عَقل له ولا معرفة عنده وكانوا يقولون طَغامُ أهلِ الشأم كما قال :

(إذا ما كان مِثلُهُمُ رجاماً) فما فضْلُ اللبيبِ على الطَغامِ

وقوله ويا عقولَ ربّاتِ الحِجالِ يَنسُبُهُمْ الى ضعفِ النساء وهو السائرفي كلام العرب قال الله تعالى يذكر البنات: أوَ مَن يُنشّأُ في الحِلية وهو في الخصام غيرُ مبين.

١ – باب

قال أبو العباس من كلام العرب الاختصار المُفهِمُ والاطناب المُفخّمُ وقد يقع الايماءُ الى الشيء فيُغني عند ذوي الألباب عن كشفه كما قيل لَمحَةٌ دالةٌ ، وقد يُضطرُّ الشاعرُ المُفلِقُ والخطيبُ المصقَعُ والكاتب البليغ فيقع في كلام أحدهم المعنى المُستَغلَق واللفظ المُستَكرَهُ فان انعطفت عليه جَنبَتا الكلام غطّتا على عَوارهِ وسَترتا من شَيْنه ،وان شاء قائل أن يقول بل الكلام القبيح في الكلام الحسَن أظهرُ ومجاورتــه له أشهر كان ذلك له ولكن يغتفر السيىء للحَسن والبعيد للقريب فمن الفاظ العرب البيّنة القريبة المُفهِمَة الحسنةِ الوصف الجميلة الرصفِ قول الحُطَيْئَةِ :

وذاكَ فتىً إنْ تَأتِهِ في صَنيعةٍ إلى مــالِهِ لا تَأتهِ بشَفيع

وكذلك قول عَنترَةَ :

يُخبِرْكِ مَن شَهدَ الوَقيعةَ أنني أغشى الوغى وأعِفُّ عند المغنَم

وكما قال زُهَيرٌ :

على مُكثريهِمْ حَقُّ مَن يَعتريهِمُ وعند المُقلّينَ السماحةُ والبذْلُ

ومما وقع كالايماء قولُ الفرزدق :

Marfat.com

ضربت عليكَ العنكبوتُ بنسجِها وقضى عليك به الكتابُ المنزّل

فتأويل هذا أن بيت جرير في العرب كالبيت الواهي الضعيف فقال: وقضى عليك به الكتاب المنزل، يريد به قول الله تبارك وتعالى: وإنّ أوهنَ البيوتِ لبيتُ العنكبوتِ لو كانوا يعلمون. ومن كلامه المستحسَنِ قولُه لجرير:

فهَلْ ضربةُ الرومي جاعلةٌ لكمْ أباً عن كُلَيبٍ أو أباً مثلَ دارمِ

ومن أقبح الضرورة وأهجَنِ الألفاظِ وأبعدِ المعاني قوله:

وما مثلُهُ في الناسِ إلاّ مُمَلَّكاً أبو أُمِّهِ حيٌّ أبوه يُقارِبُهْ

مدحَ بهذا الشعر ابراهيم بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزومٍ وهو خال هشام بن عبد الملك فقال وما مثلُه في الناس إلا مُملّكاً يعني بالمُملّكِ هشاماً أبو أمّ ذلك المُملّكِ أبو هذا الممدوح ولو كان هذا الكلام على وجهه لكان قبيحاً وكان يكون إذا وضَعَ الكلامَ في موضعه أن يقول وما مثله في الناس حيٌّ يقاربه إلا مُملّكٌ أبو أمّ هذا المُملّكِ أبو هذا الممدوح فدلَّ على انه خاله بهذا اللفظ البعيد وهجّنَهُ بما أوقع فيه من التقديم والتأخير حتى كأن هذا الشعر لم يجتمع في صدر رجل واحد مع قوله حيث يقول:

تصرَّمَ مني وُدُّ بكرِ بنِ وائل وما كادَ مِنّي وُدُّهم يتصرَّمُ
قوارصُ تأتيني ويحتقِرونَها وقد يَمْلأ القَطْرُ الإناءَ فيفعَمُ

(القارصة الكلمة المؤذية) وكأنه لم يقع ذلك الكلام لمن يقول:

والشَيبُ ينهَضُ في السواد كأنه ليلٌ يَصيحُ بجانبَيْه نهارُ

فهذا أوضحُ معنىً وأعرَبُ لفظٍ وأقربُ مأخذٍ وليس لقِدَمِ العهدِ يُفضّلُ القائلُ ولا لحِدْثان عهدٍ يُهتضَمُ المصيب ولكن يُعطى كلُّ مايستحق ألا ترى كيف يفضل قول عمارة على قرب عهده:

تبحثثتم عن سخطي فغيّر بحثكم نخيلةَ نفسٍ كان نصحاً ضميرُها

Marfat.com

ولن يُلبِث التخشينُ نفساً كريمةً عَريكتُها أن يَستمِرَّ مَريرُها
وما النفسُ إلا نُطفةٌ بقَرارةٍ إذا لم تُكدِّرْ كان صَفْواً غديرُها

فهذا كلام واضح وقول عَذبٌ وكذلك قوله أيضاً :

بَني دارِمٍ إن يَفنَ عُمري فقَد مضى حيـــاتي لـكم مِنّي ثناءٌ مُخَلَّد
بَدأتُمْ فأحسَنتُمْ فأثنَيْتُ جاهداً وإن عُدتُمُ أثنَيْتُ والعَوْدُ أحمدُ

ومما يُفضّلُ لتخَلُّصِه من التكلُّف وسلامته من التزَيُّد وبُعدِه من الاستعانة قولُ أبي حَيّةَ النُمَيري :

رمَتْني وسِترُ اللهِ بَيني وبَينها عَشِيّةَ أرآمِ الكِناسِ رَميمُ

(قيل في سِترِ الله الاسلامُ وقيل فيه انه الشَيْبُ وقيل ما حرّم الله عليها)

ألا رُبَّ يومٍ لوْ رَمتني رَميتُها ولكنْ عَهدي بالنِّضالِ قديمُ
(يَرى الناسُ أني قد سَلَوْتُ وانني لَرَمْيٌ احناءِ الضُلوع سَقيمُ)

يقول رَمَتْني بطَرْفها وأصابَتني بمَحاسنها ولو كنتُ شاباً لرَميتُ كما رُميت وفتَنَتْ كما فُتِنتُ ولكن قد تطاوَلَ عَهْدي بالشباب فهذا كلام واضح (قال أبو الحسن أنشَدنا أبو العباس أحمد بن يحيى البيتين عن عبدالله بن شَبيب وروى عَشيّةَ أحجارِ الكِناس رَميمُ ، وزاد فيه :

رميم التي قالتْ لجاراتِ بَيْتِها ضَمِنتُ لكم أن لا يزالَ يَهيمُ

الكِناس والمكنِسُ الموضع الذي تأوي اليه الظِباءُ وجمع الكِناس كُنُسٌ وجمع المَكْنِسِ مكانِس ورميم اسم جارية مأخوذ من العظام الرميم وهي البالية وكذلك الرِمّةُ والرُمّةُ القطعة البالية من الحبل وكل ما اشتق من هذا فاليه يَرْجِعُ) قال أبو العباس وأما ما ذكرناه من الاستعانة فهو أن يُدْخل في الكلام ما لا حاجة بالمستمع اليه ليُصَحِّحَ به نظماً أو وزْناً ان كان في شعر أو ليتذكر به ما بعده ان كان في كلام منثور كنحو ما تَسمَعُهُ في كثير من كلام العامة مثل قولهم :ألسْتَ تَسْمعُ ،أفهمتَ أين أنت وما أشبه هذا. وربما تشاغل العَيِيُّ بفضْل

Marfat.com

اصبعه ومَسْ لحيتِهِ وغير ذلك من بدنه وربما تنَحْنَحَ وقد قال الشاعر يعيب بعض الخُطباء في شعره :

مَليءٌ ببُهْرٍ والتفاتٍ وسُعْلةٍ ومَسْحةِ عُثنونٍ وفَتلِ الأصابع

وقال رجل من الخوارج يصف خَطيباً منهم بالجُبنِ وأنه بَجيدٌ لولا أن الرُّعبَ أذْهَلهُ :

تَخَنْخَحَ زيْدٌ وسَعَلْ لما رأى وقْعَ الأسَلْ
ويُلمِّهِ إذا ارْتجَلْ ثم أطال واحتفَلْ

(وقال رجل يصف رجلاً من اياد بالعِيّ وكان أبوه خطيباً وخالهُ :

جَمَعتَ صُنوفَ العِيّ من كل وجْهَةٍ وكنتَ مَليئاً بالبلاغةِ من كُثَبْ
أبوك مُعِمْ في الكلام ومُخْوِلٌ وخالُكَ وَثّابُ الجراثيمِ في الخُطَبْ)

ومما يشاكل هذا المعنى ويُجانسُ هذا المذهب ما كان من خالد بن عبد الله القسريّ فإنه كان متقدماً في الخطابةِ ومتناهياً في البلاغة فخرج عليه المُغيرة ابن سعيد بالكوفة في عشرين رجلاً فعَطْمَطوا به فقال خالد أطعِموني ماءً وهو على المنبر فعُيّرَ بذلك فكتَب به هشامٌ اليه في رسالة يوَبّخُهُ فيها وسنذكرها في موضعها إن شاء الله وعَيّرَهُ يحيى بن نَوْفلٍ فقال :

لأغْلاجِ ثمانيةٍ وعَبْدٍ لئيمِ الأصلِ في عَددٍ يَسيرِ
هتَفتَ بكلِّ صَوْتك أطعِمُوني شَرابا ثم بُلتَ على السريرِ

فهذا عارضٌ وقال آخر يُعَيّرهُ :

بَلِ المنابِرَ من خَوْفٍ ومِنْ وَهَلٍ واستَطعَمَ الماءَ لما جَدَّ في الهَرَبِ
وأَلْحنُ الناسِ كلِّ الناسِ قاطِبةً وكان يُولَعُ بالتشْديقِ في الخُطَبِ

ومما يُستَحْسنُ لفظه ويُستغرَب معناه ويُحْمَدُ اختصاره قولُ أعرابيّ من بني كِلاب :

فمَنْ يَكُ لم يَنْزَهْ فإني وناقتي بحَجْرٍ إلى أهْلِ الحِمَى غَرِضانِ
(هَوَى ناقتي خَلْفي وقُدّامي الهوى وإني وإياها لَمُخْتلِفانِ)

Marfat.com

بجِنٍّ فتُبْدي ما بها من صَبابَةٍ وأُخْفي الذي لَوْلا الأسى لقَضاني

(أنشد صاعدٌ بعدهما زيادةً فيهما :

فيا كبِدَيْنا أَجْمِلا قد وَجدْتُما بأهْلِ الحِمى ما لم يَجِدْ كبِدانِ
إذا كبِدانا خافَتَا وَشْكَ نِيَّةٍ وعاجِلَ بَيْنٍ ظَلَّتا تَجِبانِ)

يريد لقَضى عَليَّ فأخرجه لفصاحته وعلمه بجوهر الكلام أحسنَ مُخْرَجٍ. قال الله عزّ وجل: إذا كالوهُم أو وَزَنوهُمْ يُخْسِرونَ، والمعنى اذا كالوا لهم أو وَزَنوا لهم، ألا ترى أن أول الآية الذين اذا اكْتالوا على الناس يَسْتَوْفونَ فهؤلاء أَخذوا منهم ثم أعطوهم، وقال الله تبارك وتعالى: واختار موسى قَوْمَهُ سَبْعين رَجُلًا لميقاتِنا أي من قومه ، وقال الشاعر :

(هو أعْشى طَرودٍ واسمُهُ اياسُ بن عامرٍ)

أَمَرْتُكَ الخيرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ به فقد تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وذا نَشَبِ

أي أَمَرْتُكَ بالخير . ومن ذا قول الفرزدق :

ومنّا الذي اخْتِيرَ الرِجالَ سَماحَةً وَجوداً إذا هَبَّ الرِّياحُ الزَعازِعُ

أي من الرجال فهذا الكلام الفصيح، وتقول العرب أقمْتُ ثلاثاً ما أذُوقُهُنَّ طَعاماً ولا شراباً أي ما أذوقُ فيهنَّ ، وقال الشاعر :

ويَوْماً شَهِدْناهُ سَلِيماً وعامِراً قليلاً سِوى الطَعْنِ النِهالِ نَوافِلُهْ

(قال أبو الحسن : قوله لم يَفْرَضْ ، أي لم يَشْتَقْ . يقال : عَرِضْتُ الى لقائك وَحَنَنْتُ الى لقائك وَعَطِشْتُ الى لقائك وجِئْتُ الى لقائك ، أي اشْتَقْتُ . أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن يحيى عن ابن الأعرابي ، وأنشَدَنا عنه :

مَنْ ذا رَسولٌ ناصِحٌ فَمُبَلِّغٌ عَنّي عُلَيَّةَ غَيْرَ قَوْلِ الكاذِبِ
أني عَرِضْتُ الى تَناصُفِ وَجْهِها عَرَضَ المُحِبِّ الى الحبيبِ الغائبِ

التناصُفُ الحُسْنُ ، وأما قوله لقَضاني فإنما يريد لقَضى عليَّ الموتَ كما قال الله

Marfat.com

تبارك وتعالى: فلمّا قضَيْنا عليه المَوْتَ، فالموتُ في النية وهو معلوم بمنزلة ما نَطقْتَ به فلهذا ناسب هذا قولَهُ عزّ وجل : واختارَ موسى قَوْمَهُ، وكذلك قولهُ تعالى : كالوْهُمْ فالشيءُ المَكيلُ معلوم فهو بمنزلة مـا ذُكِرَ في اللفظ ولا يجوز مررت زيداً وأنت تريد مررت بزيد لأنه لا يتعدّى الا بحرف جر وذلك أنه فعل الفاعل في نفسه وليس فيه دليلٌ على المفعول وليس هذا بمنزلة ما يَتعَدّى الى مفعولين فيتعدّى الى أحدهما بحرف جَرٍّ والى الآخر بنفسه لأن قولك: اخْتَرْتُ الرجالَ زيداً قد عُلِمَ بذِكْرِكَ زيداً أن حرف الجر محذوف من الأوّل. فأما قول الشاعر وهو جرير وإنشادُ أهل الكوفة له وهو قوله :

تَمُرُّونَ الدِيارَ ولمْ تَعوجـوا كلامُكُمْ عَـلَيّ إذاً حَرامُ

وروايةُ بعضهم له أَتَمْضونَ الدِيارَ فليسا بشيء لما ذكرْتُ لك والسماع الصحيح والقياس المُطّرِدُ لا تَعْتَرِضُ عليه الرِوايةُ الشاذةُ. أخبرنا أبو العباس محمد بن يَزيدَ قال: قرأت على عُمارَةَ بن عَقيل بن بلال بن جَرير: مَرَرْتُمْ بالدِيارِ ولم تعوجوا ، فهذا يَدُلُّكَ على ان الرواية مُغَيَّرَةٌ ، فأما قولهم أقمت ثلاثاً ما أذوقهن طعاماً ولا شراباً وقولُ الراجز :

قَدْ صَبَّحَتْ صَبّحَها السَّلامُ بِكَبْشِ خالَطَها سَنامُ
في ساعةٍ يُحَبُّها الطعامُ

يريد في ساعةٍ يُحَبُّ فيها الطعامُ ، وكذلك الأول معناه : ما أذوقُ فيهنّ فليس هذا عندي من باب قوله جَلّ وعـلا : واختار موسى قَوْمَهُ ، إلا في الحذف فقط وذلك أن ضمير الظَرْف تجعله العربُ مفعولاً على السَعَةِ كقولهم: يَوْمُ الجمعة سِرْتُهُ ومكانُكَ قمتُهُ وشهرُ رمضان صمتُهُ فهذا يُشَبَّهُ في السَعَةِ بقولك: زيدٌ ضربتُهُ وما أشبهه فهذا بَيّنٌ). قال أبو العباس: ومما يُستحسَنُ ويُستجادُ قول أعرابي من بني سَعْد بن زيد مَنَاةَ بن تميم وكان مُمْلِكاً فنزل به أضياف فقام الى الرَحى فطحن لهم فمَرّتْ به زوجتُهُ في نِسْوَةٍ فقالت لهنّ. أهذا بَعْلي ، فأعْلَمَ بذلك فقال : (قال أبو الحسن أخبرنا به عن أبي مُحَلِّم

Marfat.com

يعني السَعْدِيَّ) :

قولُ وَصكَّتْ صَدْرَها بِيَمينِها أبَعْلِيَ هـذا بالرَحى المُتَقاعِسُ
فَقُلْتُ لها لا تَعْجَبي وَتَبَيَّني بلائي إذا التَفَّتْ عليَّ الفَوارِسُ
ألَسْتُ أرُدُّ القِرْنَ يَرْكَبُ رَدْعَهُ وفيه سِنانٌ ذو غِرارَيْنِ يابِسُ
إذا هابَ أقْوامٌ تَجَشَّمْتُ هَوْلَ ما يَهابُ حُمَيّاهُ الألدُّ المُداعِسُ
لَعَمْرُ أبيكِ الخَيْرِ إني لَخادِمٌ لِضَيْفي وإني إن رَكِبْتُ لَفارِسُ

قوله المُتقاعِسُ إنما هو الذي يُخْرِجُ صَدْره ويُدْخِلُ ظهره ، ويقال : عِزَّةٌ قَعْساءُ وإنما هذا مَثَلٌ أي لا تَضَعُ ظهرَها إلى الأرض ، وقوله: بالرحى المتقاعس لو أراد الذي يَتقاعَسُ بالرحى لم يَجُزْ لأن قوله بالرحى من صلة الذي والصلة من تمام الموصول فلو قدمها قبله لكان لحناً وخطأ فاحشاً وكان كمَنْ جَعَلَ آخر الاسم قبل أوله ولكنه جعَلَ المتقاعسَ اسماً على وجهه وجعل قوله بالرحى تَبْييناً بمنزلة لكَ التي تقَعُ بعد قولك سَقْياً وبمنزلة بكَ التي تقع بعد مرحباً فإن قدَّمْتَها قبل سَقْياً ومَرْحباً فذلك جَيِّدٌ بالغ نقول: بك مرحباً وأهلاً ونقول: لك حَمْداً ولزيدٍ سَقْياً ، فأما قولُ الله عزّ وجل: وأنا على ذَلكُمْ من الشّاهِدين وكذلك : وقاسَمَهُما إني لَكُما لَمِن الناصحين فيكون تفسيره على وجهين أخذهما * أن يكون وأنا ناصحٌ لكما وأنا شاهد على ذلكم ثم جعل من الشاهدين ولمن الناصحين تفسيراً لشاهدٍ وناصحٍ ، ويكون على ما فسرنا يراد به التبيين فلا يدخل في الصلة ويكون على مذهب المازني ، وقال أبو العباس، وهو الذي أختار على أن الألف واللام للتعريف لا على معنى الذي : ألا ترى أنك تقول نِعْمَ القائم زيدٌ ولا يجوز نِعْمَ الذي قامَ زيد فإنما هو بمنزلة قولك نِعْمَ الرجلُ زيدٌ ، وهذا الذي شرحناه متصلٌ في هذا البابِ كلِّه مطّرِدٌ على القياس ، وقوله : ألَسْتُ أردُّ القِرْنَ يركب رَدْعَهُ ، فإنما اشتقاقه من السهم ، يقال : ارْتَدَعَ السهمُ اذا رجع النَصْلُ متأخراً في السِنْخِ ، ويقال : ركب البعيرُ رَدْعَهُ اذا سقط فدخلتْ عُنُقُهُ في جوفه ، فالكلام مُشْتَقٌ بعضُه من بعض ومُبَيَّنٌ بعضُه

* أخذهما : خطأ مطبعي ، والصحيح هو : أحدهما ، أي أحد القولين .

Marfat.com

بعضاً فيقال من هذا في المثَل : ذهب فلانٌ في حاجتي فارْتَدَعَ عنها أي رجع، وكذلك فلان لا يَرْتَدِعُ عن قبيح والأصل ما ذكرتُ لك أوّلاً ، ومثل هذا قولهم: فلانٌ على الدّابة وعلى الجبل أي فوق كل واحد منهما ، ثم نقول : فلانٌ عليه دَيْنٌ تمثيلاً ، وكذلك: رَكِبَهُ دَيْنٌ ، وإنما تريد أن الدَّيْنَ علاه وقهَرَهُ، وكذلك : فلان على الكوفة إذا كان والياً عليها وكذلك : علا فلانٌ القومَ إذا علاهم بأمره وقهرهم أو جُعِلَ في هذا الموضع، وقوله: وفيه سنانٌ ذو غِرارَيْنِ يابسُ ، فالغِرار ههنا الحدُّ وللغرار مواضع. قال أبو العباس: وحدثني الرياشيُّ في إسنادٍ له قال : قال جَبْرُ بن حبيبٍ وذكر الراعي أخطأ الأعْوَرُ قال: ولم يَعْلَمْ الحاكي عنه ان الراعي كان أعْوَرَ إلا من هذا الخبر في قوله :

فصادَفَ سَهْمُهُ أحْجارَ قُفٍّ كسَرْنَ العَيْرَ منْهُ والغِرارا

وجَبْرُ بن حبيب هو المخطىء لأن الغِرار ههنا هو الحدّ ، وذهب جَبْرٌ الى أنه المثالُ وقد يكون المثالَ وليس ذلك بمانعه من ان يَحْتَمِلَ معانيَ ، يقال : بَنَوْا بيوتَهُمْ على غرارٍ واحدٍ أي على مثالٍ واحدٍ كما قال عمرو بن أحمر الباهلي :

وضَمْنَ وكُلُّهُنَّ على غِرارٍ هِجانَ اللوْنِ قد وسَقَتْ جَنِينا

(الرواية عن ابي العباس وضَمْنَ بفتح الضاد والواو والصحيح وضُمِنَ بضم الواو وكسر الضاد) ويقال : لسُوقِنا دِرّةٌ وغِرارٌ أي نَفاقٌ وكسادٌ ، فهذا معنى آخر وإنما تأويل الغرار في هذا المعنى الأخير أنه شيء بعد شيء ومن هذا : غارّ الطائرُ فرْخَهُ لأنه إنما يعطيه شيئاً بعد شيء ، وكذلك غارّت الناقةُ في الحلَبِ ، ويقال من هذا ما نِمْتُ إلا غِراراً ، قال الشاعر :

ما أذوقُ النَوْمَ إلا غِراراً مِثْلَ حَسْوِ الطيْرِ ماءَ الثمادِ

فكشَفَ في هذا البيت معنى الغِرار وأوضحه . وقوله : يَهابُ حُمَيّاهُ الألدُّ المُداعِسُ ، فأصل الحُمَيّا إنما هي صَدْمَةُ الشيء ، يقال : فلان حامي الحُمَيّا ، ويقال : صَدَمَتْهُ حُمَيّا الكأسِ ، يراد بذلك

Marfat.com

سَوْرَتها. وقوله الالدّ فأصله الشديد الخصومة يقال خصمٌ ألدُّ أي لا ينثني عن خصمه، قالَ اللهعز وجل: وتنذِرَ به قوماً لُدّاً، كما قال: بَل هُم قومٌخَصِمون وقال مُهلهلٌ :

إنّ تحتَ الأحجارِ حَزماً وجُوداً وخصيماً ألدّ ذا مِعلاقِ

وبروى مِغلاق فمن رَوى ذلك فتأويله أنه يغلقُ الحجّة على الخصم ومن قال ذا مِعلاق فانما يريد أنه اذا عَلِق خصماً لم يَتخلّص منه وجعل السعديّ الالدّ الذي لا ينثني عن الحرب تشبيهاً بذلك ، والمداعس المطاعن يقال دَعَسه بالرمح اذا طَعنهُ قال عُمَيرُ بن الحُبابِ السُلميُّ .

أنا عُميرٌ وأبو المُغلّسْ وبالقناة مازِنيٌّ مِدْعَس

ر قال أبو الحسن تأويل قوله أي قول السعدي ، أبعلي هذا بالرحى المتقاعِسُ ، بالرحى تبيين ولم يوضحه فان تقدير ما كان من هذا الضرب أنه إذا قال أبعلي هذا بالرحى المتقاعسُ فان المتقاعِسَ يدل على أن تقاعُساً وقعَ فكأنه قال وقعَ التقاعُس بالرحى ولم يرد ان يُعمِلَ المتقاعِسَ في قوله بالرحى لأنه في الصلةِ والصلةُ من الموصول بمنزلة الدال من زيد أو اليـــاء فكما لا يجوز أن يتقدم حروفُ الاسم بعضُها على بعضٍ لم يجز أن تتقدمَ الصلة على الموصول . فأما قول الله عز وجل: وقاسَمهُما إني لكما لمِنَ النّاصِحين. وكذلك: وأنا عَلى ذلِكم من الشاهِدين،فانه يكون على التبيين الذي قدّمنا ذِكرهُ وهو قول البصريين أجمعين الا أن أبا عمر الجرمي أجاز أن يحمل لكما وعلى ذلكم مُعَلقين بشيئين محذوفين دلّ عليهما من الناصحين ومن الشاهدين لأن مِن مُبعّضة فكأنه قال والله أعلم وقاسَمهُما اني ناصحٌ لكما من الناصحين وأنا شاهد على ذلكم من الشاهدين وأما اختياره وذِكرُهُ أنه قولُ المازنيّ وجعلهُ الألفَ واللام للعهد مِثلهُما في الرجل وما أشبهه فان هذا القول غير مَرْضيٍّ عندي،لأنك إذا قلتَ نِعْمَ القائمُ زيدٌ فجعلتَ الألفواللام كالألف واللام الداخلتين على ما لم يؤخذ من الفعل كالانسان والفرس وما أشبهه فانه إذا كان هكذا دخل في باب الأسماء الجامدة وهي التي لم

Marfat.com

تؤخذ من أمثلة الفعل وامتنع من أن يعمل مؤخراً الا على حيلةٍ ووجهٍ بعيدٍ من التبيين الذي ذكرنا. وإذا كان في التأخير لا يَعْملُ بنفسه فكيف يَعمل إذا تقدم عليه الظرفُ وهذا مستحيل لا وجهَ له. وأما انشاده :

لا أذوق النوم إلا غراراً . فان هذه أبيات اربعة أنشدناها عن الزياديّ وذكر أنه كان يستحسنها، وهي لاعرابيّ قال :

ما لِعيني كُحِلتْ بالسُهادِ ولجنْبي نابياً عن وسادي
لا أذوقُ النومَ إلا غِراراً مثلَ حَسْوِ الطيرِ ماءَ الثِماد
أبتغي إصلاحَ سُعدى بجُهدي وهيَ تسعى جُهدها في فسادي
فتتاركْنا على غيرِ شيءٍ رُبما أفسَدَ طولُ التمادي

وأما إنشاده ، وَضعنَ وكلُّهُنّ على غِرارِ ، فان البيت لعمرو بن أحمر بن العَمَرّدِ الباهليّ)قال أبو العباس ومن سَهل الشِعرِ وَحسنِهِ قول طُخَيم بن أبي الطَخماء الأسديّ يمدح قوماً من أهل الحيرةِ من بني امرىءِ القيس بن زيدِ مَناة ابن تميم ثم رهطِ عَديّ بن زيد العباديّ قال :

كأن لم يَكُن يَومٌ بزورةَ صالحٌ وبالقَصر ظِلٌ دائمٌ وصديقُ
ولم أَردِ البطحاءَ يَمزُجُ ماءَها شرابٌ مِن البَرُّوقتَينِ عَتيقُ
مَعي كلُّ فضفاضِ القميصِ كأنّهُ إذا ما سَرتْ فيه المُدامُ فنيقُ
بَنو السِمطِ والحدّاء كلُّ سَميْدعٍ لهُ في العُروق الصّالحات عُروقُ
وإني وإن كانوا نصارى أُحبُّهُم ويَرتاحُ قلبي نحوَهُم ويَتوقُ

قال أبو العباس أنشدني هذا الشعرَ أبو مُحلّم ثم أنشدنيهِ رجلٌ نصراني يُكنى أبا يَحيى شاعرٌ من هؤلاء القوم الذين مُدِحوا به وذكر أنه يَذكرُ طَخيماً وهو يَتردّدُ اليهم ويَطلُ عندهم، قال هذا النصراني وهو رجل من بني الحدّاء قال أذكرُه وأنا صغير جداً والسلطانُ يطلبه لقوله . له في العروق الصالحات عروق . يقول أتقول هذا لِقومٍ من النصارى وكان هذا النصراني

Marfat.com

قد قارب مائة سنةٍ فيما ذُكِر وقوله معي كل فضفاض القميص يريد أن قميصه ذو فُضولٍ وإنما يقصد إلى ما فيه من الخُيَلاء كما قال زُهَيرٌ :

يَجُرُّون الذُيول وقد تمشّتْ حُميّا الكأسِ فيهم والغِناءُ

ويقال ان تأويل قول رسول الله ﷺ فضلُ الإزارِ في النار، إنما أرادمعنى الخُيَلاءِ. وقال الشاعر :

ولا يُنسيني الحدَثانُ عِرضي ولا أُرْخي من المَرحِ الإزارا

وقد رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال لأبي تميمةَ الهُجَيميّ : إياكَ والمَخيلةَ فقال يا رسول الله نحنُ قومٌ عربٌ فما المَخيلةُ فقال ﷺ سَبَلُ الإزار، والحديثُ يَعرضُ لما يجري في الحديث قبلهُ وان لم يكن من بابه ولكن يُذكَرُ به قال أبو العباس رُوِيَ لنا ان رجلاً من الصالحين كان عند ابراهيم بن هشام فانشدَ ابراهيمُ قولَ الشاعر :

إذْ أنتِ فينا لِمنْ يَنهاكِ عاصيةٌ وإذ أجُرُّ إليكُمْ سادراً رَسَني

فقام ذلك الرجل (هو ابن أبي عَتيق) فرَمى بشِقِّ ردائه وأقبَلَ يَسْحَبهُ حتى خرج من المجلس ثم رجع على تلك الحال فجلس فقال له ابراهيم بن هشام ما بكَ فقال إني كنتُ سمعتُ هذا الشعر فاستحسنته فآليتُ ألا أسمعَهُ الا جَرَرتُ ردائي كما ترى كما سَحبَ هذا الرجل رَسَنَهُ. وأما الفنيقُ فانه الفَحلُ وإنما أراد خَطرانهُ بذَنبهِ من الخُيَلاءِ فشبّهَ الرجلَ من هؤلاء إذا انتَشى بالفحل وهو إذا خَطرَ ضَربَ بذَنبهِ يَمنةً وشأمةً . قال ذو الرُمّةِ :

وقرّبْنَ بالزُرقِ الجمائلِ بَعدما تَقوّبَ عن غِربانِ أوْراكِها الخطرُ

ومن حَسَنِ الشعر وما يَقرُبُ مأخَذهُ قولُ نُخَيْس بن أرطاةَ الأعرجي والأعرجُ الحرثُ بن كعب بن سَعْد بن زيد مَناةَ بن تميم لرجل من بَني حَنيفة يقال له يَحْيى وكان يَصيرُ الى امرأة في قرية من قرى اليمامةِ يقال لها بَقعاءُ (قال أبو الحسن أنشدتهُ عن الرياشيّ نَقْعاءَ بالنون ، وسألت رجلاً من أهل

Marfat.com

اليمامة فصيحاً من بني حنيفة عن هذا فقال ما أعرفه الا بَقْعاءَ بالباء) .

عَرضْتُ نصيحةً مني ليَحْيى فقالَ غَشَشْتَني والنُصْحُ مُرُّ
وما بي أن أكونَ أعيبُ يَحْيى ويحْيى طاهِرُ الأخلاقِ بَرُّ
ولكنْ قد أتاني أنّ يحْيى يُقالُ عليه في بَقعاء شرُّ
فقلت له تجَنّبْ كلَّ شيءٍ يُعابُ عَليْك انّ الحُرَّ حُرُّ

فهذا كلام ليس فيه فضْلٌ عن معناه، وقوله ان الحر حر انما تأويله أن الحُرَّ على الأخلاق التي عُهدت في الأحرار. ومثلُ ذلك : أنا أبو النَجْم وشِعري شِعري. أي شِعري كما بَلَغَك وكما كنت تَعهَدُ. وكذلك قولهم الناسُ للناسُ أي الناس كما كنتَ تَعهَدُهم (قال أبو الحسن ومنه قول الله عز وجل فَغَشِيَهُم من اليَمِّ ما غشيَهُم) وقوله فقلتُ له تجَنّبْ كل شيء يعاب عليك كقول عمرو ابن العاص لمعاوية حين وصَف عَبدَ الملِك بن مَروان فقال : آخذٌ بثلاث تاركٌ لثلاث، آخِذٌ بقلوب الرجال اذا حَدّث وبحُسْنِ الاستماع إذا حُدّث وبأيْسَر الأمرين عليه إذا خُولِف تاركٌ لِلمراء تاركٌ لمقاربةِ اللئيم تاركٌ لما يُعْتَذرُ منه كقوله :

تجَنّبْ كلّ شيءٍ يُعابُ عليك ان الحُرَّ حُرُّ

ومما يُسْتَحْسَنُ انشاده من الشعر لصحة معناه وجَزالةِ لفظه وكثرة تردُّد ضَرْبِهِ من المعاني بين الناس قولُ ابن مَيّادة لرياحِ بن عثمان بن حَيّان المرّيّ من مُرّة غَطَفان وكلاهما من مُرّةِ غَطَفانَ بقوله في فتنة محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن وكان أشار عليه بأن يَعتزِلَ القوم فلم يفعل فقُتِلَ فقال ابن مَيّادةَ :

أَمرتُكَ يا رياحُ بأمرِ حَزْم فقلْت كَمشيمة من أهلِ نَجْدِ
نَهَيْتُكَ عن رجال من قُرَيشٍ على محبوكةِ الأصلاب جُرْدِ
وَوجْداً ما وجَدْتُ على رياحٍ وما أغنَيْتُ شيئاً غيرَ وجْدي

Marfat.com

فقوله فقلت هشيمة من أهل نجد تأويله ضعفة وأصل الهشيم النبت إذا ولى ويجف وتكسر فذرته الرياح يميناً وشمالاً. قال الله تعالى: فأصبح هشيماً تذروه الرياح. والنجد أعالي الأرض. وقوله على محبوكة الأصلاب جرد فالمحبوك الذي فيه طرائق واحدها حبالك والجماعة حبك يقال لطرائق الماء حبك وكذلك الطرائق التي على جناح الطائر، ومن ذلك قول الله تبارك وتعالى: والسماء ذات الحبك (قال أبو الحسن ابن ميادة اسمه الرماح وأمه ميادة وأبوه أبرد وكان عاقاً بأمه ولها يقول :

اعزر نزمي ميادَ للقوافي واستمعينَ ولا تخافي
ستجدينَ ابنكِ ذا قذافِ

وأصل الاعزر نزام التجمع والتقبض يقول استعدي لها وتهيئي. وأنشدنا أبو العباس محمد بن يزيد له :

ونواعمٍ قد قلنَ يوم ترحلي قولَ المجدّ وهنّ كالسُرّاحِ
يا ليتنا من غيرِ امرٍ فادحٍ طلعتْ علينا العيسُ بالرّمّاح

في أبيات له يعني نفسه ، قال أبو الحسن وتمام الأبيات :

بينا كذاكَ رأيتني مستعصباً بالخزّ فوقَ جلالةٍ سرداحِ
فيهنّ صفراءُ المعاصمِ طفلةٌ بيضاءُ مثلُ غريضةِ التفّاح
ريّثن حين أردنَ أن يرمينني نبلاً بلا ريشٍ ولا بقداح
ونظرنَ من خلالِ الستورِ بأعينٍ مرضى مخالطها السقامُ صحاح)

قال أبو العباس ثم نذكرُ من كلام الحكماء وأمثالهم وآدابهم صدرا ثم نعود الى المقطعاتِ ان شاء الله. يروى عن ابن عمر أنه كان يقول: انا معشر قريش كنا نعدُّ الجود والحِلم السؤدد ونعدُّ العفاف وإصلاح المالِ المروءة قال الأحنفُ بن قيسٍ كثرةُ الضحكِ تذهبُ الهيبةَ وكثرةُ المزح تذهبُ المروءةَ ومن لزمَ شيئاً عُرفَ به وقيل لعبد الملك بن مروانَ ما المروءةُ فقال مُوالاة الأكفاءِ ومُداجاةُ الأعداءِ ،وتأويل المُداجاةِ المُداراة أي لا تظهرْ لهم ما عندك من العداوة وأصله من الدُجى وهو ما ألبسَك الليلُ من ظلمته

Marfat.com

وقيل لمعاوية ما المُروءةُ فقال احتمال الجريرةِ واصلاحُ أمْرِ العشيرةِ ، فقيل له وما النُبلُ فقال الحِلمُ عند الغضب والعَفوُ عند القُدْرة وكان ابو سُفيان اذا نَزل به جارٌ قال له يا هذا انك قد اخترتني جاراً واخترت داري داراً فجنايةُ يدك عليَّ دونكَ وان جَنَت عليك يدٌ فاحْتِكم عليَّ حُكمَ الصبيِّ على أهله . وذلك أن الصبي قد يَطلبُ ما لا يوجد إلا بعيداً ويطلب ما لا يكون البَتّة . قال الشاعر (هو الأعرجُ المعنيُّ) :

ولا تحْكِما حُكمَ الصبيِ فإنه كثيرٌ على ظهر الطريق مَجاهِلهْ

ويروى أن معاوية بن ابي سفيان لما نَصب يَزيد لولايةِ العَهدِ أقعَدهُ في قُبّة حمراء فجَعَل الناسُ يُسَلّمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال : يا امير المؤمنين اعلَمْ أنك لو لم تولْ هذا أمور المسلمين لأضَعْتَها ، والأحنفُ جالس فقال له معاوية : ما بالُك لا تقولُ يا أبا بحرٍ فقال : أخافُ الله ان كذبْتُ وأخافكم ان صَدقتُ فقال : جزاك الله عن الطاعة خيراً وأمَر له بألوفٍ فلما خرج الأحنفُ لقيَهُ الرجُل بالباب فقال : يا أبا بحْرٍ اني لأعْلمُ أن شَرّ مَن خَلق اللهُ هذا وابْنُهُ ولكنهم قد استوْثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال فلَسنا نطمعُ في استخراجها الا بما سمعتَ ، فقال له الأحنف : يا هذا أمْسِك فان ذا الوجهين خليقٌ ألا يكونَ عند الله وجيهاً . وقال رجل يَهجو بلال بن البَعير المحاربيّ (الشاعرُ الرمّاحُ ابن ميادة) :

يقولون أبناءُ البعير وما لَهُ سنامٌ ولا في ذِروة المجد غارِبُ
أرادتْ وذاكمْ مِن سَفاهة رأيها لأهجوَها لمّا هَجَتني مُحاربُ
مَعاذ إلهي انّني بعَشيرتي ونفسيَ عَن ذاك المَقامِ لراغِبُ

وقال أبو الطَمَحانِ القَينيُّ (اسمه حَنظلةُ بن الشرقيّ والطَمَحانُ فَعَلان من طَمَح بأنفه وبصره اذا تَكبّر والقينُ الحدّادُ وكلُّ صانعٍ قَينٌ والقَيْنُ أيضاً موضع القيْد من البعير) :

وإني من القوْم الذين همُ همُ إذا مات مِنهُم سيّدٌ قام صاحِبُه

Marfat.com

نُجومُ سماءٍ كُلّما غار كوكبٌ بَدا كوْكبٌ تأوي إليه كواكبُه
أضاءتْ لهم أحسابُهُمْ ووُجوهُهم دُجى الليلِ حتى نظّم الجِزع ثاقبه
ومازال منهم حيث كانوا مُسَوَّدٌ تَسيرُ المنايا حيثُ سارت ركائبُهْ

وقال إياس بن الوليدِ يمدح قومه :

إني وَجدّك من قومٍ إذا طَلَبوا بَعد النَّسيئة دَيْناً أحسنوا الطلَبا
لا تحْسِبوا هَجْمَ أبياتي عَلانيةً ولا اسْتِلابَ سلاحي ذاهباً لعِبا
تَبقى المعايرُ بعْد القوم باقيةً ويَذهبُ المالُ فيما كان قد ذهَبا

وقال آخر :

لَيسوا لعَمروٍ غَيرَ تا شِيبِ نِسبةٍ ولكِنَّ عمْـــراً غَيَّبَتْهُ المقابرُ
إذا عُيِّروا قالوا مَقاديرُ قُدِّرتْ وما العـــارُ إلا ما تجُرُّ المقادِرُ

وقال رجل من بني نَهشَلِ بن دارِمٍ :

إذا مَوْلاك كان عليك عَوْناً أتاكَ القوْمُ بالعجَبِ العَجيبِ
فلا تَخْنَـــعْ اليه ولا تُردْهُ ورامِ برأسهِ عُرْضَ الجَبوبِ
فما لِشآفةٍ من غيرِ ذنبٍ إذا ولّى صديقُك من طَبيبِ

قوله ورام برأسه عُرض الجبوب يريد الأرض وهو اسم من أسمائها أنشدني التَوّزيُّ لرجل من بني مُرّة يَرثي ابنه :

بُنَيّ على عَيْني وقَلبي مَكانُهُ ثَوى بين احجارٍ ورَهنَ جَبوبِ

وقوله : فما الشآفة يقول لبُغضٍ يقال شَنِفتُ الرجل أشنَفُه شآفةً وشانفاً مثل شَنْفاً وقد يقال في هذا المعنى شَنِفتُهُ . قال الراجز :

لمّا رأتني أمُّ عَمروٍ صَدَفتْ ومَنَعتني خيرها وشَنِفَتْ

وقال آخر : ولم تُداو غُلّةَ القَلبِ الشَّنِفْ .

وقال نبهانُ بن عَكّيٍّ العَبْشميُّ :

Marfat.com

يُقِرّ بعَيني أن أرى مَن مكانهُ ذُرا عَقِداتِ الأبرق المتقاودِ
وأن أردَ الماءَ الذي شربَتْ بهِ سُلَيْمى وقد مَلّ السُرى كلّ واجدِ
وألصِقَ أحْشائي ببرْدِ ترابهِ وان كان مخلوطاً بسُمّ الأساودِ

قوله : ذُراعقِدات فالذُرْوةُ من كل شيء أعلاه فذُرْوةُ السنام أعلاه وذُروةُ المجدِ أرفعهُ وأسناه. ويقال فلان في ذُروة قَوْمِهِ إذا كان في الموضع الرفيع منهم ، وأما قول لَبيدٍ :

مُدْمِنٌ يَجْلو بأطراف الذُرا دَسَ الأسؤُقِ عن عَضْبٍ أفَلْ

فإنما يقول هذا رجل يُعَرقبُ الإبل لينحرها ثم يمسح ذرا أسْنِمتها بسيفه ليَجْلوَ ما عليه من دم الأسؤق. وقوله عَضب أي قاطع ومن ذلك رجل عَضْبُ اللسانِ وجعله أفَلّ لكثرة ما يُقارعُ به الحُروب كما قال النابغةُ :

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أنّ سُيوفَهُم بهنّ فلولٌ من قِراعِ الكَتائبِ

وقوله : عَقِدات فهو ما انعَقد وصَلُب من الرمل الواحدة عَقِدةٌ والجمع عَقِدٌ وأعقادٌ أيضاً وعَقِداتٌ. قال ذو الرُمّةِ لهِلالِ بن أحْوزَ المازنيّ يمدحه.

رَفعْتَ مجْد تميمٍ يا هِلالُ لها رفعَ الطِرافِ على العَلياءِ بالعمدِ
حَتى نساءُ تميمٍ وهي نازحةٌ بقُلّةِ الحزن فالصَمّانِ فالعَقِدِ
لو يَسْتطِعن اذا ضافتكَ بُجْحِفةٌ وقَيْنَكَ الموْت بالآباءِ والولدِ

وقوله الأبرق : فالأبرقُ حجارة يخلِطها رمْلٌ وطين يقال لتلك بُرْقةٌ وأبرَقُ بَرقاءُ يا فتى كما يقال الأمْعَزُ والمَعزاءُ وهي الأرض الكثيرة الحصباءِ. ومثل ذلك الأبطحُ والبَطحاءُ وهو ما انبَطحَ من الارض ، فمن قال أبرَقُ فإنما أراد المكان ومن قال بَرقاءُ فإنما أراد البقعة. وقوله المتقاود يريد المنقاد المستقيم ومن ذلك قولهم قُدْتهُ أي جَررتهُ على استقامة وكذلك طريق مُنقاد وفلان قائد الجيش. قال حاتم بن عبدالله الطائيّ يضرب هذا مثلاً :

Marfat.com

إنّ الكريمَ مَن تَلفّتَ حَولهُ وإنّ اللئيم دائمُ الطَرْف أقوَدُ

وقوله : ولو كان مخلوطاً بسم الأساود يريد جميع أسْوَدَ سالخٍ وجَمْعهُ على أساود لأنه يجري مجرى الأسماء وما كان من باب أفعَل اسماً فجَمْعُهُ على أفاعل نحو أفكَل وأفاكِل والأكبر والأكابر وكذلك كلُ ما سَمّيْتَ به رجلاً تقول أحمدُ وأحامدُ وأسْلَمُ وأسالمُ فإن كان نعتاً فجَمْعُه على فُعْـــلٍ نحو أخمَرَ وخُمْرٍ وأصْفرَ وصُفرٍ ولكنّ أسودَ إذا عَنَيْت به الحيةَ وأدْهَمَ إذا عَنَيت به القَيد وأبْطحَ إذا عنيت به المكان المُنبطِح وأبرقَ إذا عنيت به المكان مُضارِعةٌ للأسماء لأنها تدل على ذات الشيء وان كانت في الأصل نعتاً، تقول في جمعها الأباطِحُ والأبارقُ والأداهمُ والأساوِد، فإن أردْتَ نعتاً لحْصناً يَتبَعُ المنعوت قلت مررت بثياب سُودٍ وبخَيْلٍ دُهم وكل ما أشْبه هذا فهذا مجراه قال جَريرٌ :

هو القَيْنُ وابنُ القَيْنِ لاقَيْنَ مثلهُ لفطح المساحِي أو لجدْلِ الأداهمِ

وقال الأشْهَبُ ابن رُمَيلةَ (قال أبو الحسن رُميلةُ اسم أمّهِ) :

أسودُ شرىً لاقتْ أسود خَفيّة تَساقَوْا على حَرْدٍ دماءالأساودِ

قوله على حرد يقول على قصْدٍ فأما قولُ الله عز وجل : وغدَوا على حَردٍ قادرين فان فيه قولين أحدهما ما ذكرْنا من القصد . قال الشاعر :

قد جاءَ سَيْلٌ جاء من أمرِ الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنّةِ المغِلّهْ

(قال أبو حاتم هذه صنعة مَن لا أحْسَنَ اللهُ ذِكْرهُ يعني قَطرِيّا) وقالوا على حَردٍ أي على مَنعٍ من قولهم حاردتْ السنةُ إذا مَنعَتْ قَطْرَها وحاردت الناقة اذا مَنعَتْ درّها (قال أبو الحسن رواية أبي العباس يُقِرُّ عيني يريد يُقِر عيني ثم أتى بالباء توكيداً وقال لنا هكذا سمعته ويقال أقرّ الله عينه يُقرّها وقَرّتْ عينُهُ تَقر وقررْتُ بالمكان أقِر وقال الاصمعي قرّتْ عينهُ من القِرّ وهو البَردُ أي جَمدتْ فلم تدمع، وهو بخِذاءِ سَخِنتْ عينُهُ وأجْودُ ما روى عندي يَقَرُّ بعيني وهو الأصل والباء في موضعها غيرُ مؤكّدةٍ . وقال أبو

Marfat.com

العباس الذي رَويتُ وقد مَلّ السُّرى كلُّ واحد وهو المنفرد في السير المتَوحّد به. وروى غيره كلُّ واجِدٍ أي عاشق ورُويَ أيضاً كل واخِدٍ وهو من الوخْدِ والوخَدانِ وهو السير الشديد والوخْدُ المصدرُ والوخَدانُ الاسم) قال أبو العباس وقال القَتّالُ الكِلابيُ واسمه عُبيدُ بن المُضَرَّحيّ :

أنا ابنُ أسماءَ أعمامي لها وأبي ... إذا ترامى بَنو الإمْوانِ بالعارِ
لاأرْضعُ الدهْرَ الا ثَدْيَ واضحةٍ ... لواضح الخدّ يحمي حَوْزة الجار
من آلِ سُفيان أو ورقاء يَمنعُها ... تحت العجاجة ضَربٌ غير عُوّار
يا ليْتني والمُنى ليْست بنافعةٍ ... لمالكٍ أو لحِصْنٍ أو لسيّار
طوالُ أنْضيةِ الأعناق لم يجِدوا ... ريحَ الإماء إذا راحَت بأزفارِ

قوله إذا ترامى بنو الاموان بالعار ، فالإمْوان جمع أمةٍ وأصل أمةٍ فَعَلَةٌ متحركة العين وليس شيء من الاسماء على حرفين الا وقد سقط منه حرف يُستدلُ عليه بجمعه أو بتثنيته أو بفعل ان كان مشتقاً منه ،لان أقل الاصول ثلاثة أحرف ولا يَلحَقُ التصغير ما كان أقلّ منها ، فأمَةٌ قد علمنا أن الذاهب منها واو بقولهم إموان كما علمنا أن الذاهب من أبٍ وأخٍ الواو بقولهم أبَوانِ وأخوانِ وعلمنا ان امَةٌ فَعَلَةٌ متحركة بقولهم في الجميع آمٍ ،فوزنُ هذا أفعُلٌ كما قالوا أكمةٌ وآكمٌ ولا تكون فَعْلَةٌ على أفعُلٍ .ثم قالوا إمْوانٌ كما قالوا في المذكّر الذي هو منقوص مثله إخوانٌ . واستوى المذكر والمؤنث لان الهاء زائدة كما استويا في فَعْلٍ الساكن العين ، تقول كلبٌ وكِلابٌ وكعبٌ وكِعابٌ كما تقول في المؤنث طَلحةٌ وطِلاحٌ وجَفنةٌ وجِفانٌ وصَحفةٌ وصِحافٌ ونظير ذلك من غير المعتل وَرَلٌ ورِلانٌ وَبَرقٌ وبِرقانٌ وخَرَبٌ وخِربانٌ وهو ذكَرُ الحُبارى والبرقُ الحَمَلُ. ومن أنشد أُمْوانٌ فقد غلط لانه يحتَجُّ بقولهم حَمَلٌ وحُمْلانٌ وفلَقٌ وفُلْقانٌ وهذا انما يحمل على ما كان معتلاً مِثْلُهُ نحو أخ وإخوانٍ وقد روى ابوزيد أُخوان فإلى هذا ذهبوا. والقياس المطرد لا يُعترضُ عليه الرواية

Marfat.com

الضعيفة ُ. وقوله لا ارْضَعُ الدهْرَ فهذا على لغته لان قَيْساً تقول رَضِعَ يَرضَعُ وأهل الحجاز يقول رضَع يَرْضِع وينشدون بيت عبدالله بن هَمّام السّلوليّ على وجهين وهو :

إذا نَصَبوا للقَوْلِ قالوا فأحسَنوا ولكنّ حُسْنَ القولِ خالفَهُ الفِعل
وذمّوا لنا الدُنيا وهمْ يَرْضِعونها أفاويقَ حتى ما يَدرُّ لها ثُمْلُ

وبعضهم يقول يَرْضَعونها. وقوله لا أرْضع الدهر الاثدْيَ واضحةٍ يقول انما ترْضِعُني أمّي وليست غير كريمة كما قال الأعْشى :

يا خيرَ مَنْ يَركبُ المطِيّ ولا يَشربُ كأساً بكفِّ مَن بَخِلا

يقول انما تشْربُ بكفك ولسْتَ ببخيل ومثلُ هذا قولُ التميمي لِنجدةَ ابن عامرٍ الحَنَفيّ الخارجيّ :

مَتى تلقَ الحَريشَ حَريشَ مَفْدٍ وعَبّاداً يَقودُ الدّارِعينا
تَبيّنْ أنّ أمّك لم تَورّكْ ولم تُرْضِعْ امير المؤْمنينا

وقوله واضحة اي خالصة في نسبها وليستْ بأمةٍ وهذا توكيد لبيته الاول. وقد انشد بعضهم لواضح الجَدّ والمعنى قريب. وقوله يَحْمي حَوزةَ الجار اي ما يحوزُهُ يقال فلان مانع لحَوْزَتهِ اي لما صار في حَيّزه. ويُروى عن عليّ بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال للأزْد اربَعٌ ليستْ لحيّ: بَذْلٌ لما مَلَكَتْ ايديهم ومَنَعٌ لحوْزتِهمْ وحيٌّ عمارةٌ لا يحتاجون إلى غيرهم وشُجعانٌ لا يحْبُنونَ. وقوله لِمالِكٍ او لحِصْنٍ او لسَيّار فهؤلاء بيت فَزارةَ وبُيوتاتُ العَربِ في الجاهلية ثلاثة فبيتُ تميمٍ بنو عبدالله بن دارمٍ ومَرْكزُهُ بنو زُرارة وبيتُ قَيْسٍ بنوفَزارةَ ومرْكزه بنو بدرٍ وبيت بَكرِ بن وائِلٍ بنو شيبان ومَركزُهُ بنو ذي الجَدّين. وقوله طوالُ انضيةِ الاعناقِ فالنضيُّ مُرَكّبُ النصْل في السِنخِ وضَرَبهُ مثلاً وإنما اراد طِوال الأعناق كما قال الأعشى :

الواطِئينَ على صُدور نِعالِهِمْ يَمْشونَ في الدَّفّيِّ والأبرادِ

Marfat.com

يريد السُّودَد والنِعْمة ولم يَخْصُصْ الصدور وانما اراد النعال كلها. وقال الشاعر (هو الشَمَرْدلُ بن شُرَيْكٍ اليَرْبوعيُّ عن ابن قُتَيبةَ) :

يُشَبِّهونَ مُلوكاً في تجِلَّتِهِمْ وطولِ أنضيةِ الأعناقِ والسَّلَمِ
إذابدا المِسْكُ يَندى في مَفارقِهِم راجوا كأنَّهُمُ مَرْضى من الكرم

(قال أبو الحسن وغيره يَرْوي يُشَبِّهون قُرَيْشاً في تجلتهم). وقوله بأزفار فالزِفْرُ الحِمْلُ ويُضربُ مَثَلاً للرجل فيقال انه لزُفَرٌ اي حمَّالٌ للأثقال ويقال أتى حِمْلهُ فازْدَفَرَهُ . قال أَبو قُحافة أَعْشى باهلةَ :

أَخو رغائبَ يُعطيها ويُسْئَلُها يأبى الظُلامةَ مِنهُ النَوْفلُ الزُفَرُ

وانما يريده بعينه كقولك لئن لَقيتَ فلاناً لَيَلقينَّك منه الاسدُ. وقوله النَوْفلُ من قولهم انه لذو فضلٍ ونوافِل. وقال رجل من بني عَبْسٍ (قال أَبو الحسن يقوله لعُرْوة بن الورد) :

لا تَشْتُمَنِّي يا ابن وردٍ فإنَّني تَعودُ على مالي الحُقوق العوائِد
ومنْ يؤْثر الحقَّ النَؤوبَ تكنْ بهِ خَصاصةُ جسمٍ وهْوطيّانُ ماجدُ
ولي امْرُؤٌ عافي إنائيَ شِرْكَةٌ * وأَنت امْرؤٌ عافي إنائِك واحدُ
أُقَسِّمُ جسْمي في جُسومٍ كثيرةٍ وأَحْسو قَراحَ الماء والماءُ باردُ

قوله النؤوب يريد الذي يَنوبُهُ وكلُّ واو انضَمَّتْ لغير عِلةٍ فأنت في همزها وتركِها بالخيار، تقول في جمْعِ دارٍ أَدْؤُرٌ وان شئت لم تهمزْ وكذلك النؤوبُ والقَؤولُ لانضمام الواو. فأما الواو الثانية فانها ساكنة وقبلها ضمة وهي مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ولو التقتْ واوان في أوّل كلمةٍ وليستْ احداهما مدَّةً لم يكن بُدٌّ من همز الاولى: تقول في تصغير واصِلٍ وواقدٍ أُوَيْصِلٌ وأُوَيْقِدٌ لا بُدَّ من ذلك. فأما وُجوهٌ فان شئت هَمزْت فقلت أَجُوهٌ وان شئتَ لم تَهْمِزْ. قال الله عز وجل: وإذا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ. والاصل وُقِّتَت. ولو كان في غير القرآن لجاز اظهار الواوان شِئْت. وقوله تعالى: ما وُري عنهما، الواو الثانية مَدَّةٌ فلا يُعْتَدُّ بها ولو كان في غير القرآن لجاز الهمز لانضمام الواو ، وقولي اذا انضمت العافي : الذي يطلب العفو، وهو الفضل والزيادة ... أي انك لا تشرك غيرك في طعامك.

Marfat.com

من غير علة فالعلة أن تكون ضمتها إعراباً نحو هذا غزوٌ يا فتى ودلوٌ كما ترى فهذا مما لا يجوز همزهُ لان الضمة للاعراب فليستْ بلازمة او تَنضم لالتقـــاء الساكنين فذلك ايضاً غير لازم فلا يجوز همزه نحو اخْشَوا الرجل ولتُبْلَوُنَّ في اموالِكم وأنفُسِكم ولَتَرَوُنَّ الجحيم ، ومن همَز من هذا شيئاً فقد اخطأ. وقال رجل من بني تميم :

ألبانُ إبْل تَمِلَّة بن مُسافرٍ ... مـــا دام يملِكُها عليَّ حَرامُ
وطعامُ عِمْران بن أرْفى مِثلُها ... ما دام يَسْلُكُ في البُطون طعامُ
إنّ الذين يسوغُ في أعناقِهِـــمْ ... زادٌ يَمُنُّ عليْهمُ للِئـــامُ
لَعَنَ الإلهُ تَمِلَّة بن مُسافِرٍ ... لَعناً يُشَنُّ عليه مِن قُدّامِ

وهذا كلام فصيح جداً. قوله يسوغ في أعناقهم يريد حُلوقَهمْ لان العُنُقَ يحيط بالحَلقِ ويُشْبه هذا في الاتساع في الفصاحة لا في المعنى قول القُطاميّ :

لم ترَ قوماً هُمُ شرٌ لإخوتهمْ ... منّا عشيّة يجري بالدّمِ الوادي
نقريهُمُ لهْذميّات نقُدُّ بهـــا ... ما كان خاطَ عَليهم كلُّ زرّاد

لأن الخياطة تضُمُّ خِرَقَ القميص والسَّرْدُ يضم حَلَقَ الدرْعِ فضَربَهُ مَثَلاً فجعَلَهُ خِياطة (قال أبو الحسن رَوى ابو العباس : وطعام عمران بن أوفى مثلها. رد الهاء والألف على الألبان وهذا لانظر فيه وروى أيضاً مثلُهُ لأن الالبان تجري مجرى اللبن فحَمَلَهُ على المعنى وقد يجوز أن تُجعل الالبانُ جمعاً فتُذكّر لتذكير الجمع. ورُوي أيضاً : ما دام يَسلك في الحُلوق طعام. وروى الفَرّاءُ في هذا الشعر: ان الذين يَسوغ في أحلاقهم . وانما كان ينبغي أن يكون في أحْلاقِهِمْ كقولك فَلسٌ وأفلُسٌ وما أشبهه ولكنه شبّه باب فعلٍ بباب فَعلٍ كما قالوا زندٌ وأزنادٌ وفرْخٌ أفراخٌ قال الخُطيئةُ لعُمَر رحمه الله تعالى :

ماذا نقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ ... حُمْرِ الحواصِلِ لا ماءٌ ولا شجرُ

Marfat.com

ففعلوا هذا تشبيهاً بباب فعلٍ كما شَبّهوا فَعَلاً بفَعْلٍ في الجمع فقالوا جبلٌ وأجبُلٌ وزمنٌ وأزمُنٌ كما قال :

إني لأكني بأجبالٍ عنَ اجْبُلِها وباسم أوْديةٍ حُبـــاً لواديها

فأتى به على الاصل وتشبيهاً بغيره على ما أخبرْتك . وقال ذو الرُمة :

أمنزلَتَيْ ميٍّ سلامٌ عليكما هل الأزْمُنُ اللائي مَضينَ رواجعُ

والباب أزمان كما قال رُؤْبَةُ :

أزمانَ لا أدْري وإن سألْتِ مـــا فرقُ بين جُمعةٍ وسبتِ

وروى ابو العباس البيت الأخير مُقوًّى وجَعله نكرة وهو قوله من قُدّام كما تقول جئتك من قبلٍ ومن بعدٍ ومن علٍ وما أشبهه كما قرأ بعضهم للهِ الأمرُ من قبلٍ ومن بعدٍ كما تقول أوّلاً وآخِراً،ورواه الفَرّاء من قُدّامُ وجعله معرفة وأجراه مُجرى الغايات نحو قبلُ وبعدُ كما قال طرفةُ بن العبدِ :

ثم تَفري اللـُجْمَ من تَعدائها فهي من تحتُ مُشيحات الحُزُمْ

وكما قال عُنيُّ بن مالكٍ العُقَيليُّ أنشده الفراء ايضاً :

إذا أنا لم أومَنْ عليك ولم يكنْ لقـــاؤُك إلا من ورَآءُ ورآءُ

فهذا الضرب مما وقع معرفة على غير جهةِ التعريف ، وجهةُ التعريف أن يكون مُعرّفاً بنفسه كزيد وعمرو او يكون مُعرّفاً بالألف واللام او بالاضافة فهذه جهة التعريف وهذا الضرب انما هو مُعرّف بالمعنى فلذلك بُني إذ خَرج من الباب ، ويُروى لعنا يُسنُّ عليه بالسين ويُسَنُّ ويُسْنُّ واحد أي يُصبُّ الا أن بعضهم قال السَنّ الصَبُّ على جهة واحدة وقالوا يقال شَنَنْتُ عليه الماء وسَنَنْتُهُ وسَنَنْتُ عليه الدرْعَ لا غير وقالوا شَنَنتُ عليهالغارة لا غير) قال أبو العباس وقال القُطاميُّ :

فمنْ تكُنِ الحضارةُ أعجَبَتْهُ فأيُّ رجـــال بادية ترانا

ومَن ربَط الجِحاشَ فإنّ فينا قنا سُلبـــاً وأفراساً حِسانا

Marfat.com

وكُنَّ إذا أغرنَ على قبيلٍ فأعْوزَهنَّ كونٌ حيثُ كانا
أغَرْن من الضِباب على حِلالٍ وضبنّة إنهُ مَن حانَ حانا
وأحْياناً على بَكْرٍ اخينا إذا ما لمْ نجِدْ إلا أخانا

قوله الحضارةُ يريد الأمصار وتقول العرب فلانٌ بادٍ وفلانٌ حاضِرٌ وفي الحديث ولا يَبيعنَّ حاضرٌ لبادٍ وتأويلُ ذلك ان البادي يَقدُم وقد عرفَ اسعار ما معهُ وما مِقدارُ ربحه فإذا جاءه الحاضرُ عرّفهُ سُنّة البَلد فأغلى على الناس ومِثل ذلك النهي عن تلقّي الجَلَب ومثله دعُوا عبـــاد الله يُصِب بَعضُهم من بَعضٍ ويقال حيٌّ حِـلالٌ اذا كانوا مُتجاورين مُقيمين وأنشد الاصمعي :

أقَوْمٌ يَبعَثون العِيرَ تجْراً أحَبُّ اليك أمْ حَيٌّ حِلالُ

٢ – باب

قيل لمعاوية ما النُبلُ فقال الحِلمُ عند الغضب والعَفوِ عند القدرة ويُروى عن النبي ﷺ أنه قال: ألا أُخبِرُكم بشِراركم، قالوا بَلى قال من أكلَ وحدَهُ ومنعَ رِفدَهُ، وضَرب عبدهُ، ألا أُخبِرُكم بشَرٍّ مِن ذلِكم مَنْ لا يُقيلُ عَثْرةً ولا يقبل معذرةً ولا يغفِرُ ذنباً، ألا أُخبِرُكمْ بشرٍّ من ذلِكم من يُبغِض الناس ويُبغِضونهُ ويُروى عنه ﷺ أنه قال المُسلمون تَتكافأُ دماؤُهم ويسعى بِذمّتهِمْ أدْناهُمْ وهُمْ يدٌ على من سِواهُم والمرءُ كثير بأخيه. قوله ﷺ : تتكافأ دماؤهم من قولك فلان كُفءٌ لفلان أي عديلهُ وموضوعٌ بحذائه. قال الله عزّ وجل: ولم يكُنْ له كُفُوّاً أحدٌ. ويقال فلان كِفاءُ فلانٍ وكفيء فلانٍ وكُفءُ فلان ويروى أن الفَرزدق بلغهُ ان رجلاً من الخِطات بن عمْرو ابن تميم خطب امرأة من بني دارمِ بن مالك بن حنْظلة بن مالك بن زيد مَناةَ ابن تميم فقال الفرزدق :

بَنو دارمٍ أكفاؤُهمْ آلُ مِسْمعٍ وتنكِحُ في أكفائِها الخِطاتُ

Marfat.com

فآل مسمع بيت بكرِ بن وائلٍ في الاسلام وهم من بني قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعبِ بن علي بن بكر بن وائل، والحبطات هم بنو الحرثِ بن عمرو بن تميم ،فقوله اكفاؤهم انما هو جمع كفءٍ يا فتى، فقال رجل من الحبطاتِ يجيبهُ :

أمَا كان عَبّادٌ كَفيئاً لِدارِمٍ بَلى ولِأبْياتٍ بِها الحُجُراتُ

يعني بني هاشم من قول الله عز وجل: ان الذين ينادونك من وَراءِ الحُجُرات . وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : مَنْ لانَتْ كَلِمَتُهُ وجَبَتْ مَحَبَّتُهُ وقال قيمةُ كلّ امرىءٍ ما يُحْسِنُ . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ثلاثٌ يُثبِتْنَ لكَ الوُدَّ في صَدْرِ أخيك، أن تَبْدأهُ بالسّلام وتوسّعَ له في المجلس وتَدْعوَهُ بأحَبِّ الأسماء اليهِ . وقال كفى بالمَرْءِ غيّاً أن تكون فيه خَلّةٌ من ثلاثٍ ، أن يَعيبَ شيئاً ثم يأتي مِثْلَهُ أو يَبْدوَ له من أخيه ما يخفى عليه من نَفْسه او ، يؤْذيَ جَليسه فيما لا يَعنيه وقال عبدالله بن العباس لبعض اليَمانيةِ لكم من السماء نجْمُها ومن الكعْبةِ رُكنها ومن السُّيوفِ صَميمُها يعني سُهَيْلاً من النجوم والرُكن اليماني وصمْصامةَ عمرو بن معْدي كربَ . ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يَوماً مَنْ اجْوَدُ العربِ ، فقيل له حاتِمٌ قال : فمَن شاعِرُها ؟ قيل امرُؤُ القَيْس بن حُجْرٍ ، قال فمَنْ فارسُها ؟ قيل عمرو بن معدي كرب ، قال : فأيُّ سُيوفِها أمضى ؟ قيلَ الصَمْصامة . وقال مُعاوية بن ابي سُفيان للأحْنفِ بن قيسٍ وجاريةَ بن قُدامةَ ورجالٍ من بني سَعْدٍ معهما كلاماً أحْفَظَهُمْ فرَدُّوا عليه جواباً مُقْذِعاً وابْنةُ قَرَظةَ في بيْتٍ يَقْرُبُ منه فسَمِعَتْ ذلك فلما خرجوا قالت : يا امير المؤمنين لقد سمِعْتُ من هؤلاء الأجلافِ كلاماً تَلْقَوْكَ به فلم تُنكِرْ فكِدْتُ أخْرُج اليهم فأسطو بهم ،فقال لها معاوية إنّ مُضَرَ كاهِلُ العَربِ وتميماً كاهِلُ مُضَرَ وسَعْداً كاهِلُ تميم وهؤلاء كاهِلُ سَعْدٍ . وكان معاوية يقول إني لا أحملُ السيْفَ على مَنْ لا سيْفَ معه وان لم تكن الا كلمةٌ يَشْتفي بها مُشْتفٍ جَعلتُها تحْتَ قَدمي ودُبرَ اذُني . المُقْذِعُ الذي فيه إقذاعٌ وهو السيىء من القول .

Marfat.com

٣ - باب

قال أبو العباس : قال رجل أحسِبُهُ من بني سَعْد يرثي رجلاً :

وُمحْتَضَرِ المنافِعِ أرْيَحِيٍّ نبيلٍ في مَعاوِزَةٍ طِوالِ
عَزيزٍ عِزّةً في غير فُحْشٍ ذليلٍ للذَليلِ من الموالي
حَمَلْتُ وِسادَهُ إحْدى يَدَيْهِ وتحْت جَمائه خَشباتُ ضالِ
وَرِثْتُ سلاحهُ وورِثتُ ذَوْداً وحُزْناً دائماً أُخْرى اللّيالي

قوله : أرْيَحِيّ هو الذي يَرْتاح للمَعْروف أي يخفّ له ويقال : أخَذتْ فلاناً أرْيَحِيّةٌ أي خِفّة وحركة لفعل المعروف. والمعاوِزُ الثياب التي يَتبذّلُ فيها الرجل وهي دون الثياب التي يَتجَمّلُ بها واحدها مِعْوَز . قال الشّماخُ في نعت القَوْس :

اذا سَقَط الأنداءُ صِنتْ وأُشْعِرتْ حَبيراً ولم تُدْرَجْ عليها المعاوزُ

وقوله في مَعاوِزَةٍ فزاد الهاء فإنما يُفْعَلُ ذلك لتحقيق التأنيث لأن كل جَمْعٍ مؤنث كما تقول في جمع صَيْقَلٍ صياقِلُ وصياقلة ، وكذلك : جوارِبُ وجواربة ،إلا أن أكثر الأعجمي يختص بالهاء وهو في العربيّ جيّد وفي العجميّ أكثر استعمالاً نحو الموازجةِ فإن كان منسوباً كان البابُ فيه إثباتَ الهاء وتركُها جائز نحو المهالبة والمسامِعَةِ والمناذِرةِ والأحامرة وقالوا السَيابجةُ لأنه قد اجتمع فيه النسبُ والعُجْمةُ .وقوله : تحت جمائه يعني شخصه ،والضال السِدْرُ البرّيُّ وما كان من السِدْر على الأنهار فليس بضالٍ ولكن يقال له عُنْبريٌ . قال ذو الرُمّةِ :

(قَطَعْتُ إذا تَجَوّبَتِ العَواطي ضُروبَ السِّدْرِ عُنْبرِيّاً وضالا)

وقوله :وَرِثْتُ سِلاحه وورِثْتُ ذَوْداً يصف قُرْبَ نَسَبِهِ منه والذَوْدُ القطعة من الإبل وأكثر ما يُستعمل ذلك في الإناثِ ويجوز في السائر ، ومنه قولهم الذَوْدُ إلى الذَوْدِ إبلٌ . ثم قال : وحُزْناً دائماً أخرى الليالي ، كما قال الأول وغُبِطَ بميراثٍ وَرِثَهُ من أحد اهله :

Marfat.com

يقول جَزْءٌ ولم يَقُـــلْ جَلَلاً أني تَروَّحْتُ ناعِمـا جَذِلاً
إنْ كنتَ ازْنَنْتَني بها كذِباً جَزْءُ فلاقَيْتَ مِثْلَها عَجِلاً
أُغْبَطُ انْ أُرْزَأَ الكِرامَ وانْ أُورَثَ ذَوْداً شَصائِصاً نَبَلاً

قوله ولم يقل جللاً اي صغيراً والجَلَلُ يكون للصغير ويكون للكبير ، من ذلك قوله : كلُّ شيْءٍ ما خلا الله جَلَلْ ، اي صغير . وقال لبيدٌ في الكبير :

وأرى أَرْبَـــدَ قدْ فارَقَني ومن الأَرْزاءِ رُزْءٌ ذو جَلَلْ

وقوله شصائصاً يعني حقيرةً دميمةً ، وزعم النَّوَّزِيُّ أن النَّبَل من الأضداد يكون للجليل والحقير واحْتجَّ بهذا البيت الذي ذكرناه ، قال يريد ههنا الحقيرة. وقوله : أَزْنَنْتَني أي قرَفْتَني ونَسَبْتَني اليه يقال : فلان يُزَنُّ بكذا وكذا أي يُتَّهَمُّ به ويُنْسَبُ اليه ، قال امْرُؤُ القَيْس بن حُجْرٍ :

كذَبْتِ لقدْ أُصْبي على المرْءِ عِرْسَهُ وأَمْنَعُ عِرْسي ان يُزَنَّ بها الخالي

وفي معنى قوله ورثت سلاحه قولُ الشاعر :

يَفْرَحُ الوارِثُ بالمـال إذا وَرِثَ المالَ ويَبْكي إنْ غَضِبْ

ومثله قول نعامةَ الفزارِيِّ : يا حَبَّذا التُراثُ لولا الذِّلَّه

وقال جميلُ بن مَعْمَرٍ :

ما صائِبٌ من نابلٍ قَذفَتْ به يَدٌ وُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثيقُ
لهُ من خَوافي النَسْرِ حُمٌّ نَظائرُ ونَصْلٌ كنَصْلِ الزّاعِبِيِّ فَتيقُ
على نَبْعَةٍ زَوْراء أَيْنا خطامُها هَتُونٌ وأَيْنا عودُهـا فعتيقُ
بأَوْشَكَ قَتْلاً منكِ يَوْمَ رَميْتني نَوافذَ لمْ تُعْلَمْ لهُنَّ خُروقُ
كأنَّ نُحارِباً يا بُثَيْنَ لو انَّها تكَشَّفُ غُمَّاها وأنتِ صَديقُ

قوله : ما صائب يريد قاصداً يقال صابَ يَصوبُ اذا قصَدَ ، ومن ذلك قوله تعالى : أو كصَيِّبٍ منَ السَّماءِ ، وقد قالوا النازلُ والقصْدُ أَحْكَمُ كما قال بِشْرُ ابن أبي خازِمٍ الأَسَدِيُّ :

Marfat.com

تُؤَمِّلُ أَن أَؤُبَ لها بغُنْمٍ ولم تَعْلَمْ بأنَّ السِّهْمَ صابا

(صدْرُ البيت عن أبي الحسن) وقوله: وُمَرُّ العُقْدَتين يعني وَتراً والمُمَرُّ الشديد الفَتْل ، وقوله من خوافي النَّسْرِ حُمٌّ نظائر يريد ريش السهم والحُمُّ السُّودُ وذلك أخْلَصُهُ واجْوَدُهُ وجعَلها نظائر في مقاديرها لأنه أقصدُ للسهم واذا كانت الريشاتُ بَطنُ الواحدة منها الى ظهر الأخرى فهو الذي يُختار وهو الذي يقال له اللُّؤَامُ وانما أُخِذَ من قولهم مُلْتَئِمٌ وان كان ظهرُ الواحدة الى ظهر الأخرى وبَطنُها الى بطن الاخرى فذلك مكروه يقال له اللُّغابُ ، وقوله : كنصل الزاعبي شَبَّه نَصْلَ السَّهْمِ بنَصْل الرُّمحِ الزَّاعِبي وهو منسوب الى رجل من الخَزْرجِ يقال له زاعِبٌ كان يَعْمَلُ الأَسِنَّةَ ، هذا قول قوم، واما الأصمعي فكان يقول الزَّاعِبيُّ هو الذي إذا هُزَّ فكأنَّ كعُوبَهُ يجْري بعضُها في بعضٍ للينِه وتثنيه ، يقال : مرَّ يَزْعَبُ بجَمَلِه اذا مرَّ به مرا سَهْلاً . وقوله : فتيق يعني حاداً رقيقاً يقال : فَتِيقُ الشَّفْرَتَيْنِ وتأويله انه يَفْتُقُ ما عُمِدَ به له، وفَعيلٌ يقع اسماً للفاعل ويقع للمفعول فأما الفاعل فمِثْلُ رحيمٍ وعَليمٍ وحَكيمٍ وشهيدٍ ، واما ما كان للمفعول فنحو : جريحٍ وقَتيلٍ وصَريعٍ . وقوله : زَوْراء يريد مُعْوَجَّةٌ وكلَّما كانت القَوْسُ اشدَّ انعطافاً كان سَهْمُها أمضى . وقوله على نَبْعَةٍ يعني قوساً وأكرَمُ القِسِيِّ ما كان من النبْعِ . وقوله أيما يريد أمّا واستثقل التضعيف فأبدَل الياء من إحدى الميمين ، ويُنْشَدُ بيتُ ابن ابي ربيعَةَ :

رأتْ رجُلاً أيْما إذا الشَّمْسُ عارضَتْ فيَضْحى وأيْما بالعَشِيِّ فيَخْضَرُ

وهذا يقع وانما بابه ان تكون قبل المضاعف كسْرَةٌ فيما يكون على فِعَّالٍ فيكرهون التضعيفَ والكسْرَ فيُبْدِلون من المُضَعَّفِ الأولِ الياء للكسرة ، وذلك قولهم : دينارٌ وقيراطٌ وديوانٌ وما اشبه ذلك فان زالت الكسْرَةُ وانفصل احد الحرفين من الآخر رجَعَ التضعيفُ فقلت : دنانير وقراريط ودواوينُ وكذلك إن صَغَّرْتَ قلتَ : قُرَيْرِيطٌ ودُنَيْنِيرٌ ، وقوله : وانما

Marfat.com

عودُها فعَتيقُ يصف كرَمَ هذه القوس وعِتْقَها ويُحْمَدُ منها ان تُتْرَكَ ولحاؤها عليها بعد القطع حتى تشرب ماءه كما قال الشَّماخُ :

فَظَلَّ مَظَلَّهما حَوْلَيْنِ ماء لحائِها ويَنْظرُ منها ايُّها هُوَ غامِزُ

مَظَلَّهما شَرَّبَها (قوله فظلها حولين اي تَرَكها في الظل حولين حتى تَشرَبَ ماء اللِّحاء يقال تَمَظَّلَ الرجلُ الظلَّ اذا تَحَوَّلَ من مكان الى مكان). وقوله : بأوْشَكَ فتلا منك يقول بأسرع، يقال امرٌ وَشيكٌ اي سريع ويقال: يوشكُ فلانٌ ان يفعل كذا وكذا اي يقاربُ ذاك ويوشِكُ يفعل كذا بطرح ان كلٌّ جيّدٌ ، قال الشاعر (هو اميّةُ بن أبي الصَّلتِ) :

يُوشِكُ من فرَّ من مَنِيَّتِهِ في بَعْضِ غِرَّاتِهِ يُوافِقُها
من لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً لِلمَوْتِ كأسٌ فالمرءُ ذائِقُها

(قال ابو الحسن هذه الأبيات اربعة وهي لرجل من الخوارج قَتَلَهُ الحجّاج أوّلها :

ما رَغْبَةُ النفسِ في الحياةِ وإنْ عاشَتْ قليلاً فالموْتُ لاحِقُها
وأيقَنَتْ انها تعودُ كما كان بَراها بالأمْسِ خالقُها)

قوله : عَبْطَةً اي شاباً يقال اعْتُبِطَ الرجلُ اذا مات شاباً من غير مرض واصل العَبيطِ الطريُّ من كل شيء ، وقوله : نوافذَ لم تُعلَم لهن خروق معنى طريفٌ وقد اخذه ابو حيّة منه فكشفه في ابيات مختارة وهي (اسم ابي حيّة الهَيْثَمُ بن الربيع) :

وإنَّ دماً لو تعلمينَ جَنَيْتِهِ على الحيِّ جاني مِثْلِهِ غيرُ سالمِ
امَا إنهُ لو كانَ غيرُكِ أرْقَلَتْ الَيْهِ القنا بالرَّاعِفاتِ اللَّهاذِمِ
ولكِنْ لَعَمْرُ اللهِ ما طلَّ مُسْلماً كفُرَّ الثنايا واضِحاتِ الملاغِمِ
إذا هُنَّ ساقطْنَ الحديثَ كأنَّهُ سِقاطُ حصى المرْجانِ من سلكِ ناظمِ
رمَينَ فأقصَدْنَ القلوبَ فلَمْ نجِدْ دماً مائراً إلاَّ جوىً في الحيازمِ

(الكاف في قوله كفُرَّ فاعلةٌ بقوله طلَّ ، ومنه قول الأعشى :

Marfat.com

أتنتَهونَ ولنْ ينْهى ذوي شططٍ كالطَّعْنِ يَذْهبُ فيه الزيتُ والفُتُلُ

وقول امْرىءِ القَيْس :

وإنّكَ لمْ يَفْخَرْ عليْكَ كفاخرٍ ضَعيفٍ ولم يَغْلِبْكَ مثلُ مُغَلَّبِ

قال ابو الحسن واول هذه الابيات المختارة انْشدْناهُ غيرُهُ .

حَتْبرَكِ الواشونَ انْ لنْ أحِبَّكُمْ بلى وسُتورِ الله ذاتِ المحَارمِ
أصدُّ وما الصدُّ الذي تعْلمينَهُ شِفاءٌ لنا إلا اجْتِراعَ العلاقِمِ
حياءً وبُقْيا أنْ تشيعَ نَميمَةٌ بنا وبكُمْ أُفٌّ لاهلِ النمائمِ)

قال ابو العباس : فهذا مأخوذ من ذلك. وقوله : ولكنْ لعَمْرُ الله ما طلٌّ مسلماً يقول ما طلَّ دمُهُ ، يقال : دمٌ مطلولٌ إذا مَضى هدَراً كما قال الراجز: بغَيْر عقْلٍ ودمٍ مَطْلولِ .وحدثني التَّوَّزِيُّ قال:قال يحْيى بن يَعْمَر لرجل نازعَتْهُ امرأته عنده:آنْ طالبَتْكَ بثمَن شكْرها وشُبْرِك أنشأتَ تطلُّها وتضْهَلُها،قوله ثمن شكرها فإنما يعني الرَّضاع والشُّبْرُ النكاح والشَّكْرُ الفَرْجُ. وقوله : أنشأتَ تطلُّها اي تسْعى في بُطلان حقها، وقوله: تضهلها اي تعطيها الشيء بعد الشيء يقال بئر ضَهولٌ إذا كان ماؤها يخْرُجُ من جِرابها شيئاً بعد شيء وجرابُها جوانِبُها . وإنما يغْزُرُ ماؤهـا إذا خرج من قرارتها فتعْظُمُ جمَّتُها . وقوله واضحات الملاغم يريد العوارض . قال الفرزْدق :

سقتْها خُروقٌ في المسامِعِ لم تكُنْ غِلاظاً ولا مخْبوطةً في الملاغِمِ

يقول : عَلِمَ اربابُ الماء لمنْ هي فسقاها ما سمعوه من ذكر أصحابها لعِزِّهمْ ومَنعتِهمْ ولم تحْتجْ ان تكون بها سمةٌ والعِلاطُ وسْمٌ في العُنُقِ والخِباطُ في الوجه .

٤ - باب

قال بعض الحكماء : مَنْ ادَّب ولدهُ صغيراً سُرَّ به كبيراً ، وكان يُقال : منْ ادَّب ولده أرْغم حاسِدَهُ ، وقال رجل لعبْدِ الملِك بن مرْوان: اني اريد

Marfat.com

أن أسرَّ اليك شيئاً . فقال عبدُ الملِك لأصحابــه : إذا شئتم . فنَهضوا فأراد الرجلُ الكلامَ فقال له عبدُ الملِك : قِفْ لا تَمْدَحْني فأنا أعْلمُ بنفسي منك ولا تُكَذِّبْني فإنه لا رأيَ لمكذوبٍ ولا تغْتَبْ عندي أحداً ، فقال الرجل: يا أميرَ المؤمنين أفتأذن لي بالانصراف ، قال له : إذا شئت. وقال بعض الحكماء: ثلاثٌ لا غُربةَ معهنَّ : مجانبةُ الرِيَبِ وحُسْنُ الأدب وكفُّ الأذى. وقال عمرو بن العاصي لدِهْقانِ نَهْر تيرى : بِمَ يَنْبُلُ الرجلُ عندكم ؟ فقال: بترك الكَذِب فانه لا يَشْرُفُ إلا من يوثَقُ بقوله ،وبقيامه بأمر أهْلِه فانه لا يَنْبُلُ من يحتاج أهلهُ الى غيره وبمجانبة الرِيَبِ فانه لا يَعِزُّ من لا يُؤْمَنُ ان يُصادَفَ على سَوْأةٍ وبالقيام بحاجات الناس فانه من رُجِيَ الفرَجُ لديْــه كَثُرَتْ غاشِيَتُهُ . وقال بَزُرْجمِهْرُ : من كثُرَ أدَبُهُ كَثُرَ شرَفُهُ وإن كان قَبْلُ وَضيعاً وبَعُدَ صيتُهُ وإن كان خاملاً وسادَ وإن كان غريباً وكَثُرَتْ الحاجةُ اليه وإن كان مُقتِراً ، وكان يُقال : عليكمْ بالأدَبِ فانه صاحبٌ في السَّفَرِ ومُؤنِسٌ في الوحدةِ وجَمالٌ في المَحْفِلِ وسَبَبٌ إلى طلب الحاجة. وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه : من أفضل ما أعْطِيَتْهُ العربُ الأبياتُ يُقدِّمُها الرجلُ أمامَ حاجتِهِ فيَسْتَعْطِفُ بها الكريم ويستنزل بها اللئيم. وكان شُعْبَةُ ابن الحجاج أو سِماكُ بن حَرْبٍ (قال أبو الحسن هو سِماكٌ بلا شك) إذا كانت له الى أمير حاجة استنزله بأبيات يقولها فيه . وقال بعض الملوك لبعض وزرائِه وأراد بِحَنَكَتَهُ : ما خَيْرُ ما يُرْزَقُهُ العبد ؟ قال: عَقلٌ يعيش به . قال : فإن عَدِمَهُ قال : فأدبٌ يَتَحلىَّ به . قال : فإن عَدِمَهُ. قال: فمالٌ يستره . قال : فإن عَدِمَهُ. قال: فصاعِقةٌ تحْرِقُهُ فتُريحُ منه العبادَ والبلاد. وقيل لرجل من ملوك العجم : متى يكونُ العِلْمُ شرّاً من عَدَمه ؟ قال : إذا كَثُرَ الأدَبُ وَنَقَصَتْ القَريحةُ . وقال أزْدَشيرُ: من لم يكن عقلُهُ أغْلَبَ خِلال الخير عليه كان حَتفُهُ في أغلب خلال الخير عليه . وقال محمد بن علي بن عبدالله بن العباس ،وذكر رجلاً من أهله : إني لأكره أن يكون لعِلْمِه فضلٌ على عقله كما أكره أن يكون للسانه فضلٌ على علمه. وقال محمد بن علي بن الحسين:

Marfat.com

جميع التعايش والتناصف والتعاشر في ميل مكيال ثلثاه فطنة وثلث تغافل فلم يجعل لغير الفطنة نصيب من الخير ولا خطأ في الصلاح لأن الانسان لا يتغافل إلا عن شيء قد عرفه وفطن به .

٥ - باب

قال رجل من بني عبد الله بن غطفان وجاور في طيىء وهو خائف :

جزى الله خيراً طيئاً من عشيرة ... ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطوني بالنفوس ودافعوا ... ورائي بركن ذي مناكب مدفع
وقالوا تعلم أن ما لك إن يصب ... نفدك وإن تحبس نزرك ونشفع

وقال رجل من بني سلامان بن سعد هذيم من قضاعة وجاور في طيىء :

كأن الجار في شمجى بن جرم ... له نعماء أو نسب قريب
يحاط ذماره ويذب عنه ... ويحمي سرحه أنف غضوب
ألفت مساكن الجبلين إني ... رأيت الغوث يألفها الغريب

(الجبلان سلمى وأجأ وهما لطيىء والغوث قبيلة من طيىء) وأنشدني عبد الوهاب بن جنبة الغنوي لعبيد بن العرندس الكلابي يصف قوماً نزل بهم :

هينون لينون أيسار ذوو يسر ... سواس مكرمة أبناء أيسار
لا ينطقون على العمياء إن نطقوا ... ولا يعارون إن ماروا بإكثار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم ... مثل النجوم التي يسري بها الساري

(قال أبو الحسن : حدثنا أبو العباس أحمد بن يحيى قال : حدثت عن أبي الفضل العباس بن الفرج الرياشي قال : قصد رجل من الشعراء ثلاثة إخوة من غني وكانوا مقلين فامتدحهم ، فجعلوا له عليهم في كل سنة ذوداً فكان يأتي فيأخذ الذود ، والشعر الذي امتدحهم به قوله : *

* الذود : الثرنمتحن الابل خاصة .

Marfat.com

يا دارُ بَينَ ٱلكَثيبات وأظفارِ والحُمَّتَينِ سقاكِ اللهُ منْ دارِ
عَلى تَقادُمِ ما قَدْ مرَّ من عُصُرٍ مَع الذي مَرَّ من ريحٍ وأمطارِ
عنّا غَنيتِ بِذاتِ الرِمْثِ من أَجلى والعَهدُ مِنكِ قديمٌ مُنذُ أعصارِ

أراد أنّثى فقلب الهمزة عيناً .

وقدْ تَرى بكِ والأيّامُ جامِعةٌ بيضاً عَقائِلَ من عِينٍ وأبكارِ
فيهنَّ عَنْهُنَّ لا يَمَللْنَ عِشرَتَها ولا عَلِمْنَ لها يَوماً بأسرارِ
إذْ يَحْسِبُ الناسُ أنْ قدْ نِلتَ نائِلها قِدْماً وأنتَ عليها عاتِبٌ زاري
بَلْ أيُّها الراكِبُ المُفني شَبيبتَهُ يَبكي على ذاتِ خَلخالٍ وأسوارِ
خَبِّرْ ثناءَ بَني عَمروٍ فإنهُمُ أولُو فُضولٍ وأنفالٍ وأخطارِ
هَينونَ لَينونَ أيسارٌ ذَوو كَرَمٍ سُوّاسُ مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ
فيهِمْ ومِنهُمْ يُعَدُّ المَجدُ مُتَّلِداً ولا يُعَدُّ نَثا خِزْيٍ ولا عارِ
لا يَظعَنونَ على العِمياءِ إن ظَعَنوا ولا يُمارونَ إن مارَوْا بإكثارِ
وإنْ تَلِبَّتَهُم لانوا وإن شُهِموا كشَفتَ أدْمارَ حَربٍ غيرَ أغمارِ
إنْ يُسْئَلوا العُرفَ يُعطوه وإنْ جُهِدوا
فالجُهدُ يَكشِفُ منهُمْ طيبَ أخبارِ
من تَلقَ منهُمْ تَقُلْ لاقيتُ سَيِّدَهُم مثلَ النُجومِ التي يَسري بها الساري

قال أبو العباس : وكان قوم نزلوا ببني المُنْتَفِقِ بن عمرو بن تميمٍ والقومُ من بني صَبَّة فأغير عليهم فاستغاثوا جيرانهم فلم يُغيثوهُمْ وجعلوا يُدافِعونهم حتى خافوا فوتها فاستغاثوا ببني مازن بن مالك بن عمرو ابن تميم فركبوا فردُّوها عليهم فقال المُكعْبِرُ الضَبّيُّ في ذلك (اسمه حُرَيْثُ بن عَفوطٍ) :

أبلغْ طريقاً حيثُ شطَّتْ بها النوَى فليْس لدَهرِ الطالبين فناءُ
كسالى إذا لاقيتَهُم غيرَ مَنطِقٍ يُلهّى به المحْرُوبُ وهو عناءُ

Marfat.com

وإني لأرْجوكم على بُطْءِ سَعْيِكُمْ كما في بُطونِ الحامِلاتِ رَجاءُ
اَخْبَرُ مَنْ لاقيتُ أنْ قدْ وَفَيْتُمُ ولو شِئْتُ قال المُخْبِرون أساؤا
فهلاَّ سَعَيْتُمْ سَعْيَ أسْرَةِ مالِكٍ وهَلْ كَفَلائي في الوفاءِ سَواءُ
كأنَّ دَنانيراً على قَسَماتِهِمْ وإن كانَ قدْ شَفَّ الوجوهَ لِقاءُ
لهُمْ أذْرُعٌ بادٍ نَواشِرُ لَحْمِها وبَعْضُ الرِّجالِ في الحُروبِ غُثاءُ

قوله : حيث شطَّت بها النوى معنى شطَّتْ تباعَدَتْ، يقال: أشطَّ فلانٌ في الحُكم اذا عَدلَ عنه متباعداً قال الله تعالى : فاحْكُمْ بيننا بالحقِّ ولا تُشْطِطْ ، وقال الأحْوَصُ :

ألا يا لَقَوْمي قد أشطَّتْ عَواذِلي ويَزْعُمْنَ أن أوْدى بحَقّيَ باطِلي
ويَلْحَيْنَني في اللَّهْوِ ألا أُحِبُّهُ وللَّهْوِ داعٍ دائبٌ غيرُ غافِلِ

والنَوى البُعدُ ويقال شَطَّتبهم نيّةٌ قَذَفٌ أي رِحلةٌ بعيدةٌ قال الشاعر:

وصَحْصَحانٍ قذَفٍ كالتُرْسِ . وليس بمأخوذ من نأيْتُ في اللفظ ولكنه مثله في المعنى. وقوله: فليس لدهر الطالبين قناء ، يقول الطالب في إثرِ طَلِبَتِه أبداً. ويُروى أن رجلاً من قُرَيْشٍ بَعثَ إلى رجل منهم وكان أخذَ له غلاماً: يا هذا ان الرجل ينام على الثُكلِ ولا ينام على الحَرَبِ فإمّا رَدَدْتَهُ وإما عرضتُ اسمك على الله في كل يوم وليلة خمس مرات. ومن أمثال العرب: لا ينام إلا مَنِ اثتارَ، ويقال لِمَنْ أدْرَكَ ثاراً نبيلاً أصاب ثاراً مُنيماً وأنشد :

تَقولُ ليَ ابنَةُ البَكريِّ عَمرٍو لعلَّكَ لستَ بالثأرِ المُنيمِ

وقوله :

وإني لأرْجوكم على بُطْءِ سَعْيِكُمْ كما في بُطونِ الحامِلاتِ رَجاءُ

يقول : هذا رجاءٌ غيرُ صادقٍ ولا موقوفٍ عليه كما أن هذه الحوامل لا يَعْلَمُ ما في بطونها وليس يَمِيْزُ منه وإنما يَحْكُمُ بهم وهو يعلمُ أن سَعْيَهُم غير كائن ، ألا تراه يقول :

اَخْبَرُ من لاقيتُ أن قد وَفَيْتُمُ ولو شِئْتُ قال المُخْبَرون أساؤا

Marfat.com

وقوله: كأنّ دنانيراً على قَسِماتهم زعم أبو عبيدة أن القَسِمات مجاري الدُّموع واحدتها قَسِمة ، وقال الأصمعيُّ : القسماتُ أعالي الوجه ولم يُبَيِّنه بأكثر من هذا، وقول أبي عبيدة مَشروحٌ ويقال من هذا رجل قَسيمٌ ورجل مُقسَّمٌ ووجه قسيمٌ ومُقسَّمٌ ، قال الشاعر :

ويَوماً توافينا بوجهٍ مُقسَّمٍ كأنْ ظَبْيةً تعْطو الى وارِقِ السَّلَمْ

قوله : تعطو أي تتناول ويقال عطا يعطو إذا تناوَلَ وأعطيتُه أنا أي ناولته قال امرؤ القيْس :

وتعْطو برَخْصٍ غيرِ شَثْنٍ كأنه أساريعُ ظَبيٍ أومساويكُ أسْحلِ

والسَّلَمُ شجر بعينه كثير الشوك فاذا أرادوا أن يَختطبوهُ شدّوه ثم قطعوه فمن ذلك قولُ الحجّاج : والله لأحْزِمنّكم حَزْمَ السَّلَمَةِ ولأضرِبَنّكمْ ضربَ غرائبِ الإبل. قال: وحدّثني التَوَّزِيُّ عن أبي زيد قال: سمعت العرب تُنشدُ هذا البيتَ فتنصب الظَّبْيةَ وترفعها وتخفضها قال أبو العباس : أما رفعها فعلى الضمير يريد كأنها ظَبيةٌ وهذا شرط أنّ وكأنّ إذا خُفِّفَتا إنما هو على حذف الضمير وعلى هذا قوله تعالى: عَلِمَ أنْ سَيَكونُ منكم مرْضى،وهذا الباب وقد شرحناه في الكتاب المُقْتضَب في باب أنّ وإنّ بجميع عِلله، ومن نصَبَ فعلى غير ضمير وعملُها مخففة عَمَلُها مُثقَّلةً لأنها تعْمَل لشَبهها بالفعل فاذا خُفِّفتْ عمِلَتْ عمَل الفعل المحذوف كقولك : لم يَكُ زيدٌ منطلقاً فالفعل اذا حذف يَعْمَل عمَلَهُ تاماً فيصير التقدير كأنّ ظَبيَةً تعْطو إلى وارِقِ السَّلم هذه المرأة وحَذف الخبر لما تقدم من ذكره ومن قال: كأنّ ظَبْيةً جعلَ أن زائدة وأعمَل الكاف أراد كظبية وزاد أن كما تريدُها في قولك لما أن جاء زيدٌ كلَّمْتُهُ ووالله أنْ لو جئتني لأعطيتك وقوله: لهم أذْرُعٌ بادٍ نواشِرُ لحمِها ، فكلُّ شيء كان على فِعالٍ من المؤنث فجَمعُهُ أفعُلٌ وكذلك فُعالٌ نقول ذِراعٌ وأذرُعٌ وكُراعٌ وأكرُعٌ لأنها مؤنثتان ومن أنّث اللسان قال: ألسُنٌ ومن ذكّرَهُ قال: ألسِنةٌ وشِمالٌ وأشمُلٌ كما قال (هو أبو النجْمِ العِجْليُّ) : يأتي لها من أيمُنٍ وأشمُلِ: فأما المذكر فعلى أفعلٍ في أدنى العدد وفُعُلٍ في الكثير يقال حِمارٌ وأحمِرَةٌ

Marfat.com

وحُمُرٌ وفِراشٌ وأفرِشةٌ وفُرشٌ والنواشرُ ما يظهر من العروق في ظهر الذراع ما يُداني المِعْصمَ وذلك الموضع يقال له أَسَلةُ الذراع قال زُهيرٌ :

ودارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأنها مَراجِعُ وَشْمٍ في نواشِرِ معْصَمِ

وقوله : وبَعضُ الرجال في الحروب غُثاء ، فالغُثاءُ ما يَبِيسَ من البَقْلِ حتى يصير حُطاماً وينتهي في اليُبْسِ فيَسْوَدّ فيقال له : غُثاءٌ وهَشيمٌ ودِنْدِنٌ ورِثٌّ على قَدْرِ اختلافِ أجناسه ويقال له الدارِينُ . قال الله عزّ وجل: فجعَلَهُ غُثاءً أحْوى ، وقال : فأصبَحَ هَشيماً تذْروهُ الرِّياحُ . وقال الشاعر يصف سحاباً (هو ابن مَيّادَةَ وقبله :

سَحائِبُ لا من صَيْفٍ ذي صَواعِقٍ ولا مُخْرِفاتٍ ماؤُهنَّ حَميمُ)
إذا ما هَبَطْنَ الأرْضَ قَدْ مات عُودُها بَكَيْنَ بها حتى يَعيشَ هَشيمُ

وقال الراجز : تَكْفي الفَصيلَ أُكْلَةٌ من زِنّ . وقد يقال للشيء الذي لا خير فيه هذا غُثاءٌ أي قد صار كذلك الذي وَصفناه . ويُضْرَبُ هذا مَثَلاً للكلام الذي لا وَجهَ له . وقال رجل أحمِقُ تَميمِيّاً (هو الفَرَزْدَقُ) :

لَوْ لمْ يُفارِقْني عَطِيّةُ لم أهُنْ ولمْ أُعْطِ أعدائي الذي كنتُ أمْنَعُ
شُجاعٌ إذا لاقى ورامٍ إذا رَمى وهادٍ إذا ما أظْلَمَ الليلُ مِصْدَعُ
سأبْكيكَ حتى تُنفِدَ العَيْنُ ماءَها ويَشفِيَ مِنّي الدَّمْعُ ما أتوَجَّعُ

أحسنُ الإنشادَيْنِ عندي : لمْ أهِنْ بأخذه من وَهَنَ يَهِنُ لأنه إذا قال لم أُهنْ فهو من الهَوانِ ومن قال لم أَهِنْ فإنما هو من الضَعْفِ وهو أشبه بقوله: ولم أُعْطِ أعدائي الذي كنت أمنع . والآخر غير بعيد يقول : لم أهُن على أعدائي وإذا قال : لم أهِنْ فالأصل لم أوْهِنْ ولكنّ الواو إذا كانت في موضع الفاء من الفِعلِ وكان ذلك الفعل على يَفْعِلُ فالواو محذوفة ، وإنما تُحْذَفُ الواو لوقوعها بين ياء وكسرة وتصير حروف المضارَعةِ الباقيةُ تابعةً للياء لئلا يَخْتَلِفَ البابُ وهي التاء من قولك تفْعِلُ إذا عَنَيْتَ مخاطباً أو

Marfat.com

مؤنثاً غائباً نحو : أنت تَعِدُ وهي تَعِدُ والهمزة إذا عنيت نفسك نحو : أنا أَعِدُ والنون إذا أخبرتَ عن نفسكَ ومعكَ غيرُكَ نحو : نحنُ نَعِدُ ، فان قال قائل إنما هذا لأن الفعل المتعدي تحذف منه الواو فان كان غيرَ متعدٍ ثبتت فقد قال أقبحَ قولٍ لأن التعدّي أو غيرَ التعدّي لا يُحْدِثُ في أنفُسِ الأفعال شيئـــاً ولو كان كما يقول لأثبتَ الواو في وَهَنَ يَهِنُ لأنك لا تقول وَهَنْتُ زيداً ، وكذلك وَرِمَ يَرِمَ ووَكَفَ البيتُ يَكِفُ وَوَنَمَ الذُبابُ يَئِمُ وهذا أكثر من أن يُحصى فإن لم تكن بعد الواو كسرةٌ لم تُحْذَفْ نحو : وجِلَ يَوْجَلُ ووَجِلَ يَوْجَلُ ووَجِعَ الرجلُ يَوْجَعُ وقد يجوز يَيْجَعُ ويَاجِعُ ويَيْجَعُ لما نذكره إذا جرى ذِكرُ هذه المفتوحة إن شاء الله. فأما الحذف فلا يكون فيها. فان قال قائل فما بالُ يَطَأ ويَسَعُ حذفتْ منهما الواوُ ومثلهما ثَبَتَتْ فيه الواوُ فإنما ذلك لأنه كان فَعِلَ يَفْعِلُ مثل وَلِيَ يَلِي ووَرِمَ يَرِمُ ففَتَحَتْهُ الهمزةُ والعينُ والأصل الكسر فإنما حذفت الواو مما يَلْزَمُ في الأصل ألا ترى أنك تقول وَلَغَ السَّبُعُ يَلِغُ فهذا فعَلَ يَفْعَلُ والأصـــل يَفْعِل ولكن فَتَحَتْهُ الغينُ لأن حروف الحَلْقِ تَفْتَحُ ما كان على يَفْعِل ويَفْعُلُ ولولا ذلك لم تقع فَعَلَ يَفْعَلُ وحروفُ الحَلْقِ ستة الهمزة والهاء والعـين والغين والحاء والخاء وهُنَّ يَفْتَحْنَ إذا كنَّ في موضع العين واللام فأما العـين فنحو سألَ يَسْأَلُ وذهَبَ يَذْهَبُ وأما اللام فمثل قَرأَ يَقرأُ وصَنَعَ يَصنَعُ وسائر هذا الباب على ما وَصفْتُ لك ، وقوله

وهادٍ إذا ما أظلَمَ الليلُ مِصْدَعُ ، فتأويل مِصْدع أي ماضٍ في الأمر قال الله عزّ وجل : فاصْدَعْ بما تُؤمَرُ. ويقال : أحْزَمُ الناس مَنْ إذا وَضَحَ له الأمرُ صَدعَ به ، وقال أعرابيّ يمدح سَوّارَ بن عبد الله القاضي وسَوّارٌ أحد بني العَنْبر بن عَمْرو بن تميم :

وأوْقَفُ عِنْدَ الأمرِ ما لم يَضِحْ لهُ ... وأمْضى إذا ما شَكَّ مَنْ كان ماضِيا

فاسْتَجْمَعَ في هذا المدْح ركانةَ الجَزْم وامْضاء العزْمِ ، ومثله قول النابغة الجَعْدِيّ :

Marfat.com

أبى لي البلاءُ وإني امرؤٌ إذا ما تبيّنتُ لم أرتبِ

ومن أمثال العرب السائرة الجيّدة : رَوْ تحزمْ فاذا استوضحتَ فاعزمْ. ومن أمثالهم: قد أحزمُ لو أعزمُ وإنما هذا بعد التوقّفِ والتبيّنِ فقد قال الشعبيُّ : أصابَ مُتأمّلٌ أو كاد وأخطأ مُستعجِلٌ أو كادَ، ومثل قوله : ويَشفِيَ مني الدمعُ ما أتوجّعُ ، قولُ الفرزدقِ :

ألمْ تراني يومَ جوْ سُويقةٍ بكيتُ فسادتني هُنيدةُ مالِيا
فقلتُ لها إنّ البكاءَ لراحةٌ به يَشتفي مَنْ ظنّ أنْ لا تلاقِيا

قال أبو الحسن ويَتْلو هذين البيتين مما يُستحسَنُ :

فعيدَكُما اللهَ الذي أنتما لهُ ألمْ تسمعا بالبيضتينِ المناديا
حبيبٌ دعا والرملُ بيني وبينَهُ فأسمعني صوتاً لذلك داعيا

يقال : فعيدَكَ اللهَ وقِيدَكَ اللهَ ونِشدَكَ اللهَ أي سألتُكَ بالله كما قال مُتمّمُ بن نُويرةَ وهو من بني يربوعٍ :

فعيدَكِ ألا تُسمعيني ملامةً ولا تَنكئي قرحَ الفؤادِ فيَجْزَعا

ويروى فقِيدكِ ألا تُسمِعيني(والبيضتان موضع معروف) قال أبو العباس وقال أبو بكر بن عيّاشٍ نزلتْ بي مصيبةٌ أوجعَتْني فذكرتُ قول ذي الرُمّة :

لعلّ انحدارَ الدمعِ يُعقِبُ راحةً من الوَجدِ أو يَشفي نَجِيَّ البلابلِ

فخلوْتُ فبكيتُ فسلوْتُ وقال: نَضلةُ السُلَمِيُّ في يومِ غَوْلٍ وكان حقيراً دميماً وكان ذا نجدةٍ وبأسٍ :

ألمْ تسألِ الفوارسُ يومَ غَوْلٍ بنَضلةَ وهو مَوْتورٌ مُشيحُ
رأوْهُ فارْدرَوْهُ وهوَ حُرٌّ ويَنفَعُ أهلَهُ الرجُلُ القبيحُ
فشدّ عليهِمُ بالسيفِ صلتاً كما عضّ الشبا الفرسُ الجموحُ
فأظلمَ حولَ صاحبِهِ وأردى قتيلاً منهُمُ ونجا جريحُ
ولم يَخشَوا مَصالتَهُ عليهِم وتحتَ الرغوةِ اللبنُ الصريحُ

قوله : وهو مَوتور مُشيح فالمُشيحُ الحاملُ الجادُّ ، يقال أشاحَ يُشيحُ إذا

Marfat.com

حمل، وأنشدني النوزي قال أنشدني أبو زيد (وهو لأبي العيال الهذلي) :

مُشيحٌ فوقَ شيحانٍ يَشدُّ كأنهُ كَلِبُ

قال : شيحان اسم فرسه. (قال أبو الحسن ويروى شَيحان بفتح الشين وحفه على رواية أبي زيد أن لا يَنصَرِفَ لأنه فعْلان فالألف والنون زائدتان وهو معرفة فضارَعَ عَطشان وما جرى مجراه وإنما اضطُرَّ فصَرفَهُ) وقال ابن الإطنابةِ واسمه عمرو :

وإجشامي على المكروهِ نفسي وضربي هامةَ البَطل المُشيحِ

ويقال في هذا المعنى رجل شِيحٌ كما يقال: ناقة نِقْضٌ إذا كانت هَزيلاً. قال أبو ذُؤَيب : وشاحَت قبلَ اليومِ إنك شِيحُ . وقوله: بالسيف صَلتاً يقول: مُنتَضىً ورجل صَلتُ الجبين إذا كان نقيَّهُ ، وقوله : كما عَضَّ الشبا بريد حدَّ اللجامِ وشبا كلِّ شيءٍ حدُّهُ ، وقوله : وأردى أي أهلكَ ، يقال: رَدِيَ يردى إذا هَلك والردى الهَلاكُ . قال الله عزّ وجل : وما يُغني عنهُ مالهُ إذا تردّى قيل فيه قولان أحدهما إذا تردّى في النار والآخر إذا مات، وهو تفعّلَ من الردى . وقوله : ولم يخشَوا مصالتَهْ عليهم ، فهي مَفْعَلَةٌ من صال يَصُولُ ويقال : صال البعيرُ اذا عضّ وقيل للمُغيرةِ بن شُعبةَ انّ بوّابَك يأذنُ لأصحابه قبل أصحابك ، فقال : ان المعرفة لتنفعُ عند الكلب العقورِ والجمل الصؤُلِ فكيف بالرجُل الكريم . وقوله : وتحت الرغوةِ اللبنُ الصَّريح ، يقول إذا رأيتَ الرغوةَ وهو ما يَرغو كالجلدة في أعلى اللّبنِ لم تدرِ ما تحتها فربما صادَفتْ اللبن الصريح إذا كشَفتَها، أي أنهم رأوْني فازْدَرَوْني لدمامَتي فلما كشفوا عني وجدوا غير ما رأوا ، والصَّريح المحْضُ الخالص من ذلك قولهم : عَربيٌّ صريحٌ أي خالص ، ومَولىً صريحٌ . ومن أمثال العرب : أنه ليُسِرُّ حَسْواً في ارْتغاءٍ ، ومعنى ذلك أنه يوهِمُكَ أنه يأخذ بقية تلك الجلدةَ عن اللبن ليُصْلِحَهُ لك وإنما يحْسو من تحتها: يُضرَبُ هذا المَثَل لمن يُريكَ أنه يُمينُكَ وإنما يجْترُّ النفعَ إلى نفسه . وقال أعرابي خُبِرْتُ أنه من بني سَعْدٍ وقد تمثّلَ بهذا الشعْر الخِنْوْتُ وهو تَوْبَةُ بن مُضَرِّسٍ أحدِ بني مالك

Marfat.com

ابن سَعد بن زيد مَناة بن تَميم في خِلاف الدَمامة :

ولما التَقى الصَفّانِ واختَلَفَ القنا نِهالاً * وأسبابُ المنـــايا نِهالُها
تَبَيَّنَ لي أنّ القَماءةَ ذِلّـــةٌ وأن أشِـــدّاء الرجالِ طِوالُها
دَعوْا يا لَسَعْدٍ وانتَمَيْنا لِطيِّءٍ أسودُ الشَرى إقدامُها ونِزالُهـــا

قوله: نِهالاً فإنما يريد أنها قد وَرَدَتِ الدّم مرة ولم تُثنّ وذلك أن الناهل الذي يَشْرَبُ أوّلَ شَرْبَةٍ فإذا شَرِبَ ثانية فهو عالٌ ، يقال: سقاه عَلاً بعد نَهَلٍ وعَلَلاً بعدَ نَهَلٍ وفي المثل سُمْتُهُ سَوْمَ عالَّةٍ إذا عَرضْت عليه عَرضاً يستحي من أن يُقْبِلَ معه والعالَّةُ لا حاجةبها إلى الشُرْبِ وإنما يُعرَضُ عليها تَعزيراً ، قال: وأسباب المنايا نهالها،اي أول ما يقع منها يكون سبباً لما بعده. وأنشدني غير واحد : وأنّ أشِدّاءَ الرجالِ طِيالُها ، وليس هذا بالجيّدِ وإنما قُلِبَ الواو ياءً لوقوعها بين كسرة والف كقولهم : ثيابٌ وحِياضٌ وسِياطٌ الواحد ثوبٌ وحَوْضٌ وسَوْطٌ وهذا جيد لسكون الواو في الواحد فأما في مثل طِوالٍ فإنما يجوز على التشبيه بهذا وليس بجيد لتَحرُّكِ الواو. وأنشدني مَسْعود ابن بشْرٍ المازنيُّ :

لهُمْ أوْجُهٌ بيضٌ حِسانٌ وأذْرُعٌ طِيالٌ ومن سيما الملوكِ نِجـــارُ

ومجاز هذا في النحو ما وَصفْتُ لك . والعرب تَمْدَحُ بالطول وتَضَعُ من القِصَرِ فلا يَذْكره منهم الا مُحْتَجٌّ عن نفسه ولا يَمْدَحُ به غيرَهُ قال عَنْتَرَةُ :

بَطلٌ كأن ثيابَهُ في سَرْحةٍ يُحْذى نِعالَ السِبْتِ ليس بتَوأمِ

يقول لم يُشارَكْ في الرَحِم ، وقال جريرٌ :

تَعالَوْا ففاتونا ففي الحُكمِ مَقْنَعٌ الى الغُرُّ من أهلِ البِطاحِ الأكارمِ
فإني لأرْضى عَبْدَ شمْسٍ وما قَضَتْ وأرضى الطِوالَ البيضَ من آل هاشمِ

وقال حسّان بن ثابتٍ :

وقد كُنّا نقولُ إذا رأينا لذي جسمٍ يُعَدُّ وذي بَيانِ

* نهالاً : النهل : الشرب مرة واحدة . والعلل: الشرب مرات متتاليات .

Marfat.com

كأنكَ أيها المُعطى بياناً وجسماً من بَني عَبدِ المدانِ

ويقال ان عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المُطّلب كان الى مَنكِبِ عبدالله وكان عبدُ الله الى مَنكِبِ العبّاس وكان العباسُ الى مَنكِبِ عبد المُطّلب. وحدثني النَوْرِيُّ قال : طافَ عليُّ بن عبدالله بالبيت وهناك عَجوزٌ قديمة وعليٌّ قد فَرعَ الناس كأنه راكِبٌ والناسُ مُشاة ، فقالت : من هذا الذي فرَعَ الناس ، فقيل : عليُّ بن عبد الله بن العباس. فقالت لا إله إلا الله ان الناس لَيُرْذَلونَ عَهْدي بالعباس يَطوفُ بهذا البيت كأنه قُطاط أبيضُ. وحدثني عليُّ بن القاسم بن عليّ بن سُليمان بن علي بن عبد الله بن العباس قال : كان يُقالُ صار شَبَهُ عليّ بن عبد الله في عِظَمِ الأجسام في العَلِيَّيْنِ يعني عليّ بن أمير المؤمنين المهْدِيَّ المنسوبَ الى أُمِّهِ رَيْطةَ وعليّ بن سليمان بن عليّ . ويُروى أن رسول الله ﷺ وهو الأسْوَةُ والقُدْوَةُ كان فوق الرَبْعَةِ ولم يكن بالطويل المُتَذَبِ وكان اذا مَشى مع الطِوالِ طاهَلَهُم ولم يختلف أهل الحِكمةِ والنَظرِ من العَربِ والعَجَمِ أن الكمال في الاعتدال ، ولا يقال غير هذا عن حكيمٍ ، وأبْيَنُ ما فيه ما اختاره الله تعالى لنبيّه محمد ﷺ وقد يقال : الكَيْسُ في القِصَرِ ، وقد قيل في خَبَرِ قَصيرٍ وكيْدِه ومَكرِهِ ما قد سارَ به المثلُ واستغنى عن الإعادة . وحدّثني العباس بن الفَرَج الرّياشِيُّ قال : حدثني أبو عُثمان المازنيّ قال : كان أعرابيّ يختلفُ الى مُغَنّيَةٍ لآل سليمان فأشرفَتْ عليه ذات مَرّةٍ فأوْمَأتْ اليه بيدها إيماءَ عائبٍ له بالقِصَرِ فأنشأ يقول :

يا جَعفَرٌ يا جَعفَرٌ يا جَعفَرُ إنْ أكُ رَبعَةً فأنتِ أقصرُ
أو أكُ ذا شَيبٍ فأنتِ أكبرُ غرّكِ سِرْبالٌ عليكِ أحمرُ
ومِقنَعٌ من الحرير أصفرُ وتحت ذاكِ سوْأة لو تُذكرُ

(قال أبو الحسن : أنشدني أبو العباس محمد بن الحسن الورّاقُ الشعر الذي فيه قولُهُ :

Marfat.com

ولمّا التَقَى الصَفّان واختَلَفَ القَنا . بتمامه وهو شِعْرٌ مختارٌ لرجل من طيّىء ويدل على ذلك ما تَسْمعُه في الشعر وهو قوله :

جَمَعنا لَهمُ من حيّ غوْثٍ ومالكٍ كتائِبَ يُردي المُقْرِفينَ نَكالُها
لهُمْ عَجُزٌ بالحَزْنِ فالرمْلِ فاللّوى وقدجاوَرَتْ حَيَّيْ جَديسَ رِعالُها
وتحْتَ نُحورِ الخيلِ حَرشَفُ رَجلةٍ تُتاحُ لِحبّات القُلوبِ نِبالُها
أبى لهُمُ أن يَعرِفوا الضَيْم أنهم بَنو ناتِقٍ كانتْ كثيراً عِيالُها
فلمّا أتَيْنا السَّفحَ من بَطنِ حائلٍ بحَيثُ تَناصى طَلحُها وسَيالُها
دعَوْا لِنِزارٍ وانتَمَينا لِطيّىءٍ كأُسْدِ الشّرى إقدامُها ونِزالُها
فلمّا التَقَيْنا بَيْنَ السَيفُ فيهمُ لِسائلةٍ عنّا حَفيٍّ سُؤالُها
ولمّا عَصَينا بالرِّماحِ تَضَلْعَتْ صُدورُ القَنا منهم وعلّتْ نِهالُها
ولمّا تَدانَوْا بالسُّيوف تَقطّعَتْ وسائلِ كانت قَبْلُ سِلماً حِبالُها
فَوَلّوا وأطْرافُ الرماح عليهمُ قَوادِمُ مَربوعاتُها وطِوالُها

الكتائب جمع كتيبةٍ سميت كتيبة لاجتماعها وانضمام بعضها إلى بعض يقال تَكَتَّبَ القومُ إذا تَضامّوا ومنه أُخِذَ الكِتابُ لانضمام حروفه ، ولذلك قالوا بَغلة مكتوبة إذا شُدّ حياؤها وضُمّ ، ويردي يُهْلِكُ ، يقال رَدِيَ الرجلُ إذا هَلَكَ ، والرَدى الهَلاكُ والإرْداءُ الإهلاكُ ، والمُقْرِفونَ الذين دخلوا في الفَساد والعَيْثِ وهو في الأصل الهُجْنة يقال فَرَسٌ مُقرِفٌ إذا كان هَجيناً ثم يَشيعُ في الفساد، والعَجُزُ مؤَخّرُ العَسكرِ هنا وهو مستعار، والحَزنُ ما خَشُنَ من الأرض وغَلُظَ واللّوى مُنْعَطَفُ الرَملة حيث ينقطع يقال: ألوَيْتُمْ فانزلوا، أي صِرْتُمْ إلى آخر الرملة وهو اللوى ، وجَديس قبيلة معروفة فلذلك لم يَصرفها والرِعالُ الجماعات المتفرقة واحدها رَعْلة والحرْشَف نبت يكثر في البادية وانما شَبَّهَ النَبْلَ به في الكثرة ، والرَجْلة الرجّالة

Marfat.com

وتُتاح تُقدَّرُ يقال تاحَ الله له كذا وكذا أي قدَّرَ له، والنِبالُ جمع نَبْلٍ والناتِقُ الوَلودُ فإذا أسْرَفتْ في ذلك وكثر ولدها جداً قيل مِنتاقٌ، والسفحُ أصل الجبل من الوادي، وحائل موضع، وتَناصى تقابَلَ وتقرّبَ حتى يَعلَق هذا بهذا وهذا بهذا عند هبوب الرياح يقال : تَناضى الرجلانِ نضاءً وتناصِياً إذا اقتتلا فأخذَ كلُّ واحد منهما بناصية صاحبِه ، والطَلْحُ والسَّيال ضربان من الشجر معروفان وانتمى ونمى انتَسَب والشَرى موضع كثير السباع وانما يريد كإقدامِ أُسْدِ الشَرى إقدامُها ثم حذَف لعلم السامع، وعَصيْنا جعلنا الرماح كالعِصيّ، والعَلَلُ الشُرْب الثاني والنَهَلُ الأول يريد إنّا أعَدْناها إلى الطعن مرة بعد أخرى، وقوادم ذاتِ إقدامٍ فجاء به على الأصل كما قال:

يَخْرُجْنَ من أجوارِ ليلٍ غاضٍ أي مُنْضٍ فجاء به على الأصل وهو كثير، والمَرْبوعات المُعْتدِلة التي لم تَبْلُغْ أن تكون رُبْعاً وهو رَفْعٌ كأنه قيل له ما هي فقال : هي مربوعاتها وطِوالها ولو خَفَضَ وجَعلهُ بدل البعض من الكل لكان حَسناً وكان يكون مَقْوىً ولكن هكذا أنشَدَناهُ مرفوعاً على التقدير الذي ذكرناه) .

٦ - باب

قال أبو العباس حدّثتُ أن صَبرةَ بن شَيْمان الحُدّانيّ دخل على معاوية والوُفودُ عنده فتكلّموا فأكثروا فقام صَبرةُ فقال يا أمير المؤمنين إنّا حَيّ فِعالٍ ولسْنا بحيّ مقالٍ ونحن بأدنى فِعالنا عند أحسن مقالهم، فقال صدَقْتَ. وحدّثتُ أن أبا بكر رضي الله عنه ولّى يَزيدَ بن أبي سفيان رُبعاً من أرباع الشام فَرَقِيَ المِنبَرَ فتكلّمَ فارْتِجَ عليه فاستأنَفَ فارْتِجَ عليه فقطع الخطبة فقال سَيجْعَلُ اللهُ بعد عُسْرٍ يُسْراً وبعد عيٍّ بياناً وأنتم الى أمير فَعّالٍ أخْرُجْ منكم الى أمير قَوّال فبَلَغَ كلامُهُ عمرو بن العاص فقال هُنّ مُخْرِجاتي من الشام استحساناً لكلامه . وقال عثمان بن عَفّان رضي الله عنه

Marfat.com

لعامر بن عَبْد قَيس العَنبري ورآه طاهِرَ الأعرابيّةِ : يا أعرابيُّ أين ربك ؟ فقال : بالمِرْصادِ . وقال قائل لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : أين كان ربُّنا قبل أن يَخلُقَ السمواتِ والأرضَ ؟ فقال عليّ : أين سُؤالٌ عن مكانٍ ، وكان اللهُ ولا مكانَ . وحُدِّثتُ أن راهبين دخلا البَصرةَ من ناحية الشام فنظرا إلى الحسن البصري ، فقال أحدهما لصاحبه : مِلْ بنا الى هذا الذي كأنّ سَمْتَهُ سَمْتُ المسيحِ فعَدّلا اليه فألفَياهُ مُفترِشاً بذَقَنِهِ ظاهرُ كَفِّهِ وهو يقول : يا عَجباً لقوم قد أُمِروا بالزاد وأُوذِنوا بالرحيل وأقام أوّلهم على آخرهم فليت شِعري ما الذي ينتظرون ! ونَظَرَ الحَسَنُ الى الناس في مُصلّى البَصْرة يضحكون ويلعبون في يومِ عيدٍ فقال الحسنُ ان الله جَعلَ الصوم مِضْماراً لعباده ليَستَبِقوا الى طاعته فسَبَقَ أقوامٌ ففازوا وتخلّفَ آخرون فخابوا ولَعَمْري لو كُشِفَ الغِطاءُ لَشُغِلَ مُحْسِنٌ باحسانه ومُسيءٌ باساءته عن تجْديد ثوبٍ أو تَرْطيل شَعَرٍ. قوله ترطيل شعر إنما هو تليينُ الشَعَرِ بالدُهْنَ وما أشبه ويقال للرجل اذا كان فيه لينٌ وتوضيع رجلٌ رَطلٌ والذي يُوزَنُ به ويُكال يقال له رِطْلٌ بكسر الراء . وكان الحسن يقول اجْعَلْ الدنيا كالقَنطرةِ تجوزُ عليها ولا تَعْمُرْها ،قوله القنطرة يعني هذه المعْقودة المعروفة عند الناس والعرب تُسَمّي كل أزَجٍ قنطرةً . قال طَرَفةُ بن العَبْدِ :

كَقَنطَرةِ الرُّومي أقْسَمَ رَبُّها لتُكْتَنَفاً حتى تُشادَ بقَرْمَدِ

قوله : حتى تشاد ، يقول : تُطْلى وكلُّ شيء طَلَيْتَ به البناء من جصٍّ أو جَيّارٍ وهو الكِلسُ فهو الشِّيدُ يُقال دار مُشَيَّدةٌ وقصرٌ مَشيدٌ . قال الله عز وجل : ولو كنتم في بُروجٍ مُشيّدةٍ وقال الشَمّاخُ :

لا تَحسِبَنّي وإن كنتُ امْرأً غُمُراً كحَيْنَةِ الماءِ بَينَ الطينِ والشِّيدِ

وقال عَديُّ بن زيد العِبادي :

شادَهُ مَرْمراً وجلّلَهُ كِلْـ ـلِلطيرِ في ذُراه وُكورُ

Marfat.com

والمُقَرْمَدُ المَطليُّ أيضاً ، فمن ثَمَّ قال حتى تُشاد بقَرْمَدٍ في معنى حتى تُطلى. ومن ذلك قول النابغة : رابي الجَحَّةِ بالعَبير مُقَرمَدِ . وقال الحسن : تَلقى أحَدُهم بيضَ بضّاً يَمْلَخُ في الباطل مَلخاً يَنفُضُ مَذْرَوَيْهِ ويَضرب أصْدَرَيْهِ يقول ها أنا ذا فاعْرِفوني قد عَرَفْناك فَسَمَتَك الله ومَقَتَك الصالحون قوله أبيضُ بضاً فالبَضُّ الرقيقُ اللونِ الذي يؤَثِّرُ فيه كلُّ شيء وفي الحديث ان معاوية قدِمَ على عمر بن الخطّاب رضي الله عنه من الشام وهو أبَضُّ الناسِ فضَرَبَ عُمَرُ بيده على عَضُدِه فأقْلَعَ عن مثل الشِراكِ فقال هذا والله لِتَشاغُلِكَ بالحمّاماتِ وذَوو الحاجاتُ تقَطَّعُ أنفُسُهُمْ حَسرات على بابك . وقال حُمَيدُ بن ثَوْرٍ الهِلاليُّ :

مُنعَّمَةٌ بَيْضاءُ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ على جِلدها بَضَّتْ مَدارجُهُ دَما

وقوله : يَمْلَخُ في الباطل مَلخاً يقول يَمُرُّ مَرّاً سريعاً يقال بَكْرةٌ مَلوخٌ إذا كانت سَهْلةَ المرِّ . وقوله يَضْرِبُ أصدَرَيْه وارْدَرَيْهِ وإنما يقال ذلك للفارغ يقال جاء فلانٌ يَضرِبُ أصْدَرَيْهِ وازدَرَيْهِ ولا يُتَكلَّمُ منه بواحد ويقال فلانٌ يَنقُض مذْرَوَيْهِ وهما ناحيتاه وإنما يوصف بالخُيَلاءِ قال عَنترةُ :

أحَوْلي تَنْفُضُ اسْتُكَ مذْرَوَيْها لِتَقتُلَني فها أنا ذا عُمارا

ولا واحد لهما ولو أُفْرِدتْ لقلتَ في التثنيةِ مِذْرَيَانِ لان ذواتِ الواو اذا وقَعَتْ فيهنّ الواو رابعةً رَجعتْ الى الياء كما تقول في مَلهىً مَلهَيانِ وهو من لَهَوْتُ وفي مَغزًى مَغزيانِ وهو من غَزَوْتُ وانما فعلتَ ذلك لأن فِعلَهُ تَرْجِعُ فيه الواوُ الى الياء اذا كانت رابعةً فَصاعِداً نحو غزوت ، فإذا ادْخَلت فيه الألفَ قلتَ أغْزَيْتُ وكذلك غازَيْتُ واسْتَغزَيْتُ وانما وجب هذا لانقلابها في المضارع نحو يُغْزي ويَسْتَغزي و يُغازي وانما انقلبت لانكسار ما قبلها ، فان قال قائلٌ فما بالُ يَترجّى ويَتغازى يكونان بالياء نحو يَتغازيان ويَترجّيانِ ، فإنما ذلك لأنهما في الأصل رجّى يُرجّي ، وغازى يُغازي ثم لَحِقَتْ التاء بعد ثَبات الياءِ والدليلُ على ذلك أن التاء إنما تَلحقُهُ على معناه فقولك مِذْرَوانِ لا واحد له لما أعلمْتُكَ ، وثَبات الواوِ دليلٌ على

Marfat.com

أن أحدهما لا يُفرَدُ من الآخر فلذلك جاء على أصله .

٧ – باب

قال أبو العباس : قال يزيد بن الصَقيلِ العُقَيليُ وكان يَسرقُ الإبل ثم تاب وقُتِل في سبيل الله :

ألا قُلْ لأربابِ المَخائِض أهمِلوا فقَد تابَ مِمّا تَعْلَمونَ يَزيدُ
وإنّ امْرأً يَنجو من النار بَعْدما تَزوَّدَ من أعمالها لَسَعيدُ

وفي هذا الشعرِ :

إذا ما المَنايا أخطأتْكَ وصادَفتْ حَميمَك فاعلَم أنها ستَعودُ

قوله ألا قُلْ لأرباب المخائض فإن الناقة إذا لَقِحَتْ قيل لها خَلِفةٌ وللجميع المَخاضُ وهذا جَمْعٌ على غير واحده انما هو بمنزلة امرأةٍ ونِساءٍ ثم جمَع الجَمْعَ فقال مَخائضُ كقولك في رسالةٍ رَسائلُ ، وكما تقول في قوم أقوام فتَجْمَعُ الاسم الذي هو للجَمعِ وكذلك أعراب وأعاريبُ وأنعامٌ وأناعيم .

وقوله : أهمِلوا أي اسرَحوا إبلَكمْ والهَمَلُ ما كان غير مَحظور وهو السُدى ويُروى في مِثلِ قوله :

إذا ما المنايا أخطأتك وصادفت حميمك

عن بعض الصالحين (هو محمد بن الحَنَفيّةِ) أنه كان يقول: إذا مات له جار أو حَميم أوْلى لي كدتُ واللهأكونُ السَوادَ المُخترمَ . وقال ابن حَبناء التميمي :

أعوذُ بالله منَ حالٍ تُزيّنُ لي لوْمَ العَشيرةِ أو تُدني من النار
لاأقرَبُ البَيتَ أحبُومن مؤخَرِه ولا أُكثِرُ في ابن العَمّ أظفاري
إن يحجُبِ اللهُ أبصاراً أراقِبُها فقد يَرى الله حال المُدلِجِ الساري

قولهلا أقرب البيت أحبو من مؤخره يقولا آتيه لريبةٍ ومِثلُ ذلك قولُ الشاعر : (وهو عَقيلُ بن عُلّفةَ)

ولَستُ بصادِرٍ من بَيتِ جاري كفِعلِ الغَيرِ غمّرهُ الوُرودُ

يقول : لا اخرجُ خُروجَ الخائف لأنه إنما يقال تَعمّر الشارب اذا لم يَرِدَ

Marfat.com

ويقال للقدحِ الصغير الغُمَرُ من هدا، وقوله: ولا أكسر في ابن العم أظفاري . يقول لا أغتابه وهذا مَثلٌ، كما قال الحُطيئةُ :

مَلئُوا قِراهُ وهَرّتهُ كِلابهُـمُ وجَرّحوهُ بأنيـابِ وأضراسِ

وقوله: فقد يرى الله حال المدلج الساري فالمُدْلِجُ الذي يسير من أول الليل يقال أدْلَجْتُ أي سِرتُ من أول الليل وادّلَجتُ أي سرت في السحرِ . قال زُهَيرٌ :

بَكَرْنَ بُكوراً وادّلَجْنَ بِسُحرةٍ . والسُّرى لا يكون الا سيرِ الليل ، قال الله عز وجل: فأسر باهلِك، من قولك أسريْتُ وهي اللغة القُرشيّة وغيرُهم من العرب يقول سَريْتُ وقد جاءت هذه في القرآن. قال الله عز وجل: والليل إذا يَسري، فهذا من سَرى ولو كان أسرى لكان يُسْري كما قال: (هو لَبيدُ ابن ربيعةَ) .

فبات وأسرى القومُ آخرِ ليلهِمْ وما كان وفّاقاً بغير مُعصّرِ

والمُعصّرُ الملجأ والساري انما هو من قولك سَرى كقولك قضى فهو قاضٍ ومن أسرى يقال للفاعل مُسرٍ كما تقول أعطى فهو مُعطٍ كما قال الأخطلُ :

نازعتُهُمْ طَيّبَ الراحِ الشمولِ وقد صاح الدّجاجُ وحانتْ وقعةُ الساري

والدجاج ههنا الديوك يريد وقتَ السحرِ لأنه يقال للديك هذا دَجاجةٌ فان أردت الانثى قلت: هذه وكذلك هذا بقرة وهذا بَطّةٌ وهذا حمامةٌ إذا أردت الذكر. ولهذا بابٌ يُذكرُ فيه ان شاء الله. قال جَريرٌ .

لما تذكّرتُ بالديرَيْنِ أرقّني صَوتُ الدّجاجِ وقرْعٌ بالنواقيس

قال أبو الحسن أنشدنا أبو العباس أحمد بن يحيى الأبيات الرائيّة المتقدمة بتمامها على ما أذكره لك عن أبي عبدالله بن الأعرابي وهي لأحد ابني حَبنـاء أحسِبُهُ صَخراً وهما من بني تميم وكانا من الأزارِقةِ قال :

إني هَـزئتُ من امّ الغَمر إذ هَزئتْ بشيبِ رأسي ومـا بالشيْبِ من عار
ما شقوةُ المرءُ بالإقتارِ يُقـتِرُهُ ولا سَعادتهُ يوْماً بإكثـار

Marfat.com

يُقتِرُهُ الماء تعود على الإقتار :

إنّ الشقيَّ الذي في النار مَنزِلهُ والفَوْزَ فَوْزُ الذي يَنجومن النار
أعوذ بالله من أمْرٍ يُزَيِّنُ لي لَوْمَ العَشيرةِ أو يُدني من العار
وخَيرِ دُنيا يُنَغِّصُني شرُّ آخِرةٍ وسوفَ يُنبِئُني الجبّارُ أخباري

ثم يتفقان بَعْدُ في الرواية وكان ربما أنشَدَنا . إبي هزأتُ من ام الغمرِ) .
قال أبو العباس ، وقال اعرابي من بني الحرث بن كَعْبٍ :

رَغِمتُ لسَلمى بَوَّ ضَيْمٍ وإنّني قديماً لآبي الضَيْمِ وابنُ أباةِ
فقَدْ وقَّفَتني بين شكٍّ وشُبْهةٍ وما كُنتُ وَقّافاً على الشُبُهاتِ
فيا بعلَ سَلمى كم وكمْ بأذاتِها عدِمتُكَ من بَعلٍ تُطيلُ أذاتي
بِنفْسي حَبيبٌ حالبابُكَ دونهُ تَقطّعُ نفسي دونَهُ حَسَراتِ
ووالله لولا أن يُساءَ لرُعْتُها بما ليسَ بالمأمونِ من فَتَكاتي

قوله : رَغِمتُ لسَلمى بَوَّ ضَيْمٍ فإنما هذا مَثَلٌ وأصله أن الناقة إذا أُلْقِحَتْ سَقْبَها فخيفَ انقطاع لبنها أخذوا جِلدَ حُوارٍ فحَشَوْهُ تِبناً ولَطخوهُ بشيء من سَلاها ثم حَشَوْا أنفها بخِرْقةٍ فتَجِدُ لذلك كَرْباً ويقال للخرقة التي تُجعَلُ في أنفها الفِطامةُ ثم تُسلُّ تلك الخرقة من أنفها فتجد رَوْحاً ، وترى ذلك البَوَّ تحتها وهو جلد الحُوار المحشوُّ فتَرأمُهُ فان درَّت عليه قيل ناقة دَرورٌ وتَرأمُهُ تَشُمُّهُ ويقال في هذا المعنى ناقة ظَؤُورٌ فيُنتَفَعُ بلبنها . ويقال ناقة رائِمٌ ورؤومٌ إذا كانت تَرأمُ ولدها أو رَبوَّها فإن رغِمتْ ولم تَدرَّ عليه فتلك العَلوق ولا خير عندها . وأنشدونا عن أبي عمرو وكان يقرأ ثم كان عاقبةُ الذينَ أساؤا السُّوأى على فُعْلى . (الشعرُ لأفنونِ التَغلبيّ) .

أنسَى جَزَوْا عامِراً سوأي بفِعلِهِمُ أم كيفَ يَجزونني السُّوأى من الحسنِ
أم كيفَ يَنفَعُ ما تُعطي العَلوقُ بهِ رِغمانَ أنفٍ إذا ما ضُنَّ باللبن

Marfat.com

فقوله: رنمتُ لسلمى بوَضيم أي أقمتُ لها على الضَيْمِ . ويقال فلان رَؤومٌ للضَيم إذا كان ذليلاً راضياً بالخسْفِ . وقال اعرابي أحْسِبُهُ تميمياً :

وداهيةٍ داهى بها القَومُ مُفلِقٌ شديدٌ بعُوران الكلامِ أزومُها
أصَختُ لها حتى إذا ما وَعَيتُها رَمَيتُ بأخرى يَستديرُ أميمُها
ترى القَوْمَ منها مُطرقينَ كأنما تَساقَوْا عُقاراً لا يَبِلُّ سَليمُها
فلم تَلقَني فَهّاً ولم تَلقَ حُجَّتي * مُلجْلَجةً أبغي لها مَنْ يُقيمُها

قوله : وداهية يعني حُجَّةً داهى بها القومَ مُفلِقٌ يريد عَجيبةً والفِلِقُ اسم من أسماء الدواهي . ويقال : فَلَقٌ في هذا المعنى . ويقال : داهية فَليقٌ وجاء القوم بالفَليق وهذا مشهور كثير في الكلام. ومنه قول خَلَفٍ الأحمرِ .

مَوتُ الإمامِ فِلقة من الفِلَـــق . وأنشَدَني مُنشِد :

(إذا عَرَضَتْ داويَّة مُدْلَهِمة) وغَرَّدَ حاديها عمِلنَ بنا فَلَقا

بفتح الفاء ، وقوله شديد بعُوران الكلام العَوْراءُ هي القبيحة . قال حاتم ابن عبدالله الطائيُّ :

وعَوْراءَ قد أعْرَضتُ عنها فلم تَضِرْ وذي أوَدٍ قوَّمتُهُ فتقوَّمـــا

وأزومُها إمْساكُها يقال أزِم به إذا عَضَّ فأمسكهُ بين ثنيَّتيهِ . وفي الحديث ان أبا بكر رضي الله عنه ، قال في يوم أُحُدٍ فَنظرْتُ إلى حَلقةٍ من درْعٍ قد نشِبتْ في جبين رسول الله ﷺ فانكببتُ لأنزَعها فأقسمُ عليَّ أبو عبيدة بثنيَّتيهِ فجذبها جذْباً رفيقاً فانتزعها وسقطت ثنيَّتُهُ ثم نظرْتُ إلى أخرى فأرَدْتها ، فأقسمَ عليَّ أبو عبيدة ففعل فيها ما فعل في الأولى وكان مُشفِقاً من تحريكها لئلا يُؤذي بذلك رسول الله ﷺ ، فكان أبو عبيدة أهتم . وقوله : فأزَم بها . يقال : أزَمَ يأزِمُ وأزِمَ يأرَمُ . وقوله : أصختُ لها . يقول : استمعتُ لها . قال العبْديُّ (وهو المُثقِّبُ) :

يُصيخُ لِلنَبأةِ أسماعَهُ إصاخةَ الناشد للمُنشد

* فها : ذا فهاهة ، وهي العي في النطق وعدم إبانة مخارج الحروف .

Marfat.com

والاصاخةُ الاستماع والناشد والطالب والمنشد المُعَرِّفُ يقال نشَدْتُ الضالة أنشُدُها نِشْداناً إذا طلبتها وأنشَدْتُها إذا عَرَّفتها والنَبْأةُ الصوتُ ، قال ذو الرُمّةِ :

وقد تَوَجَّسَ رِكزاً مُقْفِرٌ نَدُسٌ بنبْأةِ الصوْتِ ما في سَمْعِهِ كَذِبُ

وقوله: إذا ما وَعَيْتُها يقول جَمَعْتُها في سمعي يقال وعَيْتُ العلم وأوعيتُ المتاع في الوعاء قال الله عزوجل: وجَمعَ فأوْعى. وقال الشاعر (عَبيدُ بن الأبرص):

الخَيرُ يَبقى وإن طالَ الزمانُ به والشرُّ أخْبَثُ ما أوعَيْتَ من زاد

وقوله: رَميتُ باخرى يستدير أَميمُها، يريد يستدير من الدُوار ، ويقال في هذا المعنى يستديم ومنه سميت الدُوّامةُ . وفي الحديث كُرِهَ البولُ في الماء الدائم لأنه كالمستدير في موضعه . قال جَرير :

عَوى الشُعَراءُ بَعضُهُم لِبعضٍ عَلَيَّ فقَدْ أصابَهُمُ انتِقامُ
إذا أرسَلتُ صاعِقةً عليهم رأوْا أخرى تَحَرَّقُ واستداموا

وقوله أميمها يريد المأموم بها . يقال: أمِيمٌ ومأمومٌ كقولك قَتيلٌ ومقتول وجريح ومجروح . ويقال للشجّةِ التي قد وَصلَتْ الى أُمِّ الدماغِ وأُمُّ الدماغ جُلَيْدةٌ رقيقة تُحيط بالدِماغ فاذا وُصِلَ الى تلك فالشَجّةُ آمّةٌ ومأمومة. قال الشاعر :

يَحُجُّ مأمومةً في قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطبيب قَذاها كالمَغاريد

المغاريد صِغارٌ من الكمأةِ وقوله في قعرها لجف أي تقَلُّعٌ . ويقال : تَلجَّفَتْ البئر إذا انقلع طيُّها من أسفلها ولَجَفَ القومُ مِكيالهم اذا وسّعوه من أسفله . وقوله : تَسافَوْا عُقاراً يريد كأنهم سُكارى لما نالهم من تلك الحُجة والعُقارُ اسم من أسماء الخمر ، وانما سميت عُقاراً لمُعاقرَتها الدَنّ . وقوله : ما يَبِلُّ يقال بَلَّ وأبَلَّ من مرضه وكذلك استَبَلَّ والسليمُ الملسوع . وقيل له سَليم على جهة التفؤّل ، كما يقال للمَهْلِكة مَفازةٌ وللغراب الأعورُ على الطيَرة منه لصحّةِ بَصَرهِ . وقوله فلم تلقني فهّاً يقول ضعيفاً . يقال فهٌ فلانٌ عن

Marfat.com

حُجَّتِه إذا ضَعُفَ عنها ، ويقال رجل مُفَهَّهٌ إذا كان عاجزاً . وقوله مُلَجْلَجَةٌ وهو ان يُرَدِّدَها في فيه وقد مضى تفسيره، وقال رجل يُكْنى أبا مَخزوم من بني نَهْشَلِ بن دارمٍ (هو بَشامةُ بن حَزْنِ النهشَليُّ عن أبي رياشٍ) :

إنّا بني نَهْشَلٍ لا نَدَّعي لِأَبٍ ... عَنهُ ولا هو بالأبناء يَشْرينا
إنْ تَبتَدِرْ غايةٌ يوماً لِمكرُمةٍ ... تَلقَ السَّوابقَ مِنا والمُصَلِّينا
وليس يَهْلِكُ مِنّا سيِّدٌ أبَداً ... الا افتَلَدْنا غلاماً سيِّداً فينا
إني لِمَنْ مَعشَرٍ أفنى أوائِلَهُمْ ... قِيلُ الكُماةِ ألا أينَ المُحامونا
لو كانَ في الألفِ مِنا واحدٌ فدَعَوْا ... مَن فارسٌ خالَهُمْ إياهُ يَعْنونا
ولا تَراهم وإنْ جَلَّت رزيَّتُهم ... مَعَ البُكاةِ على مَن مات يَبكونا
إنّا لنُرخِصُ يومَ الروْعِ أنفُسَنا ... ولو نُسامُ بها في الأمنِ أغلِينا
إذا الكُماةُ تنحَّوْا أن يَنالَهم ... حدُّ الظُبَاتِ وصَلْناها بأيدينا
فَرضٌ على مُكثرينا نيلُ بَذلِهم ... والجودُ والبذلُ في طَبعِ المُقِلِّينا
اني ومَن كأبي يَحْمِي وعِترتِه ... لا فَخرَ الا لنا أمَّنْ يُوازِينا

قوله : إنا بني نهشل يعني نَهْشَلَ بن دارِم بن مالك بن حَنظلةَ بن مالك بن زيدِ مَناةَ بن تميمٍ ومن قال إنّا بَنو نَهْشَلٍ فقد خَبَّرَكَ وجعلَ بني خبر إنَّ ، ومن قال بني فإنما جَعَل الخبر ان تُبْتَدَرْ غايةٌ يوماً لمكرُمةٍ تَلقَ السوابق منا والمصلينا ونَصَب بني على فِعلٍ مضمَر للاختصاص ، وهذا أمدحُ ومثله : نحنُ بَني ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلْ . أراد نحن أصحاب الجمل ثم أبان مَن يَختصُّ بهذا ؟ فقال أعني بني صبة ،وقرأ عيسى بن عمر وامرأتُه حَمّالةَ الحَطَبِ أراد وامرأتُهُ في جيدِها حَبْلٌ مِن مَسَدٍ ثم عَرَّفَها بحَمّالة الحطب . وقوله عز وجل : والمُقيمين الصلاةَ بعد قوله: لكن الرّاسخون في العِلم منهم والمؤمنون انما هو على هذا وهو أبلغ في التعريف وسنشرحُهُ على حقيقة الشرح في موضعه ان شاء الله. وأكثر العرب يُنشِدُ (هو لعَمرِو بن الأهتمِ المِنقريّ) :

Marfat.com

إنّا بَني مِنقَرٍ قومٌ ذوو حَسبٍ فينا سَراةُ بني سعْدٍ ونادِيها

وقرأ بعض القرّاء فَتبارك اللهُ أحسَنَ الخالقين ، وقوله: يَشرينا يريد يَبيعُنا يقال شَراه يَشريه اذا باعه فهذه المعروفة .قال الله عز وجل: وشَرَوْه بثمنٍ بخسٍ دَراهِم مَعدودةٍ .وقال ابن مُفرّغٍ الحميَريُّ :

شَرَيْتُ بُرْداً ولولا ما تكَنّفني من الحوادِث ما فارقتُهُ أبداً

(يا بُردُ ما مَسّنا دَهر أضرَّ بنا مِن قبْلِ هذا ولا بِعْنا له ولداً)

ويكون شَرَيْتُ في معنى اشتريتُ وهو من الاضداد وأنشدني التوّزيُّ :

اشْروا لهاخاتِيناً وابْغُوا لخَتْنتِها مَواسِياً أربعاً فيهنّ تَذْكيرُ

(كان ابن جابر يَرْوي لِخُتْنَتِها ويقول الخُتْنتُ العَقَلُ) . وقوله تلِق السوابق منا والمصلينا فالمُصَلي الذي في إثرِ السابق وانما سُمّيَ مصلياً لأنه مع صَلوى السابق وهما عِرقان في الرِدْفِ . قال الشاعر :

تَرَكتُ الرُمحَ يَعْمَلُ في صَلاهُ كأنّ سِنانهُ خُرْطومُ نَسْر

وقوله إلا افتلينا غلاماً سيداً فينا مأخوذ من قولهم فَلَوتُ الفَلوّ يا فتى اذا أخذته عن أمه . قال الأعشى :

مُلِمٍ لاعَةِ الفؤادِ إلى جَحْشٍ فَلاهُ عَنها فَبِئْسَ الغالي

وأخَذَ هذا المعنى من قول أبي الطَمَحان القَيْنيّ :

إذا ماتَ منهم سَيّدٌ قامَ صاحِبهْ

وقوله :

لو كان في الألف منا واحد فَدَعَوْا مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إياه يَعنونا

مأخوذ من قول طَرَفةَ بن العَبْدِ :

إذا القَوْمُ قالوا مَن فتىً خِلتُ أنني عُنيتُ فلم أكْسَلْ ولم أتَبلّدِ

ومن قول مُتمّم بن نُوَيرةَ :

اذا القَوْمُ قالوا مَنفتىً لعظيمةٍ فاكْلُهُمُ يدْعى ولكنّهُ الفَتى

Marfat.com

وقوله حَدُّ الظُبات فالظُبةُ الحدُّ بعينه يقال أصابته ظُبَةُ السيف وظُبة النَّصلِ وجمعه ظباتٌ وأراد بالظُبةِ ههنا موضع المَضربِ من السيف وأخَذ هذا المعنى من قول كَعبِ بن مالك بن أبي كعب الانصاري :

نصِلُ السُّيوف إذا قصُرنَ بخَطوِنا قُدُماً ونُلحِقُها اذا لم تَلحَقِ

وقوله : انا لنُرْخِصُ يوَم الرَوْعِ أنفُسَنا أخذه من قول الهَمْدانيّ وهو الأجدَعُ أبو مسروق بن الأجدع الفقيه :

لقد عَلمتْ نِسْوانُ همْدانَ أنني لهُنَّ غداةَ الرَوْعِ غيرُ خَذولِ
وأبْذُلُ في الهَيجاء وجهي وإنني لهُ في سوى الهَيْجاء غيرُ بَذولِ

ومن القَتّالِ الكِلابيّ حيث يقول :

أنا ابن الأكرَمينَ بني قُشَيرٍ وأخوالي الكِرامُ بنو كلابِ
نُعَرِّضُ للطِعان اذا التَقَيْنا وُجوهاً لا نُعَرِّضُ للسِّباب

٨ – باب

قال أبو العباس قال عُمَرُ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : ثلاثٌ مَن كنّ فيه فقد كَمُلَ مَن لم يُخرِجْهُ غَضَبُه عن طاعة الله ولم يستنزله رضاه الى معصية الله واذا قدَرَ عفا وكَفّ . وقال الحسن نِعَمُ الله أكثرُ من أن تُشكرَ الا ما أعانَ عليه وذُنوبُ ابن آدم أكثر من أن يَسلمَ منها الا ما عفا الله عنه . وقال عمر بن ذَرٍّ ودخل على ابنه وهو يَجود بنفسه فقال : يا بُنيّ انه ما علينا من موتك غَضاضةٌ ولا بنا الى أحد سوى الله حاجةٌ فلما قَضى وصلى عليه وواراه وَقَفَ على قبره فقال : يا ذرُّ انه قد شَغَلنا الحُزْنُ لك عن الحُزن عليك لأنا لا ندري ما قُلتَ ولا ما قيلَ لك اللهم اني قد وَهَبتُ له ما قصّرَ فيه مما افترضتَ عليه من حَقّي فهَبْ له ما قَصّر فيه من حقك، واجعل ثوابي

Marfat.com

عليه له وزِدْني من فضْلك اني اليك من الراغبين. وسُئِلَ ما بلغَ من برّه بك؟ فقال : ما مشى معي بنهـــارٍ قطُّ الا قدّمَني ولا بليل الا تقدّمَني ولا رَقِيَ سَطحاً وأنا تحته. وماتت بنت عمٍّ للمنصور فحَضَر جنازتها وجلس لدفنهـا وأقبل أبو دُلامة الشاعرُ فقال له المنصور: ويحَكَ ما اعدَدتَ لهذا اليوم فقال: يا أمير المؤمنين ابنةَ عمّك هذه التي وارَيتَها قُبيَلُ . قال : فضحِكَ المنصور حتى استغرب. ودخل لَبَطةُ بن الفرزدق على أبيه وهو محبوس في سجن مالك بن المُنذرِ بن الجارود ومالكٌ عاملٌ على البصرة لخالد بن عبدالله القَسريّ فقال: يا أبتِ هذا عُمَرُ بن يزيد الأُسَيديُ ضُربَ آنفاً ألفَ سوطٍ فمات فشُدّ على حمار . فقال الفرَزْدقُ : كأنك والله يا بُنيّ بمثل هذا الحديث قد تُحُدّثَ بـه عن أبيك والحَسَنُ اذ ذاك عند محبوس له فقال : يا أبا فِراسٍ ما عندك ان كان ذلك ؟ فقـال : والله يا أبا سعيدٍ لله أحَبُ اليّ من سمعي وبصري ومن مالي وولدي ومن أهلي وعشيرتي أفتراه يخذُلني . فقال الحسنُ : لا وكان عمر ابن يزيد الأُسَيْديُ شريفاً. حدثني التَوّزيُّ عن أبي عُبيدة قال : كان رجُل أهل البَصرةِ عُمَرَ بن يزيد الأُسَيديّ ورجلُ أهل الشام عمر بن هُبَـيرة الفَزاريّ ورجل أهل الكوفة بلالَ بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري فقيل ذلك لعمر بن عبد العزيز فقال : أجَل لولا خِبٌ في بلالٍ ، فقال بلالٌ لما بلغه ذلك رَمَتني بدائها وانسلّت ، وقتله مالك بن المُنـذر تَعَصُّبـاً فيما تـذكره المُضَريّةُ فلما دُخِل بمالك على هشام أقبَلَ على أصحابه فقال أما رأيتم عمر بن يزيد أما اني ما تَمَنّيتَ أن تكون أمي وَلَدَتْ رجلاً من العرب غَيرَهُ ثم قال لمالك قَتَلتَ والله خيراً منك حَسَباً ونَسَباً ودِيناً وعقِباً فقال : وكيف يا أمير المؤمنين ألَستَ ابن المنذر بن الجارود وابن مالك بن مِسْمعٍ وكان جَدّهُ أبا أمّه وجعل عمر والسياطُ تأخذه ينادي يا هِشاماهْ ففي ذلـك يقول الفَرَزدقْ :

ألم يَكُ مقتلُ العبْديّ ظُلْماً أبا حفْصٍ من الكُبَر العِظام

Marfat.com

قتيلُ جماعةٍ في غير حـــقٍّ يُقطّعُ وهو يدعو يا هشـــام

والتقى الحَسَنُ والفرزدق في جنازةٍ فقالالفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون اجتمع في هذه الجنازة خيرُ الناس وشرُّ الناسِ . فقال الحسن كلا لستُ بخيرهم ولَستَ بشرهم ولكن ما أعدَدْتَ لهذا اليوم ، فقال شهادة أن لا اله الا الله منذ ستون سنة وَخَمْسَ نجائبَ لا يُدْرَكنَ يعني الصلوات الخمسَ فيزعم بعض التَميميّة انه رُئيَ في النوم فقيل له مـــا صَنَعَ بك ربُّك فقال غَفر لي فقيل له بأيّ شيء فقال بالكلمة التي نازعني فيها الحسنُ . وحدثني العبـــاس بن الفَرَج الرياشيُ في إسناد ذكَرَه قال كان الفرزدق يخرُجُ من منزله فيرى بني تميم والمصاحفُ في حُجورهم فيُسَرّ بذلك ويجذَلُ به ويقول : ايهٍ فداً لكم أبي وأمي كذا والله كان آباؤكم (قال أبو الحسن انما هو فِداءٌ لكم فمن فتَحَ قَصَرَ لا غير ومن كَسر مدّ لكنه قصَر الممدود على هذه الرواية) قال أبو العبـاس ونظر اليه أبو هُريرة الدوْسيُ فقال له : مهما فعلتَ فقَنَطك الناس فلا تقنط من رحمة الله ثم نظر الى قدميه فقال ، اني أرى لك قدمين لطيفتين فابْتغِ لهما موقفاً صالحاً يوم القيامة يقال قنِطَ يَقنطُ وقنط يَقنِطُ وكلاهما فصيح فاقرأ بايهما شئت وكذلك نَقِم يَنقَمُ ونقَم ينقِم والفرزدق يقول في آخر عُمْرِه حين تعلّقَ باستار الكعبة وعاهد الله أن لا يكذب ولا يشتمَ مسلما

ألم ترني عاهدتُ ربي وأنني لبَيْن رتاجٍ قائماً ومقامِ
على حلفةٍ لا اشتِمُ الدهرَ مسلماً ولا خارجاً من فيّ زورُ كلام

وفي هذا الشعر :

أطعتُك يا ابليسُ تسعين حِجّة فلمـا انقضى عمْري وتمّ تمامي
رجعتُ الى ربي وأيقنتُ أنني مُـــلاقٍ لأيام المَنون حِمامي

قوله: لبَينَ رتاجُ فالرتاج علقُ الباب ويقال باب مُرتجٌ أي مُغلقٌ ويقالُ أرْتجَ على فلان أي أُغلِقَ عليه الكلام، وقولُ العامة ارْتُجّ عليه ليس بشيء الا ان

Marfat.com

التَوَّزيُّ حدثني عن أبي عُبَيدةَ قال يقال أُرتُجَّ عليه ومعناه وقعَ في رَجَّة أي في اختلاط وهذا معنى بعيد جداً ، وقوله : ولا خارجاً انما وضعَ اسم الفاعل في موضع المصدر أراد لا أشتِمُ الدهر مُسلماً ولا يخرُجُ خروجاً من فيَّ زُور كلامٍ لأنه على ذا أقسمَ ،والمصدر يقع في موضع اسم الفاعل يقال: ماءٌ غَوْرٌ أي غائر كما قال الله عز وجل : إن أصبَحَ ماؤُكم غَوْراً. ويقال: رجل عَدلٌ أي عادل ويوم غمَ أي غامٌ ، وهذا كثير جداً فعلى هذا جاء المصدر على فاعِلٍ كما جاء اسم الفاعل على المصدر يقال : قُمْ قائماً فيوضع في موضع قولك قُم قياماً وجاء من المصدر على لفظ فاعِلٍ حروفٌ منها فَلِجَ فالجاً وعُوفيَ عافية وأحْرُفٌ سوى ذلك يسيرة. وجاء على مَفعول نحو رجل ليس له مَعقولٌ وخذ مَيسورَهُ ودَعْ مَعْسوره لدخول المفعول على المصدر ، يقال : رجل رِضاً أي مَرضيٌّ وهذا درهم ضَربُ الأمير أي مَضْروبٌ وهذه دَراهم وزن سبعةٍ أي مَوْزونةٌ . وكانعيسىبن عمر يقول انما قوله لا أشتِمُ حال فأراد عاهَدتُ ربي في هذه الحال وأنا غير شاتِمٍ ولا خارجٍ من فِيَّ رورُ كلامٍ ولم يَذكُر الذي عاهَدَ عليه . وقال الفرزدق في أيام نُسكِهِ :

أخافُ وراء القَبرِ إن لم يُعافِني ... أشدَّ من القبرُ التَهابـاً وأضْيقا
اذا قادَني يومَ القيامة قائِـدٌ ... عنيفٌ وسَوّاقٌ يَسوقُ الفَرزْدقا
لقدْ خابَ منأولاد آدمَ من مَشى ... الى النار مَغلولَ القِلادةِ مُوثَقا
إذا شَربوا فيها الحميمَ رأيتَهُم ... يَذوبون من حَرّ الحميم تمزُّقـا

وحدثني بعض أصحابنا عن الأصمعيِّ عن المُعْتَمِر بن سُليمان عن أبي مخزومٍ عن أبي شَقفَلٍ راويةِ الفرزدق قال : قال لي الفرزدق يوماً امْضِ بنا الى حَلقةِ الحسنِ فإني أريد ان أُطلِّق النَوارَ . فقلتُ : إني أخاف عليك أن تَتْبَعها نفسُك ويَشْهَد عليك الحسن وأصحابه . فقال : امْض بنا فجئنا حتى وقَفنا على الحسن ، فقال كيف أصْبَحت يا أبا سعيدٍ ؟ فقال : بخَير كيف أصبحت يا أبا فِراسٍ ؟ قال تَعَلَّمْنَ أن النوار مني طالق ثلاثاً . فقال الحسنُ

Marfat.com

وأصحابه : قد سمعنا . قال : فانطلقنا . قال فقال لي الفرزدق يا هذا ان في قلبي من النَوار شيئاً ، فقلت قد حَذَّرْتُك فقال :

ندِمْتُ ندامة الكُسَعيِّ لمّا غَدَتْ مِني مُطلّقةً نَوارُ
(وكنتُ كفاقئٍ عَيْنَيه عمْداً فأصْبَح لا يُضيءُ له النهارُ
وما فارقتها شِبَعاً ولكنْ رأيتُ الزُهْد يأخذ ما أُعارُ)
وكانتْ جنّتي فَخرجْتُ منها كآدم حين أخْرجَه الضِرارُ
ولو أني ملكْتُ يدي ونفسي لكان عَليَّ للقدَر الخيارُ

قال الأصمعي ما روى المعتمر هذا الشعر الا من أجل هذا البيت :

٩ - باب

قال لقيطُ بن زُرارة :

شربْتُ الخمرَ حتى خِلتُ أني أبو قابوس أو عبْدُ المَدانِ
'امشّي في بني عُدَسَ بن زيْدٍ رخِيَّ البالِ مُنطلِق اللسانِ

وحدثني أبو عثمان المازني قال : 'امِر رجلٌ يوم الحسين بن عليٍّ رضي الله عنه فأُتيَ به يزيدُ بن معاوية ، فقال له أليس أبوك القائِل :

'ارجُلُ 'جمّتي وأجُرُّ ذيْلي وتحْمِلُ شِكّتي 'افُكٌ 'كميْتُ
'امشّي في سَراة بني غُطَيْفٍ اذا ما سامني ضيْمٌ أبيْتُ

قال : بَلى فأمَر به فقُتِل. قال أبو العباس ونُمي اليّ أن معاوية ولّى كثير ابن شِهاب المَذْحِجيّ خُراسان فاختانَ مالاً كثيراً ثم هرب فاستتر عند هانىء بن عُرْوة المُرادي فبلغ ذلك معاوية فنذر دم هانىء فخرج هانىء فكان في جوار معاوية ثم حضر مجلسهُ ومعاويةُ لا يعرفهُ ، فلما

Marfat.com

نهَضَ الناس َثبتَ مكانه فسأله معاوية عن أمره فقال : أنا هانىءُ بن عُروَةَ فقال : إن هذا اليومَ ليس بيومٍ يقولُ فيه أبوك أُرَجِّلُ ُجمّتي الشِعْرَ فقال له هانىء :أنا اليوم أَعزُّ مني ذلك اليومَ . فقال له: بِمَ ذاكَ؟ فقال: بالإسلام يا أمير المؤمنين . فقال له : أين كثيرُ بنِ شهابٍ ؟ قال: عندي في عَسكَرِكَ يا أمير المؤمنين فقال له معاوية : انظُرْ إلى ما اختانه فخُذْ منه بَعْضاً وسَوْغْهُ بَعْضاً . وقال أعرابي :

ولقد شَرِبتُ الرّاحَ حتى خِلتُني لما خَرَجْتُ أجُرُّ فضلَ المِئْزَرِ
قابوسَ أو عَمْروَ بنَ هِندٍ ماثلاً يُحْبى له ما دونَ دارةِ قَيْصَرِ

وقال آخر :

شَرِبْنا من الدّاذِيِّ حتى كأننا مُلوكٌ لهُم بَرُّ العِراقَينِ والبَحرُ
فلمّا انجَلَتْ شمسُ النّهارِ رأيتُنا نتولّى الغِنى عَنّا وعاوَدَنا الفَقْرُ

وقال آخر وهو عبد الرحمن بن الحكم :

وكأسٍ ترى بَيْنَ الإناءِ وبَيْنَها قَذى العَينِ قدْ نازَعْتُ أمَّ أبانِ
تَرى شارِبَيْها حينَ يَعْتَوِرانِها يَميلانِ أحْياناً ويَعْتدِلانِ
فما ظَنُّ ذاالواشي بأرْوَعَ ماجِدٍ وبَدّاهَ خَوْدٍ حينَ يَلْتَقِيانِ

وقال آخر :

دَعَتْني أخاها أمُّ عَمْروٍ ولم أكُنْ أخاها ولم أرْضَعْ لها بلَبانِ
دَعَتْني أخاها بَعدَما كان بَيْنَنا من الأمْرِ ما لا يَفْعَلُ الأخوانِ

وقال آخر (أنشده أبو عليّ لأمّ ضَيْغَمٍ البَلَوِيّةِ) :

فَبِتْنا فَوَيْقَ الحَيِّ لا نَحْنُ مِنْهُمُ ولا نَحْنُ بالأعْداء مُخْتَلِطانِ
وباتَ يَقِينا ساقِطَ الطلِّ والنَدى من اللّيْلِ بُرْدا يَمْنَةٍ عَطِران
نُعَدّي بذِكرِ اللهِ في ذاتِ بَيْنِنا إذا كانَ قَلْبانا بِنا يَرِدانِ

(قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس :

وَنَصْدُرُ عَنْ زيٍّ العَفافِ ورُبَّما نَقَعْنا غَليلَ النفْسِ بالرَشَفانِ)

Marfat.com

قال أبو العباس : نُعَدّي أي نَصْرِف الشر بذكر الله ، يقال : فَمَدّ عما تَرى أي فانصَرِفْ عنه إلى غيره . ويقال : لا يَعْدُوَنّكَ هذا الحديثُ أي لا يَتَجاوَزَنّكَ إلى غيرك . قال أبو العباس : وقال رجل من قُرَيْشٍ :

مَنْ تَقرَعِ الكأسُ اللئيمةُ سِنَّهُ فلا بُدّ يوماً ان يُسيءَ ويَجْهَلا
ولم أرَ مَطْلوباً أخَسّ غَنيمةً وأوْضَعَ للأشرافِ منها وأخْمَلا
وأجْدَرَ أنْ تَلْقى كريماً يَذُمُّها ويَشْتُرَها حتى يخِرَّ مُجَدَّلا
فوالله ما أدْري أخَبْلٌ أصابَهُمْ أمِ العَيْشُ فيها لم يُلاقوهُ أشْكَلا

وقال آخر :

إذا صَدَمَتْني الكأسُ أبْدَتْ محاسِني ولم يَخْشَ نَدْماني أذاتي ولا بُخْلي
ولستُ بفَحّاشٍ عليه وإنْ أسَا وما شكْلُ مَنْ آذى نَداماهُ مِن شكلي

وقال آخر :

كُلْ هَنيئاً وما شرِبْتَ مَريئاً ثمّ قُمْ صاغِراً فغَيْرُ كريمِ
لا أُحِبُّ النَّديمَ يُومِضُ بالعَيْـ ـنِ إذا ما انتَشى لعِرْسِ النَّديم

الإيماضُ تَفَتُّحُ البَرْقِ ولَمْحُهُ ، يقال أوْمَضَتْ المرأةُ إذا ابتَسَمَتْ وإنما ذلك تشبيه لِلَمْعِ ثناياها بِتَبَسُّمِ البرق فأراد أنه فَتَحَ عينه ثم غَمَّضَها بغمزٍ وقال حسّان بن ثابت :

كأنّ سَبيئَةً من بَيْتِ رأسٍ يكونُ مِزاجَها عَسَلٌ وماءُ
إذا ما الأشْرِباتُ ذُكِرْنَ يوْماً فهُنّ لِطَيِّبِ الراحِ الفِداءُ
يُوَلّيها الملامَةَ إن ألَمْنا اذا ما كان مَغْثٌ أو لِحاءُ
ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكاً وأُسْداً ما يُنَهْنِهُنا اللِّقاءُ

المَغْثُ المُماعَثَةُ باليد ، واللِّحاءُ المُلاحاةُ باللسان . يقول : يَعْتَذِرُ المُسيءُ بأن يقول كنتُ سَكرانَ فيُعْذَرُ . وقوله . كأنّ سَبيئَةً يقال سَبَأْتُها إذا اشتريتها سِباءً يعني الخمر ، والسابيءُ الخَمّارُ . وقوله : من بيت

Marfat.com

رأس يعني موضعاً كما يقال حارِثُ الجَوْلان .

١٠ - باب

قال أبو العباس : قال الأَحْنَفُ بن قَيْسٍ : ألا أدُلُّكم على المَحْمِدَةِ بلا مَرْزِئَةٍ الخُلُقُ السجيحُ والكفُّ عن القبيح، ألا أُخبِرُكم بأدْوَإِ الداء الخُلُقُ الدَّنِيءُ واللسانُ البَذِيءُ . وقال الأحنف : ثلاثٌ فيَّ ما أقولُهُنَّ إلا لِيَعْتَبِرَ مُعْتَبِرٌ ما دَخلت بين اثنين حتى يُدْخِلاني بينهما ولا أتيتُ بابَ أحدٍ من هؤلاء ما لم أُدْعَ اليه يعني السُّلطانَ ولا حَلَلْتُ حِبوَتي الى ما يقومُ اليه الناسُ تكسير الحاء وتضمها إذا أردتَ الاسم وتفتحها إذا أردتَ المصدر . أنشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ لجريرٍ :

قُتِلَ الزُّبَيْرُ وأنتَ عاقِدُ حِبْوةٍ قُبِحاً لِحِبْوَتِكَ التي لم تَحْلُلِ

ويقال في جمع حِبْوةٍ حِباً وحُباً مقصوران. وقال عُبَيْدُ الله بن عبدالله بن عُتبةَ : ما أحسَنَ الحسَنات في آثار السيّآت وأقبَحَ السيآت في آثار الحسنات وأقبَحُ من ذا وأحسَنُ من ذاكَ السيّآتُ في آثار السيّآت والحسناتُ في آثار الحسناتِ ، والعربُ تلتفُّ الخبرين المختلفين ثم تَرْمي بتفسيرهما جُمْلةً ثقةً بأن السامع يَرُدُّ الى كلِّ خَبَرَهُ . وقال الله عزّ وجل ومن رَحمَتِهِ جَعَلَ لكم الليل والنّهارَ لِتَسْكُنوا فيه، ولِتَبْتَغوا من فضْلِه . وقال رجل لسَلْمِ بن نَوفلٍ : ما أرْخَصُ السُّودد فيكم . فقال سَلْمٌ : أما نحنُ فلا نُسوِّدُ إلا من بَذَلَ لنا مالَهُ وأوْطأنا عِرْضَهُ وامتَهَنَ في حاجتنا نفسه . فقال الرجل : إن السُّوددَ فيكم لغالٍ . ولسَلْمٍ يقول القائل :

يُسَوِّدُ أقوامٌ وَلَيْسوا بسادةٍ بل السيّدُ المعروفُ سَلْمُ بن نوفلِ

قال معاوية لعرابَةَ بن أوْس بن قَيْظِيٍّ الأنصاريّ : بِمَ سُدْتَ قومَك؟ فقال : لَستُ بسيدهم ولكني رجلٌ منهم فعَزَمَ عليه . فقال : أعطيْتُ في نائبتهم وحَلُمْتُ عن سَفيهِهم وشَدَدْتُ على يَدَيْ حَليمهم فمَن فعل منهم مثلَ فعْلي فهو مثلي ومن قصَّرَ عنه فأنا أفضَلُ منه ومن تجاوزه فهو أفضل مني

Marfat.com

وكان سَببُ ارتفاعِ عَرابة أنه قَدِمَ من سَفرٍ فجَمَعه الطريقُ والشّماخ بن ضِرارٍ المُرّيّ فتحادثا فقال له عَرابةُ: ما الذي أقدَمَكَ المدينة ، قال قَدمْتُ لامْتار منها . فملأ له عرابةُ رواحِلَهُ بُرًّا وتمراً وأتحفه بغير ذلك. فقال الشّماخُ :

رأيتُ عرابةَ الأوْسيَّ يَسْمو إلى الخيراتِ مُنْقَطعَ القَرينِ
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ تلقّاهـــا عَرابـةُ باليَمينِ
إذا بَلّغْتِني وحَمَلْتِ رَحْلي عرابةَ فاشرَقي بدَمِ الوَتينِ
ومثلُ سَراةِ قوْمِكِ لم يُجارَوْا إلى رُبعِ الرّهانِ ولا الثمـــين

قوله : تلقّاها عرابةُ باليمين ، قال أصحاب المعاني معناه بالقوّة وقالوا : مثلَ ذلك في قول الله عزّ وجل : والسّمواتُ مَطوِيّاتٌ بيمينه ، وقد أحسنَ كلّ الإحسانِ في قوله :

اذا بلّغتني وحملتِ رحـــلي عرابةَ فاشرقي بدمِ الوتين

يقول : لستُ أحتاج الى ان أرحلَ الى غيره وقد عاب بعضُ الرُّواةِ قولهُ فاشرقي بدم الوتين ، وقال : كان ينبغي أن يَنظُرَ لها مع استغنائه عنها فقد قال رسولُ الله ﷺ للأنصارية المأسورة بمكة وقد نجَتْ على ناقة رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إني نذَرْتُ إنْ نجَوْتُ عليها أن أنحَرها. فقال رسول الله ﷺ : لبِئسَ ما جزيْتِها ، وقال : لا نذْرَ في معصيةٍ ولا نذر للانســان في غير ملكه. ومما لم يُعَبْ في هذا المعنى قول عبد الله بن رَواحةَ الأنصاريّ لما أمّرهُ رسولُ الله ﷺ بعد زيْدٍ وجَعْفرٍ على جيش مُؤْتة :

إذا بلّغتني وحملتِ رحلي مَسيرةَ أرْبُعٍ بعـــدَ الحِساءِ
فشانكِ فانعَمي وجـلاكِ ذمٌّ ولا أرجِعْ الى أهْـــلي وَرائي

الحِساءُ جمع حِسْيٍ وهو موضع رمْلٍ تحته صلابةٌ فإذا مَطرَتِ السماءُ على ذلك الرمل نزل الماء فمَنَعَتْهُ الصّلابـــةُ أن يغيضَ ومنعَ الرملُ السّمائمَ أن تنشّفهُ فاذا بُحِثَ ذلك الرملُ أصيب الماء يقال حِسْيٌ وأحساءٌ وحِساءٌ

Marfat.com

ممدودة. وقوله: ولا أرجع الى أهلي ورآئي مجزوم لانه دعاء فقوله لا هي الجازمة لهومعناه اللهم لا أرْجِعْ كما تقول يقول زيد لا يَغْفِر الله له فهذا الدعاء يَنجَزِمُ بما ينْجزمُ به الأمر والنهي كما تقول زيد لِيَقُمْ وزيد لا يَبْرحْ وقد اتّبَع ذو الرُمّة الشّماخَ في قوله :

اذا ابنَ أبي موسى بلالاً بَلغْتِه فقامَ بفأسٍ بينَ وِصْليْك جازِرُ

الوِصل المفْصِلُ بما عليه من اللحم يقال قطَعَ اللهُ أوصاله ويقال وِصْلٌ وكِسرٌ وِجدلٌ في معنى واحد .

١١ - باب

قال أبو العباس: أنشدني التوّزيُّ لرجل من رُجّاز بني تميم في وقْعة الجفْرة:

نحْنُ ضربْنا الأردَ بالعراق والحيُّ من ربيعةَ المرّاق
وابنَ سُهيْلٍ قائدَ النّفاق بلا مَعونات ولا أرزاق
إلا بقايا كرَمِ الأعْراق لشِدّة الخَشْية والإشْفاق
من المخازي والحديثِ الباقي

الأعْراقُ جمع عِرْقٍ يقال فلان كريم العِرْقِ ولئيم العِرْق أي الأصل .

وقال آخر يصِفُ ابنه :

أعرِفُ منهُ قِلّةَ النُعاسِ وخِفّةً في رأسِه من رأسي
كيفَ ترَيْنَ عنْدَهُ مراسي

يخاطب أمُّ ابنه فقوله : أعرف منه قلة النعاس أي الذّكاء والحركة وكان عبد الملِك بن مرْوانَ يقول لمؤَدّبِ ولده: عَلّمْهُمُ العَوْم وهَذّبْهُمْ بقلة النوم. وكذا قال أبو كبيرٍ الهُذَليُّ :

فأتتْ به حُوشَ الجنانِ مُبَطّناً * سُهُداً اذا ما نامَ ليْلُ الهَوْجَلِ

وقال الآخر :

فجاءتْ به حُوشَ الفُوادِ مُسَهّداً وأفضَلُ أولادِ الرّجال المُسَهّدُ

وقال رسول الله ﷺ : إنّ عَيْنَيّ تنامانِ ولا ينامُ قلبي . وقال عُرْوَةُ

* حوش الجنان : أي مستوحش الفؤاد لا ينام . وأتت به : ولدته .

Marfat.com

ابن الوَرْدِ العَبْسيُّ وهو عُرْوَةُ الصَّعاليك :

لحا اللهُ صُعْلوكاً اذا جَنَّ لَيْلُهُ مُصافي المُشاشِ آلِفاً كلَّ مجزَرِ
(يَعُدُّ الغِنى من نفْسِه كلَّ ليلةٍ أصابَ قِراها من صديقٍ مُيَسَّرِ)
ينامُ ثقيلاً ثم يُصْبِحُ قاعداً يَحُثُّ الحصى عن جَنْبِهِ المُتَعَفِّرِ
يَعِيبُ نساءَ الحيِّ ما يَسْتَعِبْنَهُ فيُضْحي طليحاً كالبعيرِ المُحَسَّرِ
ولكنَّ صُعْلوكاً صَفيحةُ وجْهِهِ كضَوْءِ سراجِ القابسِ المُتَنَوِّرِ
مُطِلاً على أعدائِه يَزْجُرونَهُ بساحَتِهِمْ زَجْرَ المَنيحِ المُشَهَّرِ
وإنْ يَعْدُوا لا يأمنونَ اقترابَهُ تَشَوُّفَ أهْلِ الغائبِ المُتَنَظِّرِ
فذلكَ إنْ يَلْقَ المَنِيَّةَ يَلْقَها حميداً وإنْ يَسْتَغْنِ يوماً فأجْدِرِ
(يُريحُ عليَّ الليلَ أضيافُ ماجدٍ كريمٍ ومالي سارِحاً مالُ مُقْتِرِ

قال أبو الحسن : كذا أنشده فذلك لأنه لم يَرْوِ أوّل الشعر والصواب كسر الكاف لأنه يخاطب امرأةً ألا تراه قال :

أقِلِّي عليَّ اللَّوْمَ يا ابنةَ مالكٍ ونامي وإنْ لم تَشْتَهي ذاكِ فاسْهَري)

قوله : يحث الحصى عن جنبه المتعفر، يريد المُتَرَّبَ والعَفْر والعَفَر أسماء للتراب، من ذلك قولهم عَفَّرَ الله خَدَّهُ ويقال للظَّبْيَةِ عَفْراءُ إذا كانت يَضْرِبُ بياضُها إلى حُمْرة . وكذلك الكَثيبُ الأعْفَرُ، وقوله كالبعير المحسر هو المُعْيي يقال جملٌ حسير وناقة حسير . قال الله عزّ وجل : ينْقَلِبْ اليكَ البصرُ خاسئاً وهو حسيرٌ . وقوله : وان يعُدوا لا يأمَنون اقترابه ، على التقديم والتأخير أراد لا يأمنون اقترابه وان يعدوا وهذا حسن في الإعراب اذا كان الفعل الأوّل في المجازاة ماضياً كما قال زُهَيرٌ :

وان أتاه خليلٌ يومَ مسْئلةٍ يقولُ لا غائبٌ مالي ولا حَرِمُ

فان كان الفعلُ الأول مجزوماً لم يَجُزْ رفع الثاني إلا ضرورة فسيبويه يذهب الى أنه على التقديم والتأخير وهو عندي على ارادة الفاء لعِلّةٍ تلزمُهُ في مذهبه

Marfat.com

نذكرها في باب المجازاة إذا جرى في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، فمن ذلك قوله :

يا أقرَعُ بن حـــابسٍ يا أقرعُ إنكَ إن يُصْرَعْ أخوك تُصْرَعُ

أراد سيبويه إنكَ تُصْرَعُ إن يُصرَعْ أخوك ، وهو عنـدي على قوله إن يُصرَعْ أخوك فأنت تُصرَعُ يا فتى ونَستقْصي هذا في بابه ان شاء الله تعالى .

وقوله : كيف تَرَيْنَ عنده مراسي. يقول للمرأة: عَزَزْتُكِ على شَبَهِهِ ويقال أنجَبُ الأولاد ولدُ الفارك وذلك لأنها تُبغِضُ زوجها فيَسبِقُها بمائه فيخرُجُ الشَبَهُ اليه فيخرج الولد مُذَكّراً . وكان بعض الحكماء يقول : إذا أردت أن تطْلُبَ ولد المرأة فأغضِبْها ثم قَعْ عليها فإنك تسْبِقُها بالمـــاء وكذلك ولد الفَزَعَة كما قال أبو كبيرٍ الهُذَليُّ :

مِمَّنْ حَمَلْنَ به وهُنَّ عَواقِدٌ حُبُكَ النِّطاقِ فشَبَّ غيرَ مُهَبَّلِ

(المهبل الكثير اللحم ومُهَبَّلٌ غير مدْعُوٍ عليه بالهَبَل)

حَمَلتْ به في ليْـــلةٍ مزْؤودةٍ * كرْهاً وعقْدُ نطاقها لم يُحْلَلِ

مزؤودة ذات زُؤُدٍ وهو الفزَعُ ، فمن نَصب مزؤودة فإنما أراد المرأة ومن خفض فانه أراد الليلةَ وجعل الليلة ذات فزَعٍ لأنه يُفْزَعُ فيها . قال الله عزّ وجل : بَلْ مَكرُ الليلِ والنهارِ ، والمعنى بل مَكرُكمْ في الليل والنهـار . وقال جرير :

لقدْ لُمتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُّرى ونِمْتِ وما ليلُ المطِيِّ بنائم

وقال آخر : فنامَ ليْلي وتجَلّى همّي ، وهذا الرجز ضدٌّ ما قال الآخر في ولده فإنه أقرّ بأن امرأته غلَبَتْهُ على شَبَهِه وذلك قوله :

والله مـا أشْبَهَني عِصـامُ لا خُلُقٌ منـهُ ولا قَوامُ

نِمْتُ وعِرْقُ الخالِ لا ينامُ

يقول عزّتني أُمُّهُ على الشَّبَهِ فذهبَتْ به الى أخواله . وقال آخر :

لقد بَعُثْتُ صاحباً من العَجَمْ بينَ ذوي الأحْلامِ والبِيضِ اللِّمَمْ

كان أبوهُ غائباً حتى فُطِمْ

* حملت به... ويروى هذا البيت على لسان أم الحطيئة الشاعر، ومزؤدة : ذات كرب وفزع.

Marfat.com

يقول لم يُسْقَ غيلاً . وقال رسول الله ﷺ : هَمَمْتُ أن أنهى أمّتي عن الغيلةِ حتى عَلِمْتُ أنّ فارسَ والرُّومَ تفعل ذلك بأولادها فلا تضيرُ أولادها ، والغيلة أن تُرْضِعَ المرأةُ وهي حامل أو تُرْضَعَ وهي تُغشى ويَزْعُمُ أهلُ الطِبِّ من العرب والعجم ان ذلك اللبنَ داءٌ . وقالت أمُّ تأبّط شرًّا : والله ما حَمَلْتُهُ تُضْعاً ووُضْعاً أبضاً ولا وَضعتُهُ يَتْناً ولا سقَيْتُهُ غَيْلاً ولا أَبَتُّهُ مِسْقاً . وقال الأصمعي : ولا أَبَتُّهُ على مأقةٍ . قولها ما حملته تُضْعاً يقال اذا حملتْ المرأة عند مَقْبلِ الحيض حَمَلَتْهُ وُضعاً وتُضْعاً وإذا اخرجتْ رجلا المولود من قبل رأسه قيل وضَعَتْهُ يَتْناً . قال الشاعر :

فجاءَتْ به يَتْناً يجُرُّ مَشيمةً تُسابقُ رِجلاهُ هناك الأنامِلا

ويقال للرجل إذا قلبَ الشيءَ عن جهته جاء به يَتْناً قال عيسى بن عمر : سألت ذا الرُّمّةِ عن مسئلة فقال لي: أتعرِفُ اليَتْنَ؟ قلتُ نعم ، قال: فسِئلتك هذه يَتْنٌ ، قال: وكنت قد قلبت الكلام ، والغَيْلُ ما فسرناه وأما قولها ولا أبتُّه مِسْقاً تقول : لم أُبِتْهُ مغيظاً وذلك ان الخرْقاءَ تبيتُ ولدها جائعاً مَغْموماً لحاجته إلى الرضاع ثم تحركه في مَهْده حتى يغلبه الدُوارُ فيُنَوِّمَهُ والكَئِيبةُ تُشْبِعُهُ وتُغَنّيه في مهْده فيسْري ذلك الفَرحُ في بدنه من الشِبَع كما يسري ذلك الغمُّ والجوع في بدن الآخر . ومن أمثال العرب: أنا يَتِقٌ وصاحبي مَتِقٌ فكيف نتّفِقُ : التتق المملوء غيظاً وغضباً ، والمتق القليل الاحتمال فلا يقع الاتفاق .

١٢ - باب

قال أبو العباس: قال ابن عباس رضي الله عنهما: لا يُزَهِّدَنّك في المعروف كُفْرُ من كفره فإنه يشكرُك عليه من لم تصطَنِعْهُ اليه . وانشدَ عبدُالله بن جعفر قولَ الشاعر :

إنّ الصَنيعةَ لا تكونُ صنيعةً حتى تُصيبَ بها طريقَ المَصْنَعِ

Marfat.com

فقال : هذا رجل يريد أن يُبَخِّلَ الناس، أَمْطِرِ المعروف مَطَراً فإن صادف موضعاً فهو الذي قصَدْتَ وإلا كنتَ أحقَّ به. (قال أبو الحسن الأخفش حدّثنا المبرّد في غير الكامل قال: قال الحسن والحُسَيْنُ رضوان الله عليهما لعبد الله بن جعفرٍ انك قد أسْرَفتَ في بذْلِ المال . قال : بأبي أنتما وأُمّي ان الله عوّدَني أن يُفْضِلَ عليَّ وعوَّدْتُهُ أن أُفضِلَ على عباده فأخاف أن أقْطِعَ العادةَ فيَقْطعَ عني). ومرَّ يَزيدُ بن المُهَلَّبِ بأعرابيّة في خروجه من سجْنِ عمر بن عبد العزيز يريد البَصْرة فقَرَتْهُ عَنْزاً فقَبِلَها وقال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ فقال : ثماني مائةِ دينارٍ . قال : فادْفَعْها اليها. قال له ابنه : إنك تريد الرجالَ ولا يكون الرجالُ إلا بالمال، وهذه يُرْضيها اليسير وهي بعْدُ لا تَعْرِفُكَ . فقال له: إن كانت ترضى باليسير فأنا لا أرضى إلا بالكثير وإن كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي، ادْفَعْها اليها. وزعم الأصمعي أن حرباً كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقَمَ الأمر فيها ثم مُشِيَ بين الناس بالصُلح فاجتمعوا في المسجد الجامع قال : فبُعِثْتُ وأنا غلام الى ضِرار بن القَعْقاع من بني دارِمٍ فاستأذنتُ عليه فأذِنَ لي فدخلتُ فإذا به في شَمْلةٍ يخْلِطُ بَزْراً لِعَنْزٍ له حَلوبٍ فخَبَرْتُهُ بمُجْتَمَعِ القوم فأمْهَلَ حتى أكلت العنز ثم غسَل الصَفْحة وصاح : يا جارية غَدِّينا قال فأتته بزيت وتمر . قال : فدعاني فقَذَرْتُهُ أن آكُلَ معه حتى إذا قضى من أكله حاجةً وثَبَ الى طينٍ مُلْقىً في الدار فغَسل به يَدَهُ ثم صاح : يا جارية اسقيني ماء . فأتته بماء فشَرِبَهُ ومسح فَضْلَهُ على وجهه ثم قال : الحمد لله ماءُ الفُراتِ بتمر البصرة بزيت الشام متى نُؤدّي شُكْرَ هذه النِعَمِ . ثم قال: يا جارية عليَّ بردائي. فأتته بِرِداءٍ عَدَنِيٍّ فارْتدَى به على تلك الشَمْلةِ . قال الأصمعي : فتجافَيْتُ عنه استحياءً لزِيِّه فلما دخل المسجد صلى ركعتين ثم مشى الى القوم فلم تَبْقَ حُبْوَةٌ إلا حُلَّتْ إعْظاماً له. ثم جلس فتَحَمَّلَ جميعَ ما كان بين الأحياء في ماله وانصرف. وحدثني أبو عثمان بكر بن محمد المازِنيُّ عن أبي عُبيدة قال: لما أتى زِيادُ بن عمرو المِرْبَدَ في عَقِبِ قتلِ مسعود بن عمرو العَتَكِيّ جعلَ في المَيْمَنةِ بَكرَ بن وائل وفي

Marfat.com

لميسرة عبد القيس وهم لكنيز بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة وكان زياد بن عمرو العتكي في القلب فبلغ ذلك الأحنف فقال: هذا غلام حدث شأنه الشهرة وليس يبالي أين قذف بنفسه فندب اصحابه فجاءه حارثة بن بدر الغداني وقد اجتمعت بنو تميم فلما طلع قال: قوموا الى سيدكم ثم أجلسه فناظره فجعلوا سعداً والرباب في القلب ورئيسهم عبس بن طلق الطعان المعروف باخي كهمس وهو أحد بني صريم بن يربوع فجعل في القلب بحذاء الأزد وجعل حارثة بن بدر في بني حنظلة بحذاء بكر بن وائل وجعلت عمرو بن تميم بحذاء عبد القيس فذلك حيث يقول حارثة بن بدر للأحنف:

سيكفيك عبس أخو كهمس ... مقارعة الأزد بالمربد
وتكفيك عمرو على رسلها ... لكنيز بن أفصى وما عدوا
وتكفيك بكراً إذا أقبلت ... بضرب يشيب له الأمرد

فلما تواقفوا بعث اليهم الأحنف: يا معشر الأزد وربيعة من أهل البصرة أنتم والله أحب الينا من تميم الكوفة وأنتم جيراننا في الدار ويدنا على العدو وأنتم بدأتمونا بالأمس ووطئتم حريمنا وحرقتم علينا فدفعنا عن أنفسنا ولا حاجة لنا في الشر ما أصبنا في الخير مسلكاً فتيمموا بنا طريقة قاصدة. فوجه اليه زياد بن عمر: تخير خلة من ثلاث: إن شئت فانزل أنت وقومك على حكمنا، وإن شئت فخل لنا عن البصرة وارحل أنت وقومك الى حيث شئتم، وإلا فدوا قتلانا واهدروا دماءكم وليود مسعود دية المشعرة. قال ابو العباس: وتأويل قوله دية المشعرة يريد أمر الملوك في الجاهلية وكان الرجل إذا قتل وهو من أهل بيت المملكة ودي عشر ديات. فبعث اليه الأحنف: سنختار فانصرفوا في يومكم. فهز القوم راياتهم وانصرفوا فلما كان الغد بعث اليهم: إنكم خيرتمونا خلالاً ليس فيها خيار: أما النزول على حكمكم فكيف يكون والكلم يقطر دماً، وأما ترك الديار فهو أخو القتل. قال

Marfat.com

الله عزّ وجل : ولو أنّا كتَبْنا عليهم أن اقتُلوا أنفسكم أو اخرُجوا من دِيارِكمْ ما فَعَلوهُ إلا قليلٌ .ولكنَّ الثالثة إنما هي حَمْلٌ على المال فنحن نُبْطِلُ دماءنا ونَدي قتْلاكمْ وإنما مسعودٌ رجل من المسلمين وقد أذْهبَ اللهُ أمر الجاهلية . فاجتمع القوم على أن يَقِفوا أمر مسعودٍ ويُغْمِدَ السيفُ ويُودى سائرُ القَتْلى من الأزْدِ وربيعة فتَضمَّنَ ذلك الأحنفُ ودَفعَ إياسَ بن قتادةَ الجاشِعيّ رَهينةً حتى يُؤدَّى هذا المالُ فرَضِيَ به القومُ ففَخَرَ بذلك الفرَزْدقُ فقال:

ومِنّـــا الذي أعْطى يَدَيْهِ رَهينةً لِغارَيْ مَعَدٍّ يومَ ضَرْبِ الجماجمِ
عَشِيَّةَ سالَ المِرْبَدانِ كلاهُما عَجاجةَ مَوْتٍ بالسيوفِ الصَّوارِمِ
هُنالك لو تَبْغي كُلَيْباً وَجدْتَها أذلَّ من القِرْدانِ تحتَ المَناسِم

(قال أبو الحسن : وكان أبو العباس ربما رواه لغازي مَعَدٍّ) ويقال أن تميماً في ذلك الوقت مع باديتها وحَلفائها من الأساوِرَةِ والسَّيابِجَةِ وغيرهم كانوا زُهاءَ سبعين الفاً ، ففي ذلك يقول جرير :

سائِلْ ذَوي يَمَنٍ ورَهْطَ مُحَرِّقٍ والأزْدَ إذْ ندَبوا لنـــا مَسْعودا
فـــأتاهُمُ سَبْعون الفَ مُدَجَّجٍ مُتَسَرْبِلِينَ يَلامِقاً وحَـــديدا

قال الأحنفُ بن قيْسٍ : فكَثُرَتْ عليَّ الدِياتُ فلم أجِدْها في حاضرة تميم فخرجتُ نحوَ يَبْرينَ فسألتُ عن المقصود هناك فأرْشِدْتُ إلى قُبّةٍ فإذا شيخٌ جالس بفنائها مُؤْتزرٌ بشَمْلةٍ مُحْتَبٍ بجبل فسَلّمْتُ عليه وانتسبت له فقال : ما فعَلَ رسولُ الله ﷺ . فقلت : تُوُفّيَ صلوات الله عليه . قال : فما فعَلَ عُمَرُ بن الخطاب الذي كان يحْفَظُ العرب ويَحوطُها . فقلت له : مات رحمه الله تعالى . قال : فأيُّ خَيْرٍ في حاضرتكم بعدهما . قال : فذكرتُ له الدياتِ التي لَزِمَتْنا للأزْد وربيعة قال : فقال لي : أقِمْ فإذا راعٍ قد أراح الفَ بعير ، فقال : خُذْها ثم أراحَ عليه آخرُ مثلها . فقال : خذها . فقلت : لا أحتاج اليها. قال: فانصرفتُ بالألف عنه ووالله ما أدري من هو الى الساعة.

Marfat.com

قوله المناسِم واحدها مَنْسِمٌ وهو ظفرُ البعير في مُقدَّمِ الخُفِّ: وهو من البعير كالسُّنْبُكِ من الفَرس. وقوله : عشية سالَ المربَدانِ كلاهما يريد المِرْبَدَ وما يليه مما جرى مجْراه ، والعرب تفعل هذا في الشيئين إذا جرَيا في بابٍ مَجْرىً واحداً . قال الفرزدق :

أخَذْنا بآفاقِ السَّماءِ عليكم لنا قَمَراها والنُّجومُ الطَّوالِعُ

يريد الشمس والقمر لأنهما قد اجتمعا في قولك النَّيِّران وغلَبَ الاسم المُذَكَّرُ وإنما يُؤْثِرُ في مثل هذا الخِفَّةُ. وقالوا :العُمَران لأبي بَكرٍ وعُمَرَ فان قال قائل: إنما هو عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز فلم يُصِبْ لأن اهل الجَمَلِ نادَوْا بعَلِيِّ بن ابي طالب رضي الله عنه : أَعْطِنا سُنَّةَ العُمَرَيْنِ . فان قال قائل: فلِمَ لَمْ يقولوا أَبَوَيْ بكرٍ وابو بكر أفضلهما؟ فلأن عمر اسم مفرد وإنما طلبوا الخفة . وانشدني التوَّزِيُّ عن ابي عُبيْدَةَ لجرير :

وما لِتَغْلِبَ إنْ عدُّوا مساعِيَهُمْ نَجْمٌ يُضيءُ ولا شمسٌ ولا قمر
ما كان يَرْضى رسولُ الله فِعْلَهُمُ والعُمَرانِ ابو بكر ولا عُمَرُ

هكذا انشَدَنيه (إنما قال هكذا انشدنيه لأن غير التَّوَّزِيِّ يرويه والطيْبان أبو بكر ولا عمر) . وقال آخر (هو حُمَيْدٌ الأرْقطُ) : قَدْنِيَ من نصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي ، يريد عبد الله ومُصْعَبا ابني الزُّبَيْر ، وإنما أبو خُبَيْبٍ عبد الله . وقرأ بعضُ القرَّاء سَلامٌ على الياسِينَ فجَمَعَهُمْ على لفظ الياسَ. ومن ذا قولُ العرب المسامِعَةُ والمهالِبَةُ والمناذِرَةُ فجَمَعَهُمْ على اسم الأب. والمُشْعَرَةُ اسم لقَتْلى الملوك خاصَّةً كانوا يُكْبِرونَ أن يقولوا قُتِلَ فلانٌ فيقولون أُشْعِرَ فلانٌ من إشعار البُدْنِ . ويروى ان رجلاً قال : حضرتُ الموْقِفَ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصاح به صائح : يا خليفةَ رسول الله ثم قال يا امير المؤمنين. فقال رجلٌ من خلفي دعاه باسم مَيِّتٍ، ماتَ والله امير المؤمنينَ . فالتَفَتُّ فإذا رجل من بني لهْبٍ وهم من بني نصْرِ بن الأزْدِ وهم ازْجَرُ قوم . قال كُثَيِّرٌ :

Marfat.com

سألتُ اخا لهْبٍ لِيَزْجُرَ زجْرةً وقد صار زَجْرُ العالمين الى لهْبِ

قال: فلما وقفنا لرمي الجمارِ اذا حصاةٌ قد صَكَّتْ صلْعةَ عمر فأدْمتْهُ فقال قائل : أُشعِرَ والله امير المؤمنين لا يَقِفُ هذا الموْقفَ ابداً . فالتفَتْ فإذا بذلك اللهْبِيْ بعينه ، فقُتِلَ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه قبل الحوْلِ .

١٣ - باب

قال ابو العباس : أنشدَني رجل من أصحابنا من بني سَعْدٍ قال : أنشدني أعرابي في قصيدة ذي الرُمّةِ :

ألا يا أسْلمَي يا دارَمَيْ على البِلى ولا زالَ مُنْهَلاً بجَرْعائِكِ القطْرُ

بيتين لم تأتِ بهما الرُواةُ وهما :

رأيتُ غُراباً ساقطاً فوق قَضْبةٍ من القَضْبِ لم ينْبُتْ لها ورَقٌ نَضْرُ
فقلتُ غُرابٌ لاغْتِرابٍ وقَضْبةٌ لقَضْبِ النوى هذي العِياقة والزَجْرُ

وقال آخر (قال ابو الحسن هو جَحْدرٌ العُكْلِيُ وكان لصّاً) :

وقدْماً هاجَني فازْدَدْتُ شوْقاً بكاءُ حمامتَيْنِ تجاوبانِ

(وقدْماً عن أبي الحسن)

تجاوَبَتا بلَحْنٍ أعجَمِيٍّ على عودَيْنِ من غَرَبٍ وبانِ
فكان البانُ أن بانتْ سُلَيْمى وفي الغَرَبِ اغترابٌ غيرُ دانِ

وأنشدني ابو مُحَلِّمٍ لرجل من ولد طَلِبةَ بن قيْسِ بن عاصِمٍ :

وكُنْتُ إذا خاصَمْتُ خصْماً كبَبْتُهُ على الوَجْهِ حتى خاصَمَتْني الدَراهِمُ
فلما تنازَعْنا الخُصومةَ غُلِّبَتْ عليّ وقالوا قُمْ فإنّك ظالمُ

وقرأت على ابي الفضْل العباس بن الفَرَجِ الرِياشِيْ عن أبي زيد الانصاري :

Marfat.com

ولقد بَغَيْتُ المالَ من مَبْغاتِهِ والمالُ وَجْهٌ للفتى مَعْروضُ
طَلبَ الغِنى عن صاحِبي ليُحِبَّني إنّ الفقيرَ الى الغَنيِّ بَغيضُ

وقال آخر أنشَدنيه التَوَّزيُّ عن أَبي زيد :

وصاحِبٍ نبَّهْتُهُ ليَنْهَضا إذا الكرى في عَيْنِهِ تَمَضْمَضا
فقامَ عَجْلانَ وما تأرَّضا يَمْسَحُ بالكفَّينِ وجْهاً ابيضا

قوله : وما تأرّضا اي لم يلزم الارض . وأنشدني التَوَّزيُّ عن ابي زيد الانصاري (قال ابو الحسن هو شَبيبُ ابن البَرْصاء) :

لقد عَلِمَتْ أُمُّ الصبيَّينِ أنَّني إلى الضيْفِ قوّامُ السِّناتِ خَروجُ
إذا المُرْغِثُ العَوْجاءُ بات يَعُزُّها على ضَرْعِها ذو تُومَتَينِ هَوُجُ
وإني لأغْلي اللحمَ نِيّاً وإنني لِمَنْ يُهِينُ اللحْمَ وهو نضيجُ

قوله: قوّامُ السِّنات يريد سريع الانتباه والسِنَةُ شدة النُعاس وليس بالنوم بعينه . قال الله عزّ وجل : لا تأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ . وقال ابن الرّقاع العامِليُّ :

لوْلا الحَياءُ وأنَّ رأسيَ قد عَسا فيه المَشيبُ لزُرْتُ أُمَّ القاسِمِ
وكأنها بين النِّساءِ اعارها عَيْنَيْهِ احْوَرُ من جآذِرِ عاسِمِ
وَسْنانُ اقصدَهُ النُعاسُ فرَنَّقتْ في عينه سِنَةٌ وليس بنائم

معنى رنقت تهيأت ، يقال : رنّقَ النَسْرُ إذا مَدَّ جناحيه ليطير . قال ذو الرُمّة :

(إذا ضَرَبَتْهُ الريحُ رنّقَ فوْقَنا) على حَدْ قوْسَيْنا كما رنّق النسْرُ

وقوله : المُرْغِثُ يعني التي تُرْضِعُ تُرْغِثُ ولدها ، ويقال لها رغُوثٌ . قال طَرَفَةُ :

ليْت لنا مكان الملْكِ عمرو رغُوثاً حَوْلَ قُبَّتِنا تخُورُ

وقوله : يَعُزُّها أي يغْلِبها . وقال الله عزّ وجل : وعزّني في الخِطاب ،

Marfat.com

يقول : غلبني في المخاطبة وأصله من قوله : كان أعزّ مني فيها . ومن أمثال العرب : من عزّ بزّ وتأويله : من غلب استلب . وقال زهير : وعزّته يداه وكاهله . يقول : كان ذلك أعزّ ما فيه . ويقال : لهج الفصيل فهو لهوج إذا لزم الضرع . ويقال: رجل ملهج اذا لهجت فصاله فيتخذ خلالاً فيشدّه على الضرع او على انف الفصيل فاذا جاء ليرضع أوجعها بالخلال فضربته عنها برجلها . قال الشماخ يصف الحمار :

رعى بارض الوسمي حتى كأنما يرى بسفا البهمى أخيلة ملهج

البارض أول ما يبدو من النبت ، والبهمى يشبه السنبل . يقول: فهو لما اعتاد هذا المرعى اللدن استخشن البهمى وسفاها شوكها فيقول : كأنه يخلوك عن البهمى أي يراها كالأخيلة . وقوله : ذو تومتين فالتومة في الاصل الحبة ولكنها في هذا الموضع التي تعلق في الاذن . (وقوله: الحبة إنما معناه من حبات النظم) وكالبيت الاخير قوله :

واني لأغلي لحمها وهي حيسة ويرخص عندي لحمها حين تذبح
بذا فاندبيني وامدحيني فإنني فتى تعتريه هزة حين يمدح

١٤ - باب

قيل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى: ايّ الجهاد أفضل؟ فقال. جهادك هواك . وقال رجل من الحكماء : إعص النساء وهواك واصنع ما شئت . وقال محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : ما لك من عيشك إلا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقربك من يومك فأية أكلة ليس معها غصص او شربة ليس معها شرق فتأمل امرك فكأنك قد صرت الحبيب المفقود والخيال المختزم ، أهل الدنيا أهل سفر لا يحلون عقد رحالهم إلا في غيرها . قوله ، تزدلف بك الى حمامك ، يقول : تقربك ولذلك سميت المزدلفة . وقوله عز وجل: وزلفاً من الليل، إنما

Marfat.com

هي ساعات يَقْرُبُ بعضُها من بعضٍ . قال العَجّاجُ :

ناجٍ طَواهُ الأَيْنُ مما وَجَفا طَيَّ اللَّيالي زُلَفاً فَزُلَفا
سَماوةَ الهِلال حتى احْقَوْقَفا

ناجٍ سريع والأَيْنُ الإعْياءُ والوَجيفُ ضَرْبٌ من السَّيْرِ ونَصَبَ طَيَّ اللَّيالي لانه مصدر من قوله طواه الأَيْنُ وليس بهذا الفعل ولكنّ تقديره طواه الأَيْنُ طَيًّا مثل طَيِّ اللَّيالي كما تقول زيد يشرب شُرْبَ الإبِـــل انما التقدير يشرب شرباً مثل شُرب الإبل فمثل نعت ،ولكن إذا حذفت المضاف استغنى بان الظاهر يُبَيِّنُهُ وقام ما اضيف اليه مَقامه في الإعْراب . من ذلك قول الله تبارك وتعالى : واسْئَلِ القَرْيَةَ نصب لأنه كان واسئل اهل القريةِ وتقول بنو فلانٍ يَطَؤُهُمُ الطريقُ تريد اهلُ الطريقِ فحذفت اهلُ فرفعت الطريق لانه في موضع مرفوع فعلى هذا فَقِسْ ان شاء الله . وقوله: سماوة الهِلال انما هو اعلاه ونَصَبَ سَماوةَ بطيّ يريد طواه الايْنُ كما طَوَتِ اللَّيالي سَماوةَ الهلال والشاهد على انه يريد اعْلاه قول طُفَيْلٍ :

سَماوَتُهُ أَسْمالُ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ وسائِرُهُ من انْحَمِيٍّ مُشَرْعَب

ويروى مُعَصَّب : وإنما سماوته من قولك سَماءٌ فاعلم فاذا وقع الإعراب على الهاء أظهرْتَ ما تَبْنيه على التأنيث على اصله فان كان من الياء اظهرت الياءَ وان كان من الواو اظهرت فيه الواوَ تقول : شَقاوةٌ لانها من الشَّقْوةِ ، وتقول : هذه امرأةٌ سَقَّايَةٌ اذا اردت البناء على غير تذكير فان بنيته على التذكير قلبْت الياء والواو همزتين لان الإعراب عليهما يَقَعُ فقلت سَقّاءٌ وغَزّاءٌ يا فتى فان انّثْت قلت سَقّاةٌ وغَزّاةٌ ، والاجْوَدُ فيما كان له تذكير الهَمْز وفيما لم يكن له تذكير الإظهار وإنما السماء من الواو لان الاصل سَمــا يَسْمُو اذا ارتفع وسَماءُ كلِّ شيء سَقْفُهُ . وقولـه ، حتى احْقَوْقفا يريـد اعْوَجَّ وانما افْعَوْعَلَ من الحِقْفِ ، والحِقْفُ النَّقا من الرمْلِ يَعْوَجُّ ويَدِقُّ. قال الله عزّ وجل: إذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بالاحْقافِ اي بموضع هو هكذا. وقال رجل لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو في خُطْبَةٍ :يا امير المؤمنين صِفْ لنا الدنيا. قال

Marfat.com

ما أصِفُ من دارٍ أولها عناءٌ وآخرها فناءٌ في حَلالها حِسابٌ وفي حرامها عِقابٌ مَن صحَّ فيها أَمِنَ ومَن مَرِضَ فيها ندِم ، ومن استغنى فيها فُتِنَ ، ومن افتقَرَ فيها حزِنَ . وقال الربيعُ بن زيادٍ الحارثيُّ : كنتُ عاملاً لأبي موسى الأشعريّ على البحرين ، فكتب اليه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه ، يأمره بالقُدم عليه هو وعُماله وأن يَستخلِفوا جميعاً قال: فلماقَدمنا أتيتُ يَرفأ فقلتُ : يا يَرفأُ مُستَرشِدٌ وابنُ سبيل أيُّ الهيآت أحَبُّ الى أمير المؤمنين أن يرى فيها عُمّالَه فأومأ إليّ بالخشونة فاتخذتُ خُفَّينِ مُطارَقَين ولبِستُ جُبةَ صوفٍ ولثتُ عمامتي على رأسي فدخلنا على عمر فصَفَّنا بين يديه فصَعَّد فينا وصوّب ، فلم تأخُذ عينُه أحداً غيري ، فدعاني . فقال : مَن أنت ؟ قلت الربيع بن زياد الحارثي . قال : وما تتولى من أعمالنا ؟ قلتُ : البحرين . قال كم تَرتزِق ؟ قلتُ ألفاً . قال كثيرٌ فما تصنعُ به ؟ قلت أتَقوّتُ منه شيئاً وأعود به على أقاربَ لي فما فضَل عنهم فعلى فقراءِ المسلمين . قال فلا بأسَ ارجِعْ إلى موضعك ، فرجعت إلى موضعي من الصفّ فصعَّد فينا وصوّب فلم تقع عينه إلا عليّ فدعاني فقال : كم سِنُّكَ ؟ قلتُ خمس وأربعون سنة . قال الآن حين استَحكَمتْ ثم دعا بالطعام وأصحابي حديثٌ عهدهم بلَيِّنِ العيش وقد تجوَّعتُ له فأتيَ بخبز وأكسارِ بعير فجعل أصحابي يعافون ذلك وجعلت آكلُ فأجِيدُ فجعلت أنظُر اليه يَلحَظُني من بينهم ثم سبقتْ مني كلمةٌ تمنّيتُ أني سُختُ في الأرض فقلت : يا أمير المؤمنين إن الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدْتَ الى طعام ألْيَن من هذا ، فزجرني ثم قال كيف قلتَ ؟ فقلتُ أقول يا أمير المؤمنين أن تنظر إلى قوتك من الطحين فيُخبز لك قبل إرادتك إياه بيوم ويُطبَخ لك اللحم كذلك فتؤتى بالخبز ليّناً واللحم غريضاً ، فسكن من غربه وقال أهنا غُرْتَ ؟ قلت نعم . فقال يا ربيع إنا لو نشاء ملأنا هذه الرحابَ من صلائقَ وسمائك وصِنابٍ ولكني رأيت الله عز وجل نَعى على قوم شهواتهم فقال: أذهبتم طيّباتكم في حياتكم الدنيا ، ثم أمر أبا موسى بإقراري وأن يَستبدلَ بأصحابي. قوله فلثتُها على رأسي يقول أدَرتُ بعضها على بعض غير استواء يقال

Marfat.com

رجل أَلوَثُ اذا كان شديداً وذلك من اللَّوْثِ ورجل أَلوَثُ إذا كان أهْوَجَ وهو مأخوذ من اللُّوثةِ . وحدّثني عبد الصمدِ بن المُعدّلِ قال: سئل الأصمعيُّ عن المجنون والمسمى قيسَ بن مُعاذٍ فَثَبّتَهُ وقال: لم يكن مجنوناً ولكن كانت به لُوثةٌ كلوثةِ أبي حَيّةَ الشاعِرِ. وقيل للأشعثِ بن قيْس بن مَعدِ يكربَ الكِنْديِّ بمَ كنتم تعرفون السُّودَدَ في الصبيِّ منكم قال : اذا كان مَلُوثَ الأزْرةِ طويلَ الغَرْلة سائلَ الغُرّةِ كأنّ به لُوثةً فلسنا نشُكُّ في سُودَدِه . وقوله تؤتى باللحم غَريضاً يقول طَرِيّاً، يقال لحمٌ غَريض وشِواءٌ غَريض يُراد به الطراءُ قال : الغَسّانيُّ (هو السَمَوْءَلُ)

اذا ما فاتني لَحْمٌ غريضٌ ضَرَبْتُ ذراع بَكري فاشْتويتُ

وقوله صَلائق فمعناه ما عُمِلَ بالنار طبخاً وشيّاً يقال صَلَقْتُ الجَنْبَ اذا شَوَيْتَهُ وصَلَقْتُ اللحم اذا طبختَه على وجهه .وقوله سبائك يريد ما يُسْبَكُ من الدقيق فيؤخذ خالصه يريد الحُوّارى وكانت العرب تُسَمّي الرِّقاق السّبائك وأصله ما ذكرنا. والصِّناب صِباغٌ يتّخذُ من الخَرْدلِ والزبيب، ومن ذلك قيل للفرس صِنابيٌّ اذا كان في ذلك اللونِ وكان جَرير اشترى جارية من رجل يقال له زيد من أهل اليمامة ففَرِكَتْ جريراً وجعلت تَحِنُّ الى زيد فقال جَرير :

تُكلّفُني معيشةَ آلِ زيْدٍ ومَن لي بالمُرَقّقِ والصِّنابِ
وقالَتْ لا تَضُمُّ كضُمِّ زيد وما ضمّي ولَيْسَ معي شبابي

فقال المَرَزْدَقُ يجيبه :

فإنْ تَفْرَكْكَ عِلجةُ آلِ زَيْد ويُعْوِزْكَ المُرَقّقُ والصِّنابُ
فقِدْماً كان عَيْشُ أبيك مُرّاً يَعيشُ بما تعيشُ به الكِلابُ

وأما قوله : أكسار بعير فان الكِسْرَ والجِدْلَ والوِصْلَ العَظمُ ينفَصِلُ بما عليه من اللحم. وأما قوله ، نَعى على قوم فمعناه انه عابهم بها وبّخهم. قال أبو عبيدة : اجتمع العكاظيُّونَ على ان فُرسانَ العرب ثلاثةٌ ففارسُ تميمٍ

Marfat.com

عُتَيْبةُ بن الحرث بن شِهاب أحدُ بني ثعْلبةَ بن يَرْبوع بن حَنظَلة صَيّادُ الفَوارس ومَمُّ الفُرْسان، وفارسُ قيسٍ عامرُ بن الطُفَيْلِ بن مالك بن جَعفر بن كِلابٍ، وفارسُ ربيعةَ بِسْطامُ بن قَيْسِ بن مسعود بن قيس بن خالد أحدُ بني شَيْبان بن ثَعْلَبةَ بن عُكابةَ بن صَعب بن علي بن بَكْر بن وائِلٍ. قال ثم اختلفوا فيهم حتى نَعَوْا عليهم سَقَطاتِهِمْ. وأما قوله: أهنا غُرْتَ يقول ذَهَبْتَ يقال غارَ الرجلُ اذا أتى الغَوْرَ وناحيتَهُ مما انخفض من الأرض وأنجَد اذا أتى نَجْداً وناحيتَهُ مما ارتفع في الأرض ولا يقال أغار انما يقال غارَ وأنجَدَ، وبيتُ الأعشى يُنشَدُ على هذا:

نبيٌّ يَرى ما لا تَرَوْنَ وذِكرُهُ لَعَمريَ غارَ في البِلادِ وأنجَدا

وقوله سكن من غَرْبِهِ يقول من حَدّه وكذلك يقال في كل شيء في السَيْفِ والسهمِ والرجلِ وغير ذلك وقوله: خُفَين مطارَقَيْنِ تأويله مُطبقينِ يقال طارَقْتُ نَعلي اذا أطبَقتَها ومن قال طَرَقْتُ أو أطرَقْتُ فقد أخطأ. ويقال لكل ما ضوعِفَ قد طورقَ قال ذو الرُمّة (يصِفُ سَقْراً):

طِراقُ الخَوافي واقِعٌ فوق ريعةٍ نَدى لَيلهِ في ريشهِ يَتَرَقرَقُ

قوله ريعةٍ موضعُ ارتفاعٍ قال الله عز وجل أتَبْنونَ بكُلِّ ريعٍ آيةً تَعْبَثونَ، وهو جمع ريعة. وقال الشَمّاخ:

تَعِنُّ له بِمَذْنَبِ كلِّ وادٍ اذا ما الغَيْثُ أخْضَلَ كلَّ رِيعِ

قال أبو العباس وحدثني العباس بن الفَرَجِ الرياشيُّ عن الأصمعي قال: قال عَديُّ بن الفُضَيْلِ: خرجت الى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز استحضره بِشْراً بالعَذْبةِ فقال لي: وأين العَذْبةُ؟ فقلت على ليلتين من البصرة فتأسّف ألا يكونَ بمثل هذا الموضع ماءٌ فأحفَرني واشترط عليّ أن أوّل شاربٍ ابنُ السبيلِ، قال فحَضَرْتُهُ في جُمعة وهو يخطُبُ فسمعتُهُ وهو يقول: يا أيها الناس انكم مَيّتون ثم انكم مبعوثون ثم انكم مُحاسَبونَ فلَعَمري لئن كنتم صادقين لقد قَصَّرْتُمْ ولئن كنتم كاذبين لقد هَلَكْتُمْ، أيها الناس انه من يُقدِّر

Marfat.com

له رزقٌ برأس جبل أو بحَضيضِ أرض يأتيهِ ، فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلَبِ . قال : فأقمْتُ عنده شهراً ما بي الا استماع كلامه . قوله بحَضيض يعني المُستَقَرّ من الأرض اذا انحَدرَ عن الجبل ولا يقال حَضيضٌ الا بحَضرةِ جبلٍ يقال : حضيضُ الجبلِ ويُطرَحُ الجبلُ فيُستَغْنى عنه لأن هذا لا يكون الا له ومن ذلك قول امْرىءِ القَيْس : نظرْتُ اليه قائماً بالحضيض . وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يا ابن آدم لا تحْمِلْ همّ يومك الذي لم يأتِ على يومك الذي أنت فيه فانه إن يُعلَمْ من أجلِك يأتِ فيه رزقك واعلم انك لا تَكسِب من المال شيئاً فوق قوتِكَ الا كنت خازِناً لغيرك فيه . ويروى للنابغة (هذا من شعر أوْسِ بن حَجَرٍ مُثْبَتٌ فيه في كلمة لم يعْرفها الأصمعي) :

ولَسْتُ بخابىءٍ أبداً طعاماً حِذارَ غَدٍ لِكُلّ غدٍ طعامُ

ويروى أن رسول الله ﷺ قال : من كان آمناً في سَرْبِهِ مُعافى في بَدنه عنده قوتُ يَوْمِهِ كان كمَنْ حِيزتْ له الدنيا بحَذافيرِها (كذا وقعتْ الرواية بفتح السين عن أبي العباس والصواب كسرها وانما السَرْبُ بفتح السين المال الراعي)قوله ﷺ في سربه يقول في مَسْلكِهِ يقال فلان واسعُ السَربِ وخليُّ السَرْب يريد المَسالكَ والمذاهِب وانما هو مَثَلٌ مضروب للصَدر والقلب يقال حَلّ سَرْبَه أي طريقه حتى يَذهب حيث شاء ويقال ذلك للابل لأنها تَنسَرِبُ في الطُرُقات ،ويقال: سَرْبٌ عليَّ الابل، أي أرْسِلها شيئاً بعد شيء فإذا قلت سِرْبٌ بكسر السين فانما هو قَطيعٌ من ظِباءٍ او بقر او شاء او نساء او قَطاً قال امْرُؤُ القيسِ :

فمَنْ لنا سِربٌ كأنّ نِعاجَهُ عذارى دُوارٍ في المَلاءِ المُذيّلِ

دُوارٌ تُسْكُ يَنْسَكون عنده في الجاهلية ودُوارٌ ما استدار من الرمل ودَوّارٌ سِجْنُ اليَمامةِ . قال بعض اللُصوص (واسمه جَحْدرٌ) :

كانت مَنازلُنا التي كُنا بها شَتّى فألّفَ بيننا دوّارُ

وقال عُمَرُ بن أبي ربيعةَ :

Marfat.com

فلَمْ تَرَ عَيْني مِثل سِرْبٍ رأيتُهُ خَرجن علينا من زُقاق ابن واقِفِ

وكان الحسنُ يقول ليس العَجَبُ ممن عَطِب كيف عَطِب إنما العَجَبُ ممن نجا كيف نجا ، وكان الحجّاجُ بن يوسف يقول على المِنبَر: أيها الناس اقْدعوا هذه الأنفُس فانها أسألُ شيءٍ اذا أُعْطيَتْ وامْنَعُ شيءٍ اذا سُئِلَتْ فرحِم الله امْرأً جَعَل لنفسه خِطاماً وزِماماً فقادها بخِطامها الى طاعة الله وعَطَفها بزِمامها عن معصية الله فاني رأيت الصّبر عن محارم الله أَيْسَر من الصبر على عذابه. قوله اقدعوا يقول امْنعُوا يقال قَدعْتُهُ عن كذا اي منعته عنه ومنه قول الشَمّاخ :

اذا ما اسْتافهُنّ ضَربْن منه مَكانَ الرُمْح من أنْفِ القَدوع

قوله استافهُنّ يعني حِماراً يَسْتافُ أُتُناً يقول يَرْمَحْنَهُ اذا اشْتَمَمْنَ والسَوْفُ الشَمُّ. وقوله مكان الرمح من أنْفِ القَدوع يريد بالقَدوع المقدوع وهذا من الاضداد يقال طريق ركوبٌ اذا كان يُرْكَبُ ورجل ركوبٌ للدواب اذا كان يَرْكَبُها ويقال ناقة رغُوثٌ اذا كانت تُرْضِعُ وحُوار رَغُوثٌ اذا كان يُرْضَعُ ومثل هذا كثير يقال شاة حَلوبٌ اذا كانت تُحْلَبُ ورجل حلوبٌ اذا كان يحْلُبُ الشاةَ والقدوعُ ههنا البعير الذي يُقدعُ وهو ان يريد الناقةَ الكريمةَ ولا يكون كريماً فيُضْرَبُ أنفُهُ بالرُمْح حتى يَرْجع. يقال قدعْتُهُ وقدعْتُ أنفه. ويروى أن رسول الله ﷺ لما خَطب خديجةَ بنت خُوَيْلِدِ بن أسد بن عبْد العُزّى بن قُصيٍّ ذُكِر ذلك لورقة بن نوفلٍ فقال محمد بن عبد الله يخطب خديجة بنت خُوَيْلِدٍ الفحْلُ لا يُقذعُ أنفه . وكان الحجاج يقول : إنّ امْرأً أتتْ عليه ساعةٌ من عُمْره لم يَذكُرْ فيها ربه او يستغفرْ من ذنبه أو يُفكّرْ في مَعاده لجديرٌ أن تطول حَسرتُهُ يوم القيامة.

١٥ - باب

قال ابو العباس أنشدني عُمارةُ بن عقيلٍ لنفسه يحُضُّ بني كعبٍ وبني كِلاب ابني ربيعةَ بن عامر بن صَعصعة بن معاوية بن بكْر بن هَوازِن على

Marfat.com

بني نُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة وبينهم مُطالَبات وتِرات وكانت بنو نُمَيْر أعداءَ عمارةَ فكان يحُضُّ عليهم السلطانَ ويُغري بهم إخوَتَهم ويحاربهم في عشيرتِه فقال .

رَأيْناكُما ابْنَي ربيعةَ خُرْثُماً ... لِمَضّ الحروبِ والعَديدُ كثيرُ
وصَدّقْتُماقولَ الفَرَزْدقِ فيكما ... وكذّبْتُما ما كانَ قالَ جَريرُ
أصابَتْ نُمَيْرٌ منكمُ فوق قَدرها ... فكُلُّ نُمَيريّ بذاكَ أميرُ
فانْ تَفخَروا بما مَضى من قَديمكمْ ... فَقَدْ هُدّمَتْ مدائنٌ وقُصور
رَمَتْها مجانيقُ العَدوّ فَقُرِّضتْ ... مَدائنُ منها كالجبال وسور
وشَيّدَها الأملاكُ كِسرى وهُرمزٌ ... وآلُ هِرَقلٍ حِقْبةً ونضير
فانتَعْمُروا المجدَ القَديمَ فلم يَزلْ ... لكمْ في مُضِرّاتِ الحُروب ضريرُ
خَبَطْتُم لُيوثَ الشامِ حتى تناذَرت ... حِماكُم وحتى لا يَمِرُّ عَقور
فكيف بأكنافِ الشُرَيفِ تُصيبُكمْ ... ثَعالبُ يَبْحثنَ الحَصى وأُبورُ

قوله فقد هُدّمَت مدائن وقصور مَثَلٌ يريد أنّ مَجدَكم الذي بناه آباؤكم متى لم تَعمُروا بافعالكم خَرِبَ وذهبَ وهذا كما قال عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .

لَسْنا وإن كرُمَتْ أوائِلُنا ... يوماً على الأحساب نتّكِلُ
نبْني كما كانت أوائِلُنا ... تَبني ونفعَلُ مثلَ ما فَعَلوا

وكما قال الآخر :

ألهى بني جُشَمٍ عن كلّ مَكرُمةٍ ... قصيدةٌ قالَها عَمْرو بن كُلثومِ
يُفاخِرون بها مُذ كانَ أوّلُهمْ ... يا لِلرجالِ لِفَخرٍ غيرِ مَسْؤمِ
إنّ القديم إذا ما ضاعَ آخِرُهُ ... كساعِدٍ فَلّهُ الأيامُ محطومِ

Marfat.com

وكما قال عامر بن الطُفَيلِ العامريّ :

إني وإن كنتُ ابنَ فارسِ عامِرٍ وفي السرّ منها والصريحِ المُهذّبِ
فما سَوّدَتْني عامِرٌ عن وِراثةٍ أبى اللهُ أن أسمو بأمٍّ ولا أبِ
ولكنني أحمي حِماها وأتّقي أذاها وأرمي مَن رماها بمِقنَبِ

(قال ابو الحسن أنشدني هذه الأبياتَ محمد بن الحسن المعروف بابن الحَرون ويكنى أبا عبدالله لعامر بن الطُفيل العامِري قال ابو الحسن قال الأصمعي : وكان عامر بن الطفيل يُلَقّبُ مُحَبِّراً لِحُسنِ شِعرِهِ وأوّلها :

تقولُ ابنةُ العَمريّ مالَكَ بَعْدَما أراكَ صحيحاً كالسّليمِ المُعَذّبِ
فقلتُ لها مِنّي الذي تَعْلَمينَهُ من الثأرِ في حَيّيْ زُبَيْدٍ وأرْحَبِ
انَ اغْزُ زُبَيْداً أغزُ قوماً أعِزّةً مَراكِبُهُمْ في الحيِّ خيرُ مَراكِبِ
وإن أغْزَ حَيّيْ خَثْعَمٍ فدِماؤُهُمْ شفاءٌ وخيرُ الثأرِ للمُتَأوِّبِ
فما أدْرَكَ الأوْتارَ مِثلُ مُحَقّقٍ باجْرَدَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشَذّبِ
وأسمَرَ خطيٍّ وأبْيَضَ باتِرٍ وزَعْفٍ دلاصٍ كالغَديرِ المُثَوّبِ
سِلاحُ امْرِىءٍ يَعْلَمُ الناسُ أنّهُ طَلوبُ لثاراتِ الرجالِ مُطَلَّبِ

ثم نأتي بانشاد أبي العباس على وجهه الا انه رَوى مَن رماها بمَنكِبِ السليم الملدوغ وقيل له سليم تفَؤّلاً له بالسلامة وزُبيدٌ وأرحَبُ حَيّانِ من اليمن والثأر ما يكون لك عند من أصاب حَميمَك من التِرةِ ومن قال ثار فقد أخطأ . والمتأوب الذي يأتيك لطلب ثأره عندك . يقال : آب يؤبُ اذا رَجَع والتأويبُ في غير هذا السير في النهار بلا توقّفٍ . والأوتار والأحقادُ واحدهما وِترٌ وحِقْدٌ ، والاجردُ الفرس المُتَحسّرُ الشَعَر والأجرد الضامر أيضاً ، والعسيب السَعفةُ والمُشَذّبُ الطويل الذي قد أُخِذ ما عليه من العُقَدِ والسُلاّء والخُوص ومنه قيل للطويل المُعَرّقِ مُشَذّب ، وخَطيّ رمح منسوب الى

Marfat.com

الخطّ وهي جزيرة بالبحْرَيْن يقال انها تُنبِت عَصى الرِّماحِ. وقال الأصمعي: ليستْ بها رماح ولكنّ سفينة كانت وقعتْ اليها فيها رماحٌ وأُرْفِثتْ بها في بعض السنين المتقدمة فقيل لتلك الرماح الخطّيّةُ ثم عَمّ كلّ رمحٍ هذا النَسَبُ الى اليوم، والزغف الدرع الرقيقة النسج والمثوّب الذي تُصَفّقُه الرياح فيَذْهَب ويجيء وهو من ثابَ يَثوبُ اذا رجَعَ وانما سُمّي الغَديرُ غديراً لأن السيل غادَرَهُ أي تركه) . قال ابو العباس وقوله لكم في مُضِرّاتِ الحروب ضرير يقال رجل ذو ضريرٍ اذا كان ذا مشقة على العَدوّ . وقال مُهَلْهِلُ بن ربيعة التَغْلَبيُّ :

قتيلٌ ما قتيلُ المَرءِ عمْروٍ وهمّامُ بن مُرّةَ ذو ضريرِ

(ما زائدة وفيها معنى التعظيم) وقوله : خبطتم لُيوث الشام ، يريد ما كان من نصرِ بن شَبَثٍ العُقَيْليّ وهو عُقَيل بن كعبِ بن ربيعة . وقوله وأبور جمع وبرٍ اذا انضمت الواو من غير علة فهمزها جائز وقد ذكرنا ذلكَ قبلُ وقال عُمارة أيضاً لهم أنشَدنيه :

ألا لله درُّ الحيِّ كعْبٍ ذوي العَدَدِ المضاعَفِ والخُيول
أما فيهم كريمٌ مثْل نصْرٍ يورّع عَنهُم سَنَنَ الفُحول
تنوخُهمُ غَمَيْرٌ كلّ يوم كفِعْل أخي الغَزارة بالذّليل
وليْسوا مثلَ عُشرِهم ولكن يضيع القوم من قِبَل العُقول
فإن فوارس السلَمات عنهم وجعْدة والحريشُ وذو الفضول
وأين عبادة الخَشْناء عنهم اذا ما ضاقَ مطّلع السبيل

قوله ألالله درّ الحي كعب يريد كعب بن ربيعة بن عامر بن صعْصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عِكرِمةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلانَ بن مضر ، وقوله أما فيهم كريم مثل نصْرٍ يعني نصر بن شبثٍ أحد بني عُقَيْل بن كعب بن ربيعة ، وقوله يورع عنهم سنن الفحول هو مثلٌ ضربهُ

Marfat.com

فجعلهم لامساكهم عن الحرب بمنزلة النوق التي يَقْرَعُها الفَحْل. ويُورِّع يَكُفُّ ويَمْنَعُ ويَدْفَعُ والوَرَعُ في الدين انما هو الكَفُّ عن أخذ الحرام وجاء في الحديث : لا تنظروا الى صومه ولا الى صلاته ، ولكن انظروا الى وَرَعِهِ اذا أشْفى ومعناه اذا أشرف على الدينار والدرهم والسَّنَنُ القَصْدُ ثم أبان ذلك بقوله : تَنَوُّخُهم تَمْيِيرُ كلّ يوم يقال سانَ الفحلُ الناقةَ فَتَنَوَّخَها ، وذلك اذا ركبها من غير أن تُوَطِّئَ له ، ولكن يَعْتَرِضُها اعْتِراضاً وتقول العرب ان ذلك أكرم النِّتاج ، وذلك لأن الولد يخرج صَلِيباً مُذَكِّراً ، ويقال لذلك الحَمْلِ الذي يقع من التَّنَوُّخِ والاعتراض يَعارَةٌ وعِراضٌ يقال حَمَلَتْه عِراضاً وحملتْه يَعارةً يا فتى . قال الراعي :

قَلائِصَ لا يُلْقَحْنَ الا يَعارةً عِراضاً ولا يُشْرَبْنَ الا غَوالِيا

وقال الطِرِمّاحُ :

سوف تُدنيكَ من لَمِيسٍ سَبَنْدا ةٌ أمارَتْ بالبول ماءَ الكِراضِ

نَضَّجَتْهُ عِشرين يوماً ونيلَتْ حينَ نيلتْ يَعارةٍ في عِراض

قوله سَبَنْداةٌ فهي الجريئةُ الصَدْرِ يقال للجَرِيءِ الصدرِ سَبَنْتاة وستبتداه وأصل ذلك في الحَمِيرِ وزعم الأصمَعيُّ ان الكِراضَ حَلَقُ الرَحِمِ قال : ولم أسمَعْهُ الا في هذا الشِعرِ ، وقوله نَضَّجَتْهُ عشرين يوماً انما هو ان تزيد بعد الحول من حيث حَمَلَتْ أياماً نحْوَ الذي عَدَّ فلا يخرج الولد الا مُحْكَماً . قال الخُطَيْئةُ :

لِأدماءَ منها كالسَفينةِ نَضَّجَتْ بها الحَوْلَ حتى زاد شهراً عَديدُها

والعَزازةُ العِزُّ والمَصادر تقع على فَعالةٍ للمبالغة يقال: عَزَّ عِزّاً وعَزازة كما يقال الشراسةُ والصَّرامةُ ، قال الله تعالى : قال يا قومِ ليسَ بي سَفاهةٌ . وفي موضع آخر : ليس بي ضَلالةٌ ، وقوله فأينَ فوارسُ السُلَماتِ يريد بني سَلَمةَ الخيرِ وبني سَلَمةَ الشرا بَنَي قُشَيْرِ بن كعب وجَمَعَ لانه يريد الحيَّ أجمَعَ كما تقول المَهالِبةُ والمَسامِعةُ فتجمعهم على اسم الاب على المِهْلَبِ ومِسْمَعٍ ،

Marfat.com

وكذلك المناذرةُ وقد مرت الحجة في هذا وجعدةُ بن كعبٍ والحريشُ بن كعب وبنو عُبادة من بني عُقَيْلِ بن كعبٍ وقال الخَشْناء يريد القبيلة وذكرها بالخشونة على الأعداء . ويروى ان معاوية بن أبي سُفْيان رحمه الله تعالى قال لدَغْفَلِ بن حنظلةَ النَسّابةِ ما تقول في بني عامر بن صَعْصَعةَ فقال ، أعناق ظِباءٍ وأعْجازُ نِساءٍ ، قال . فما تقول في بني تميم ؟ قال : حَجرٌ أخْشَنُ إن صادَمْتَهُ آذاكَ وان تَرَكْتَهُ تركك . قال : فما تقول في اليَمَنِ ؟ قال سَيْدٌ وأنْوَكُ . قال أبو العباس وأنشدني عُمارةُ لنفسه وسبب هذا الشعر الذي نذكره ان رجلاً من بني تميم يُكنّى أبا سَعْدٍ كان منقطعاً الى أبي نصر بن حُمَيْدٍ الطائيّ ثم أحد بني نَبْهانَ وكان أبو نصر والياً على العرب ، وكتب أبو سعد الى عُمارة يأمره أن يَضَعَ يده في يد أبي نصر ، فقال عُمارة :

دعاني أبو سَعْدٍ وأهدى نصيحةً اليَّ ورُبّما أنْ تَغُرَّ النصائِحْ

(مما بمعنى رُبما)

لِأُجْزِرَ لَحْمي كلبَ نَبْهانَ كالذي دعا القاسِطِيّ حَتْفَهُ وهو نازِحُ
أبو البُرْجميّ حين أهداه حَيْنُهُ لِنارٍ عليها مُوقِدانِ وذابِحُ
ورأيُ أبي سَعْدٍ وإنْ كانَ حازِماً بصيراً وان ضاقَتْ عليه المَسارِحُ
أعار به مَلعونَ نَبْهانَ سَيفَهُ على قومِهِ والقولُ عافٍ وجارِحُ
ونَصْرُ الفَتى في الحَرْبِ اعداءَ قومِهِ على قومِهِ للمَرْءِ ذي الطَعْنِ فاضِحُ

قوله لاجزر لحمي كلب نبهان ، أي لا كون جَزرَةً له والجَزَرةُ المَدَنةُ تُنْحَرُ يقال أجْزَرْتُ فلانا وتركتُ فلاناً جَزراً . قال عنترةُ العَبسيُّ :

إنْ تَشْتِمِا عِرْضي فإنّ أباكما جَزَرَ السِّباعِ وكلّ نَسْرٍ قَشْعَمِ

وقوله كالذي دعا القاسطيّ حَتْفَهُ وهو نازِح فهذا رجل من النَمِرِ بن قاسطٍ خرج يبتغي قَرَظاً من بُعدٍ فنَهَشَتْهُ حيّةٌ فمات فهو أحد القارِظَيْنِ والقارِظُ الأول من عَنَزةَ كان خرج مع ابن عَمٍّ له في طلب القَرَظِ فقتله ابن

Marfat.com

عمه لأنه كان يريد ابنته فمنعه منها . قال أبو خِراشٍ الهُذَليُّ (الصحيح أن الشعر لأبي ذؤَيْب) .

وحتى يَؤُبَ القارِظانِ كلاهما ويُنشَرَ في القَتْلى كُلَيْبُ لوائِلِ

وقوله كالذي دعا القاسطي حتفه ، الهاء في حتفه ترجع على الذي وتقديره كالسبب الذي دعا القاسطيُّ حَتفَهُ ، وقوله أو البُرْجميُّ فهذا رجل من البَراجِمِ وهم بنو مالك بن حَنْظَلَةَ كان عمرو بن هِندٍ لما قَتَل بني دارمٍ بأُوارَةَ وكان سببُ ذلك ان أخاه أسْعَدَ بن المُنذِر وكان مُسْتَرْضَعاً في بني دارِمٍ في حَجْرِ حاجب بن زُرارَةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبدالله بن دارِمٍ انصرف ذات يوم من صَيدِهِ وبه نبيذٌ فسقيتَ كما تعْبَثُ الملوك فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله . رَمى ناقةً بسهم فقتلها والرجلُ الذي قتله سُوَيْدُ بن ربيعةَ بن زيد بن عبدالله بن دارِمٍ) ففي ذلك يقول القائل وهو عمرو بن مِلْقَطٍ الطائيُّ لعمرو بن هند :

فاقتُلْ زُرارةَ لا أرى في القوم أوْفى من زُرارَهْ

فهَزَاهم عمرو بن هند فقتلهم يوم القُصَيْبة ويوم أوارَةَ ففي ذلك يقول الأعْشى .

وتكونُ في الشَرَفِ المُسوا زي مِنْقَراً وبَني زُرارهْ
أبْناءَ قومٍ قُتِّلوا يَوْمَ القُصَيْبةِ والأُوارهْ

ثم أقسَمَ عمرو بن هندَ ليحرقَنَّ منهم مائة فبذلك سُمّي مُحَرِّقاً فأخَذَ تسعة وتسعين رجلاً فقَذَفَهُمْ في النار ثم أراد أن يُبِرَّ قَسَمَهُ بعجوز منهم لتَكمُلَ بها العِدَّةُ فلما أمَرَ بها قالت العجوز (على ما ذَكَرَ أصحابُ الأخبار اسمها الحَمْراءُ بنت نَضْلَةَ) ألا فتىً يَفْدي هذه العجوز بنفسه ثم قالت : هيهات صارت الفِتْيانُ حُمَماً ومَرَّ وافدُ البَراجِمِ وهو الذي ذكَرْنا فاشْتَمَّ رائحة اللحم فظَنَّ أن المَلِكَ يتخذ طعاماً فتَعَرَّج اليه فأُتِيَ به اليه فقال له : مَن أنت ؟ فقال أبيْتَ اللَعْن أنا وافد البراجم فقال عمرو ان الشَقِيَّ وافِدُ البراجِمِ ثم أمَرَ به فقُذِف في النار. ففي ذلك يقول جَرير يُعيِّرُ الفَرَزدَق :

Marfat.com

أينّ الذينَ بنار عَمْرٍو حُرّقوا أمْ أينَ أسْعَدُ فيكمُ المُسترضَعُ

وقال أيضاً :

وأخزاكُمُ عَمْروٌ كما قد خَزيتُمُ وأدرَكَ عَمّارا شقيّ البَراجِمِ

وقال الطِرِمّاحُ :

ودارِمٌ قد فَدَفْنا منهُمُ مائةً فيجاحِمِ النارادْ يَنْزونَ بالجدَدِ
يَنزونَ بالمُشتَوى منها ويوقِدُها عمرو ولوْلا شُحومُ القَوْمِ لمْ تَقِدِ

ولذلك عُيّرَتْ بنو تميم بحب الطعام يعني لطمع البُرْجميّ في الاكل. قال يزيد بن عمرو بن الصَعِق أحد بني عمرو بن كِلابٍ :

ألا أبْلِغْ لَدَيْكَ بني تميمٍ بآية ما يُحِبّونَ الطّعاما

وقال آخر (ذكر ابن حَبيبٍ أن هذا الشعر لأبي مُهَوّشٍ الفَقْعَسيْ وذكر دعْبِلٌ أنه لابي الهَوَسِ الأسَديْ) :

اذا ما مات مَيْتٌ من تميمٍ فسَرّكَ أن يعيشَ فجيءْ بزادِ
بخُبزٍ أو بتَمْرٍ او بلَحْمٍ أو الشيءِ المُلَفْفِ في البِجادِ
تَراهُ يُنقّبُ البَطْحاءَ حَوْلاً ليأكلَ رأسَ لُقمانَ بن عادِ

وقوله للمَرْءِ ذي الطَعْمِ يعني الراجع الى عقل يقال فلان ليس بذي طَعْم وفلان ليس بذي نَزَلٍ اي ليس بذي عقل ولا معرِفةٍ وانما يقال هذا طعام ليس له نَزَلٌ اذالم يكن ذا رَيْعٍ ومَن قال نُزْلٌ في هذا المعنى فقد أخطأ وقال اعرابي يَهْجو قوماً من طَيّىءٍ :

ولَمّا أن رأيتُ بني جُوَيْنٍ جُلوساً ليس بينهمُ جَليسُ
يئسْتُ من التي أقبَلتُ أبْغي لدَيْهِمْ إنّني رَجُلٌ يَؤُسُ
اذا ما قلتُ أيُّهُمُ لأيٍّ تَشابَهَتِ المناكِبُ والرؤسُ

قوله جلوساً ليس بينهم جليس يقول هؤلاء قوم لا يَتَجِيعُ الناسُ معروفهم

Marfat.com

فليس فيهم غيرهم، وهذا من قبح الهجاء ومن أمثال العرب سَمْنُهُمْ في أديمِهِمْ ومعناه في مأدومهم وقيل أديم ومأدوم مثل قتيلٍ ومَقتولٍ وتقول الحكماء من من كَثُرَ خيره كثر زائره وقال المُهلَّبُ بن أبي صُفرة لبنيه يا بَنيَّ اذا غَدا عليكم لرجل وراحَ مُسلِّماً فكفى بذلك تقاضيا وقال الآخر :

أروحُ لِتسليمٍ عليكَ وأغتدي وحَسْبُكَ بالتسليم مِني تَقاضيا
كفى بِطِلابِ المرْءِ ما لا يَنالهُ عَناءً ولِلأمرِ المُصَرَّحِ ناهيا

ا وربما قال أبو العباس هو مُصَرَّحٌ بكسر الراء قال أبو الحسن والكسر أجود ومن أحسن المدح قول زُهَيرٍ :

قد جعل الطالبون الخيرَ في هَرِمٍ والسائلون الى أبوابِهِ طُرُقا

وقال رُؤْبَةَ : (ليس لرؤبة وهو لابن أبي نُخَيْلَةَ إنَّ النَدى حَيْثُ نرى الضِفاطا وقال آخر :

يَزْدَحِمُ الناسُ على بابِهِ وامشرَبُ العَذْبُ كثيرُ الزِّحام

وقال أشْجَعُ في محمد بن منصور :

على باب ابن مَنصورٍ عَلاماتٌ من البَذْلِ
جماعاتٌ وحَسْبُ البا بِ نُبْلاً كثرةُ الأهلِ

وقوله تشابهت المناكب والرؤس انما ضربه مَثلاً للأخلاق والأفعال أي ليس فيهم مُفَضَّلٌ ويقال ان الأضبطَ بن قُرَيْعِ بن عَوفِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ ابن زَيدِ مَناةَ بن تميم آذَنَهُ عَشيرتُهُ من بني سَعدٍ فخرج عنهم فَجَعلَ لا يُجاوِرُ قوماً الا آذَوْهُ فقال : أينا أذهَبُ ألْقَ سَعْداً أي أفِرُّ من الأذى الى مثله

١٦ - باب

قال أبو العباس قال ابو ادريس الخَوْلانيُّ: المَساجِدُ مجالِسُ الكِرام وقيل

Marfat.com

للأحنف بن قيس أحدبني مُرّة بن عُبَيْد بن الحرث بن كعب بن سعد أيُّ المجالس أطيبُ ؟ فقال ما سافر فيه البصر واتّدعْ فيه البدنُ . اتّدعَ افتعل من التوديع والاصل اوْتدعَ فتقلبُ الواو ياء لانكسار ما قبلها وهذا القول مذهب أهل الحجاز ، يقولون ايتزرَ ياتزر ، وهو رجل مُوتزِرٌ والأجود أن تقلب ما كان أصله الواوَ والياءَ في باب افتعل تاءً وتُدْغمها في التاء من افتعل فتقول ، اتّدعَ يتّدعُ وهو مُتّدِعٌ ومُتّزرٌ ومُتّعِدٌ من الوَعْد و مُتّئِسٌ من اليأس تكون الياء كالواو لانها ان أُظهِرَتْ انقلبت على حركة ما قبلها فصارت كالواو وتكونانِ واوين عند الضمة نحو مُوعِدٍ وموتَعَدٍ وموئِسٍ ومُوتَئِسٍ وياءين للكسرة . والواو قد تُقلَبُ الى التاء ولا تاءَ بعدها نحو تُراثٍ من ورِثْتُ وتُجاهٍ من الوجهِ وتُكأةٍ وانما ذلك كراهيةَ الضمة في الواو وأقربُ حروف الزوائد والبَدَلِ منها التاءُ فقُلِبَتْ اليها. وقد تُقلَبُ للبدل في غير ضم نحو هذا اتّقى من هذا وضربته حتى أتّكأتُهُ فلما كانت بعدها تاء افتعل كان الوجهُ القلبَ ليقع الادغام وقد فسرنا هذا على غاية الاستقصاء في الكتاب المُقتَضَبِ . وقيل للمُهَلّب بن أبي صُفْرةَ . ما خيرُ المجالس فقال ما بَعُدَ فيه مَدى الطَرْفِ وكثُرَتْ فيه فائدةُ الجليس . ويروى عن لُقمانَ الحكيم أنه قال لابنه : يا بُنيَّ اذا أتيتَ مجلسَ قومٍ فارْمِهِمْ بسَهْم الاسلام ثم اجلس فان أفاضوا في ذكر الله فأجِلْ سَهْمَكَ مع سهامهم ، وان أفاضوا في غيره فتخلّهِمْ وانهَضْ ، قوله فارمهم بسهم الاسلام يعني السّلام وقوله ، فأجلْ سهمك مع سهامهم يعني ادْخُلْ معهم في أمرهم فضَرَبَهُ مَثَلاً من دخول الرجل في قِداحِ المَيْسِر ، وقال وهْبُ بن عبد مَناف بن زُهْرة جَدّ رسول الله ﷺ لأمه :

وإذا أتيْتَ جماعةً في مجلسٍ فاخْتَرْ مجالسَهُمْ ولا تَقْعُدِ
ودَعِ الغُواةَ الجاهلينَ وجهلَهُمْ والى الذين يُذكّرونكَ فاعمِدِ

وقال ابن عباس رحمه الله : لجليسي عليّ ثلاثٌ أن أرْميَهُ بطَرْفي اذا

Marfat.com

أقبل وأصغى له اذا جلس وأصغى اليه اذا تحدث . وكان القعقاعُ بن شورٍ أحدُ بني عمرو بن شيبان بن ذهلِ بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي ابن بكرِ بن وائلٍ اذا جالسه جليسٌ فعرفه بالقصد اليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا اليه بعد المجالسة ساكراً له حتى شهر بذلك. وفيه يقول القائل .

وكنتُ جليسَ قعقاعِ بن شورٍ ولا يشقى بقعقاعٍ جليسُ
ضحوكِ السنّ ان امروا بخيرٍ وعند السوءِ مطراقٌ عبوسُ

وحدثني التوزيُّ ان رجلاً جالسَ قوماً من بني مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعبِ بن لؤيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة فأساؤا عشرته وسعوا به الى معاوية فقال :

شقيتُ بكم وكنتُ لكم جليساً فلستُ جليسَ قعقاعِ بن شورِ
ومن جهلِ ابو جهلٍ أخوكمْ غزا بدراً بميجمرةٍ ونورِ

نسبه الى التوضيع كقول عتبة بن ربيعة بن عبدِ شمس بن عبد مناف الحكيم بن حزام لما بلغه قولُ أبي جهلِ بن هشام انتفخ والله سحرُه ونحرُه سيعلمُ مصفرُ استهِ من انتفخ سحرُه اليوم . وقال رجل من بني مخزوم للأحوص بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الانصاري ليؤذيه ، أتعرفُ الذي يقول :

ذهبتْ قريشٌ بالمكارمِ كلّها واللؤمُ تحتَ عمائمِ الأنصار

فقال الأحوصُ لا أدري ولكني أعرفُ الذي يقول :

الناسُ كنّوهُ أبا حكمٍ والله كنّاه أبا جهلِ
أبقتْ رياستُه لأشرتهِ لؤمَ الفروع ودِقّة الاصلِ

وهذا الشعر لحسانَ بن ثابتٍ والبيت الذي أنشده المخزومي للأخطل وكان يزيدُ بن معاوية عتبَ على قوم الانصار فأمرَ كعبَ بن جعيلٍ العدلي

Marfat.com

بهجائهم فقال له كعبٌ أهجو الانصار أرادّي أنتَ الى الكُفر بعد الاسلام؟ ولكني أدُلّك على غلام من الحيّ نصرانيّ كأنّ لسانَهُ لسانُ ثوْرٍ يعني الأخطلَ ، قـــال فلما قال هذا البيت دخلَ النُعْمانُ بن بَشيرٍ بن سعْـدٍ الانصاريُّ على معاوية فحَسَرَ عمامته عن رأسه ثم قال : يا معاوية أترى لؤماً فقال ما أرى الا كَرَماً فقال النعمان :

مُعاويَ إنْ لا تُعْطِنا الحقّ تَعْترفْ لِحى الأزْدِ مَـدْولاً عليها العَمائِمُ
أبَشْتِمْنا عَبد الأراقِمِ ضَلّـةً فماذا الذي تُجدي عليكَ الأراقِمُ
فمالِيَ ثارٌ دون قَطْعِ لسانِهِ فَدونَكَ مَن تُرْضيهِ عنهُ الدّراهِم

وكان الاحنف بن قيس يقول : لا تزال العرب عَرَباً مـا لبِسَت العمائم وتَقَلّدَت السيوف ولم تَعدُدِ الحِلمَ ذُلاً ولا التَواهُبَ فيما بينها ضَعةً وقالوا في تأويل قوله ، ما لبست العمائم . يقول ما حافظت على زيّها وقوله وتقلدت السيوف ، يريد الامتناع من الضَيْم . وقوله ولم تعد الحلم ذلاً يقول ما عَرَفَتْ موضع الحلم وتأويل ذلك أن الرجل اذا أغضى للسلطان أو أغْضى عن الجواب وهو مأمورٌ لم يُقَلْ حَلُمَ ، وانما يقال حَلُمَ اذا تَرَكَ أن يقول الشيء لصاحبه مُنتصِراً ولا يخاف عاقبةً يَكرَهُها فهذا الحلم المحْضُ فإذا لم يفعل ذلك ورأى أن تَرْكَهُ الحِلمَ ذُلٌ فهو خطأ وسَفَهٌ . وقوله : ولم تر التواهب بينها ضَعةً نحوٌ من هذا وهو أن يَهَبَ الرجلُ من حقه ما لا يُسْتَكرَهُ عليه وكان يقـــال ، أحْيُوا المعروف بإماتَته . وتأويل ذلك أن الرجل اذا امتنّ بمعروفه كدّرَهُ . وقيل المنّةُ تَهدِمُ الصنيعة وكان يقال كتمان المعروف من المُنْعَمِ عليه كفرٌ وذكره من المُنعِمِ تكدير له . وقال قيسُ بن عاصم يا بني تميم اصْحَبوا مَن يذكر احسانكم اليه ويَنسى أياديَهُ اليكم .

Marfat.com

١٧ - باب

قال أبو العباس: قال عبدُ المَلِكِ بن مروان لِأَسيْلِمَ بن الأحْنف الأَسدِيّ: ما أحسنُ ما مُدِحْتَ به؟ فاستعفاه فأبى أن يُعْفِيَهُ وهو معه على سريره فلما أبى إلا ان يُخْبِرَهُ قال قول القائل:

ألا أيها الرَكْبُ المُخِبُّون هَلْ لكم ... بِسَيْدِ أهْلِ الشام تَحْبَوْا وتَرْجِعوا
من النَفَرِ البيضِ الذين إذا اعْتَزَوْا ... وهابَ الرجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعوا
إذا النَفَرُ الـدُّ الـيامونَ تَمْنَعوا ... له حَوْكَ بُرْدَيْهِ أجادوا وأوسعوا
جلا المِـلْكُ والحُكّامُ والبيضُ كالدُمى ... وفَرْقُ المدارى رأسَـهُ فهو أنزَعُ

فقال له عبد الملك: ما قال أخو الأوْسِ أحسنُ مما قيل لك. (قال أبو الحسن هو ابو قَيْسِ بن الأسْلَتِ):

قد حَصَّت البَيْضَةُ رأسي فما ... أَطْعَمُ نوما غيرَ تَهْجاعِ

وحُدِّثْتُ انّ كُثَيِّراً كان يقول: لَوَدِدْتُ أني كنتُ سبقتُ الأسْوَدَ أو العبدَ الى هذين البيتين يعني نُصَيْباً في قوله:

من النَفَرِ البيضِ الذين اذا انْتَجَوْا ... أَقَرَّتْ لِنَجْواهُمْ لُؤَيُّ بن غالِبِ
يُحَيُّوْنَ بَسّامِينَ طَوْراً وتارةً ... يُحَيُّوْنَ عَبّاسِينَ شُوسَ الحواجِبِ

والمختار من الشِعْر الأول قوله:

من النفر البيض الذين اذا اعْتَزَوْا ... وهابَ الرجالُ حَلْقَةَ الباب قَعْقَعوا

يخبر بجلالتهم ومعرفتهم بأقدارهم وثقتهم بان مثلهم لا يُرَدُّ. وقد قال جرير للتَيْمِ خلافَ هذا وهو قوله:

قَوْمٌ إذا احْتَضَرَ الملوكَ وُفودُهُمْ ... نَتِفَتْ شَوارِبُهُمْ على الأبْوابِ

وحُدِّثْتُ ان جريراً كان يقول: وَدِدْتُ ان هذا البيت من شعر هذا العبد كان لي بكذا وكذا بيتاً من شعري يعني قول نُصَيْبٍ:

Marfat.com

يزَيْنَبَ أَنْلِمْ قبل ان يَرْحَلَ الرَكبُ وقُلْ إنْ تَمَلَّيْنا فما مَلَّكِ القَلْبُ

وأما قول نُصَيْبٍ :

أهِيمُ بِدَعْدٍ ما حَييتُ وان أمُتْ * أُوَكَّلْ بدَعْدٍ مَن يَهِيمُ بها بَعْدي

فلم تجِد الرُّواةُ ولا مَنْ يفهم جَواهر الكلام له مَذْهبا حَسناً . وقد ذكر عبد الملك ذلك لِجُلسائِهِ فكلٌّ عابَهُ فقال عبد الملك : فلو كان اليكم كيف كنتم قائلين ؟ فقال رجل منهم كنت أقول :

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمُتْ فوا حَزَنا مَنْ ذا يَهِيمُ بها بعدي

فقال عبد الملك : ما قلتَ والله أسْوَأُ مما قاله. فقيل له. فكيف كنتَ قائلا في ذلك يا أمير المؤمنين ؟ فقال كنتُ اقول :

أهيم بدعدٍ ما حييت وإن أمُتْ فلا صَلَحَتْ دَعْدٌ لذِي خُلَّةٍ بعدي

فقالوا : أنت والله أشْعَرُ الثلاثةِ يا أمير المؤمنين . وقد فُضِّلَ نُصَيْبٌ على الفَرَزْدَقِ في مَوْقِفِهِ عند سليمان بن عبد الملك ، وذلك أنهما حَضَرا فقال سليمانُ للفرزْدق : أنشدْني . وإنما أراد ان يُنْشِدَهُ مَدْحاً له فأنشده :

وَرَكْبٍ كأنَّ الريحَ تَطْلُبُ عندهم لها تِرَةً من جَذْبِها بالعَصائبِ
مَرَوْا يَخْبِطُونَ الريحَ وهي تَلُفُّهُمْ الى شُعَبِ الأكْوارِ ذاتِ الحقائبِ
إذا آنَسُوا ناراً يقولون لَيْتَها وقد خَصِرَتْ أيدِيهِمُ نارُ غالِبِ

فأعرض سليمان كالمُغْضَبِ فقال نصيب : يا أمير المؤمنين ألا أنْشِدُكَ في رَوِيِّها ما لعله لا يَتَّضِعُ عنها . فقال : هاتِ . فأنشده :

أقول لِرَكْبٍ صادِرِين لَقِيتُهُمْ قِفا ذاتَ أوْشالٍ ومَوْلاكَ قاربُ
قِفوا خَبِّروني عن سليمانَ انني لِمَعْروفِه من أهل وَدَّانَ طالبُ
فعاجوا فأثْنَوْا بالذي أنتَ أهْلُهُ ولو سكَتُوا أثْنَتْ عليكَ الحقائبُ

وهذا في باب المدح حسن ومُتجاوَزٌ ومُبْتَدَعٌ لم يُسْبَقْ اليه على ان الشاعر

* أهيم بدعد : وقد انتقدته سكينة بنت الحسين ، وقالت له: لقد جعلت نفسك قوادا .

Marfat.com

وهو أخو هَمْدانَ قد قال في عَصْرِهِ في غير المدح :

يَمُرُّون بالدَّهْنـــا خِفافاً عِيابُهُمْ وَيَخْرُجْنَ من دارِينَ بُجْرَ الحقائبِ
على حينِ أَلْهَى الناسَ جُلُّ أمورِهِمْ فَندْلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثعالبِ

وليس شِعْرُ نُصَيْبٍ هذا الذي ذكرناه في المدح بأجودِ من قول الفرزدق في الفخر وإنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا تناسبا . وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نصيب : كيف تراهُ ؟ قال : هو أشعر أهلِ جِلْدتِهِ . فقام الفرزدق وهو يقول :

وَخَيْرُ الشِعْرِ أَشْرَفُهُ رجالاً وَشرُّ الشِعْرِ مـــا قال العَبيدُ

ثم نرجع إلى تفسير الشعر قوله : يمرون بالدهنا خفافاً عيابهم يعني قوماً تجاراً وقد قالوا إنما ذَكَرَ لصوصاً والأوّل أثبَتُ، وذلك أن دارين سُوقٌ من أسواق العرب. وقوله بُجْرَ الحقائب يقول: عِظام، ويقال للرجل اذا انْدَلَقَتْ سُرَّتهُ فنَتَأَتْ متقدمةً رجل أبْجَرُ ويقال لها البُجْرَةُ والبَجَرَةُ فُعْلَةٌ وَفَعَلَةٌ تقمان في الشيء ، يقال : قُلْفَةٌ وَقَلَفٌ وُصلْبَةٌ وَصَلَبٌ ومثل هـذا كثير . وقوله: على حين ألهى الناس ان شئتَ خفضتَ حين وان شئت نصبته أما الخفض فلأنه مخفوض وهو اسم منصرف وأما الفتح فلاضافتك إياه الى شيء غير مُعْرَبٍ فبنيته على الفتح لأن المضاف والمضاف اليه اسم واحدٌ ، فبنيته من اجل ذلك ولو كان الذي أضفته اليه معرباً لم يكن إلا مخفوضاً وما كان سوى ذلك فهو لحن، تقول : جئتك على حينِ زيدٍ وجئتك في حينِ إمْرَةِ عَبْدِ المَلِكِ ، وكذلك قولُ النابغة :

على حينِ عاتَبْتُ المَشيبَ على الصِبا وَقلْتُ أَلَمّا أصْحُ والشَيْبُ وازِعُ

ان شئت فتحت حين وان شئت خفضت لأنه مضاف إلى فعل غير متمكن وكذلك قولهم : يَوْمَئذٍ نقول عجبت من يومِ عبدِ الله لا يكون غيره فإذا أضفتَهُ الى إذ فان شئت فتحتَ على ما ذكرتُ لك في حين وان شئت خفضتَ

Marfat.com

لما كان يستحقه اليومُ من التمكُّنِ قبل الإضافة تقرأ إنْ شئتَ من عذاب يومَئذٍ وان شئت من عذاب يومَئذٍ على ما وصفتُ لك، ومن خفض بالإضافة قال: سيرَ بزيدٍ يومئذٍ فأعربته في موضع الرفع كما فعلتَ به في الخفض ومن قال: من خزْيِ يومَئذٍ فبناه. قال: سيرَ بزيدٍ يومَئذٍ يكون على حالة واحدة لأنه مبنيّ كما تقول: دُفِعَ الى زيد خمسةَ عشرَ درْهماً، وكما قال الله عزّ وجل: عليها تسعةَ عشرَ. وأما قوله: فَنَدْلاً زُرَيْقُ المالَ نَدْلَ الثعالب فزُرَيْقٌ قبيلة، وقوله: نَدْلاً مصدر يقول انْدُلي نَدْلاً يا زُرَيْقُ المالَ والنَدْلُ أن تَجْذِبَه جذْباً. يقال: نَدَلَ الرجلُ الدَلْوَ نَدْلاً إذا كان يَجْذِبها مملوءة من البئر فنصب نَدْلاً بفعل مضمر وهو انْدُلي وهذا في الأمر تقول: ضَرْباً زيداً وشَتْماً عبدَالله لأن الأمر لا يكون إلا بفعل فكان الفعلُ فيه أقوى فلذلك أضمرته ودل المصدر على الفعل المضمر، ولو كان خبراً لم يجُزْ فيه الإضمارُ لأن الخبر يكون بالفعل وغيره والأمر لا يكون إلا بالفعل، قال الله عزّ وجل فاذا لَقيتُمُ الذينَ كَفَروا فَضَرْبَ الرِقابِ فكان في موضع اضْربوا حتى كأن القائل قال: فاضْربوا ألا ترى أنه ذكر بعده الفعل مَحْضاً في قوله: حتى إذا أثْخَنْتُموهُمْ فشُدُّوا الوَثاقَ ولو نوّنَ مَنٌّ في غير القرآن لنَصَبَ الرِقابَ وكذلك كل موضع هو بالفعل أوْلى وقوله: ندل الثعالب يريد سرعةَ الثعالب يُقال في المثَلِ: أكْسَبُ من ثَعْلَبٍ، وأما قول نُصَيْبٍ: ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب فإنما يريد أنهم يرجعون مملوءةً حقائبهم من رِفْدِه فقد أثْنَتْ عليه الحقائب قبل أن يقولوا. فأما قول الأعْشى:

وإنَّ عِتاقَ العِيسِ سَوْفَ يَزورُكمْ ثَناءٌ على أعْجازِهِنَّ مُعَلَّقُ

فإنما أراد المدح الذي يُحْدَيْنَ به والحادي من ورائها كما أن الهادي أمامها. وأما قول أبي وَجْزَةَ.

راحَتْ بستّينَ وَسْقاً في حَقيبتها ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنى ولا السَّدا

Marfat.com

فإنما أراد ما يوجب ستين وَسْقاً لا أن الناقة حَمَلَتْ ستين وَسْقاً ، وكان من حديث ذلك أن أبا وَجْزَةَ السُلَمِيُّ المعروف بالسَعْدِيِّ لنزوله فيهم ومحالفته إياهم كان شَخَصَ الى المدينة يريد آل الزُبَيْرِ وشَخَصَ أبو زيد الأسلَمِيُّ يريد ابراهيمَ بن هشام بن اسمعيل بن هشام بن المُغيرة بن عبد الله بن عُمَرَ بن مَخْزومٍ وهو والي المدينةِ فاصْطَحَبا فقال : أبو وجزة : هَلُمَّ فلْنَشْتَرِكْ فيما نُصيبه . فقال أبو زيد الأسلَمِيُّ : كلاَّ أنا أمْدَحُ الملوك وأنت تمدح السُوَّقَ . فلما دخلا المدينة صار أبو زيد الى ابراهيم بن هشام فأنشده : يا ابنَ هِشامٍ يا أخا الكِرام ، فقال ابراهيم : وإنما أنا أخوهم وكأني لَسْتُ منهم. ثم أمرَ به فضُرِبَ بالسياط. وامْتَدَحَ أبو وَجْزَةَ آل الزُبَيْرِ فكتبوا اليه بستين وَسْقاً من تمر وقالوا : هي لك عندنا في كلّ سنةٍ . فانصرفا فقال أبو زيد :

مَدَحْتُ عُروقاً للنَدى مَصَّت الثرى ... حَديثاً فلم تَهْمُمْ بأن تَتَزَعْزَعا
فَقائدَ بُؤْسٍ ذاقَتِ الفَقْرَ والغِنى ... وحَلَّبَتِ الأيامَ والدَهْرَ أضْرُعا
سَقاها ذرو الأرْحامِ سَجْلاً على الظَمَا ... وقد كرَبَتْ أعْناقُها أنْ تَقَطَّعا
بِفَضْلِ سِجالٍ لو سَقَوْا من مَشى بها ... على الأرض أرْواهُمْ جميعاً وأشْبَعا
فَضَمَّتْ بأيديها على فَضْلِ مائها ... من الرِيِّ لمّا أوْشكَتْ أن تُصَلَّعا
وزَهَّدَها أن تَفْعَلَ الخيرَ في الغِنى ... مُقاساتُها من قَبْلِهِ الفَقْرَ جُوَّعا

وقال أبو وجزة :

راحَتْ رَواحاً فلوصي وهي حامِدةٌ ... آلَ الزُبَيْرِ ولم تَعدِلْ بهم أحَدا
راحَت بستين وَسْقاً في حَقيبتها ... ما حَمَلَتْ حَمْلَها الأدْنى ولا السَّدَدا
ما إنْ رأيتُ فلوصاً قبلها حَمَلَتْ ... سِتّين وَسْقاً ولا جابَتْ به بَلَدا
ذاك القِرى لا قِرى قَوْمٍ رأيْتُهُمُ ... يَقْرون صِيفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدا

Marfat.com

أما قول أبي زيد لابراهيم : مدحتُ عروقاً للندى مصّت الثرى حديثا ، فإنما عَنى أن ابراهيم وأخاه محمداً إنما تطعّما بالعيش ودخلا في النِعمة وخرجا من حدّ السُوقة إلى حدّ الملوك حديثاً وذلك بهشام بن عبد الملك لأنهما كانا خالَيْه ، فإنما وَلأُمّا عن خمولٍ . وقوله : فلم تهم بأن تتزعزعا فإنما هذا مَثَلٌ ، يقال : فلانٌ يَهْتَزُّ للنَدى ويرتاح لفعل الخير ، كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيرة :

تَراه كنَصْلِ السَيْفِ يَهْتَزُّ للنَدى إذا لم تجِدْ عند امْرِىءِ السَوْءِ مَطْمَعا

وتأويل ذلك أنه يتحرك تَحَرُّكَ سُرور لفعل الخير ، قال أبو العباس : وأنشدني التَوَّزِيُّ لأبي رِباطٍ يقول لابنه :

رأيتُ رِباطاً حين تَمَّ شَبابُهُ وَوَلّى شَبابي ليس في بِرّهِ عَتْبُ
إذا كان أولادُ الرجالِ مَرارَةً فأنتَ الحلالُ الحُلوُ والبارِدُ العذْبُ
لنا جانِبٌ منه أنِيقٌ وجانِبٌ شديدٌ على الأعداءِ مَرْكَبُهُ صَعْبُ
وتأخذه عند المكارِمِ هِزّةٌ كما اهْتَزَّ تحتَ البارِحِ الغُصُنُ الرَطب

قال : وحدثني علي بن عبد الله قال : حدّثني العُتْبِيُّ قال : أشْرَفَ عمر ابن هُبَيْرَةَ الفَزارِيُّ من قصره يوماً فاذا هو باعرابي يُرَقِّصُ جَمَلَهُ الأَلُّ فقال لحاجبه : إن أرادني هذا فأوْصِلْهُ إليّ . فلما دنا الأعرابيُّ سأله فقال : قصدتُ الأمير . فأدْخَلَهُ اليه فلما مَثَلَ بين يديه قال له عمر : ما خَطْبُكَ؟ فقال الاعرابي :

أصْلَحَكَ اللهُ قَلَّ ما بيدي فما أُطيقُ العِيالَ إذْ كَثُروا
ألحَّ دَهْرٌ أنْحَى بكَلْكَلِهِ فأرْسَلوني اليك وانتَظَروا
(رَجَوْكَ للدَهْرِ أن تكونَ لَهُمْ غَيْثَ سَحابٍ إن خانَهُمْ مَطَرُ)

قال : فأخذتْ عمرَ الأرْيَحِيَّةُ فجَعَلَ يَهْتَزُّ في مجلسه ثم قال: أرسلوك إليّ وانتظروا إذاً والله لا يجلسُ حتى ترجعَ اليهم غانماً . فأمَرَ له بألف دينار

Marfat.com

ورَدّهُ على بعيره . قال أبو العباس : وحدثني ابو اسحق اسمعيل بن اسحق القاضي أن الخبرَ لمعْنِ بن زائدة وصحّ ذلك عندي. وقوله: نقائذ بؤس واحدتها نَقيذَةٌ وتأويله أنهم أُنقِذُوا من بُؤْسٍ ، يقال للرجل والمرأة ذلك على لفظ واحد تقول هذا نَقيذةُ بُؤْسٍ وتقع الهاء للمبالغة لان أصله كالمصدر كقولك: زيد مَكْرَمَةٌ لاهله ، وزيد كريمةُ قومِهِ أي يَحُلُّ مَحَلَّ المقدة الكريمة والخصلة الكريمة . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أكْرَمَ جرير بن عبد الله البَجَلِيّ لما وَرَدَ عليه فبسط له رِداءه وعَمَدَ بيده وقال : إذا أتاكم كريمةُ قومٍ فأكْرِموهُ . هكذا روى فُصَحاءُ أصحاب الحديث . وقد قال ﷺ قبل وُروده عليه : يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذي يَمَنٍ عليه مَسْحَةُ مَلَكٍ . وقال صَخْرُ بن عمرو بن الشَّريد يعني معاويةَ اخاه وكان قتله هاشم ودُرَيْدٌ ابنا حَرْمَلَةَ المُرِّيانِ من غَطَفان فقيل لصخر : اهْجُهُمْ فقال : ما بيني وبينهم أَقْذَعُ من الهِجاء ولو لم أُمْسِكْ عن هجائهم إلا صَوْناً لنفسي عن الخَنَى لفعلت . ثم قال :

وعاذِلةٍ هَبَّتْ بليلٍ تَلومُني ألا لا تلوميني كفى اللَّوْمَ ما بِيا
تقولُ ألا تَهْجو فوارِسَ هاشِمٍ وما لي إذ أهْجوهُمُ ثم مالِيا
أبى الشَّتْمَ أني قد أصابوا كريمتي وأن ليس إهْداءُ الخَنى من شِمالِيا
(إذا ذُكِرَ الإخْوانُ رَفْرَفَتْ عَبْرةً وحَيَّيْتُ رَسْماً عند لَثَّةَ ثاوِيا
اذا ما امْرُؤٌ أهْدى لَميْتٍ تَحيّةً فحَيّاكَ رَبُّ العرشِ عَنّي مُعاوِيا
وهَوَّنَ وَجْدي أنني لم أقُلْ له كذَبْتَ ولم أبْخَلْ عليه بماليا

قال الاخفش : وأنشدني الاحْوَلُ :وما لِيَ إنْ أهْجوهُمُ ثم مالِيا) وتقول العرب للرجل : راوِيةٌ ونَسّابَةٌ فتزيد الهاءَ للمبالغة وكذلك عَلّامةٌ وقد تلزم الهاءُ في الاسم فتقع للمذكر والمؤنث على لفظ واحد نحو : رَبْعَةٍ ويَفَعَةٍ وصَرورةٍ وهذا كثير لا تُنْزَعُ الهاءُ منه فاما راوية وعلامة ونسّابة فحذف الهاء جائز فيه ولا يَبْلُغُ في المبالغة ما تَبْلُغُهُ الهاءُ وقوله :

Marfat.com

وحلبت الايام والدهر أضرعا، فانه مَثَلٌ يقال للرجل المجرّبِ للأمور فلان قد حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَهُ أي قد قاسى الشِدّةَ والرخاءَ وتصرّفَ في الفقر والغنى كما قال القائل :

قد عِشْتُ في الناس أطواراً على طُرُقٍ ... شَتّى وقاسيْتُ فيها اللّينَ والفَظَما
كُلاًّ بَلَوْتُ فلا النَّعْماءُ تَبْطِرُني ... ولا تَخَشَّعْتُ من لأوائها جَزَعا
لا يَمْلأُ الهولُ صدري قبل مَوْقِعِهِ ... ولا اضيقُ به ذَرْعاً إذا وَقَعا

ومعنى قوله أَشْطُرَهُ فإنما يريد خُلُوفَهُ يقال: حَلَبْتُها شَطْرَ أبعدَ شَطْرٍ وأصل هذا من التَّنَصُّفِ لان كل خِلْفٍ عَديلٌ لصاحبه وللشَّطْرِ وجهان في كلام العرب فأحدهما النصف كما ذكرنا من ذلك قولهم : شاطَرْتُكَ مالي والوجه الآخر القصْدُ يقال : خُذْ شَطْرَ زيدٍ أي قصدَهُ . قال الله عزّ وجل : فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المسْجِدِ الحرام أي قصده وحيثُ ما كنْتُمْ فوَلُّوا وجوهَكم شَطْرَهُ قال أبو العباس: وأنشدني التَّوَّزِيُّ عن أبي عُبيدة قول الشاعر .

إنّ العسير بها داءٌ مُخامِرُها ... فشَطْرَها نظرُ العَيْنَيْنِ مَحْسور

يريد ناحيتها وقصدها والعَسير التي تعْسِرُ بذَنَبِها إذا حَمَلت أي تشيلُه وترفعه ومنه سُمّي الذَّنَبُ عَوْسَراً أي تضرب بذنبها ومعنى ذلك انه ظهر من جَهْدها وسُوءِ حالها ما أُطيلَ معه النظر اليها حتى تَحْسِرَ العينان والحسير المُعْيي وفي القرآن : يَنقَلِبْ اليكَ البَصَرُ خاسِئاً وهو حسيرٌ . وقوله : سقاها ذوو الاحلام سَجْلاً على الظما، فالسَّجْلُ في الاصل الدَّلْوُ وإنما ضرَبَه مَثَلاً لما فاض عليها من نَدى أقاربها يقال للدلو وهي مؤنثة سَجْلٌ وذَنوبٌ وهما مُذَكّران والضَّرْب مذكر وهو الدلو العظيمة . ويقال : فلان يُساجِلُ فلاناً أي يُخْرِجُ من الشرف مثل ما يُخرجُ الآخر وأصل المساجلة أن يَسْتَقي ساقيان فيُخْرِجَ كلُّ واحدٍ منهما في سَجْلِهِ مثلما يُخْرِجُ الآخر فايُّهما نَكَلَ فقد غُلِبَ فضرَبَتْهُ العرب مثلاً للمفاخرة والمساماة وبَيْنَ ذلك الفَضْلُ بن العباس بن عُتْبَةَ بن أبي لَهَبٍ في قوله ،

Marfat.com

مَنْ يُساجِلْني يُساجِلْ ماجِداً يَمْلأُ الدَلْوَ إلى عَقْدِ الكَرَبْ

ويقال : ان الفَرَزْدقَ مَرَّ بالفَضْل وهو يَسْتَقي ويُنْشِدُ هذا الشعر فَسَرا الفرزْدقُ ثيابه عنه ثم قال : أنا أُساجِلُكَ ثِقَةً منه بنَسَبه . فقيل له : هذا الفَضْلُ بن العباس بن عتبة بن أبي لهب . فردّ الفرزْدق ثيابه عليه ثم قال: ما يُساجلك إلا مَن عَضَّ بأثير أبيه. يقال سَرا ثوبَه وَسَرّاه في معنى واحد إذا نزعه ، ويقال سَرى عليه الهَمُّ إذا أتى ليلاً . وأنشد :

سَرى هَمّي وهَمُّ المَرْءِ يَسْري وغار النَجْمُ الا قِيدَ فِتْرِ

البيت لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَةَ اللَيْثِيّ شيخِ مالك بن أنس) وسَرى هَمُّهُ اذا ذهب عنه والمواضخَةُ مثل المُساجلةقال العَجّاج : تواضِخُ التَقْريبَ فِتْلواً مِخْلَجا ، أي تُخرجُ من العَدْوِ مثل ما يُخْرجُ. قال الله عزّ وجل على تَخْرَجَ كلام العرب وأمْثالِهِمْ : فإنّ لِلّذين ظَلَموا ذَنوباً مثل ذَنوبِ أصْحابِهِمْ. وأصل الذَنوب الدَلْوُ كما ذكرتُ لك . وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ للحرث بن أبي شَمِرٍ الغَسّانيّ (قال أبو الحسن غير أبي العباس يقول شِمْرٌ وبعضهم يقول شَمْرٌ) وكان أخوه أسيراً عنده وهو نَأْسُ بن عَبَدَةَ أسَرَهُ في وقعة عَيْن أباغَ (قال أبو الحسن غيره يقول إباغَ) في الوقعة التي كانت بينه وبين المُنْذر ابن ماءِ السّماء في كلمةٍ له مَدَحَهُ فيها :

وفي كلّ حَيٍّ قد خَبَطْتَ بِنَعْمَةٍ فحَقّ لشَأْسٍ من نَداكَ ذَنوبُ

فقال الملِكُ : نعم وأذْنِبَةٌ . وقوله : وقد كرَبَتْ أعناقُها أن تَقَطَّعا، يقول: سُقِيَتْ هذا السَجْلَ وقد دَنَتْ أعناقُها من أن تَقَطَّعَ عطشا وكرَبَ في معنى المُقاربة . يقال : كاد يفعلُ ذلك وجَعلَ يفعلُ ذلك وكرَبَ يفعلُ ذلك أي دنا من ذلك . ويقال : جاء زيد والخيلُ كارِبَتُهُ أي قد دَنَتْ منه وقَرُبَتْ ،فأما أخذَ يفعلُ وجَعلَ يفعلُ فمعناهما أنه قد صار يفعل ولا تقع بعد واحدة منهما أنْ ، فأما كاد وكرب فأنْ لا تستعمَلُ بعد واحدة منهما إلا أن يُضْطَرّ شاعرٌ . قال الله عزّ وجل : إذا أخْرجَ يَدَهُ لم يَكدْ يراها أي لم

Marfat.com

يَقْرُبُ من رؤيتها وإيضاحه لم يَرَها ولم يَكَدْ. وكذلك: يَكادُ سنا بَرْقِهِ يَذْهَب بالأبصار. وكذلك: كاد تزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم بغير أن. ومن أمثال العرب: كادَ النعامُ يطير وكاد العَروسُ يكون أميراً وكاد المُتَمَثِّلُ يكون راكِباً، وقد اضطُرَّ الشاعرُ فأدْخَلَ أن بعد كاد كما أدخلها هذا بعد كرَبَ فقال: وقد كرَبَتْ أعناقُها أن تَقطَّعا. وقال رُؤْبَةُ:

قد كاد من طُول البِلى أن يَمْصَحا فكاد بمنزلة كرَبَ في الإعمال والمعنى.

قال الشاعر:

أغِثْني غِياثاً يا سُلَيْمانُ إنني سَبَقْتُ اليكَ الموْتَ والموتُ كارِبي
خَشِيْتَ جَوْرٍ من أمير مُسَلَّطٍ ورَهْطي وما عاداكَ مثلُ الأقارِبِ

وقوله: لما أوْشَكتْ أن تضَلَّعا يقول: لما قارَبَتْ ذلك، والوَشيكُ القريب من الشيء والسريع اليه. يقال: يُوشِكُ فلانٌ أن يفعل كذا وكذا والماضي منه أوْشَكَ ووقعتْ بأنْ وهو أجود وبغير أنْ كما كان ذلك في لعلَّ تقول: لعلَّ زيداً يقوم فهذه الجيِّدةُ قال الله عزّ وجل: لعلَّ الساعةَ تكونُ قريباً، ولعَلَّهُ يَتذَكَّرُ أو يَخْشى، ولعلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذلك أمراً وقال مُتَمِّمُ بن نُوَيْرَةَ:

لعَلَّكَ يَوْماً أنْ تُلِمَّ مَلِمَّةً عليك من اللاّئي يَدَعْنَكَ أجْدَعا

وعَسى الأجودُ فيها أن تُسْتَعْمَلَ بأنْ كقولك: عسى زيد ان يقوم كما قال الله عزّ وجل: فعَسى اللهُ أن يأتي بالفَتْحِ. وقال جلّ ثناؤه: عَسى اللهُ أن يتوب عليهم. ويجوز طَرْحُ أنْ وليس بالوجه الجيد. قال هُدْبَةُ:

عَسى الكَرْبُ الذي أمْسَيْتَ فيه يكونُ وَراءَهُ فَرَجٌ قريب

وقال آخر:

عَسى اللهُ يُغْنِي عن بلادِ بن قادرٍ بمُنْهَمِرٍ جَوْنِ الرَّبابِ سَكوبِ

وحروفُ المُقارَبَةِ لها باب قد ذكرناها فيه على مقاييسها في الكتاب المقتضَب بغاية الاستقصاء. وقوله: أن تَضلَّعا معناه ان تمتلىء، وأصله ان العظام والشد

Marfat.com

يَبْلُغانِ الأَضْلاعَ فيَكْظُمانِها . كذلك قال الأصمعي في قولهم : أكلَ حتى تضَلَّعَ . وأما قول أبي وَجْزَة: راحتْ بسِتين وَسْقاً فالوَسْقُ خمسة أقفِزةٍ بمِكْيالِ البَصْرةِ . وفي الحديث عن النبي ﷺ ليس فيما دونَ خَمْسةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ ، فما كان أقل من خمسة وعشرين قَفيزاً بالقفيز الذي وصفنا وهو نصف القَفيز البَغْداديّ في أرض الصدقة فلا صدقة فيه ، وإنما اراد أنه أخذَ الكتاب بهذه الأَوْسُقِ فلذلك قال :

ما إنْ رأيتُ قَلوصاً قبلها حَمَلَتْ ستِّينَ وَسْقاً ولا جابَتْ به بَلداً

وأما قوله يَقْرون ضَيْفَهُمُ المَلْوِيَّةَ الجُدُدَا فإنما أراد السِياط وجمع جَديدٍ جُدُدٌ وكذلك باب فَعيلٍ الذي هو اسم أو مضارع للاسم نحو: قَضيبٍ وقُضُبٍ ورَغيفٍ ورُغُفٍ وكذلك سريرٌ وسُرُرٌ وجديدٌ وجُدُدٌ لأنه يجري مَجْرى الأسماء وجَريرٌ وجُرُرٌ فما كان من المضاعف جار فيه خاصةً أن تُبْدَل من ضمته فتحةٌ لأن التضعيف مُسْتَثْقَلٌ والفتحة أَخفُّ من الضمة فيجوز أن يُمالَ اليها استخفافاً فيقال: جُدَدٌ وسُرَرٌ ولا يجوز هذا في مثل قَضيبٍ لأنه ليس بمضاعف وقد قرأ بعضُ القُرّاءِ على سُرَرٍ مَوْضونةٍ ، ويقال للسوط الأصْبَحِيُّ يُنْسَبُ الى ذي أَصْبَحَ الحِمْيَرِيّ وكان اوّلَ من اتخذ هذه السِياطَ التي يُعاقِب بها السلطانُ ويقال له المِرْفاصُ والقطيعُ ، وقال الشَّمّاخُ تكادُ تطيرُ من رأيِ القَطيعِ وقال الصَّلَتانُ العَبْدِيُّ :

أرى أُمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَها وقد زيدَ في سوطها الأَصْبَحِيِّ

وقال الراعي :

أَخذوا المريفَ فقَطَّعوا حَيْزومَهُ بالأَصْبَحِيَّةِ قائماً مَفْلولاً

وقال الراجز : حتى تَرَدَّى طَرَفُ العِرْفاصِ . وقوله : ولا جابَتْ به بَلداً ، يقول ولا قطعَتْ به يقال جُبْتُ البلاد . قال الله عز وجل : وثَمودَ الذينَ جابوا الصَّخْرَ بالواد . ويقال : رجلٌ جَوّابٌ جَوّالٌ . وأنشدني عليُّ بن عبدالله قال : أنشدني القَحْذَمِيُّ :

Marfat.com

ما مَنْ أتتْ منْ دون مَوْلِدِهِ خَمْسونَ بالمعْذور بالجهْلِ
فإذا مَضَتْ خمسونَ عن رَجُل تركَ الصِبا ومَشى على رِسْلِ

وأمرَ مُصْعَبُ بن الزُبَيْرِ رجلاً من بني أسَدِ بن خُزَيْمَةَ بقتل مُرَّةَ بن مَحْكانَ السَعْدِيِّ ، فقال مُرَّةُ في ذلك :

بَني أسَـدٍ إنْ تقتلوني تُحارِبوا قَتيلاً إذا الحَرْبُ العَوان اشْمَعَلَّتِ
ولَسْتُ وإن كانتْ إليَّ حَبيبةً ببِاكٍ على الدُنْيا إذا ما تَوَلَّتِ

قوله: إذا الحرب العوان فهي التي تكون بعد حَرْبٍ قد كانتْ قبلها وكذلك أصل العوان في المرأة إنما هي التي قد تزوجت ثم عاودتْ فخرجتْ عن حَدِّ البِكْرِ . وقول الله عزّ وجل في كتابه العزيز : لا فارِضٌ ولا بِكْرٌ هو تمام الكلام ثم استأنف فقال : عَوانٌ بين ذلك، والفارِضُ ههنا المسنة والبِكْرُ الصغيرة ويقال لَهاةٌ فارِضٌ أي واسعة وفَرْضُ القَوْسِ موضع مَعْقِدِ الوَتَرِ وكل حَزٍّ فَرْضٌ والفُرْضة مُتَطرَّقٌ الى النَهْرِ .قال الراجز: لها زِجاجٌ ولَهاةٌ فارِضُ . وقوله اشْمَعَلَّتْ إنما هو ثارَتْ فأسرعتْ . قال الشَمّاخُ :

رُبَّ ابنِ عَمٍّ لسُلَيْمى مُشْمَعِلْ أرْوَعَ في الـفَتْرِ وفي الحَيِّ غَزِلْ
طَبّاخِ ساعاتِ الكرَى زادَ الكَسِلْ .

وقوله ولَسْتُ وإن كانتْ اليَّ حبيبةً ببِاكٍ على الدنيا.. إنما هو على التقديم والتأخير، أراد ولست ببِاكٍ على الدنيا وإن كانت إليَّ حبيبةً ولولا هذا التقدير لم يجز أن يُضْمِرَ قبل لذكْرِ ومثله :

إنْ تَلْقَ يوماً على عِلاَّتِهِ هَرِماً تَلْقَ السَماحةَ منه والنَدَى خُلقا

وكذلك قول حَسّان بن ثابت :

قد ثَكِلَتْ أمُّهُ مَن كنْتُ واحِدَهُ أو كان مُنْتَشِباً في بُرْثُنِ الأسَدِ

يقول : من كنتُ واحده قد ثَكِلَتْ أمُّهُ . وكذلك قوله :

شَرٌّ يَوْمَيْها وأخْزاهُ لها رَكِبَتْ هِنْدٌ بِحِدْجٍ جَمَلا

يقول ركبتْ هندُ بحدْجٍ جَملاً في شَرِّ يَوْمَيْها وقال رجل من مُزَيْنَةَ :

Marfat.com

خَلِيَلَيَّ بالبَوْباةِ عوجا فلا أرى بها مَنْزِلاً إلا جَديبَ المُقَيَّدِ
نذُقْ بَرْدَ نجدٍ بعدما لَعِبَتْ بنا تِهامةُ في حَمّامِهـــا المُتَوَقِّدِ

قوله بالبوباة فهي المُتَّسَعُ من الأرض ، وبعضهم يقول هي المَوْماةُ بعينها قلبت الميم باء لأنهما من الشَفَةِ . ومثلُ ذلك كثير يقولون ما اسمُكَ وبا اسمُكَ ، ويقولون: ضَرْبَهُ لازِمٍ ولازِبٍ ، ويقولون هذا ظأمي وظأبي يعنون السلفَ (قال أبو الحسن الجَيِّدُ سَلِفٌ وما قال ليس بممتنع ويقولون: رُكْبَةُ سَوْءٍ وزُكمَةُ سَوْءٍ أي وَلدُ سَوْءٍ ، ويقولون رجل أخْرَمُ وأخْرَبُ وهذا كثير. وقال عُمَرُ بن أبي رَبيعة :

عوجا تُحَيِّي الطَلَلَ المُحْوِلا والرَبْعَ من أسماءَ والمَنْزِلا
بجانِبِ البَوْباةِ لم يَعْدُهُ تقادُمُ العَهْدِ بأنْ يُؤْهِلا

وقوله : إلا جَديبَ المُقَيَّدِ . يقال : بلد جَدْبٌ وجديبٌ وخِصْبٌ وخَصيبٌ والأصل في النعت خصيبٌ ومُخْصِبٌ وجديبٌ ومُجْدِبٌ والخِصْبُ والجَدْبُ إنما هما ما حُلَّ فيه، وقيل خَصيبٌ وانت تريد مُخْصِبٌ وجَديبٌ وأنت تريد مُجْدِبٌ كقولك عذابٌ أليمٌ وأنت تريد مُؤْلِمٌ . قال ذو الرمة :

وَنَرْفَعُ من صُدورِ شَمَرْدَلاتٍ يَصُكُّ وُجوهَها وَهَجٌ أليمُ

ويقال : رجل سَميعٌ أي مُسْمِعٌ . قال عَمْرو بن مَعْديكرب :

أمِنْ رَيْحانَةَ الدّاعي السَميعُ يُؤَرِّقُني وأصحابي هُجوعُ

وأما قوله المُقَيَّد فهو موضع التقييد، وكل مَصْدَرٍ زيدتْ الميمُ في أوله وإذا جاوَزْتَ الفعل من ذوات الثلاثة فهو على وزن المَفعول ، وكذلك إذا أردتَ اسم الزمان واسم المكان تقول : أدْخَلْتُ زيداً مُدْخَلاً كريماً وسَرَّحْتُهُ مُسَرَّحاً حسناً واستخرجتُ الشيءَ مُسْتَخْرَجاً . قال جرير :

ألَمْ تَرَ أنَّ مُسَرَّحِيَ القَوافي فلا عِيّاً بِهِنَّ ولا اجْتِلابا

أي تَسْريحي . وقال عزّ وجل : وقُلْ رَبِّ أنْزِلْني مُنْزَلاً مُبارَكاً . ويقال : قُمتُ مَقاماً وأقَمْتُ مُقاماً . وقال عزّ وجل : انها ساءَتْ مُسْتَقَرّاً

Marfat.com

ومُقاماً ، أي موضع إقامة . وقال الشاعر (حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ الهِلاليُّ) :

تَطولُ القِصارَ والطِوالُ يَطُلْنَها فمَنْ يَرَها لا يَنْسَها ما تَكَلَّما)
وما هِيَ إلا في إزارٍ وعِلْقَةٍ مُغارَ ابنِ هَمّامٍ على حَيِّ خَثْعَما

يريد زمنَ إغارةِ ابن هَمّامٍ . وأما قوله: تَذُقْ بَرْدَ نَجْدٍ فذاك لأن نَجْداً مرتفعةٌ وتِهامةُ غَوْرٌ منخفض فنَجْدٌ باردة ويروى عن الأَصْمَعِيِّ أنه قال: هَجَمَ عليَّ شهرُ رمضان وأنا بمكة فخرجتُ إلى الطائف لأصومَ بها هَرَباً من حَرِّ مكة فلقيني أعرابي فقلت له: أين تريد؟ فقال : أريد هذا البلدَ المبارك لأصوم هذا الشهر المبارك فيه . فقلت له : أما تخاف الحرَّ ؟ فقال : من الحَرِّ أفِرُّ . وهذا الكلام نظير كلام الرَبيع بن خُثَيْمٍ فإن رجلاً قال له وقد صَلّى ليلةً حتى أصبح : أتعَبْتَ نفسك . فقال : راحَتَها أطلبُ ، إنَّ أفْرَةَ العبيد أكْيَسُهُمْ . ونظير هذا الكلام قولُ رَوْحِ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّبِ ونظر اليه رجل واقفاً بباب المنصور في الشمس فقال: قد طال وُقوفك في الشمس فقال رَوْحٌ : ليطول وقوفي في الظل. ومثله من الشعر قوله. قال أبو الحسن هو عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ) :

تقول سُلَيْمى لو أقَمْتَ بأرضنا ولم تَدْرِ أني للمُقامِ أُطَوِّفُ
(لَعَلَّ الذي خَوَّفْتِنانمن وَرائنا سَيُدْرِكُهُ من بَعْدِنا المُتَخَلِّفُ)

ويروى لَسَرَّنا . وقال آخر :

سأطلبُ بُعْدَ الدارِ منكم لتَقْرُبوا وتَسْكُبُ عَيْناي الدُموعَ لتَجْمُدا

وهذا معنى كثير حسن جميل وقال حَبيبُ بن أوْسٍ الطائيُّ :

أآلِفَةَ النَجيبِ كِ افْتِراقٍ أجِدَّ فكان داعِيَهُ اجتماع
ولَيْسَتْ فَرْحَةُ الأوْبات إلا لِمَوْقوف على تَرَحِ الوَداعِ

وقال رجل واغْتَلَّ في غُرْبَةٍ فتَذَكَّر أهله :

لو أنَّ سَلْمى أبْصَرَتْ تَخَدُّدي ورِقَّةً في عَظْمِ ساقي ويَدي

Marfat.com

وبُعْدَ أهْلي وجَفـاءَ عُوّدي عَضّتْ من الوَجدِ بأطرافِ اليدِ

قوله : أبصرت تخدُّدي يريد ما حَدثَ في جسمه من النُحول وأصل الخَدّ ما تَقَعَّرَ في الأرض . قال شُمّاخ :

فقلتُ لهم خُدُّوا له برِماحِكمْ بطامِيَةِ الأعْلام خَفّاقَةِ الآلِ

ويقال للشيخ قد تَخدّدَ يراد قد تشَنّجَ جِلْدُهُ وقال الله عزّ وجل: قُتِلَ أصحابُ الاخْدودِ . وقيل في التفسير هؤلاء قوم خَدُّوا أخاديدَ في الارض وأشعلوا فيها نيراناً فحرّقوا بها المؤمنين. وقوله : عَضّتْ من الوَجْدِ باطراف اليد فان الحَزين والمَغيظ والنادِمَ والمتأسِّفَ يَعَضُّ أطراف أصابعه جزعاً . قال الله عزّ وجل : عَضّوا عَليكم الانامِلَ من الغَيْظِ . وفي مثل ما ذكرنا من تَخدُّدِ لحم الشيخ يقول القائل :

ذَهبَ الشبابُ فلا شبابَ لِجمانا وكأنّ ما قد كانَ لم يَكُ كانا
وطوَيْتُ كفّي يا لُجمانَ على العصا وكفَى لُجمانَ بطيّها حَدَثانا)
يا مَنْ لِشَيْخٍ قد تَخدّدَ لَحمُهُ أفْنى ثلاثَ عَمائِمٍ ألوانا

(ألوانا صفة لثلاث على المعنى كأنه قال مختلفات)

سَوْداءَ حالِكةٍ وسَحْقَ مُفوّفٍ وأجدّ لوْناً بَعْدَ ذاك هِجانا
(صَحِبَ الزمانَ على اختلافِ فنونِهِ فأراهُ منه كراهَةً وهَوانا)
قَصَرَ الليالي خَطْوَهُ فتَدانى وحَنَوْنَ قائِمَ صُلْبِهِ فتَحانى
والموْتُ يأتي بَعْدَ ذلك كُلِّهِ وكأنما يُعْنى بذاك سِوانا

قوله : أفنى ثلاثَ عمائمٍ يعني أن شعره كان أسود ثم حَدثَ فيه شيب مع السواد فذلك قوله مُفَوّفٌ والتَفْويف التنقيش وإنما أخذ من الفُوف وهي النكتة البيضاء التي تَحْدُثُ في أظفار الاحْداثِ وسميت بذلك لشَبَهها بشجرة يقال لها الفُوَّفةُ وجمعها فُوفٌ ، والسَحْقُ الخَلَقُ يقال عنده سَحْقٌ

Marfat.com

ثوبٍ وجَرْدُ ثوبٍ وسَمَلُ ثوبٍ ، وقوله أجَدُّ أي اسْتَجَدّ لونا، والهجان الابيضُ وهي العمامة الثالثة يعني حيث شَمِلَهُ الشيب .

١٨ - باب

قال أبو العباس : من أمثال العرب : لم يَذْهَبْ من مالِكَ ما وَعَظَكَ ، يقول : إذا ذهب من مالك شيء فحَذَرُكَ أن يَحُلّ بك مِثْلُهُ فتأديبُه إياك عَوَضٌ من ذَهابه. ومن أمثالهم: رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً ، وتأويله ان الرجل يَعْمَل العمل فلا يُحْكِمُهُ للاستعجال به فيحتاج إلى ان يعود فينقضه ثم يستأنف. والرَيثُ الإبْطاءُ وراث عليه أمْرُهُ إذا تأخر . ومن أمثال العرب : عَشّ ولا تَعْثَرّ وأصل ذلك أن يَمُرّ صاحبُ الإبلِ بالارض المُكْلِئَةِ فيقول أدَعُ أنْ أعَشّي إبلي منها حتى أرِدَ على أخرى ولا يَدْري ما الذي يَرِدُ عليه. وقريب منه قولهم: أنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ أكْيَسُ وتأويله أن يَمُرّ الرجل بالماء فلا يَحْمِلَ منه اتّكالاً على ماء آخر يصير اليه فيقال له: أن تَحْمِلَ معكَ ماءً أحْزَمُ لك فإن أصبتَ ماء آخر لم يضرك فان لم تَحْمِلْ فخفقت من المـاء عَطِبْتَ . ومن أمثالهم قد أحْزَمُ لو أعْزِمُ يقول: أعْرِفُ وجه الحَزْم فان عَزَمْتُ فامضيتُ الرأي فأنا حـــازمٌ وإن تركت الصواب وأنا أراه وضَيَّعْتُ العَزْمَ لم ينفعني حَزمي . ومثله قول النابغة الجَعْدي :

أبى لي البَـــلاءُ وإني امرُؤٌ إذا مـــا تَبَيَّنْتُ لم أرتَبِ

وقال أعرابي يمدح سَوّارَ بن عبد الله :

وأوْقِفُ عند الامر ما لم يَضِحْ له وأمْضي إذا ما شكّ من كان ماضِيا

فالذي يُحْمَدُ إمْضاءُ ما تبين رُشْدُهُ فأما الاقـدام على الغَرر وركوب الامر على الخَطَر فليس بمحمود عند ذوي الالباب وقد يَتَحَسَّنُ بمثله الفُتّاك كما قال (هو سَعْدُ بن ناشِبٍ المازِنيُّ عن الرِياشيّ وغيره) :

Marfat.com

عَلَيْكُمْ بداري فاهْدِموها فانها تُراثُ كريمٍ لا يَخافُ العواقِبا
إذا هَمَّ ألقى بين عينيهِ عَزمَهُ وأعْرَضَ عن ذِكْرِ العَواقِبِ جانبا
ولم يَسْتَشِرْ في رأيه غيرَ نفسِهِ ولم يَرْضَ إلا قائِمَ السيفِ صاحِبا

فهذا شأن الفُتّاكِ ، وقال الآخر :

غلامٌ اذا ما هَمَّ بالفَتْكِ لم يُبَلْ ألامَتْ قليلاً أم كثيرا عواذِلُهْ

وقال آخر :

وما العَجْزُ الا أنْ تُشاوِرَ عاجِزاً وما الحَزْمُ الا أن تَهُمَّ فتفعلا

فأما قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه . مَن أكْثَرَ الفِكرةَ في العَواقب لم يَشْجُعْ ، فتأويله انه من فَكَّرَ في ظَفَرِ قِرْنِهِ به وعُلُوِّهِ عليه لم يُقْدِم . وانما كان الحَزْمُ عند عليٍّ رضي الله عنه أن يَحْظُرَ أمر الدين ثم لا يُفكّرَ في الموت وقد قيل له ، أتقتل أهل الشام بالغداة وتَظهَر بالعَشيّ في إزارٍ ورِداءٍ ؟ فقال : أبالموتِ أُخَوَّفُ ، والله ما أبالي أَسَقَطتُ على الموت أم سَقَطَ الموتُ عليَّ ، وقال للحسن ابنِهِ : لا تَبْدأ بدعاءٍ الى مبارزةٍ ، فان دُعيتَ اليها فاجِبْ ، فإنّ طالبها باغٍ فالباغي مَصروع . وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنة يَلتَفُّ في كِسائِهِ وينام في ناحية المسجد فلما وُرِدَ بالمِرْزُبانِ عليه . (كذا وقعت الرواية المِرْزُبان والصواب الهُرْمُزان وكان صاحبَ تُسْتَرا) جعلوا يسألون عنه فيقال مَرَّ ههنا آنِفاً فيَصغُرُ في قلب المِرْزُبان اذ رآه كبعض السُّوَقِ حتى انتهى اليه وهو نائم في ناحية المسجد . فقال المِرْزُبانُ : هذا والله المُلْكُ الهَنيءُ ، يقول لا يحتاج الى أحراسٍ ولا عُدَدٍ . فلما جلس عمر امتلأ قلبُ المِلْجِ منه هَيْبةً لما رأى عنده من الجِدِّ والاجتهاد وأَلْبَسَ من هَيبة التقوى . وقال الكلبيُّ : قال لي خالد بن عبدالله بن يزيد بن أسد بن كُرْز القَسريُّ ما تَعُدُّون السُّودَدَ ؟ فقلتُ ، أما في الجاهلية فالرياسة ، وأما في الاسلام فالوِلاية وخَبَرٌ من ذا وذاك التَقوى ، فقال لي صَدَقتَ . كان أبي يقول لم يُدْرِكِ الأولُ الشَرَفَ الا بالفعل ولا يدركه الآخِرُ الا بما أدركَ به الأولُ . قال فقلتُ صدقَ أبوك ساد الأحْنَفُ بحلمه وساد مالك بن مِسْمَعٍ بحبة

* المرزبان : أو الهرمزان ، وقد اشترك هذا المجوسي المسلم في التآمر على قتل الخليفة عمر .

Marfat.com

العَشيرة له وساد قُتَيْبةُ بدَهائه وساد المُهَلَّبُ بجميع هذه الخِلال ، فقال لي : صدقتَ كان أبي يقول خيرُ الناسِ للناس خيرهم لنفسه وذلك أنه اذا كان كذلك اتّقى على نفسه من السَرَقِ لئلا يُقطَعَ ومن القَتلِ لئلا يُقادَ ومن الزنا لئلا يُحَدَّ فَسَلِمَ الناسُ منه باتقائه على نفسه. قال أبو العباس وكان عبدالله بن يزيد أبو خالد من عقلاء الرجال ، قال له عبد الملك يوماً ما مالُكَ . فقال شيآن لا عَيْلةَ عليَّ معهما الرِضا عن الله والغِنى عن الناس فلما نَهَضَ من بين يديه . قيل له : هَلاّ خبّرتَه بمقدار مالكَ ؟ فقال لم يَعْدُ أن يكون قليلاً فيَحْقِرني أو كثيراً فيحْسُدَني وقال رسول الله ﷺ مَنْ سَرّهُ أن يكون أعزّ الناس فلْيَتّقِ الله ومن سَرّهُ أن يكون أغنى الناسِ فليَكُن بما في يد الله أوثقَ منه بما في يده ومَنْ سَرّهُ أن يكون أقوى الناسِ فليتوكل على الله. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن سَرّهُ الغِنى بلا مال والعِزُّ بلا سُلطانٍ والكثرة بلا عشيرةٍ فليَخْرُجْ من ذُلّ معصية الله الى عزّ طاعته فانه واجدٌ ذلك كله. وخَطَبَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فَحَمِدَ الله بما هو أهله ثم أقْبَلَ على الناس فقال : أيها الناس ان لكم مَعالِمَ فانتَهوا الى مَعالِمِكم وان لكم نِهايةً فانتهوا الى نهايتكم فان العبد بين مَخافَتَين أجَلٌ قد مضى لا يَدري ما الله فاعِلٌ فيه وأجَلٌ باق لا يَدري ما اللهُ قاضٍ فيه فَلْيأخُذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشَبيبة قبل الكِبَرِ ومن الحياة قبل الممات فوالذي نفسُ محمدٍ بيدهِ ما بعد الموت من مُسْتَعْتَبٍ ولا بعد الدنيا من دارٍ الا الجنةُ أو النارُ . وقال رسول الله ﷺ: أمرني ربي بتسع: الإخلاصُ في السِّر والعَلانية والعَدْلُ في الغضب والرضا والقَصدُ في الفقر والغِنى، وأن أعفُوَ عمن ظلمني وأصِلَ من قَطَعني وأعطي مَن حَرَمَني ، وأن يكون نُطْقي ذِكراً وصَمْتي فِكْراً ونَظري عِبرةً. وحُدِّثتُ أنه الْتَقى حَكيمان فقال أحدهما للآخر . اني لأُحِبُّكَ في الله . فقال له الآخر : لو علمتَ مني ما أعْلَمُهُ من نفسي لأبْغَضْتَني في الله، فقال له صاحبه: لو عَلِمتُ منك ما تَعْلَمُهُ من نفْسِكَ

Marfat.com

لكان لي فيما أعلمَهُ من نفسي شُغلٌ . وكان مالكُ بن دينـــار يقول : جاهدوا أهواءَكم كما تجاهدون أعداءكم. وكان يقول ما أشَدَّ فِطامَ الكبير !وقيل لعمر بن عبد العزيز أيُّ الجِهادِ أفضلُ ؟ فقال جِهادُكَ هَواكَ . وكان الحسن يقول: حادِثوا هذه القلوبَ فانها سريعة الدُّثور ،واقدَعوا هذه الأنفُسَ فانها طلَعةٌ وانكم إلا تقدَعوها تَنزِعْ بكم الى شرٍّ غاية . قوله : حادثوا مَثَلٌ ، ومعناه اجْلوا واشْحَذوا ، تقول العرب حادَثَ فلانٌ سَيْفه إذا جلاه وشَحَذَه . وقال زيدُ الخَيْلُ :

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أنَّ سَيفي كريهٌ كُلَّما دُعيتْ نَزالِ
أحادِثُهُ بصَقلٍ كلَّ يومٍ وأعجُمُهُ بهاماتِ الرجالِ

قوله: أعجُمُهُ بهاماتِ الرجالِ أي أعِضُّهُ ، يقال عَجَمَهُ اذا عَضَّهُ والدثور الدُّروسُ ، يقال دَثَرَ الرَبْعُ اذا انمحى ومعناه تَعَهَّدوها بالفِكرِ والذِكْرِ . وقوله: فانها طلَعةٌ ، يقول كثيرة التَشَوُّفِ والتَنزّي الى ما ليس لها . وأنشد الأصمَعيُّ :

ولا تملَّيتِ من ماءٍ ولا عُمُرٍ الا بإساءة نفسَ الحاسِدِ الطلَعه

(الرواية الصحيحة بكسر التاء لا غير لأنه يخاطب امرأة تقدم ذكرها في الشعر يدعو عليها) . قال . ويقال للجارية ، اذا كانت تُبرِزُ وجهها لِتُرِيَ حُسْنها ثم تُخفيه لتُوهِمَ الحياءَ خُبَأَةٌ طلَعَةٌ . وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله يقول: أيها الناس انما خُلِقتم للأبَدِ ولكنكم تُنقلون من دارٍ الى دارٍ ويروى عن المسيح صلواتُ الله عليه وسلامه انه كان يقول: ان احتجتم الى الناس فكلوا قَصْداً وامشوا جانِباً ولما احتُضِرَ قيسُ بن عاصمٍ ، قال لبَنيه: يا بَنيَّ احفظوا عني ثلاثاً فلا أحدَ أنصَحُ لكم مني اذا أنا ميتٌ فسَوِّدوا كِباركم ولا تُسوِّدوا صِغارَكم فيُحقِّرَ الناسُ كباركم وتَهونوا عليهم وعليكم بحِفْظِ المال فانه مَنبَهةٌ للكريم ويُستَغنى به عن اللئيم وإياكم والمسْئلةَ فانها أخِرُ كسْبِ الرجل . (أخِرُ بقصر الهمزة لا غير ومن رواه بالمد فقد أخطأ

Marfat.com

ومعنى أخِر أدْنى وأرذلُ) .

١٩ - باب

قال أبو العباس أنشدْتُ لرجل من الأعراب يَرثي رجلاً منهم

فلو كان شَيخاً قد لبِسنا شَبابَه ولكِنَّهُ لم يَعدُ أن طرَّ شاربُهْ
وقاكَ الرَدى مَن ودَّ أنَّ ابنَ عمِّه يُرى مُستَتِراً أو أنَّهُ ذلَّ جانِبُه

وقال الآخر (حَسّانُ بن ثابتٍ) لامرأته :

فأمـا هَلَكْتُ فلا تَنكحي ظَلومَ العشيرةِ حَسّادَهـا
يَرى مَجْدَهُ ثَلَبَ أعْراضِهـا لدَيـه ويُبْغِضُ مَن سادهـا

وقال آخر (قال أبو الحسن هو لِيزيدَ بن حَيْناءَ أو لصخرِ بن حَيناء يقوله لأخيه) :

حَمى اللهُ أكْبانا زِناداً وشَرَّنا وأيْسَرَنا عن عِرْضِ والدِهِ ذبّا
رأيتُكَ لمّا بِلتَ مالاً ومَسَّنا زمانٌ تَرى في حَدِّ أنيابه شَغْبا
جَعَلتَ لنا ذنباً لتَمنعَ نائِلاً فامْسِكْ ولا تَجعَلْ غِناكَ لنا ذنْبا

قوله أكبانا زناداً الزنادُ التي تُقدَحُ بها النار ويقال أورى القادِحُ اذا خرجت له النارُ وأكبى اذا أخْفَقَ منها هذا أصله يُضرَبُ للرجل الذي يثبِتُ الخيرُ على يديه ويُضرَبُ الإكباءُ للذي يمتنع الخيرُ على يديه . قال الأعشى :

يَندْكَ خيرُ زنادِ المُلـو كِ صادَفَ منهنَّ مَرخٌ عفارا
ولو بِتَّ تَقدحُ في ظُلمةٍ صفاةً بنَبْعٍ لأورَيتَ نارا

والمَرْخُ والعَفار شجر تُسرِعُ فيه النار ومن أمثالهم في كلِّ شَجَرٍ نارٌ واستَمجَدَ المَرْخُ والعَفارُ ، واستَمجَدَ استكثرَ يقال أمجَدتُهُ ذماً إذا أكثرتَ من ذلك ومن أمثالهم أرْخِ يديك واسترخِ انَّ الزنادَ من مَرْخٍ ، ويقال

Marfat.com

رجل ذو شَغَبٍ اذا كان يَشْغَبُ على خصمه ضربه مَثَلاً للزمان الذي يَهُرُّ على أربابه أي يَمَسُّهُمْ بالفقر والجَدْب . وقال عبدالله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

رأيتُ فُضَيلاً كان شيئاً مُلفَّفاً فكَشَّفَهُ التَمحيصُ حتى بَدا لِيا
أأنتَ أخي ما لم تَكُنْ لِيَ حاجةٌ فإنْ عرضَتْ أيقنتُ أنْ لا أخا لِيا
فلا زاد ما بيني وبَيْنَكَ بَعدما بَلَوْتُكَ في الحاجات إلا تَمادِيا
فلَستُ بِراءٍ عَيْبَ ذي الوُدِّ كلِّهِ ولا بَعضَ ما فيه اذا كنتُ راضيا
فعَيْنُ الرِضا عن كلِّ عَيب كليلةٌ ولكنَّ عينَ السُخطِ تُبدي المساويا
كِلانا غَنيٌّ عن أخيه حَياتَهُ ونحْنُ اذا مُتنا أشَدُّ تَغانيا

قوله : كان شيئاً ملففاً يقول كان أمراً مُغَطّى والتمحيص الاختبار ، يقال أدخلتُ الذهبَ في النار فَمَحَّصْتُهُ أي خرج عنه ما لم يكن منه وخَلَصَ الذهبُ . قال الله عز وجل : ولِيُمَحِّصَ اللهُ الذين آمنوا ويَمْحَقَ الكافرين . ويقال مُحِّص فلانٌ من ذنوبه . وقوله أأنت أخي ما لم تكن لي حاجة تقرير وليس باستفهام ولكنّ معناه اني قد بَلَوْتُك تُظهرُ الإخاء فاذا بدت الحاجة لم أر من اخائك شيئاً . قال الله عز وجل : أأنت قُلت للناس اتخذوني وأمّيَ الهَيْنَ من دون الله انما هو توبيخ وليس باستفهام وهو جل وعز العالِمُ بأنّ عيسى لم يَقُلْهُ وقد ذكرنا التقرير الواقع بلفظ الاستفهام في موضعه من الكتاب المُقتَضَبِ مُستَقصىً ونذكر منه جملة في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى. وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : ثلاثةٌ لا يُعرَفون الا في ثلاثٍ ، لا يُعرَفُ الشُجاعُ الا في الحرْب ولا الحليمُ الا عند الغضَب ،ولا الصديقُ الا عند الحاجة. وقال عبدالله بن معاوية أيضاً ، (ذكر دِعْبِلٌ في أخبار الشُعراء له أن هذا الشعر لعبدالله بن الزبيرِ الأسَديّ) :

Marfat.com

أنّى يكونُ أخاً أو ذا مُحافظةٍ ... مَن كُنت في غيبه مُستشعِراً وجِلا
إذا تَغَيَّبْ لم تَبرح تَظُنُّ به ... شرّاً وتسألُ عما قال أو فعَلا

وقال آخر :

سأشكرُ عمْراً ما تراخَتْ منيّتي ... أيادي لم تُمْنَنْ وإنْ هي جلّتِ
فتىً غيرُ محجوبِ الغِنى عن صَديقِه ... ولا مُظهِرُ الشكوى اذا النعلُ زلّتِ
رأى خَلّتي من حيثُ يخفى مكانُها ... فكانت قذى عَينَيه حتى تجلّتِ

وتمثل عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في طَلحة بن عُبَيد الله رضي الله عنه .

فتىً كان يُدنيه الغِنى من صديقِه ... اذا ما هو استغنى ويُبعِدُه الفقرُ
فتىً لا يمُدُّ المال رِبّاً ولا تُرى ... به جَفوةٌ إن نال مالاً ولا كِبر
فتىً كان يُمضي السيف في الرَوع حقَّهُ ... اذا نَوّب الداعي وتشقى به الجزْر
وهوّن وجدي انّني سوفَ أغتدي ... على إثره يوْماً وإنْ نفّس العُمر

(قال أبو الحسن بعضهم يقول هو لأبي الأسْوَدِ الرياحيّ وبعد البيت الثالث .

فلا يُبعِدنكَ اللهُ إمّا تركتَنا ... حميداً وأوْدى بَعدكَ المجدُ والفخرُ)

قال أبو العباس حدثني التَوّزيُّ قال حدثني محمد بن عَبّاد بن حبيب بن المُهلّب أحسبُهُ عن أبيه قال : لما أمسى يوم الجمَل خرج عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في ليلة ذلك اليوم، ومعه قنبرٌ في يده مَشعلةٌ من نار يتصفح القَتلى حتى وقف على رجلٍ ، قال التوّزيُّ فعلمتُ أنه طلحةُ قال: نعم ، فلما وقف عليه قال: أعزِزْ عَليّ أبا محمدٍ أن أراك مُعفّراً تحت نُجوم السماء وفي بطون الأودية شَفَيتُ نفسي وقتلتُ مَعْشري الى الله أشكو عُجَري وبُجَري قوله مُعفّراً اي مُلصَق الوجه بالتراب ويقال للتراب العَفرُ والعَفْرُ ، يقال ما مشى على عَفرِ التراب مِثلُ فلانٍ ، وقوله الى الله أشكو عجري وبجري يقول ما أُمِرُّ من أمري قال الأصمعي، وهو قولٌ سائرٌ في أمثال العرب لمَن فلانٌ

Marfat.com

فلاناً فابثُّهُ عُجَرَهُ وبُجَرَه. وقال النِمرُ بنتَوْلَبٍ (كل نمرٍ في العرب كالنِمر بن قاسِطٍ وغيره مكسورُ النون مجزوم الميم الا النمِر بن تَوْلَبٍ عن ابن دُريد قال ابو حاتم يقال النَمْرُ بفتح النون وتسكين الميم ولا يقال النَمِرُ) :

تَدارَكَ ما قبلَ الشباب وبَعدهُ حوادثُ أيامٍ تمُرُّ وأغفُلُ
يسُرُّ الفتى طولُ السلامة والبقا فكيف يرى طول السلامةِ يفعَلُ
يزُدُّ الفتى بعد اعتدالٍ وصحّةٍ يَنوءُ إذا رام القيامَ ويَحمَلُ

قصرَ البقاء ضرورةً وللشاعر اذا اضطُرَّ أن يقصُر الممدود وليس له أن يمُدَّ المقصور وذلك ان الممدود قبل آخره ألف زائدة ، فاذا احتاج حذفها . وردّ الشيء الى أصله، فلو مدّ المقصور لكان زائداً في الشيء ما ليس منه . قال الشاعر وهو يزيدُ بن عمرو بن الصعِق :

فرغتُم لِتمْر بن السِّياط وأنتُمُ يُشنُ عليكم بالفِنا كلُّ مَرْبَعِ

فقصر الفِناء وهو ممدود وقال الطِرِمّاحُ :

وأخرجَ أمثُهُ لِسَواس سلمى لمعفور الضَرا ضَرِم الجَنين

قوله : وأخْرج يعني رَماداً ، والأخرجُ الذي في لونه سواد وبياض ، يقال نعامةٌ خَرْجاءُ ، وقوله لسواس سلمى فان أجأ وسَلمى جبلا طيّىءٍ ، وسواسُ سلمى الموضع الذي بحَضْرةِ سلمى يقال هذا من سُوس فلانٍ ومن تُوس فلان أي من طبعه ، وأمثُهُ يعني الشجرة التي هي أصله . وقوله لمعفور الضرا فالضراءُ ما واراك من شجرٍ خاصّةً والخَمَرُ ما واراك من شيء ، والمعفور ما سقط من النار من الزنْدِ . وقوله ، ضرم الجنين يقول مُشْتعلٌ والجنين ما لم يظهرْ بعدُ يقال للقبرِ جَنٌّ والجنينُ الذي في بطن أمه والجِنُّ النُرْسُ لانه يستُرك والجنون المغطّى العقل ويسمى الجنُّ جِنّاً لاختفائهم وتُسمى الدُروعُ الجُنَن لانها تستر من كان فيها . وقَصرَ الضراءَ وهو ممدود ومثل هذا كثير جداً . وقوله ينوء اذا رام القيام يقول ينهضُ في تثاقُلٍ . قال الله عز وجل : ما إنّ مفاتحهُ لتنوءُ

Marfat.com

بالعُصبة والمعنى أن العُصبة تنوء بالمفاتيح ولشرح هذا موضع آخر وقال آخر: (لعمرٍ بن قميئة) :

على الراحتيْنِ مرّةً وعلى العَصا) أنوءُ ثَلاثاً بعدهُنّ قيامي

ويُروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : كفى بالسلامةِ داءً . وقال حُمَيْد ابن ثوْرٍ الهِلاليُ :

أرى بَصَري قد رابَني بعدَ صحّةٍ وحسْبُكَ داءً أن تَصِحّ وتَسلَما
ولا يَلبثُ العصرانِ يومٌ وليلةٌ اذا طلَبا أن يُدْرِكا ما تيمّما

وقال أبو حيّة النُميْري :

ألا حيّ من أجلِ الحبيبِ المغانيا لبِسْنَ البِلى ممّا لَبِسْنَ اللياليا
اذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاه شيءٌ لا يَمَلّ التقاضيا

وقال بعض شعراء الجاهلية .

كانتْ قناتي لا تلينُ لغامزٍ فألانها الإصباحُ والإمساءُ
ودعوْتُ ربي في السّلامة جاهِداً ليُصِحّني فاذا السلامةُ داءُ

وقال عنترةُ بن شدّادٍ

فما أوْهى مِراسُ الحربِ رُكني ولكنْ ما تقادمَ منْ زماني

ومن أمثال العرب اذا طال عمر الرجل أن يقولوا: لقد أكلَ عليه الدهْرُ وشرِبَ ، انما يريدون انه أكلَ هو وشرب دهْراً طويلا . قال الجعديُّ :

(كم رأيْنا من أناسٍ هلَكوا) أكلَ الدهْرُ عليهم وشرِبْ

والعرب تقول نهارُك صائم وليلك قائم اي انت قائم في هذا وصائم في ذاك كما قال الله عز وجل : بل مَكرُ الليل والنهارِ والمعنى والله أعلم ، بل مَكرُكم في الليل والنهار . وقال جرير :

Marfat.com

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُرى ونِمْتِ وما لَيْلُ المَطيِّ بنائِمِ

وقال الفَرَزْدَقُ :

تُبكّي على المَنْتوفِ بَكْرُ بن وائِلٍ وتَنْهى عن ابْنَيْ مِسْمَعٍ مَن بكاهُما

غلامانِ شبّا في الحُروب وأدْرَكا كِرامَ المساعي قبلَ وصْلِ لِداتِهما

وابنا مِسْمعٍ كان قتلهما معاوية بن يزيد بن المُهَلَّبِ مع عَديّ بن أرطاةَ لما أتاه خبر قتل أبيه، وكان ابنا مسمع ممن خالف على يزيد بن المهلب. والمَنْتوفُ كان مَوْلىً لبني قيسِ بن ثَعْلبةَ بن عُكابةَ وابنا مسمع من بني قَيْس بن ثعلبة وكان المنتوف كالخليفة ليزيد بن المهلب ، وفي ذلك يقول جَرير :

والأزْدُ قد جَعلوا المَنتوفَ قائدهم فقَتَلْتُمُوهُم جُنود الله وانتُتِفوا

وتمام شعر الفرزدق :

ولو قُتِلا من جَذمِ بَكْرِ بن وائِلٍ لَكانَ على النّاعي شديداً بكاهُما

ولو كان حَيّاً مالِكٌ وابنُ مالِكٍ إذاً أوْقَدا نارَيْن يعلو سَناهُما

السَّنا ضوءالنار وهو مقصور قال الله عز وجل : يكاد سَنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأبصار ، والسَّناء من الشرف ممدود . قال حَسّانُ بن ثابِتٍ :

وانّكَ خَيرُ عُثمانَ بن عَمْرٍو وأسْناهُما اذا ذُكِرَ السَّناءُ

والبكاء يمد ويُقصَرُ فمَنْ مَدَّ فانما جعله كسائر الأصواتِ ولايكون المصدر في معنى الصوت مَضْموم الأول الا ممدوداً لأنه يكون على فُعالٍ وقَلَّما يكون المصدر على فُعَلٍ ، وقد جاء في حروف نحو الهُدى والسُّرى وما أشبهه وهو يسير . فأما الممدود فنحو العُواءِ والدُعاءِ والرُغاءِ والثُغاءِ ، فكذلك البُكاء ونظيره من الصحيح الصُراخُ والنُباحُ ومن قَصَرَ فانما جعل البكاء كالحُزن ، وقد قال حَسّانُ فقَصَرَ ومَدَّ :

Marfat.com

بَكَتْ عَيْني وحُقَّ لها بُكاها وما يُغني البُكاءُ ولا العَويلُ

وقال جرير :

قالوا نَصيبَكَ من أجْرٍ فقلتُ لَهُمْ كيفَ العزاءُ وقد فارقتُ أشبالي
هذا سَوادُهُ يَحْلو مُقْلَتَيْ لَحِمٍ بازٍ يُصَرْصِرُ فوق المَرْقَبِ العالي
فارَقْتُهُ حينَ غَضَّ الدَّهرُ من بَصَري وحينَ صِرْتُ كَعَظْمِ الرِمَّةِ البالي

(نصيبك بالنصب لا غير لأنه مفعول باضمار فعل تقديره احْفَظْ نصيبَك او احْرُزْ نصيبك) . قوله يحلو مقلتي لحم شَبَّهَ مُقْلَتَيهِ بِمُقْلَتَيْ البازي ويقال طائر لحِمٌ من هذا ، وقوله يُصَرْصِرُ ، يعني يُصَوِّتُ . يقال صَرْصَرَ البازي والصَقْرُ وما كان من سباع الطير ، ويقال صَرْصَرَ العُصفورُ وأحسِبُهُ مستعاراً لان الأصل فيه ان يستعمل في الجوارح من الطير . قال جرير :

بازٍ يُصَرْصِرُ بالسَهْبى قَطاجُونا . وقال آخر : كما صَرْصَرَ العُصْفورُ في الرُطَبِ الثَمَدِ .

وأنشدني عُمارةُ : باز يُصَعْصِعُ وهو أصح (قال أبو الحسن يُصَعْصِعُ وهو الصواب ، ولكن هكذا وقع في كتابه ويُصَرْصِرُ لا يَتَعدّى). وقوله: كعظم الرِمَّةِ فهي البالية الذاهبة والرَميمُ مشتق من الرِمَّةِ ، وانما هو فعيلٌ وفِعْلَةٌ ، وليس يجمع له واحد . ومما كفَّرَتْ به الفقهاءُ الحجّاجَ بن يوسف قولُه والناس يَطوفون بقبر رسول الله ﷺ ومِنْبَرِهِ وإن شئت قلت يُطيفون قال أبو زيد : تقول العرب ، طُفْتُ وأَطَفْتُ به ودُرْتُ وأدَرْتُ بـــه . ويقال ، حَدَقَ وأحدَقَ . قال الأخطَلُ :

المُنْعِمونَ بنو حَرْبٍ وقدحَدَقَتْ بيَ المَنِيَّةُ واستَبْطَأْتُ أنصاري

انما يَطوفونَ بأعْوادٍ ورِمَّةٍ . ومن أمثال العرب لولا أن تُضَيِّعَ الفِتْيان الذِمَّةَ لَخَبَّرْتُها بما تجِدُ الابلُ في الرِمَّةِ ، يقول : لولا أن تَدَعَ الأحداثُ التمسُّكَ بالوفاء والرِعايةَ للحُرْمةِ لأعلمتها أن الابل تتناول العظم البالي، وهو أقل الأشياءِ فتجدُ له لذّةً . ومثل بيت جريرٍ الأخير قولُ أبي الشَغْبِ يرثي

Marfat.com

ابنه شَغْبا :

قد كان شَغبٌ لو أنّ الله عَمّرَهُ عزّاً تُزادُ به في عِزّها مُضَرُ
لَيْتَ الجبالَ تَداعَت قبلَ مَصرَعِهِ دكّاً فلم يَبْقَ من أحجارها حجرُ
فارَقتُ شَغْباً وقد قوّسْتُ من كِبَرٍ بِئسَ الخليفانِ طولُ الحُزنِ والكِبرُ

قوله قوّست ، يقول انحَنَيْتُ كالقوس . قال امرُؤُ القَيس :

أراهُنّ لا يُحْبِبنَ مَنْ قَلَّ مالُهُ ولا مَن رَأَينَ الشَيْبَ فيه وقَوّسا

وقال سليمان بن فَتَّة يرثي الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما :

مَرَرْتُ على أبياتِ آلِ مُحمّدٍ فلمْ أرَها كعَهدِها يومَ حُلْتِ
فلا يُبْعِدِ اللهُ الديارَ وأهلَها وإنأصْبَحتْ منأهلها قد تَخالَت
وانّ قتيلَ الطفّ من آل هاشِمٍ أذَلّ رِقابَ المسلمين فذَلّتِ
وكانوا رجاءً ثم صاروا رزيّةً فقدعظُمَتْتلكالرَزايا وجلّتِ
وعندَ غنيٍّ قطرةٌ من دِمائنا سنَجْزيهِمُ يوماً بِاحيثُ حَلّتِ
اذا افْتَقَرَتقيسٌ جَبرْنا فقيرها وتَغْنُلُناقيسٌ اذا النعْلُ زالَتِ

وسليمان بن قتة رجل من بني تَيْم بن مُرّةَ بن كعب بن لُؤيّ وكان منقطعاً لى بني هاشم . وقال الفَرَزدقُ يرثي ابْنَيه :

بِفَي الشامتين التُرْبُ أن كان مَسّني رَزِيّتَهُ شِبْلَيّ مُخْدِرٍ في الضَراغم
وما أحَدٌ كان المَنايا وَراءَهُ ولو عاش أيّاماً طِوالاً بسالم
أرى كلّ حَيٍّ ما تزالُ طَليعةٌ عليه المَنايا من ثَنايا المخارِم
يُذَكّرُني ابْنَيّ السِماكانِ مَوْهِنا إذا ارتفعا فوقَ النجوم العواتم
وقد رُزِءَ الأقوامُ قبلي بَنيهم وإخوانَهُمْ فاقْنَيْ حياءَ الكرائم
ومات أبي والمُنذِرانِ كِلاهُما وعَمْرُو بن كُلثومٍ شِهابُ الأراقِم

Marfat.com

وقد كان مات الأقرعانِ وحاجبٌ وعَمرو أبو عَمْروٍ وقيسُ بن عاصم
وقد مات بِسْطامُ بن قيسِ بن خالدٍ ومات أبو غسّانَ شيخُ اللُهازِم
وقد مات خَيْراهُمْ فلم يُهْلِكاهُمُ عَشِيّةَ بانا رَهْطِ كعبٍ وحاتِم
فما ابْناكِ إلا مِنْ بني الناس فاصبري فَلَسْنَ يَرْجِعَ الموتى حَنينُ المآتِم

وأنشدني التَوَّزيّ عن أبي زيد حَنينُ المآتم بالخاء معجمة ، (الحَتين بالخاء صوت من الخيشوم) . قوله ما تزال طلِيعةً يريد طالِعةً والثنايا جمع ثَنِيّةٍ وهي الطريقُ في الجبل من ذلك ، (الشعر لسُحَيْمِ بن وثيلٍ الرياحيُّ) :

أنا ابنُ جَلا وطَلاّعُ الثَنايا مَتى أضَعِ العِمامة تعْرفوني

والمخارِمُ جمع مَخْرَمٍ وهو مُنْقَطَعُ أنف الجبل ، وقوله فوق النجوم العَواتِمِ يعني المتأخرة ، يقال فلان يأتينا ولا يُعَتِّمُ أي لا يتأخر ، وعَتَمةٌ اسم للوقت فلذلك سميت الصلاةُ بذلك الوقتِ ،وكل صلاة مضافةٌ الى وقتها تقول صلاةُ الغَداةِ وصلاةُ الظهرِ وصلاةُ العصرِ ، وأما قولك الصلاةُ الأولى ، فالأولى نعت لها اذ كانت أوّلَ ما صُلِّيَ وقيل أوّلَ ما أُظهِرَ . وقوله فاقْنَيْ حَياءَ الكرائم ، يقول فالزَمي ، وأصل القِنيَةِ المالُ اللازمُ تقول اقتَنى فلانٌ مالاً اذا اتخذ أصل مالٍ ، وقيل في قول الله عز وجل : وأنه هو أغنى وأقنى أي جَعَلَ لهم أصل مال . وأنشد أبو عبيدة (الشعر لأبي المُثَلَّمِ الهُذَليّ يرثي صخراً) :

لو كان للدهرِ عزٌّ يَطمَئِنُّ به لكان للدهرِ صَخرُ مالَ قُنيانِ

والكَرائم جمع كريمةٍ ، والاسم من فَعيلةٍ والنعتُ يجمعان على فَعائِلَ فالاسم نحو صَحيفةٍ وصحائفَ وسفينةٍ وسَفائنَ : والنعت نحو عَقيلةٍ وعقائلَ وكريمةٍ وكرائِمَ . وقوله ومات أبي يريد التأمي بالاشراف وأبوه عالِبُ بن صَعصَعَة بن ناجيةَ بن عِقال بن محمد بن سُفيان بن مُجاشِع ، وكان أبوه شريفاً وأجداده الى حيث انتَهَوْا ولكل واحد منهم قصة يطول الكتاب بذكرها ،

Marfat.com

والمُنذرانِ ، المنذرُ بن المنذر بن ماء السَماء اللخميُّ ، يريـــد الابن والاب وعمرو بن كلثوم التَغلبيُّ قاتل عمرو بن هنـــد وكان أحَد أشراف العرب وفُتّاكِهم وشعرائِهم، والأراقمُ قبيلة من بني تَغلبَ بنتِ وائل من بني جُشَم ابن بَكرٍ وزعم أهل العلم انهم انما سُمُّوا الأراقم لأن عُيونهم شُبِّهَتْ بعيون الحيّاتِ والأراقم ، واحدها أرْقَمُ فكانوا معروفين بهذا . قال الفرزدق يردُّ على جَرير في هِجائه له وللأخْطلِ

إن الأراقِمَ لنْ ينال نَديَهـــا كلبٌ عوى مُتَهَتِّمُ الأسنان

وجعله شِهاباً لهم لنوره وبَهائه وضيائه ، تقول العرب : انما فلانٌ نجْـــمُ أهلِه ، وكذلك قالت الخنساءُ: كأنه عَلَمٌ في رأسه نارُ. والأقرعان: الأقرَعُ ابن حابِسٍ وابنه الأقرعُ من بني مُجاشِعِ بن دارمٍ ، وكان الأقرعُ في صـدر الاسلام سَيِّد خِندِفَ وكان محَلُّهُ فيها محلّ عُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ في قَيسٍ . وحاجبُ بن زُرارةَ بن عُدَس سَيِّدُ بني تميم في الجاهلية غير مُدافَعٍ . وعمرو أبو عمرو يريد عمرو بن عُدَس وكان شريفاً وكان ابنه عمرو شريفاً قتل يوم جَبَلَةَ قتلتهُ بنو عامر بن صعصعةَ وقتـــلوا لقيطَ بن زُرارةَ ، وكان الذي ولِيَ قتله عُمارة الوَهّاب العَبسي وينسب الى بني عامر لان بني عَبسٍ كانوا فيهم مع قيسِ بن زُهَير وعُمارةُ هذا هو الذي كان يقـال له دالقٌ وقتَلَه شِرْحافٌ الضَبّيُّ ولذلك يقول الفرزدق :

وهُنَّ بِشِرحافٍ تَدارَكنَ دالِقـــاً عُمارةَ عَبْسٍ بعدما جَنَح العَصرُ

وزعم أبو عبيدة أن فاطمة بنتَ الخُرْشُبِ الانمارية أُريَتْ في منامها قائلاً يقول : أعشرة هُدَرةٌ أحَبُّ اليك أم ثلاثة كعشرة؟ (هدرة بالدال غير معجمة .قال ابو الحسن : هم السُّقاطُ من الناس) فلم تقل شيئاً فعاد لهـــا في الليلة الثانية فلم تَقُلْ شيئاً ثم قَصَّتْ ذلك على زوجها ، فقال : ان عاد لـك الثالثة فقولي ثلاثة كعشرة، وزوجُها زيادُ بن عبد الله بن ناشِبٍ العبسي . فلما عاد لها، قالت ثلاثة كعشرة فولدتهم كلهم غايةً: ولدَتْ ربيعَ الحُفّاظِ وعُمارةَ

Marfat.com

الوهّابَ وأَنَسَ الفَوارسِ وهي احدى المُنْجِباتِ من العرب، وأَمَروا حاجباً فذلك حيث يقول جرير يُمَيِّرُ الفرزدق ويُعلِمُهُ فخر قيسٍ عليه :

تَحَنَّضْ يا ابْنَ القَيْنِ قيساً ليَجعلوا ... لِقَوْمِك يوماً مِثلَ يوْمِ الأراقِمِ
كأنّك لم تَشْهَد لقيطاً وحاجِباً ... وعَمْرو بن عَمْروٍ اذ دعَوْا يالَ دارِمِ
ولم تَشْهَدِ الجَوْنَينِ والشِعبَ ذا الصفا ... وشَدّاتِ قيْسٍ يوم دَيرِ الجماجِمِ

الجَوْنانِ معاويةُ وحسّانُ ابنا الجَوْنِ الكِنديانِ أُسِرا في ذلك اليوم فقُتِل حسّانُ وفُودِي معاويةُ بسبب يطول ذكره . والشِعْبُ شِعْبُ جَبَلة . وقوله : وشدات قيس يوم دير الجماجم هذا في الاسلام ، يعني وقْعةَ الحجّاج ابن يوسف بن الحَكَم بن أبي عقيلٍ الثَقَفيّ بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ابن قيس بن مَعْديكربَ الكِنديّ بدير الجماجم . وقوله : وقد مات بِسطام ابن قيس بن خالد يعني الشَيْبانيّ وهو فارس بَكر بن وائل وابن سيدها وقتل بالحَسَنِ وهو جَبَلٌ ، (كذا وقعت الرواية بالحسن وهو جبل بالجيم والصحيح حَبَلٌ بالحاء قال ابن سراج رحمه الله تعالى : الحَسَنُ والحُسَيْنُ حَبَلا رملٍ) قتله عاصم بن خَليفةَ الضَبّيّ ، وكان عاصمٌ أسلم في أيام عثمان رحمه الله ، فكان يقف ببابه فيستأذن عليه ، فيقول عاصم بن خليفة الضبي قاتلُ بِسطامِ بن قيسٍ بالباب . (قال أبو الحسن الوجه عندي في بسطام أن لا ينصرف لأنه أعجمي) وكان سببُ قتله اياه أن بِسطاماً أغارَ على بني ضبّة وكان معه حازٍ (قال أبو الحسن حازٍ بالزاي راجزٌ) يحزو له فقال له بِسْطامٌ بني سمعت قائلاً يقول : الدَلْوُ تأتي العَرَبَ انزِلْنَهْ . فقال الحازي : فَهلاّ قلتَ ثم تَعودُ بادنا مُبْتَلْنَهْ . قال : ما قلتُ فاكتَسَحَ إبلَهُم ، فتَنادَوْا واتّبَعوهُ ، فنظرت أم عاصم اليه وهو يَسْمَع حديدةً له ، ي يحُدُّها ، والمِقْمَعةُ المِطْرقةُ . فقالت له ما تَصنَعُ بهذه ؟ وكان عاصم مَنقوصاً ، فقال لها : أقتل بها بِسطام بن قيس ، فنهرتهُ وقالت : إستُ أمّك أضْيَقُ من ذاك . فنظر الى فَرسٍ لعَمّهِ موثَقةً الى شجرة فاعْتَرَوْراها أي ركبها عُرْياً ثم أقبل بها الريحَ ، فنظر بِسطام الى

Marfat.com

الخيل قد لحِقَتْهُ فجعل يَطعَنُ الابل في اعجازها فصاحتْ به بنو ضبّـة : يا بسطام ما هذا السفَهُ دعْها إمّا لنا وإمّا لك ، وانحطّ عليه عاصمٌ فطعَنَهُ ، فرمى به على الألاءة وهي شجرة ليست بعظيمة وكان بسطام نَصرانياً ، وكان مَقْتَلُهُ بعد مَبْعثِ النبي ﷺ ، فأراد أخوه الرجوع الى القوم فصاح به بسطامٌ أنا حَنيفٌ ان رجَعْت ففي ذلك يقول ابن عَنَمة الضَبّيُّ وكان في بني شيبان :

فخَـرَّ على الألاءة لم يُوسَّدْ كأن جَبينَهُ سَيفٌ صَقيلُ

ولما قُتِل بسطام لم يَبقَ في بكر بن وائلٍ بيتٌ الا هُجِم أي هُدِم . وقوله : مات أبو غسان شيخ اللَهازم ، يعني مالك بن مِسْمع بن شَيْبان بن شِهاب أحَد بني قيس بن ثعلَبة ، واليه تُنسَبُ المسامِعةُ وكان سيد بَكر بن وائلٍ في الاسلام ، وهو الذي قال لعُبَيْد الله بن زياد بن ظَبْيان أحد بني تَيْم اللات بن ثعلَبة وكان حين حدث أمرُ مسعود بن عمرو المَعنيّ من الأزْدِ فلم يُسْلِمْهُ به . فقال له عبيد الله ، وهو أحد فُتّاك العرب ، وهو قاتل مُصعَبِ ابن الزبير : أيكونُ مثل هذا الحَدث ولا تُسلِمُني به لهَدَمْتُ أو لأصَرّمنّ دارك عليك ناراً . فقال له مالك : اسكتْ أنا مَطَرٍ فوالله إن في كنانتي سَهْماً أنا أوْثقُ به مني بك فقال له عبيد الله أوَ أنا في كِنانتِك فوالله لو قد قعدتُ فيها لطُلتُها ولو قمتُ فيها لخرقتُها . فقال له مالك ، وأعجبه ما سَمِع منه : أكثر الله في العشيرة مثلَك . قال : لقد سألت ربك شَطَطاً ، وفي مالك بن مسْمعٍ يقال :

إذا ما خَشينا من أميرٍ ظُلامةً دعَونا أبا عسان يوماً فعَسْكرا

وقوله : وقد مات خيرهم تثنيةً كقولك: مات أحمرهمْ ولم يخْرُج مَخْرَج النعتِ . ألا ترى أنك تقول هذا أحمَرُ القوم اذا أردت هذا الاحمرُ الذي لاقوم، فإذا أردت الذي يَفضُلُهم في باب الحمرة قلت هذا أشدُّهمْ حمرةً ، ولم تقل هذا أحمرُهم . وكذلك خيرهم وانما أردت هذا خيرُهم ثم ثنّيت أي هذا الخير الذي هو فيهم . وقوله عشيّةَ بانا مردودٌ على قوله خيرهم . وقوله رهْط كعب

Marfat.com

وحاتم ، انما خفضتَ رهطاً لأنه بدلٌ من هم التي أضَفت اليها الخيرين، والتقدير: وقد مات خَيرا رهطِ كعبٍ وحاتمٍ فلم يُهْلكاهم عشية بانا ، فأما كعبٌ فهو كعب بن مامةَ الإياديُّ ، وكان أحد أجواد العرب الذي آثر على نفسه ، وكان مسافراً ورفيقُهُ رجل من النَّمِر بن قاسطٍ ، فقلَّ عليهما الماءُ فتَصافناهُ ، والتصَافُنُ أن يُطرح في الاناء حَجرٌ (هذا الحجر الذي يُنَسَّمُ به الماء ، يقال له المَقلةُ بفتح الميم) ، ثم يُصبّ فيه من الماء ما يغمُرُهُ لئلا يتغابنوا، وكذلك كل شيء وُقِف على كَيْلِه أو وزنِه ، والاصل ما ذكرنا ، فجعل النَّمِريُّ يشرب نصيبه ، فاذا أخذ كعبٌ نصيبه قال : اسْقِ أخاك النَّمريّ فيُؤثِرُهُ حتى جُهِد كعبٌ ورُفعتْ له أعلام الماء فقيل له رِدْ كعْبُ ولا ورودَ به ، فمات عَطشاً ففي ذلك يقول أبو دُوادٍ الإياديُّ :

أوْفى على الماء كعْبٌ ثم قيل لهُ رِد كعْبُ إنك وارٌ فما وردا

فضُربَ به المثلُ فقال جرير في كلمتهِ التي مَدح فيها عُمَر بن عبد العزيز .

يعود الفَضْلُ منك على قُرَيْشٍ وتَفرُجُ عنهم الكُرَبَ الشِدادا
وقد أمَّنْت وحشَهُم برفْقٍ ويُعْيي الناس وحْشُك أن تُصادا
وتبني المجْد يا عُمرُ بن ليْلى وتكفي المُمحِل السَّنةَ الجَمادا
وتدْعو الله مُجْتهداً ليَرْضى وتذكُرُ في رعيَّتك المعادا
وما كعْبُ بن مامةَ وابنُ سُعدى بأجْودَ منك يا عُمَرُ الجوادا
تعَوَّد صالح الاخْلاقِ إني رأيتُ المرْء يَلزمُ ما اعْتادا

هذا كعب بن مامة الذي ذكرناه . وأما ابن سُعْدى فهو أوسُ بن حارثة بن لأمٍ الطائيُّ ، وكان سيداً مُقدّماً فوفد هو وحاتمُ بن عبدالله الطائيُّ على عمرو ابن هند ، وأبوه المُنذرُ بن المنذر بن ماء السماء ، فدعا أوْساً فقال له : أأنت أفضل أم حاتمٌ ؟ فقال أبيْت اللعن لو ملكني حاتم وولدي ولُحْمتي اوهبنا في غداةٍ واحدةٍ ، ثم دعا حاتماً فقال له : أنت أفضلُ ام أوْسٌ ؟ فقال أبَيت اللعْن انما

Marfat.com

ذُكِرْتُ بأوسٍ ولأحدُ ولَدِهِ أفضلُ مني، وكان النعمان بن المنذرِ دعا بحُلّةٍ وعنده وُفودُ العربِ من كل حيٍّ فقال : احضُروا في غدٍ فإني مُلْبِسٌ هذه الحُلّةَ أكْرَمَكُمْ . فحضر القوم جميعاً إلا أوساً فقيل له لم تَخَلّفْتَ ؟ فقال: إن كان المُراد غيري فأجمَلُ الأشياء أن لا أكونَ حاضراً وإن كنتُ أنا المراد فسأُطلَبُ ويُشْرَفُ مكاني . فلمّا جلس النعمان لم يرَ أوساً فقال : اذهبوا إلى أوس فقولوا له احْضُرْ آمناً بما خِفْتَ فحضر فألبسَ الحلةَ فحسده قومٌ من أهله فقالوا للحُطَيْئة : اهْجُهُ ولك ثلثمائة ناقة . فقال الحطيئة : كيف أهجو رجلاً لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالاً إلا من عنده ؟ ثم قال :

كيْفَ الهِجاءُ وما تَنْفَكُّ صالحةٌ من آلِ لأمٍ بظهرِ الغَيْبِ تأتيني

فقال لهم بِشْرُ بن أبي خازمٍ أحدُ بني أسد بن خُزَيْمة : أنا أهجوه لكم . فأخذ الإبل وفعل فأغار أوس على الإبل فاكتَسحَها فجعل لا يستجير حيّاً إلا قال : قد أجرْتُكَ إلا من أوس . وكان في هجائه إياه قد ذكر أمّهُ فأتيَ به فدخلَ أوسٌ على أمّهِ فقال: قد أُتينا ببِشْرٍ الهاجي لكِ ولي، فما تَرَيْنَ فيه؟ فقالت له : أوَتُطيعُني فيه ؟ قال : نعم. قالت: أرى أن تَرُدَّ عليه ماله وتعفو عنه وتَحْبُوَهُ وأفعلُ مثل ذلك فإنه لا يَغْسِلُ هِجاءَهُ إلا مَدْحُهُ . فخرج اليه فقال: إن أمي سُعْدى التي كنتَ تهجوها قد أمرتْ فيك بكذا وكذا. فقال: لا جَرمَ والله لا مَدَحْتُ أحداً حتى أموتَ غيْرَكَ . ففيه يقول :

إلى أوْسِ بنِ حارِثةَ بن لأمٍ لِيَقْضِيَ حاجتي فيمَنْ قضاها
وما وَطِئَ الثرَى مثلُ ابنِ سُعْدى ولا لَبِسَ النِعالَ ولا احْتَذاها

وأما حاتِمٌ الذي ذكره الفَرَزْدقُ فهو حاتم بن عبدالله الطائيُّ جوادُ العرب. وقد كان الفرزدق صافنَ رجلاً من بني العَنْبرِ بن عمرو بن تميم إداوةً في وقت فرامَهُ العَنْبرِيُّ وسامه أن يُؤْثِرَهُ، وكان الفرزدق جواداً فلم تطِبْ نفسُهُ عن نفسه فقال الفرزدق :

فلمّا تصافنّا الإداوَةَ أجْهَشَتْ إليَّ غضونُ العَنْبرِيِّ الجراضِمِ
فجاءَ بجَلْمودٍ له مِثْلِ رأسهِ لِيَشْرَبَ ماء القوم بين الصرائم

Marfat.com

على ساعة لو أنّ في القــوم حاتماً على جودِهِ صَنَّتْ به نفسُ حاتم

قوله : أجْهَشَتْ فهو التسرُّعُ وما تراءى فحْواه من مُقاربة الشيء. يقال: أجْهشَ بالبكاء، والغُضونُ التكسر في الجلد، والجراضم الأحمر الممتلىء ، وقوله : ليشرب ماء القوم بين الصرائم فهي جمع صَريمة وهي الرملة التي تنقطع من مُعظمِ الرمل وقوله: صَريمةٌ يريد مصرومةٌ والصَرْمُ القطع . وأنشد الأصمَعِيُّ :

فبات يقول أصْبِحْ ليلُ حتى تجلّى عن صَريمتِــهِ الظلامُ

يعني ثَوْراً وصَريمته رَمْلته التي هو فيها . وقال المفسرون في قول الله عزّ وجل : فأصْبحَتْ كالصريم، قولين قال قوم: كالليل المُظْلِمِ وقال قوم: كالنهار المضيء أي بيضاء لا شيء فيها فهو من الأضداد. ويقال لك سوادُ الأرض وبياضُها أي عامرها وغامِرُها فهذا ما يُحْتَجُّ به لأصحاب القول الأخير. ويحتج لأصحاب القول الأول في السواد بقول الله عزّ وجل . فجعَلَهُ غُثاءً أحْوى وإنما سُمّيَ السواد سواداً لمَمارتِهِ وكل خُضْرةٍ عند العرب سَوادٌ. ويروى :

على ساعةٍ لو أنّ في القوم حاتماً على جودِهِ ما جادَ بالماء حاتِمِ

جَعل حاتمِ تبييناً للهاء في جوده وهو الذي يُسميه البصريون البدل أراد على جود حاتِم .

٢٠ - باب

قال أبو العباس : كان يقال إذا رَعِيْتَ في المكارم فاجْتَنِبِ المحارمَ ، وكان يقال : أنعَمُ الناس عيشاً مَن عاش غيره في عيشه. وقيل في المثل السائر: من كان في وَطنٍ فلْيُوَطّن غيره وطنه ليَرْتَعَ في وَطن غيره في غربته . قال : وانتبه معاوية من رَقْدةٍ له فأنبَهَ عمرو بن العاص فقال له عمرو : ما بقي من لذّتِك يا امير المؤمنين . قال : عَيْنٌ خَرّارةٌ في أرض خَوّاره وعينٌ ساهِرةٌ لعين نائمةٍ ، فما بقي من لذتك يا أبا عبد الله . قال : أن أبيتَ مُعَرّساً بعَقيلةٍ من عقائل العرب ثم أذبّها وأرْدانَ فقال له معاوية : ما بقي من لذتك ؟ فقال :

Marfat.com

الإفضالُ على الإخوان . فقال له معاوية : أسكتْ فأنا أحقُّ بها منك . فقال له : قد أمكنَكَ فافعَلْ ويروى أن عمراً لما سئل قال : أنْ أستَتِمَّ بناء مَدينتي بصر ، وأن ورْدانَ لما سُئِلَ قال : أن القى كريماً قادراً في عَقِبِ إحسانٍ كان مني اليه ، وانه معاوية سئل عن الباقي من لذته فقال : مُحادَثةُ الرجال . ويروى عن عبد الملكِ أنه قال وقد سئل عن الباقي من لذته فقال : مُحادَثةُ الإخوان في الليالي القُمْرِ على الكُثْبانِ العَفْرِ . وقال سليمان بن عبد الملك : قد أكلنا الطيِّبَ ولَبِسْنا اللَّيِّن وركبنا الفارهَ وامتَطَيْنا العَذْراءَ فلم يَبْقَ من لذَّتي إلا صديقٌ أطرَحُ بيني وبينه مَؤُونَةَ التَحَفُّظِ . وقال رجل لرجل من قريش : إني والله ما أملُّ الحديثَ . قال : إنما يَمَلُّ العَتيقُ . وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرةَ : العيش كلُّه في الجليس المُمْتِعِ . وقال معاوية : الدنيا بحَذافيرها الخَفْضُ والدَّعَةُ . وقال يزيد بن المهلب : ما يَسُرُّني اني كُفيتُ أمرَ الدنيا كلَّه . قيل له ولِمَ ايها الأميرُ ؟ قال أكرَهُ عادة العَجْز . ويروى عن بعض الصالحين أنه قال: لو أنزل الله كتاباً انه مُعَذِّبٌ رجلاً واحداً لخِفْتُ أن أكونَهُ او أنه راحِمٌ رجلاً واحداً لرَجَوْتُ أن أكونه ، ولو علمت انه مُعَذِّبي لا محالةَ ما ازْدَدْتُ إلا اجتهاداً لئلا أرْجِعَ على نفسي بلائمٍ . ويروى أن عمر بن عبد العزيز كان يدخل اليه سالم مَوْلى بني مَخْزومٍ ،وقالوا بل زيادٌ ، وكان عمر أراد شراءه وعِتْقه فأعتقه مَوالِيه ، وكان عمر يُسَمِّيه أخي في الله ، فكان إذا دخل وعُمَرُ في صدر مجلسه تنحَّى عن الصَدْر . فيقال له في ذلك فيقول : إذا دَخَلَ عليك مَن لا تَرى لك عليه فضْلاً فلا تأخُذْ عليه شرَفَ المجلس . وهَمَّ السِراجُ ليلةً بأن يخمُدَ فوَثَبَ اليه رجاءُ بن حَيْوَةَ ليُصْلِحَهُ فأقسم عليه عمر فجلس ، ثم قام عمر فأصلحه ، فقال له رجاءُ : انقوم يا أمير المؤمنين ؟ قال قمتُ وانا عمر بن عبد العزيز ورجعتُ وانا عمر بن عبد العزيز . وروي عن رسول الله ﷺ انه قال : لا تَرْفعوني فوْقَ قدْري فتقولوا فيَّ ما قالت النصارى في المسيح فان الله اتَّخذَني عبداً قبل ان يَتَّخِذَني رسولاً ودخل مَسْلَمةُ بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في مَرَضِهِ الذي مات فيها فقال :

Marfat.com

ألا توصي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : فِيمَ أوصي فوالله إنْ من مالٍ . فقال: هذه مائة الف فَمُرْ فيها بما أحْبَبْتَ . فقال : أوَتقْبَلُ؟ قال : نعم . قال تُرَدُّ على من أُخِذَتْ منه ظلماً . فبكى مَسْلَمَةُ ثم قال: يرحمك الله لقدألَنْتَ منا قلوباً قاسية وأبقيتَ لنا في الصالحين ذِكراً . وقيل لعليّ بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنهم : إنكَ من أبَرّ الناسِ بأمّك ولَسْنا نراك تأكل مع أُمّكَ في صَحْفةٍ .فقال أخافُ أن تَسْبِقَ يدي إلى ما قد سَبَقَتْ عينُها اليه فأكون قد عَقَقْتُها وقيل لعمر بن ذرّ حيث نُظِرَ الى تعزّيهِ عن ابنه كيف كان بِرُّهُ بك؟فقال: ما مشيت بنهارٍ معه قطُّ إلا مَشى خَلْفي ولا بليلٍ إلا مَشى أمامي ولا رَقِيَ سطحاً وانا تحته. وقال أبو المخشّ : كانت لي ابنةٌ تَجْلِسُ معي على المائدة فتُبْرِزُ كفّاً كأنها طَلْعَةٌ في ذِراعٍ كأنها جُمّارةٌ فلا تقع عينُها على أُكْلةٍ نفيسةٍ إلا خصصْتُني بها فزوّجْتُها وصار يجلس معي على المائدة ابنٌ لي فيُبْرِزُ كفاً كأنها كِرْنافةٌ و ذِراعٍ كأنها كَرَبَةٌ فوالله إنْ تَسْبِقُ عيني إلى لُقْمةٍ طيّبَةٍ إلا سَبَقَتْ يدُه اليها. وقال الأصمعي : قيل لأبي المخشّ. أما كان لك ابنٌ ؟فقال المخشُّ: وما كان المخشُّ كان والله أشدَّ خُرْطُمانياً إذا تكلم سال لُعابُه كأنما ينظر من قُلْتَيْنِ وكانْ تَرْقُوَتَهُ* بُوانٌ أوخالفةٌ وكأنّ مشاشَ مَنْكِبَيْهِ كِرْكِرةُ جَمَلٍ فقأ الله عَيْنَيّ هاتين إنْ كنتُ رأيتُ بهما أحسَنَ منه قبله ولا بعده . قوله : بوان أو خالفة فهما عمودانِ من عُمُدِ البيت البوانُ في مُقدّمِهِ والخالفةَ في مُؤَخّرِهِ ،والكِرْنافة صَرَفُ الكرَبَةِ العريض الذي يتصل بالنخلة كأنه كتفٌ . حدثني بهذا الحديث العباسُ بن الفَرَجِ الرِياشيُّ عن الأصمَعِيّ وحدثني عمن حدّثه قال : مرّ بنا أعرابي يَنْشُدُ ابناً له فقلنا: صِفْهُ. فقال: دُنَيْنيرٌ . قلنا لم نَرَه . فلم نَلبَث ان جاء يحْمِلُ على عُنُقِهِ فقلنا : لو سألتَ عن هذا لأرْشَدْناكَ ما زال مُنذُ اليوم بين أيدينا وانشدني مُنشِدٌ وانشدني الرِياشيُّ أحد البيتين :

نعم ضَجيعُ الفَتى اذا بَرَدَ اللـ ـيلُ سُحَيراً وقَرْقَفَ الصَرِدُ
زَيّنَهـا اللهُ في الفُؤادِ كما زُيّنَ في عَيْنِ والد وَلَدُ

* خرطمانياً : كبير الأنف كأنه خرطوم الفيل ، وقل هذا الوزن في اللغة .

Marfat.com

وقالت أمُّ ثوابٍ الهِزَّانيَّةُ من عَنَزَةَ بن أسدِ بن ربيعةَ بن نزارٍ تعني ابنها:

رَبَيْتُهُ وهو مِثلُ الفَرْخِ أعظُمُهُ ... أمُّ الطعام تَرى في ريشِهِ زَغَبا
حتى إذا آضَ كالفُحّالِ شَذَّبَهُ ... أبارُهُ ونَفى عن مَتْنِهِ الكَرَبا
أنشا يُخَرِّقُ اثوابي ويَضْرِبُني ... أبعدَ سِتِّينَ عِندي تبتَغي الأدَبا
إني لأبْصِرُ في تَرْجيلِ لِمَّتِهِ ... وَخطاً لِحَيَتِهِ في وَجْهِهِ عَجَبا
قالتْ له عِرْسُهُ يوماً لتُسْمِعَني ... رِفقاً فإنَّ لنا في أمِّنا أرَبا
ولوْ رأتْني في نارٍ مُسَعَّرَةٍ ... من الجحيم لزادَتْ فوقَها حَطَبا

قولها: أباره فهو الذي يُصْلِحُهُ يقال أبَرْتُ النخل وأَبَرْتُهُ خفيفةً إذا لقَّحْتَهُ. ويروى ان مالك بن العَجْلانِ او غيره من الأنصار كان يُتْحِفُ أبا جُبَيْلَةَ الملِكَ حيث نزل بهم بتمرٍ من نخلةٍ لهم شريفةٍ فغاب يوماً فقال ابو جُبَيْلَةَ: ان مالكاً كان يُقَوِّتُ علينا جَنى هذه النخلة فجُدُّوها. فجاء مالك وقد جُدَّتْ فقال: مَن سَعى على عَذْقِ المَلِكِ فجَدَّهُ. فأعلموه ان الملِكَ أمَرَ بذلك فجاء حتى وَقفَ عليه فقال:

جَدَدْتَ جَنى نَخْلَتي ظالِماً ... وكان الثِمارُ لِمَنْ قد أبَرْ

فلما دخل النبيُّ ﷺ المدينة أطرَفوه بهذا الحديث فقال ﷺ: الثمر لمن أبَر إلا ان يَشْتَرِطَهُ المشتري. والفُحّالُ فحلُ النخل ولا يقال لشيء من الفُحول فُحّالٌ غيرِهِ. وانشدني المازنيُّ:

يَطُفْنَ بفُحّالٍ كأنَّ ضِبابَهُ ... بُطونُ الموالي يَوْمَ عيدٍ تغدَّت

وضِبابُهُ طَلْعُهُ وآضَ عاد ورَجَعَ. وقولها: شَذَّبَهُ تقول قطعَ عنه الكرَبَ والعناكيلَ، وكلُّ مُشَذَّبٍ مقطوعٌ ويقال للرجل الطويلِ النحيفِ مُشَذَّبٌ يُشَبَّهُ بالجِذْعِ المحذوف عنه الكرَبُ وأصل التَشْذيب القَطْع.

وقال الفَرَزْدَقُ:

عَضَضْتُ سيوفُ تميمٍ حين أغْضَبَها ... رأسَ ابنِ عَجْلى فاضحى رأسُهُ شَذَبا

اراد عَضَضْتُ سيوفُ تميمٍ رأسَ ابنِ عَجْلى حين أغضبها. وابنُ عَجْلى عبدالله

Marfat.com

ابن خازمٍ السُلَمِيُّ وامه عَجْلى وكانت سوداء ، وهو احد غِرْبانِ العرب في الإسلام . وسُئلَ المُهَلَّبُ : من أشْجَعُ الناس؟ فقال : عَبّادُ بن حصين وعمر ابن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ والمُغيرةُ بن المُهَلَّبِ . فقيل له : فأين ابن الزُبَيْرِ وابن خازمٍ وعُمَيْرُ بن الحُبابِ ؟ فقال : إنما سُئِلْتُ عن الإنسِ ولم أُسْأَلْ عن الجِنِّ .

٢١ - باب

روى شعبة عن واقِدِ بن محمد عن ابن ابي مُلَيْكَةَ عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة رضي الله عنها : مَنْ أرْضى اللهَ بإسْخاطِ الناس كفاهُ الله مابينه وبين الناس ، ومَنْ ارْضى الناسَ باسخاط الله وَكلَهُ اللهُ إلى الناس ، ومَن أصْلَحَ سريرته أصْلَحَ اللهُ علانيته . ويروى ان الحسن بن زَيد لما وَلِيَ المدينة قال لابن هَرْمةَ : إني لستُ كمنْ باعَ لك دينَهُ رجاء مَدْحِكَ او خوْفَ ذَمِّكَ ،قد اقادني الله بولادة نبيه المَهادِحَ وجَنَّبَني المقابِحَ ، وإنّ من حَقِّهِ عليَّ الا أُغْضِيَ على تقصير في حقه ، وانا اقْسِمُ بالله لئِن أتيتُ بكَ سكرانَ لأضْرِبَنَّكَ حدَّيْنِ حدًّا للخمر وحدًّا للسكر ولأزيدنَّ لموضع حُرْمَتِكَ بي فليَكُنْ تَرْكُكَ لها لله ثُمَنْ عليه ولا تَدَعْها للناس فتُوكَلَ اليهم فنَهَضَ ابن هَرْمةَ وهو يقول :

نَهاني ابنُ الرسولِ عن المُدامِ ... وأدَّبني بآدابِ الكِرامِ
وقالَ لي اصْطَبِرْ عنها ودَعْها ... لخَوْفِ اللهِ لا خَوْفِ الأنامِ
وكيْفَ تَصَبُّري عنها وحُبّي ... لها حُبٌّ تَمَكَّنَ في عِظامي
ارى طيبَ الحلالِ عليَّ حَتْماً ... وطيبَ النَفْسِ في خُبْثِ الحرام

وقال الحسن لمُطَرِّفِ بن عبد الله بن الشِخّيرِ الحَرَشِيِّ : يا مُطَرِّفُ عِظْ اصحابك . فقال مُطَرِّفٌ : إني اخافُ ان اقولَ ما لا افعَلُ . فقال الحسن : يرحمُك الله وأيُّنا يفعل ما يقول! لَوَدَّ الشيطانُ إنه ظَفِرَ بهذه منكم فلم يأمُرْ احدٌ بمعروفٍ ولم يَنْهَ عن مُنْكَرٍ . وقال مُطَرِّفُ بن عبد الله لابنه : ياعبدالله العِلْمُ افضلُ من العمل ، والحَسَنَةُ بين السيِّئتين وشرُّ السيرِ الحَقْحَقَةُ . قوله:

Marfat.com

الحسنة بين السيّئتين يقول الحقُّ بين فعل المقصّر والغالي ، ومن كلامهم خيرُ الأمور أوساطُها وقوله: رشرشُ السير الحقحقةُ وهو ان يستفرغَ المسافر جُهْدَ ظهره فيقطعَه فيُهْلِكَ ظهرَهُ ولا يبلّغَ حاجته . يقال: حقْحَقَ السيرَ إذا فعل ذلك . وقال الراجز : وانْبَتَّ فِعْلَ السائر الْمُحَقْحِقِ . (فعل بالنصب الرواية الصحيحة لأنه مصدر معنى) وحُدِّثتُ أن الحسن لَقِيَ سابق الحاج وقد أسرَعَ فجعل يُومِي إليه باصبعه فِعلَ الغازلة وهو يقول: خرْقاءُ وجَدَتْ صوفاً ، وهذا مثل من أمثال العرب يضربونه للرجل الأحمق الذي يجِدُ مالاً كثيراً فيَعيثُ فيه . وشبيهٌ بهذا المثل قوله : عَبْدٌ وخَلاً في يديه . ويروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: إنّ هذا الدينَ متينٌ فأوْغِلْ فيه برِفْقٍ ولا تُبَغِّضْ إلى نفسك عبادة ربّك فان المُنْبَتَّ لا أرضاً قطَعَ ولا ظَهْراً أبْقى. قوله: متين المتين الشديد. قال الله عزّ وجل: وأُمْلِي لهُمْ انّ كيْدي متينٌ . وقوله: فأوغل فيه برفق ، يقول : أدخل فيه هذا أصل الوُغول. ويقال مُشتقاً من هذا للرجل الذي يأتي شَرابَ القومِ من غير أن يُدْعى اليه ، واغِلٌ ومعناه انه وَغَلَ في القوم وليس منهم . قال امرُؤُ القَيْس :

حَلَّتْ لِيَ الخمْرُ وكُنْتُ امْرَأً عن شُرْبِها في شُغُلٍ شاغِلِ
فاليومَ أُسْقَى غيرَ مُسْتَحْقَبٍ إثْماً من الله ولا واغِلِ

والمُنْبَتّ مثل المُحَقْحِقِ واشتقاقه من الانقطاع. يقال: انْبَتَّ فلانٌ من فلان أي انقطع منه وبَتَّ الله ما بينهم اي قطَعَ . قال محمد بن نُمَيْرٍ :

تواعَدَ للبينِ الخليطُ ليَنْبَتّوا وقالوا لِراعي الذَوْدِ موْعِدُكَ السَبتُ
وفي النَفْسِ حاجاتٌ اليهم كثيرةٌ ومَوعِدُها في السَبْتِ لو قد دَنا الوقتُ

(روى الأخفش البيت الأخير ويروى: ألا قرَّبَ الحيُّ الجِمالَ لِيَنْبَتّوا) وحُدِّثتُ ان ابن السمّاكِ كان يقول: إذا فعَلْتَ الحسنةَ فافْرَحْ بها واستقْلِلْها فإنك إذا استقللتها زِدْتَ عليها ، وإذا فرِحْتَ بها عُدْتَ اليها ويروى عن أويْسٍ القَرَنيّ أنه قال : ان حقوق الله لم تَتْرُكْ عند مسلم درهماً . ودخل

Marfat.com

يَزيدُ بن عُمَر بن هُبَيْرة على أمير المؤمنين المنصور فقال يا امير المؤمنين، وَسِّعْ تَوسُّعاً قُرَشِيّاً ولا تَضِقْ ضيقاً حِجازِيّاً. ويروى أنه دخَلَ عليه يوماً فقال له المنصورُ : حَدِّثْنا فقال : يا امير المؤمنين إن سُلْطانَكم حَديثٌ وإمارَتكم جديدةٌ فأذيقوا الناسَ حلاوةَ عَدْلها وجَنِّبوهُمْ مَرارةَ جَوْرِها، فوالله يا امير المؤمنين لقد نَحَضْتُ لك النَصيحة . ثم نَهَضَ فنَهَضَ معه سبعمائة من قيس، فأتأرَهُ المنصور بَصَرَهُ ، ثم قال : لا يَعِزُّ مُلْكٌ يكون فيه مِثْلُ هذا . قوله : نَحَضْتُ لك النصيحة يقول أخلصت لك، و أصل هذا من اللبن والمَحْضُ منه الخالص الذي لا يَشوبُهُ شيء وانشد الأصمَعِيُّ :

امْتَحَضا وَسقْياني ضَيْحا وقد كفَيْتُ صاحِبَيَّ المِيحا

(الميح طلب الشيء ههنا وههنا) ويقال : حَسَبٌ مَحْضٌ . وقوله : أتأره ببصره يقول: اتبعه بصره وَحدَّد اليه النَظَر، وانشد الأصمعي وهو للكُمَيْتِ ابن زيْدٍ) :

ما زِلْتُ أرْمُقُهُمْ والآلُ يَرْفَعُهُمْ حتى ادَّمَرَّ بطَرْفِ العين إتْآري *

ويروى عن أسماء بن خارِجة انه قال لا أشاتِمُ رجلاً ولا أرُدُّ سائلاً، فإنما هو كريمٌ أسْدُّ خَلَّتَهُ او لئيمٌ أشتري عِرْضي منه . ويروى عن الأحْنف بن قيسٍ انه قال : ما شاتَمْتُ رجُلاً مُذْ كنتُ رجُلاً ، ولا زَحَمَتْ رُكْبتايَ رُكْبَتَيْه ، وإذا لم أصِلْ مُجْتدِيَّ حتى يَنْتِحَ جبينُهُ عرقاً كما يَنْتِحُ الحميتُ ، فوالله ما وصَلْتُهُ . قوله مُجْتدِيَّ يريد الذي يأتيه يطلب فضله يقال اجتداه يجْتديه واعْتفاه يعْتَفيه واعتراه يَعْتريه واعْتَرّهُ يعْترُّهُ وعراه يعروه إذا قصده يتَعرّضُ لنائله، وأصل ذلك مأخوذ من الجَدى مقصور وهو المطر العامُّ النافع . يقال : اصابتْنا مَطَرةٌ كانت جدىً على الارض ، فهذا الاسم فإذا اردتَ المصدر قلت : فلان كثير الجداء ممدود، كما تقول : كثير الغنـاء عنك ممدود. هذا المصدر ، فإذا اردت الاسم الذي هو خلاف الفَقْر قلت : الغِنى بكسر اوله وقصرْت . قال خُفافُ بن ندْبة يمدح أبا بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه :

* ما زلت .. : أرمقهم، من رمق : نظر . الآل : السراب ضحى . ادمر : كل وخسر . إتاري : بصري .

Marfat.com

لَيْسَ لشيْءٍ غيرَ تقْوى جَداهْ وكُلُّ شيءٍ عُمرُهُ للفَنـــاهْ
ان أبا بَكرٍ هــو الغَيْثُ إذ لم تَشْمَلِ الأرضَ سحابٌ بماهْ
تاللهِ لا يُدْرِكُ أيامَـــهُ ذو طُرَّةٍ حافٍ ولا ذو حِذاهْ
مَنْ يَسْعَ كَيْ يُدْرِكَ أيامَهُ يَجْتَهِدِ الشَدَّ بأرضٍ فضـاهْ

وهذا من طريف الشِعر لأنه ممدود فهو بالمد الذي فيــه من عَروض السَريع الاولى وبيته في العَروض :

أزْمانَ سَلْمَى لا يَرى مِثْلَهـا الــراؤنَ في شأمٍ ولا في عِراقْ

ثم نرجع الى تأويل قول الأحْنَفِ قوله : حتى يَنْتِحَ جبينُهُ عَرقاً فهو مثل الرَشْحِ . وحدّثني أبو عثمان المازنيُّ في إسنادٍ له ذكرَهُ قال: قال رُؤْبَةُ ابن العَجّاج : خرجتُ مع أبي نريد سليمان بن عبد الملكِ ، فلما صِرْنا في الطريق أهْدِيَ لنا جَنْبٌ من لحم عليه كَرافيءُ الشحم وخَريطةٌ من كَمْأةٍ ووَطْبٌ من لبن فطبخنا هذا بهذا فما زالت ذِفْرَيايَ تَنْتِحانِ منه إلى أن رجعتُ . وقوله: الحميت فالحَميتُ والزِقُّ اسمان له ، وإذا زُفِتَ أو كان مَرْبوباً فهو الوَطْبُ وإذا لم يكن مَربوباً ولا مُزَفَّتاً فهو سِقاء ونَحْيٌ . والوَطْبُ يكون للبن والسمن والسِقاء يكون للبن والماء. قالت هندُ بنت عُتْبة لأبي سُفيان بن حَرْبٍ لما رجع مسلماً من عند النبي ﷺ الى مكة في ليلة الفتح فصاح: يا مَعْشَرَ قُريشٍ ألا إني قد أسْلَمْتُ فأسْلِموا ، فان محمداً قد أتاكم بما لا قِبَلَ لكم به . فأخذَتْ هند رأسه وقالت بئس طَليعةُ القومِ أنتَ ،والله ما خَلَبْتَ خَدْشاً، يا أهل مكة عليكم الحميتَ الدَسِمَ فاقتلوه وأما قول رُؤْبَةَ . كرافيءُ الشحمِ يريد طَبَقات الشحم . وأصل ذلك في السحاب إذا رَكِبَ بعضُهُ بعضاً يقال له : كِرْفِيءٌ والجميع كرافيءُ قال أبو الحسن الأخفش واحد الكرافيءِ كِرْفِئَةٌ وهاء التأنيث اذا جُمِعَت جمع التكسير حُذِفَتْ لأنها زائدة بمنزلة اسم ضُمَّ إلى اسم وأحْسِبُ أن ابا العباس لم يَسْمعَ الواحدَ من هذا فقاسه والعرب تَجْتَرِيءُ على حذف هاء التأنيث إذا احتاجت الى ذلك،وليس هذا موضع حاجة إذ كانت

Marfat.com

قد استُعْمِلَت الواحدةُ بالهاء . ونظير هذا قولهم : ما في السماء كِرْفئةٌ وما في السماء قَذَعْمَلةٌ وقَذَعميلةٌ ، وما في السماء طَحْرُبةٌ وطِحْرِبةٌ ، وما في السماء قِرْطَعْبةٌ ، وما في السماء كَنَهْوَرةٌ وهي القطعة من السحاب العظيمة كالجبل وما أشبهه) .

٢٢ - باب

قال أبو العباس : قال حسّان بن ثابت يهجو مُسافِعَ بن عِياضٍ النَيْمِيَّ من تيمِ بن مُرَّةَ بن كعْبِ بن لُؤَيِّ رَهْطِ أبي بكر الصِدّيق رضي الله عنه :

لو كُنْتَ من هاشمٍ أو من بَني أسدٍ ... أو عَبْدِ شمْسٍ أو أصحاب اللِّوا الصيدِ
أو من بَني نَوْفلٍ أو رَهْطِ مُطّلبٍ ... لله دَرُّكَ لم تَهْتُمْ بتَهْديدي
أو في الذُؤابةِ من قَومٍ ذوي حَسَبٍ ... لم تُصْبِحِ اليوم نِكْساً ثانيَ الجِيدِ
أو من بَني زُهْرَةَ الأخْيارِ قد عُلِموا ... أو من بَني جُمَحَ البيضِ المناجيدِ
أو في السَرارةِ من تَيمٍ رَضيتُ بِهِمْ ... أو من بني خَلَفِ الخَضْرِ الجلاعيدِ
يا آل تَيمٍ ألا تَنْهَوا سَفيهَكُمُ ... قَبْلَ القِذاف بقَوْلٍ كالجلاميدِ
لَوْلا الرسولُ فإني لستُ عاصِيَهُ ... حتى يُغَيِّبَني في الرَمْسِ مَلحودي
وصاحبُ الغارِ إني سوْفَ أحْفَظُهُ ... وطَلْحةُ بن عُبَيْدِ الله ذي الجود
لقد رَمَيْتُ بها شَنْعاءَ فاضِحةً ... يَظَلُّ منها صحيحُ القوم كالُودي

قوله : لو كنتَ من هاشمٍ يريد هاشم بن عَبْدِ مَناف بن قُصَيِّ بن كلاب ابن مُرَّةَ بن كعْب بن لُؤَيِّ بن غالب بن فِهْرِ بن مالك بن النَضْر بن كنانة . والنضْرُ أبو قُرَيْشٍ ، ومن كان من بني كنانة لم يَلِدْهُ النضْرُ فليس بقُرَشيٍّ . وبنو أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ وعبد شمس بن عبد مَنـــاف بن قُصَيٍّ وأصحاب اللواء بنو عَبدِ الدارِ بن قُصَيٍّ . واللِواءُ ممدود إذا أردتَ به لِواءَ الأميرِ ولكنه احتاج اليه فقصَرَهُ ، وقد بيّنّا جواز ذلك . فأما اللِوى من الرمل فمقصور . قال امْرُؤُ القَيْسِ : بسِقْطِ اللِوى بين الدَخولِ فحَوْمَلِ

Marfat.com

كذا يرويه الأصمعي وهذه أصح الروايات وقوله : أو من بني نوفل، فهو نَوْفَلُ ابن عبد مناف بن قُصَيّ ،والمُطَّلِبُ الذي ذكره هو ابن عبد مَناف بن قصيّ. وقوله : لم تُصْحِ اليوم نِكْسًا ، فالنِكْسُ الدنيءُ المُقصّرُ ، ويقول بعضهم إنّ أصل ذلك في السِهام، وذلك ان السَهْم اذا ارْتدَعَ أو نالته آفة نُكِسَ في الكِنانة ليُعْرَفَ من غيره . قال الحُطَيْئةُ :

قَدْ ناضلوكَ فأبْدَوْا من كِنانتهم مَجْداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنْكاسِ

قوله : مجداً تليداً قالوا نواصي الفُرْسان الذين كان يَمُنُّ عليهم . وقوله: ثاني الجِيدِ قد مرّ تفسيره في قول الله عزّ وجل : ثانيَ عِطْفِهِ ليُضِلّ عن سبيل الله . وقوله : أو من بني زُهْرَةَ فهو زُهْرَةُ بنُ كِلاب بن مُرّةَ . ويُرْوى ان رسول الله ﷺ قال : خُلِقْتُ من خير حَيَّيْنِ من هاشِمٍ وزُهْرَةَ. وبنو جُمَح ابن عمرو بن هُصَيْصِ بن كعْب بن لُؤَيّ . وقوله : المناجيد مَفاعيل من النَجْدةِ والواحد مِنْجادٌ ،وإنما يقال ذلك في تكثير الفعل كما تقول رجل مِطعانٌ بالرُمْحِ ومِطْعامٌ للطعام. وقوله: أو في السرارة من تَيْمٍ رضيتُ بهم، يقول: في الصميم منهم والمَوْضِعِ المَرْضِيّ ، وأصل ذلك في التُرْبةِ ، تقول العرب: إذا غَرَسْتَ فاغْرِسْ في سَرارة الوادي .ويقال: فلانٌ في سِرّ قومه والسُرّةُ مثل ذلك قال القُرَشِيُّ :

مَلأ سألتِ عن الذين تَبَطَّحوا كرَمَ البِطاحِ وخَيْرَ سُرّةِ وادِ
وعن الذين أَبَوْا فلم يُسْتَكرهوا أن يَنْزِلوا الوَلَجاتِ من أجْيادِ
يُخْبِرْكِ أهلُ العِلْمِ أنّ بُيوتَنا منها بخَيْرِ مَضاربِ الأوْتاد

وقوله: أو من بني خَلْفِ الحَضْرِ :فإنه حذف التنوين لالتقاء الساكنين وليس بالوَجْهِ وإنما يُحْذَفُ من الحروف لالتقاء الساكنين حروفُ المَدّ واللين، وهي الالف المفتوح ما قبلها، والياء المكسور ما قبلها ، والواو المضموم ما قبلها ،نحو قولك : هذا قفا الرجُلِ، وقاضي الرجلِ، ويَغْزو القومْ . فأما التنوين فجاز

Marfat.com

هذا فيه لانه نون في اللفظ ، والنون تُدْغَمُ في الياء والواو ، وتُزاد كما تُزاد حروفُ المدّ واللينِ ، ويُبدَلُ بعضُها من بعض، فتقول : رأيتُ زَيدا فتُبدِلُ الألفَ من التنوين ، وتقول في النسب الى صَنعاءَ وبَهْراءَ : صَنْعانيٌّ وبَهْرانيٌّ فتُبدِلُ النونَ من ألف التأنيث وهذه جُمْلةٌ وتفسيرها كثير فلذلك حُذِفَ . ومثل هذا من الشعر :

عَمْرو الذي هَشَمَ الثريدَ لقَوْمِهِ ورِجالُ مَكّةَ مُسْنِتونَ عِجافُ

(صوابه عَمْرو العُلى) وقال آخر .

حُمَيْدُ الذي أَمجٌ دارُهُ أخو الخَمْرِ ذو الشَيْبةِ الأصْلَعُ

وقرأ بعض القُرّاءِ : قل هو الله أَحدُ اللهُ الصَمَدُ . وسمعت عُمارةَ بن عَقيلٍ يَقْرَأُ . ولا الليلُ سابقُ النهارَ وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحونَ . فقلتُ : ما تريد ؟ فقال : سابقُ النهارَ . وقوله : أو أصحاب اللوا خَفَّفَ الهمزةَ وتُخَفَّفُ إذا كان قبلها ساكنٌ فتُطْرَحُ حركتها على الساكن وتُحْذَفُ ، كقولك: مَن ابوكَ ؟ وقوله عزّ وجل : الذي يُخْرِجُ الخَبءَ في السموات والأرض . وخَلفٌ الذي ذكره من بني جُمَح بن عَمْرو بن هُصَيْصِ بن كعْب بن لُؤَيّ . وقوله : الخَضِرِ الجلاعيد يقال فيه قولان ، أحدهما أنه يريد سوادَ جلودهم كما قال الفَضْلُ ابن العَبّاس بن عُتْبة بن أبي لَهَبٍ :

وأنا الأخْضَرُ من يَعْرِفُني أخضَرُ الجلدةِ في بَيْتِ العرَبْ

فهذا هو القول الاول . وقال آخرون: شُبّهوا في جودهم بالبُحور . وقوله : الجلاعيد يريد الشِدادَ الصلابَ وأحدهم جَلْعَدٌ وزاد الياء للحاجة ، وهذا جَمْعٌ يجيء كثيراً ، وذلك أنه موضع تلزمه الكسرةُ فتُشْبَعُ فتصير ياء . يقال: في خاتَمٍ خواتيمُ وفي دانِقٍ دَوانيقُ وفي طابَقٍ طَوابيقُ . قال الفَرزْدَق :

تَنفي يَداها الحَصى في كلّ هاجرةٍ نَفْيَ الدَراهيم تَنْقادُ الصياريف

وقوله : قبل القِذاف يريد القاذَفةَ وهذه تكون من اثنين فما فوقهما نحو : المُقاتَلةِ والمُشاتَمَةِ . فباب فاعَلْتُ إنما هو للاثنين فصاعداً ، نحو : قاتَلْتُ وضارَبْتُ . وقد تكون الألف زائدة في فاعَلْتُ فتُبْنى للواحد كما زيدت

Marfat.com

الهَمْزةُ أوّلاً في أفْعَلْتُ فتكون للواحد نحو عاقَبْتُ اللِصّ وعافاه الله وطارَقْتُ النَعْلَ وقوله: وصاحب الغار يعني أبا بكرٍ رضي الله عنه لصاحبه النبيّ ﷺ في الغار ، وهذا مشهور لا يحتاج إلى تفسير . وطلحة بن عبيدالله ذو الجود ، نسبه الى الجود لأنه كان من أجْودِ قُرَيْشٍ . وحدّثني التَوَّزِيُّ قال : كان يقال لطلحة بن عبيد الله طَلْحة الطَلَحاتِ وطَلْحة الخَيْرِ وطَلْحة الجودِ . وذكر التَوَّزِيُّ عن الأصمَعيّ : أنه باع ضَيْعَةً له بخمسة عشر الف درهم فقَسَمَها في الأطْباقِ . وفي بعض الحديث : أنه مَنَعَهُ أن يَخْرُجَ إلى المسجد أن لُفِّقَ له بين ثوبين . وحدثني العُتْبِيُّ في إسنادٍ ذكرَهُ قال : دعا طَلْحةُ بن عبيد الله أبا بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم فأبْطأ عنه الغُلامُ بشيء أراده ، فقال طلحةُ : يا غلامُ . فقال الغلام : لبَّيْكَ فقال طلحةُ : لا لَبَّيْكَ . فقال أبو بكر : ما يَسُرُّني أني قُلْتُها وأنّ لي الدنيا وما فيها. وقال عمر : ما يَسُرُّني أني قُلْتُها وأنّ لي نصْفَ الدنيا . وقال عثمان : ما يَسُرُّني أني قُلْتُها وأن لي حُمْرَ النَعَم . قال : وصَمَتَ عليها أبو محمد ، فلما خرجوا من عنده باع ضَيْعَتَهُ بخمسة عشر الف دِرْهمٍ فتصدق بثمَنها . وقوله : يظَلُّ منها صحيحُ القوم كالمودي ، فالمودي في هذا الموضع الهالكُ ، وللمودي موضع آخر يكون فيه القويُّ الجادُّ . حدّثني بذلك التَوَّزِيُّ في كتاب الأضداد وانشدني:

مُودونَ يَحْمونَ السبيلَ السابِلا ، (المُؤْدي بالهمز التامُّ الأداةِ والسِّلاح وبغير الهمز الهالكُ) وقال رجل من العرب :

خَليليَّ عوجا بارَكَ اللهُ فيكُما على قَبْرِ أهْبانٍ سَقَتْهُ الرواعِدُ
فذاكَ الفَتى كلُّ الفتى كان بَيْنَهُ وبين المُزَجّى نَفْنَفٌ مُتباعِدُ
إذا قارَعَ القومُ الأحاديثَ لم يَكُنْ عَييّاً ولا عِيّاً على من يُقاعِدُ

قوله : على قَبْرِ أهْبانٍ فهذا اسم عَلَمٌ كزيد وعمرو ، واشتقاقه من وَهَبَ يَهَبُ ، وهَمَزَ الواوَ لانضمامها كقوله تعالى: وإذا الرُسُلُ أُقِّتَتْ ، فهو فُعِّلَتْ من الوَقْتِ ، وقد مضى تفسير همز الواو إذا انضَمَّتْ . وهو لا ينصرف في المعرفة

Marfat.com

وينصرف في النكرة ، وكل شيء لا ينصرف ﴿فصرْفُهُ في الشعر جائز لأن أصله كان الصَرْفَ فلما احتيج اليه رُدَّ إلى أصله فهذا قولُ البصريين . وزعم قوم ان كل شيء لا ينصرف ﴿فصَرْفه في الشعر جائز إلا أفعَلَ الذي معه : منكَ ، نحو : أفضَل منكَ وأكرم منكَ ، وزعم الخليل وعليه أصحابه أن هذا اذا كانت معه منك بمنزلة أحمَرَ لانه إنما كمَلَ أن يكون نعتاً بمنك ، وأحمَرُ لا يحتاج اليها فهو مع منكَ بمنزلة أحمَرَ وَحْدَهُ . قال : والدليل على أن منك ليست بمانعة من الصرف أنه إذا زال عن بناء أفعَلَ انصرَفَ نحو قولك : مررتُ بخَيْرٍ منك وشرٍّ منك ، فلو كانت منكَ هي المانعة لَمنَعَتْ ههنا فهذا قولٌ بَيِّنٌ جداً . وقوله : المُزَجّى فهو الضعيف ، يقال : زَجّى فلان حاجتي أي خَفَّ عليه تعْجيلُها ، والمُزْجاةُ من البضائع اليَسيرةُ الخفيفة المحْمِل ، والنَفْنَف وجمعه النَفانِفُ كلُّ ما كان بين شيئين عالٍ ومنخفضٍ . قال ذو الرُمّة :

(تَرى فَرْطها في واضِحِ اللَّيتِ مُشْرِفاً على هَالِكٍ) في نَفْنَفٍ يَتَطوّحُ

وقوله : ولا عِبْئاً على من يُقاعِدُ فالعِبْءُ الثِقْلُ ، يقال حَمَلَ عِبْئاً ثقيلاً ووَكَّدَهُ بقوله ثقيلاً ولو لم يَحْتَجْ اليه . وقال آخر يذكر ابنه :

ألا يا سَمَتَنَهُ شَبِّي الوَقودا لعَلَّ الليالي تُؤدّي يَزيدا
فَنَفْسي فِداؤُكَ من غائبٍ إذا ما المَارِحُ كانتْ جَليدا
كفاني الذي كنْتُ أسْعى له فصار أباً لي وصِرْتُ الوَليدا

قوله : شَبِّي يقال شَبَبْتُ النارَ والحرْبَ إذا أوْقَدْتَهُما . يقال : شَبَّ يَشُبُّ شَبّاً قال الأعشى :

تُشَبُّ لمقْرورَيْنِ يَصْطَلِيانِها وباتَ على النارِ الندَى والمُحَلَّقُ

وقوله : إذا ما المارح كانت جليداً ، فالمارحُ الطُرُق التي يَسْرَحون فيها واحدها مسْرَحٌ . والجَليدُ يقع من السماء وهو نَدًى فيه جُمودٌ فتَبْيَضُّ له الأرضُ وهو دون الثَلْج يقال له الجَليدُ والضريبُ والسقيطُ والصَقيعُ . وقالوا في قوله : رِجْلا عُقابٍ يَوْمَ دَجْنٍ تُضْرَبُ ، أي يصيبها الضَريبُ .

Marfat.com

وقوله : وكنتُ الوليدَ ، فالوليدُ الصغير وجمعه وِلْدانٌ وهو في القرآن قولُه عزّ وجل : يَطوفُ عَليهِمْ وِلْدانٌ مُخَلَّدونَ . ونظير وَليدٍ ووِلْدانٍ ظَليمٌ وظِلِمّانٌ وقَضيبٌ وقِضبانٌ ، وباب فُعالٍ فِعْلانٌ نحو : عِقْبانٍ وذِبّانٍ وغِرْبانٍ . وقولهم : أمرٌ لا يُنادى وليدُهُ يقال فيه قولان متقاربان فأحدهما أنه لا يُدْعى له الصِغارُ ، والوجه الآخر لأصحاب المعاني ، يقولون : ليس فيه وَليدٌ فيُدْعى ، ونظير ذلك قول النابغة الجعْدي :

سَبَقْتُ صياحَ فَراريجِها وَصَوْتَ نَواقيسَ لم تُضْرَبِ

أي لِبْتَ ثَمّ ولكنّ هذا من أوقاتها . وقالت أخت طَرَفةَ بن العَبْدِ :

عَدَدْنا له سِتّاً وعشرينَ حِجّةً فلما تَوَفّاها اسْتَوَى سَيِّداً ضَخْما
فَجِعْنا به لما رَجَوْنا إيابَهُ على خير حال، لا وَليداً ولا قَحْما

الوليد ما ذَكَرْنا ، والقَحْمُ الرجل المتناهي سِنّاً ، ويقال ذلك في البعير قَحْمٌ وَقَحْرٌ ومُقْلَحِمٌ . ويقال للبعير خاصّةً قُحارِبَةٌ بوزن قُراسِيَةٍ وأنشد الأصمَعِيُّ .

رَأَيْنَ قَحْماً شابَ وَاقْلَحَمّا طالَ عليه الدَهْرُ فاسْلَهَمّا

المُسْلَهِمُّ الضامر . وقال آخر لابنه يَرْثيه :

ومن عَجَبٍ إن بِتُّ مُسْتَشْعِرَ الثرى وبِتُّ بما زَوَّدْتني مُتَمَئِّما
ولو أنني أنصَفْتُكَ الوُدَّ لم أبِتْ خِلافَكَ حتى تَنْطَوي في الثرى معا

وقال ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن يرثي أخاه محمداً :

أبا المنازِلِ يا عُبْرَ الفوارِسِ مَن يُفْجَعْ بِمِثْلِكَ في الدنيا محمد يُفجِعا
اللهُ يَعْلَمُ إني لو خَشِيتُهُمُ أو آنَسَ القلبُ من خَوْفٍ لهم فَزِعا
لم يَقْتلوكَ ولم أُسْلِمْ أخي لهُمُ حَتى نعيشَ جميعاً أو نموتَ معا

قوله : يا عُبْرَ الفوارس يصفه بالقوة منهم وعليهم ، كما يقال : ناقة عُبْرُ الهَواجِرِ وعُبْرُ السُرى وقوله : أو آنس القلب من خوف لهم فزعا ، يقول :

Marfat.com

أَحسَّ ، وأصل الإيناسِ في العين . يقال : آنستُ شخصاً أي أبصَرْتُهُ من بُعدٍ . وفي كتاب الله عزّ وجل : آنسَ مِنْ جانبِ الطُّورِ ناراً. وقال مُتَمِّم ابن نُوَيْرَةَ (يرثي أخاه) :

وقالوا أَتبكي كلَّ قبرٍ رأيْتَهُ لِمِثْلِ ثَوى بَينَ اللِّوَى فالدَّكادِكِ
فقلتُ لهم ان الأسى يَبعَثُ البُكى ذَروني فهذا كلُّه قَبرُ مالِكِ

والأسى الحُزْنُ وقد مرّ تفسيره . وقال علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطّلِبِ رحمه الله :

أبي العَبّاسُ قَرْمُ بني قُصَيٍّ وأخوالي المُلوكُ بنو وَليعَهْ
هُمُ مَنعوا ذِماري يَوْم جاءتْ كتائبُ مُسْرِفٍ وبنو اللكيعهْ
أرادَ بِيَ التي لا عِزَّ فيها فحالتْ دونه أيْدٍ مَنيعهْ

قوله : بنو وليعة فهم أخواله من كِنْدَةَ وأمُّهُ زُرْعَةُ بنت مِشْرَحٍ الكِنْدِيّةُ ثم أحدُ بني وليعةَ . وقوله : كتائبُ مُسرِفٍ يعني مسلم بن عقبةَ المُرّيَّ صاحبَ الحَرّةِ ، وأهل الحجاز يسمونه مسرفاً، وكان أراد اهلَ المدينة جميعاً على أن يُبايعوا يَزيدَ بن معاوية على أن كل واحد منهم عَبدٌ قِنٌّ له إلا عليّ ابن الحسينِ فقال حُصَينُ بن نُمَيرٍ السَكونِيُّ من كِندةَ : ولا يُبايِعُ ابنُ اختنا عليُّ بن عبد الله إلا على ما يُبايِعُ عليه عليُّ بن الحسين على أنه ابنُ عَمِّ أمير المؤمنين ، وإلا فالحربُ بيننا . فأعفِيَ عليُّ بن عبد الله وقُبِلَ منه ما أراد ، فقال هذا الشِعرَ لذلك . وقوله : بنو اللكيعة فهي اللئيمة . ويقال في النداء للئيم يا لُكَعُ ، والأنثى يا لَكاعِ لأنه موضع معرفة، كما يقال : يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ، فإن لم ترد أن تعدِلَهُ عن جهته قلتَ للرجُل : يا ألكَعُ ،وللأنثى يا لَكْعاءُ . وهذا موضع لا تقع فيه النَكِرةُ . وقد جاء في الحديث والأصل ما ذكرتُ لك:لا تقوم الساعةُ حتى يَلي أمورَ الناس لُكَعُ بن لُكَعٍ ، فهذا كنايةٌ عن اللئيم بن اللئيم ، وهذا بمنزلة عمَرَ ينصرف في النكرة ، ولا

Marfat.com

ينصرف في المعرفة. ولـكاءِ يُبنى على الكسر ، وسنشرح باب فعال للمؤنث على وُجوهه الخمسة عند أول ما يَجْري من ذكره ان شاء الله ، وقد اضطُرَّ الحُطَيْئةُ فذكر لكاعِ في غير النِداء . فقال يَهْجو امرأته :

أَطوّفُ ما أُطوّفُ ثم آوي الى بيتٍ قعيدتُهُ لكاعِ

قعيدهُ البيتِ ربّةُ البيتِ ، وانما قيل قعيدة لقعودها وملازمتها . ويقال للفرس قَعْدةٌ من هذا وهو الذي يَرْتبطه صاحبُهُ فلا يُفارقه . قال الجُعْفيُّ :

لكِنْ قعيدةُ بيتنا مَحْفوّةٌ بادٍ جَناجِنُ صَدْرها ولها غِنا

الجناجِنُ ما يظهر عند الهُزالِ من أطراف ضُلوع الصدر ، واحدها جِنجَنٌ . وقال هشام أخو ذي الرُمّةِ :

تَعزّيْتُ بمَن أوْفى بغَيْلانَ بَعْدَه عَزاءٌ وجَفْنُ العينِ بالماء مُتْرَعُ
ولم تُنسِني أوْفى المُصيباتُ بَعدَهُ ولكِنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجع

غَيْلانُ هو ذو الرُمّةِ وكان هِشامٌ من عُقلاءِ الرجال . حدثني العباس بن الفَرَجِ في اسناد ذكره يَعْزوه الى رجل أراد سَفَراً . فقال : قال لي هِشامُ ابن عُقبةَ أنْ لكل رُفقةٍ كلْباً يَشْرَكُهُم في فَضْلة الزادِ ويَهُرُّ دونهم ، فان قدَرْتَ ألا تكون كلْبَ الرُفقةِ فافعَلْ وإيّاك وتأخيرَ الصلاةِ عن وقتها ، فانك مُصَلّيها لا مَحالةَ فصَلّها وهي تُقبَلُ منك . وقال حسّانُ بن ثابت الانصاريُّ :

تقولُ شَعْثاءُ لو صَحَوْتَ عن الـكاسِ لأصبَحْتَ مُثْرِيَ العَدَدِ

(هي امرأته وهو اسمها) .

أهْوى حديثَ الندمانِ في فَلَقِ الصبح وصوْتَ المُسامِرِ الفَرِدِ
لا أخْدِشُ الخدْشَ بالجليسِ ولا يَخْشى نَديمي اذا انتَشَيْتُ يدي
يأبى لي السيفُ واللسانُ وقَوْ مٌ لم يُضاموا كلِبْدةِ الأسد

Marfat.com

لِبدة الأسد ، ما يَتَطارقُ من شَعَرٍ بين كَتِفَيْهِ . ويقال اسَدٌ ذو لِبْدةٍ ، وذو لِبَدٍ . وحدثني عُمارةُ قال : مرض جَريرٌ مَرْضةً فعادتْهُ قَيْسٌ : فقال :

نَفسي الفِداءُ لقَوْمٍ زَيَّنوا حَسَبي ... وإن مَرِضْتُ فهُم أهْلي وعُوّادي
لوخِفْتُ لَيْثاً أبا شِبْلَيْنِ ذا لِبَدٍ ... ما أسْلَموني للَيْثِ الغابةِ العادي
إن تجْرِ طَيرٌ بامرٍ فيه عافيةٌ ... أو بالرَحيلِ فقد أحْسَنْتُمُ زادي

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المُنذر بن حَرامٍ وهو يُهاجي عبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصي بن أُمَيّةَ بن عبد شمسٍ :

فأمّا قَولُكَ الخُلَفاءُ مِنّا ... فمِنّهُم مَنَعوا وريدَكَ من وِداجِ
ولوْلاهُم لَكُنتَ كحوتِ بَحرٍ ... هَوى في مُظلِمِ الغَمَراتِ داجي
وكُنتَ أفَلَّ من وتدٍ بقاعٍ ... يُشجّجُ رأسهُ بالفِهْرِ واجي

فكتب مُعاويةُ الى مَرْوانَ أن يُؤَدِّبَهما وكانا قد تَقاذَفا ، فضَربَ عبدَ الرحمن بن حسانٍ ثمانين وضَرَبَ أخاه عشرين . فقيل لعبد الرحمن بن حسان قد أمكنَكَ في مَرْوانَ ما تريد فأشِدْ بذكره وارفَعْهُ الى مُعاوية . فقال : إذاً والله لا أفعَلُ وقد حَدّني كما تُحَدَّثُ الرجالُ الأحرارُ وجَعَلَ أخاه كنصف عبد ، فأوجَعَهُ بهذا القول . ويروى أن عبد الرحمن بن حَسّان لَسَعَهُ زُنبورٌ فجاء أباه يبكي ، فقال له مالك ؟ فقال لسعني طائر كأنه مُلتَفٌّ في بُرْدَيْ حِبَرةٍ . قال : قلتَ والله الشعرَ . ويروى أن معلّمه عاقب الصِبْيان على ذنبٍ وأراده بالعقوبة ، فقال :

اللهُ يَعْلَمُ أني كنتُ مُنبذاً ... في دار حَسّان أصْطادُ اليَعاسيبا

وأعْرَقُ قومٍ كانوا في الشعر آلُ حَسّان فانهم يَعْتَدُّون ستةً في نَسَقٍ كلُّهم شاعرٌ وهم : سَعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المُنذِر بن حَرام . وبعد هؤلاء في الوقت آلُ أبي حَفصةَ فانهم أهل بيت كلُّهم شاعرٌ يتوارثونه كابراً عن كابرٍ . ويروى أن ابنةً لابن الرِقاع وقف بباب أبيها قوم يسألون

Marfat.com

عنه ، فقالت : ما تريدون اليه ؟ فقالوا جئنا لنُهاجيَهُ فقالت وهي صبيةٌ :

تَجَمَّعْتُمُ من كل أرْبٍ ووِجْهةٍ على واحدٍ لا زِلتمُ قِرْنَ واحدِ

فهذه بلغت بطبعها على صِغَرِها مَبْلغَ الأعشى في قَلب هذا المعنى حيث يقول لِهوْذَةَ بن علي :

يرى جَمْعَ ما دون الثلاثينَ قُصْرةً ويَعْدو على جَمْعِ الثلاثينَ واحداً

٢٣ - باب

قال أبو العباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه . عَلِّموا أولادكم العَوْم والرِماية ومُروهمْ فَلْيَثِبوا على الخيل وثباً ، ورَوُّوهم ما يَحْمُلُ من الشِعْر ، وفي حديث آخر : وخَيرُ الخُلُقِ للمرأة المِغزَلُ . ويروى عن الشَعبيّ أنه قال : قال عبدالله بن العباس قال لي أبي : يا بُنَيّ اني أرى أمير المؤمنين قد اخْتَصَّكَ دون مَن ترى من المهاجرين والانصارِ فاحْفَظ عني ثلاثاً ، لا يُجَرِّبَنّ عليك كَذِباً ولا تَغْتَبْ عنده مسلماً ولا تُفْشِيَنّ له سِرّاً . قال فقلتُ له : يا أبَهْ كلُّ واحدةٍ منها خيرٌ من ألف ، فقال كلُّ واحدة منها خيرٌ من عشرة آلاف . وحدثني العباس بن الفَرَج في اسناد ذكره قال : نُظِر الى عمرو بن العاص على بَغلةٍ قد شَمِطَ وجمُها هَرماً ، فقيل له أتركَبُ هذه وأنت على أكرَم ناخِرةٍ بمصر ؟ فقال : لا مَلَل عندي لدابتي ما حَمَلَت رِجْلتي ولا لامرأتي ما أحْسَنَتْ عِشرتي ، ولا لِصديقي ما حَفِظ سِرّي ، ان المَلَل من كَواذب الأخلاق . قوله على أكرم ناخرة يريد الخيل ، يقال للواحد ناخِرٌ وقيل ناخِرة ، يراد جماعةٌ كما تقول رجل بغّالٌ وحَمّارٌ والجماعة البَغّالةُ والحَمّارةُ ، وكذلك تقول أنتني عُصْبةٌ نبيلةٌ وقبيلةٌ شريفةٌ ، والواحد نبيلٌ وشريف . وشاوَرَ مُعاوية عَمْراً في أمر عبدالله بن هاشم بن عُتبةَ بن مالك بن أبي وقّاصٍ ، وكان هاشم بن عُتْبةَ أحَدَ فُرْسان عليّ رضي الله عنه (وهو المِرْقالُ) فأُتيَ بابنه مُعاويةُ فشاور عَمْراً فيه فقال : أرى أن تقتله . فقال له معاوية : اني لم أرَ في العَفو الا خيراً فعفى عمرو مُغضَباً وكتب اليه :

أمَرْتُكَ أمْراً حازِماً فعَصَيْتَني وكان من التوْفيقِ قَتْلُ ابن هاشم

Marfat.com

أليْسَ أبـــوه يا مُعاويةُ الذي أعانَ عَلينا يَوْمَ حزّ الغلاصِمِ
فقَتّلنا حتى جَرى من دِمائنـــا بصفّينَ أمثالُ البُحور الخضارِمِ
وهذا ابنه والمرءُ يشْبهُ عِيصَهُ ويوشِكُ أن تُلقى به جِدّ نادِمِ

فبعث معاوية بابياته الى عبدالله بن هاشم فكتب اليه عبدالله بن هاشِمٍ :

مُعاويَ انّ المرءَ عَمْراً أبَتْ له ضَغينةُ خُبٍّ غِشُّها غيرُ نائِمِ
يَرى لكَ قَتْلي يا ابن هِندٍ وانما تَرى ما يَرى عَمروٌ ملوكُ الأعاجم
على أنّهُم لا يَقتلونَ أسيرهُمْ اذا كان مِنهُ بَيعةٌ للمُسالِمِ
فانْ تَعفُ عني تَعفُ عن ذي قرابةٍ وإن ترَ قَتلي تَسْتَحِلْ محارِمي

فَصفَحَ عنه . وقال عمرو لعائشة رحمها الله : لوددْتُ أنكِ كنتِ قُتِلتِ يوم الجَمَلِ . فقالت. ولِمَ لا أما لَكَ؟ فقال كُنتِ تموتينَ بأجَلِكِ وتدخُلين الجنةَ ونجْمَلُكِ أكبر التشنيع على عليٍّ . وحدثني العباس بن الفَرجِ الرياشيُّ في اسنادٍ ذكَرَه آخرُه ابن عباس قال: دخلتُ على عمرو بن العاص وقد احتُضِرَ فدخل عليه عبدالله بن عَمْروٍ فقال له : يا عبدالله خُذْ ذلك الصُندوقَ ، فقال لا حاجة لي فيه . قال : انه مملوء مالاً قال : لا حاجة لي به . فقال عمرو : ليته مملوء بَعراً . قال : فقلت يا أبا عبدالله انك كنتَ تقول أشتهي ان أرى عاقِلاً يموت حتى أسألهُ كيف يَجدُ ، فكيف تجِدُكَ ؟ قال : أجد السماء كأنها مُطْبَقَةٌ على الأرض وأنا بينهما وأراني كأنما أتنفسُ من خَرتِ إبرةٍ ، ثم قال: اللهم خُذْ مني حتى ترضى ثم رفع يديه فقال، اللهم أمَرْتَ فعَصَيْنا ونَهَيْتَ فركِبنا فلا بريٌّ فأعتذِرُ ولا قويٌّ فأنتصر، ولكن لا اله الا الله ثلاثاً ثم فاظ. وقد روينا هذا الخبر من غير ناحية الرياشيِّ بأتم من هذا ، ولكن اقتصرنا على هذا لِشِقَةِ اسناده. قوله: من خَرْتِ ابرة يعني من ثَقْبِ إبرةٍ ، يقال للدليل خِرّيتٌ وزعم الأصمعي أنه أريد به أنه يَهْتدي لمثل خَرْتِ الابرة. وقوله : فاظ أي مات، يقال فاظ وفاد وفَطِسَ وفاز وفَوّزَ كل ذلك في معنى الموت، ولا يقال فاض بالضاد الا للاناء . قال رؤبة : لا يَدْفنون منهمُ مَن فاظا .

Marfat.com

وقال ابن جُرَيْجٍ : أما رأيْتَ الميتَ حين فَوْظِهِ . ومَن قال ذلك للنفس. قال : فاضَتْ نفسُهُ شَبَّهها بالاناء. وحدثني أبو عثمان المازِنيُّ أحسِبُهُ عن أبي زيد قال : كلُّ العرب يقولون فاضَتْ نفسه الا بَني ضبَّةَ فانهم يقولون: فاظَتْ نفسه وانما الكلام الصحيح فاظ بالظاء اذا مات . وفي الحديث ان امرأة سَلاّمِ بن أبي الحُقَيقِ قالت : فاظ إله يَهـــودَ . وحدثني مسعود بن بِشرٍ قال : قال زيادٌ الإمرة تُذْهِبُ الحفيظةَ وقد كانت من قوم الىّ هَنات جعلتُها تحت قدمي ودَبرَ أُذُني فلو بلغني أن أحدكم قد أخذه السِلُّ من بُغْضِي ما هَتَكْتُ له سِتراً ولا كَشَفتُ له قِناعاً حتى يُبدِيَ لي عن صَفْحتِهِ ، فاذا فعل لم أناظِرْهُ. وسمع زيادٌ رجلاً يَسُبُّ الزمانَ فقال : لو كان يدري ما الزمانُ لَضَرَبْتُ عُنُقَهُ ان الزمان هو السلطان وفي عَهدِ أزْدَشيرَ . وقد قال الأولون مِنّا عَدْلُ السلطانِ أنفعُ للرعيّةِ من خِصْبِ الزمان وقال المُهلَّبُ بن ابي صُفرةَ لِبنيه: اذا وَلِيتُمْ فلِينوا للمُحسِن واشتدوا على المريب فان الناس للسُلطان أهْيَبُ منهم للقرآن . وقال عثمان بن عَفّانَ رضى الله عنه : ان الله ليَزَعُ بالسلطان ما لا يَزَعُ بالقرآن . وقوله يَزَعُ أي يَكُفُّ . يقال وَزَعَ يَزَعُ اذا كف، وكان أصله يَزِعُ مثل يَعِد فذهبت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة واتَّبَعَتْ حروفُ المضارعة الياءَ لئلا يختلف الباب ـ وهي الهمزة والنون والتاء والياء ـ نحو أعِدُ ونَعِدُ وتَعِدُ ويَعِدُ ولكن انفتحت في يَزَعُ من أجل العين لأن حروف الحلق اذا كنَّ في موضع عين الفعل أو لامِهِ فُتِحْن في الفعل الذي ماضيه فَعَلَ . وان وقعت الواو مما هي فيه فاءٌ في يَفْعَلُ المفتوحة العين في الاصل صَحّ الفِعلُ نحو وَحِلَ يَوْحَلُ ووجِلَ يَوْجَلُ ويجوز في هذه المفتوحة ياَحَلُ وياَجَلُ ويَيْحَلُ ويَيْجَلُ وكل هذا كراهية للواو بعد الياء تقول وزَعْتُهُ كففته وأوزعته حملته على ركوب الشيء وهيأته له وهو من الله عز وجل توفيق . ويقال أوْزَعكَ الله شكره ، أي وفقك الله لذلك. وقال الحسن مرة: ما حاجة هؤلاء السلاطين الى الشُرَطِ ؟ فلما وَلِيَ القضاء كَثُرَ عليه الناس ، فقال : لا بُدَّ للناس من وَزَعة . وخطبَ الحجّاجُ بن

Marfat.com

يوسف ذات يوم جمعة فلما توسّط كلامَهُ سمع تكبيراً عالياً من ناحية السوق ، فقطع خطبته التي كان فيها ، ثم قال : يا أهل العِراق ويا أهل الشِقاق ويا اهل النفاق وسيّئي الأخلاقِ يا بني اللكيعة وعَبيدَ العصا وأولاد الأماءِ ،إني لأسمعُ تكبيراً ما يُرادُ اللهُ به انما يراد به الشيطانُ وان مَثَلي ومثَلكُمْ قولُ ابن بَرّاقة الهَمْداني :

وكُنتُ اذا قومٌ رَمَوْني رَمَيْتُهُم فهل أنا في ذا يالَ هَمْدانَ ظالمُ
متى تَجْمع القلبَ الذَكيَّ وصارماً وأنفاً حَمِيّاً تجْتَنِبكَ المَظالم

ثم نزل فصَلى بهم. قوله: يا أهل الشقاق فالمشاقّةُ المعاداة، وأصله أن يَركبَ ما يَشُقُ عليه ويُرْكبَ منه مثلُ ذلك. والنفاق أن يُسِرَّ خلافَ ما يُبْدي، هذا أصله، وانما أُخِذ من النافِقاءِ وهو أحد أبواب جِحَرةِ اليرْبوع، وذلك انه أخفاها فانما يَظهَرُ من غيره. ولجُحْرِه أربعةُ أبواب النافِقاءُ والراهِطاءُ والدامّاءُ والسابياءُ وكلُّها ممدودة. ويقال للسابياء القاصِعاءُ وانما قيل له السابياء لأنه لا يُنفِذُهُ فيُبْقي بينه وبينِ انفاذه هَنةً من الأرض رقيقةً وأُخِذ من سابياءِ الولد وهي الجلدة الرقيقة التي يخرج فيها الولدمن بطن أمه. قال الأخطلُ يَضربُ ذلك مَثَلاً لِيَرْبوعِ بن حَنْظلةَ لأنه سُمّي باليربوع :

تَسدُّ القاصِعاءُ عليك حتى تَنَفَّقَ أو تموتَ بها هُزالا

والعرب تزعم انه ليس من ضَبٍّ الا وفي جُحرِهِ عقربُ فهو لا يأكل ولد العقرب وهي لا تضربه فهي مُسالِمةٌ له وهو مُسالِمٌ لها وأنشد :

وأخْدَعُ من ضبٍّ اذا خاف حارِشاً أعدَّ له عِندَ الذُنابة عَقْربا

(كلُّها بالمد ويقال بالقصر ويقال ايضاً فيها على وزن فُعَلةٍ فُقَقةٌ ورُهطةٌ ودُمَنةٌ وقُصَعة . وحكى ابن القُرطبيّةِ في المقصور والممدود له الرُهَطاءَ كالراهِطاءِ والنُفَقاءِ كالنافِقاءِ والقُصَعاءَ كالقاصِعاء . وحكى أيضاً زيادةً ، فقال العانِقاءُ جُحْرُ الأرنب واليربوعِ والغابياء أيضاً من جِحَرةِ اليربوع .

Marfat.com

وأما قول أبي العباس في السابياءِ فهو مما قد رُدّ عليه فيه وقد تبعه ابن وَلاّد وكلاهما غير مصيب ، وانما السابياء وعاء فيه ماءٌ صافٍ يَخرجُ مع الولد وهو الفَقْءُ وليس يخرج الولد فيه . وقال الكُمَيْتُ :

وفَضَّا فيها الغَيْثُ من سابياتِهِ دَوالِحَ وافَقْنَ النُجوم البَواجِسا

فَشَبَّهَ ماء الغيث بماء السابياء ، وانما الجِلدةُ التي يكون فيها الولد الفِرسُ وقد تبع ابنُ القُوطية ابا العباس في السابياء في أنه من أسماء جِحرةِ اليربوع وذلك غلط). وقوله بنو اللكيعة يريد اللئيمة وقد مَرّ تفسير هذا في موضعه. قال ابن قيسِ الرُقيّاتِ يذكر قتل مُصعَبِ بن الزُبيرِ

ان الرزيّه يَوْمَ مَسْكَنَ والمُصيبةَ والفَجيعه
بابن الحَواريّ الذي لم يَعْدُهُ أهلُ الوقيعه
غَدَرَتْ بهِ مِضَرُ العِرا قِ وأمكَنَتْ منهُ ربيعه
فأصبْتِ وِتْرَكِ يا ربيـ ـعَ وكنتِ سامعةً مُطيعه
يا لَهْفِ لو كانتْ له بالطفِّ يوم الطفِّ شيعَه
أو لم يَخونوا عَهْدَهُ أهلُ العراقَ بنو اللكيعه
لوَجدُتموه حين يَغْـ ـضَبُ لا يُعرّجُ بالمضيعه

وقوله عبيد العصا يريد انهم لا ينقادون الا بالاذلال كما قال ابن مُفرّغ الحِميَريُ :

العَبدُ يُقرَعُ بالعَصا والحُرُ تكفيه الملامَه

وقال جرير يهجو التَيْم :

ألا إنّما تَيْمٌ لعَمْرٍو ومالكٍ عَبيدُ العصا لم يَرْجُ عتقاً قطينُها

وخَطَبَ الناسَ عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بالمربَدِ عند ظهور أمر الحجّاجِ عليه فقال : أيها الناس انه لم يبق من عَدوّكمْ الا كما يبقى من ذَنَبِ الوزَغةِ تضربُ به يميناً وشمالاً فلا تَلبَثُ أن تموت ، فسمعه رجـــل من بني

Marfat.com

قُشَيْر بن كعبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعة، فقال: قبّحَ الله هذا، يأمر أصحابه بقلة الاحتراس من عدوهم ويَعدُهمُ الغُرور. ورَوَت الرُواة ان الحجاج لما أخَذَ رأسَ ابن الأشعث وجّه به الى عبد الملِكِ بن مَرْوان مع عِرارِ بن عمرو بن شأسِ الأسديّ وكان أسود دَميماً فلما وَرَدَ به عليه جعَل عبدُ الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة الا انبَأهُ به عِرارٌ في أصح لفظ وأشبَعِ قولٍ وأجزَأ اختصارٍ فشفاه من الخبر ومَلأ أذنَهُ صواباً وعبد الملك لا يعرفه وقد افتَحَمَتْ عينه حيث رآه، فقال عبد الملك متمثلاً :

أرادَتْ عراراً بالهَـــوانِ ومن يُردْ لَعَمْري عِراراً بالهَوان فقد ظَلَم
وان عِراراً ان يَكُنْ غير واضحٍ فانيأحِب الجَوْنذا المَنكِبِ العَمَم

فقال له عِرارٌ أتَعْرِفُني يا أمير المؤمنين ؟ قال لا . قال : فانا والله عِرارٌ فزاده في سُروره وأضْعَفَ له الجائزة. وكتبصاحب اليمن الى عبد الملِكِ بن مَرْوانَ فيوقت محاربته ابن الأشْعَثِ اني قد وجّهتُ الى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم ولم يُرَ مِثلُها قطُّ . فلما دُخِلَ بها عليه رأى وجهاً جميلاً وخَلقاً نبيلاً فألقى اليها قضيباً كان في يده فَنَكَسَتْ لتأخذه فرأى منهـا جِسْماً بَهَرهُ فلما هَمّ بها أعْلمهُ الآذِن أن رسول الحجّاج بالباب فأذِنَ له ونحّى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها :

سائِلْ مجاورَ جَرْمٍ هل جَنَيتُ لها حَرْباً تَزِيلُ بين الجيرةِ الخُلُطِ
وهـل سَمَوْتُ بجـرّارٍ له لَجَبٌ جَمّ الصَواهلِ بين الجَمّ والفُرُطِ
وهل تَركْتُ نساء الحيّ ضاحيةً في ساحةِ الدارِ يَستَوْقدنَ بالغُبُط

وتحتها (بيت آخر على غير الرويّ من الابيات الاوَل وهو)

قتَل المُلوك وصار تحْتَ لوائِهِ شَحَرُ العُرى وعَراعِر الاقوامِ

قال فكتب اليه عبد الملك كتاباً وجعل في طَيّه جواباً لابن الاشعثِ :

Marfat.com

ما بالُ مَن أسْعى لأجْبُرَ عَظمَهُ ... حِفاظاً ويَنوي من سَفاهَته كَسري
أظُنُّ خُطوبَ الدَهرِ بَيني وبَينَهُم ... سَتَحْمِلُهُمْ مني على مَرْكبٍ وعْرِ
وانّي وإيّاهُمْ كمَنْ بَيْنَهُ القَطا ... ولوْ لم تُنَبِّهْ باتت الطيرُ لا تَسْري
أناةً وحِلماً وانْتِظاراً بهم غداً ... فما أنا بالواني ولا الضَرَعِ الغُمْرِ

ويُنْشَدُ بالفاني. ثم بات يُقَلِّبُ كَفَّ الجارية ويقول: ما أعَدْتُ فائدةً أحَبَّ اليَّ منكِ فتقول: فما بالُكَ يا أمير المؤمنين وما يمنعك ؟ فقال : يمنعني ما قاله الأخْطَلُ لاني ان خرجتُ منه كنتُ ألأمَ العرَبِ :

قومٌ اذا حاربوا شَدُّوا مآزِرَهُمْ ... دونَ النِساء ولو باتَتْ بأطْهارَ

فما الكِ سبيلٌ أو يَحْكُمَ الله بيني وبينعدوّ الرحمن بن الأشْعَثِ فلم يَقرَبها حتى قُتِلَ عبدُ الرحمن قوله فرأى منها جسماً بَهَرَهُ . يقال بَهَرَ الليلُ اذا سَدَّ الأُفُقَ بظلمته وبَهَرَ القمرُ اذا ملأ الأرض بَبهائِهِ : ومن ثَمَّ قيل للقمر الباهِرُ . أنشدني المازنيُّ لرجل من بني الحارث بن كَعْبٍ :

والقَمَرِ الباهِرِ السَماءَ لقَدْ ... زُرنا هِلالاً يَحْفِلُ بالجَبِ
تَسْمَعُ زَجْرَ الكُماةِ بينهمُ ... قَدْمْ وأخِّرْ وأرجِعي وهَبي
من كلِّ هُدّادةٍ كعالِيةِ الرُمْحِ أمونٍ وشَيْظَمٍ سَلِبِ

وقال طُفَيْلٌ الغَنَوي يصِفُ كيف تُزْجَرُ الخيلُ فتجمعه في بيت واحد :

وقيلَ اقْدِمي واقْدِمْ وأخٌّ وأخِّري ... وَهاوَهلا واضْبِرْ وقادِعُها هبي

(قال أبو الحسن وأجّ) ومن زَجْرِ الخيل أيضاً هِقَبْ وهِقَطْ وأنشدني أبو عثمان المازني :

لمّا سَمِعْتُ زَجْرَهم هِقَطْ ... عَلِمْتُ أن فارساً مُنْحَطْ

(قال الفرّاء : هِقَطِ بالكسر والفتح ويروى مُخْتَطْ بدل مُنْحَطْ) . وقوله بين الجِمْ والفُرُطِ هما موضعان باعيانهما . وقوله في ساحة الدار يستَوْقِدْن بالفُبُطِ . يقال فيه قولان متقاربان أحدهما انهنّ قد يَئِسْنَ من

Marfat.com

الرحيل فَجَعَلْنَ مَراكِبَهُنَّ حَطَباً . هذا قول الأصمعي . وقال غيره : بل قد مَنَعَهُنَّ الخوفُ من الاحتطابِ والغَبيطُ من مَراكب النساء ، وكذلك الحِدْجُ . قال امْرُؤُ القيسِ :

تقولُ وقد مالَ الغَبيطُ بنا معاً عَقَرْتَ بَعيري يا امْرَأَ القَيسِ فانزِلِ

واعْلَمْكَ أن الغَبيطَ لها . والمَحامِلُ انما أوّلُ مَن اتخذها الحَجّاجُ . ففي ذلك يقول الراجز :

أوّلُ عَبْدٍ عَمِلَ المَحامِلا أخزاه ربي عاجِلاً وآجلا

وقوله : شجر العُرا ، فالعُرا نبتٌ بعينه ان ضمَّ العينُ . والعَراءُ ممدودٌ وجهُ الارض . قال الله عز وجل: لَنُنْبِذَنَّ بالعَراء وهو مذموم . وقال الهُذَليُّ :

رَفَعْتُ رِجْلاً ما أخاف عِثارَها ونَبَذْتُ بالبلد العَراء ثِيابي

وهذا التفسير والإنشاد عن أبي عبيدة . وقوله : دون النساء ولو باتت باطهار ، معناه انه يجتنبها في طُهْرها وهو الوقت الذي يستقيم له غِشْيانُها فيه . وأهلُ الحجاز يَرَوْن الأقراء الطُّهْرَ وأهلُ العراق يَرَوْنها الحيضَ وأهلُ المدينة يجعلون عِدد النساء الاطهارَ ويحتَجُّونَ بقول الأعشى :

وفي كلّ عامٍ أنتَ جانِمُ غَزْوَةٍ تشُدُّ لأقصاها عَزيمَ عَزائِكا
مُوَرِّثَةً مالاً وفي الحيِّ رِفْعَةً لِما ضاعَ فيها مِن قُروءِ نِسائكا

وقوله: ولو باتت باطهار ،فلو، أصلها في الكلام أن تدُلَّ على وقوع الشيء لوقوع غيره تقول : لو جئتني لأعْطَيْتُكَ ، ولو كان زيدٌ هناك لضربتُهُ ثم تتّسعُ فتصير في معنى إن الواقعةِ للجزاء ، تقول أنتَ لا تُكرِمُني ولو أكْرَمْتُكَ ، تريد وإن أكرمتُك . قال الله عز وجل : وما أنت بمؤمنٍ لنا ولو كُنّا صادقين . فأما قوله عز وجل : فلَنْ يُقبَلَ من أحدِهِمْ مِلْءُ الأرض ذهَباً ولو افتَدى به . فان تأويله عند أهل اللغة لا يُقْبَلُ به أن يتَبرّأ وهو مقيم على الكفر ولا يُقْبَلُ ان افتَدى به فلو في معنى إن . وانما منَعَ لو أن تكون من حروف المجازاة فتجزِمَ كما تجزم إن ،أنّ حروفَ المجازاة انما

Marfat.com

تقع لما لا يَقَعَ ، ويصير الماضي معها في معنى المستقبل . تقول ان جئتَني أعطَيتُكَ ، وان قعَدْتَ عني زُرتُك . فهذا لم يقع وان كان لفظه لفظ الماضي لِما أحدَثتَهْ فيه ، إن. وكذا: مَتى أتيتني أتيتك . ولوْ تقع في معنى الماضي ، تقول لو جئتَني أمْسِ لصادَفتَني ، ولو رَكِبتَ اليّ أمْسَ لألفَيتَني فلذلك خَرَجتْ من حروف الجزاء. فاذا أدخلتَ معها لا صار معناها أنّ الفعل يمتنع لوجود غيره ، فهذا خلافُ ذلك المعنى ولا تقع الا على الاسماء ويقع الخبر محذوفاً لانه لا يقع فيها الاسم الا وخبره مدلول عليه فاستُغْنيَ عن ذكره . لذلك تقول لولا عبدُالله لضربتُكَ ، والمعنى في هذا المكان من قَرابتك أو صداقتك أو نحو ذلك ، فهذا معناها في هذا الموضع ، ولها موضع آخر تكون فيه على غير هذا المعنى، وهي لولا التي تقع في معنى هَلاّ التي للتَحْضيض ومن ذلك قوله: لَوْلا اذْ سَمِعْتُموه ظَنّ المؤمِناتُ بأنْفُسِهِمْ خَيراً، أي هَلاّ. وقال تعالى : لَوْلا يَنهاهُمُ الرَبّانِيّونَ والأحْبارُ عن قَولِهِمُ الإثمْ ، فهذه لا يليها الا الفعل لانها للامر والتحضيضِ مُظْهَراً أو مُضمَراً، كما قال : (نُسِبَ لجريرٍ وقيل للأشهَبِ بن رُمَيْلَةَ) :

تَعُدُّونَ عَقْرَ النيبِ أفضَلَ مَجْدِكُم بني ضَوْطَرى لوْلا الكَمِيّ المُقَنَّعا

أي هَلاّ تَعُدُّونَ الكميّ المقنَّعا . ولوْلا الاولى لا يليها الا الاسم على ما ذكرتُ لك ، ولا بُدّ في جوابها من اللام أو معنى اللام ، تقول : لولا زَيْدٌ فعلت، والمعنى لَفَعَلْتُ . وزعم سيبويه أن زيداً من حديث لولا واللامَ والفعلَ حديثٌ مُتَلَقّىً بحديث لولا وتأويله أنه للشرط الذي وجب من أجلها وامتنع لحال الاسم بعدها ولوْ بغير لا، لا يليها الا الفعل مضمراً أو مظهراً لانها تشارِكُ حروف الجزاء في ابتداء الفعلِ وجَوابهِ تقول: لو جِئتَني لأعطَيتُك فهذا ظهور الفعل واضماره . قوله عز وجل : قُلْ لوْ أنتم تَمْلِكونَ خَزائنَ رحمة ربي ، والمعنى والله أعلم لو تملكون أنتم ، فهذا الذي رَفعَ أنتم ، ولما أُضمِرَ ظهر بعده ما يُفَسّرُهُ . ومثلُ ذلك لوْ ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني ، أراد لو لَطَمَتني ذاتُ سِوارٍ ومثله(قول المُتلمّس) :

Marfat.com

ولو غيرُ أخْوالي أرادوا نَقيصَتي جَعَلتُ لَهُمْ فَوْقَ العَرانِينِ مَيْسَما

وكذلك قول جرير :

لو غَيرَكُمْ عَلِقَ الزُبيرُ بحَبْلِهِ أدّى الجِوارَ الى بني العَوّام

فَنَصبَ بفعل مضمر يُفسّرُ ما بعده لانه للفعل، وهو في التمثيل لو عَلِقَ الزبيرُ غيرَكُمْ . وكذلك كلُّ شيء للفعل نحو الاستفهام والامر والنهي وحروف الفعل نحو إذْ وسَوْفَ (كذا وقع هنا اذ وسوف ، ولم يذكر سيبويه مع سوف الا قد وهو الصحيح) . وهذا مشروح في الكتاب المُقتَضَبِ على حقيقة الشرح . وأما قوله وعَراعِرُ الأقوام فمعناه رُؤسُ الاقوام الواحد عُرْعُرَةٌ ، وعُرْعُرَةُ كلّ شيءٍ أعلاه ، ومن ذلك كتابُ يزيد بن المُهلَّبِ الى الحجّاج بن يوسف: وان العَدُوَّ نزل بعُرعُرةِ الجبل ونَزَلنا بالحضيض فقال الحجاج : ليس هذا من كلامِ يزيد، فمَنْ هناك ؟ قيل يَحْيى بن يَعْمَرَ ، فكتب الى يزيدَ أن يُشخِصَهُ اليه . وزعم التَوَّزيُّ قال: قال الحجاج ليَحْيى بن يَعمَرَ يوماً : أتَسْمعُني أَلحَنُ ؟ قال : الامير أفصَحُ من ذلك . قال : فأعاد عليه القول وأقْسَمَ عليه . فقال يحيى نعم ، تجعل أنّ مكان إنّ . فقال له : ارْحَلْ عني ولا تُجاوِرني . قال أبو العباس : هذا على أن يزيد لم تؤخَذ عليه زَلّةٌ في لفظ الا واحدةٌ ، فانه قال على المِنبَرِ ، وذكرَ عبدَ الحميد بن عبد الرحمن بن زَيْدِ بن الخطّاب فقال : هذه الضَبُعَةُ العَرْجاءُ فاعْتُدَّتْ عليه لَحناً لان الانثى انما الضَبُعُ ، ويقال للذكر الضِبْعانُ ، فاذا جُمِعَ قيل ضَبُعانٍ ، وانما جمع على التأنيث دون التذكير والباب على خلاف ذلك لان التأنيث لا زيادة فيه وفي التذكير زيادة الالف والنون فتَثْنّي على الاصل ، وأصل التأنيث أن يكون زائداً على بناء التذكير لانه منه يخْرُجُ مثل قائم وقائمة وكريم وكريمة. فمن حيث قُلتَ للذكر والانثى في التثنية كريمانِ على حذف الزيادة . قلت : ضَبُعانِ ، وتقول له ابنانِ اذا أردتَ له ابنٌ وابْنةٌ ولا تقول في الدار رجلانِ اذا أردتَ رجلا وامرأةً ، الا على قول من قال للأنثى رَجُلةٌ فقد جاء ذلك . وقال الشاعر :

Marfat.com

كلُّ جارٍ ظَلَّ مُغتَبِطاً غيرَ جيراني بني جَبَلَهْ
خَرَّقوا جَيْبَ فَتاتِهِمُ لم يُبالوا حُرْمةَ الرَّجُلَهْ

ولا يقال للناقة والجَمَل جَمَلانِ ، ولا يقال للبقرة والثَّوْرِ ثَوْرانِ لاختلاف الاسمين ، انما يكون ذلك فيما ذكرنا الا في قول من قال للانثى ثورةٌ . قال الشاعر .

جَزى اللهُ فيها الأعوَرَيْنِ مَلامةً وعَبدةَ شَفْرَ الثورةِ المُتَضاجِمِ

(قال أبو الحسن المتضاجم المُتَّسِعُ) :

٢٤ - باب

قال أبو العباس قال الراعي

ومُرْسِلٍ ورسولٍ غيرِ مُتَّهَمٍ وحاجةٍ غيرِ مُزْجاةٍ من الحاجِ
طاوَعَتْهُ بَعدَ ماطالَ النَّجيُّ بنا وظنَّ أني عليه غيرُ مُنعاجِ
ما زال يَفتَحُ أبواباً ويُغلِقُها دوني وأفتَحُ باباً بَعدَ إرْتاجِ
حَتى أضاءَ سِراجٌ دونَهُ بَقَرٌ حُمْرُ الأنامِلِ عينٌ طَرْفُها ساجي
يا نُعْمَها ليلةً حتى تَخَوَّنَها داعٍ دعا في فُروعِ الصُّبحِ إدْلاجِ
لمّا دعا الدعوةَ الأولى فأسمَعَني أخذتُ بُرْدِيَّ واسْتَمَرَّتْ أدراجي

قوله : وحاجة غير مزجاة من الحاج ، المُزْجاةُ اليسيرةُ الخفيفة المَحْمِل . قال الله عز وجل : وجئنا ببضاعةٍ مُزْجاةٍ . والحاجُ جمعُ حاجةٍ وتقديره فَعَلَةٌ وفَعَلٌ كما تقول هامةٌ وهامٌ وساعةٌ وساحٌ . قال القُطاميُّ :

وكُنّا كالحريقِ أصابَ غاباً فيَخْبو ساعةً ويَشُبُّ ساعا

فاذا رددتَ أدْنى العَدَدِ قلت ساعاتٌ . فأما قولهم في جمع حاجةٍ حوائجُ فليس من كلام العرب على كثرته على ألسنة المولَّدينَ ، ولا قياسَ له . ويقال في قلبي منك حَوْجاءُ ، أي حاجةٌ ، ولو جُمِعَ على هذا لكان الجمع حَواجٍ يا فتى

Marfat.com

وأصله حَواجي يا فتى . ولكن مثلُ هذا يُخَفَّفُ كما تقول في صحراء صَحارِ يا فتى وأصله صَحاريٌ . وقوله طاوعته بعدما طال النجيُّ بنا . يريد المناجاة فأخرجه على فَعيلٍ ، ونظيرُهُ من المصادر الصَّهيلُ والنَّهيقُ والشَّحيجُ . ويقال شَبَّ الفرسُ شبيباً ، ولذلك كان النجيُّ يقع على الواحد والجماعة سَعْتاً ، كما تقول امرأة عَدْلٌ ورجل عَدلٌ وقوم عَدْلٌ لأنه مصدر . قال الله عز وجل : وقرَّبْناه نجيّاً ، أي مُناجياً ، وقال للجماعة : فَلَمَّا استَيأسوا منه خَلَصوا نجيّاً ، أي مُتناجين وقوله مُنعاج ، أي منعطف ، تقول : عُجْتُ عليه ، أي عَرَّجْتُ عليه ، وعِجْتُ اليه أعيج أي عَوّلتُ عليه . وقوله بعد إرتاج أي بعد إغلاقٍ ، يقال أرْتَجْتُ الباب إرْتاجاً ، أي أغلَقْتُهُ إغلاقاً ويقال لِغَلَق الباب الرِتاجُ . ويقال للرجل اذا امتنع عليه الكلام أُرْتِج عليه . وقوله أضاء سِراجٌ دونه بَقَرٌ ، يعني نساءً ، والعربُ تكنّي عن المرأة بالبقرة والنَّعجة . قال الله عز وجل : إنّ هذا أخي له تِسْعٌ وتِسْعون نعْجة . وقال الأعشى :

فَرَمَيْتُ غفلةَ عَينِهِ عن شاتِهِ فأَصَبْتُ حَبّةَ قلبها وطِحالَها

وقوله عِينٌ ، انما هو جمع عَيناءَ وهي الواسعة العينِ ، وتقديره فُعْلٌ ، ولكن كُسِرت العينُ لتَصِحَّ الياء ، ونحو ذلك بَيْضاءُ وبِيضٌ ، وتقديره حَمراءُ وحُمْرٌ ، ولو كان من ذوات الواو لكان مضموماً على أصل الباب لأنه لا إخلال فيه . تقول سَوْداءُ وسودٌ وعَوْراءُ وعُورٌ . وقوله طرفها ساج ، ولم يقل أطرافها لان تقديرها تقدير المصدر ، من طَرفْتُ طرْفاً . قال الله عز وجل ختَمَ اللهُ على قلوبهم وعلى سَمعهم ، لان السَّمع في الاصل مصدر . وقال جرير :

إنّ العُيونَ التي في طَرْفها مَرَضٌ * قَتَلْننا ثم لم يُحْيينَ قَتْلانا

وقوله ساج أي ساكن . قال الله عز وجل : والضُحى والليل اذا سَجى .

وقال جرير :

ولقد رَمَينكَ يومَ رُحْنَ باعيُنٍ يَقْتُلنَ من خَلَل السُتور سَواجي

وقال الراجز :

يا حَبّذا القَمراءُ والليلُ الساج وطرُقٌ مثلُ مُلاء النَسّاجْ

* في طرفها مرض : وفي رواية ، في طرفها حور (بفتح ففتح) والثاني أجود .

Marfat.com

وقوله حتى تخوّنها ، أي تنقصها . يقال تخوّني السفرُ أي تنقصني ، والداعي المؤذّنُ. وقوله شحّاح انما هو استعارة في شدة الصوت ،وأصله للبغل والعرب تستعير من بعضٍ لبعضٍ . قال العجّاجُ ينعتُ حماراً :

كما أن في فيهِ إذا ما شحَجا عوداً دُوَيْنَ اللهَواتِ موَلجا

وقال جرير :

ان الغُرابَ بما كرِهت لمولعٌ بنَوى الاحبّةِ دائمُ التشحاجِ *

وقولـــه واستمْررْتُ أدراجي ، اي فرجعتُ من حيث جئتُ ، تقول العرب : رجع فلان أدراجَهُ ، ورجَعَ في حافِرتِهِ ، ورجَعَ عَوْدهُ على بَدْئِهِ وان شئتَ رفعت فقلت ، رَجع عَوْدُهُ على بَدْئِهِ ، أما الرفع فعلى قولك رجع وعَوْدُهُ على بدئه ، أي وهذه حالهُ ، والنصب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً كقولك : رَدّ عَوْدَهُ على بدئه والوجه الآخر أن يكون حالاً في قول سيبويه ، لان معناه رجع ناقضاً مجيئَهُ ،ووُضِعَ هذا في موضعه كما تقول كلّمتُهُ فاهُ إلى فيّ أي مُشافهةً وبايعته يداً بيدٍ أي نقداً ، وقد يجوز ان تقول فوهُ الى فيّ اي وهذه حالهُ ، ومَن نَصَب فمعناه في هذه الحال . فأما بايعته يداً بيدٍ فلا يكون فيه الا النصب لانك لستَ تريد بايعته ويدٌ بيد كما كنت تريد في الاول وانما تريد النَقدَ ولا تبالي أقريباً كان ام بعيداً. وقال اعرابي:

شكوْتُ فقالت كلّ هذا تبرُّماً بحُبّي أراح اللهُ قلبَكَ من حُبي
فلما كتَمتُ الحُبّ قالتْ لشدّما صَبرْت وما هذا بفِعلِ شجي القلب
وأدنو فتُقصيني فأبعدُ طالِباً رضاها فتَعتَدُّ التباعُد من ذنبي
فشكواي تؤذيها وصبري يَسوءُها وتجزَعُ من بُعدي وتَنفِرُ من قُربي
فيا قومُ هَل من حيلةٍ تعرفونها أشيروا بها واستَوْجبوا الشكر من ربي

قوله : كلّ هذا تبرُّماً مردود على كلامه كأنها تقول له : أشكَوْتني كلّ هذا تبرُّماً؟ ولو رفَع كلاً لكان جيداً يكون كلُ هذا مبتدأ وتَبرُّمُ خبرُهُ . وشجي مخفف الياء ومن شدّدها فقد أخطأ والمثلُ : ويلٌ للشجي من الخليّ ، الياء في الشَجي مخففة وفي الخليّ مثقلة وقياسه انك اذا قلتَ فعِـل يفْعَلُ فهـلا

* التشحاج : والشحيج صوت الغراب والبغل ، والنعيق للبوم ، والنقيق للضفدع ، والفحيح للحية ، والحفيف لورق الشجر .

Marfat.com

فالاسم منه على فَعِل نحو فرِقَ يَفرَقُ فَرَقاً، فهو فرِقٌ، وحذِرَ يَحذَرُ حذَراً فهو حذِرٌ، وبَطِرَ يَبطَرُ بَطَراً فهو بَطِرٌ، فعلى هذا شجِيَ يَشجى شجىً فهو شجٍ يا فتى كما تقول هَوِيَ يَهوى هَوىً، فهو هَوٍ يا فتى. وقوله فيا قوم هل من حيلة تعرفونها موضعُ تعرفونها خفضٌ لأنه نعت للحيلة وليس بجواب، ولو كان ههنا شرط يوجبُ جوابا لانجَزمَ، تقول ائتني بداية أركبُها، أي بدابّة مَركوبةٍ، فاذا أردت معنى: فانك ان أتيتني بدابة ركِبتُها— قلت: أركبُها لانه جواب الامر كما أن الاول جواب الاستفهام. وفي القرآن: خُذْ من أموالِهِمْ صَدقةً تُطَهِّرُهُمْ وتُزكّيهِمْ بها، أي مُطهِّرةً لهم. وكذلك: أنزِلْ علينا مائدةً من السماء تكونُ لنا عيداً، أي كائنةً لنا عيداً، وفي الجواب: فذَرْهُمْ يخوضوا ويلعَبوا، أي إن تُركوا خاضوا ولَعِبوا. وأما قوله عز وجل: فذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ يلعبون، فانما هو فذَرُهُمْ في هذه الحال لانهم كانوا يلعبون. وكذلك: لا تَمْنُنْ تَستكثرُ انما هو ولا تَمْنُنْ مُستكثراً. فمعنى ذا هل من حيلة معروفة عندكم، وقال اعرابي أنشَدنيه أبو العالية:

ألا تَسألُ المكيَّ ذا العِلمِ ما لذي يَحِلُّ من التقبيل في رمضانِ
فقال لي المكّيُّ أمّا لزوجةٍ فسَبْعٌ وأمّا خُلّةٍ فثماني

قوله: خُلّةٍ، يريد ذات خلة ويكون سمّاها بالمصدر كما قالت الخنساء: فانما هي إقبالٌ وإدْبارُ. ويجوز أن تكون نعَتتها بالمصدر ولكثرته منها ويجوز أن تكون أرادتْ: ذاتُ إقبالٍ وإدبارٍ، فحذفت المضاف وأقامت المضاف اليه مقامه كما قال عز وجل: ولكنّ البِرّ مَن آمن بالله، فجائز أن يكون برُّ مَن آمَن بالله وجائز أن يكون لكنّ ذا البِرّ مَن آمن بالله، والمعنى يؤول الى شيء واحد وفي هذا الشعر عيب وهو الذي يسميه النحويون العَطْف على عاملَيْن وذلك أنه عطف خُلّةً على اللام الخافضة لزوجةٍ وعطف ثمانياً على سبع، ويلزم مَن قال هذا أن يقول مَرّ عبدُ الله بزيدٍ وعمروٌ خالدٍ ففيه هذا القُبحُ، وقد قرأ بعضُ القرّاء، وليس بجائزٍ عندنا (واختلاف الليل والنهارِ وما أنزل اللهُ من السماء من رزْقٍ فأحيا به الارْض بعد موتها وبثّ فيها من كلّ دابةٍ

Marfat.com

وتصريفِ الرياحِ آياتٍ) فجعلَ آياتٍ في موضع نصب وخفضها لتاء الجميع فحملها على إنّ وعطفها بالواو وعطفَ اختلافاً على في ، ولا أرى ذا في القرآن جائزاً لأنه ليس بموضع ضرورة وأنشد سيبويه لعديّ بن زيدٍ العباديّ (الصحيح أنه لأبي دُواد الإياديّ) :

أكلُّ امرئٍ تحسبين امرأً ونارٍ توقّدُ بالليلِ نارا

فعطفَ على امرئ وعلى المنصوب الأول (قال أبو الحسن : وفيه عيب آخر أنّ أمّا ليستْ من العطف في شيء ، وقد أجرى خُلّةٌ بعدها مُجراها بعد حروف العطف حَمْلاً على المعنى فكأنه قال : لزوجةٍ كذا ولخُلّةٍ كذا)وقوله: أمّا لزوجة فهذه مفتوحة وهي التي تحتاج إلى جزاء. ومعناها : إذا قلتَ أمّا زيدٌ فمنطلِقٌ مهما يكنْ من شيء فزيدٌ منطلِقٌ . وكذلك : فأمّا اليتيمَ فلا تقهرْ إنما هي مهما يكنْ من شيء فلا تقهرِ اليتيمَ . وتكسرُ إذا كانت في معنى أو ويلزمها التكرير. تقول: ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً،فمعناه ضربت زيداً أو عمراً . وكذلك : إمّا شاكراً وإمّا كفوراً . وكذلك : إما العذابَ وإمّا الساعة ، وإمّا أن تُعذّبَ وإمّا أنْ تتخذَ فيهم حسناً،وإنما كسرتَها لأنكَ إذا قلتَ ضربت زيداً أو عمراً أو قلت اضربْ زيداً أو عمراً فقد ابتدأتَ بذكر الأول وليس عند السامع انك تُريدُ غير الأول ثم جئتَ بالشك أو بالتخيير . وإذا قلتَ : ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً ، واضربْ إمّا زيداً وإمّا عمراً ، فقد وضعتَ كلامك بالابتداء على التخيير أو على الشك . وإذا قلت : ضربتُ إمّا زيداً وإمّا عمراً، فالأولى وقعتْ لبنيّةِ الكلام عليها ، والثانية للعطف لأنك تعدِلُ بين الأول والثاني فإنما تُكسَرُ في هذا الموضع . وزعم سيبويه أنها ان ضُمّتْ اليها ما فان اضطُرّ شاعر فحذف ما جاز له ذلك لأنه الأصل وأنشد في مِصداقِ ذلك (هو دُرَيْدُ بن الصِمّةِ الجشَميّ) :

لقدْ كذَبَتْكَ نفسُكَ فاكذِبَنْها فإنْ جزَعاً وإنْ إجمالَ صبْرِ

ويجوز في غير هذا الموضع أن تقعَ إمّا مكسورةً ،ولكن ما لا تكون لازمة ولكن تكون زائدة في ان التي هي للجزاء ، كما تزاد في سائر الكلام نحو : أينَ

Marfat.com

تكُنْ أكُنْ ، وأينما تكُنْ أكنْ وكذلك: مَتى تأتِني آتِكَ، ومتى ما تأتِني آتِكَ . فتقول : إنْ تأتِني آتِكَ وإمّا تأتِني آتِكَ ، تُدْغِمُ النون في الميم لاجتماعهما في الغُنّةِ . وسنذكر الإدغام في موضع نُفْرِدُهُ به إن شاء الله ، كما قال امرُؤُ القيْس :

فإمّا تَرَيْني لا أُغَمِّضُ ساعةً من اللّيْلِ إلا أنْ أُكِبَّ فأنعُسا
فيارُبَّ مَكروبٍ كرَرْتُ وراءه وطاعَنتُ عنه الخَيْلَ حتى تنفّسا

وفي القرآن : فاما تَرَيِنّ من البشَرِ أحداً . وقال : وإمّا تُعْرِضَنّ عنهم ابْتِغاءَ رَحمةٍ من ربك تَرْجوها . فأنت في زيادة ما بالخيار في جميع حروف الجزاء إلا في حرفين ، فإنّ ما لا بُدّ منها لعِلّةٍ نذكرها اذا أفردنا باباً للجزاء ان شاء الله ، والحرفان حَيْثُما تكنْ أكُن ، كما قال الشاعر :

حَيْثُما تَسْتَقِمْ يُقَدِّرْ لك اللهُ نجاحاً في غابِرِ الأزْمانِ

والحرف الثاني : إذْ ما ، كما قال العبّاسُ بن مِرْداسٍ :

إذْ ما أتيْتَ على الرّسولِ فقُلْ لهُ حَقّاً عليكَ إذا اطمأنّ المَجْلِسُ

لا يكون الجزاء في حيث وإذ إلا بما أنشدني أبو العالية :

سَلِ الفَتْيَ الكِنْدِيَ هَلْ في تَزاوُرٍ ونَظرةِ مُشتاقِ الفُؤادِ جُناحُ
فقال مَعاذَ اللهِ أن يُذْهِبَ التُّقى تَلاصُقُ أكبادٍ بهِنّ جِراحُ

(وأنشدَ لبعض العرب المُحْدَثينَ :

تَلاصَقْنا وليس بنا فُسوقُ ولم يَرِدِ الحَرامَ بنا اللُّصوقُ
ولكنّ التباعُدَ طال حتى تَوَقّدَ في الضُّلوعِ له حَريقُ
فلما أنْ أتيحَ لنا التّلاقي تعانَقْنا كما اعْتَنَقَ الصّديقُ
وهَلْ حَرَجاً تراهُ أو حَراماً مَشوقٌ ضَمُّهُ كَلِفٌ مَشوقُ)

وأنشَدني غيره :

وما هَجرَتْكِ النفسُ يا مَيُّ أنها قَلَتْكِ ولا انْ قَلَّ مِنكِ نَصيبُها

Marfat.com

وَلكِنَّهُمْ يأمْلَحَ الناسِ أولِعوا بقَوْلِ إذا ما جِئْتُ هذا حبيبُها

أنها في موضع نصب ، وكان التقدير لأنها ، فلما حذفت اللام وَصَلَ الفِعْلُ فعَمِلَ . تقول جئتُكَ أنكَ تُحِبُّ الخير فمعناه لأنك، وكذلك أتيتك أنْ تأمُرَ لي بشيء، أي لأنْ وتقديره في النصب أنّ ، أنْ الخفيفةَ والفعلَ مصدرٌ نحو : أريد ان تقوم يا فتى ، أي قيامَك ، وأنّ الثقيلة واسمها وخبرها مصدر ، تقول : بلغني أنكَ منطلقٌ ، أي انطلاقُك فاذا قلت : جئتك أنك تريد الخير فمعناه : إرادَتكَ الخير أي مَجيئي لأنك تريد الخير إرادةً يا فتى ، كما قال الشاعر (هو حاتِمٌ الطائِيُّ) :

وأغْفِرُ عَوْراءَ الكريمِ ادّخارَهُ وأُعْرِضُ عن ذَمِّ اللئيم تَكرُّما

قوله : وأغفر عوراء الكريم ادخاره، أي ادّخِرُهُ ادّخاراً، وأضافه اليه، كما تقول : ادّخاراً له . وكذلك قوله : تكرماً إنما أراد لتكَرُّمٍ : فأخرجه مُخْرَجَ أتكرّمُ تكرُّماً . وأنشدني أبو العالية (قيل ان الشعر لعُرْوَةَ بن أُذَيْنَةَ) :

ما زِلتُ أبغي الحيَّ أتبَعُ ظِلَّهُمْ حتى دُفِعْتُ إلى رَبيبِ هودجِ
قالت وعَيْشِ أبي وأكبَرِ إخْوَتي لأنَبْهَنَّ الحيَّ إن لم تَخْرُجِ
فخَرجْتُ خيفَةَ قَوْلِها فتبَسَّمتْ فعَلِمْتُ أنّ يمينها لم تَحْرَجِ
فلَثَمْتُ فاها آخِذاً بقُرونِها شُرْبَ النزيفِ ببَرْدِ ماء الحَشْرَجِ

وزاد فيها الجاحِظُ عَمْرو بن بَحْرٍ :

وتناوَلتْ رأسي لتَعْرِفَ مَسَّهُ بمُخَضَّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنَّجِ

تقول العرب: هَوْدَجٌ ، وبنو سعد بن زيد مَناةَ ومن وليهم يقولون: فَوْدَجٌ . وقوله : فعلمت أن يمينها لم تَحْرَج يقول: لم تضيقْ عليها . يقال : حَرِجَ يَحْرَجُ إذا دخل في مَضيقٍ . والحَرَجَةُ الشجر المُلتَفُّ المتضايقُ ما بينه . قال الله عزّ وجل . فلا يَكُنْ في صَدْرِكَ حَرَجٌ منه وقال تعالى: يَجْعَلْ صَدرَهُ ضيّقاً حَرِجاً وقُرِئَ حَرَجاً ، فمن قال حَرِجاً أراد التوكيد للضَّيّق كأنه

Marfat.com

قال: ضَيِّقٌ شديد الضيق، ومن قال: حَرَجاً جعله مصدراً، مثل قولك: ضَيِّقَ ضيقاً. وقوله: ببرد ماء الحَشْرَجِ فهو الماء الجاري على الحجارة. وقال قَيْسٌ ابن مُعاذٍ أحد بني عُقَيْلِ بن كَعْبِ بن رَبيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ وهو المجنون. وحدثني عبد الصَمَدِ بن المُعذَّلِ قال: سمعت الأصمَعِيَّ يُثَبِّتُهُ ويقول: لم يكن مجنوناً، إنما كانت به لُوثَةٌ كلوثة أبي حَيَّةَ النُمَيْرِيِّ وهو من أشعَرِ الناسِ ومن شعره):

ولم أرَ لَيْلى بَعْدَ مَوْقِفِ ساعةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمي جِمارَ المُحَصَّبِ
ويُبْدي الحَصا منها إذا قَذَفَتْ به ... من البُرْدِ أطرافَ البنانِ المُخَضَّبِ
فأصْبَحْتُ من لَيْلى الغداةَ كناظِرٍ ... مع الصُبْحِ في أعقابِ نَجْمٍ مُغَرِّبِ
ألا إنما غادَرْتِ يا امَّ مالكٍ ... صَدىً أينما تذْهَبْ به الريحُ يذْهَبِ

هذا البيت من أعجب ما قيل في النحافة، ومما يُسْتَظْرَفُ في هذا الباب قول عُمَرَ بن أبي ربيعة:

رأتْ رجُلاً أمّا اذا الشمس عارَضَتْ ... فيَضْحى وأمّا بالعَشِيِّ فيَخْصَرُ
أخا سَفَرٍ جَوّابَ أرضٍ تقاذَفَتْ ... به فلواتٌ فهو أشْعَثُ أغْبَرُ
قليلاً على ظَهْرِ المَطِيَّةِ ظِلُّهُ ... سوى ما نَفى عنه الرِداءُ المُحَبَّرُ

ومن هذا الباب قول القائل هو قَيْسُ بن مُعاذٍ مجنون بني عامِرٍ الذي تقدم ذكره لابن الأبرش):

فأصبَحْتُ في أقصى البيوتِ يَعُدْنَني ... بقيّةَ ما أبْقَيْنَ نَصْلاً يَمانيا

(بقية بدل من الياء في يَعُدْني بدل الاشتمال

تَجَمَّعْنَ من شَتّى ثلاثٌ وأرْبَعٌ ... وواحدةٌ حتى كَمَلْنَ ثمانيا)
يَعُدْنَ مريضاً هُنَّ هِجْنَ ما به ... ألا إنّما بَعْضُ العوائدِ دائيا

وفي هذا الباب أشياء كثيرة تأتي في موضعها إن شاء الله تعالى. ومن الإفراطِ فيه قولُهُ

فلو أنّ ما أبْقَيْتِ مني مُعلَّقٌ ... بعودٍ ثمامٍ ما تأوَّدَ عودُها

Marfat.com

(الثُمام نبتٌ ضعيف واحدته ثُمامة) وهـــذا متجاوِزٌ كقول القائل :

ويَمْنَعُها من أنْ تطيرَ زِمامُها . وأحْسنُ الشِعرِ ما قارب فيه القائلُ إذا شَبَّه ، وأحسنُ منه ما أصاب به الحقيقة ، ونبّهَ فيه بفِطنتهِ على ما يخفى عن غيره ، وساقه برَصْفٍ قويٍّ واختصار قريب . قال قيْسُ بن مُعاذٍ :

وأخرُجُ من بين الجلوسِ لعلّني أُحدّثُ عنكِ النفسَ في السِرِّ خاليا
وإني لأستَغشي وما بيَ نعسةٌ لعلَّ خيالاً منكِ يَلقى خَياليا

وفي هذا الشعر :

أشوقاً ولمّا تمْضِ لي غيرُ ليلةٍ رُوَيْد الهَوى حتى يَغِبَّ لياليا

هذا من أجود الكلام وأوضحِهِ معنىً ، ويُستَحْسنُ لذي الرُمّةِ قوله في مثل هذا المعنى :

أحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أجلِ أنني به أتغنّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ

وأنشدني ابن عائشة لبعض القُرَشيّينَ :

وقَفوا ثلاثَ منىً بمنزلِ غبْطةٍ وهُمُ على غَرَضٍ هنالكَ ما هُمُ
مُتجاوِرينَ بغيرِ دارِ إقامةٍ لو قد أجدَّ تفرُّقٌ لم يَندَموا

(يعني طواف الوَداع ، وقوله : ثلاث منى أراد أيام النَفْرِ وأخرجه على الليالي وقوله : لم يَندموا لأنهم يَرْجعون إلى أوطانهم)

ولهُنَّ بالبيتِ العَتيقِ لبانةٌ والرُكنُ يَعْرِفهُنَّ لو يَتكلّمُ
لو كان حيّاً قبلهُنَّ ظعائناً حيّا الحطيمُ وجوهَهُنَّ وزَمزَمُ
وكأنّهُنَّ وقد صَدَرْنَ لواغباً بَيْضٌ بأفنيةِ المقامِ مُرَكَّمُ

اللاغِبُ المُعْيي . قال الله عزّ وجل : وما مَسّنا من لُغوبٍ . والمُرَكَّمُ الذي بعضه على بعض ، والمرأة تُشَبِّهُ ببيضة النعامة كما تُشَبِّهُ بالدرة . قال الله عزّ وجل : كأنّهُنَّ بَيْضٌ مَكنونٌ والمكنون المصون ، والمُكَنُّ المستور . يقال أكْنَنْتُ السِرَّ . قال الله عزّ وجل : أو أكْنَنْتُمْ في أنفسكم .

Marfat.com

وقال أبو دَهْبَلٍ : وأكثر الناس يرويه لعبد الرحمن بن حَسّانَ (بن ثابت الأنصاريّ) :

وَهْيَ زَهراءُ مثلُ لُؤْلوةِ الغَوّاصِ ميزَتْ من جَوْهَرٍ مَكنونِ

وقال ابن الرُقيّاتِ :

واضِحٌ لَوْنُها كبَيْضةِ أُدحِيٍّ لها في الذســـاءِ خُلْقٌ عَميمُ

العميم التام ، والأدْحِيُّ موضع بيض النعامة خاصةً وشعرُ عبد الرحمن هذا شعر مأثور مشهور عنه . وروى بعض الرواة أن أبا دَهْبَلٍ الجُمَحِيّ كان تقيّاً وكان جميلاً ،فقَفَل من الغَزْوِ ذاتَ مرّةٍ فمرّ بدمَشْقَ ، فدعتْهُ امرأةٌ إلى أن يَقْرأَ لها كِتاباً ، وقالت إنّ صاحِبَتَهُ في هذا القصر وهي تُحِبُّ أن تَسْمَعَ ما فيه .فلما دخلت به بَرَزَتْ له امرأةٌ جميلةٌ وقالت له: إنما احتَلْتُ لك بالكتاب حتى أدْخلتُكَ . فقال لها : أما الحَرامُ فلا سَبيلَ اليه . قالت: فلستَ تُرادُ حراماً .فتزوّجَتْهُ ،وأقام عندها دَهراً حتى نُعِيَ بالمدينة .ففي ذلك يقول ، وقد استأذنها ليُلِمّ بأهْلِهِ ثم يعودَ .فجاء وقد اقتُسِمَ ميراثُهُ ، فلما هَمّ بالعود اليها نُعِيَت له ،فهذا ما رُوِيَ من هذا الوجه والذي كأنه إجماع الناس انه لعبد الرحمن بن حسان وهو في بنت مُعاوية (بن أبي سُفيان) :

صاحِ حَيّا الإلهُ أهلاً وداراً عند أصْلِ القَناة من جَيْرونِ
عنْ يَساري اذا دَخلتُ من البا ب وإنْ كنتُ خارجاً فيَميني
فبتِلْكَ ارْتَهَنْتُ بالشام حتى ظَنّ أهْلي مُرَجّماتِ الظنونِ
وهي زَهْراءُ مثلُ لُؤْلؤةِ الغَوّاص ميزَتْ من جَوْهَرٍ مَكنون
وإذا ما نَسَبْتَها لم تَجِدْها في سَناءٍ من المكارِمِ دُونِ
ثمّ خاصَرْتُها الى القُبّةِ الخضْـــراءِ تَمشي في مَرْمَرٍ مَسْنون
تَجْعَلُ المِسْكَ واليَلَنْجوجَ والندّ صِلاءً لها على الكانون
قُبّةٌ من مَراجِلٍ ضَرَبَتْها عِندَ بَرْدِ الشّتاءِ في قَيْطون

Marfat.com

المسنون المصبوب على استواء ، والمراجِلُ ثيابٌ من ثيابِ اليَمَن .
قال العجّاجُ :

بشِيَةِ كشِيَةِ المُمَرْجَلِ . والقيطون البيت في جوف بيت . وقال آخر :

وأبْصَرَتْ سُعْدى بين ثَوْبَيْ مراجلٍ وأثوابِ غَصْبٍ من مُهَلْهَلَةِ اليَمَنْ

ويروى أن يزيد بن معاوية قال لمعاوية : أما سَمِعْتَ قول عبد الرحمن بن حسان في ابنتك ؟ قال : وما الذي قال ؟ قال : قال :

وهي زَهْراءُ مثلُ لؤلؤة الغوّاصِ ميزتْ من جوهرٍ مكنون

قال معاوية : صدق . فقال يزيد : وقال :

وإذا مـــا نسبتها لم تَجِدْها في سَناءٍ من المكارم دون

قال معاوية : صدق . فقال يزيد انه قال :

ثمّ خاصَرْتُها إلى القبّـة الخضـــراء تَمْشي في مَرْمَرٍ مَسنون

قال معاوية : كذب .

٢٥ - باب

قال أبو العباس : حدثني مسعود بن بِشرٍ قال : حـدّثني محمد بن حَرْبٍ قال : أتى عبد الله بن الزُّبَيْر بن عبد المطّلِبِ رسول الله ﷺ فكساه حُلّةً وأقعَدَهُ الى جانبه ، ثم قال : إنه ابنُ أمّي وكان أبوه يَرْحَمُني (الزبير أخو عبد الله بن عبد المطلب شقيقُهُ) . وأنشدني مسعود قال : أنشدني طاهِرُ بن عليّ بن سُلَيْمانَ قال: أنشدني منصور بن المَهْدِيّ لرجل من بني ضَبَّةَ بن أدّ يقوله لبني تميمِ بن مُرّ بن أدّ :

أبَني تميمٍ انـني أنا عَمُّكُمْ لا تُحْرَمَنّ نصيحةَ الأعمامِ
إني أرى سَبَبَ الفناءِ وإنّما سَبَبُ الفناءِ قطيعةُ الارْحامِ
فتداركوا بأبي وأمّي أنتُمُ أرحامَكُمْ بروامِحِ الاحْلامِ

(كذا أنشَدَ أرحامكم ويروى أحسابكم) ويُرْوَى أنه لما أتى عَبْدَ الله بن

Marfat.com

الزُبَيرِ خَبَرُ قَتلِ مُصْعَبِ بن الزُبَيرِ خطبَ الناسَ فحَمِدَ الله واثْنى عليه، ثم قال: انه أتانا خبر قتل المصعب فسُررْنا به واكْتَأبْنا له، فأما السُّرور فلما قُدِّرَ من الشهادةِ وحيزَ له من الثواب، وأما الكآبَةُ فَلوْعةٌ يَجِدُها الحميمُ عند فِراقِ حَمِيمِه، وإنا والله ما نموتُ حَبَجاً كميتة آل أبي العاصي انما نموتُ والله قَتْلاً بالرِماح، وقَعْصاً تحت ظِلالِ السُّيوف، فإن يَهْلِكِ المُصْعَبُ فإنَّ في آل الزبير منه خَلَفاً. قوله: حَبَجاً يقال حَبِجَ بَطنُه اذا انتفخ. وكذلك: حَبِطَ بطنه. والمُقْعَصُ المقتول، واللوْعةُ الحُرْقةُ يقال: لاع يلاع لَوْعةً يا فتى فهو لائِعٌ. ويقال: لاعٍ يا فتى على القلب. وأنشد أبو زيد.

ولا فَرِحٍ بخَيرٍ انْ أتاهُ ولا جَزِعٍ من الحَدَثانِ لاعي

قال: وحدثني مسعود بن بِشْرٍ في اسنادٍ ذكره قال: قال زياد لحاجبه: يا عَجْلانُ اني وَلَّيتُكَ هذا البابَ وعَزَلْتُكَ عن أربعة: عزلتك عن هذا المنادي اذا دعا للصلاة فلا سَبيلَ لك عليه، وعن طارِقِ الليلِ فشَرٌّ ما جاء به ولو جاء بخير ما كنتُ من حاجته، وعن رسول صاحب الثَغْرِ فان إبْطاءَ ساعةٍ يُفْسِدُ تدبير سنة، وعن هذا الطبّاخِ اذا فرَغَ من طعامه قال: وحدثني مسعود قال: قال زياد يُعْجِبُني من الرجل اذا سيمَ خُطَّةَ الضَيْمِ ان يقول لا بِلْ فيه، وإذا أتى نادِيَ قومٍ علمَ أينَ ينبغي لمثله ان يجلس فجَلَس، واذا ركب دابة حملها على ما تُحِبُّ ولم يَبْعَثْها الى ما تكرَهُ. وكُتِبَ الى جعفر بن يحيى ان صاحب الطريق قد اشْتَطَّ فيما يطلب من الاموال فوَقَّعَ جَعْفَرٌ هذا رجل منقطع عن السلطان وبين ذُوبانِ العَرَبِ بحيثُ العَدَدُ والعُدَّةُ والقلوب القاسية والانوف الحَمِيَّةُ، فَلْيُمَدَّ من المال بما يَسْتَصْلِحُ به مَن مَعَهُ لِيَدْفَعَ به عَدُوَّهُ، فإن نفقات الحروب يُسْتَظْهَرُ لها ولا يُسْتَظْهَرُ عليها، وأكثرَ الناسُ شَكِيَّةَ عاملٍ فوَقَّعَ اليه في قصتهم: يا هذا قد كَثُرَ شاكوك وقلَّ حامدوك فإما عَدَلْتَ وإما اعْتَزَلْتَ. وزعم الجاحظ قال: قال ثُمامةُ بن أشرس النُمَيرِيُّ: ما رأيتُ رجلاً أبلغَ من جعفر بن يحيى والمأمون، وقال مُوَيْسُ بنُ عمرانَ:

Marfat.com

ما رأيتُ رجلاً أبْلَغَ من يَحْيى بن خلد وأيوبَ بنِ جَعْفَرٍ وقال جعفرُ بن يحيى لكُتّابِهِ : إنْ قَدَرْتُمْ أن تكون كُتُبُكُمْ كلُّها توْقيعاتٍ فافعلوا . وقال رسول الله ﷺ : لو تَكاشَفْتُمْ ما تَدافنْتُمْ . يقول: لو عَلِمَ بَعضُكم سريرةَ بعضٍ لاستثقل تَشْييعَهُ ودَفْنَهُ . وقال عليه الصلاة والسلام اجْتَنِبوا القُعود على الطُّرُقات إلا أن تَضْمَنوا أربعاً: رَدَّ السلام ، وغَضَّ الأبصار ، وإرْشادَ الضالّ ، وعَوْنَ الضعيف . وقالت هِنْدٌ بنت عُتْبَةَ إنما النساء أغْلالُ فليخْتَرِ الرجُلُ غُلاًّ ليده . وذكرتْ هند بنت المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرةَ النساءَ فقالت: ما زُيِّنَ بشيءٍ كأدَبٍ بارعٍ تحته لبٌّ ظاهر وقالت هند بنت المُهَلَّب ابن أبي صُفْرَةَ أيضاً : إذا رأيتم النِّعَمَ مُسْتَدِرَّةً فبادروا بالشُّكْرِ قبل حُلول الزوال . وقال رسول الله ﷺ : افْصِلوا بين حديثِكم بالاستغفار . وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : قَيِّدوا النِّعَمَ بالشكر وقَيِّدوا العِلْمَ بالكتاب . وقال عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه : العَجَبُ لِمَنْ يَهْلِكُ والنجاةُ معه . فقيل ما هي يا أمير المؤمنين ؟ قال : الاستغفار . وقال الخليل بن أحمد : كُنْ على مُدارسة ما في قلبك أحْرَصَ منك على حفظ ما في كُتُبِكَ . وقال ابن أحمد يعني الخليلَ : اجْعَلْ ما في كُتُبِكَ رأسَ مالٍ وما في صَدْرك للنفقة . وقيل لنَصْرِ بن سَيَّار : ان فلاناً لا يكتب . فقال : تلك الزَّمانةُ الخفيفةُ . وقال نصر بن سيار : لولا أن عمر بن هُبَيْرَةَ كان بَدَوِيّاً ما ضَبَطَ أعمالَ العراق وهو لا يكتب . وفادى رسول الله ﷺ من رأى فداءه من أسْرى بَدْرٍ فمَنْ لم يكن له فِداءٌ أمَرَهُ أن يُعَلِّمَ عشرة من المسلمين الكتابة ، ففَشَتِ الكتابة بالمدينة . ومن أمثال العرب خير العلم ما حُوضِرَ به . يقول : ما حُفِظَ فكان للمذاكرة . وقال رسول الله ﷺ : لا تزالُ أمّتي صالحا أمرُها ما لم تَرَ الفَيْءَ مَغْنَماً والصدقة مَغْرَماً . وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه : يأتي على الناس زمان لا يُقَرَّبُ فيه إلا الماحِلُ ، ولا يُظَرَّفُ فيه إلا الفاجرُ ، ولا يُضَعَّفُ فيه إلا المُنْصِفُ ، يتخذون الفيء مَغْنَماً ، والصدقة مَغْرَماً ، وصِلةَ الرحم مَنّاً ، والعبادة استطالةً على الناس ، فعند ذلك يكون سلطانُ

Marfat.com

النساء ومُشاوَرَةُ الإماءِ وإمارةُ الصبيان. (الماحل الواشي. يقال مَحِلَ فلانٌ بفلان إذا وَشى به ومَكَرَ)ويروى عن محمد بن المُنْتَشِرِ بن الأجْدَعِ الهَمْداني قال: دَفَعَ اليَّ الحجاج أزاذَ مَرْدَ بن الهِرْبذِ وأمرني ان أستخرج منه وأغلظ عليه ، فلما انطلقتُ به قال لي : يا محمد إنّ لك شرَفاً ودِيناً وإني لا أعْطي على القَسْرِ شيئاً فاستَأْدِني وارْفُقْ بي. قال: ففعلتُ فأدّى إليّ في اسبوع خمسمائة الف . قال : فبلغ ذلك الحجاج فأغضبه وانتزعه من يَدَيّ ودفعه الى رجل كان يتولى له العَذابَ فدَقّ يديه ورجليه ولم يُعْطِهِمْ شيئاً . قال محمد بن المنتشر: فإني لأمُرُّ يوماً في السوق إذا صائحٌ بي: يامحمد. فالتَفَتُّ فإذا به مُعرّضاً على حِمارٍ مَدْفوقَ اليدين والرجلين ، فخِفْتُ الحجاجَ إن أتيته وتذَمَّمْتُ منه فمِلتُ اليه فقال لي : إنك وَلِيتَ مني ما وَلِيَ هؤلاء فأحسَنْتَ وإنهم صنعوا بي ما ترى ولم أُعْطِهِمْ شيئاً ، وهنا خمسمائة الف عند فلان فخذها فهي لك . قال : فقلت له : ما كنت لآخذ منك على معروفي أجراً ولا لأرْزأكَ على هذه الحال شيئاً قال : فأما إذ أبَيْتَ فاسمعْ أُحدّثْكَ :حدّثني بعضُ أهل دينك عن نبيك ﷺ أنه قال : إذا رضيَ الله عن قوم أمْطرَهمُ المطرَ في وقته ، وجَعَلَ المالَ في سُمَحائهم ، واستَعمَلَ عليهم خِيارهم ، وإذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم ، وجعل المال عند بُخَلائهم ، وأمطرهم المطر في غير حينه . قال : فانصرفت فما وضعتُ ثوبي حتى أتاني رسولُ الحجاج فأمرني بالمسير اليه فألفيته جالساً على فِراشه والسيفُ مُنْتَضىً في يده فقال لي : ادْنُ فدَنَوْتُ شيئاً . ثم قال : ادْنُ فدَنَوْتُ شيئاً. ثم صاح الثالثة : ادْنُ لا أبالك. فقلت: ما بي الى الدُنوّ من حاجةٍ وفي يد الأمير ما أرى . فأضحَكَ اللهُ سِنّهُ وأغمَدَ سيفَهُ عني. فقال لي اجْلِسْ ما كان من حديث الخبيث؟ فقلتُ له: أيها الأمير والله ما غَشَشْتُكَ مُنذُ استنصحتني، ولا كذَبْتُكَ منذ اسْتَخْبرْتَني ، ولا خُنْتُكَ منذ ائتمنتني ثم حدّثتُه الحديث فلما صِرْتُ إلى ذكر الرجل الذي المالُ عنده أعْرَضَ عني بوجهه وأومأ إليّ بيده وقال. لا تُسَمّهِ .ثم قال : إن للخبيث نفساً وقد سمع الأحاديثَ ويقال : كان الحجاج إذا استُغْرِبَ ضَحِكاً والى

Marfat.com

بين الاستغفار ، وكان إذا صعد المنبر تلفع ببطرفه ، ثم تكلم رويداً فلا يكاد يسمع ، ثم يتزيد في الكلام حتى يخرج يده من مطرفه ، ويزجر الزجرة فينفزع بها أقصى من في المسجد ، وكان يطعم في كل يوم على الف مائدة ، على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ، ويطاف به في محفة على تلك الموائد ليتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ثم يقول: يا أهل الشام اكسروا الخبز لئلا يعاد عليكم. وكان له ساقيان أحدهما يسقي الماء والعسل والآخر يسقي اللبن ويروى أن ليلى الأخيلية قدمت عليه فأنشدته:

إذا ورد الحجاج أرضاً مريضة تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العقام الذي بها غلام إذا هز القناة ثناها

العقام بالفتح والضم، والضم أفصح) فقال لها لا تقولي غلام قولي همام. ثم قال لها : أي نسائي أحب اليك أن أنزل عندها الليلة . قالت : ومن نساؤك أيها الأمير ؟ قال: أم الجلاس بنت سعيد بن العاصي الأموية، وهند بنت أسماء بن خارجة الفزارية، وهند بنت المهلب بن أبي صفرة العتكية. فقالت: الفيسية أحب إلي . فلما كان الغد دخلت عليه فقال: يا غلام أعطها خمسمائة فقالت : أيها الأمير اجعلها أدماً . فقال قائل : إنما أمر لك بشاء . قالت : الأمير أكرم من ذلك . فجعلها إبلاً إناثاً استحياء ، وإنما كان أمر لها بشاء أولاً ، والأدم البيض من الإبل وهي أكرمها . ويروى عن بعض الفقهاء (هو الشعبي) قال : دعاني الحجاج فسألني عن الفريضة المخمسة وهي أم وجد واخت فقال لي: ما قال فيها الصديق رحمه الله؟ قلت: أعطى الأم الثلث والجد ما بقي لأنه كان يراه أباً . قال : فما قال فيها أمير المؤمنين ، يعني عثمان رحمه الله ؟ قلت : جعل المال بينهم أثلاثاً قال : فما قال فيها ابن مسعود؟قال: قلت: أعطى الأخت النصف والأم ثلث ما بقي والجد الثلثين لأنه كان لا يفضل أمّاً على جد . قال : فما قال فيها زيد بن ثابت ؟ قال : قلت: أعطى الأم الثلث وجعل ما بقي بين الأخت والجد ، للذكر مثل حظ الأنثيين لأنه كان يجعل الجد كأحد الأخوة إلى الثلاثة . قال . فزم بأنفه. ثم قال : فما قال فيها

Marfat.com

أبو تُراب ؟ قال : قلت أعْطى الام الثلث والأخت النصف والجد السدس . فأطرقَ ساعة ، ثم رفع رأسه فقال : فإنه المرءُ يُرْغَبُ عن قوله وجلس الحجاج يوماً يأكل ومعه جماعة على المائدة منهم محمد بن عُمَيْر بن عُطاردِ بن حاجب ابن زُرارةَ وحجّارُ بن أبْجَرَ بن بُجَيْرٍ العِجْلِيُّ فأقبل في وَسَطٍ من الطعام على محمد بن عُمَيرِ بن عُطاردٍ فقال : يامحمد أيدعوك فُتَيْبةُ بن مُسْلِمٍ إلى نُصْرتي يوم رُسْتُقْباذَ ، فتقول : هذا أمر لا ناقةَ لي فيه ولا جملٌ لا جعلَ الله لك فيه ناقة ولا جملاً ! ياحرَسِيُّ خذْ بيده وجرِّدْ سيفك فاضرب عُنُقَهُ . فنظر إليّ حجّار بن أبْجَرَ وهو يتبسم فدخلتْهُ العَصَبيّةُ ، وكان مكانُ حجّارٍ من ربيعة كمكان محمد بن عمير من مُضَرَ وأتى الخبّارُ بفُرْنيّةٍ فقال اجْعَلْها مما يلي محمداً فإن اللبن يعجبه يا حرسيُّ ، شِمْ سيفك وانْصرِفْ . وكان محمدٌ شريفاً وله يقول الشاعر :

عَلِمَ القبائلُ من مَعَدٍّ وغَيْرِها أنَّ الجوادَ محمدُ بن عُطاردِ

وذُكِرَتْ بنو دارِمٍ يوماً بحضرة عبد الملكِ فقالوا : قومٌ لهم حظٌّ . فقال عبد الملك . أتقولون ذلك وقد مَضى منهم لَقيطُ بن زُرارةَ ولا عَقِبَ له ، ومضى القَعْقاعُ بن مَعْبَدِ بن زُرارةَ ولا عَقِبَ له ، ومضى محمد بن عُمَيْرِ ابن عُطاردٍ ولا عَقِبَ له ، والله لا تنسى العربُ هؤلاء الثلاثة أبداً . قوله شِمْ سيفك يقول : أغْمِدْهُ ويقال : شِمْتُ السيفَ إذا سَلَلْتَهُ وهو من الأضداد ويقال : شِمْتُ البرقَ إذا نظرتَ من أي ناحية يأتي . قال الأعشى

فقلتُ للشَرْبِ في دُرْنى وقد ثَمِلوا شِيموا وكيْفَ يَشيمُ الشاربُ الثمِلُ

وقال الفَرزْدق :

بأيدي رجالٍ لم يَشيموا سيوفَهُمْ ولم تَكْثُرِ القَتْلى بها حين سُلَّتِ

وهذا البيت طريف عند أصحاب المعاني وتأويله لم يَشيموا لم يغْمِدوا ، ولم تكثر القتلى أي لم يغمدوا سيوفهم إلا وقد كثرت القتلى حين سُلَّتْ . وحدثني الحسن بن رجاء قال . قَدِمَ علينا عليُّ بن جَبَلةَ الى عَسْكرِ الحَسَنِ بن

Marfat.com

سَهْلٍ والمأمون هناك بانياً على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببُوران، فقال الحسن: ونحن إذ ذاك نُجْري على نيّفٍ وسبعين الف مَلاحٍ، وكان الحسن بن سهل يَسْهَرُ مع المأمون، وكان المأمون يَتَصَبَّحُ فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه فلما وَرَدَ عَلِيَّ قلت: قد تَرى شُغلَ الأمير. قال: إذاً لا أضيعَ معك. قلتُ: أَجَلْ. فدخلتُ على الحسن بن سهل في وقت ظهوره فأعلمته مكانه فقال: ألا ترى ما نحن فيه؟ قلتُ: لستَ بمشغولٍ عن الامر له فقال: يُعْطى عشرةَ آلافِ درهمٍ إلى ان نتفرّغَ له. فأعلمت ذلك عليَّ بن جَبَلَةَ فقال في كلمة له:

أعْطيْتَني يا وَلِيَّ الحق مُبْتدِئاً عطِيَّةً كافأتْ مَدْحي ولم تَرَني
ما شِمْتُ بَرْقَكَ حتى نِلتُ رَيْقَهُ كأنما كنتَ بالجَدْوى تُبادِرُني

٢٦ – باب

قال أبو العباس قال المُفَضَّلُ بن المُهلَّبِ بن أبي صُفْرةَ (يصف الشجاعة والنَّجْدة):

هل الجود إلا أن نجودَ بأنفُسٍ على كلّ ماضي الشَّفْرَتَيْنِ قضيبِ
وما خَيْرُ عَيْشٍ بعد قتل محمدٍ وبَعدَ يزيدَ والحرونِ حبيبِ
ومن هَرَّ أطرافَ القَنا خشيةَ الرَّدى فليس لِمَجْدٍ صالحٍ بكَسوبِ
وما هيَ إلا رقدةٌ تُورِثُ العُلى لِرَهْطِكَ ما حَنَّتْ روائمِ نيبِ

قوله: ومن هرّ أطراف القنا خشية الردى يقول: من كرهَ قال عَنترَةُ ابن شدّادٍ:

حَلفتُ لهم والخيلُ تَرْدي بنا معاً نفارِقُهُمْ حتى يَهِرُّوا العَواليا
عَواليَ زُرْقاً من رماحٍ رُدَيْنيةٍ هَريرَ الكلاب يَتَّقينَ الأفاعيا

والردى الهلاك وأكثر ما يستعمل في الموت، يقال: رَدِيَ يَرْدى ردىً. قال الله عزّ وجلّ: وما يغني عنه مالُهُ إذا تَرَدّى، وهو تفَعُّل من الردى في أحد التفسيرين. وقيل إذا تردّى في النار أي إذا سقط فيها. وقوله: الحرون فإن حبيب بن المُهَلَّبِ كان ربما انهزم عنه أصحابه فلا يَريمُ مكانه، فكان يُلقّبُ

Marfat.com

الحرون. وقوله : وما هي إلا رقدة تورث العلى فهذا مأخوذ من قول أخيه يزيد ابن المهلب ، وذلك أنه قال في يوم العقر وهو اليوم الذي قتل فيه : قاتل الله ابنَ الأشعث ما كان عليه لو غمض عينيه ساعة للموت ولم يكن قتيلَ نفسِه. وذلك أن ابن الاشعث قام في الليل وهو في سطح للبول فزعموا أنه ردّى نفسه. وغير أهل هذا القول يقولون : بل سقط منه بسِنَةِ النوم. وقوله : تورث العلى لرهطك فالمعنى تورث العلى رهطَكَ ، وهذه اللام تزاد في المفعول على معنى زيادتها في الإضافة ، تقول : هذا ضاربٌ زيداً ، وهذا ضاربٌ لزيدٍ ، لانها لا تُغَيِّرُ معنى الإضافة إذا قلت : هذا ضاربُ زيدٍ وضاربٌ له . وفي القرآن : وأمِرْتُ لأنْ أكونَ أوّل المسلمين. وكذلك : إنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تعْبُرون. ويقول النحويون في قوله تعالى : قُلْ عَسى أن يكونَ رَدِفَ لكم بعضُ الذي تَسْتَعْجِلونَ، إنما هو رَدِفَكُمْ . والنيبُ جمع نابٍ وهي المِسِنّةُ من الإبل وتقديرها فَعْلٌ ساكنةٌ وأبْدِلَتْ من الضمة كسرةٌ لتَصِحَّ الياءُ، كما قلتَ في أبْيَضَ بيضٌ ، وإنما هو مثل أحمر وحُمْرٍ ، وكذلك أشْيَبُ وشِيبٌ ، فتقدير نابٍ ونيبٍ اذا جاء على فَعَلٍ وفُعْلٍ تقدير أسَدٍ رأسْدٍ وَوَثَنٍ ووُثْنٍ. ونابُ تقديرها فَعَلٌ ، وإنما انقلبت الياء الفاً فسكنَت ، وإنما تنقلب اذا كانت قبلها فتحة وكانت في موضع حركة . والرّوائم قد مضى تفسيرها وأنشدني الزيادِيُّ قال . أنشدني أبو زيد قال: نَظرَ شيخ من الاعْراب الى امرأته تتَصَنّعُ وهي عجوز فقال :

عَجوزٌ تُرَجّي أن تكونَ فَتِيّةً ... وقد لَحِبَ الجَنْبانِ واحْدَوْدَبَ الظهرُ
تَدُسُّ الى العَطّارِ سِلْعةَ بيتِها ... وهَلْ يُصْلِحُ العطارُ ما أفسَدَ الدهرُ

(قال أبو الحسن : وزادني غير أبي العباس في شعر هذا الأعرابيّ :

وما غَرّني إلا خِضابٌ بكفّها ... وكُحْلٌ بعَيْنَيْها وأثوابُها الصُّفْرُ
وجارٌ بها قبل المَحاقِ بليلةٍ ... فكان مُحاقاً كلّه ذلك الشَّهْرُ)

قال : فقالت له امرأته :

Marfat.com

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الناب تَحْلُبُ عُلْبَةً وَيَتْرُكُ ثِلْبٌ لا ضِرابٌ ولا ظَهْرُ

قال : ثم استغاثت بالنساء، وطلبَ الرجالَ فإذا هم خُلوفٌ، فاجتمع النساء عليه فضَرَبْنَهُ . قوله : قد لُحِبَ الجنبان ، يقول : قلَّ لحمها . يقال : بعير مَلْحوبٌ وقد لُحِبَ مثل عُرِقَ . وقوله : تدُسُّ الى العطار سلعة بيتها يريد السويقَ والدقيقَ وما أشبه ذلك، وكل عَرْضٍ فالعرب تقول له سِلْعة . انشدني عُمارةُ بن عَقيلٍ شعراً يمدح به خالد بن يزيد بن مَزْيَدٍ الشيبانيَّ ويَذُمُّ تميم بن خُزَيْمَةَ بن حازمٍ النَهْشَلِيَّ :

أأتْرُكُ إنْ قلَّتْ دَراهمُ خالدٍ زِيارَتَهُ اني اذاً لَلَئيمُ
وقد يُسْلِعُ المرءُ اللئيمُ اصْطِناعَهُ ويَمْتَلُّ نقْدُ المرءِ وهو كريم

(من رَفَعَ المرءَ نصب اصطناعَه، ومن نصب المرءَ رفع اصطناعه، وأما على تفسير أبي العباس فتنصب اصطناعه لا غير)

فَتىً واسِطٌ في ابْنَيْ نزارٍ مُحَبَّبٌ الى ابْنَيْ نزارٍ في الخُطوبِ عَميمُ
فلَيْتَ بُبُرْدَيْهِ لنا كان خالدٌ وكان لَكَرْفيَّ الثراءِ تميمُ
فيُصْبِحُ فينا سابقٌ مُتَمَهِّلٌ أغرُّ وفي بكْرٍ أغمُّ بهيم

قوله : وقد يُسلِعُ المرءُ اللئيم اصطناعه أي تكثُرُ سلْعَتُهُ لاصطناعه . وقوله: أغم بهيم فالغَمَمُ كثرة شعر الوجه والقفا، قال هُدْبَةُ بن خَشْرمٍ العُذريُّ :

فلا تَنْكحي ان فرَّقَ الدَهرُ بيننا أغمَّ القفا والوجْهِ ليس بأنْزَعا

والعرب تكرَهُ الغَمَمَ . والبهيمُ الذي لا يَخْلِطُ لونَهُ غيرُهُ من أيِّ لون كان . وقولها ألم ترَ أن الناب تحلب علبة تقول فيها منفعة على حال ، والعُلْبَةُ اناء لهم من جلود يحْلُبون فيه . من ذلك قوله :

لم تَتَقَنَّعْ بفَضْلِ مِئْزَرِها دَعْدٌ ولم تُغْذَ دَعْدُ بالعُلَبِ

ومن أمثال العرب : قد تُحْلَبُ الضَجُورُ العُلْبَةَ . يضربون ذلك للرجل البخيل الذي لا يزال يُسال منه الشيء القليل . والضجور الناقة السيئة الخُلُق انما تُحْلَبُ حين تَطْلُعُ عليها الشمس فتطيب نفسها. والثِلْبُ الذي قد انتهى

Marfat.com

في السنّ من الإبل . وقال آخر :

لم أرَ مِثْلَ الفقر أوْصَحَ للفتى ... ولم أرَ مِثْلَ المال أرْفَعَ للرَذْلِ
ولم أرَ عِزّاً لامْرِىءٍ كعَشيرةٍ ... ولم أرَ ذُلاًّ مِثْلَ نأيٍ عن الاصْلِ
ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على امرىء ... اذا عاشَ بين الناس من عَدَمِ العَقلِ

قال آخر :

لعَمْري لَقَوْمُ المرْءِ خَيْرٌ بَبَيْتِهِ ... عليه وان غالوْا به كلَّ مَرْكَبِ
من الجانب الاقْصى وان كان ذا غِنىً ... جَزيلٍ ولم يُخْبِرْكَ مثلُ مُجَرَّبِ
(وان خَبَرَتْكَ النَفْسُ أنكَ قادِرٌ ... على ماحَوَتْ أيدي الرجالِ فكَذِّبِ)
اذا كنْتَ في قومٍ عِداً لَسْتَ منهم ... فكُلْ ما عُلِفْتَ من خبيثٍ وطيِّب

العِدا الغرباء في هذا الموضع . ويقال للأعْداءِ عِداً ، والعُداةُ الاعْداء لا غير . وقال أعرابي من باهِلَةَ :

سأُعمِلُ نَصَّ العِيس حتى يَكُفَّني ... غِنى المالِ يَوْماً أوْ غِنى الحَدَثانِ
فللمَوْتُ خَيْرٌ من حَياةٍ يُرى لها ... على المرْءِ ذي المَلْياءِ مَسُّ هَوانِ
متى تَتَكلَّمْ يُلْغَ حُكْمُ مَقالِهِ ... وان لم يَقُلْ قالوا : عَديمُ بيانِ
كأنّ الغِنى في أهله بُورِكَ الغِنى ... بغيرِ لسانٍ ناطقٌ بلسان

ونظير هذا الشعر ما حُدِّثْنا به في أمر حارِثَةَ بن بَدْرٍ الغُدانِيّ ، فإنا حُدِّثنا عن حارثة بن بدر ، وكان رجُلَ بَني تَميمٍ في وقته ، وكان قد غَلَبَ على زِيادٍ وكان الشراب قد غَلَبَ عليه فقيل لزيادٍ : ان هذا قد غَلَبَ عليك وهو مُسْتَهْتَرٌ بالشراب فقال زياد: كيف لي باطِّراحِ رجُلٍ هو بُسايِرُني مُنْذُ دخلتُ العِراقَ لم يَصْكُكْ ركابيَ رِكاباهُ ، ولا تقَدَّمَني فنظرتُ الى قفاه ، ولا تأخَّرَ عني فَلَوَيْتُ عُنُقي اليه ، ولا أخَذَ عليَّ الشمسَ في شتاءٍ قطُّ ولا لرَوْحَ في صيفٍ قطُّ ، ولا سألته عن علم الا ظننتُ أنه لم يُحْسِنْ غيره. فلما مات زِيادٌ جفاه عُبَيْدالله ، فقال له حارثة : أيها الامير ما هذا الجفاء مع معرفتك

Marfat.com

بالحال عند أبي المغيرة . فقال له عبيد الله : ان أبا المغيرة كان قد بَرَع بُروعاً لا يلحقه معه عيب وأنا حَدَثٌ وانما انتسَبُ الى مَن يَعلِبُ عليّ وأنت رجل نديم الشراب ، فمتى قرَّبْتُكَ فظهرتْ رائحةُ الشراب منك لم آمَنْ أن يُظَنَّ بي فَدَعِ النبيذَ وكن أوّلَ داخلٍ عليّ وآخر خارج عني فقال له حارثة : أنا لا أدَعُهُ لمن يملك ضَرّي ونفعي أفأدعه للحال عندك . قال فاختَرْ من عملي ما شئتَ قال : تُوَلّيني رامَ هُرْمُزَ فانها أرض عَذاة وشَرِفَ فان بها شراباً وُصِفَ لي فوَلاهُ اياهما ، فلما خرج شيَّعَهُ الناس فقال أنَسُ بن أبي أُنَيْسٍ :

أحا ابنَ بَدْرٍ قد وليتَ إمارةً ... فكُنْ حَذِراً فيها تَخونُ وتَسْرِقُ
ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً وَحدْتَهُ ... فحَظُّكَ من مُلكِ العِراقَيْنِ سُرَّقُ
وباهِ تميماً بالغِنى ان للغِنى ... لساناً به المرءُ الهَيوبَةُ يَنطِقُ
فان جميعَ الناس إمّا مُكَذَّبٌ ... يقول بما يهوى واما مُصَدَّقُ
يقولون أقوالاً ولا يَعلَمونها ... ولو قيل هاتوا حَقِّقوا لم يُحَقِّقوا

ورثى حارثةُ بن بدرٍ زياداً وكان زياد مات بالكوفة ودفن بالثَوِيَّةِ فقال :

صَلى الالهُ على قبرٍ وَطهَّرهُ ... عند الثَوِيَّةِ يَسْفي فَوْقَهُ المورُ *
زَفَّتْ اليه قُرَيْشٌ نعْشَ سيدها ... فتَمَّ كلُّ التُقى والبرُّ مَقبورُ
أبا المُغيرةِ والدنيا مُفَجِّعَةٌ ... وإنّ مَنْ غرَّت الدنيا لَمغرور
قد كان عندك بالمعروف مَعْرِفَةٌ ... وكان عندك للنَكْراءِ تَنكير
وكنتَ تُغْشي وتُعطي المالَ من سَعةٍ ... ان كان بيتُكَ أضْحى وهو مَهْجور
الناس بعدك قد خَفَّتْ حُلومُهمُ ... كأنما نَفَخَتْ فيها الأعاصيرُ

ونظير هذا قول مُهَلْهِلٍ يرثي أخاه كُلَيْباً وكان كُلَيْبٌ اذا جلس لم يُرفَعْ بحضرته صوت ولم يَستَبَّ بفِنائِه اثنان:

* يسفي فوقه المور : ينهال التراب ، وفي رواية يسفى ، بالبناء للمجهول .

Marfat.com

ذَهَبَ الخيارُ من المعاشِرِ كُلِّهِمْ وأستُبَّ بعدك يا كُلَيْبَ المجلسُ
وتَقارلوا في أمرِ كلِّ عظيمـــةٍ لو كنت حاضر أمرهم لم يُنبِسوا

قول حارثة الثَوِيَّة ُ فهي بناحية الكوفة ، ومن قال الثوَيَّة ، فهو تصغير الثوِيَّة ، وكل ياء اتَّصَلَتْ بها ياء اخرى فوقعت مُعْتَلَّةٌ طَرَفاً في التصغير فوليتها ياء التصغير فهي محذوفة ، وذلك قولك في عَطاءٍ عُطَيٌّ وكان لأصل عَطَيِّيُ ، كما تقول في سحاب سُحَيِّبٌ ولكنها تحذف لاعتلالها واجتماع ياءين معها ، وتقول في تصغير أحْوى أُحَيٌّ في قول من قال : في أسوَدَ أُسَيِّدُ وهو الوجه الجيد لان الياء الساكنة اذا كانت بعدها واو متحركة قَلَبْتها ياء ، كقولك أيّام والأصل أيْوامٌ ، وكذلك سيد والاصل سَيْوِدٌ ، ومن قال في تصغير أسود أُسَيْوِدُ فهو جائز وليس كالاول ، قال في تصغير أحْوى أحَيْوِيا فتى فتثبت الياء لأنه ليس فيها ما يمنعها من اجتماع الياآت ومن قال أُسَيْوِدُ فانما أظهر الواو لأنها كانت في التكبير متحركة . ولا تقول في عَجور الا عُجَيْر لأنها ساكنة . وانما يجوز هذا على بُعْدٍ اذا كانت الواو في موضع العين من الفعل أو ملحقة بالعين نحو واو جَدْوَلٍ وانما استجازوا اظهارها في التصغير للتشبيه بالجمع ، لان ما جاوز الثلاثة فتصغيره على مثال جمعه ألا تراهم يقولون في الجمع أسارد وجداول فهذا على التشبيه بهذا . فان كانت الواو في موضع اللام كانت منقلبة على كل حال ، تقول في غَزْوَةٍ غُزَيَّةٌ وفي عُرْوَةٍ عُرَيَّةٌ فهذا شرح صالح في هذا الموضع وهو مُسْتَقصىً في الكتاب المقتضب . وقوله يسفي فوقه المور ، فمعناه ان الريح تَسْفيه وجعل الفعل للمور وهو التراب . وتقول سَقاكَ الله الغَيْثَ ثم يجوز أن تجعل الفعل للغيث فتقول ، سقاكَ الغَيْثُ يا فتى وقال عَلقَمَةُ بن عَبدَةَ :

سَقاكِ يَمانٍ ذو حبيٍّ وعارضٌ تروحُ به جُنْحَ العَشِيِّ جَنوبُ

وقوله : زفت اليه قريش نعش سيدها . يقال زَفَفْتُ السَريرَ وزَفَفْتُ العَروسَ . وحدثني أبو عثمان المازني قال ، حدثني الرِّياشيّ قال : سمعت قوماً من العرب يقولون أزْفَفْتُ العروس وهي لغة . وقوله : نَعْشَ سيدها ، يريد

Marfat.com

موضعه من النَسَبِ لأنه نَسَبَهُ الى أبي سُفيان وكان رئيس قريش قبل مَبْعَثِ النبي ﷺ وله يقول ﷺ: كلُّ الصيدِ في بَطنِ الفَرا. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَفْرُشُ فِراشاً في بيته في وقت خلافته فلا يَجْلِسُ عليه الا العَبّاس بن عبد المُطّلِبِ وأبو سفيان بن حَربٍ . ويقول هذا عَمُّ رسول الله ﷺ : وهذا شيخ قريش. وكان حَرْبُ بن اُمَيّةَ رئيسَ قريشٍ يوم الفِجار ، فكان آلُ حَرْبٍ اذا ركبوا في قومهم من بني اُمَيّةَ قُدّموا في المواكِبِ واُخْلِيَتْ لهم صُدور المجالس الا رَهْطَ عثمان رضي الله عنه ، فان التقديم لهم في الاسلام بعثمان ، وكان أبو سفيان صاحبَ العِيرِ يوم بَدْرٍ وصاحبَ الجيش يوم اُحُدٍ ، وفي يوم الخَندَقِ ، واليه كانت تنظُرُ قريش في يوم فتح مكة ، وجعَلَ له رسول الله ﷺ :أنه مَن دَخلَ في داره فهو آمِنٌ في حديث مشهور. وقوله : كأنما نُفِخَتْ فيها الأعاصير ، هذا مَثَلٌ ، وانما يراد خفة الحُلوم . والإعصارُ فيما ذكر أبو عبيدة ، ريح تَهُبُّ بشدة فيما بين السماء والأرض ، ومن أمثال العرب ان كُنتَ ريحاً فقد لاقيتَ إعصاراً ، يُضرَبُ للرجل يكون جَلداً فيُصادِفُ مَن هو أجْلَدُ منه . قال الله عز وجل : فأصابها إعصارٌ فيه نار فاحترَقَتْ . وقولُ رسول الله ﷺ : كلُّ الصَيدِ في بَطنِ الفَرا ،يعني الحمارَ الوحشيّ ، وذلك أن أجَلّ شيء يصيدُه الصائدُ ، الحمارُ الوحشيُّ ، فاذا ظَفِرَ به فكأنه قد ظفر بجملة الصيد ، والعرب تختلف فيه فبعضهم يَهْمِزُهُ فيقول : هذا فَرأٌ كما ترى ، وهو الاكثر وبعضهم لا يهمزه ، ومن أمثالهم : أنكَحْنا الفَرا فسنرى ،أي زَوّجْنا مَن لاخير فيه فسنعلم كيف العاقِبةُ ، وجَمْعُهُ في القولين جميعاً فِراءٌ كما ترى ونظيره : جَمَلٌ وجِمالٌ وجَبَلٌ وجِبالٌ . قال الشاعر :

بضَرْبٍ كآذان الفِراءِ فُضولُهُ وطَعْنٍ كإيزاغ المَخاضِ تَبُورُها

الايزاغُ دفعُ الناقة ببولها ، يقال أوْزَغَتْ به إيزاغاً وأزْغَلَتْ به إزْغالاً ،وذلك حين تَلقَحُ فعند ذلك يقال لها خَلِفةٌ وللجميع المَخاضُ ، وقد

Marfat.com

مر هذا. والبَوْرُ أن تُعْرَضَ على الفحل ليُعْلَمَ أهي حامل أم حائل . وقال ضابىءُ بن الحرث البُرْجُميُّ (من السجن):

وَمَنْ يَكُ أمْسى بالمدينة رَحْلُهُ فاني وقَيّاراً بها لَغريبُ
وماعاجِلاتُ الطَيرِ تُدني من الفَتى نجاحاً ولا عن رَيْثِهِنَّ يَخيبُ
ورُبَّ أمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيْرَةً وللقَلبِ من مَخْشاتِهِنَّ وَجيبُ
ولاخَيرَ فيمن لا يُوطِّنُ نَفْسَهُ على نائباتِ الدهْرِ حين تَنوبُ

قوله : فاني وقياراً بها لغريب ، أراد فاني لغريب بها وقياراً ، ولو رفع لكان جيداً . تقول: ان زيداً منطلقٌ وعَمْراً وعَمْرٌ فمن قال عمراً فانما رَدّه على زيدٌ . ومن قال عمرو فله وجهان من الاعراب أحدهما جيد والآخر جائز ، فأما الجيد فأن تحمِلَ عمراً على الموضع ، لأنك اذا قلت ان زيداً منطلق فمعناه زيد منطلق فَرَدَدْتَهُ على الموضع ، ومثل هذا لستُ بقائم ولا قاعداً، والباء زائدة، لان المعنى لستُ قائماً ولا قاعداً ، ويقرأ على وجهين إنّ اللهَ بريءٌ من المشركين ورسولُهُ،ورسولَهُ. والوجه الآخر أن يكون معطوفاً على المضمر في الخبر فان قلت ان زيداً منطلق هو وعمرو حَسُنَ العطف لان المضمر المرفوع انما يَحْسُنُ العطف عليه اذا أكَّدتَهُ كما قال الله تعالى : اذْهبْ أنت وربُّك فقاتلا، واسْكُنْ أنت وزَوجُكَ الجنةَ . وانما قَبُحَ العطفُ عليه بغير تأكيد لانه لا يخلو من ان يكون مُستَكِنّاً في الفعل بغير علامة ، أو في الاسم الذي يجري مَجْرى الفعل نحو: ان زيداً ذَهبَ وان زيداً ذاهبٌ ، فلا علامة له. أو تكونَ له علامةٌ يتغير لها الفعل عما كان عليه نحو ضَرَبْتُ ، سَكَنَتَ الباء التي هي لام الفعل من أجل الضمير لان الفعل والفاعل لا يَنفَكُّ أحدُهما من صاحبه ، فهما كالشيء الواحد ، ولكنّ المنصوبَ يجوزُ العطفُ عليه ويَحْسُن بلا تأكيد لأنه لا يُغَيِّرُ الفعل إذْ كان الفعل قد يقع ولا مفعول فيه ، نحو ضَرَبْتُكَ وزيداً . فأما قول الله عز وجل لو شاء الله ما أشْرَكْنا ولا آباؤنا ، فانما يَحْسُنُ بغير توكيد ، لأن لا صارت عوضاً، والشاعر اذا احتاج أجراه بلا توكيد لاحتمال الشعر ما لا يَحْسُنُ في الكلام . قال عمر بن أبي ربيعة :

Marfat.com

قُلْتُ إذ أقْبَلَتْ وزُهْرٌ تَهادى كنِعاج المَلا تَعَسَّفن رمْلا

وقال جرير :

ورجا الأُخَيْطِلُ من سَفاهة رَأيِهِ ما لم يَكُنْ وأبٌ له لِيَنالا

فهذا كثير. فأما النعت اذا قلتَ انّ زيداً يقومُ العاقلَ فانتَ مخير ان شئت قلتَ العاقلَ ، فجعلته نعتاً لزيد أو نصبته على المدحِ وهو باضمار أعني ، وان شئتَ رفعتَ على ان تُبْدِلَهُ من المضمَر في الفعل ، وان شئتَ كان على قطعٍ وابتداءٍ كأنك قلتَ ، إنّ زيداً قام فقيل ، مَن هو ؟ فقلتَ العاقل . كما قال الله عز وجل : قُلْ هل أُنَبِّئُكُمْ بشَرّ من ذَلِكُمُ النارُ ، أي هو النارُ ، والآية تُقرأُ على وجهين على ما فسَّرْنا : قل إنّ رَبي يَقذِفُ بالحقِّ عَلاّمُ الغُيوبِ ، وعلاّمَ الغيوب . وقوله : وما عاجلاتُ الطيرِ تُدْني من الفتى نجاحاً يقول اذا لم تَعْجَلْ له طيرٌ سانحةٌ فليس ذلك بمُبْعِدٍ خيراً عنه ، ولا أبطأتْ خابَ ، فعاجِلُها لا يأتيه بخير وآجِلُها لا يَدْفَعُهُ عنه انما له ما قُدِّرَ له. والعرب تَزْجُرُ على السانِحِ وتَتَبَرَّكُ به وتَكرَهُ البارِحَ وتَتَشاءم به . والسانِحُ ما أراك مَياسِرَه فامكنَ الصائدَ والبارِحُ ما أراك مَيامنَهُ فلم يُمْكِن الصائدَ الا أن يَنحَرِفَ له . وقد قال الشاعر .

لا يَعْلَمُ المرءُ لَيْلاً ما يُصَبِّحُهُ الا كَواذِبَ ما يُخبِرُ الفالُ

والفالُ والزَجْرُ والكُهّانُ كُلُّهُمُ مُضَلَّلونَ ودونَ الغَيْبِ أقفالُ

وقوله :

ورُبَّ أمورٍ لا تَضيرُكَ ضَيرةً وللقلب من مَخْشاتِهِنّ وجيبُ

فان العرب تقول : ضارهُ يَضيرُهُ ضَيْرةً ولا ضَيْرَ عليه وضرّهُ يَضُرُّهُ ولا ضَرَرَ عليه ويقال : أصابه ضُرٌّ وأصابه ضَرٌّ بمعنى ، والضَرُّ مصدر والضُرُّ اسم ، وقد يكون الضُرُّ من المرض والضَرُّ عاماً ، وهذا معنى حَسَنٌ. وقد قال أحد المحدَثينَ وهو اسمعيلُ بن القاسم أبو العَتاهية :

وقد يَهْلِكُ الانسانُ من باب أمْنِهِ ويَنجو بإذنِ اللهِ من حَيْثُ يَحْذَرُ

وقال الله عز وجل : وعَسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً.

Marfat.com

وقال رجل لمعاوية: واللهِ لقد بايَعْتُكَ وأنا كارِهٌ . فقال معاوية: قد جَعلَ اللهُ في الكُرهِ خيراً كثيراً . وقوله :

ولا خَيْرَ فيمن لا يوَطّنُ نفسه على نائبات الدهر حين تَنوبُ

نظيره قولُ كُثَيِّرٍ :

أقولُ لها يا عَزّ كلُّ مُصيبةٍ إذا وُطّنت يوماً لها النفسُ ذَلّتِ

وكان عبد الملك بن مَرْوان يقول لو كان قال: هذا البيْتَ في صِفةِ الحربِ لكان أشْعَرَ الناس ، وحكى عن بعض الصالحين انّ ابناً له مات ، فلم يُرَ به جَزَعٌ ، فقيل له في ذلك،فقال: هذا امر كنا نتَوقّعُهُ فلما وَقَعَ لم نُنكِرْه.

٢٧ - باب

قال أبو العباس وجّه عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه جَريرَ بن عبدالله البَجَليّ الى معاوية رحمه الله يأخُذُهُ بالبَيعةِ له . فقال له : أنّ حَوْلي من ترى من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والانصار ولكني اخْتَرْتُكَ لقول رسول الله ﷺ فيكَ خيرُ ذي يَمَنٍ ،ائتِ مُعاويةَ فَخُذْهُ بالبَيعةِ ، فقال جريرٌ : والله يا أمير المؤمنين ما أدّخِرُكَ من نُصْرتي شيئاً ، وما أطمَعُ لك في مُعاويةَ . فقال عليٌ رضي الله عنه : انما قَصدي حُجّةٌ أقيمُها عليه ، فلما أتاه جريرٌ دافَعَهُ مُعاوية.فقال له جريرٌ : إنّ المُنافقَ لا يُصَلي حتى لا يَجِدَ من الصلاة بُدّاً ولا أحسِبُكَ تُبايعُ حتى لا تجِدَ من البَيعةِ بُدّاً . فقال له معاوية : انها ليست بخَدْعةِ الصَبيّ عن اللبن، إنه أمْرٌ له ما بعده فأبلِغْني ريثي. فناظَرَ عمراً ، فطالت المناظرة بينهما وألَحّ عليه جريرٌ . فقال له معاوية : ألقاكَ بالفَصلْ في أوّل مَجْلسٍ ان شاء الله تعالى ، ثم كتب لعمرو بمصر طُعمةً وكتَبَ عليه ولا يَنْقُضُ شرْطٌ طاعةً . فقال عمرو يا غلام اكتُبْ ولا تَنقُضُ طاعةٌ شرْطاً فلما اجتمع له أمْرُهُ رَفَعَ عَقيرتهُ يُنشِدُ ليُسْمِعَ جريراً :

تَطاوَلَ ليلي واعْتَرَتني وساوِسي لآتٍ أتى بالتُرّهاتِ البَسابِسِ

Marfat.com

أتاني جَريرٌ والحوادثُ جَمّةٌ بتلك التي فيها اجتداعُ المعاطِسِ
أكابدُهُ والسيفُ بيني وبينه ولستُ لأثواب الدنيّ بِلابِس
إنِ الشامُ أعطَتْ طاعةً يَمَنيةً تَواصفَها أشياخُها في المجالس
فان يَفعَلوا أصدِمْ عليّاً بجَبْهةٍ تفُتُّ عليه كلّ رطْبٍ ويابس

(الجَبْهةُ جماعة الخيل) .

واني لأرْجو خير ما نال نائِلٌ وما أنا من مُلْكِ العِراق بيائس

وكتب الى عليّ رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم من مُعاوية بن صَخْرٍ الى عليّ بن أبي طالب ، أما بعد فلَعَمْري لو بايَعَكَ القومُ الذين بايعوك وأنت بريءٌ من دم عثمان كنتَ كأبي بَكرٍ وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين. ولكنك أغْرَيتَ بعثمان المهاجرين وخَذَلْتَ عنه الأنصارَ فأطاعك الجاهلُ وقَوِيَ بك الضعيفُ وقد أبى أهلُ الشامِ إلا قِتالَك حتى تَدْفَعَ اليهم قَتَلةَ عثمان ، فان فعلتَ كانت شُورى بين المسلمين ولَعَمْري ما حُجَّتُكَ عليّ كحُجَّتِكَ على طَلحة والزُّبَيْر لانهما بايَعاكَ ولم أبايعْكَ ، وما حُجَّتُك على أهل الشام كحُجَّتِكَ على أهل البَصرة لان أهل البصرة أطاعوك ولم يُطِعْك اهلُ الشام ، وأما شَرَفُكَ في الاسلام وقَرابَتُك من رسول الله ﷺ وموضعك من قريش فلَسْتُ أدْفَعُهُ . ثم كتَب اليه في آخر الكتاب بشعر كعْبِ بن جُعَيْلٍ . وهو :

أرى الشامَ تَكرَهُ مُلكَ العِراق وأهلَ العِراقِ لهم كارهينا
وكُلّا لصاحِبِه مُبغِضٌ يَرى كلّ ما كان منْ ذاكَ دينا
اذا ما رَمَوْنا رَمَيْناهُمُ ودِنّاهُمُ مثل ما يُقرِضونا
فقالوا عليٌّ امامٌ لنا فقلنا رضينا ابنَ هِندٍ رَضينا
وقالوا تَرى أن تَدينوا له فقلنا ألا لا نَرى أن ندينا
ومِن دونِ ذلك خَرطُ القَتاد وضَربٌ وطَعنٌ يُقِرُّ العيونا

Marfat.com

وأحسن الروايتين يَنْقُضُ الشؤونا ، وفي آخر هذا الشعر ذمٌ لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، امتنكنا عن ذكره. قوله : ولكنّك أغريْت بعثمان المهاجرين فهو من الإغراءِ وهو التحضيض عليه يقال: أَغْرَيْتُهُ به وآسَدْتُه عليه ، وآسَدْتُ الكلبَ على الصيد أوسِدُهُ إساداً ،ومن قال أشْلَيْتُ الكلب في معنى أغريْتُ ، فقد أخطأ انما أُشْلَيْتُهُ دعوْتهُ اليّ وآسَدْته أغريْتُهُ . وقول ابن جعَيل وأهل العراق لهم كارهينا محمول على أرى ، ومن قال وأهلُ العراق لهم كارهونا، فالرفع من وجهين أحدهما قطعٌ وابتداءٌ ، ثم عَطَف جملة على جملة بالواو ولم يحمله على أرى ولكن كقولك كان زيدٌ منطلقاً وعمروٌ منطلقٌ الساعةَ خَبَّرْت بخبر بعد خبر. والوجه الآخر أن تكون الواو وما بعدها حالاً فيكون معناها اذ، كما تقول: رأيت زيداً قائماً وعمرو منطلق تريد إذ عمروٌ منطلق ، وهذه الآية تحملُ على هذا المعنى وهو قول الله عز وجل: يغشى طائفةٌ منكم وطائفةٌ قد أهمّتهم أنفسُهم. والمعنى والله أعلم اذ طائفةٌ في هذه الحال . وكذلك قراءة من قرأ: ولو أنّ ما في الارض من شجرةٍ أقلامٌ والبَحرُ يمُدُّهُ من بعده سبعةُ أبحرٍ ،أي والبَحرُ هذه حاله. ومن قرأ والبَحرفعلى أنّ. وقوله ودِنّاهم مثلَ ما يقرضونا يقول جزيناهم ، وقال المفسرون في قوله عز وجل : مالكِ يومِ الدينِ ، قالوا يومُ الجزاء والحساب ، ومن أمثال العرب كما تَدِينُ تُدانُ وأنشد أبو عبيدة (الشعر ليزيد بن الصعِق الكِلابيّ وله خبر):

واعلمْ وأيْقِنْ أن مُلكَكَ زائلٌ واعْلَمْ بانّ كما تَدِينُ تُدان

وللدين مواضع منها ما ذكرنا ومنها الطاعة ودين الاسلام من ذلك ، يقال فلان في دين فلانٍ أي في طاعته ويقال كانت مكة بلداً لقاحاً أي لم يكونوا في دين ملِكٍ . وقال زُهَيرٌ :

لَئِنْ حَللتَ بجوٍ في بَني أسَدٍ في دين عمروٍ وحالتْ بيننا فَدَكُ

فهذا يريد في طاعة عمرو بن هند والدينُ العادة ، يقال ما زال هذا دني ودأبي وعادتي وديدني وإجْرِيّايَ . قال المُثقِّبُ العَبديُّ .

Marfat.com

تقولُ اذا أدرْتُ لها وَضيني أهذا دينُهُ أبَـــداً ودِيني
أكلَّ الدَهْرِ حَلٌ وارْتِحالٌ اما تُبقى عَلـَيَّ وما يَقيني

وقال الكُمَيْتُ بن زَيْدٍ :

على ذاكَ إجْرِيّايَ وهي ضَريبتي وإنْ أجْلبوا طُرّاً عليَّ وأحْلبوا

وقوله : فقلنا رضينا ابن هند رضينا يعني معاوية بن أبي سُفيانَ وأمُّهُ هِندٌ بنت عُتبةَ بن رَبيعة بن عَبْدِ شمْسِ بن عبد مَنافٍ وقوله : أن تَدينوا له ، أي تطيعوه وتَدْخلوا في دينه ، أي في طاعته . وقوله : ومن دون ذلك خَرْطُ القَتاد ، فهذا مَثلٌ من أمثال العرب ، والقَتادُ شُجَيْرةٌ شاكة غليظةُ أصولِ الشَوْكِ : فلذلك يُضْرَبُ خَرْطُهُ مثلاً في الأمر الشديد لأنه غاية الجَهْدِ . ومن قال يَفُضُّ الشؤونا ، فيَفُضُّ يُفَرّقُ . تقول فَضَضْتُ عليه المالَ والشؤونُ : واحدها شأنٌ ، وهي مَواصِلُ قَبائل الرأس وذلك ان للرأس أربعَ قبائل ، أي قِطَعٌ مَشْعوبٌ بعضُها الى بعض ، فموضع شُعبَها يقال له الشُؤون واحدها شَأنٌ . وزعم الأصمعي قال . يقال انْجاري الدموع منها فلذلك يقال : انْتَهَلْتُ شُؤونه ، وأنشد قول أوْسِ بن حَجَرٍ :

لا تَحْزُنيني بالفِـــراق فانني لا تَسْتَهِلُّ من الفِراقِ شُؤوني

ومن قال يَقِرُّ العيونا ففيه قولان أحدهما للاصمعي ، وكان يقول : لا يجوز غيره . يقال قَرَّتْ عينُه وأقَرَّها اللهُ . وقال انما هو بَرَدَتْ من القُرُّ وهو خلاف قولهم ، سَخِنَتْ عينه وأسخنها الله . وغيره يقول : قَرَّتْ هَدَأتْ ، وأقرَّها الله أهْدَأها الله وهذا قول حسن جميل والاول أغرب وأطْرَفُ .

فكتب اليه أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه جوابَ هذه الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم ، من علي بن أبي طالب الى مُعاوية بن صَخْر أما بعد فانه أتاني منك كتابُ امْرِئٍ ليس له بَصَرٌ يَهْديه ولا قائدٌ يُرشِدُهُ ، دعاه الهوى فأجابه وقاده فاتّبعه ، زَعَمْتَ أنك انما أفسَدَ عليك بَيْعتي خطيئتي في عثمان ولَعَمْري مـــا كنتُ الا رجلا من المهاجرين أوْرَدْتُ كما أوردوا ،

Marfat.com

وأصدَرْتُ كما أصدروا . وما كان الله ليَجْمَعَهُمْ على ضلال ولا ليَضْرَبَهُمْ بالعَمى . وبعد فيما أنت وعثمانُ انما أنتَ رجل من بني أُمَيَّةَ ، وبنو عثمان أولى بطالبة دمه فان زعمتَ انك اقوى على ذلك ، فادخل فيما دخَل فيه المسلمون ، ثم حاكِمِ القومَ اليَّ ، وأما تمييزك بينك وبين طَلْحةَ والزُبَيرِ وأهل الشام وأهل البَصرةِ ، فلعمري ما الأمرُ فيما هناكَ الا سَواءٌ لانها بَيعةٌ شاملة لا يُستَثْنى فيها الخيارُ ولا يُستأنَفُ فيها النَظَرُ وأما شرفي في الاسلام وقرابتي من رسول الله ﷺ وموضعي من قُرَيْشٍ ، فلعمري لو استَطَعْتَ دَفَعْتَهُ ادفعتَهُ . ثم دعا النَجاشيَّ احد بني الحرث بن كعب فقال له : ان ابن جُمَيْلٍ شاعرُ أهل الشام ، وأنت شاعِرُ أهل العراق فأجب الرجل . فقال : يا أمير المؤمنين أسْمِعْني قوله قال : إذاً أُسْمِعَكَ شِعْرَ شاعِرٍ . فقال النجاشي يجيبه :

دَعاً يا مُعاويَ ما لَنْ يَكونا فقد حقَّقَ اللهُ ما تَحْذَرونا
أتاكم عليٌّ بأهْلِ العِراق وأهْلِ الحجازِ فما تَصْنَعونا

وبعد هذا ما نمسك عنه . قوله ليس له بَصَرٌ يهديه ، فمعناه يقوده والهادي هو الذي يتقدم فيَدُلُّ . والحادي الذي يتأخر فيسوق ، والعُنُقُ يُسَمَّى الهاديَ لتقدمه . قال الأعشى :

إذا كان هادي الفَتى في البِلا دِ صَدْرَ القناةِ أطاعَ الأميرا

يصف انه قد عَمِيَ فانما تَهْديهِ عَصاً ألا تراه يقول :

وهابَ العِثارَ إذا ما مَشى ويخالَ السُهولةَ وَعْثاً وعُوراً

وقال القُطاميُّ :

إني وإنْ كان قَوْمي ليسَ بَيْنَهُم وبين قومِكَ الا ضَرْبَةُ الهادي

وقال أيضاً :

فَرَبْنَ يَقْصُرْنَ من بُزلٍ مُخَيَّسةٍ ومن عِرابٍ بَعيداتٍ من الحادي

وقوله: ولا قائدٌ يُرْشِدُهُ قد أبان به الاول . وقوله دعاه الهَوى، فالهوى

Marfat.com

من هَويتُ مقصور وتقديره فَعَلٌ فانقلبت الياء ألفاً ، فلذلك كان مقصوراً ، وانما كان كذلك لانك تقول هَوِيَ يَهْوَى كما تقول: فَرِقَ يَفْرَقُ وهو هَوٍ ، كما تقول هو فَرِقٌ كما ترى وكان المصدر على فَعَلٍ بمنزلة الفَرَقِ والحَذَرِ والبَطَرِ ، لأن الوزن واحد في الفعل واسم الفاعل ، فأما الهَواءُ من الجوّ فممدود يَدُلُّكَ على ذلك جمعه اذا قلتَ أهْوِيةٌ لان أفْعِلةٌ ، انما تكون جمع فَعالٍ وفِعالٍ وفَعولٍ وفَعيلٍ . كما تقول قَذالٌ وأقْذِلةٌ وحِمارٌ وأحمِرةٌ فَهواءٌ كذلك . والمقصور جمعه أهْواءٌ ، فاعلم، لانه على فَعَلٍ وجمع فَعَلٍ أفعالٌ ، كما تقول جَمَلٌ وأجمالٌ وقَتَبٌ وأقْتابٌ . قال الله عز وجل : واتّبَعوا أهْواءَهُمْ . وقوله : هذا هَواهُ يا فتى في صفة الرجل انما هو ذَمٌّ ، يقول لا قَلبَ له . قال الله عز وجل : وأفْئِدَتُهُمْ هواءٌ ، أي خالية . وقال زُهَيْر :

كأنّ الرَحْلَ منها فوقَ صَعْلٍ من الظِلْمانِ جُؤجُؤُهُ هَواءُ

وهذا من هَواءِ الجوّ . قال الهُذَلِيُّ

هَواءٌ مِثلُ بَعلِيكِ مُسْتَمِيتٌ على ما في وِعائِكِ كالحَيالِ

وكل واو مكسورة وقعت أوّلا فهمزها جائز يُنْشَدُ على ما في إعائِك . ويقال: وِسادةٌ وإسادةٌ ، ووِشاحٌ وإشاحٌ وأما قوله : فما أنتَ وعثمانُ ، فالرفع فيه الوجه لأنه عَطَفَ اسمها ظاهراً على اسم مضمر منفصل ، وأجراه مُجْراهُ ، وليس ههنا فِعْلٌ فيُحْمَلَ على المفعول فكأنه قال : فما أنت وما عثمانُ هذا تقديره في العربية ومعناه لَسْتَ منه في شيء قد ذكر سيبويه رحمه الله النصب وجوّزه جوازاً حسناً وجَعَلَهُ مفعولاً معه ، وأضمر كانٌ من أجل الاستفهام فتقديره عندما كنتَ وفلاناً ، وهذا الشعر كما أصفُ لك يُنشَدُ :

وانت امْرُؤٌ من أهل نَجْدٍ واهْلُنا تَهامٍ وما النَجْدِيُّ والمُتَغَوِّرُ

وكذلك قوله ، هو زيادٌ الأعجَمُ ، :

تُكَلِّفُني سَوِيقَ الكَرمِ جَرْمٌ وما جَرْمٌ وما ذاكَ السويقُ

فان كان الاول مضمراً متصلاً كان النصبُ لِئَلا يُحْمَلَ ظاهر على مضمر .

Marfat.com

تقول : مالَكَ وزيداً ؟ وذلك أنه أضمَرَ الفِعْلَ فكأنه قال في التقدير : ومُلابَسَتَكَ زيداً ، وفي النحو تقديره مع زيد وانما صَلَحَ الاضمار ، لأن المعنى عليه ذا قلتَ : مالَكَ وزيداً ، فانما تنهاه عن ملابسته اذا لم يجز وزيد وأضمَرْتَ ، لأن حروف الاستفهام للافعال ، فلو كان الفعل ظاهراً لكان على غير اضمار ، نحو قولك : ما زِلْتُ وعَبدالله حتى فعَلَ ، لأنه ليس يريد ما زِلْتُ وما زال عبدُ الله ولكنه أراد ما زلتُ بعبد الله ، فكان المفعول مخفوضاً بالباء ، فلما زال ما يَخْفِضُهُ وَصَلَ الفعلُ اليه فنصبه . كما قال تعالى : واختار موسى قَوْمَهُ سبعين رجلاً . فالواو في معنى مع وليست بخافضة ، فكان ما بعدها على الموضع ، فعلى هذا يُنْشَدُ هذا الشعرُ (هو لِسُكَينِ الدارِمِيْ) :

فمالَكَ والتَلَدُّدَ حولَ نَجْدٍ وقد غَصَّتْ تِهامةُ بالرجال

ولو قلتَ ما شأنُكَ وزيداً ، لاختير النصب لأن زيداً لا يلتبس بالشأن لان المعطوف على الشيء أبداً في مِثْلِ حاله . ولو قلت : ما شأنُكَ وشأنُ زيد لرفعتَ لان الشأن يعطف على الشأن وهذه الآية تُفَسَّرُ على وجهين من الاعراب أحدهما هذا ، وهو الاجود فيها . وهو قوله عز وجل : فأجْمِعوا أمْرَكُمْ وشُرَكاءَكُمْ فالمعنى والله أعلم معَ شركائكم لانك تقول . جَمَعْتُ قومي . وأجمَعْتُ أمري . ويجوز أن يكون لما أدْخَلَ الشركاءَ مع الأمر حَمَلَه على مِثْلِ لفظه لأن المعنى يَرْجِعُ الى شيء واحد فيكون كقوله (هو عبدالله بن الزِبَعْرى) :

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قد غدا مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحا

وقال آخر : شَرَّابُ ألبانٍ وتَمْرٍ وأقِطْ . وهذا بَيِّنٌ . ويروى ان عبدالله بن يزيدَ بن مُعاوية نبى أخاه خالداً فقال : يا أخي لقد هَمَمْتَ به في أن أفتُكَ بالوليد بن عبد المَلِكِ . فقال له خالد: بئس والله ما هَمَمْتَ اليومَ ابن امير المؤمنين وَوليُّ عَهْدِ المسلمين . فقال : ان خيلي مَرَّتْ به فعَبِثَ بها وأصْغَرَني . فقال له خالد : أنا أكفيك . فدخل خالد على عبد الملك والوَليدُ عنده . فقال : يا أمير المؤمنين الوَليدُ ابن أمير المؤمنين وَوليُّ عَهْدِ المسلمين ،

Marfat.com

مَرَّتْ به خيلُ ابن عمه عبدالله بن يزيد فَعَبِثَ بها وأصغره وعبدُ المَلِكِ مُطرِقٌ . فرفع رأسه فقال: ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسَدوها وجعلوا أعِزَّةَ أهلها أذِلَّةً ، وكذلك يَفعلونَ . فقال خالد: واذا أردنا أن نُهلِكَ قريةً أمَرنا مُترَفيها ففَسَقوا فيها فحَقَّ عليها القولُ فدَمَّرْناها تَدميراً. فقال عبدالملك: أفِ عبدالله تُكلِّمُني، والله لقد دخلَ عليَّ فما أقام لسانَهُ لحْنًا فقال له خالد: أفتَعُدُّ الوليد تَعوّلَ ؟ فقال عبد الملك : ان كان الوليدُ يَلْحَنُ ، فان أخاه سُليمانُ . فقال خالد : وان كان عبدالله لحن فان اخاه خالد . فقال له الوليد: اسكُتْ يا خالد فوالله ما تَعُدُّ في العِيرِ ولا في النفيرِ . فقال خالد : اسمَعْ يا أمير المؤمنين ، ثم أقبَلَ عليه وقال : ويحَكَ فمن العِيرُ والنفيرُ غيري! جَدّي أبو سُفيان صاحبُ العِيرِ وجَدّي عُتبة بن رَبيعةَ صاحِبُ النفيرِ . ولكن لو قلتَ غُنَيْماتٌ وحُبَيْلاتٌ والطائفُ ورَحِمَ اللهُ عثمانَ لقلنا صدقتَ . أما قوله في العِيرِ فهي عِيرُ قُرَيشٍ التي أقبَلَ بها أبو سفيان الشأم ، فنَهَدَ اليها رسولُ الله ﷺ وندَبَ اليها المسلمين وقال : لعلَّ الله يُنفلُكُموها فكانت وقعةُ بَدْرٍ، وساحَلَ أبو سُفيانَ بالعِيرِ فكانتْ الغنيمةُ ببدر ، كما قال الله وجل : وإذ يَعِدُكُمُ اللهُ إحدى الطائفتين أنها لكم وتَوَدونَ أنَّ غيرَ ذاتِ الشَّوْكةِ تكونُ لكم ، أي غيرَ الحربِ . فلما ظفِرَ رسولُ الله ﷺ بأهل بدر قال المسلمون انهَدْ بنا يا رسول الله الى العِيرِ . فقال العباس رحمه الله : انما وعَدَكُمُ اللهُ إحدى الطائفتين . واما النفير فمَن نَفَرَ من قريش لِيَدْفَعَ عن العِيرِ ، فجاؤا فكانت وقعةُ بَدْرٍ وكان شيخُ القوم عُتْبَةَ بن ربيعة بن عبد شمْسٍ وهو جَدُّ خالد من قِبَلِ جدَّتِهِ هِندِ امِّ معاوية بنت عُتْبةَ . ومن أمثال العرب :

لَسْتَ في العِيرِ يومَ يَحْدونَ بالعِيـــرِ ولا في النَفيرِ يومَ النفيرِ

ثم انتَسَخَ هذا المثلُ حتى صار يقال لِمَنْ لا يَصلحُ لخير ولا لشر ولا يُحْفَلُ به: لا في العِيرِ ولا في النفير . وقوله: غنيمات وحبيلات، يعني أن رسول الله ﷺ لما أطرَدَ الحَكَم بن أبي العاصي بن أميّةَ وهو جَدُّ عبد المَلِكِ بن مَرْوان

Marfat.com

لجأ الى الطائف فكان يَرعى غُنَيْمات ويأوي الى حُبَيلةٍ وهي الكرمة . وقوله رحم الله عثمان ، أي لِرَدِّهِ إياهُ ، وقولنا أطرده ، اي جعله طَريداً. وطَرَدهُ نحّاهُ كما تقول حَمِدتُهُ اي شكرته وأحمَدْته اي صادفته محموداً ، وكان عثمان رحمه الله استأذن رسول الله ﷺ في رَدِّهِ متى أفضى الأمرُ اليه رَوى ذلك الفقهاءُ .

٢٨ - باب

قال أبو العباس : قال رجلٌ من بني أسَدِ بن خُزَيمةَ يمدح يحيى بن حيان أخا النَخَعِ بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلدِ بن مَذحِجٍ وهو مالِكٌ :

ألا جَعلَ اللهُ اليَمانينَ كُلَّهُمْ فِدًى لِفَتَى الفِتْيانِ يَحيى بن حَيانِ
ولولا عُرَيْقٌ فيّ مِنْ عَصَبيّةٍ لَقُلتُ وألفا من مَعَدّ بن عَدْنان
ولكنّ نفسي لم تَطِبْ بعَشيرَتي وطابَتْ له نفسي بأبناء قَحْطان

وهذا من التَعصُّبِ المُفْرِطِ ، وحدثني شيخ من الازْدِ ثِقَةٌ عن رجل منهم أنه كان يطوف بالبيت وهو يدعو لأبيه . فقيل له : ألا تدعو لِأُمِّك ؟ فقال انها تميميّةٌ وسَمِعَ رجلٌ يطوف بالبيت وهو يدعو لِأُمِّهِ ولا يذكر اباه فَعوقِبَ ، فقال هذه ضَعيفةٌ وأبي رجل يحتال لنفسه . وحدثني المازني عمن حدّثه قال : رأيت رجلاً يطوف بالبيت وأُمُّه على عُنُقِهِ وهو يقول :

أحمِلُ أُمّي وهيَ الحمّالهْ تُرضِعُني الدِرّةَ والعُلالهْ ولا يُجازي والدفعالهْ

قوله الدرة فهو اسم ما يَدُرُّ من ثَدْيَيْها ابتداء كان ذلك أو غير ذلك. والعُلالةُ لا تكون الا بعدُ يقال عَلَّهُ يَعُلُّه عَلاً ، والاسم العُلالةُ وكلُّ شيء كان على فَعَلْتُ من المدغم فمضارعه اذا كان متعدياً الى مفعول يكون على يفعُلُ نحو رَدَّه يَرُدُّهُ وشَجَّهُ يَشُجُّهُ وفَرَّهُ يَفُرُّهُ . فاذا قلت فرّ يَفِرُّ فانما ذلك لانه غير مُتَعَدّ الى مفعول ، ولكن تقول فَرَرْتُ الدابة أفُرُّهُ وجاء فعَل يَفعِلُ من المتعدي في ثلاثة أحرف يقال : عَلَّهُ يَعُلُّه ويَعِلُّه وهَرَّهُ يَهُرُّه ويَهِرُّه اذا كرهه ويقال أحَبَّهُ يُحِبُّهُ وجاء حَبَّهُ يَحِبُّه ولا يكون فيه يَفْعُلُ . قال الشاعر :

Marfat.com

لَعَمْرُكَ إنني وطِلابَ مِصْرٍ لكالمُزدادِ مما حَبَّ بُعْدا

وقال آخر :

وأُقْسِمُ لولا تمرُهُ ما حَبَبْتُهُ وكان عِياضٌ منه أدْنى ومُشْرِقُ

وقرأ ابو رجاء العُطاردي: فاتَّبِعوني يحببكُمُ الله، فَفَعَل في هذا شيئين أحدهما أنه جاء به من حَبَبْتُ والآخر أنه أدْغَمَ في موضع الجزم وهو مذهب تميمٍ وقيْسٍ وأسَدٍ، وجماعةٌ من العرب يقولون رُدُّ يا فتى يُدْغِمون ويُحرّكون الدال الثانيه لالتقاء الساكنين فيُتبِعون الضَمّةَ الضمةَ ، ومنهم من يفتح لالتقاءالساكنين فيقول رُدَّ يا فتى لان الفتح أخف الحركات ومنهم من يقول رُدِ يا فتى فيَكسِرُ لان حق التقاء الساكنين الكسر فاذا كان الفعل مكسوراً ففيه وجهان . تقول : فِرَّ يا فتى للاتباع وللاصل في التقاء الساكنين وتَفتَحُ لأن الفتح أخف الحركات، واذا كان مفتوحاً فالفتح للاتباع ولأنه أخف الحركاتِ والكسرُ على اصل التقاء الساكنين نحو عَضَّ يا فتى وعَضِّ يا فتى فاذا ألقيتَهُ ألف ولام فالاجود الكسر من اجل ما بعده وهي لام المعرفة نحو :

فَغُضَّ الطَرْفَ إنك من نُمَيْرٍ (فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا)

ومنهم مَن يُجريه مُجرى الأوّل فتقع لام المعرفة بعد انقضاء الحركة في الأول فيقول (هو جرير) :

ذُمَّ المنازلَ بعد مَنزِلةِ اللِوى والعَيْشَ بَعدَ أولئك الأيّامِ

ومن كان من شأنه أن يُتْبِع او يَكسِر فعلى ذلك ومما جاء في القرآن على لغة من يكسر قولهُ عز وجل : ومن يُشاقِّ الله فان الله شديدُ العقاب. وأما اهل الحجاز فيُجْرونه على القياس الأصليّ فيقولون ارْدُدْ واغضُضْ. ويقولون افْرِرْ من زيد واعضَضْ لما سكن الثاني ظهر التضعيف لانه لا يلتقي ساكنان وكل ذلك من قولهم ، وقولِ التميميين قياس مُطَّرِدٌ بَيِّنٌ وقد شرحناه في الكتاب المُنْتَصَبِ على حقيقة الشرح . وقال الآخر :

إذا ضِقْتَ أمْراً ضاقَ جِداً وإن هَوّنتَ ما قد عَزّ هانا

فلا تَمْلِكْ لشيء فاتَ بأساً فكَمْ أمرٍ تَصَعَّبَ ثم لانا

Marfat.com

سأصْبِرُ من رفيقي إن جَفاني على كلّ الأذى الا الهَوانا
فانّ المرْءَ يَحزَعُ في خَلاءٍ وإن حَضَرَ الجماعةُ أن يُهانا

وقال آخر : أحسِبُهُ من لُصوص بني سَعد . (قال ابو الحسن هو عُبَيدُ بن ايُّوب العَنبَريُّ ، وأنشد هذا الشعر ثعلب) :

فإني وتَركي الإنس من بعد حُبِّهم وصَبري عَمّنْ كُنتُ ما إن ازايلُهْ
لكا لصَقْرِ جَلّى بعدماصاد فِتْيَةً قديراً ومَثويّاً عَبيطا خَرادِلُهْ
أهابوا به فازدادَ بُعداً وصَدّهُ عن القُرْبِ منهم صَوْءُ بَرقٍ ووابِلُهْ
ألمْ تَرَني صاحبْتُ صفراءَ نبْعةً لها رَبَديٌّ لم يُفَلَّلْ معابِلُهْ
وطال احْتضاني السيفَ حتى كأنما يُلاطُ بكَشْحي جَفنُهُ وحَمائِلُهْ
أخوفَلَواتٍ صاحبَ الجِنّ وانتَحى عن الإنس حتى قد تَقَضّتْ وسائِلُهْ
له نَسَبُ الإنسيِّ يُعرَفُ نَجرُهُ وللجِنّ منه شَكلُهُ وشمائِلُهْ

قوله : وصَبري عَمّنْ كُنتُ ما إن ازايله : انْ زائدة وهي تُزاد مُغَيِّرة للاعراب وتزاد توكيداً وهذا موضع ذلك، فالموضع الذي تُغَيِّرُ فيه الاعراب هو وقوعها بعد ما الحجازية. تقول ما زيدٌ أخاك وما هُذا بَشَراً فاذا أدخَلتَ إنْ هذه بطل النصب بدخولها . فقلت : ما إنْ زيدٌ منطلق . قال الشاعر (هو فَرْوةُ بن مُسَيكٍ المُرادي) :

وما إنْ طِبُّنا جُبنٌ ولكن مَنايانا ودَوْلةُ آخرينا

فزعم سيبويه انها مَنَعَتْ العَمَلَ . كما منعت ما انّ الثقيلة أن تنصب . تقول ان زيداً منطلق فاذا أدخلتَ ما صارت من حروف الابتداء ، ووقع بعدها المبتدأ وخبره والافعال ، نحو انما زيد أخوك وانما يخشى الله من عبادِهِ العُلماءُ ، ولولا ما لم يقع الفعل بعد إن ، لأن إنّ بمنزلة الفعل ولا يلي فِعلٌ فِعلاً لأنه لا يَعمَلُ فيه . فأما كان يقوم زيدٌ ، وكادَ تَزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم ، ففي كان

Marfat.com

وكاد فاعلان مَكْنِيّان . ولم تُزَد على ضربين ، فأحدهما أن يكون دخولها في الكلام كالغائها نحو : فَبِما رَحْمَةٍ من الله لِنْتَ لهم ، أي فبرحمة . وكذلك: مما خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقوا . وكذلك مَثَلاً : ما بَعوضَةٌ .وتَدْخُلُ لتغيير اللفظ ، فتوجِبُ في الشيء ما لولا هي لم يقع نحو : رُبَّما يَنْطَلِقُ زيد ، ورُبَّما يَوَدُّ الذين كفروا،ولولا ما لم تَقَعْ رُبَّ على الأفعال لأنها من عوامل الأسماء،وكذلك: جِئْتُ بعد ما قام زيد . كما قال المرّارُ ، هو المرّارُ الفَقْعَسِيُّ .

أعلاقةً أمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَما أفانَ رَأْسِكَ كالثَّغام المُخْلِسِ

فلولا ما، لم يقع بعدها إلا اسم واحد وكان مخفوضاً باضافة بعد اليه .تقول : جِئْتُكَ بَعْدَ زيدٍ . وقوله : كالصَّقْر جَلَّى تأويل التَّجَلّي أن يكون يُحِسُّ شيئاً فيَتَشَوَّفُ اليه،فهذا معنى جَلَّى. قال العجاج: تَجَلّيَ البازي إذا البازي كَسَرْ ، أي نظر . ويقال : تَجَلّى فلانٌ فلانةَ تَجَلِّياً واجتلاها اجْتِلاءً أي نَظَرَ اليها وتأملها ، والأصل واحد . وقوله : قَديراً هو ما يُطْبَخُ في القِدْر. يقال : قديرٌ ومَقْدور كقولك : قتيلٌ ومَقْتولٌ . وقوله عَبيطاً خِرادُله فالعَبيط الطَّريُّ . يقال : لحم عَبيطٌ اذا كان طَرِيّاً، وكذلك : دمٌ عَبيطٌ. ويقال اعْتَبَطَ فلانٌ بَكْرَتَهُ :اذا نحَرَ ماشابّةً من غير عِلّةٍ .وكذلك: اعتُبِطَ فلان اذا مات شاباً قال أُمَيّةُ (بن أبي الصَّلْتِ الصحيح أنه لرجل من الخوارج عن الأصمعي) :

مَن لَمْ يَمُتْ عَبْطَةً يَمُتْ هَرَماً لِلْمَوْتِ كأسٌ فالمرءُ ذائِقُها

وحدثني الزِيادِيُّ ابراهيم بن سُلَيمان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن زِيادٍ قال : تَحَدَّثَ رجل من الأعْراب قال: نزلت برجل من طَيِّىءٍ فنحر لي ناقةً فأكلتُ منها فلما كان الغد نحر أخرى فقلتُ: إنّ عندك من اللحم ما يُغني ويَكفي . فقال : إني والله لا أُطْعِمُ ضيفي إلا لحماً عَبيطاً. قال : وفعل ذلك في اليوم الثالث وفي كل ذلك آكل شيئاً ويأكل الطائِيُّ أكلَ جماعةٍ ،ثم نؤتى باللبن فأشرَبُ شيئاً ويَشْرَبُ عامّةَ الوَطبِ ، فلما كان في اليوم الثالث ارْتَقَبْتُ غفْلته فاضْطجَعَ فلما امتلأ نوماً اسْتَقْتُ قطيعاً من إبلِهِ فأقبَلْتُهُ الفجُّ فانتبه

Marfat.com

واخْتَصَرَ على الطريق حتى وقف لي في مَضيقٍ فألْقَمَ وَتَرَهُ فوقَ سَهْمِهِ ثم نادى بي : لِتَطِبْ نفسُكَ عنها. قلت: أرِني آيةً .فقال:انظرْ الى ذلكَ الضَبِّ فاني واضِعٌ سَهْمي في مَغْرِزِ ذَنبِهِ . فرماه فأنْدَرَ ذَنَبَهُ.فقلتُ:زِدْني. فقال:انظر الى أعلى فَقارهِ. فرماه فأثبَتَ سهمه في الموضع ، ثم قال لي:الثالثة والله في كَبِدِكَ . قال : فقلت شأنكَ بإبلِكَ . فقال : كلا حتى تسوقها الى حيثُ كانت. قال: فلما انتهيت بها قال: فكَبَّرْتُ فيك فلم أجد لي عندك تِرَةً تطالبني بها وما أحْسَبُ الذي حملك على أخذ إبلي إلا الحاجة . قال : قلتُ هو والله ذاك . قال : فاعمِدْ إلى عشرين من خِيارها فخُذْها . فقلت : إذاً والله لا أفعل حتى تَسْمَعَ مَدْحَكَ: واللهِ ما رأيتُ رجلاً أكرَمَ ضيافةً ، ولا أهْدى لسبيلٍ،ولا أرْمى كفّاً، ولا أوْسَعَ صَدْراً ، ولا أرْغبَ جَوْفاً، ولا أكرَمَ عَفواً منك . قال : فاستحيا فَصَرَفَ وجهه عني ثم قال : انصَرِفْ بالقطيع مُبارَكاً لك . فيه قوله : خرادله يعني قِطعَهُ . يقال : ضربه ضرباً خَرْدَلَهُ وتأويله قَطَّعَهُ كما قال: والضَرْبُ يَمْضي بيننا خَرادِلاً .وقوله:أهابوا به يقول: دَعَوْهُ يقال : أبَّه بهِ وأهابَ به أي ناداه . قال القُرَشِيُّ :

أهابَ بأحْزانِ الفُؤاد مُهيبُ وماتَتْ نفوسٌ للهَوى وقُلوبُ

وقوله : ضَوْءُ برقٍ ووابله أراد صَدَّهُ عنهم ضَوْءُ برقٍ ووابِلهُ فأضاف الوابل من المطر الى البرق وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين ، ولا يضاف الشيء الى الشيء إلا وهوغيره أو بعضه ، فالذي هو غيره غلامُ زيدٍ ودارُ عمرٍ، والذي هو بعضه : ثَوْبُ خَزٍّ وخاتمُ حديدٍ . وإنما اضاف الوابل الى البرق وليس هو له كما قلت دار زيد على جهة المجاوَرة وانها راجعان إلى السحابة.وقد يضاف ما كان كذا على السَعَةِ ، كما قال الشاعر :

حتى أنَخْتُ قَلوصي في دِيارِكُمُ بخير من يَحْتَذِي نَعْلاً وحافيها

فأضاف الحافي الى النعل والتقدير حافٍ منها.وقوله: ألم ترني صاحبت صفراء نبْعَةً فالنَبْع خير الشجر للقِسِيِّ . ويقال : أن النَبْعَ والشَوْحَطَ والشِريان شجرةٌ واحدة ، ولكنها تختلف أسماؤها وتكرُمُ وتحْسُنُ بمنابتها،فما كان في

Marfat.com

قلةِ الجبل منها فهو النَبْعُ ، وما كان في سَفْحِهِ فهو الشَوْحَطُ ، وما كان في الحضيض فهو الشِرْيانُ . وقوله : لها رَبَذِيٌ يريد وَتراً شديد الحركة عند دفع يقال : رجل رَبَذُ اليد اذا كان يكثر التحريك ليديه والعَبَث بهما ويوصف به الفرس لكثرة حركة قوائمه . وكان الأصل رَبَذِيّاً لأنه رَبَذٌ ولكن ما كان من فِعْلٍ فنُسِبَ اليه فُتح موضع العين منه استثقالاً لاجتماع ياءي النسَبِ وكسرة اللام لأن ياءي النسب تكسران ما تليانِهِ فلم يَدَعوا مع ذلك العين مكسورة . تقول في النسب إلى النَمِرِ بن قاسِطٍ : نَمَرِيٌ وإلى الحبطاتِ حَبَطِيٌ وإلى شَفِرةَ وهو الحرث بن تميم بن مُرٍّ شَفَرِيٌ ، وفي النسب إلى عَمٍ عَمَوِيٌ يا فتى . وقوله : لم تُفَلَّلْ مَعابِلهُ يريد لم ينكسر حَدُّها من الفُلول . ويروى أن عُرْوَةَ بن الزُبَيْر سأل عبد الملِكِ أن يَرُدَّ عليه سيف أخيه عبد الله بن الزُبير فأخرجه اليه في سيوف مُنتضاةٍ ، فأخذه عروة من بينها . فقال له عبد الملك: بِمَ عَرَفْتَهُ ؟ فقال : بما قال النابغةُ :

ولا عَيْبَ فيهم غيرَ أن سُيوفَهُمْ بِهِنَّ فُلولٌ من قِراع الكتائب

والمِعْبَلةُ واحدة المعابل وهي سهم خفيف . قال عَنْتَرَةُ :

وآخَرَ منهمُ أجْرَرْتُ رُمحي وفي البَجَلِيِّ مِعْبَلةٌ وَقيعُ

باسكان الجيم لا غير (قال أبو الحسن يَحيلة قبيلة من بني الهُجَيْم من اليَمَن).

٢٩ - باب

قال أبو العباس تزوج خالد بن يزيد بن معاوية نساءً هُنَّ أشرَفُ من هُنَّ منه ، منهن : أمُّ كُلْثُومٍ بنت عبدالله بن جَعْفَر بن أبي طالب ، وآمِنَةُ بنت سعيد ابن العاصي بن أُمَيَّةَ ، ورَمْلةُ بنت الزُبَيْرِ بن العَوّام بن خُوَيْلِدِ بن أسد بن عبد العُزّى بن قُصَيٍّ . ففي ذلك يقول بعض الشعراء يُحَرِّضُ عليه عبدالملِكِ :

عَليكَ أميرَ المؤمنين بخالِدٍ ففي خالدٍ عما تُحِبُّ صُدودُ
إذا ما نَظَرْنا في مَناكِحِ خالدٍ عَرَفْنا الذي يَنْوي وأينَ يُريدُ

Marfat.com

فطلّق آمنة بنت سعيد فتزوجها الوليد بن عبدالملك ففي ذلك يقول خالد:

فتاةُ أبوها ذو العصابة وابنُهُ وعُثمانُ ما اكتفاؤُها بكثير
فان تفتلتها والخلافةَ تنقلبْ بأكرمَ عِلقيْ منبرٍ وسريرِ

قوله : أبوها ذو العصابة يعني سعيد بن العاصي بن أميّةَ وذلك أن قومه يذكرون أنه كان اذا اعتمّ لم يعتمّ قرشيٌّ إعظاماً له . ويُنشدون :

أبو أحيحةَ من يعتمّ عمّتَهُ يضرَبْ وإن كان ذا مالٍ وذا عددِ

ويزعم الزُبَيريّون ان هذا البيت باطل موضوع . وقوله: فان نفتلتها يقول نأخذها فجأةً . ومن ذلك قول الشاعر :

منْ يأمنُ الأيامَ بعد صُبَيْره القُرَشيّ ماتا
سبقَتْ منيّتُهُ المشيبَ وكان ميتتُهُ افتلاتا

(صبيرة بالصاد مهملة في الرواية المشهورة بالضاد معجمةً رواية عاصم على الشرط وكسر النون لالتقاء الساكنين . ورواية ابن سراج برفع يأمُ على الاستفهام). وفي الحديث أنّ رجلاً قال: يا رسول الله إن أمّي افتُلِتَتْ أي ماتت فجاءة. ويروى ان آمنةَ لبثَتْ عند الوليدِ ، فلما هلكَ عبدُ الملكِ سعى بها ساعٍ الى الوليد . قال ابو العباس : وبلغني أنها سعتْ بها إحدى ضرّاتها الى الوليد بانها لم تبكِ على عبد الملك كما يبكي نظائرها. فقال لها الوليد في ذلك فقالتْ : صدَقَ القائلُ أكنتُ قائلةً ماذا أقول : يا ليتَهُ كان بقيَ حتى يقتُلَ أخاً لي آخر كعمرو بن سعيد . وفي رملةَ بنت الزُبَيرِ . يقول خالدٌ :

تجولُ خلاخيلُ النساءِ ولا أرى لرملةَ خلخالاً يجولُ ولا قُلبا
فلا تكثروا فيها الملامَ فإنني تخيّرتُها منهم زُبَيريّةً قلبا
أحبُّ بني العوّامِ طرّاً لحبّها ومن أجلها أحببتُ أخوالها كلبا

وزيدَ فيها :

فإن تسلمي أسلمْ وإن تتنصّري يعلّقْ رجالٌ بين أعينهم صُلبا

Marfat.com

ويروى أن عبدالملك ذُكرَ له هذا البيت فقال له يا خالد أترْوي هذا البيت؟ فقال : يا أمير المؤمنين على قائله لعنة الله . وذكر العُتْبيُّ ان الحجّاجَ بن يوسف بن الحَكَمِ الثقفيَّ لما أكرَهَ عبد الله بن جعفرٍ على أن زَوّجهُ ابنته استأجله في نقلها سنة . ففكّرَ عبدُ الله بن جعفر في الانفكاك منه ، فألقِيَ في رُوعِهِ خالد بن يَزيد فكتَبَ اليه يُعلِمُهُ ذلك،وكان الحجاج تزوّجها باذن عبد الملك فورد على خالد كتابه ليلاً ، فاستأذن من ساعته على عبد الملك ، فقيل له : أفي هذا الوقت ؟ فقال : انه أمرٌ لا يُؤَخّرُ . فأعْلِمَ عبدُ الملك بذلك فأذِنَ له ، فلما دخل عليه قال له عبد الملك : فيمَ السُرى يا أبا هاشم؟ قال : أمرٌ جَليلٌ لم آمنْ أن أؤخره فتَحْدُثَ عليَّ حادثةٌ فلا أكون قضَيْتُ حق بَيْعَتِكَ. قال: وما هو ؟ قال : أتعْلَمُ انه ما كان بين حيّينِ من العداوة والبَغْضاء ما كان بين آل الزبير وآل أبي سُفْيان. قال : لا. قال : فانّ تزويجي الى آل الزبير حَلّلَ ما كان لهم في قلبي ، فما أهْلُ بيت أَحبُّ إليَّ منهم. قال : فان ذلك ليَكون. قال:فكيف أذِنْتَ للحجاج أن يتزوج في بني هاشم ،وأنت تعْلمُ ما يقولون ويقال فيهم ، والحجّاج من سلطانك بحيث عَلِمْتَ. قال : فحَزّاهُ خَيْراً وكتب الى الحجاج بعَزْمةٍ أن يطلقها ،فطلقها فغدا الناس عليه يُعَزّونَه عنها فكان فيمن أتاه عمرو بن عُتْبَةَ بن أبي سُفْيان فأوْقَعَ الحجّاجُ بخالد فقال: كان الأمر لآبائه فعَجَزَ عنه حتى انْتُزِعَ منه فقال له عمرو بن عتبة :لا تقُلْ ذا أيها الأمير فان لخالد قديماً سَبَقَ اليه وحديثاً لم يُغْلَبْ عليه ،ولو طلبَ الأمر لطلبه بجَدْرٍ جدٍّ ولكنه عَلِمَ عِلْماً فسَلّمَ العِلْمَ الى أهله. فقال الحجاج: يا آل أبي سفيان انتم تحبون ان تَحْلُموا ولا يكون الحِلْمُ إلا عن غضب فنحن نُغْضِبُكمْ في العاجل ابتغاء مَرْضاتكمْ في الآجلِ . ثم قال الحجّاج: والله لأتزَوّجنّ من هَوَامِسِ به رِحِمٌ ثم لا يُمْكِنُهُ فيه شيء. فتزوج أم الجلاسِ بنت عبدالله بن خالد بن أسيد. أما قوله: ألقي في روعه ،فان العرب تقول: ألْقِيَ في رُوعي وفي قلبي وفي جَحيفي وفي نامُوري كذا وكذا ومعناه كله واحد ، إلا أنّ لهذه الأشياء مواضعَ مختصة. في الحديث عن النبي ﷺ: أنّ رُوحَ القُدُسِ نفَثَ في رُوعي. فالروع والجحيفُ

Marfat.com

غير مختلفين. والعرب تقول: أذهبَ الله قلبَهُ ولا قلب له ، ولا تقول: لاروعَ له فكأنّ الرُوعَ هو متصل بالقلب، وعنه يكون الفهم خاصة . ويقال، رأيته قلبَ الطائر ، ولا يقال : رأيتُ روعَ الطائر. والتامورُ عند العرب بقية النفس عند الموت وبعضهم يُفصحُ عنه فيجعله دم القلب الذي يبقى للانسان ما بقي . يقال: ضمنهُ في تامورِكَ وفي قلبكَ وفي روعِكَ وفي جحيفكَ ،والذماءُ ممدود مثلُ التامور سواءٌ . تقول العرب: ليس في الحيوان أطولُ ذماءً من الضبّ، وذلك أنه يُذبحُ ثم يُطرَحُ في النار بعد أن يُظنّ أنه قد بَرَدَ فربما سعى من النار . وقال رجل لابراهيم بن أدهم : عِظني. فقال: اتخذِ الله صاحباً،وذرِ الناسَ جانباً . وقال سعيد بن المسيّبِ : كنت بين القبر والمنبرِ مفكراً فسمعت قائلاً يقول ولم أرَه: اللهم اني أسألك عملاً بارّاً ورزقاً داراً وعيشاً فاراً. قال سعد : فلزمتهنّ فلم أرَ إلا خيراً . وقال الأصمعيُ : كان من دعاء أبي المحبب : اللهم اجعَلْ خير عملي ما قاربَ أجلي . قال: وكان يقول في دعائه: اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا فنعجزَ ولا الى الناس فنضيع . قال : وحدثني أبو عثمان المازنيُ قال : حدثني أبو زيد قال : وقف علينا أعرابي في حلقة يونس النحوي فقال : الحمد لله كما هو أهلهُ وأعوذ بالله أن أذكرَ به، وأنشاه خرجنا من المدينة ، مدينة رسول الله ﷺ ثلاثين رجلاً ممن أخرجتهُ الحاجة وحملَ على المكروه لا يُمرضون مريضهم ولا يدفنون ميتهم ولا ينتقلون من منزل الى منزل وإن كرهوه ، والله يا قوم لقد جعتُ حتى أكلتُ النوى المحرقَ ، ولقد مشيتُ حتى انتعلتُ الدمَ وحتى خرج من قدميّ بخَصٌ ولحم كثير، أفلا رجلٌ يرحمُ ابن سبيلٍ وقلّ طريقٍ ونِضوَ سفرٍ فانه لا قليلَ من الأجر ولا غِنى عن ثواب الله عزّ وجل ، ولا عملَ بعد الموتِ وهو الذي يقول جلّ ثناؤهُ :من ذا الذي يُقرِضُ الله قرضاً حسناً فيضاعفهُ له ملِيٌ وفيٌ ماجدٌ واجدٌ جوادٌ لا يستقرِضُ من عوَزٍ ولكنه يبلو الأخيارَ. قال: فبلغني انه لم يبرَحْ حتى أخذ ستين ديناراً. قوله: بخَصٌ يريد اللحم الذي يركبُ القدمَ . هذا قول الأصمعي ، وقال غيره : هو لحم يخالِطهُ بياض من فساد يحلُّ فيه .

Marfat.com

ويقال : بَخَصْتُ عينَهُ بالصاد ولا يجوز إلا ذلك . ويقال : بخَسْتُهُ حقَّهُ بالسين إذا ظلمته ونقَصْتَهُ كما قال الله عزّ وجل : ولا تبْخَسوا الناسَ أشْياءَهُم. وفي المثَل . تَحْسِبُها حَمْقاءَ وهي بارِخْصٌ ، ويَدُلُّ على انه اللحم الذي قد خالطه الفساد قولُ الراجز (قال أبو الحسن عليّ بن سليمان الأخفش : الراجز هو أبو شُراعَةَ) :

يا قَدَمَيْ لا أرى لي مَخْلَصا مما أراهُ أو تعُودا بَخَصا

وقوله : قَلَّ فالفَلُّ في أكثر كلامهم المنهزم الذاهب ، وفي خبر كعْب بن مَعْدانَ الأشعري (الأشْقَريُّ بالقاف لا غير) أنا آثرنا الحدَّ على الفَلِّ يعني مجاهدتهم عَبْدَ رَبِّهِ الصَغيرَ لأنه كان مُقْبِلاً على حربهم وتَركهم قَطَرِيّاً لأنه كان منهزماً وفي حديث الحجاج بن عِلاطٍ السُلَمِيّ ، وكان قد أسلم ولم تعلم قريش باسلامه ، فاستأذن رسول الله ﷺ يوم خَيْبرَ في ان يصير الى مكة فيأخذ ما كان له من مال ، وكانت له هناك أموال متفرقة وهو رجل غريب بينهم ، إنما هو أَحَدُ بَني سُلَيمِ بن منصور ، ثم أحد بني بَهْزٍ ، فأذِنَ له رسولُ الله ﷺ فقال : يا رسول الله اني احتاج ان أقول . قال : فقُلْ . قال أبو العباس: وهذا كلام حسن ومعنى حسن يقول : أقول على جهة الاحتيال غير الحَقّ . فأذن له رسول الله ﷺ لأنه من باب الحيلة وليس هو من باب الفساد ، وأكثر ما يقال في هذا المعنى تَقَوَّلَ كما قال الله عزّ وجل : أم يقولون تَقَوَّلَهُ . فصار الى مكة ، فقالت قريش : هذا لعمر الله عنده الخبر قال: فقولوا . فقالوا: بلغنا أن القاطع قد خرج الى أهل خيبر . فقال الحجاج : نعمْ . فقتلوا أصحابه قتلاً لم يُسْمَعْ بمثله وأخذوه أسيرا وقالوا : نَرى أن نُكارِمَ به قريشاً فندْفعَهُ اليهم فلا تزال لنا هذه اليد في رِقابِهِمْ وإنما بادَرْتُ لجمع مالي لَعَلي أصيبُ به قَلَّ محمدٍ وأصحابه قبل ان يَسْبِقَني اليه التجارُ ويتصل بهم الحديثُ . قال : فاجتهدوا في ان جمعوا اليّ مالي أسْرَعَ جَمْعٍ وسُرُّوا أكثر السُرورِ وقالوا . بلا رَغْمٍ . وأتاني العباس وهو كالمرأة الوالِهِ فقال : وَيْحَكَ يا حجاج ما تقول ؟ قال : فقلتُ : أكاتِمٌ انت عليّ خَبَري . فقال : اي والله . قال : فقلتُ فالبَثْ عليّ شيئاً حتى يَخِفَّ

Marfat.com

مَوْضعي قال فسرتُ اليه فقلت: الخبرُ واللهِ على خلاف ما قلتُ لهم خَلَّفْتُ رسولَ الله ﷺ وقد فتَحَ خَيْبرَ وخلَّفْتُهُ والله مُعْرِساً بابنة مَلِكِهِمْ وما جئتُكَ إلا مُسلماً فاطْوِ الخبر ثلاثاً حتى اعْجِزَ القومَ ثم أَشِمْهُ فانه والله الحق. فقال العباس : وَيحَكَ أَحقٌّ ما تقولُ . قلتُ : اي واللهِ . قال : فلما كان بعد ثلاثة تَخَلَّقَ العباسُ وأَخذَ عصاه وخرج يطوف بالبيت. قال : فقالت قريش: يا ابا الفضل هذا والله التَّجَلُّدُ لحرّ المصيبة . فقال : كلا ومَنْ حَلَفْتُمْ به لقد فتحها رسول الله ﷺ وأعْرَسَ بابنة ملكهم . فقالوا : مَنْ اتاك بهذا الحديث؟ فقال: الذي أتاكم بخلافه ولقد جاءنا مُسْلماً ثم أتت الأخبارُ من النواحي بذلك. فقالوا : أفْنَدَنا الخبيثُ اولى له . واصل الفَلّ مأخوذ من فَلَلْتُ الحديدة اذا كسرتَ حدّها والنضْوُ البالي المجهود . ويقال : ناقة نِضْوٌ اذا جَهَّدَها السيرُ وجمعه انضاءٌ ، وفلان نِضْوٌ من المرض . وقوله : لا يستقرض من عَوَزٍ فالعَوَزُ تعذُّرُ المطلوبِ . يقال : اعْوَزَ فلان فهو مُعْوِزٌ اذا لم يجد، والمعاوزُ في غير هذا الموضع الثياب التي تُبْتَذَلُ ليُصانَ بها غيرها . وقوله : ولكن ليبلو الأخيار . يقال : الله يَبْلوهم ويبتليهم ويختبرهم في معنى، وتأويله يمتحنهم وهو العالم عزّ وجل بما يكون كعلمه بما كان . قال الله جل ثناؤه : لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكم احْسَنُ عملاً. قال: وحدثني ابو عثمان المازني قال: رأيت أبا فرعون العَدَوِيّ ومعه ابنتاه وهو في سكة العطّارين بالبصرة يقول .

بُنَيَّتَيَّ صابِرا اباكما انكما بعَيْن مَنْ يَراكما
الله رَبّي سَيِّدي مولاكما ولو يشاءُ عَنْهُمُ اغْناكما

وكان ابو فرعون وهو من بني عَدِيّ الرباب بن عبد مَنَاةَ بن ادّ ، وقال اليزيدي : هو مولاهم ، وكان فصيحاً. وقَدِمَ قوم من الأعْرابِ البصرة من اهله فقيل له : تَعَرَّضْ لمعروفهم ، فقال :

وَلَسْتُ بسائلِ الأعْرابِ شيئا حَمِدْتُ اللهَ اذْ لمْ يأكلوني

وروى الأسدي انه افتقر رجل من الصّيارفة باطّلاحِ الناسِ في أخذ أموالهم التي كانت لديْهِ ، وتَعَذُّرِ امواله التي كانت له عند الناس ، فسأل جماعةً من

Marfat.com

الجيران أن يسيروا معه إلى رجل من قريش كان موسِراً من أولاد أجوادهم ليَسُدَّ من خَلَّتِهِ ، فساروا اليه فجلسوا في الصَحْنِ ، فخرج اليهم يَخْطُرُ بقَضيبٍ في يده حتى أتى وِسادةً فجلس عليها، فذكروا حاجتهم وخَلَّةَ صاحبهم مع قديم نعمته وقريب جِوارِهِ ، فخَطَرَ بالقضيب ، ثم قال مُتَمَثِّلاً الشعر لنُصَيْبٍ وقيل لكُثَيِّرٍ والأول أثبت) :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليك عَطاءَهُ صَنيعةُ تَقْوى أو صَديقٌ تُوامِقُهْ
بَخِلْتَ وبَعْضُ البُخْلِ حَزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يَفْتَلِذْكَ المالَ إلا حَقائِقُهْ

ثم أقبل على القوم فقال: إنا والله ما نَجْمُدُ عن الحق ولا نَتَدَفَّقُ في الباطل وإنَّ لنا لَحقوقاً تَشْغَلُ فُضولَ أموالنا ، وما كلُّ مَن أفْلَسَ من الصَيارفة احْتَلْنا لَجَبْرِهِ ، قوموا رحمكم الله . قال : فابْتَدَرَ القومُ الأبواب . قوله : فلم يفتلذك المال يقول : لم يَقْتَطِعْ منك . يقال : فَلَذَ له من العطاء أي قَطَعَ له . وقال رسول الله ﷺ يوم بَدْر ، حين قال الغلامان في القوم عُتْبَةُ بن رَبيعة وشَيْبَةُ بن ربيعةَ وأبو الحَكَمِ بن هِشامٍ وأُمَيَّةُ بن خَلَف وفلان وفلان ، فقال رسول الله ﷺ : هذه مكة أَلْقَتْ اليكم أفْلاذَ كَبِدِها. وقال أبو قُحافة أعْشى باهِلَةَ ، يعني المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهِليَّ :

تَكْنُفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بها من الشِّواءِ ويَكْفي شُرْبَهُ الغُمَرُ

قال عبد المَلِكِ بن عُمَيْر : استعمل عُتْبَةُ بن أبي سفيان رجلاً من آله على الطائف فظَلَمَ رجلاً من أزْدِ شَنوءةَ ، فأتى الأزْدِيُّ عُتْبَةَ فمَثَلَ بين يديه ، فقال :

أَمَرْتَ مَن كان مظلوماً لِيَأْتِيَكُمْ فقد أتاكم غَريبُ الدارِ مَظْلومُ

ثم ذكر ظُلامته ، فقال له عتبة: إني أراك أعرابياً جافياً، والله ما أحْسِبُكَ تدْري كم تصلي في كل يوم وليلة . فقال : أرأيتَ إنْ أنبأتُكَ ذلك ، أتجعل لي عليكَ مسئلة ؟ قال : نعم . فقال الأعرابي :

Marfat.com

إنّ الصلاةَ أربَعٌ وأربَعُ ثم ثــلاثٌ بعدهنّ أربعُ
ثم صَلاةُ الفَجْرِ لا تُضَيَّعُ

فقال : صدقتَ فاسْئل. فقال : كم فَقارُ ظَهْرِكَ ؟ فقال: لا أدري. فقال: أفتَحْكُمُ بين الناس وأنت تَجْهَلُ هذا من نفسك؟ قال: رُدُّوا عليه غَنَيْمَتَهُ. قوله : فَقار إنما هو جمع فَقارةٍ ، ويقال : فِقْرَةٌ فمن قال في الواحد فِقْرةٌ قال في الجميع فِقَرٌ ، كقولك : كِسْرَةٌ وكِسَرٌ. ومن قال للواحدة فقارة قال للجميع فَقارٌ ، كقولك : دجاجةٌ ودَجاجٌ وحَمامةٌ وحَمامٌ . وشهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه . فقال له معاوية : كذَبْتَ . فقال الأعْرابي: الكاذب والله مُتزَمِّلٌ في ثيابك . فقال معاوية وتبَسَّم . هذا جزاءُ مَن عَجِلَ . قال أبو العباس: قرأت على عبدالله بن محمد المعروف بالتَّوَّزِيّ عن أبي عُبَيْدَةَ مَعْمَر ابن المُثَنَّى التَّيْمِيّ قال : كانت السواقِطُ تَرِدُ اليَمامَةَ في الأشهر الحُرُم لطلب التمر فإن وافقتْ ذلك وإلا أقامتْ بالبلد الى أوانه ، ثم تخرج منه في شهر حَرامٍ ، فكان الرجل منهم اذا قَدِمَ يأتي رجلاً من بني حَنيفة ، وهم أهل اليمامة ، أعني بني حَنيفة بن لُجَيْمِ بن صَعْب بن علي بن بَكر بن وائِلِ بن قاسِطِ بن هِنْبِ بن أفْصَى بن دُعمِيّ بن أَسد بن رَبيعة بن نِزارٍ فيَكْتُبُ له على سَهْم أو غيره فلان جارُ فلان ، والسواقط مَن وَرَدَ اليمامة من غير أهلها ، وقد كان النُعْمان بن المُنْذِرِ أراد أن يُجْلِيَهُم منها فأجارهم مُرارةُ بن مُسْلِيّ الحَنَفيّ ثم أحد بني ثَعْلَبَةَ بن الدُوَلِ بن حَنيفة فسوَّغَه المِلكُ ذلك ، فقال أوْسُ ابن حَجَرٍ يَحُضُّ النُعْمان عليه :

زَعَمَ ابن مُسْلِيّ مُرارةُ أنه مَوْلى السواقِطِ دون آل المُنْذِرِ
مَنَعَ اليمامةَ حِزْنَها وسُهولها من كل ذي تاج كريمِ المفْخَرِ

وذكر أبو عبيدة أن رجلاً من السواقط من بني أبي بكر بن كلابٍ قَدِمَ اليمامة ومعه أخ له ، فكتَبَ له عُمَيْرُ بن مُسْلِيّ أنه له جار. وكان أخو هذا الكِلابي جميلاً فقال له قرينٌ أخو عمير : لا تَرِدَنّ أبياتنا بأخيك هذا . فرآه بَعدُ بين أبياتهم فقتله . قال أبو عبيدة : وأما المولى فذُكِرَ ان قريناً أخا عُمَيْرٍ كان

Marfat.com

يتحدث إلى امرأة أخي الكلابي فعثر عليه زوجها فخافه قرينٌ عليها فقتله وكان عمير غائباً فأتى الكلابيُّ قبر مُسلميٍّ أبي عمير وقرينٍ فاستجار به وقال (قال أبو الحسن الأخفش: قال أبو العباس: قرينٌ ووجدته بخط دماذ صاحبِ أبي عبيدة قرَيْنٌ) :

وإذا استَجَرْتَ من اليمامة فاستَجِرْ ... زَيْدَ بن يَرْبوعٍ وآلَ مُجَمِّعِ
وأتيتُ مُسْلِمِيًّا فعُذْتُ بقبره ... وأخو الزمانة عائذٌ بالأمْنَعِ
أقرينْ إنكَ لو رأيتَ فوارسي ... بمَجايَتَيْنِ إلى جوانب ضَلْفَعِ
حدَّثْتَ نفسكَ بالوفاء ولم تكنْ ... للغَدْرِ خائنةً مُغِلَّ الإصْبَعِ

فلجأ قرينٌ إلى قتادة بن مَسْلَمة بن عُبَيْد بن يَرْبوع بن ثَعْلَبة بن الدُّول بن حنيفة فحمل قتادةُ إلى الكلابي دِياتٍ مُضاعَفةً ، وفعلتْ وُجوهُ بني حَنيفةَ مثل ذلك، فأبى الكلابيُّ أن يَقْبلَ ، فلما قدِمَ عمير قالت له أمُّه، وهي أم قرين : لا تَقْتُلْ أخاك وسُقْ الى الكلابي جميع ماله. فأبى الكلابيُّ أن يقبل وقد لجأ قرينٌ إلى خاله السَمينِ بن عبد الله فلم يَمْنَعْ عميراً منه فأخذه عُمَيْرٌ ، فمضى به حتى قطعَ الوادي فرَبَطهُ إلى نخلة . وقال للكلابي : أما إذا أبَيْتَ إلا قتله فأمْهِلْ حتى أقطعَ الوادي وارْتحِلَ عن جِواري فلا خير لك فيه . فقتله الكلابي . ففي ذلك يقول عمير :

قتَلْتنا أخاناً للوَفاء بجارنا ... وكان أبونا قد يُجيرُ مَقابِرُهْ

وقالت أم عمير :

تعُدُّ مَعاذِراً لا عُذْرَ فيها ... ومَنْ يَقْتُلْ أخاه فقد ألاما

قوله: ولم تكن للغدر خائنةً ولم يقل خائناً، فإنما وضع هذا في موضع المصدر والتقدير ولم تكن ذا خيانة. وقوله : للغدر أي من أجل الغدر. وقال المفسّرون والنحويون في قوله الله عزّ وجل: إنه لِحُبِّ الخيرِ لشديدٌ، أي لشديدٌ من أجل حب الخير، والخير ههنا المال من قوله تعالى: إنْ تَرَكَ خيراً الوَصيّةُ . وقوله : لشديدٌ أي لبخيل والتقدير والله أعلم انه لبخيل من أجل حبه للمال، تقول العرب: فلان شديد ومُتَشَدِّدٌ أي بخيل . قال طَرَفةُ :

Marfat.com

أرى الموتَ يَعْتامُ الكِرامَ ويَصْطفي عَقيلةَ مال الفاحِشِ المُتَشَدِّد

وقلَّما يجيء المصدر على فاعِلٍ فما جاء على وزن فاعِلٍ قولهم: عُوفِيَ عافيةً وفُلِجَ فالِجاً وقُمْ قائماً أي قُمْ قِياماً وكما قال: ولا خارِجاً من فيِّ زورُ كلامِ، أي ولا يَخْرُجُ خروجاً وقد مضى تفسير هذا. والمُغِلُّ الذي عنده غُلولٌ وهو ما يُخْتانُ ويُخْتَجَنُ ويُستعمل مستعاراً في غير المال. يقال: غَلَّ يَغُلُّ كقول الله عزّ وجل: ومَن يَغْلُلْ يأتِ بما غَلَّ يومَ القيامةِ. ويقال: أغَلَّ فهو مُغِلٌّ إذا صودِفَ يَغُلُّ أو نُسِبَ اليه، ومن قرأ: وما كان لنبي أن يَغُلَّ، فتأويله أن يأخذ ويَستأثر. ومن قرأ: يُغَلَّ، فتأويله على ضربين يكون أن يقال ذلك فيه، ويكون وهو الذي نختار أن يُخَوَّنَ، فان قال قائل: كيف يكون التقدير وقد قال: ما كان لنبي أن يُغَلَّ فيُغَلَّ لغيره، وانت لا تقول: ما كان لزيد أن يقومَ عمروٌ فالجواب أنه في التقدير على معنى ما ينبغي لنبيٍّ أن يُخَوَّنَ، كما قال وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذن الله ولو قلت: ما كان لزيدٍ أن يقومَ عمروٌ اليه لكان جيِّداً للراجع اليه وكان جيداً على تقديرك ما كان زيدٌ ليقومَ عمروٌ اليه كما قلنا في الآية. والإصْبَعُ أفصح ما يقال. وقد يقال: أصْبَعٌ وإصْبِعٌ وأُصْبُعٌ وموضعها ههنا موضع اليد. يقال: لفلان عليك يَدٌ ولفلان عليك إصْبَعٌ وكلٌّ جَيِّدٌ وإنما يَعْني ههنا النعمة. وأما قوله: قتلنا أخانا للوفاء بجارنا، فيكون على ضربين أحدهما ان يكون فَخَّمَ نفسه وعظمها فذكرها باللفظ الذي يُذْكَرُ الجميع به، والعرب تفعل هذا ويُعَدُّ كِبْراً ولا ينبغي على حكم الاسلام أن يكون هذا مستعمَلاً إلا عن الله عزّ وجل لأنه ذو الكِبْرياءِ كما قال الله تبارك وتعالى: إنا انزَلْناهُ في ليلةِ القَدْرِ وإنا أوْحَيْنا اليكَ. وكل صفات الله أعلى الصفاتِ وأجلُّها فما استُعْمِلَ في المخلوقين على تلك الألفاظ وإن خالفتْ في الحكم فحَسَن جميل كقولك: فلان عالم وفلان قادر وفلان رحيم وفلان وَدودٌ الا ما وصفنا قَبْلُ من ذكر التَكَبُّرِ، فإنك إذا قلت فلان جَبّار أو متكبر كان عليه عيباً ونقصاً وذلك لمخالفة هاتين الصِفتين الحق وبُعْدِهما من الصواب لأنهما للمُبْدِئِ المُعيدِ الخالقِ البارئِ، ولا يليق ذلك بمن تكسره الجوْعةُ وتُطْفِيهِ الشَبْعةُ وتَنْقُصُهُ

Marfat.com

اللحْظةُ وهو في كل أموره مُدبِرٌ . وأما القول الآخر في البيت وهو قتلنا أخانا فمعناه أنه له ولمن شايَعَهُ من عَشيرته . وأما قولها : ومن يقتل أخاه فقد ألاما تقول : أتى ما يُلامُ عليه . يقال : ألامَ الرجلُ إذا تعَرَّضَ لأنْ يُلامَ

٣٠ - باب

قال أبو العباس : أنشدني السَّعْدِيُّ أبو مُحَلِّمٍ :

إنّا سألْنا قَوْمَنا فَخِيارَهُمْ ... مَن كان أفضَلَهُمْ أبوه الأوّلُ
أعْطى الذي أعْطى أبوه قَبْلَهُ ... وتَبَخَّلَتْ أبناءُ مَن يَتَبَخَّلُ

وأنشدني أيضاً :

لَطَلْحَةُ بنُ حَبيبٍ حين تَسْأله ... أنْدى وأكرَمُ من فِنْدِ بن هِطالِ
وبيتُ طَلحةَ في عِزٍّ ومَكْرُمةٍ ... وبيتُ فِنْدٍ الى رِبْقٍ وأجْمالِ
ألا فتىً من بني ذُبْيانَ يَحْمِلُني ... وليس يَحْمِلُني إلا ابنُ حَمّالِ
فقلتُ طَلْحةُ أوْلى من عَمَدْتُ له ... وجئت أمْشي اليه مَشْيَ مُختالِ
مُسْتَيْقِناً انّ حَبْلي سوف يُعْلِقُهُ ... في رأس ذَيّالةٍ او رأس ذَيّالِ

قوله : إلى ربق واجمال، إنما اراد جمع جَمَلٍ على القياس كما تقول في جميع باب فَعَلٍ : جَمَلٌ واجْمالٌ وصَنَمٌ واصنامٌ . وقوله : ألا فتى من بني ذبيان يحملني يعني ذُبْيانَ بن بَغيضِ بن رَيْثِ بن غَطَفان بن سَعْدِ بن قَيْسِ بن عَيْلانَ بن مُضَرَ . وانشد بعضهم : وليس حامِلُني الا ابنُ حَمّالِ ، وهذا لا يجوز في الكلام لأنه إذا نُوِّنَ الاسمُ لم يتصل به المضمر لان المضمر لا يقوم بنفسه فإنما يقع معاقِباً للتنوين. تقول : هذا ضاربٌ زيداً غداً ، وهذا ضاربُكَ غداً، ولا يقع التنوين ههنا، لأنه لو وقع لانفصل المضمر وعلى هذاقول الله تعالى : إنّا مُنَجُّوكَ وأهْلَكَ . وقد رَوَى سيبويه ببيتين محمولين على الضرورة وكلاهما مصنوع وليس احد من النحويين المُفَتِّشينَ يُجيزُ مثل هذا في الضرورة لما ذكرتُ من انفصال الكناية . والبيتان اللذان رواهما سيبويه :

Marfat.com

هُمُ القائلونَ الخيرَ والآمرُونَهْ إذا ما خشوا يَوْماً من الأمرِ مُعْظَما

وأنشد :

ولم يَرَ تفِقٌ والنابِحُ المُحْتَضِرونهُ جَميعاً وأيْدي المُعْتَفين رَواهِقُهْ

وإنما جاز ان تُبَيِّنَ الحركةَ إذا وَقفْتَ في نون الاثنين والجميع لأنه لا يلتبس بالمضمر . تقول : هما رَحْلانِهْ وهم ضاربونَهْ إذا وقفتَ لأنه لا يلتبس بالمضمر إذ كان لا يقع هذا الموقع ، ولا يجوز ان تقول : ضربتُه وانت تريد ضربْتُ والهاء لبيان الحركة ، لان المفعول يقع في هذا الموضع فيكون لَبْساً . فأما قولهم : إرْمِهِ واغْزُهْ فتُلْحِقُ الهاءَ لبيان الحركة ، فانما جاز ذلك لِما حُذِفْتَ من اصل الفعل ولا يكون في غير المحذوف . وقوله : في رأس ذيالة ، يعني فرساً انثى او حصاناً . والذيّالُ الطويل الذَنَبِ ، وإنما يُحْمَدُ منه طول شعر الذَنَب وقِصَرُ العَسيبِ ، واما الطويلُ العسيبِ فمذموم . ويقال ذلك للثوْرِ ايضاً اعني ذيالاً . قال امْرُؤُ القَيسِ :

فجالَ الصُوارُ واتَّقَينَ بقَرْهَبٍ * طَويلِ القَراوالرَوْقِ اخْنَسَ ذَيّال

ويقال ايضاً للرجل ذَيّال إذا كان يَجُرُّ ذَيْلَهُ اختيالاً . ويقال له : فَضْفاضٌ في ذلك المعنى . ويروى عن عمر بن عبد العزيز انه قال لمُؤَدِّبِهِ : كيف كانت طاعتي إياك وانت تُؤَدِّبُني ؟ فقال : احْسَنَ طاعةٍ قال فأطِعْني الآن كما كنتُ أُطيعُكَ إذْ ذاك ، خُذْ من شارِبِكَ حتى تَبْدو شَفَتاكَ ومن ثوبك حتى تَبدُوَ عَقِباكَ . وقال رسول الله ﷺ : فَضْلُ الإزارِ في النار . وقال آخر :

مالِدَدٍ مالِدَدٍ مالَهُ يَبكي وَقَدْ أنعَمْتُ ما بالَهُ
ما لي أَراهُ سُطِرِقاً سامِياً ذا سِنَةٍ يُوعِدُ أخواله
وذاكَ منه خُلُقٌ عادَهْ ان يَفعَلَ الأمرَ الذي قالهُ
انَّ ابن بَيضاءَ وتَرْكَ النَدى كالعَبْدِ إذْ قَيْدَ أجماله
آليتُ لا أدْفِنُ قَتْلاكُمُ فدَخِّنوا المرءَ وسِرْباله

* الصوار : ذكر بقر الوحش . قرهب : الثور الضخم . القرا : الظهر . الروق : القرن . اخنس : قصير الأنف .

Marfat.com

والدِرْعُ لا أبْغي بها نَـثْرةً كلُّ امرىءٍ مُسْتَوْدَعٌ ما لهُ
والرُمْحُ لا املأُ كفّي به واللِبْدُ لا أتْبَعُ تَزْواله

قوله: ما لدد يعني رجلاً، ودَدٌ في الأصل هو اللَهْوُ. قال رسول الله ﷺ: لست من دَدٍ ولا دَدٌ مني. وقد يكون في غير هذا الموضع مأخوذاً من العادة. وهذه اللام الخافضة تكون مكسورة مع الظاهر ومفتوحة مع المضمر، والفتح اصلها ولكن كُسِرَتْ مع الظاهر خوف اللَبْسِ بلام الخبر. تقول: إنَّ هذا لِزَيْدٍ فيُعْلَمُ انه شيء في ملك زيد. فان قلتَ ان هذا لزَيْد في الوقف عُلِمَ قبل الإدْراج انه زَيْدٌ، ولو فتحتَ المكسورة لم يُعْلَمَ المِلكُ من المعنى الآخر في الوقف، واما المضمر فَبَيِّنٌ فيه لأن علامة المخفوض غير علامة المرفوع. تقول: ان هذا لكَ وانَّ هذا لأنتَ. وقوله: وقد انعمتُ ما باله فما زائدة والبالُ ههنا الحال، وللبال موضع آخر وحقيقته الفِكرُ. تقول: ما خطر هذا على بالي. وقوله: مطرقاً ساميا فالسامي الرافع رأسه. يقال: سَما يَسْمو اذا ارتفع، والمُطْرِقُ الساكتُ المُفَكِّرُ المُنَكِّسُ رأسَهُ فإنما أراد ساميا بنفسه. وقوله: ذا سَنَةٍ يقول: كأنه لطولِ إطْراقه في نَعْسَةٍ. وقوله: كالعبد اذ قَيَّدَ أجماله يريد أنه غير مُكْتَسِبٍ لاكتساب المجْدِ والفضل، وذلك ان العبد الراعي اذا قَيَّدَ أجماله لفَّ رأسه ونام حَجْرَةً. وهذا شبيه بقوله: واقْعُدْ فإنَّكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسي. وقوله: فدخّنوا المرء وسرباله يروي أنه طَعَنَ فارساً منهم فأحْدَثَ فقال: نَظِّفوهُ فإني لا أدْفِنُ القتيلَ منكم إلا طاهراً. وقوله: والدرع لا ابغي بها نثرة، فالنَثْرةُ الدِرْعُ السابغة. يقول: دِرْعي هذه تكفيني. وقوله: كل امرىء مُسْتَوْدَعٌ ما لهُ اي مُسْتَرْهَنٌ بأَجَلِهِ وهو كقول الأعشى:

كُنْتَ المُقَدَّمَ غيرَ لابِسِ جُنَّةٍ بالسَيْفِ تَضْرِبُ مُعْضِلاً أبطالها
وعَلِمْتُ انَّ النفسَ تَلْقى حَتْفَها ما كان خالقُها الفَضيلُ قَضَى لها

وقوله: الرمح لا أملأ كفي به يُتأوّلُ على وجهين احدهما انَّ الرمح لا يملأ

Marfat.com

كفي وحده انا أُقاتل بالسيف وبالرُمْحِ وبالقَوْس وغير ذلك ، والقول الآخر: اني لا أملأ كفي به انما اختَلِسْ به اختِلاساً كما قال الشاعر :

وُمدَجَّجٍ سَبَقَتْ يَداي لهُ تَحْتَ الغُبارِ بطَعْنَةٍ خَلْسِ

وقوله : واللبد لا أتبع تَزْواله ، يقول: ان انْحَلَّ الحِزام فمال اللبد لم أمِلْ معه اي انا فارسٌ ثَبْتٌ . وقال الفَرزْدَقُ ونزل به ذِئْبٌ فأضافه :

وأَطْلَسَ عَسَّالٍ وما كان صاحباً رَفَعْتُ لناري مَوْهِناً فأتاني
فلمَّا دنا قلتُ ادْنُ دونَكَ إنني وإيّاكَ في زادي لَمُشْتَرِكانِ
فبِتُّ أُقِدُّ الزادَ بيني وبينهُ على ضَوْءِ نارٍ مَرَّةً ودُخانِ
وقلتُ له لما تكَشَّرَ ضاحِكاً وقائِمُ سَيْفي من يَدي بمَكانِ
تَعَشَّ فإنْ عاهَدْتَني لا تَخُونُني نَكُنْ مثلَ مَنْ ياذِئْبُ يَصطحِبانِ
وانتَ امْرُؤٌ يا ذِئْبُ والغدرُ كُنْتُما أَخَيْنِ كانا أُرْضِعا بلِبانِ
ولو غيرَنا نَبَّهْتَ تَلْتَمِسُ القِرى رماكَ بسَهْمٍ او شَباةِ سِنانِ

وقوله : واسلسَ عسّالٍ فالأطْلَسُ الأغْبَرُ. وحدّثني مسعود بن بِشْرٍ قال : أنشدني طاهر بن عليٍّ الهاشمي قال : سمعت عبدالله بن طاهر بن الحسين ينشد في صفة الذئب :

بَهْمُ بني مُحارِبٍ مُذْ دارُهُ أَطْلَسُ يُخْفي شَخْصَهُ غُبارُهُ
في شِدْقِهِ شَفْرَتُهُ وثارُهُ

قوله : يخفي شخصه غباره يقول : هو في لون الغبار فليس يُتَبَيَّنُ فيه . وقوله: عَسّال فانما نسبه إلى مِشْيَتِهِ. يقال: مَرَّ الذئبُ يَعْسِلُ وهو مَشْيٌ خفيف كالهَرْوَلَةِ . قال الشاعر (هو ساعِدَةُ) يَصفُ رمحاً :

لَدْنٌ بِهَزِّ الكَفِّ يَعْسِلُ مَتْنُهُ فيه كما عَسَلَ الطريقَ الثَعْلَبُ

وقال لَبيدٌ :

عَسَلانَ الذئبِ أمْسى قارِباً بَرَدَ اللَيلُ عليه فَنَسَلْ

قال ابو عُبيدة : نَسَلَ في معنى عَسَلَ . وقال الله عزّ : فاذا هُمْ من

Marfat.com

الأجْداثِ إلى ربهم يَنسلونَ . وَخفَضَ بهذه الواو لانها في معنى رُبَّ ، وانما جاز أن يُخْفَضَ بها لوقوعها في معنى رب لانها حرف خفض ، وهي اعني الواو تكون بدلاً من الباءفي القسَم لان مَخْرجها من مخرَجَ الباءمن الشَفَةِ . فاذا قلت : واللهِ لَأفْعَلَنَّ . فمعناه أُقسِمُ بالله لافعلنّ ، فان حذفتها ، قلت : الله لَافعلنّ لان الفعل يقع على الاسم فينصبه ، والمعنى معنى الباء . كما قال عز وجل : واختارَ موسى قَوْمَهُ سَبْعينَ رجلاً لِميقاتِنا،وَصلَ الفعلُ فعَمِلَ ، والمعنى معنى مِن،لأنها للتبعيض. فقد صارت الواو تَعْمَلُ بلفظها عَمَلَ الباء،وتكون في معناها وتعمل عمل رب لاجتماعهما في المعنى للاشتراك في المخْرَج . وقوله : رفعتُ لناري من المقلوب ، انما أراد رَفَعْتُ له ناري . والكلام اذا لم يَدْخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار . قال الله عز وجل : وآتيناه من الكنُوز ما إنّ مَفاتِحَهُ لتَنوءُ بالعُصْبةِ أولي القُوّةِ ، والعصبةُ تَنوءُ بالمفاتيح ،أي تستقل بها في ثِقْلٍ . ومن كلام العرب : ان فلانة لتنوء بها عَجيزتُها . والمعنى لَتَنوءُ بعجيزتها . وأنشد أبو عبيدة للأخْطلِ :

أمّا كُلَيْبُ بن يَرْبوعٍ فليس لها عند التَفاخُرِ ايرادٌ ولا صَدَرُ
يُخَلّفونَ ويَقْضي الناسُ أمرَهُمُ وهُم بعَيْبٍ وفي عَمْياءَ ما شَعَروا
مِثلُ القَنافِذِ هدّاجونَ قد بَلَغَتْ نَجْرانُ أو بَلَغَتْ سَوآتِهِم هَجَرُ

فجعل الفعل للبلدتين على السَعَةِ . ويروى أن يونس بن حَبيبٍ قال لأبي الحسن الكسائي : كيف تُنشِدُ بيت الفَرَزْدَقِ ؟ فأنشده :

غَداةَ أَحلّتْ لابن أصْرَمَ طَعْنَةٌ حُصَيْنٍ عَبيطاتِ السَدائِفِ والخَمْرُ

فقال الكسائي لماقال:غداةأحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف تمّ الكلام ، فحَمَلَ الخمر على المعنى ، أراد وحَلّتْ له الخمرُ . فقال له يونس: ما أحْسَنَ ما قلتَ ، ولكن الفرزدق أنشَدَنيهِ على القَلبِ ، فنصب الطعنةَ ورفع العبيطاتِ والخمرَ على ما وصفنا من القَلب، والذي ذهب اليه الكسائي ، أحسن في مَحْضِ العربية وان كان انشاد الفرزدق جَيّداً . وقوله : فلما دنا

Marfat.com

قلتُ ادنُ دونك ، أمر بعد أمر وحَسُنَ ذلك: لان قوله ادْنُ للتقريب . وفي قوله دونك أمره بالاكل ، كما قال جَرير لعَيَّاشِ بن الزِبرِقانِ :

أعيّاشُ قد ذاق القُيونُ مَواسِمي وأوْقَدْتُ ناري فادْنُ دونك فاصْطَلِ

(جمع مِيسَمٍ وهو حديدة يَصْنَعُ بها البَيْطارُ) . وقوله : على ضوء نارٍ مرة ودخانٍ ، يكون على وجهين أحدهما على ضوءِ نارٍ وعلى دخانٍ أي على هاتين الحالتين ارتفعت النار أو خَبَتْ وجائز ان يَعْطِفَ الدخان على النار وان لم يكن للدخان ضِياءٌ ، ولكن للاشتراك كما قال الشاعر :

يا لَيْتَ زَوْجَكِ قد غَدا مُتَقَلِّداً سَيْفاً ورُمْحا

لأن معناها الحَمْلُ ، وكما قال : شَرّابُ أَلْبانٍ وتَمْرٍ وأَقِطْ فأدْخَلَ التمر في المشروب لاشتراك المأكول والمشروب في الخُلوقِ . وهذه الآية تُحْمَلُ على هذا : يُرْسَلُ عليكما شُواظٌ من نارٍ ونُحاسٍ ، والشُواظُ اللهَبُ لا دخان له. والنُحاسُ الدخان ، وهو معطوف على النار وهي مخفوضة بالشواظ لِما ذَكرتُ لك قال النابغةُ الجَعْدِيُّ :

تُضيءُ كَمِثْلِ سِراجِ الذُبا لِ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ فيه نُحاسا

اي دخاناً . قوله : نكن مثل من يا ذئب يصطحبان (مَنْ يجوز أن يكون نكرة موصوفة ، تقديره مثل اثنين يصطحبان ، وأن يكون بمعنى الذي يصطحبان صلته) . فمَن تقع للواحد والاثنين والجميع والمؤنث على لفظ واحد فان شئت حَمَلتَ خبرها على لفظها . فقلتَ : مَن في الدار يُحِبُّكَ ؟ عَنَيْتَ جميعاً أو اثنين او واحدا ومؤنثاً ، وان شئت حَمَلتَهُ على المعنى فقلت: يُحِبّانِكَ وتُحِبُّكَ اذا عَنَيْتَ امرأة ، ويُحِبُّونَكَ اذا عنيت جميعاً ، كل ذلك جائز جيد . قال الله عز وجل : ومنهم مَنْ يُؤمِنُ به ، ومنهم مَن لا يؤمن به ، ومنهم مَن يقول ائْذَنْ لي ولا تَفْتِنّي . وقال ، فحَمَلَ على المعنى : ومنهم مَن يستمعون اليك . وقرأ أبو عمرو : ومَن يقنُتْ مِنكنّ لله ورسوله وتَعْمَلْ صالحاً ، فحَمَلَ الاول على اللفظ والثاني على المعنى. وفي القرآن: بَلى مَن أسْلَمَ وَجْهَهُ لله وهو مُحْسِنٌ فله أجره عند ربه ، فهذا كله على اللفظ .ثم قال : ولا

Marfat.com

خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون على المعنى. وقوله: أو شباة سنان. فالشَبا والشَباةُ واحد وهو الحَدُّ ، ومما يُسْتَحْسَنُ في وصف الجود والحثّ على المبادرة به . وتعريف حمد العاقبة فيه قول النَمِرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلِيّ أحد بني عُكْلِ بن عبد مَناةَ بن أُدّ بن طابخةَ بن الياسِ بن مُضَرَ . (قال ابن سراج رحمه الله من رواه الياس فقد أخطأ انما هو ابن اليَاسِ بوصل الألف وكسر السين والالف واللام للتعريف والاسم يَأس مشتق من يَئِسْتُ) .

أعاذِلَ انْ يُصْبِحْ صَداي بِقَفْرَةٍ بَعيداً نآني صاحبي وقَريبي
تَرَيْ أن ما أبقَيْتُ لم أكُ رَبَّهُ وأنّ الذي أنفَقْتُ كان نصيبي
وذي إبِلٍ يَسْعى ويَحْسِبُها له أخي نَصَبٍ في رَعْيِها ودُؤوبَ
غَدَتْ وغدا رَبٌّ سِواه يَقودُها وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قَليبِ

قوله : ان يصبح صداي بقفرة فالصَدى على ستة أوجه ، أحدها ما ذكرنا وهو ما يبقى من الميت في قبره . والصَدى الذَكَرُ من البُوم . قال ابن مُفَرِّغ (اسمه ربيعةُ وسمي مفرغاً لأنه شربَ سِقاءين فَفَرَّغَهُما) :

وَشَرَيْتُ بُرْداً ليتَني من بَعْدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ
هَتّافَةً تَدْعو صَدًى بين المُشَفَّرِ واليمامَهْ

ويقال فلان هامةُ اليومِ او غَدٍ أي يموت في يومه او في غَدِهِ . ويقال ذلك للشيخ اذا أَسَنَّ والمريضِ اذا طالت عِلَّتُهُ والمُحْتَقِرُ لمدّة الآجال . (رواية عاصِمِ بن أيُّوبَ رحمه الله برفع المحتقر يرفعه بالابتداء ويُضْمِرُ الخبر فيكون التقدير والمحتقرُ لمدة الآجال يقال ذلك له ، وروايةُ ابن سراج بالخفض على العطف) . وفي الحديث أن حِسْلاً أبا حُذَيْفةَ بن حِسْلِ بن اليمان . قال لشيخ آخر تَخَلَّفَ معه في غزْوةِ أُحُدٍ : انهَض بنا نَنْصُرُ رسول الله ﷺ فاغا نحن هامةُ اليومِ او غدٍ ، وكانا قد أَسَنّا (حِسْلٌ أبو حُذَيْفةَ وهو حِسْلٌ ابن جابر وهو اليَمان ابو حذيفة بن اليمان والشيخ الذي تخلف معه ثابت بن وَقْشٍ الانصاريُّ) . والصدى حُشْوةُ الرأس . يقال لذلك الهامةُ والصَدى

Marfat.com

وتأويل ذلك عند العرب في الجاهلية أن الرجل كان عندهم اذا قُتِل فلم يُدْرَكْ بثأره أنه يخرج من رأسه طائر كالبُومة، وهي الهامة، والذكر الصَدى، فيَصيح على قبره اسْقوني اسْقوني فان قُتِلَ قاتله كفَّ ذلك الطائر. قال ذو الإصْبَع العَدْوانيُّ أحدُ بني عَدْوان بن عمرو بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَرَ (هو حُرْثانُ بن مُحرِّثٍ سمي بذي الاصبع لانه كان له اصبع زائدة وقيل لان حيَّة عضته في اصبعه):

يا عَمْرو إلاَّ تَدَعْ شَتْمي ومَنْقَصَتي أضْرِبْكَ حيثُ تَقولُ الهامةُ اسْقوني

والصَدى ما يَرْجِعُ عليك من الصوت اذا كنت بمُتَّسَعٍ من الارض أو بقُرْبِ جبل. كما قال:

إني على كل إيساري ومَعْسَرَتي أدْعو حُنَيْفاً كما تُدعى ابنةُ الجَبَل

يعني الصَدى، وتأويله انه يجيبني في سرعة اجابة الصَدى. وقال آخر.

كأني اذْ دَعَوْتُ بني سُلَيْمٍ دَعَوْتُ بدَعوتي لَهُمُ الجِبالا

والصَدَأُ مهموز صَدأُ الحديد وما أشبهه. قال النابغة الذُبياني:

سَهِكينَ من صَدَإِ الحديد كأنهُمْ تحْتَ السَنَوْرِ جِنَّةُ الأقمارِ

وقال الأعْشى:

فأمَّا اذا ركبوا فالوُجو هُ في الرَوْعِ من صَدَإِ البَيْضِ حُمّ

والصَدى مصدر الصَدِي وهو العطشان. يقال: صَدِيَ يَصْدى صدًى وهو صَدٍ. قال طَرَفةُ: سَتَعْلَمُ إن مِتْنا صَدًى أيُّنا الصَدي. (ويروى صَدى أيُّنا بخفض أينا على الاضافة، فصَدًى على هذه الرواية يرتفع بالابتداء، والصدي الخبر) وقال القُطاميّ:

فهُنَّ يَنْبِذْنَ من قولٍ يُصِبْنَ به مَواقِعَ الماءِ من ذي الغُلَّةِ الصادي

تأويل قوله: نآني يكون على ضربين أبْعَدَني وأحسنُ ذلك أن يقول أنْآني. وقد رُوِيَتْ هذه اللغة الاخرى وليست بالحَسَنة، وانما جاءت في حروف يقال: غاضَ الماءُ وغِضْتُه، ونزَحَت البئرُ ونَزَحْتُها، وهَبَط الشيءُ وهَبَطتُه، وبنو تميم يقولون أهْبَطتُه، وأحْرُفٌ سوى هذه يسيرة،

Marfat.com

والوجه في فَعَلَ أفْعَلْتُهُ نحو دَخَلَ وأدْخَلْتُهُ ومات وأماتَهُ الله ، فهذا الباب المُطَّرِدُ ويكون نأتي في موضع نأى عني ، كما قال الله عز وجل : واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ ، أي كالوا لهم او وزنوا لهم . وقوله : ودُؤُوبِ ، يقول والحاحٍ عليه ، تقول: دَأَبْتُ على الشيء . قال الشاعر (هو الراعي):

دَأَبْتُ الى أن يَنبُتَ الظِلُّ بَعْدَما تَقاصَرَ حتى كاد في الآل يَمْصَحُ

وقوله جل ثناؤه: كَدَأْبِ آلِ فِرعَوْنَ ،يقول كعادتهم وسُنَّتِهِمْ . ومثله الدِينَ والدَيْدَنُ وقد مَرَّ هذا . وقوله: وبُدِّلَ أحجاراً وجالَ قليبٍ ، فالجالُ الناحية ، يقال لكل ناحية من البئر والقبر وما أشبه ذلك جالٌ وجُولٌ وقال مُهَلْهِلٌ :

كأنَّ رِماحَهُمْ أشطانُ بئرٍ بَعيدٍ بَينَ جالَيْها جَرورِ

ويقال رجل ليس له جُولٌ أي ليس له عقل وهذا الشعر نظير قول حاتم الطائي :

أماوِيَّ انْ يُصْبِحْ صَداي بقَفْرَةٍ من الارض لا ماءٌ لدَيَّ ولا خَمْرُ
تَرَيْ أنَّ ما أبْقَيْتُ لم أكُ رَبَّهُ وانَّ يَدي مما بَخلْتُ به صِفْرُ

وقال الحرث بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ في هذا المعنى :

قلتُ لعَمْرٍ حينَ أرْسَلْتُهُ وقد حَبا من دُوننا عالِجُ
لا تَكسَعِ الشَوْلَ بِأغْبارها انكَ لا تَدْري مَن الناتِجُ
واصْبُبْ لأضْيافِكَ ألبانها فانَّ شرَّ اللبنِ الوالِجُ

قوله : لا تكسع الشول باغبارها، فان العرب كانت تَنْضِحُ على ضُروعها الماءَ الباردَ ليكون أسمَنَ لاولادها التي في بطونها،والغُبْرُ بقية اللبن في الضَرْعِ فيقول : لا تُبقِ ذلك لِسِمَنِ الاولاد فانك لا تدري من يَنْتِجُها ، فلعلك بموت فتكونُ للوارث او يُغارُ عليها . وروى عن رسول الله ﷺ انه قال : «يقول ابن آدم مالي،مالي ومالَكَ من مالِكَ الا ما أكلتَ فأفْنَيْتَ أو لَبِسْتَ فأبْلَيْتَ أو أعطيتَ فأمْضَيْتَ . »ويروى عن بعضهم انه قال :اني أحِبُّ

Marfat.com

البقاء، وكالبقاء عندي حُسْنُ الثناء. وأنشد أبو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحِظُ

فاذا بَلَغْتُمْ أرَضكمْ فَتَحدّثوا ومن الحديث مَتالفٌ وخُلودُ

وأنشد :

فأثْنوا عَلَينا لا أبا لِأبيكمُ بأفعالنا إنّ الثناءَ هو الخُلْدُ

وقال معاوية لابن الأشعَث بن قَيْسٍ ما كان جَدُّكَ قيس بن مَعدي كَرِبَ أعطى الأعشى؟ فقال : أعطاه مالاً وظَهراً ورقيقاً وأشياء أُنسيتُها. فقال معاوية ولكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنسى . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنة هَرِمِ بن سِنانٍ المُرّيّ : ما وَهَبَ أبوكِ لزُهَيرٍ ؟ فقالت : أعطاه مالاً وأثاثاً أفناه الدهر فقال عمر : لكن ما أعطاكموه لا يُفنيه الدَهْرُ . وقال المفسرون في قول الله عز وجل عن ابراهيم صلوات الله عليه : واجْعَلْ لي لِسان صِدْقٍ في الآخرين: اي ثناءً حسناً. وفي قوله تعالى : وتَرَكنا عليه في الآخِرين سلامٌ على ابراهيم . اي يقال له هذا في الآخِرة، والعرب تحْذِفُ هذا الفعل، من قال ويقول استغناء عنه. قال الله عز وجل: فأما الذين اسْوَدَّتْ وُجوهُهُم أكفرْتُمْ بعْدَ إيمانكم، أي فيقال لهم . ومثله: والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نَعْبُدُهُمْ الا ليُقَرِّبونا الى الله زُلفى، أي يقولون. وكذلك: والملائكة يَدخُلون عليهم من كل باب سلامٌ عليكم (حدّثنا يموتُ بن المُزَرِّعِ البصريُّ . قال حدثنا رفيعُ بن سَلَمَةَ المُنَبِّزُ بدَماذَ قال حدثنا أبو عُبَيدةَ قال : قال الحجّاجُ يوماً لعَشائر العرب وهم في مجلسه: ما أحْسِبُ هذا المَزونيَّ يُناصِحُنا في حَرْبِنا يعني المُهَلَّبَ والرأيُ مشتركٌ . فقالوا : الرأيُ للامير أصلحه الله أن يَكتُبَ الى ابن الفُجاءةِ باطعامه بَعضَ الأرَضينَ ، فاذا هو نَخَعَ بطاعته وأظهَرَ الدعوة له سَهُلَتْ الحيلةُ فيه فقال وفقكم الله. وكتب الى ابن الفُجاءةِ وأنفذه على يد الغَضْبان بن القَبْعثرَى الشيبانيّ نسخة الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم من الحجاج بن يوسف الى قَطَرِيِّ بن الفُجاءةِ : سلامٌ عليك الموَحِّدُ الله والمُصَلّي عليه محمدٌ عليه السلام ، أما بعد فانكَ كنتَ أعرابياً بدَوِيّاً تَستَطعِمُ الكِسرةَ وتَخِفُّ الى التَمْرة ، ثم خَرَجْتَ تُحاوِلُ ما

Marfat.com

ليس لك بحق واعترضتَ على كتاب الله ومَرَقتَ من سُنة رسول الله ﷺ ، فارْجِعْ عما أنتَ عليه بما زُيِّنَ لك وادعني فقد آن لك. فلما أوْصَلَ الغضبانُ الكتاب الى قَطريّ . قال يا غلام ازْبُرْ هذه الصحيفةَ ، فتلا عليه ما فيها ، فتَنَهَّدَ قطريٌّ الصُّعَداءَ فقال : يا غضبان أَلفَيْتَني محزوناً وأنشأ يقول :

فيا كبِداً من غير جوعٍ ولا ظما ... وواكَبِداً من وَجْدِ أُمِّ حَكيم
فلو شَهِدَتني يَوْمَ دُولابَ أبْصَرَتْ ... طِعانَ فتىً في الحرب غيرِ لئيم
غداةَ حَلَفَتْ عَلماءِ بَكرُ بنُ وائلٍ ... وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تَميم
وكان بعبد القَيْسِ أوّلُ حَدِّنا ... وآب عميدُ الأزْدِ غيرَ ذميم

يعني المُهَلَّبُ وأمُّ حكيم هذه امرأة من الخوارج قُتِلتْ بين يديه ثم قال: يا غلامُ اكتُبْ بسم الله الرحمن الرحيم من قَطَريّ بن الفُجاءةِ الى الحجاج بن يوسف سَلامٌ على من اتَّبَعَ الهُدى ذكرتَ في كتابك أني كنتُ بَدَوِيّاً أستطعم الكِسرةَ وأبْدُرُ الى التمرة وبالله لقد قلتَ زُوراً بل الله بَصَّرَني من دينِهِ ما أعماكَ عنه إذ أنتَ سائحٌ في الضلالة غرقٌ في غمَراتِ الكُفْر ذكرتَ أن الضرورة طالت بي فهَلاّ برَزَ لي من حِزبِكَ مَن نالَ الشِبَعَ واتكأ فاتَّدَعَ أما واللهِ لئِنْ أبرزَ الله صَفْحَتَكَ وأظهَرَ لي صلْعَتَكَ لَتُنْكِرَنَّ شبعَكَ ولَتَعلمَنَّ انّ مُقارعةَ الأبطال ليس كتَطيير الامثال).

٣١ - باب

قال أبو العباس قال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في خُطبة له : أيها الناس اتقوا الله الذي ان قلتم سَمِع وان أضمرتم عَلِمَ وبادِروا الموتَ الذي إن هَرَبْتمْ منه أدرككم وان أقمتم أخذَكم . قال وحدثني التَوَّزيُّ في اسنادٍ ذكَرَه آخرُه عبد المَلِكِ بن عُمَيْرٍ اللَيْثيُّ ، قال: بيننا نحن في المسجد الجامع بالكوفة وأهلُ الكوفة يومئذ ذَوُو حال حَسنة يَخرُجُ الرجلُ منهم في العشرة

Marfat.com

والعشرين من مَواليه إذ أتى آتٍ فقال : هذا الحجاج قد قَدِمَ أميراً على العراق فاذا به قد دخل المسجد مُعْتَمّاً بعمامة قد غطّى بها أكثر وجهه مُتَقَلِّداً سيفاً مُتَنَكِّباً قوساً يَؤُمُّ المِنبرَ . فقام الناس نحوه حتى صَعِدَ المنبر فمكث ساعة لا يتكلم. فقال الناس بعضهم لبعض قَبَّحَ الله بني أُميّةَ حيث تَسْتَعْمِلُ مثل هذا على العراق، حتى قال عُمَيْرُ بن ضابىءٍ البُرْجمي ألا أحْصِبُهُ لكم. فقالوا : أمْهِلْ حتى ننظُرَ ، فلما رأى عيون الناس اليه حَسَرَ اللِثامَ عن فيه ، ونهض فقال (هو لُحَيْمِ بن وثيلٍ الرياحيّ) :

أنا ابْنُ جَلا وطَلاّعُ الثَنايا مَتى أضَعِ العِمامةَ تَعْرِفوني

ثم قال : يا أهل الكوفة اني لأرى رؤوساً قد أيْنَعَتْ وحان قِطافُها ، واني لصاحِبُها وكأني أنظر الى الدِماء بين العمائم واللِحى ، ثم قال (الشعر لرُوَيْشِدِ بن رُمَيْضٍ العَنبَرِيّ) :

هذا أوانُ الشَدّ فاشْتَدّي زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ
ليس براعي إبلٍ ولا غَنَمْ ولا بِجزّارٍ على ظَهْرٍ وضَمْ

ثم قال :

قد لَفَّها الليْلُ بعصْلَبيّ. أرْوَعَ خَرّاجٍ من الدَوّيّ. مُهاجرٍ ليس بأعرابيّ

وقال :

قد شَمَّرَتْ عن ساقها فشُدّوا وَجَدَّتْ الحربُ بكم فجِدّوا
والقَوْسُ فيها وَتَرٌ عُرُدّ مثلُ ذِراع البَكْرِ أو أشَدّ
(لا بُدّ مما ليس منه بُدُّ)

اني والله يا أهل العراق ما يُقَعْقَعُ لي بالشِنان ولا يُغْمَزُ جانبي كتَغمازِ المِعزى ، ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاء وفُتِّشْتُ عن تجربةٍ ، وانّ أمير المؤمنين أطال الله بقاءه نثرَ كِنانتَهُ بين يديه فعَجَمَ عِيدانها ، فوجدني أمرّها عوداً وأصلبها مَكسِراً ، فرماكم بي لانكم طال ما أوْضَعْتُمْ في الفتنة واضطجعتم في مَراقِدِ الضلال والله لأحْزِمَنّكمْ حَزْمَ السَلَمةِ ولأضْرِبَنّكمْ ضَرْبَ غرائِبِ الابل ، فإنكم لكأهْلِ قرية كانت آمِنةً مطمئنةً يأتيها رزْقُها رَغَداً

Marfat.com

من كل مكان فكفَرتْ بأنعُمِ الله ، فأذاقَها الله لِباسَ الجوع والخوفِ بما كانوا يَصْنعون، وإني واللهِ ما أقول إلا وَفَيْتُ، ولا أَمِمْ إلا أمضَيْتُ، ولا أخلُفُ إلا فرَيْتُ، وإن أمير المؤمنين أمرني باعطائكم أعْطِياتِكم وأن أوَجِّهَكمْ لمحاربة عدوّكم مع المُهَلَّبِ بن أبي صفرَةَ وإني أُقسِمُ بالله لا أجدُ رجلاً تخَلَّفَ بعد أخذ عَطائهِ بثلاثة أيام إلا ضربتُ عُنقَهُ ، يا غلام اقْرأ عليهم كتابَ أمير المؤمنين فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك أمير المؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين ، سلامٌ عليكم . فلم يَقلْ أحد منهم شيئاً. فقال الحجاج: اكفُفْ يا غلامُ . ثم أقبلَ على الناس فقال: أسَلَّمَ عليكم أمير المؤمنين فلم تَردُّوا عليه شيئاً ، هذا أدَبُ ابنِ نَهْيَةَ ، أما والله لأُؤَدِّبَنَّكم غيرَ هذا الأدبِ أو لتَسْتقيمُنَّ، اقرأ يا غلامُ كتابَ أمير المؤمنين. فلما بلغ الى قوله : سلامٌ عليكم لم يبْقَ في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام . (زعم أبو العباس أن ابن نَهْيَةَ رجلٌ كان على الشُرطةِ بالبصرةِ قبل الحجاج) . ثم نزلَ فوضعَ للناس أعْطياتِهم فجعلوا يأخذون حتى أتاه شيخ يَرْعَشُ كِبراً فقال: أيها الأمير اني من الضعفِ على ما تَرى ولي ابنٌ هو أقوى على الأسفار مني فتَقْبَلُهُ بدلاً مني . فقال له الحجاج : نفْعَلُ أيها الشيخ . فلما ولّى قال له قائل : أتدْري من هذا ايها الأمير ؟ قال : لا . قال : هذا عُمَيرُ بن ضابىءٍ البُرْجُمِيُّ الذي يقول أبوه

هَمَمْتُ ولم أفعَلْ وكِدتُ وليتني تَركتُ على عثمان تبْكي حَلائِلُه

ودخل هذا الشيخ على عثمان مقتولاً فوَطِىءَ بطنَهُ فكسر ضِلعَين من أضلاعِهِ . فقال رُدُّوهُ . فلما رُدَّ قال له الحجاج : أيها الشيخ هلا بعَثْتَ إلى أمير المؤمنين عثمانَ بَدلاً يوم الدار أن في قتلك أيها الشيخ لصلاحاً للمسلمين ، يا حَرَسيُّ اضرِبْ عنقه. فجعل الرجل يَضيقُ عليه أمره فيرتحل ويأمر وليه أن يَلحَقَهُ بزاده ، ففي ذلك يقول عبد الله بن الزَبير الأسَدي (الأسَديُّ أسَدُ خُزَيْمَةَ وليس من أسَدِ قُرَيْشٍ) :

Marfat.com

تجَهَّزْ فإمّا أنْ تَزورَ ابنَ ضابِىءٍ عُمَيراً وإمّا أن تزورَ المُهَلَّبا
هما خُطَّتا خَسْفٍ نجاؤُكَ منهما رُكوبُكَ حَوْلِيّاً من الثلج أشْهبا
فأضحى ولو كانت خُراسانُ دونه رآها مكانَ السُّوقِ أو هيَ أقرَبا

(دونه الهاء عائدة على المهلب وأقربا ظرف وقيل مفعول ثان) قوله: انا ابن جلا إنما يريد المُنكَشِفَ الأمرِ ، ولم يصرف جلا لأنه أراد الفعل فحكى. والفعل اذا كان فاعله مضمراً أو مظهراً لم يكن إلا حكاية ، كقولك : تأبّط شرّاً ، وكما قال الشاعر

كذَبْتُمْ وبَيتِ اللهِ لا تأخذُونَها بَنِى شابَ قرْناها تَصُرُّ وتَحْلُبُ

وتقول : قرأت اقتَرَبَتِ الساعةُ وانشَقَّ القمَرُ لأنك حكيتَ . وكذلك الابتداء والخبر . تقول : قرأتُ الحمدُ لله ربِّ العالمين . وقال الشاعر :

واللهِ ما زَيدٌ يَنامَ صاحِبُهْ (ولا مُخالِطِ اللَّيانِ جانبُهْ)

وقوله : أنا ابن جلا وطلاع الثنايا . لسُحَيمِ بن وَثيلٍ الرياحيّ ، وإنما قاله الحجاج متمثلاً . وقوله : وطلاعُ الثَّنايا ، الثنايا جمع ثنيّةٍ والثنيّةُ الطريق في الجبل ، والطريقُ في الرمل يقال له الخَلُّ. وإنما أراد به انه جَلْدٌ يَطلُعُ الثنايا في ارتفاعها وصعوبتها ، كما قال دُريدُ بن الصِمّةِ يعني أخاه عبدالله :

كميشُ الإزارِ خارجٌ نصْفُ ساقِهِ بَعيدٌ من السَّوْآتِ قَلاَّعُ أنجُدِ

والنجدُ ما ارتفع من الأرض وقد مضى تفسير هـذا . وقوله : إني لأرى رؤوساً قد أينعت، يريد أدْرَكتْ . يقال : أينَعَتِ الثمرةُ إيناعاً ويَنَعَت يَنْعاً ويُنْعاً . ويقرأ: انظروا الى ثمره إذا أثمرَ ويُنْعِهِ ويَنعِهِ كلاهما جائز . قال أبو عبيدة: هذا الشعر يُختَلفُ فيه ، فبعضهم ينسبه الى الأحوَص وبعضهم ينسبه إلى يزيد بن معاوية (قال ابو الحسن : الصحيح انه ليزيد يصف جارية) وهو :

ولها بالمَاطِرينَ إذا أكلَ النملُ الذي جَمَعا
خُرْفَةٌ حتى إذا رَبَعَتْ سَكنَتْ من جِلَّقٍ بِيَعَا

Marfat.com

في قِبابٍ حَولَ دَسْكرةٍ حَولَها الزَيتونُ قد يَنَعا

(قال أبو الحسن : أول هذه الأبيات :

طال هذا الهَمُّ فاكتَنَعا وأمرَّ النومُ فامتَنعا

وبعد هذا ما أنشده أبو العباس . ويروى بالمِطرون الرواية المشهورة بفتح النون ويروى بكسرها). قال ابو العباس : وقوله :هذا أوانُ الشَدِّ فاشتَدّي زِيَمْ يعني فرساً أو ناقة ، والشعر للحُطَمِ القَيْسيّ . وقوله : قد لَفّها الليلُ بسوّاقٍ حُطَمْ فهو الذي لا يُبْقي من السير شيئاً . ويقال : رجل حُطَمٌ للذي يأتي على الزاد لشدة أكله . ويقال للنار التي لا تُبقي حُطَمَةٌ . وقوله : على ظهرِ وَضَمْ فالوَضَمُ كل ما قُطعَ عليه اللحم . قال الشاعر (هو عُمرُ بن أبي رَبيعة) :

وفِتيانٍ صِدْقٍ حِسانِ الوُجو هِ لا يَجِدون لشيء ألَمْ
من آلِ المُغيرة لا يَشهدو نَ عندَ المجازِر لحمَ الوَضَمْ

وقوله : قد لفّها الليلُ بعَصْلِيّ أي شديد ، وأرْوعَ اي ذكيّ . وقوله : خَرّاجٍ من الدوّيّ يقول : من كل غمّاءَ شديدةٍ (غمّاء مقصورٌ رواية عاصم) ويقال للصَحراء دَوّيّةٌ وهي التي لا تكاد تَنقَضي وهي منسوبة الى الدَوّ ، والدَوُّ صَحراءُ مَلساءُ لا عَلَمَ بها ولا أمارةَ قال الحُطيئةُ (يصف خَيْلها وأنّثَ على معنى المرأة) :

وأنتِ اهْتدَتْ والدَوُّ بيني وبينها وما خِلْتُ ساري الليلِ بالدوّ يَهْتدي

والداوِيّةُ المتسعة التي تَسْمعُ لها دَوِيّاً بالليل وإنما ذلك الدَوِيُّ من أخفاف الإبل تَنفَسِحُ أصواتها فيها. وتقول جَهَلةُ الأعراب إن ذلك عَزيفُ الجِنّ . وقوله : والقوسُ فيها وَتَرٌ عُرُدٌّ فهو الشديد . ويقال : عُرُنْدٌ في هذا المعنى . وقوله : اني والله ما يُقَعْقَعُ لي بالشنان واحدها شَنٌّ وهو الجِلْدُ اليابس فإذا قُعْقِع به نفَرَتْ الابل منه فضَربَ ذلك مثلاً لنفسه . وقال النابغة الذُبيانيُّ :

Marfat.com

كأنك من جمال بني أُقَيْشٍ يُقَعْقَعُ بين رجليه بشَنّ

(أُقَيْشٌ حيٌّ من عُكْلٍ) . وقوله : ولقد فُرِرْتُ عن ذَكاءٍ يعني تمام السنّ ، والذكاءُ على ضَرْبَين أحدهما تمام السِنّ والآخر الحِدّةُ حِدّةُ القَلب ، فمما جاء في تمام السن قولُ قيس بن زُهَيرٍ : جَرِيُ المُذْكياتِ غِلابٌ (ويروى غِلاءٌ) وقال زُهَيرٌ :

يُفَضِّلُهُ إذا اجْتَهدا عليه تمامُ السنّ منه والذَكاءُ

وقوله : فعَجَمَ عيدانها يقول : مَضَغها لينظر أيُّها أصْلَبُ . يقال : عَجَمتُ العود إذا مضغتُهُ . وكذلك في كل شيء قال النابغة :

فظلّ يَعْجُمُ أعلى الرَوْقِ مُنْقَبِضاً في حالِكِ اللونِ صَدْقٍ غيرِ ذي أوَدِ

والمصدر العَجْمُ . يقال : عَجَمْتُهُ عَجْماً . ويقال لِنَوَى كلّ شيء عَجَمٌ مفتوح ومن أسكن فقد أخطأ ، كما قال الأعشى :

(غَزاتُكَ بالخَيْلِ أرْضَ العَدوّ) وجُذْعانُها كلَقيطِ العَجَم

وقوله : طال ما أوضعتم في الفتنة ، الإيضاعُ ضَرْبٌ من السَيرِ وقوله : فأضْحى ولو كانت خراسانُ دونه ، يعني دون السفر رآها مكان السُوقِ للخوف والطاعة . وكان من قصة عمير بن ضابىء أن أباه ضابىءَ بن الحارثِ البُرْجُميّ وَجَبَ عليه حَبْسٌ عند عثمان رحمه الله وأدَبٌ ، وذلك أنه كان استعار من قوم كلباً فأعاروه إياه ثم طلبوه منه وكان فحّاشاً ، فرمى أمّهُمْ به ، فقال في بعض كلامه :

وأمَكُمُ لا تشْرُكوها وكلبَكُمْ فإنّ عُقوقَ الولداتِ كبيرُ

فأصْطَمَّن على عُثمانَ ما فعَلَ ، فلما دُعيَ ليُؤَدَّبَ شدّ سكيناً في ساقه ليقتل بها عثمان ، فعُثِرَ عليه فأحسَنَ أدبَهُ ففي ذلك يقول :

وقائلةٍ إنْ ماتَ في السجنِ ضابىءُ لنِعْمَ الفتى تخْلو به وتُواصِلُهْ
وقائلةٍ لا يَبْعَدَنْ ذلك الفتى ولا تبعَدَنْ أخلاقه وشمائِلُهْ
وقائلةٍ لا يُبعِدِ اللهُ ضابئاً إذا الكَبْشُ لم يوجَدْ له مَنْ يُنازِلُهْ

Marfat.com

وقائلةٍ لا يُبْعدِ اللهُ ضابئـاً إذا الخصمُ لم يوجد له من يُقاوِلُهْ
فلا تتبعيني إن هلكتُ ملامةً فليس بعارٍ قتـلُ من لا أقاتله
هَمَمتُ ولم أفعَلْ وكِدْتُ وليتني تركتُ على عُثمان تبكي حَلائِلُه
وما الفتكُ ما آمَرتَ فيه ولا الذي تخَبِّرُ من لاقيتَ أنك فاعِلُه

قال أبو العباس: وشبيه بقوله ما حُدِّثنا به عن أبي شَجَرَةَ السُلَمِيِّ وكان من فُتّاكِ العرب . (أبو شجرة هو عمرو بن عبد العُزّى وأمُّهُ الخَنْساءُ، وقال الطبري: اسمه سَلِيمُ بن عبد العُزّى) فأتى عُمرَ بن الخطّاب رحمه الله يَستَحْمِلُهُ فقال له عمر : ومن أنت ؟ فقال: انا ابو شجرة السلمي. فقال له عمر: أي عُدَيَّ نفسِ ألستَ القائلَ حيثُ ارتَدَدْتَ :

ورَوَّيتُ رُمحي من كتيبَةِ خالدٍ وإني لأرجو بعدها أنْ أُعَمَّرا

(ويروى أن أُعَمَّرا بكسر الميم ومعناه أن أفعَلَ ذلك بكتيبة عُمر)

وعارَضتُها شَهْباء تخطِرُ بالقنا تَرى البَيْضَ في حافاتها والسَنَوَّرا

ثم انحنى عليه عمر بالدِرَّةِ فسَعى إلى ناقته فحَلَّ عقالها وأقبلها حَرَّةَ بني سُلَيْمٍ بأحَثِّ السير هرباً من الدِرَّةِ وهو يقول :

قد ضَنَّ عنها أبو حَفْصٍ بنائِلِهِ وكلُّ مختَبِطٍ يوماً له وَرَقُ
ما زال يَضرِبُني حتى خَذِيتُ له وحال من دون بعض الرَغبة الشفَقُ
ثم التفتُّ اليها وهي حانيَةٌ مثل الرتاجِ اذا ما لزَّهُ الغَلَقُ
أقبَلْتُها الخَلَّ من شوران مجتهداً إني لأزْري عليها وهي تَنطلِقُ

ويروى أنه كان يرمي المسلمين يوم الردّةِ فلا يُغني شيئاً فجعل يقول :

ها إنَّ رميي عَنهُمُ لَمقبولْ فلا صريحَ اليومَ إلا المصقـول

قوله : وكل مختبط يوماً له ورق ، أصل هذا في الشجرة ان يختبطها الراعي وهو أن يضربها حتى يسقط ورقها، فضرب ذلك مثلاً لمن يطلبُ فضلَهُ. وقال زهير :

Marfat.com

وليسَ مانعَ ذي قُربى وذي نسَبٍ يوماً ولا مُعدِمٍ من خابطٍ ورَقا

(قوله : ولا معدمٍ بالخفض عطفه على توهم الباء في مانع، ومثله ما أنشده :

مَشائيمُ ليسوا مُصلِحينَ عشيرةً ولا ناعِبٍ إلا ببَينٍ غُرابُها

على تَوهُّم الباء في مصلحين ومن في خابط زائدة) وقوله : حتى خَذيتُ له يقول خَضَعتُ له وأكثر ما تستَعمِلُ العامةُ هذه اللفظة بالزيادة . تقول : استَخْذَيْتُ له. وزعم الأصمَعيُّ أنه شكَّ فيها وأنه أَحبَّ ان يَستَثبتَ أهي مهموزةٌ أم غير مهموزة، قال: فقلتُ لأعرابي: أتقول استَخذَيتُ أم استَخْذاتُ قال : لا أقولها . قلتُ : ولمَ ؟ فقال : لأن العرب لا تَستَخذي . وهذا غير مهموز واشتقاقه من قولهم : أذُنٌ خَذْواءُ ويَنمَةٌ خَذواءُ أي مُستَرخيَةٌ . (قال أبو الحسن: اليَنمَةُ نبت مُستَرخٍ على وجه الأرض تأكله الإبل فتكثُرُ عنه ألبانها، قال الأصمعيُّ: وقلت لأعرابي أتَهمِزُ الفارةَ ؟ قال: تَهمِزُها الهرَّةُ. وقوله : إني لارْري عليها يقول : أستَحِثُّها. يقال: زَرَى عليه اي عاب عليه وأزْرى به اى قصَّرَ به، فيقول إنها لمجتهدة واني لأزْري عليها، اي اعيب عليها لطلَبي النجاءَ والسرعة . وقال الاخطلُ :

فظَلَّ يُقَدِّيها وظَلَّت كأنها عُقابٌ دعاها جُنحُ لَيلٍ الى وَكرِ

وقوله : ها إنَّ رَميي عنهم لمقبول ، يقول : مقبولٌ مردودٌ ، والصريحُ المحْضُ الخالص ، يقال ذلك للَّبنِ اذا لم يَشُبْهُ ماء . ويقال : عَربيٌّ صَريحٌ ومَولى صريحٌ اي خالص . قال : وحدثني محمد بن ابراهيم الهاشمي في اسنادٍ ذكره قال : بَلغَ عمرَ بن الخطاب رحمه الله أن قوماً يفضّلونه على أبي بكر الصدّيقِ رحمه الله فوَثبَ مُغضَباً حتى صَعِدَ المِنبَرَ فحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ثم قال : أيها الناس اني سَأُخبِرُكم عني وعن أبي بكر أنه لما تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ارتدَّتْ العرب ومَنَعَت شاتَها وبعيرها ، فأجمَعَ رأيُنا كلُّنا أصحابَ محمدٍ ﷺ أنْ قلنا : يا خَليفةَ رسولِ الله إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقاتل العربَ

Marfat.com

بالوَحْيِ والملائكة يَبِدْهُ اللهُ بهم وقد انقطعَ ذلك اليومَ فالزَمْ بيتك ومسجدك فإنه لا طاقةَ لك بقتال العرب. فقال أبو بكر الصديق: أوَكلُّكمْ رَأيُهُ على هذا ؟ فقلنا نعم. فقال : والله لأنْ أخِرَّ من السماء فتَخطَفَني الطيرُ أحَبُّ اليَّ من ان يكون هذا رأيي، ثم صَعِدَ المِنبَرَ فحمد الله وكَبَّره وصلى على نبيه ﷺ ثم أقبل على الناس . فقال : أيها الناس مَنْ كان يَعْبُدُ محمداً، فان محمداً قد مات، ومَن كان يعبد الله فان الله حَيٌّ لا يموت . ايها الناس أأن كَثُرَ أعداؤُكم وقلَّ عَدَدُكمْ رَكِبَ الشيطانُ منكم هذا المَرْكبَ ! والله ليُظْهِرَنَّ اللهُ هذا الدينَ على الاديان كلِّها ولو كَرِهَ المشركون قولُهُ الحَقُّ ووعْدُهُ الصِدْقُ، بل نَقْذِفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغُهُ ، فاذا هو زاهِقٌ وكم من فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً باذن الله ، والله مع الصابرين . والله أيُّها الناسُ لو أفْرَدْتُ من جميعكم لجاهدتهم في الله حقَّ جهاده حتى أُبلِيَ بنفسي عُذْراً أو أُقتَلَ قَتْلاً . والله ايها الناس لو مَنَعوني عِقالاً لجاهَدْتُهُمْ عليه واستَعَنْتُ عليهم اللهَ وهو خيرُ مُعينٍ . ثم نزل فجاهد في الله حَقَّ جِهادِهِ حتى أذْعَنَتِ العربُ بالحق . قوله : كم من فئة فهي الجماعة وهي مهموزة وتخفيف الهمز في هذا الموضع أن تُقلَبَ الهمزةُ ياءً، وان كانت قبلها ضمة وهي مفتوحةَ قلَبْتَها واواً نحو جُؤَنٍ . تقول جُؤَنٌ (الجُؤْنةُ الحُقَّةُ يجعل فيها الحَلْيُ) . وقوله : لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه على خلاف ما تتأوله العامة ، ولِقولِ العامةِ وَجْهٌ قد يجوز فأما الصحيح فان المُصَدِّقَ اذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ ثمنها، قيل أخذ عِقالاً واذا أخَذَ الثَمن قيل أخذ نقداً . قال الشاعر :

أتانا أبو الخطّابِ يَضْرِبُ طَبْلَهُ فَرُدَّ ولم يأخُذْ عِقالاً ولا نَقْداً

(كانت الامراء اذا خرجتْ لأخذ الصدقة تَضْرِبُ الطُبولَ) . والذي تقوله العامة تأويله لو منعوني ما يساوي عِقالاً فضْلاً عن غيره ، وهذا وجه ، والاول هو الصحيح لانه ليس عليهم عقال يُعْقَلُ به البعير فيَطلُبَهُ فيُمْنَعَهُ ولكن مجازه في قول العامة ما ذكرنا . ومن كلام العرب أتانا يجَفْنةٍ يَقْعُدُ

Marfat.com

عليها ثلاثة ٌ أي لو قمد عليها ثلاثة لَصَلَحَ . وكانارتدادُ من ارْتَدَّ منالعرب أن قالوا : نُقيمُ الصلاةَ ولا نؤْتي الزكاةَ ، فمن ذلك قول الحُطَيْئةِ :

ألا كُلُّ أرْماحٍ قِصارٍ أذِلَّةٍ فِداءٌ لأرْماحٍ نُصِبْنَ عـلى الغَمْرِ
فَباسْتِ بني عَبسٍ وأسْتاه طَيِّىءٍ وباسْتِ بني دُودانَ حاشا بني نصْرِ
أبَوْا غيرَ ضَرْبٍ يُحْثِمُ الهامَ وقْعُهُ وطَعْنٍ كأفواهِ المُزَفَّتَةِ الحُمْرِ

(المزفتة المَطْلِيَّةُ بالزفتِ وهو القَطِرانُ يعني الابل ، وهو أشبه بكلام العرب ومعناه وقيل الزِقاقُ) :

أطَعْنا رسولَ اللهِ إذْ كان بيننا فيا لَهْفَتا ما بالُ دينِ أبي بَكْرِ
أيُورِثها بكْراً اذا ماتَ بعـده فتِلكَ وبَيْت اللهِ قاصِمةُ الظَهْرِ
فقُوموا ولا تُعْطوا اللئامَ مَقادةً وقُوموا ولو كان القِيامُ على الجَمْرِ
فِدًى لبَني نَصْرٍ طريفي وتالِدي عَشِيَّةَ ذادُوا بالرِّماحِ أبا بَكْرِ

(قوله ذادوا بالرماح ابا بكر كذِبٌ انما خرجوا على الإبِلِ فقَمْقَموا لها بالشِنانِ فنَفَرَتْ وفرَّتْ) . قوله : يحثم الهام وقعه انما هو مَثَلٌ . يقال : جَثَمَ الطائرُ كما يقال بَرَكَ الجَمَلُ وربَضَ البعيرُ . وكان قَيْسُ بن عاصم بن سِنان بن خالد بن مِنْقَرٍ عاملاً على صَدَقاتِ بني سَعْدٍ فقَسَمَ ما كان في يده من اموال الصدقات على بني مِنْقَرٍ . وقال :

فمَنْ مُبلِغٌ عني قُرَيْشاً رِسالةً اذا ما أتَتْها مُحْكَماتُ الوَدائع
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العامِ منقَراً وأيأسْتُ منها كلَّ اطْلَسَ طامِع

قوله : فاجمع رأينا كلّنا اصحاب محمد فانما خَفَضَ كلّ على انه توكيد لاسمائهم المضمرة ، والظاهرةُ لا تكون بدلاً من المضمر الذي يَعْني به المتكلم نفْسَهُ او يَعْني به المُخاطبَ ، فلا يجوز ان تقول مررتُ بي زيدٍ لان هذه الباء لا يَشْرَكهُ فيها شريكٌ فتحتاج الى التبيين . وكذلك لا يجوز ضربتُكَ زيداً لان المخاطب منفرد بهذه الكاف . فأما الهاء نحو مررت به عبدِ الله فيجوز لانا نحتاج الى أن يُعرِّفنا مُبيِّناً مَنْ صاحب الهاء لأنها ليست للذي

Marfat.com

يخاطبه فلا يُنكِرُ نفسه وإنما يُحَدَّثُ به عن غائب، فيحتاج الى البيان وقوله: أصحابَ محمد اختصاص وينتصب بفعل مضمر، وهوأعني، ليبين منْ هؤلاء الجماعة كما يُنشَدُ: نَحْنُ بني ضَبَّةَ أصحابُ الجَمَلِ. أراد نحن أصحاب الجمل ثم بَيَّنَ منْ هُمْ لأن هذا قد كان يقع على منْ دون بني ضَبَّةَ معه وعلى من فوقها الى مُضَرِ ونِزارٍ ومَعَدٍّ ومنْ بعدهم، وكذلك نحن العربَ أقْرى الناسِ لضيفٍ ونحن الصعاليكَ لا طاقة بنا على المروءةِ ويُختارُ في هذا الشعر (هو لعَمْرِ ابن الأهْتَمِ):

إنا بني مِنْقَرٍ قومٌ ذوو حَسَبٍ فينا سراة بني سَعْدٍ ونادِيها

وقليل هذا يدل على جميع هذا الباب فافهم.

٣٢ - باب

قال أبو العباس: هذه أشعار اخترناها من أشعار المولدين، حَكيمةٌ مستحسَنة يُحْتاجُ اليها للتَمثُّلِ، لأنها أشْكَلُ بالدهر ويُستعارُ من ألفاظها في المخاطبات والخُطَبِ والكُتُبِ. قال عبد الصَمد بن المُعَذَّل:

تُكلِّفُني إذْلالَ نفسي لعِزِّها وهانَ عليها أنْ أُهانَ لتُكْرَما
تقولُ سَلِ المعروفَ يَحْيى بنَ أكْثَمٍ فقلتُ سليهِ ربُّ يحْيى بن أكْثَما

(بالثاء مثلثة لا غير، وكذلك: أكْثَمُ بن صَيْفيٍ. ويقال أن يحْيى بن أكْثَمَ من ولد أكْثَمَ بن صَيْفي) وقال بَشّار بن بُرْدٍ يذكر عُبَيْدالله بن قَزْعَةَ وهو أبو المُغيرةِ أخو المَلَوِيِّ المتكلم قال: وقال المازني لم أرَ أعْلَمَ من المَلَوِيِّ بالكلام وكان من أصحاب ابراهيم النَظّام:

خَليليَّ منْ كعبٍ أعينا أخاكُما على دَهْرِهِ إنَّ الكريمَ مُعينُ
ولا تبْخَلا بُخْلَ ابن قَزْعَةَ انه مخافةَ أن يُرْجى نَداهُ حزينُ
كأنَّ عُبَيْدالله لم يلْقَ ماجِداً ولم يدْرِ أنَّ المكْرُماتِ تكونُ
فقل لأبي يحْيى متى تُدْرِكُ العُلى وفي كلِّ مَعروفٍ عليكَ يَمينُ

Marfat.com

إذا جئتَهُ في حاجةٍ سدّ بابَهُ فلم تَلْقَهُ إلا وأنتَ كمينُ

نظيرُ قوله : وفي كلّ معروفٍ عليك يمينُ . قولُ جرير :

ولا خيرَ في مـــال عليه أَلِيَّةٌ ولا في يمينٍ عُوقِدَتْ بالمآثِمِ

وقال اسمعيل بن القاسم (هو أبو العتاهية) :

أَطِعِ اللهَ يجْهَدِكْ عامداً أو دونَ جُهْدِكْ
أَعْطِ مَوْلاكَ كما تَطْـــلُبُ من طاعةِ عَبْدِكْ

وقال محمود :

تَعْصي الإلهَ وأنتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ هذا مُحالٌ في القيـــاسِ بَديعُ
لو كان حُبُّكَ صادقاً لأَطَعْتَـــهُ إنّ المُحِبَّ لمنْ يُحِبُّ مُطيعُ

وقال أيضاً :

إني شَكَرْتُ لظالمي ظُلمي وغَفَرتُ ذاك له على عِلمي
ورأيتُه أَسْـدى إليَّ يَداً لمّا أبانَ بجَهْلِهِ حِلمي
رَجَعَتْ إساءَتُهُ عليه وإحْـــساني فعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ
وغَدَوْتُ ذا أجْرٍ ومَحْمَدةٍ وغدا بكَسْبِ الظُلْمِ والإثمِ
فكأنما الإحسانُ كان له وأنا المُسيءُ إليه في الحُكمِ
ما زال يَظْلِمُني وأَرْحَمُـــهُ حتى بَكَيْتُ له من الظُلْمِ

أخذَ هذا المعنى من قول رجل من قُرَيْشٍ لرجل قال له: إني مررتُ بقوم من قريش من آل الزُبَيْر وغيرهم يَشتمونَكَ شَتْماً رَحِمْتُكَ منه . قـــال : أفسَمِعْتَني أقول إلا خيراً . قال : لا . قال : إيّاهُمْ فارْحَمْ . وقال أبو بكر الصدّيقُ رحمه الله لرجل قال له : لأَشْتِمَنَّكَ شَتْماً يَدْخُلُ معكَ في قبرك . قال : معكَ والله يدْخُلُ لا معي . وقـــال ابن مسعود : إن الرجل ليظلمني فأَرْحَمُهُ . وقال رجل للشعبي كلاماً أقذَعَ له فيه ، فقال له الشعبي : ان كنتَ صادقاً فغفر الله لي ، وان كنت كاذباً فغفر الله لك . ويروى أنه أتى مسجداً فصادف فيه قوماً يغتابونه فأخذ بعَضادَتَيْ الباب ثم قال:

Marfat.com

هَنيئاً مَريئاً غيرَ داءٍ مُخامرٍ لعِزَّةَ من أعْراضِنا ما اسْتَحَلَّتِ

وذكر ابن عائشة أنّ رجُلاً من أهل الشام قال: دخلتُ المدينة فرأيتُ رجلاً راكباً على بغلة لم أرَ أحسنَ وجهاً ولا سَمْتاً ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي اليه ، فسألتُ عنه فقيل لي : هذا الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهما. فامتلأ قلبي له بُغْضاً ، وحَسَدْتُ عَلِيّاً ان يكون له ابنٌ مثله ، فصِرْتُ اليه فقلتُ له : أأنتَ ابن أبي طالب ؟ فقال : أنا ابن ابنه. فقلت: فَبِكَ وبأبيكَ أسُبُّهما . فلما انقضى كلامي قال لي : أحْسِبُكَ غريباً . قلت : أجلْ . قال : فمِلْ بنا فإن احتَجْتَ الى منزل أنزلناك ، أو الى مال آسَيْناكَ ، او الى حاجة عاوَنّاكَ . قال : فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحدٌ أحبُّ اليّ منه .

وقال محمود الوَرّاقُ :

يا ناظراً يَرْنو بعَيْنَيْ راقِـدٍ ومُشاهِداً للأمر غيرَ مُشاهِدِ
مَنَّيْتَ نفْسَكَ ضَلّة وأبَحْتَها طُرُقَ الرَجاءِ وهُنّ غيرُ قواصدِ
تصِلُ الذُنوبَ الى الذنوب وتَرْتجي دَرَكَ الجِنانِ بها وفَوْزَ العابدِ
ونَسيتَ أن الله أخْرَجَ آدماً منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

وقال الحَكَمِيُّ (هو أبو نُواسٍ الحسن بن هانىءٍ وهو منسوب إلى حَكَمَ قبيلة من مَذْحِجٍ) للفَضْل بن الربيع :

ما منْ يدٍ في النـاس واحدةٍ كيَدٍ أبو العبـاس مَوْلاها
نام الكِرامُ على مَضاجِعِهِمْ وسَرى الى نفْسي فأحيـاها
قد كنتُ خِفْتُكَ ثم أمّنَني منْ أنْ أخافَكَ خَوْفُكَ اللهَ
فعَفَوْتَ عني عَفْوَ مُقْتَدِرٍ حَلُمَتْ له نِقَمٌ فألغاهـا

وقال عبد الله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ لذي اليَمينَيْنِ (سُمّي ذا اليمينين لأنه ضَربَ إنساناً فجعله قسمين) :

لمّا رأيتُكَ قاعداً مُسْتَقْبِلاً أيقنتُ أنـك للهُموم قَرينُ
فارْفِضْ بها وتعَرَّ من أثوابِها ان كان عندك للقضـاء يَقينُ

Marfat.com

ما لا يكونُ فلا يكونُ بحيلةٍ أبداً وما هو كائنٌ سيكونُ
بَينا الذكيُّ فلا ينالُ بسَعْيِهِ حَظّاً ويَحْظى عاجزٌ ومَهينُ
سَيكونُ ما هو كائنٌ في وقتِهِ وأخو الجهالةِ مُتْعَبٌ محزونُ
اللهُ يَعْلَمُ أنّ فُرْقةَ بَيْنِنا فيما أرى شيءٌ عليَّ يَهونُ

وقال صالح بن عبد القدوس (صَلَبَهُ عبد الملِكِ بن مرْوان على الزَندَقة أعني صالحاً) :

إنْ يَكُنْ ما به أُصِبْتُ جَليلاً فذهابُ المزاء فيه أجَلُّ
كلُّ آتٍ لا شكَّ آتٍ وذو الجهْـلِ مُعَنّىً والغَمُّ والحزْنُ فضْلُ

وأنشد مُنشِدٌ من الأبيات المنفردة القائمة بأنفسها (لهِشام بن عبد الملِك) :

إذا انتَ لم تعْصِ الهَوى قادكَ الهوى الى بَعْضِ ما فيه عليكَ مَقالُ

ومنها قول ابن أبي وُهَيْبٍ :

وإني لأرْجو اللهَ حتى كأنني أرى بجَميل الظنّ ما اللهُ صانعُ

وقال آخر :

ويَعْرِفُ وَجْهَ الحزْمِ حق كأنما تُخاطِبُهُ من كلّ أمرٍ عواقِبُهْ

وقال أشْجَعُ السُلَمِيُّ :

رَأيٌ سَرى وعُيونُ الناس راقدةٌ ما أخَّرَ الحزْمَ رَأيٌ قدَّمَ الحذَرا

وقال آخر :

فللّهِ مني جانبٌ لا أُضيعُهُ وللسُّهْوِ مني والبطالةِ جانبُ

وقال آخر :

فلو عابَ نفسي غيرُ نفسي لَسُؤْتُهُ فكيف ونَفسي قد أتَتْ ما يَعيبُها

وقال آخر :

يَرى فَلَتاتِ الرَأي والرأيُ مُقبِلٌ كأنّ له في اليوم عَيْناً على غَدِ

وقال عبد الصَمَدِ بن المُعَدّلِ :

أَمِنْ على المُجْتَدي وما أُفْجِعُ المنّ مَنْ

Marfat.com

كأنْ لم يَزَلْ ما أتى وما قَدْ مَضى لم يَكُنْ
أرى الناس أحْدوثَةً فكوني حَديثاً حَسَنْ

وقال أيضاً :

زَعَمَتْ عاذِلتي أني لما حَفِظَ البُخْلُ من المالِ مُضيعُ
كلَّفَتْني عُذْرَةَ الباخِلِ اذْ طَرقَ الطارِقُ والناسُ هجوعُ
ليس لي عُذْرٌ وعندي بُلغَةٌ انما العُذرُ لمنْ لا يَسْتَطيعُ

وقال الحسن بن هانىء الحَكَمِيُّ :

إليْكَ غدَتْ بي حاجةٌ لم أبُحْ بها أخافُ عليها شامِتاً فأُداري
فأرْخِ عليها سِتْرَ معروفِكَ الذي سَتَرْتَ به قِدْماً عليَّ عُواري

وقال أيضاً :

قد قلتُ للعبّاس معْتَذِراً من ضَعْفِ شُكرِيهِ ومُعْتَرِفا
أنت امرُؤٌ جَلَّلْتَني نعَماً أوْهَتْ قُوى شُكري فقد ضَعُفا
فاليكَ بعدَ اليومِ تقدِمةً لاقَتْكَ بالتَصْريح مُنكَشِفا
لا تُحْدِثَنَّ إليَّ عارِفةً حَسْبي أقومُ بشُكْرِ ما سَلَفا

وقال دِعْبِلُ بن عليّ الخُزاعيُّ :

أحْبَبْتُ قومي ولم أعدِلْ بحبّهمُ قالوا تعصّبْتَ جَهْلاً قولَ ذي بَهَتِ
دَعني أصلْ رَحِمي انْ كنتَ قاطِعها لا بُدّ للرحِمِ الدُنيا من الصِلةِ
فاحفَظْ عشيرتكَ الأدْنَينَ انّ لهم حَقاً يُفَرّقُ بين الزوْجِ والمرَةِ
قوْمي بنو مَذْحِجٍ والأزْدُ إخْوَتُهُمْ وآلُ كِندَةَ والأحياءُ من عُلَتِ
ثُبْتُ الحلومِ فانْ سُلْتَ حفائِظُهُم سَلُوا السُيوفَ فأرْدَوْا كلّ ذي عَنَتِ
لا تعرِضَنّ بمزْحٍ لامرىءٍ طَبِنٍ ما راضَهُ قلبُهُ أجْراهُ في الشَفَةِ
غُرِبَ قافيةٍ بالمزْحِ جاريةٍ مَشْؤمةٍ لم يُرَدْ إنْشاؤُها نَمَتِ
إني اذا قُلتُ بيتاً مات قائلُهُ ومنْ يُقالُ له والبيتُ لم يَمُتِ

Marfat.com

وقال ايضاً :

نعَوْني ولمّا يَنْعَني غيرُ شامتٍ ... وغيرُ عدُوٍّ قد أصيبتْ مقاتِلُهْ
يقولون ان ذاقَ الرَدى مات شعرُهُ ... وهَيهاتَ عُمْرُ الشعرِ طالتْ طوائِلُهْ
سأقضي ببيتٍ يحْمَدُ الناسُ أمرَهُ ... ويكْثُرُ من أهلِ الروايةِ حاملُهْ
يموتُ رديءُ الشعرِ من قبل أهلِهِ ... وجَيِّدُهُ يَبقى وإن مات قائِلُه

(البيت الاخير ليس لدِعْبِلٍ وانما هو لمُضَمَّنٌ). وقال اسميل بن القاسم:

يا من يَعيبُ وعَيْبُهُ مُتَشَعِّبٌ ... كم فيكَ من عَيْبٍ وأنتَ تعيبُ
فهِ دَرُّكَ كيفَ أنتَ وغايةٌ ... يَدْعوكَ ربُّكَ عندها فتُجيبُ

وقال أيضاً :

يا عليُّ بنَ ثابتٍ بانَ مني ... صاحبٌ جَلَّ فقْدُهُ يوم بِنْتا
يا عليُّ بن ثابت أيْنَ أنتا ... أنت بين القُبور حَيثُ دُفِنتا
قدلعَمْري حكيْتَ لي غُصَصَ الموْ ... تِ وحرّكتَني لها وسَكنْتا

وقال أيضا :

صاحِبٌ كان لي هَلكْ ... والسبيلُ التي سَلكْ

(والسبيلُ التي سلك ابتداء وخبر ، ومن قال غير هذا فقد أخطأ)

يا عليُّ بنَ ثابتٍ ... غَفَرَ اللهُ لي ولكْ
كلُّ حَيٍّ مُمَلَّكٍ ... سَوْف يَفْنى وما مَلكْ

وقال أيضا :

طوَتْكَ خُطوبُ دَهْرِكَ بعد نشْرٍ ... كذاكَ خُطوبُهُ نشْراً وطيّا
فلو نشَرَتْ قُواكَ ليَ المنايا ... شَكوْتُ اليكَ ما صَنَعتْ إليّا
بكيتُكَ يا أخَيَّ بدمع عيني ... فلم يُغنِ البُكاءُ عليكَ شَيّا
كفى حزْناً بدَفنِكَ ثم إني ... نفَضْتُ ترابَ قبرِكَ عن يَدَيّا
وكانتْ في حياتكَ لي عِظاتٌ ... وأنت اليومَ أوعَظُ منكَ حيّا

وكان اسمعيل بن القاسم لا يكاد يخلى شعره مما تقدم من الأخبار ، والآثار

Marfat.com

فينظم ذلك الكلام المشهور، ويتناوله أقربَ مُتناوَلٍ، ويسرقه أخفى سِرقةٍ. فقوله : وأنت اليوم أوعظ منك حياً ، انما أخذه من قول المُوبذَ لقَباذَ الملكِ فانه قال في ذلك الوقت : كان المَلِكُ أمْس أنطقَ منه اليوم وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس ، وأخذ قوله :

قد لعَمْري حَكيْت لي غُصص المو تِ وحرّكتني لها وسكنتـــا

من قول نادبِ الإسْكنْدرِ فانه لما مات بكى من بحضرته . فقال نادِبهُ : حَرّكتنا بسُكونه . وقال اسمعيل بن القاسم (وهو أبو العتاهِيةِ) :

يا عَجَبا للناسِ لوْ فَكّروا وحاسبوا أنفسهم أبْصَروا
وعَبروا الدنيا الى غَيرِهـــا فانما الدُنيا لهُمْ مَعْـــبَرُ
(معبر بفتح الميم وكسرها لابن سراج وبفتح الميم لاغير رواية عاصم)
الخيرُ مما لَيْسَ يخْفى هو الـــمعروفُ والشرُّ هو المُنْكَرُ
والموْعِدُ الموتُ وما بعده الـــحَشْرُ فذاكَ الموْعِدُ الأكْبرُ
لا فَخْرَ الأ فخرُ أهْلِ التُقى غَـــداً اذا ضَمّهُمُ المَحْشَرُ
لَيَعْلَمَنّ النـــاسُ أن التُقى والبِرّ كانا خَيرَ ما يُذْخَرُ
عَجِبتُ للانسانِ في فَخْرِهِ وهْوَ غـــداً في قبرهِ يُفْبَرُ
ما بالُ مَن أوّلهُ نُطْفَـــةٌ وجيفـــةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
أصْبحَ لا يَمْلـــكُ تقْديمَ ما يَرْجو ولا تأخيرَ مـــا يحْذَرُ
وأصبَحَ الأمرُ الى غيـــره في كلّ ما يُقْضى وما يُقدَرُ

أما قوله :

يا عجبا للنـــاس لو فكروا وحاسبـــوا أنفسهم أبصروا

فمأخوذ من قولهم : الفِكرةُ مرآةٌ تُريكَ حَسَنَكَ من قبيحكَ . ومن قول لُقمان لابنه : يا بُنيّ لا ينبغي لعاقِلٍ أن يُخْلي نفسَهُ من أربعة أوقات فوقتٌ منها يناجي فيه ربه ، ووقتٌ يحاسب فيه نفسه ، ووقتٌ يَكسِبُ فيه لمعاشه ، ووقتٌ يُخَلّي فيه بين نفسه وبين لذّتها ليستعين بذلك على سائر

Marfat.com

الأرقات . وقوله :

وعبروا الدنيا الى غيرها فانما الدنيا لهم معبر

مأخوذ من قول الحسن : اجْعَلِ الدنيا كالقَنْطرة ، تجوزُ عليها ولا تَعْمُرْها وقوله :

الخيرُ مما ليس يخفى هو المعروف والشر هو المنكر

مأخوذ من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ : ما عبدَ الله كيْفَ بك اذا بقيت في حُثالةٍ من الناس مَرَجَتْ عُهودُهمْ وأماناتُهمْ وصار الناس هكذا ، وشَبَّكَ بين أصابعه . فقلتُ مرْني يا رسولَ الله . فقال : خُذْ ما عرَفْتَ وَدَعْ ما أنكَرْتَ وعليك بخُوَيْصَةِ نفسك وإياكَ وعَوامَّها . قوله ﷺ : في حُثالةٍ من الناس ، أما الحُثالةُ فهو ما يَبقى في الإناء من رَدِيِّ الطعام وصربه مثلاً . وقوله مَرَجتْ عُهودُهم يقول : اختلطت وذهبت بهم كلَّ مَذْهبٍ . يقال : مَرَجَ الماءُ اذا سال فلم يكن له مانع . قال الله عز وجل : مرَجَ البَحْرَيْن يَلْتَقِيانِ . وقوله :

ليعلمن الناس أن التقى والبر كانا خير ما يذخر

مأخوذ من قول أبي هُرَيرةَ عن النبي ﷺ قال : اذا حُشِرَ الناسُ في صعيدٍ واحد نادى مُنادٍ من قِبَلِ العَرْش : ليَعْلَمَنَّ أهلُ الموْقِفِ منْ أهلُ الكرَمِ ليَقُمِ المُتقون ، ثم تلا رسولُ الله ﷺ : ان أكْرَمَكم عِنْدَ الله أتقاكمْ . وقوله :

ما بال من أوله نطفة وجيفة آخره يفخر

مأخوذ من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه : وما ابنُ آدمَ والفخْرُ وانما أوله نُطفةٌ وآخره جيفةٌ لا يَرْزُقُ نفسه ولا يَدْفعُ حَتفَهُ . وقال ابن أبي عُيَيْنَة :

ما راحَ يَومٌ على حَيٍّ ولا ابْتَكرا الا رأى عِبْرةً فيه ان اعْتَبرا
ولا أتتْ ساعةٌ في الدهْرِ فانصَرمتْ حتى تُؤثِّرَ في قوم لها أثرا

Marfat.com

(فانصَرَفتْ أشبَهُ للمطابقة والمشهور انصرمتْ)

إنّ الليـــاليَ والأيام أنفسَها عن غير أنفُسِها لم تَكتُمِ الخبرا

فأخذ هــذا المعنى حبيبُ بن أوْسٍ الطائيُّ ، وجمعه في ألفاظٍ يسـيرة ، فقال :

عمري لقد نصَحَ الزمانُ وانــه لِمَنَ العجائب ناصحٌ لا يُشْفِقُ

فزاد بقوله : ناصح لا يشفق، على قول ابن أبي عُيَيْنَةَ شيئاً طريفاً،وهكذا يفعل الحاذق بالكلام . ولو قال قائل : إن أقرب ما أُحتَذَ منه أبو العَتاهِيَةِ :

ليَعْلَمَنْ الناسُ أن التُقى والبِرّ كانا خيرَ ما يُذْخَرُ

من قول الخليل بن أحمد : (قال ابو الحسن : زعم النسابون انهم لا يعرفون منذ وقت النبي ﷺ الى الوقت الذي وُلدَ فيه أحمدُ ابو الخليل أحداً سُمّيَ باحمد غيرَه) :

وإذا افتَقرْتَ الى الذخائر لم تَجدْ ذُخْراً يكون كصالح الأعمال

لكان قد قال قولاً . وقال العباس بن الفرج :

أَمَلي من دونه أَجَلي فمتى أفْضي الى أَمَـلي

وقال الخليل بن أحمد ، وكان نظر في النجوم فأبْعَدَ ، ثم لم يَرْضَها ، فقال :

أبْلِغـــا عَنّي المُنَجّمَ أني كافرٌ بالذي قَضَتْهُ الكواكبْ
عالمٌ أن ما يكونُ وما كا ن بحَتْمٍ من المَهَيْمِنِ واجِبْ

وقال محمد بن يَسيرٍ يعيب المتكلمين ، أنشدَنيه الرياشيُّ :

يا سائلي عن مَقالة الشِيَعِ وعن صُنوفِ الأهواء والبدَعِ
دَعْ من يَقودُ الكلامَ ناحيةً فما يقود الكلامَ ذو وَرَعِ
كل أناسٍ بَدِيُّهُمْ حَسَنٌ ثم يَصيرونَ بعدُ للشُنَعِ
اكثرُ ما فيهِ أن يُقالَ له لم يَكُ في قـوله بمُنْقَطِعِ

Marfat.com

وأنشدني الرياشيُّ لغيره :

قد نقَّرَ الناسُ حتى أحدثوا بِدَعاً ... في الدين بالرأي لم تُبعَثْ بها الرُسُلُ
حتى استَخَفَّ بحق الله أكثرُهم ... وفي الذي حمّلوا من حقّه شُغُلُ

وقال محمد بن يسير :

وَيْلٌ لمنْ لم يَرْحَم اللهُ ... ومَن تكونُ النارُ مثواهُ
يا حسرَتي في كل يومٍ مَضى ... يَذْكُرني الموتُ وأنساه
من طال في الدنيا به عُمْرُهُ ... وعاش فالموتُ قصاراهُ
كأنّهُ قد فيلَ في مجلسٍ ... قد كنتُ آتيهِ وأغشاه
صار اليَسيريُّ إلى ربّه ... يَرْحَمُنا اللهُ وإيّاهُ

وقال أيضاً :

أيُّ صفْوٍ إلا الى تكْدير ... ونعيمٍ إلا الى تَغْيير
وسرورٍ ولذّةٍ وحُبورٍ ... ليس رَهْناً لنا بيومٍ عَسير
عَجَباً لي ومن رضايَ بدنيا ... أنا فيها على شَفا تَغْرير
عالِمٌ لا أشُكُّ أني الى الله اذا متُّ أو عذابِ السعير
ثم أَلْهو ولَستُ أدري الى أيهما بعده يَصير مَصيري
أيُّ يومٍ عليَّ أفظَعُ من يو م به تُبرِزُ النُعاةُ سَريري
كلّما مُرَّ بي على أهل نادٍ ... كنتُ حيناً بهم كثيرَ المرور
قيل مَن ذا على سرير المنايا ... قيل هذا مُحمّدُ بن يَسير

وقال الحَكَميُّ ابو نُواس :

أخي ما بالُ قلبك ليس يَنْقى ... كأنك لا تظنُّ الموتَ حقا
ألا يا ابن الذين فَنوا وبادوا ... أما واللهِ ما ذهبوا لِتَبْقى

Marfat.com

وما أحدٌ بزادِك منكَ أحظى وما أحدٌ بزادكَ منك أشقى
ولا لكَ غيرَ تقوى الله زادٌ اذا جعلَتْ الى اللهَواتِ تَرْقى

ومما يستحسن من شعره قوله :

لا أذودُ الطيرَ عن شَجَرٍ قد بَلَوْتُ المُرَّ من ثَمَرِهِ

فمثل هذا لو تقدم لكانَ في صدور الأمثال . وكذلك قوله أيضاً :

فامْضِ لا تَمْنُنْ عليَّ يداً مَنُّك المعروفَ من كدَرِهْ

وكان يقول : ذِكْرُ المعروف من المُنْعِمِ إفسادٌ له ، وكتمانه من المُنْعَمِ عليه كفرٌ له . وفي هذا الشعر أبياتٌ مختارة فمنها :

وإذا مَجَّ القَنَا عَلَقاً وتَرَاأى الموتُ في صُوَرِهْ
راح في ثِنْيَيْ مُفاضَتِهِ أَسَدٌ يَدْمَى شَبا ظُفُرِهْ
تَتَأنَّى الطيرُ غَدْوَتَهُ ثِقَةً بالشِبْعِ من جَزَرِهْ
فاسْلُ عن نَوْءٍ تُؤَمِّلُهُ حَسْبُكَ العباسُ من مَطَرِهْ
لا تَغَطَّى عنه مَكْرُمَةٌ بِرُبا وادٍ ولا خَمَرِهْ
ذُلِّلَتْ تلك الفِجاجُ له فهو مُجْتازٌ على بَصَرِهْ

وقد عابوا عليه قوله :

كيف لا يُدْنيكَ من أَمَلٍ مَن رسولُ الله من نَفَرِهْ

وهو لعَمْري كلامٌ مُسْتَهْجَنٌ موضوع في غير موضعه ، لأن حق رسول الله ﷺ أن يُضاف اليه ولا يضاف إلى غيره ، ولو اتسع متسع فأجراه في باب الحيلة لخرج على الاحتيال ، ولكنه عَسِرٌ موضوع في غير موضعه ، وباب الاحتيال فيه أن تقول : قد يقول القائل من بني هاشم لغيره من أبناء قريش : منا رسول الله ﷺ ، وحَقٌ هذا إنه من القبيلِ الذي أنا منه فقد أضافه إلى نفسه . وكذلك يقول القُرَشِيُّ لسائر العرب كما قال حسّانُ بنُ ثابت :

Marfat.com

وما زالَ في الإسْلامِ من آل هاشِمٍ دعائمُ عِزٍّ لا تُرامُ ومَفْخَرُ
بَهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّهِ عليٌّ ومنهم أحمدُ المتَخَيَّرُ

فقال منهم كما قال هذا : من نفره، أراد من النفر الذين العباسُ هذا الممدوح منهم . وأما قول حَسّان : منهم جعفر وابن أمه عليٌّ ومنهم أحمد المتخير ، فان العرب اذا كان العطف بالواو قَدَّمَتْ وأخرتْ. قال الله تبارك وتعالى: هو الذي خَلَقَكُمْ فمِنْكُمْ كافرٌ ومنكم مؤمنٌ . وقال : يا مَعْشرَ الجن والانس . وقال : اسْجُدي واركعي مع الراكعين. ولو كان بثم أو بالفاء لم يصلح إلا تقديم المقدَّم ثم الذي يليه واحداً فواحداً . وأما قوله في هذا الشعر :

وكريمُ الخال من يَمَنٍ وكريمُ العمّ من مُضَرِهْ

فأضاف مُضَرَ اليه فهو أجود كلامٍ لا يمتنع منه ممتنعٌ . قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه – يوم الجمل للأشْتَرِ وهو مالك بن الحرث أحدُ النَخَعِ بن عمرو بن عَلَةَ بن جَلْدٍ، وكان على الميْمَنَةِ – احْمِلْ، فحَمَلَ في أصحابه فكَشَفَ من بازائه. ثم قال لهاشم بن عُتبةَ بن مالك أحد بني زُهرَةَ بن كِلاب وكان على الميْسَرَةِ :احْمِلْ فحَمَلَ في المُضَرِيَةِ فكشَفَ من بازائه ،فقال عليّ رضي الله عنه لأصحابه: كيف رأيتم مُضَري ويَمَني؟ فأضاف القبيلتين الى نفسه. قال جرير :

ان الذين ابْتَنَوا مجْداً ومَكْرُمةً تلْكُمْ قُرَيْشِيَ والأنصارأنصاري

ومما يستحسن من أشعار المحْدَثين قول اسحق بن خَلَفٍ البَهْراني ،ونسبُهُ في بني حنيفة ، لسباءٍ وقع عليه بقوله لعلي بن عيسى بن موسى بن طلحة الأشعري المعروف بالقُمّيّ (منسوب الى قُمّ وهي بلدة أو قرية من خُراسانَ) :

وللمُكْرِمِ منك إذا زُرْتَهُمْ بكَيْدِكَ يومٌ كيوم الجَمَلْ
وما زال عيسى بن موسى له مَواهبُ غيرُ النِطافِ المُكَلْ

Marfat.com

لَسَلُّ السيوف وَشَقُّ الصُّفوف لنقض القِرات وَضَرْبِ القُلَلْ
وَلَبْسُ المجاجةِ والخافقات تُريكَ المنَا برؤوس الأَسَلْ
وقد كشَرَتْ عن شَبا نابها عروسُ المنيَّة بين الشُعَلْ
وجاءتْ تَهادى وأبناؤها كأنّ عليهم شُروقَ الطفَلْ
خَروسٌ نطوقٌ إذا استُنطِقَتْ جَهولٌ تَطيشُ على مَن جَهِلْ
إذا خُطِبَتْ أخذتْ مَهرَها رُؤوساً تَحادَرُ قبل النَفَلْ
ألذُّ اليه من المُسْمعات وَحثٌّ الكُؤَسةِ في يوم طَلْ
وشُرْبِ المُدام ومَن يَشْتهيه مُعاطٍ له مِزاج القُبَلْ
بعثنا النوَاعج تحتَ الرِجال تَسافَهُ أشداقُها في الجُدُلْ
إذا ما حُدينَ بمَدْحِ الأمير سَبَقْنَ لِحاظَ المُحَثِّ العَجِلْ

(من كسر الميم فهو من حَثَّ ومن ضم الميم جعله من أَحَثَّ . يقال : حث وأحث على فَعَلَ وعلى أفْعَلَ لغتان) . قوله : تريك المنا يريد المنايا وهذه كلمة تخفُّ على ألسنتهم فيحذفونها . وزعم الأصمعي : انه سمع العرب تقول : دَرَسَ المَنا يريدون المنازل . وجاء في التخفيف أعجبُ من هذا. حدثنا بعض أصحابنا عن الأصمعي ، وذكره سيبويه في كتابه ولم يذكر قائله ، ولكن الأصمعي قال : كان أخوان متجاوران لا يكلم كل واحد منهما صاحبه سائر سنته حتى يأتي وقت الرعي ، فيقول أحدهما لصاحبه : ألا تا . فيقول الآخر : بلى فا يريد ألا تنهض ، فيقول الآخر : بلى فانهض . وحكى سيبويه في هذا الباب :

بالخير خيراتٍ وإنْ شَرًّا فا ولا أريدُ الشَرَّ إلا انْ تا

يريد وإن شراً فشر ولا اريد الشر الا ان تريد . (قال : ش قول أبي العباس : إلا أن تريد وَهْمٌ وإنما هو الا ان تشاء . ولو كان كما قال أبو العباس كانت التاء مضمومة) . وهذا خلاف ما تستعمله الحكماء ، فانه يقال ان اللسان اذا كثرت حركته رقت عَذَبَتُهُ . وحدثني أبو عثمان الجاحظ قال: قال لي محمد

Marfat.com

ابن الجهم لما كانت أيامُ الزُطّ أدّمنت الفكرَ وأمسكت عن القول فاصابتني حُبْسَةٌ في لساني . وقال رجل من الأعراب يذكر آخر منهم :

كأنّ فيه لَفَفاً إذا نَطقْ من طول تَحْبيسٍ وَهَمٍّ وأرَقْ

وقال رجل لخالد بن صَفْوان : إنك لَتُكْثِرُ . فقال : أُكْثِرُ لضربَين أحدهما فيما لا تُغْني فيه القِلّةُ ، والآخر لتمرين اللسان فإن حبسه يورث العُقْلةَ . وكان خالد يقول: لا تكونُ بليغاً حتى تُكلّمَ أَمَتَكَ السوداءَ في الليلة الظلماء في الحاجة المُهِمّة بما تتكلم به في نادي قومِك . فإنما اللسان عضوٌ اذا مَرّنتَهُ مَرَنَ ، وإذا أهملته خارَ ، كاليد التي تُخَشْنُها بالممارسة ، والبدنِ الذي تُقوّيه برفع الحجَرِ وما أشبهه ، والرِجلُ إذا عُوّدَتْ المشيَ مشت . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا تزالونَ أصِحّاءَ ما نَزَعْتُمْ ونَزَوْتُم ، فنزعتم في القِسِيّ ونزوتم على ظهور الخيل. وقال بعض الحكماء : لا ينبغي للعاقل أن يُخْلي نفسه من ثلاثٍ في غير إفراط : الأكل والمشيُ والجماعُ . فأما الاكل فان الأمعاء تضيق لتركه ، وكان ابن الزبير رحمه الله يُواصِلُ فيما ذكروا بين خمس عشرة من يوم وليلة ثم يُفْطِرُ على سَمْنٍ وصَبِرٍ ليَفْتُقَ امعاءَهُ . قال ابو العباس : قال الأول: والمشيُ ان لم تتعهده أوْشكتَ ان تطلبَه فلا تجدَه. والجماعُ كالبئر ان نُزِحَتْ جَمّتْ وان تُرِكَتْ تحَيّرَ ماؤها ، وحقٌ هذا كله القصْدُ . وقوله : كأنّ عليهم شُروقَ الطَفَلْ ، يريد تألُّقَ الحديد كأنه شمس طالعة عليهم وإن لم تكن شمس . وأحسن من هذا قول سلامة بن جَنْدَلٍ :

كأنّ النعامَ باضَ فوق رؤوسهم وأعينُهم تحت الحديد جواحِمُ

(أي مُتّقِدة) فهذا التشبيه المصيب. وأما قوله: أحب اليه من المسْمِعات ، فقد قال مثله القاسم بن عيسى بن ادريس ابو دُلَفٍ العِجْليُّ :

يَوْمايَ يومٌ في أوانِسَ كالدُمى لَهْوي ويومٌ في قتالِ الدَيْلَمِ
هذا حليفُ غلائِلٍ مَكْنُوثةٍ مِسْكاً وصافيةٍ كلَوْنِ العَنْدَمِ

Marfat.com

ولذاك خالِصةُ الدُروع وضُمّرٌ يكسوننا رَهَجَ الغُبارِ الأقتَمِ
وليومِهِنّ الفضلُ لولا لذّةٌ سبقتْ بطعن الدَيْلَمِيّ المُعْلَمِ

وأول هذه القصيدة طريف مستملح وهو :

طواه الهوى فطوَى من عَدَلْ وحالف ذا الصَبْوةِ المُخْتَبَلْ

وأما قوله : تَسافَهُ اشداقُها في الجُدُلْ ، فتسافه من السفه ، وإنما يصفها بالمرَحِ وانها تميل كذا مرة وكذا مرة ، كما قال رُؤْبةُ : يَمْشي العِرَضْنَى في الحديد المُتْقَنِ . وكما قال الآخر :

اذا رأى الوْطَ مَشى الهَيْدَبى ويَتّقي الأرْضَ بمُنْجٍ رِقاق

(الهيدبى بالدال مهملة ومعجمة . وقوله : بمنج رقاق يريد قليلة اللحم) . وكما قال الحُطَيْئةُ :

وإن آنَسَتْ حِسّاً من السوط عارَضَتْ بيَ الجَوْزَ حتى تستقيمَ ضُحى الغَدِ

والجُدُلُ جمع جَديلٍ وهو الزِمامُ المجدول ، كما تقول قتيل ومقتول ، وادنى العدد أجدِلَةٌ ، كقولك : قضيبٌ وقُضُبٌ وأقضِبةٌ . وكذلك : كثيبٌ ورَغيفٌ وجَريبٌ ، وفُعْلانٌ كفُعُلٍ في الكثير يقال : قُضْبانٌ ورُغْفانٌ وجُرْبانٌ . ومثل قوله : تسافه اشداقها في الجدل . قول حبيب بن أوس الطائيّ :

سفيهُ الرُمْحِ جاهِلُهُ اذا ما بَدا فَضْلُ السفيه على الحليم

ومما يُستحسن من شعر اسحق هذا قوله في الحسن بن سهْلٍ :

بابُ الأمير عَراءٌ ما به أحَدٌ إلا امرُؤٌ واضِعٌ كفا على ذَقَنِ
قالتْ وقد أمّلتْ ما كنتُ آمُلُهُ هذا الامير ابنُ سَهْلٍ حاتمُ اليَمَنِ
كفَيْتُكَ الناسَ لا تَلقى أخا طَلَبٍ بفِيء دارِكَ يَستَعْدي على الزمن
ان الرجاء الذي قد كنت آمله وَضعتُهُ ورجاءَ الناسِ في كفَنِ
في الله منه وجَدْوى كفّهِ خَلَفٌ
ليس السَدى والنَدى في راحةِ الحَسَنِ

Marfat.com

واسحق هذا هو الذي يقول في صفة السيف :

أَلْقى بجانب خَصْرِهِ أَمْضى من الأَجلِ المُتاحْ
وكأنما ذَرَّ الهَبا ءَ عليه أَنفاسُ الرياح

واسحق هذا هو الذي يقول في مدح العربية :

النَحْوُ يَبْسُطُ من لسانِ الأَلْكَنِ والمرءُ تُكْرِمُهُ اذا لم يَلْحَنِ
وإذا طَلَبْتَ من العلوم أَجَلَّها فأَجَلُّها منها مُقيمُ الأَلْسُنِ

قال ابو العباس : واحسبه اخذ قوله : والمرء تكرمه اذا لم يَلْحَنِ ، من حديث حدَّثناه ابو عثمان الخُزاعيُّ عن الاصمعي قال : كان يقال ثلاثة يُحْكَمُ لهم بالنُبْلِ حتى يُدْرى منْ هم ، وهم : رجل رأيتَه راكباً ، او سمعته يُضْرِبُ ، او شَمِمْتَ منه طيباً . وثلاثة يُحكمُ عليهم بالاستصغارِ حتى يُدْرى من هُمْ ، وهم : رجل شَمِمْتَ منه رائحةَ نبيذٍ في مَحْفِلٍ : او سمعته في مِصْرٍ عَرَبِيٍّ يتكلم بالفارسية ، او رجلٌ رأيته على ظهر طريق ينازعُ في القَدَرِ . قال ابو العباس : انشدني الامراء لشاعر من اهل الرَيِّ يُكْنى ابا يزيد شيئاً يقوله لعبد الله بن طاهر أَحسَنَ فيه واصابَ الفَصْلَ ، وقصَدَ بالمدح الى مَعْدِنِهِ ، واختاره لاهله :

اشْرَبْ هَنيئاً عليك التاجُ مُرْتَفِقا في شاذَ مَهْرَ ودَعْ غُمْدانَ للِيَمَنِ
فأنتَ أَوْلى بتاج المُلْكِ تَلْبَسُهُ من هَوْذَةَ بن عليٍّ وابنِ ذي يَزَنِ

فأحسَنَ الترتيب جداً ، وإن كانت الملوك كلها تلبس التاج في ذلك الدهر وانما ذكر ابنَ ذي يَزَنٍ لقول أُمَيَّةَ بن أبي الصَلْتِ الثَقَفِيِّ حيث يقول :

اشْرَبْ هَنيئاً عَلَيْكَ التاجُ مُرْتَفِقا في رأس غُمْدانَ داراً منكَ مِحْلالا

وقال الاعشى في هَوْذَةَ بن عليٍّ وإن لم يكن هوذةُ مَلِكاً :

مَن يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غيرَ مُنْتَصِبٍ اذا تَعَمَّمَ فوق التاج او وَضَعا

Marfat.com

له أكاليلُ بالياقوت فَصَّلها صوّاغُها لا ترى عيباً ولا طَبَعا

قال أبو العباس ، وحدثني التَوّزيُّ قال : سمعت أبا عبيدة يقول عن أبي عمرو قال : لم يَتَتَوَّجْ مَعَدِّيٌّ قط وانما كانت التيجان لليمن فسألته عن هَوْذَةَ بن علي الحنفي فقال: انما كانت خَرَزاتٌ تنْظَم له .قال أبو العباس: وقد كتب رسول الله ﷺ الى هوذة بن علي يدعوه كما كتب الى الملوك وكان يُجير لَطيمةَ كِسْرى في البرّ بحَنَبات اليمامة ،واللطيمة الابلُ تَحْمِلُ الطيب والبَزّ ،ووفدَ هَوْذَةُ بن سلّيّ على كِسرىً بهذا السبب ،فسأله عن بَنيهِ فذكر منهم عدداً . فقال : أيهم أحبُّ اليك ؟ فقال : الصغير حتى يكبر ، والغائبُ حتى يَقْدَمَ ، والمريض حتى يَصِحّ . فقال له كِسْرى ما غِذاؤكَ في بلدك ؟ فقال الخبزُ . فقال كسْرى لجُلَسائِهِ : هذا عَقل الخُبزِ يفضّله على عقول أهل البوادي الذين يَعْتدّون اللبن والتمر . وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال : لقد هَمَمْتُ أن لا أقْبَلَ هَدِيّة ، ويروى أن لا أتَّهِبَ هِبةَ الا من قُرَشيٍّ أو أنصاري أو ثَقَفيٍّ . وروى بعضهم أودَوْسِيٍّ ، وذلك أنَّ أعرابياً أهدى اليه هدية ، فمنّ بها . فذكر رسول الله ﷺ أهل الامصار تفضيلاً على أهل البوادي . وقال عبدالله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ يعاتب رجلاً من الأشراف :

أتَيْتُكَ زائراً لقَضاءِ حَقٍّ فحال السِتْرُ دونك والحِجابُ
وعِندكَ مَعْشَرٌ فيهم أخٌ لي كأنّ إخاءَهُ الآلُ السَرابُ
ولَسْتُ بساقطٍ في قِدْرِ قوم وإنْ كَرِهوا كما يقعُ الذبابُ
ورائي مَذْهَبٌ عن كل ناء يجانبه اذا عزّ الذَهابُ

وقال ايضاً :

كنا مُلوكاً اذ كان أوّلُنا للجودِ والبأسِ والمُلى خُلِقوا
كانوا جبالاً عِزّاً يُلاذُ بها ورانحاتٍ بالوَبْلِ تَنْبَعِقُ

* ابو عبيدة : مشهور بشعوبيته . وفي ذكر الخبز وتفضيل آكله على شارب اللبن ما يثبت ذلك . والقصة مختلفة .

Marfat.com

كانوا بهم تُرْسَل السماءُ على الأرض غِياثاً ويُشْرِقُ الأفُقُ
لا يرْتَقُ الراتقون ان فَتَقوا فَتْقاً ولا يُفْتِقُونَ ما رتقوا
ليسوا كمُزْنَى مَطيرةٍ بقيتْ فما بها من سَحابةٍ لَتَقُ

(اللَتَقُ البلل)

والضعفُ والجُبْنُ عند نائبةٍ تنوبُهُمْ والحِذارُ والفَرَقُ
هذا زمانٌ بالناس مُنْقَلِبٌ ظهْراً لبطنٍ جديدُه خَلَقُ
الأُسْدُ فيه على بَرائنها مُسْتأخِراتٌ تكاد تَمْزِقُ

وكان سببُ قوله هذا الشعرَ أنَ اسمعيل بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبدالله ابن العباس، كان له صديقاً، وكان عبدالله بن محمد بن أبي عُيَيْنَةَ من رؤساء مَنْ أخذ البَصْرةَ للمأمون في أيام المخلوع، وكان معاضِداً لطاهر بن الحسين في حروبه وكان اسمعيل بن جعفر جليل القدر مطاعاً في مَواليه وأهلِهِ، وكانت الحال بينهما ألطفَ حالٍ، فوصله ابن أبي عيينة بذي اليمينين فوَلاهُ البصرة وولّي ابنَ أبي عيينة اليَمامةَ والبَحْرَيْنِ وغَوْصَ البحرِ، فلما رجعا الى البصرة تَنَكَّرَ اسمعيلُ لابن أبي عُيينة، فهاج بينهما من التباعد على مثال ما كان بينهما من المقاربة، ثم عُزِلَ ابنُ أبي عُيينة، فلم يزل يهجو اسمعيلَ، وسأل ذا اليمينين عَزْلَهُ فدافعه وضَرَّ بالرجل فكان يهجر من أهله مَنْ يواصلُ اسمعيلَ، وكان أكبرَ أهلِهِ قدراً في ذلك الوقت يزيدُ بن المُنْجابِ، وكان أعور قائمَ العينِ لم يُطَّلَعْ على علّتِهِ الا بشعر ابن أبي عيينة، وكان منهم. وكان سيدَ أهل البصرة أجمعين محمدُ بن عَبّادِ بن عباد بن حبيب بن المُهَلَّبِ ومنهم سعيد بن المهلب بن المغيرة بن حرب بن محمد بن المهلب بن أبي صُفرةَ وكان قصيراً، وكان ابن عباد أحْوَلَ فذلك حيث يقول ابن أبي عيينة في هذا الشعر الذي أمليناه :

تَسْتَقدِمُ النَمْجتانِ والبَرَقُ في زمنٍ سَرْوُ أهلِهِ الملَقُ

Marfat.com

عُورٌ وحُولٌ وثالثٌ لَهُـــمُ كأنّهُ بين أسْطُرٍ لَحَقُ

ولهم يقول ولاثنين ظنّ أنهما معهم ، وقد مروا به يريدون اسمعيل بن جعفر :

ألا قُلْ لِرَهْطٍ خَمْسةٍ أو ثلاثةٍ يُعَدُّونَ من أبناء آل المُهَلَّبِ
على باب اسمعيل رُوحُوا وبَكِّروا دَجاجَ القُرى مَبْثوثةٌ حول ثَعلب
وأثْنوا عليه بالجميل فانـــه يُسِرُّ لكم حُبّاً هو الحبُّ واقلبِ
يلينُ لكم عند اللقاءِ مُوارِباً ويَخْلُقُكُمْ منه بنابٍ ومِخْلَبِ
ولولا الذي تُولونَهُ لتَكَشَّفَتْ سَرِيرَتُهُ عن بِغْضةٍ وتَعَصُّبِ
أبَعْدَ بَلائي عنده إذْ وجَدْتُهُ طَرِيحاً كنَصْلِ القِدْحِ لمّا يُرَكَّبِ
به صَدَأٌ قد عابَهُ فَجَلَوْتُهُ بكفّي حتى ضَوْءُهُ ضَوءُ كوكبِ
وركَّبْتُهُ في خُوطِ نَبْعٍ ورِشْتُهُ بقادِمَتَيْ نَسْرٍ ومَتْنٍ مُعَقَّبِ
فما إنْ أتاني منه الا مُبَوَّأٌ إليَّ بنَصْلٍ كالحريق مُذَرَّبِ
فَفَلَلْتُهُ منه حَدَّهُ وتركْتُهُ كهُدْبَةِ ثوب الخزّ لما يُهَدَّبِ
رَضِيتم بأخلاقِ الدَنِيِّ وعِفْتُمُ خلائقَ ماضيكم من العَمِّ والأبِ

وفي هذا يقول لطاهر بن الحسين :

مالي رأيتُكَ تُدْنِي كلَّ مُنْسَكِبٍ اذا تَغَيَّبَ مُلْتاثٍ اذا حَضَرا
اذا تَنَسَّمَ ريحَ الغَدْرِ قابلَها حتى اذا نَفَخَتْ في أنفه غَدَرا
ومَنْ يجيء على التقريب منكَ له وأنتَ تعرِفُ فيه اللَيْلَ والصَّعَرا
أحَلَّكَ اللهُ من قَحْطانَ منزلةً في الرأس حيثُ أحَلَّ السمعَ والبَصَرا
فلا تُضِيعَنَّ حقَّ قَحْطانٍ فتُغْضِبَها ولا رَبِيعَةَ كلّاً ولا مُضَرا
أعطِ الرجالَ على مِقدارِ أنفسهم وأولِ كُلّاً بما أولَى وما صَبَرا

Marfat.com

ولا تقولَنْ اني لَسْتُ من أحَدٍ لا تَمحَقِ النَيِّرَينِ الشمسَ والقمرا

ويقول له في أخرى :

هو الصَبرُ والتسليمُ لله والرضا اذ نَزَلَتْ بي خُطَّةٌ لا أشاؤها
اذا نحن أبْنا سالمين بأنفُسٍ كِرامٍ رَجَتْ أمراً فخاب رجاؤها
فانفُسُنا خيرُ الغنيمة إنها تَؤوبُ وفيها ماؤها وحَياؤها
هي الأنفُسُ الكُبْرُ التي إنْ تقدّمتْ
أو استأخرتْ فالقتلُ بالسيف داؤها
سيعلم اسمعيلُ أن عَداوتي له ريقٌ أفعى لا يُصابُ دَواؤها

ولما حُمِل اسمعيلُ مقيداً ومعه ابناه أحدهما في سلسلة مقروناً معه وكان الذي تولى ذلك أحمد بن أبي خالد في قصة كانت لاسمعيل أيامَ الخُضْرةِ . فقال ابن أبي عُيَيْنَةَ في ذلك :

مَرْ اسمعيلُ وابنا هُ مَعاً في الأُسَراءِ
جالساً في مَحْمِلٍ ضَنْكٍ على غير وِطاءِ
يَتَغَنّى القيدُ في رجلَيْهِ ألوانَ الغِناء
باكياً لأرَقّاتْ عَينَاهُ من طول البُكاءِ
ياعُقابَ الدَجْنِ في الأمْنِ وفي الخوف بنَ ماءِ

وقد كان تطير عليه بمثل ما نزل به . فمن ذلك قوله :

لا تَعْدَمِ المَنْزِلَ يا أبا الحَسَنِ ولا هُزالاً في دَوْلَةِ السِجَنِ
ولا انتقالاً من دارِ عافيةٍ الى ديار البَلاءِ والفِتَنِ
ولا خُروجاً الى القِفارِ من الأرض وتَرْكَ الأحْبابِ والوَطَنِ
كم رَوْحةٍ فيك لي مُهَجِّرةٍ ودُلْجَةٍ في بَقيّةِ الوَسَنِ
في الحر والقُرْ كي تُوَلّى على البصرة عَينِ الأمْصار والمُدُنِ

Marfat.com

إني أحاجيكَ يا أبا حَسَنٍ ما صورةٌ صُوِّرَتْ فلم تكنِ
وما بهيٌّ في العَينِ مَنظَرُهُ لوْ وَزنوهُ بالزِفِّ لم يَزِنِ
ظاهرُهُ رائعٌ وباطنُهُ مَلآنُ من سَوْأةٍ ومن دَرَنِ

وهذا الشعر اعترض له فيه عمرو بن زَعْبَلٍ مولى بني مازِنِ بن مالك بن عمرو بن تميم ،وكان منقطعاً الى اسمعيل وولدِهِ ،وكان لا يَبْلُغُ ابنَ أبي عُيَينَةَ في الشعر ولا يدانيه. ومن أمثل شعره وما اعترَضَ له به . قوله:

اني أحاجيكَ ما حنيفٌ على الـفِطرةِ باعَ الرِّباحَ بالغَبَنِ
وما شُيَيْخٌ من تحت سِدْرَتِهِ مُعَلِّقٌ نعْلَهُ على الغُصُنِ
وما سُيوفٌ حُمْرٌ مُصَقَّلةٌ قد عُرِّيَتْ من مقابضِ السَفَنِ
وما سِهامٌ صُفرٌ مُجَوَّفةٌ تَحْشى خُيوطَ الكتانِ والقُطُنِ
وما ابنُ ماءٍ ان يُخْرِجوهُ الى الأرض تَسِلْ نفْسُهُ من الأُذُنِ
وما عُقابٌ زَوْراءُ تَلْحَمُ من خَلْفٍ فتَهوي قصْداً على سَنَنِ
لها جناحانِ يَحْفِزانِ بها نبطا اليها بِجِدْوَتَيْ رَسَنِ
يا ذا اليَمينينِ اضْرِبْ عِلاوَتَهُ يُدْفَعْ ومانِي في النار في قَرَنِ

(قيل السفينة وقيل الراية وهو أصح لان جَدَّهُ حَبَس رايةَ طاهر بن الحسين ثلاثة أعوام وقوله ومانِي في النار في قرن ،مانِي اسم عَلَمٍ وكان رأساً من رؤوس الزنادقة) فأجابه ابراهيم السوّاقُ مولى آل المُهَلَّبِ وكان مُقَدَّماً في الشعر بأبيات لا احفظ أكثرها ، منها :

قد قيل ما قيل في أبي حَسَنٍ فانتحِروا في تطاوُلِ الزَمَنِ

وهذا السواق هو الذي يقول لبُشْرِ بن داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصةَ ابن المهلب :

سَماؤُكَ تُمْطِرُ الذهبا وحَرْبُكَ تَلتَظي لَهَبا

Marfat.com

وأيُّ كتيبـــةٍ لاقتـــكَ لم تَسْتَحْسِنِ الهَـرَبا

ومن شعره السائر :

هَبيـني يا مُعَـــذِّبَتي أساتُ وبالهِجْرانِ قبلَـــكُمُ بَدأتُ
فأينَ الفَضْلُ منكِ فَدَتكِ نفسي عـــليَّ اذا أسأتِ كما أسأتُ

ولابن أبي عُيَيْنَةَ في هذا المعنى أشعار كثيرة في معاتبـات ذي اليمينين وهجاءِ اسمعيل وغيره ، سنذكرها بعدُ في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . ومن شعره المستحسَن ، قوله في عيسى بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس، وكان تزوج امرأة منهم يقال لهـــا فاطمةُ بنت عمر بن حفص هَزارَمَرْدَ (وقعت الرواية كما في الاصل وصوابه هَزاذَمَرْدَ بالزاي والذال معجمة ولا خلاف في الزاي) ، وهو من ولد قَبيصةَ بن أبي صُفرةَ ولم يَلِدْهُ المُهَلَّبُ ، وكان يقال لأبي صُفرةَ ظالم بن سَرّاق :

أفاطِمِ قدزُوِّجتِ عيسى فأيقِني بذُلٍّ لدَيهِ عاجلٍ غير آجِلِ
فانكِ قدزُوِّجتِ عن غيرِ خِبرةٍ فتىً من بَني العباس ليس بعاقِلِ
فان قُلتِ من رَهطِ النبيِّ فانـــه وان كان حُرَّ الأصلِ عبدُ الشمائل
فقد ظَفِرَتْ كفّاهُ منكِ بطائلٍ وما ظَفِرَتْ كفّاكِ منه بطائل
وقد قال فيه جعفرٌ ومحمـــدٌ أقاويلَ حتى قالها كلُّ قائـــل
وما قلتُ ما قالا لأنكِ اخترتنا وفي الشرِّ منا والذُرا والكواهلِ
لَعَمري لقد أثبَتّهِ في نِصابهِ بأنْ صِرْتِ منه في مَحلِّ الحلائِل
اذاما بَنو العَباسِ يوماً تَبادَروا عُرا المجدِ وابتاعوا كِرامَ الفَضائل
رأيتِ أبا العباسِ يسْمو بنفسه الى بيعِ بَيّاعاتِهِ والمَباقِـــل
يُرَخِّمُ بيضَ العامِ تحتَ دَجاجهِ ليُخْرِجَ بيضاً من فراريج قابلِ

Marfat.com

قال أبو العباس : وولَدُ عيسى من فاطمة هذه لَهُم شجاعةٌ ونجدةٌ وشدة أبدانٍ ، وفاطمة التي ذكرتُها هي التي كان يَنسِبُ بها أبو عُيَيْنَةَ أخو عبدالله ويَكني عنها بدُنيا . ومن ذلك قوله لها :

دَعَوْتُكَ بالقَرابة والجِوارِ دُعاءَ مُصرِّحٍ بادي السِّرار
لِأني عنكِ مُشْتغلٌ بنفسي ومُحْتَرِقٌ عليكِ بغير نار
وأنت توَفّرينْ وليس عندي على نار الصَبابةِ من وَقارِ
فأنتِ لأنّ ما بكِ دون ما بي تُدارينَ العُيونَ ولا أُداري
ولوْ واللهِ تَشْتاقين شَوْقي جَمَحْتِ إليّ خالِعةَ العِذار

وقال عبدالله يعاتب ذا اليمينين .

مَن مُبلِغٌ عني الأميرَ رسالةً محصورةً عندي عن الإنشاد
كلُّ المصائبِ قد تمُرُّ على الفَتى فتَمُرُّ غير شماتَةِ الحُسّادِ
وأظُنُّ لي منها لدَيكَ خَبيئةً ستكونُ عند الزادِ آخِرَ زاد
مالي أرى أمْري لديكَ كأنه من ثِقْلِهِ طَودٌ من الأطوادِ
وأراكَ تُرْجيهِ وتُمْضي غيره في ساعةِ الإصدارِ والإيراد
اللهُ يَعْلمُ ما أتيتُكَ زائراً من ضيقِ ذاتِ يَدٍ وضيقِ بلاد
لكن أتَيْتُكَ زائراً لك راجياً بك رتبةَ الآباءِ والأجْدادِ
قد كان لي بالمِصرِ يومٌ جامِعٌ لكَ مُصلِحٌ فيه لكل فساد
ودعوْتُ منصوراً فأعلنَ بيعةً في جَمْعِ أهل المِصرِ والأجْناد
بارَتْ مُسارَعتي اليكَ بطاعتي كلَّ البَوارِ وآذَنتْ بكسادِ
في الأرضِ مُنفَسَحٌ ورزقٌ واسعٌ لي عنكَ في غَوْري وفي إنجادي

Marfat.com

وقال أيضاً يعاتبه :

أيا ذا اليمينَينِ إنّ العِتا ب يُفري صُدوراً ويَشفي صدورا
وكنتُ أرى أنّ تركَ العِتا ب خيرٌ وأجدرُ أن لا يَضيرا
إلى أن ظَننتُ بأن قد ظننْتَ بأني لِنفسيَ أرضَى الحقيرا
فاضمَرَتِ النفسُ في وَهمها من الهمّ هماً يكُدُّ الضميرا
ولا بُدّ للماءِ في مِرْجَلٍ على النار مُوقَدةً أن يفورا
ومن أشرب اليأسَ كان الغنيّ ومَن أشرب الحِرصَ كان الفقيرا
عَلامَ وفيمَ أرى طاعَتي لديْكَ ونصري لك الدهرَ بُورا
ألم أكُ بالمِصرِ أدعو البعيد اليك وأدعو القريبَ العشيرا
ألم أكُ أوّلَ آتٍ أتاك بطاعة مَن كان خلفي بَشيرا
وألزَمُ غَرْزَكَ في مافِط الحُروبِ عليها مقيماً صَبورا
ففيمَ تُقَدّمُ جَفّالةً اليكَ أمامي وأُدْعى أخيرا
كأنّكَ لم ترَ أن الفتى الحَميّ اذا زارَ يوماً أميرا
فقُدْمَ مَن دونَهُ قَبْلَهُ ألستَ تراه بسُخْطٍ جديرا
ألَسْتَ ترى انّ سَفّ التراب به كان أكرَمَ من ان يزورا
ولستُ ضعيفَ الهوى والمدى أكونُ الصّبا وأكونُ الدّبورا
ولكنْ شِهابٌ فإنْ تَرْمِ بي مُهِمّاً تجِدْ كوكبي مستنيرا
فهل لك في الإذنِ لي راضياً فاني أرى الإذنَ غُنْماً كبيرا
وكان لك اللهُ فيما ابْتُعِثتَ له من جهادٍ ونصرٍ نصيرا
ولا جَعَلَ اللهُ في دَوْلةٍ سَبَقْتَ اليها وربحٍ فُتورا
فانّ ورائيَ لي مَذْهَباً بعيداً من الارض قاعاً وقُورا

Marfat.com

به الضَبُ تَحْبِسُهُ بالفلاة اذا خَفَقَ الآلُ فيها بَعيرا
ومالاً ومِصْراً على أهلِه يَدُ الله من جائرٍ ان يجورا
وإني لَمِنْ خير سُكّانِهِ وأكثرِهِمْ بنفيري نَفيرا

وقال عبدالله لعلي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان دعاه الى نُصرتِه حين ظهرت المُبَيِّضة فلم يُجِبه فتوعده علي . فقال عبدالله :

أعَليَّ انك جاهلٌ مغرورٌ لا ظُلمةٌ لك لا ولا لَكَ نُورُ
أكَتَبْتَ توعِدُني ان استبطأتني اني بحَربك ما حَييتُ جَديرُ
فدَعِ الوعيدَ فما وعيدُك ضائري أطَنينُ أجْنِحةِ البَعوضِ يضيرُ
واذا ارتحَلْتُ فان نصريَ للأولى أبَوا هُمُ المَهْدِيُّ والمنصورُ
نَبَتَتْ عليه لُحومُنا ودِماؤُنا وعليه قَدْرَ سَعْيِنا المَشْكورُ

وقال عبدالله في قتل داود بن يزيد بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهلَّبِ : مَنْ قَتَلَ بأرض السِندِ بدم خيه المُغيرةِ بن يَزيدَ :

أفنى تميماً سَعْدَها ورِباَبَها بالسِندِ قَتْلُ مُغيرةَ بن يَزيد
صَعِقَتْ عليهم صَعقةٌ عَنَكَبِيَّةٌ جَعَلَتْ لهم يَوماً كيوم ثَمود
ذاقَتْ تميمٌ عَرْكَتَينِ عذابَنا بالسِندِ من عُمَرٍ ومن داود
قَدْنا الجيادَ من العِراقِ اليهمُ مثلَ القَطا مُسْتَنَّةً لوُرودِ
يَحْمِلنَ من ولد المُهلَّبِ عُصبةً خُلِقَتْ قُلوبُهُمُ قلوب أُسودِ

وفي المغيرة يقول في قصيدة مطولة :

اذا كَرَّ فيهم كرَّةً أفرجوا له فِرار بُغاثِ الطيرِ صادَفنَ أجدَلا
وما نِيلَ الا بِرُمْحٍ بعيدٍ بحاصبٍ من النَبْلِ والنُشّابِ حتى تَجَدَّلا

Marfat.com

واني لَمُثْنٍ بالذي كان أهلَهُ ... أبو حاتمٍ ان ثاب دَهرٌ فاعضلا
فتىً كان يَستَحيي من الذَمِّ أن يَرى ... له مَخْرجاً يوماً عليه ومَدْخلا
وكان يَظنُّ الموتَ عاراً على الفتى ... يَدَ الدهرُ الا أن يُصابَ فيُقْتَلا
مَنيتُهُ ابناء المُهَلَّبِ إنهُمْ ... يَرَوْنَ بها حتما كتاباً مُعَجَّلا
وقد أطلَقَ اللهُ اللسانَ بقتل مَنْ ... قتَلنا به منهم ومَنْ وأفضلا
أناخ بهم داودُ يَصرِفُ نابُهُ ... ويُلقي عليهم كَلْكَلاً ثم كَلْكَلا
يُقَتِّلُهُمْ جوعاً اذا ما تَحَصَّنوا ... وتَقْريهُمُ هوجُ الجَنيقِ جَندلا

وهذا شعر عجيب من شعره وفي هذه القصة يقول :

أبَتْ الا بُكاءً وانتِحابا ... وذِكْراً للمُغيرةِ واكتِئابا
ألم تَعْلَمْ بأن القتلَ وِرْدٌ ... لنا كالماءِ حين صَفا وطابا
وقلتُ لها قِري وثِقي بقولي ... كأنكِ قد قرأتِ به كتابا
فقد جاء الكتابُ به فقولي ... ألا لا تَعْدَمِ الرأيَ الصَوابا
جَلَبْنا الخيلَ من بَغداد شُهْناً ... عَوابِسَ تَحْمِلُ الأُسْدَ الغِضابا
بكلِّ قَفىً أغَرَّ مُهَلَّبيٍّ ... تخالُ بضَوءِ صورته شِهابا
ومِنْ قَحْطانَ كلُّ أخي حِفاظٍ ... اذا يُدْعى لنائبةٍ أجابا
فما بَلَغَتْ قُرى كَرْمانَ حتى ... تَخَدَّدَ لحمُها عنها فَذابا
وكان لهُنَّ في كرمانَ يومٌ ... أمِرَّ على الشُراةِ بها الشَرابا
وإنّا تاركون غداً حديثاً ... بأرض الهِندِ سَعْداً والرِبابا
تُفاخرُ بابنِ أحْوَزِها تميمٌ ... لقد حانَ المُفاخِرُ لي وخابا

وفي مثل هذا البيت الاخير يقول أخوه أبو عُيَيْنَةَ :

أعاذِلُ صَهْ لستَ من شيمتي ... وان كنتَ لي ناصحاً مُشْفِقا
أراكَ تُفَرِّقُني دائباً ... وما ينبغي ليَ أنْ أفْرَقا

Marfat.com

أنا ابنُ الذي شادَ لي مَنصِباً وكانَ السِماكَ اذا حَلّقا
قَريعُ العِراقِ وبِطْريقُهُمْ وعِزُّهمُ المُرْتجَى المُتّقى
فَمَن يستطيعُ اذا ما ذهَبْتُ أنطِقُ في المَجدِ أن ينطِقا
انا ابن المُهَلّبِ ما فَوقَ ذا لِمالٍ الى شرَفٍ مُرتَقى
فدعْنيَ أغلي ثيابَ الصِبا بِجِدّتها قبْلَ أن تَخْلَقا

(قال أبو الحسن ، وهذا شعر حسن وأوله :

ألم تَنهَ نفسَك أن تَعْشَقا وما أنتَ والعِشقُ لولا الشَقا
أمِن بَعدِ شُرْبِكَ كأسَ النُهى وشمّكَ رَيْحانَ أهل التُقى
عَشِقْتَ فأصبحتَ في العاشقين أشهَرَ من فرسٍ أبْلَقا

ثم قال : أعاذل صه لست من شيمتي . ثم قال بعد قوله : فدَعْنيَ أغْلي ثيابَ الصّبا .

أدُنياي من غمْرِ بَحْرِ الهَوى خُذي بِيدي قبلَ أن أغْرقا
أنا لَكِ عبدٌ فكوني كَمَنْ اذا سَرّهُ عبدهُ أعْتَقا

قال أبو الحسن قوله : انا لك عبدٌ ، فوَصلَ بالالف فهذا انما يجوز في الضرورة والالف تُثبتُ في الوقف لبيان الحركةفلم يُحْتَجْ الى الألف،ومن أثبتها في الوصل قاسه على الوقفِ للضرورة كقوله :

فان يَكُ عثّاً أو سمِيناً فإنني سأجعَلُ عَيْنَيْهِ لِنفسِهِ مَقنعا

لانه اذا وُقِفَ ، وُقِفَ على الهاء وحْدَها فأجرى الوصل على الوقف ، وأنشدوا قول الأعشى :

فكيف أنا وانتِحالُ القوا في بَعدَ المَشيبِ كفى ذاكَ عارا

والرواية الجيدة : فكيف يكون انتحالي القوا في بعد المشيب

سَقى اللهُ دُنيا على نأيِها من القَطرِ مُنْبعِقا ريّقا

Marfat.com

ألم أخدَعِ الناسَ عن حُبِّها وقد يَخدعُ الكيِّسُ الأحمَقا
بَلى وسَقَتُهُمْ إنني أُحِبُّ الى المَجْدِ أن أسْبِقا
ويَومَ الجنازةِ اذ أرْسَلَتْ على رِقْبةٍ أن جِيءِ الخندقا
الى السَّالِ فاخْترْ لنا مجلسا قريباً وإياك أن تَخرُقا

هذا مما يَغْلَطُ فيه عامةُ أهل البصرة ، يقولون السالَ بالتخفيف . وانما هو السالُّ يا هذا وجمعه سُلاّنٌ ، وهو الغالُّ وجمعه غُلاّنٌ ، وهو الشَقُّ الخفيُّ في الوادي :

فكنّا كغُصنَيْنِ من بانةٍ رَطيبَينِ حدْثانَ ما أوْرَقا
فقالت لِتِرْبٍ لها استنشديه من شِعرِ الحَسَنِ المُنتقى
فقلتُ أُمِرتُ بكِتمانِه وحُذِّرتُ إن شاعَ أن يُسرَقا
فقالتْ بعيشِكِ قولي له تَمَنَّعْ لَعَلَّكَ أن تُنفِقا

قوله لعلك ان تنفقا ، اضطرار ، وحقه لعلك تُنفِقُ ، لان لَعَلَّ من اخوات إنّ ، وأُجْرِيَتْ بجراها ، ومن أتى بأن فلمضارعتها عسى . كما قال مُتَمِّمُ بن نُوَيرةَ :

لَعلَّكَ يوماً أن تُلِمَّ مُلِمَّةٌ عليك من اللائي يَدَّعْنكَ أجْدعا

وهو كثير) . قال أبو العباس وزعم أبو مُعاذٍ النُمَيْريُّ انه كان يَعتادُ عبدالله بن محمد بن أبي عيينة ويكثر المُقامَ عنده ، وكان راويةً لشعره . وأمُّ ابن أبي عُيَيْنةَ بن المهلب يقال لها خَيرةُ وهي من بني سَلمةَ الخيرِ بن قُشَيْرِ بن كعْبِ بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعةَ ، فأبطأتُ عليه أياماً فكتب اليّ :

تَمادى في الجفاء أبو مُعاذٍ وراوَغني ولاذَ بلا مَلاذِ
ولولا حقُّ أخْوالي قُشَيرٍ أتَتْهُ قصائدٌ غيرُ اللَّذاذِ
كما راح الهِلاليُّ بن حَربٍ به سِمةٌ على عُنُقٍ وحاذِ

Marfat.com

يعني محمد بن حرب بن قبيصا بن مخارقٍ الهلاليّ ، وكان من أقعَدِ الناس. ولقَبيصة بن المخارق صحبةٌ لرسول الله ﷺ ، وكان سار اليه فأكرمه وبَسَط له رداءَهُ . وقال مرحباً بخالي . فقال : يا رسول الله ، رقّ جِلدي ودَقّ عظمي ، وقلّ مالي ، وهُمتُ على أهلي . فقال له رسول الله ﷺ : لقد أبكيتَ بما ذكرتَ ملائكةَ السماء ومحمدُ بن حَربٍ هذا ولي شُرطةَ البصرة سبع مرات ، وكان على شُرطةِ جعفر بن سليمان على المدينة ، وكان كثير الأدب غزيرَهُ ، فاغضَبَ ابن أبي عُيَيْنةَ في حُكمٍ جرى عليه بحضرة اسحق بن عيسى ، وكان على شرطته اذ ذاك ، ففي ذلك يقول عبدالله بن أبي عيينة :

بأخوالي وأعمامي أقامَتْ قُرَيْشٌ مُلكَها وبها تُهابُ
متى ما أدْعُ أخوالي لحربٍ وأعمامي لِنائبةٍ أجابوا
أنا ابن أبي عُيَيْنةَ فرْعُ قومي وكعبٌ والدي وأبي كِلابُ
خَلا ابن عُكابةَ الظَرِبانِ سَهْلٍ له فَوْقٌ تُصادُ به الضِبابُ
وآخرَ من هلال قد تَداعى فصار كأنه الشيءُ الخَرابُ

٣٣ - باب

قال أبو العباس : كان ابن شُبْرُمةَ اذا نزلتْ به نازلةٌ قال سَحابةٌ ثم تَنقَشِعُ . وكان يقال أربع من كنوز الجنةِ ، كتمانُ المصيبةِ وكتمانُ الصدقةِ وكتمانُ الفاقةِ وكتمانُ الوجَعِ . قال عمر بن الخطاب رحمه الله : لو كان الصَبرُ والشُكرُ بَعيرَينِ ما باليتُ أيّهما رَكِبتُ . وقال العُتبيُّ محمد بن عبيد الله يذكر ابناً له مات :

أصْحَتْ بخدّي للدموعِ رُسومُ أسَفاً عليكَ وفي الفُؤادِ كُلومُ
والصبر يُحْمَدُ في المصائب كلّها الا عليكَ فانه مذمومُ

قال أبو العباس : واحسب ان حَبيباً الطائي سمع هذا فاستَرَقَهُ في بيتين.

Marfat.com

أحدهما قوله في ادريس بن بَدرٍ الشامي :

دموعٌ أجابتْ داعيَ الحُزْنِ همْعُ ... توَصّلُ منا عن قلوبٍ تَقَطّعُ
وقد كان يُدعى لابسَ الصبرِ حازماً ... فأصْبَحَ يُدْعى حازماً حينَ يجْزَعُ

والآخر قوله :

قالوا الرَحيلَ فما شَكَكْتَ بأنها ... نفسي عن الدنيا تريد رَحيلا
الصَبرُ أجمَلُ غير أنْ تَلَدُّداً ... في الحُبِّ أحْرى أن يكون جميلا

وقال سابقٌ البَرْبريّ :

وإن جاء ما لا تستطيعانِ دفعَهُ ... فلا تَجْزَعا مما قضى اللهُ واصْبِرا

وقال آخر أيضاً :

اصْبرْ على القَدَرِ المجلوب وارضَ به ... وان أتاك بما لا تَشْتَهي القَدَرُ
(فما صفا لامْرىءٍ عَيشٌ يُسَرُّ به ... الا سَيَلْسَعُ يوماً صَفْوَهُ كَدَرُ)

وكان خالد بن صَفْوان يدخل على بلال بن أبي بُردةَ يحدّثه ، فيَلْحنُ . فلما كثر ذلك على بلال قال له : أتحدثني أحاديثَ الخلفاء ، وتَلحنُ لَحْنَ السَقّاآتِ ؟ قال التَوّزيُّ : فكان خالدُ بن صفوان بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلّم الإعرابَ ، وكَفَّ بَصَرُهُ ، فكان اذا مرَّ به مَوْكِبُ بلالٍ يقول : ما هذا ؟ فيقال له الامير . فيقول خالدٌ : سحابةُ صَيفٍ عن قليل تَقَشّعُ . فقيل ذلك لبلال، فأجْلَسَ معه مَن يأتيه بخبره،ثم مرَّ به بلال . فقال خالدٌ : كما كان يقول ، فقيل ذلك لبلال ، فأقبَلَ على خالد . فقال : لا تَقَشّعُ والله حتى تُصيبَكَ منها بشُؤْبوبِ بَرَدٍ ، فضربه مائتيْ سوطٍ . وقال بعضهم: بل أمَرَ به فديسَ بطنُهُ قوله بشؤبوب، مهموز وهو الدُفعةُ من المطر بشدة ، وجمعه شآبيبُ . قال النابغة يخاطب القبيلة :

ولا تُلاقي كما لاقَتْ بنو أسدٍ ... فقد أصابَتْهُمُ منها بشؤْبوبِ

يريد ما نال بني أسد من غارة النعمان عليهم ،وضربَ الشؤبوب مثلاً للغارة ، والغارةُ تُضْرَبُ لذلك مثلاً ، كما يقال شنّ عليهم الغارةَ ، أي صبها عليهم . قال ابن هَرْمةَ :

Marfat.com

كم بازلٍ قد وَجَأْتُ لَبَّتَها بمُسْتَهِلِّ الشؤبوب أو جَمَلِ

يريد ما وَجَأها به من حديدة . يقول : لما وَجأْتها دَفَعَتْ بشؤبوب من الدم ، فكأنه قال : بسِنانٍ مُسْتَهِلِّ الشؤبوبِ ، أو ما أشبه ذلك . وكان خالد بن صَفوانَ أحدَ مَن اذا عَرَضَ له القولُ ، قال فيقال ان سليمان بن عليّ سأله عن ابنَيْهِ جعفرٍ ومحمدٍ فقال: كيف إحمادُكَ جِوارَهما يا أباصفوان؟ فقال:

أبو مالك جارٌ لها وابنُ بُرْثُنٍ فيا لكَ جارَيْ ذِلّةٍ وصَغارِ

(ش قوله ابو مالك صوابه ابو نافع وهو مَوْلَى لعبد الرحمن بن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه) ، فأعْرَضَ عنه سليمانُ ، وكان سليمانُ من أحلمِ الناس وأكرمِهم ، وهو في الوقت الذي أعْرضَ فيه عنه والي البصرةِ وعمُّ الخليفةِ المنصورِ . والشعر الذي تمثّلَ به خالد ليزيد بن مُفرّغٍ الحِمْيَرِيّ قال :

سَقى اللهُ داراً لي وأرضاً تركتُها الى جَنبِ دارَيْ معقِلِ بن يسار
أبو مالك جارٌ لها وابنُ بُرْثُنٍ فيالكَ جارَيْ ذِلّةٍ وصَغار

وكان الحسن يقول : لسانُ العاقل من وراء قلبه ، فان عَرَض له القولُ نظر فان كان له أن يقول ، قال. وان كان عليه القولُ أمسَكَ. ولسانُ الأحمقِ أمام قلبه ، فاذا عرض عليه القول قال ، كان عليه أو له . وخالدٌ لم يكن يقول الشِعرَ ، ويروى انه وعد الفَرزدقَ شيئاً فأخره عنه ، وكان خالد أحد البخلاء فمر به الفرزدقُ فهَدّدَهُ فأمسك عنه حتى جاز الفرزدقُ ثم أقبل على أصحابه فقال : ان هذا قد جَعَلَ إحدى يَدَيهِ سطحاً وملأ الأخرى سَلحاً . وقال ان عمَرْتُمْ سَطحي ألا نضَحْتُكمْ بسلحي . وقال إياسُ بن معاوية المُزَنيُّ أبو واثلةَ : وكان احد العقلاء الدُهاةِ الفضلاء لخالد لاينبغي ان نجتمع في مجلس . فقال له خالد : وكيف يا أبا واثلةَ ؟ فقال . لانك لا تحب ان تسكت وأنا لا احب ان اسمع . وخاصم الى إياس رجلٌ رجلاً في دَينٍ ، وهو قاضي البصرة ، فطَلَبَ منه البيّنةَ فلم يأته بمَقنعٍ ، فقيل للطالب : استَجِرْ وكيعَ بن أبي سود حتى يَشْهَدَ لك فان إياساً لا يجترىء على ردّ شهادته ففعل . فقال

Marfat.com

وكيعٌ والله لأشهدَنّ لك ، فان رد شهادتي لأعملنّه السيف ، فلما طلعَ وكيعٌ فهمَ اياسٌ عنه ، فأقعدَه الى جانبه ثم سأله عن حاجته . فقال: جئت شاهداً . فقال له : يا أبا المُطَرِّف ، أتشهد كما تفعل الوالي والعَجَمُ ، أنت تجَلُّ عن هذا ؟ فقال : إذنْ والله لا اشهد . فقيل لوكيع بعدُ : انما خدعَكَ . فقال أولى لابن اللخناءِ : وشهد رجلٌ من جلساء الحسن بشهادة عند إياسٍ ، فرده، فشكا الرجل ذلك الى الحسن ، فأتاه الحسنُ فقال: يا أبا واثلة ، لمَ رددت شهادةَ فلانٍ ؟ فقال : يا أبا سعيد ان الله تعالى يقول ممّن ترضَوْنَ من الشهداءِ وليس فلان ممن أرضى واختلف نصراني الى أبي دُلامةَ مولى بني اسد يَتَطَبَّبُ لابن له فوعده إن بَرأ على يديه ان يُعطيه ألف درهمٍ ، فبرِ ابنه ، فقال المتطبب ان الدراهم ليست عندي ، ولكن والله لأُوَصِّلَنّها اليك، ادّعِ على جاري فلان ، هذه الدراهمَ فانه مُوسِرٌ وأنا وابني نشهد لك فليس دون أخذها شيءٌ فصار النصراني بالجار الى ابن شُبْرُمةَ فسأله البينةَ ، فطلع عليه أبو دُلامةَ وابنُهُ ، ففهم القاضي ، فلما جلس بين يديه قال أبو دُلامة :

إنِ الناسُ غَطّوْني تَغَطَّيْتُ عنهمُ وان بَحَثوني كان فيهمْ مَباحثُ
(وإنْ حفروا بئري حَفَرتُ بآرَهمْ ليَعلمَ قومٌ كيف تلك النّبائثُ)

فقال ابن شبرمة : من ذا الذي يَبحَثُكَ يا أبا دُلامةَ ؟ ثم قال للمدعي قد عرفتُ شاهدَيْكِ ، فخلّ عن خصمك ورُحْ العشيةَ اليّ . فراح اليه فغَرِمَها من ماله . وشهد أبو عُبيدةَ عند عُبَيْدِ الله بن الحسن العَنْبريّ على شهادة ، ورَجلٌ عدل . فقال عبيدُ الله للمُدّعي : أما ابو عبيدة فقد عرفته فزدني شاهداً ، وكان عبيدُ الله أحد الادباء الفقهاء الصُلَحاءِ . وزعم ابن عائشة قال : عَنَبْتُ عليه مرة في شيء . قال : فلقيني يدخل من باب المسجد يريد الحكم ، وأنا أخرج . فقلت مُعرّضاً به (للبعيث) :

طَمِعتَ بليلى أن تَريع وانما تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامِعُ

Marfat.com

فأنشدني مُعَرِّضاً تارِكاً ما قصدتُ له :

وبايَعْتُ ليْلى في خَلاءٍ ولم يَكُنْ شُهودٌ على ليْلى عُدولٌ مقانِعُ

وكان ابن عائشة يَتَحَدَّثُ عنه حديثاً عجيباً ، ثم عُرِفَ مَخْرَجُ ذلك الحديث. ذكر ابن عائشة، وحدثني عنه جماعة لا احصيهم كَثْرةً : ان عبدالله ابن الحسن شهِد عنده رجل من بني نَهْشَلٍ على أمر أحْسِبُهُ دَيْناً فقال له : أتَرْوي قولَ الاسود بن : نامَ الخَلِيُّ فما أُحِسُّ رُقادي. فقال له الرجل : لا . فرَدَّ شهادَتَهُ وقال : لو كان في هذا خير لرَوى شَرَفَ اهلِهِ . فحدثني شيخ من الازْدِ حديثاً ظننتُ ان عُبيد الله ياه قَصَدَ ، قال : تقدم رجل الى سَوّار بن عبدالله، وسَوّارٌ ابنُ عمِّ عُبيد الله بن الحسين، يَدّعي داراً وامرأةٌ تدافِعُهُ وتقول لسوّار : انها والله خِطّةٌ ما وقع فيها كتاب قطُّ. فأتى المدّعي بشاهدين يعرفهما سَوّار فشهدا له بالدار وجعلت المرأه تنكر انكاراً يَعْضُدُهُ التصديق ثم قالت : سَلْ عن الشهود فان الناس يتغيرون. فرَدَّ المسئلةَ فحُمِدَ الشاهدان فلم يزل يُرَيِّثُ امورهم ويسألُ الجيرانَ ، فكلٌّ يصدّقُ المرأة والشاهدان قد ثبتا ، فشكا ذلك الى عبيد الله فقال له عبيد الله : أنا أحْضُرُ مجلس الحكم معك فآتيك بالجليّةِ إن شاء الله تعالى . فقال للشاهدين : ليس للقاضي أن يسألكما كيف شهدتما ولكن أنا أسألكما. قال: فقالا : أراد هذا أن يحُجَّ فأدارنا على حُدود الدار من خارج وقال: هذه داري فان حدث بي حادث فلْتُبَعْ ولتُقْسَمْ على سبيل كذا. قال : أفعندكما غيرُ هذه الشهادة ؟ قالا : لا. فقال : الله أكبر وكذا لو أدَرْتُكما على دار سَوّار وقلت لكما مثل هذه المقالة أكنتما تشهدان بها لي ؟ ففَهِما أنهما قد اغْتَرّا . فكان سوّار اذا سأل عن عدالة الشاهد يُتْبِعُ المسئلةَ ان يقول: أفحائزُ العدالةِ هو؟ فظننتُ أن عُبيدالله رأى في الشاهد غفلة فاختبرَه بهذا وما أشبهه . وحدثني أحد أصحابنا ان رجلاً من الأعراب تقدم الى سَوّار في أمر فلم يصادِف عنده ما يُحِبُّ فاجتهدَ فلم يَظْفَرْ بحاجته ، قال : فقال الأعرابي وكانت في يده عَصاً :

رأيتُ رُؤْيا ثم عَبَّرْتُها وكنتُ للأحْلامِ عَبّارا

Marfat.com

بـأنّـني أخْبِـطُ في ليلتي كلْـباً فكانَ الكلْـبُ سَوّارا

ثم اثْنى على سوّار بالعصا فضربه حتى مُنِعَ منه . قال : فما عاقبه سَوّارٌ بشيء . قال : وحُدِّثتُ ان أعرابياً من بني المَنْبَرِ سار الى سوّار فقال : إن أبي ماتَ وتركني وأخاً لي، وخطّ خطين في الأرض. ثم قال: وهَجيناً، وخطّ خطّاً ناحيةً ،فكيف نَقسِمُ المال ؟ فقال أههنا وارثٌ غيركم؟ قال : لا. قال : المال بينكم أثلاثاً فقال: لا أحسبك فَهِمْتَ عني،انه تركني وأخي وهَجيناً لنا. فقال سوار : المال بينكم أثلاثاً . قال : فقال الأعرابي : أيأخذ الهجين كما آخذ وكما يأخذ أخي ؟ قال: أجَلْ . فغضب الأعرابي. قال:ثم أقبل على سوّار فقال: تعَلَّمْ والله انك قليلُ الخالات بالدَّهْناء. فقال سوّار : اذا لا يَضيرَني في ذلك عند الله شيئاً (قيل انه ليس بالدهنا أَمَةٌ وإنما كان فيها الحرائر) وكان عَقيلُ ابن عُلَّفَةَ من الغَيْرةِ والأنفَةِ على ما ليس عليه أحدٌ علمناه، فخطب اليه عبدُ الملك بن مَرْوانَ ابنته على أحَدِ بَنيه ،وكانت لعَقيلٍ اليه حاجاتٌ فقال: أما إذ كنتَ فاعلاً فجَنِّبْني هجناءَكَ . وخطَبَ اليه ابنتَهُ ابراهيمُ بنِ هشام بن اسمعيل بن هشام بن الوَليدِ بن المُغيرة وهو خال هشام بن عبد الملك ووالي المدينة وكان أبيضَ شديد البياض فرده عَقيلٌ وقال :

رَدَدْتُ صَحيفةَ القُرَشِيِّ لما أبَتْ أعْراقُهُ إلا احْمِرارا

وكانت حَفْصةُ بنت عِمْرانَ بن ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيدالله قد مِيتَ عنها فخطبَها جماعة من قريش أحدهم عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب وأحدهم ابراهيم بن هشام ، فكان أخوها محمد بن عِمْران اذا دخل الى ابراهيم بن هشام أوسع له وأنشده :

وقالوا يا جَميلُ أتى أخوهـا فقلتُ أتى الحبيبُ أخو الحبيبِ
أحِبُّكَ أن نَزَلْتَ جبالِ حِسْمَى وأن نَاسَبْتَ بَثْنَةَ من قريبِ

وهذا الشعر لجميل بن عبدالله بن مَعْمرٍ العُذْرِيّ فأما جَميلُ بن معمر الجُمَحيُّ فلا نسب بينه وبين معمر، أي ليس بينه وبينه أبٌ آخر . وكانت له صُحْبَةٌ

Marfat.com

وكان خاصاً بعمر بن الخطاب رضي الله عنه . ويروى عن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : أتيتُ باب عمر بن الخطاب رحمه الله فسمعته يُنشِدُ بالرُكبانيّةِ :

وكيفَ ثوائي بالمدينةِ بعد ما ... قضَى وَطَراً منها جميلُ بنُ مَعْمَرِ

فلما استأذنتُ عليه قال لي : أَسمِعْتَ ما قلتُ ؟ فقلتُ : نَعَمْ . فقال : إنّا اذا خَلَوْنا قلنا ما يقول الناسُ في بيوتهم . (قال ش : وَهِمَ أبو العباس رحمه الله في هذا ، وإنما القصة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو الذي سمع عبد الرحمن بن عوف يُنشِدُ) وكان جَميلُ بن معمر الجمحي قتلَ أخاً لأبي خِراشٍ الهُذَلِيّ يوم فتح مكة وأتاه من ورائه وهو موثَقٌ فضربه . ففي ذلك يقول أبو خِراش :

فأقسِمُ لو لاقَيتَهُ غيرَ موثَقٍ ... لآبَكَ بالعَرْجِ الضباعُ النَواهِلُ
لكانَ جميلٌ أسوَأَ الناسِ صرعةً ... ولكنَّ أقرانَ الظهورِ مَقاتِلُ
فليس كمَهْدِ الدارِ يا أمَّ مالكٍ ... ولكن أحاطتْ بالرِقابِ السلاسِلُ
وعاد الفتى كالكَهْلِ ليس بقائلٍ ... سوى الحقِ شيئاً فاستراحَ العَواذِلُ

قوله أسوأ الناس صِرعةً ،أي الهيئة التي يُصْرَعُ عليها، كما تقول : جلست جَلْسةً وركبت رَكْبةً ، وهو حَسَنُ الجِلْسةِ والرِكْبةِ أي الهيئة التي يَجْلِسُ عليها ويَرْكَبُ عليها، وكذلك القِعْدَةُ والنِعْمةُ وقوله: لآبكَ أي لعادَكَ ،وأصل هذا من الإيابِ والرُجوع. قال الله تبارك وتعالى: إن الينا إيابَهُمْ. وقال عَبيدُ بن الأبْرَصِ :

وكلُّ ذي غَيْبَةٍ يَؤُبْ ... (وغائبُ الموتِ لا يؤبُ)

وقوله : بالعَرْج فهو ناحية من مكة به وُلد عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عَفّانَ فسمي العَرْجِيّ ، ويقال: بل كان له مالٌ بذلك الموضع فكان يقيم فيه. (قال ش : هذا وَهْمٌ من أبي العباس رحمه الله، وأما صوابه فعبد الله بن عمر بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه) والنَواهلُ فيه قولان: أحدهما

Marfat.com

المِطاشُ وليس بشيء ، والآخر الذي قد شَربَ شَرْبَةً فلم يَرْوَ فاحتاج إلى أن يَعُلَّ . كما قال امرؤُ القَيْس :

إذْهُنَّ أقْساطٌ كرِجْلِ الدَّبى أو كقَطا كاظِمةَ الناهِلِ

وقوله: أحاطتْ بالرقاب السلاسلُ يقول: جاء الاسلامُ فمنع من الطلب بالأوتار إلا على وجهها، وكان يقال أن اوّل من أظهرَ الجورَ من القضاة في الحكم بلالُ بن أبي بُرْدةَ ، وكان اميرَ البصرة وقاضيها ، وفي ذلك يقول رُؤْبَةُ :

وأنتَ يا ابن القاضِيَيْنِ قاضي (مُعْتَرِمٌ على الطريق ماضي)

وكان بلال يقول: إن الرجلين ليتقدّمان إليَّ فأجدُ أحدَهما على قلبي أخفَّ فأقضي له . ويروى ان بلالاً وفد على عمر بن عبد العزيز بخُناصِرَةَ فسَدِكَ (ش معناه لصق) لسارِيةٍ من المسجد فجعل يصلّي اليها ويديم الصلاة . فقال عمر بن عبد العزيز للعَلاءِ بن المُغيرةِ بن البُنْدارِ: إنْ يَكُنْ سِرُّ هذا كعلانِيَتِهِ فهو رجلُ أهل العراق غيرَ مُدافعٍ . فقال العلاءُ : أنا آتيك بخبره . فأتاه وهو يصلي بين المغرب والعشاء ، فقال: اشْفَعْ صلاتَكَ فإن لي اليك حاجةً . ففعل فقال له العلاء : قد عرفتَ حالي من أمير المؤمنين ، فإن أنا أشرْتُ بكَ على ولايةِ العراقِ فما تَجْعلُ لي ؟ قال: لك عُمالتي سنةً . وكان مَبْلَغُها عشرينَ الفَ درهم (العُمالة بضم العين أجرة العامل) . قال : فاكتب لي بذلك . قال : فارْفَدْ (معناه أسرِعْ) بلالٌ الى منزله فأتى بِدَواةٍ وصَحيفةٍ ، فكتَبَ له بذلك . فأتى العلاءُ عمرَ بالكتاب ، فلما رآه كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، وكان واليَ الكوفةِ : أما بعد فإن بلالاً غرّنا بالله فكِدْنا نَغْتَرُّ ، فسَبَكناهُ فوجدناه خَبَثاً كُلُّهُ والسلام. ويروى أنه كتب الى عبد الحميد إذا وَرَدَ عليك كتابي هذا فلا تَسْتَعِنْ على عملك بأحدٍ من آل أبي موسى. قال ابو العباس: وكان بلالٌ داهيةً لَقِناً أديباً. ويقال ان ذا الرُّمّةِ لما أنشده :

سمعتُ الناسَ يَنْتَجِعونَ غَيْثاً فقُلْتُ لصَيْدَحَ انْتَجِعي بِلالا

Marfat.com

تُناخِي عند خَيْرِ قَفَّ يَمـــانٍ اذا النَكْباءُ نارَحتِ الشَمالا

فلما سمع قوله : فقلت لصيدح انتجمي بلالا . قال : يا غلامُ مُرْ لها بقَتَبٍ وَنَوىً . أراد ان ذا الرُمَّةِ لا يُحْسِنُ المدح . قوله : سمعتُ الناسُ ينتجعون حكاية ، والمعنى إذا حُقِّقَ إنما هو سمعتُ هذه اللفظةَ أي قائلاً يقول : الناسُ ينتجعون غَيْثاً ، ومثل هذا قوله :

وَجدْنا في كِتـــاب بني تَميمٍ أَحَقُّ الخَيْلِ بالرَكْضِ المُعارُ

فمعناه وجدنا هذه اللفظة مَكتوبَةً . فقوله أَحَقُّ الخيلِ ،ابتداءٌ ،والمُعارُ خبره ، وكذلك الناسُ ابتداء وينتجعون خبره. ومثلُ هذا في الكلام: قرأت الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، إنما حكَيْتَ ما قرأتَ .وكذلك: قرأتُ على خاتَمِهِ اللهُ أكْبَرُ يا فتى ، فهذا لا يجوز سواه . وقوله : اذا النكباء ناوحت الشَمالا ، فإن الرياح أربع ، ونَكْباواتُها أربعٌ وهي : الريح التي تأتي من بين ريحين فتكون بين الشَمالِ والصَبا ، أو الشَمالِ والدَبُورِ ، أو الجَنوبِ والدَبُورِ ، أو الجَنوبِ والصبا . فاذا كانت النَكباءُ تُناوِحُ الشَمالَ فهي آية الشِتاءِ ، ومعنى تُناوِحُ تُقابِلُ .يقال : تَناوَحَ الشَجَرُ إذا قابل بَعضُهُ بَعْضاً .وزعم الأصمعي ان النائحة بهذا سُمِّيَتْ ،لأنها تقابل صاحبتها .وقال يَحْيَى بن نَوْفَلٍ الحِمْيَرِيُّ ويقال انه لم يَمْدَحْ احداً قط :

فلو كنتُ مُمْتَدِحاً للنَوال فَتىً لامْتَدَحْتُ عليه بِلالا
ولكنَّني لَسْتُ ممَّن يُريد بمدحِ الرجالِ الكِرامِ السؤالا
سَيَكفي الكريمَ إخاءُ الكريمِ ويَقْنَعُ بالوُدِّ منه نَوالا

ومن أحسن ما امْتَدَحَ به ذو الرُمَّةِ بِلالاً قوله :

تقول عجوزٌ مَدْرَجِي مُتَرَوِّحاً على بيتها مِن عند أهلي وغادِيا
أذو زَوْجةٍ بالمِصْرِ أم ذو خصومةٍ أراكَ لها بالبَصْرةِ العامَ ثاوِيا
فقلتُ لها لا إنَّ أهلي لَجيرةٌ لِأكْثِبَةِ الدَهْنا جميعاً ومالِيا

Marfat.com

(قوله: لا لحن وهذا اللحن راجع على المرأة، لأن لا، لا تقع إلا في جواب أو وإنما سألته بأم وهي لم يستقر عندها علم) .

وما كنتُ مذ أبْصَرْتِني في خُصومةٍ أراجِعُ فيها يا ابْنةَ الخَيْرِ قاضيا
ولكنني أقْبَلْتُ من جانِبِ قَسا أزورُ فتى نَجْداً كريماً يَمانيا
من آل أبي موسى تَرى القومَ حوله كأنهمُ الكِرْوانُ أبْصَرْنَ بازِيا
مُرِمَّينَ من لَيْثٍ عليه مَهابةٌ تَفادَى اسودُ الغاب منه تَفادِيا
وما الخُرْقَ منه يَرهبونَ ولا الخَنى عليهمْ ولكن هَيْبَةٌ هي ما هيا

قوله : مَدْرجي يقول مُروري ، فأما قولهم في المثَلِ : خَيْرُ مَن دَبَّ ومن دَرَجَ فمعناه مَن حَيِيَ ومَن ماتَ ، يريدون مَن دَبَّ على وجه الأرض ومَن دَرَجَ عنها فذهب . وقوله : أراك لها بالبصرة العامَ ثاوِيا ، فانه يقال في هذا المعنى ثَوَى الرجلُ فهو ثاوٍ يا فتى إذا اقام ، وهي أكثر . ويقال: أثْوَى فهو مُثْوٍ يا فتى وهي أقلُّ من تلك . قال الأعْشَى :

أثْوى وقَصَّرَ ليلةً ليُزَوَّدا فمَضى وأخْلَفَ من قُتَيْلةَ مَوْعِداً

وقوله : قَسا فهو موضع من بلاد بني تميم . وقوله: لأكثبة الدهنا، فأكْثِبَةٌ جمعُ كَثيبٍ وهو أقلُّ العدد ، والكثير كُثُبٌ وكُثْبانٌ . والدَّهْنا من بلاد بني تميم ولم أسْمَعْ فيها إلا القصر من أهل العلم والعرب. وسمعت بَعْضَ من يَرْوي مَدَّها ولا أعرفه . قال ذو الرمة :

حَنَّتْ الى نِعَمٍ الدَّهْنا فقُلْتُ لها أُمِّي هِلالاً على التوفيق والرَّشَدِ

يعني هِلالَ بن أحْوَزَ المازِني . وقال جرير: بازٍ يُصَمْصِعُ بالذَّهْنا قَطاً جُونا . وقوله : كأنهم الكروان أبصرن بازيا ، فالكِرْوانُ جماعة كَرَوانٍ ، وهو طائر معروف، وليس هذا الجمعُ لهذا الاسم بكماله ولكنه على حذف الزيادة، فالتقدير كَرَاً وكِرْوانٌ كما تقول: أخٌ وإخْوانٌ ، وَرَلٌ وورْلانٌ ، وبَرَقٌ وبِرْقانٌ . والبَرَقُ أعجميٌ ولكنه قد أُعْرِبَ وجُمِعَ كما تُجْمَعُ العربية ،

Marfat.com

واستُعمل الكَرَوانُ جمعاً على حذف الزيادة واستُعْمِلَ في الواحد ، كذلك تقول العرب في مَثَلٍ من أمثالها :

أطْرِقْ كَرا أطْرِقْ كَرا إنّ النَّعامَ في القُرَى

يريدون الكَرَوانَ . وقوله : من آل أبي موسى ترى القوم حوله ، فقال: تَرَى ولم يقل تَرَيْنَ ، وكانت المخاطبةُ أولاً لامرأة ، ألا تراه يقول :

وما كنتُ مُذْ أبْصَرْتِني في خُصومةٍ أراجِعُ فيها يا ابنةَ الخَيْرِ قاضِيا

ثم حوّلَ المخاطبةَ إلى رجل ، والعرب تفعل ذلك . قال الله عزّ وجل : حتى إذا كُنْتُمْ في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريح طيّبة . فكانّ التقديرُ والله أعلم كان للناس ، ثم حُوّلَتِ المخاطبة الى النبي ﷺ. قال عَنْترَةُ بن شَدّاد:

شَطّتْ مَزارَ العاشقين فأصْبَحَتْ عَسِراً عَليّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

وقال جرير :

ما للمنازِلِ لا تُجيبُ حزينا أصَمِمْنَ أم هدُمَ المدَى فبَلينا
وتَرى العَواذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي وإذا أرَدْنَ سوى هَواكِ عُصينا

قال أولاً لرجل ثم قال : سوى هواكِ . وقال آخر :

فِدىً لَكِ ، الدي وَسْراهُ قَوْمي ومالي إنّهُ مِنْهُ أتاني

على تحويل المخاطبة . وقوله : مُرِمّينَ ، يريد سكوتاً مُطْرِقين. يقال : أرَمّ إذا أطْرَقَ ساكتاً . وقوله : تَفادَى أسودُ الغاب ، معناه تفتدي منه بعضُها ببعضٍ . وفي الخبر ان سليمان بن عبد الملكِ أمر بدفعِ عِيالِ الحجّاجِ وحُرْمَتِهِ إلى يَزيدَ بن المُهَلَّبِ فتَفادى منهم ، تأويله فَدى نفسَهُ من ذلك المقام بغيره . وقوله :

وما الخُرْقُ منه يرهبون ولا الخَنَى • عليهم ولكنْ هَيبةٌ هِيَ ما هيا

إذا رفعتَ هيبة ، فالمعنى ولكن أمره هيبة ، كما قال الله عزّ وجل: لم يَلْبَثُوا إلا ساعةً من نهار بَلاغٌ ، أي ذلك بلاغ. ومثله قوله عزّ وجل : طاعةٌ وقولٌ

• الخرق : الحمق والطيش . الخنا : الفاحشة والنذالة .

Marfat.com

معروف ، يكون رفعُهُ على ضربين ، أحدهما : أمْرُنا طاعةٌ وقولٌ معروف، والوجه الآخر: طاعةٌ وقولٌ معروف أمْثَلُ ومَن نصبَ هيبة اراد المصدر، اي يُهابُ هَيبةً . وأحسن ما قيل في هذا المعنى :

يُغضي حَياءً ويُغضَى من مَهابَتِهِ فما يُكَلَّمُ إلا حين يَبْتَسِمُ

وقال الفَرَزْدَقُ يعني يَزيدَ بن المُهَلَّب :

فاذا الرجالُ رَأَوْا يَزيدَ رأيتَهُمْ خُضُعَ الرِقابِ نواكِسَ الأبْصارِ

وفي هذا البيت شيء يستطرفه النحويون وهو انهم لا يَجْمعون ما كان من فاعِلٍ نعتاً على فَواعِلَ لئلا يلتبس بالمؤنث ، لا يقولون : ضارِب وضَوارب وقاتلٌ وقواتِلُ ، لأنهم يقولون في جمع ضارِبةٍ ضوارِبُ وقاتلةٍ قواتلُ . ولم يأتِ ذلك إلا في حَرفين ، أحدهما : في جمع فارِسٍ فَوارِسُ لأن هذا مما لا يُستعمَلُ في النساء ، فأمِنُوا الالتباسَ . ويقولون في المثل : هو هالكٌ في الهوالِكِ فأجْرَوْهُ على أصله لكثرة الاستعمال لأنه مَثَلٌ ،فلما احتاج الفرزدق لضرورةَ الشعر أجراه على أصله ، فقال : نواكس الأبصار ، ولا يكون مثلُ هذا أبداً إلا في ضرورة .

٣٤ - باب

قال جرير : ونزل بقوم من بني العَنْبَرِ بن عمرو بن تميم فلم يَقْرُوهُ حتى اشترى منهم القِرَى ، فانصرف وهو يقول :

يا مالِكُ بنَ طَريفٍ إنَّ بَيْعَكُمُ رِفْدَ القِرى مُفْسِدٌ للدِّينِ والحَسَبِ
قالوا: نَبيعُكَهُ بَيْعاً. فقلتُ لهم: بيعُوا المَوالِيَ واسْتَحْيُوا من العربِ
لولا كرامُ طَريفٍ ما غَفَرْتُ لكم بَيْعي قِرايَ ولا أنْساكُمُ غضَبي
هل أنتمُ غيرُ أوْشابٍ زَعانفهِ رِيشُ الذُنابَى وليس الرأسُ كالذَنَبِ

Marfat.com

قوله : يا مالكَ بنَ طَريفٍ ، فمن نصب فإنما هو على انه جعل ابناً تابعاً لما قبله كالشيء الواحد وهو اكثر في الكلام اذا كان اسماً علماً منسوباً الى اسم علم ، جعل ابن مع ما قبله بمنزلة الشيء الواحد ، ومثل ذلك : يا حَكَمَ بن المُنْذِرِ بن الجارود . ومن وقف على الاسم الأول ثم جعل الثاني نعتاً لم يكن الا الرفع ، لانه مفردٌ نُعِتَ بمضاف فصار كقولك : يا زيدُ ذا الجَمّةِ . وقوله : ولا أنسَأُ تكمْ غَضَبي . يقول : لم أؤَخِّرْهُ عنكم . يقال : نَسَأَ اللهُ في أَجَلِكَ وأنسَأَ اللهُ أَجَلَكَ . والنَّسيءُ من هذا ، ومعناه تأخير شهر عن شهر . وكانت النَّسَأَةُ من بني مُدْلِجِ بن كِنانةَ ، فأنزل الله عزّ وجل : إنما النَّسيءُ زيادةٌ في الكُفْرِ ، لأنهم كانوا يؤخِّرون الشهور فيُحَرِّمونَ غير الحرام ويُحِلُّونَ غيرَ الحلالِ لما يُقَدِّرونه من حروبهم وتَصَرُّفِهِمْ فاستَوَتِ الشهورُ لما جاء الإسلام وأبان ذلك رسولُ الله ﷺ في قوله : إنَّ الزمان قد استدار كهيئةِ يَوْمِ خَلَقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ . وقوله : هل انتمُ غيرُ أوشابٍ زعانفةٍ . فالأشابةُ جماعة تدْخُلُ في قومٍ وليست منهم ، وإنما هو مأخوذ من الامر الأشِبِ اي المختلطِ . ويزعمُ بعضُ الرُواة ان اصلهُ فارسيٌّ أعْرِبَ . يقال بالفارسية : وَقَعَ القومُ في آشُوب اي في اختلاط ، ثم تَصَرَّفَ فقيل : تَأَشَّبَ النبتُ ، فصُنِعَ منه فِعْلٌ (هذا وَهْمٌ من ابي العباس . ليس الاشابةُ ولا الأشِبُ من الأوْشابِ لأن فاء الفعل من الأشابة همزة ، ومن اوْشابٍ واوٌ ، ولكنه مثله في المعنى يحتمل ان يكون أصلهُ وْشابةَ وابدلت الواو المضمومة همزة) . واما الزَّعانِفُ فأصلها اجنحةالسَمَكِ ، سُمِّيَ بذلك الأدْعِياء لأنهم التصقوا بالصَميم كما التصقت تلك الأجنحة بعِظام السمكِ . قال اوْسُ بن حَجَرٍ :

او ما رالَ يَفْري الشَدْحق كأنما) قوائمُهُ في جانِبَيْهِ زَعانِفُ

وتزعمُ الرُواةُ ان ما أنِفَتْ منه جِلَّةُ الموَالي هذا البيتُ ، يعني قول جرير :

بيعُوا الموَالي واستَحْيُوا من العَرَبِ ، لأنه حَطَّهم ووَضَعهم ، ورأى ان الإساءة اليهم غير محسوبةٍ عَيْباً . ومثل ذلك قول المُنْتَجِعِ لرجل من الأشراف : ما عَلَّمْتَ وَلَدَكَ ؟ قال : الفرائضَ . قال : ذلك عِلْمُ الموَالي لا أبالك عَلِّمْهُمُ

Marfat.com

الرَّجزَ فإنه يُهَرِّثُ اشْداقَهُمْ. ومن ذلك قول الشَّعْبِيِّ: ومرّ بقوم من الموالي يتذاكرون النحو فقال: لئن اصْلحتْموه إنَّكمْ لأوّلُ من افسده. ومن ذلك قولُ عَنْتَرَةَ:

فما وَجدونا بالفَروقِ اشابَةً ولا كُشُفاً ولا دُعينا مَوالِيا

ومن ذلك قول الآخر:

يُسَمُّونَنا الأعْرابَ والعَرَبُ اسمُنا واسماؤُهمْ فينا رِقابُ المَزَاوِدِ

يريد أسماؤُهم عندنا الحُمْراءُ. وقول العرب: ما يخفى ذلك على الأسْوَدِ والأحْمَرِ، يريد العَرَبِيَّ والعَجَمِيَّ. وقال المُخْتارُ لابراهيم بن الأشْتَرِ يوم خازِرَ (وقعت الرواية كما في الأصل ووُجِدَ بخطّ يد أبي عليّ البغدادي رحمه الله جازر بالجيم)، وهو اليوم الذي قُتِلَ فيه عبيدالله بن زِيادٍ: ان عامَّةَ جُنْدِكَ هؤلاءِ الحُمْراءُ، وإن الحرب إن ضَرُسَتْهُمْ هربوا، فاحْمِلِ العَرَبَ على مُتون الخيل، وأرْجِلِ الحمراءَ أمامهم. ومن ذلك قول الأشْعثِ بن قيْسٍ لعلي بن أبي طالب رحمه الله، وأتاه يَتَخَطَّى رِقابَ الناسِ وعليٌّ على المِنْبَرِ، فقال: يا أمير المؤمنين عَلَّمْتَنا هذه الحمراء على قُرْبك. قال: فَرَكَضَ عليٌّ المِنْبَرَ برجله. فقال صَعْصَعَةُ بن صُوحانَ العَبْدِيُّ: ما لنا ولهذا، يعني الأشعثَ، ليقولَنَّ أميرُ المؤمنين اليومَ في العربِ قَوْلاً لا يَزالُ يُذْكَرُ. فقال عليٌّ: من يَعْذِرُني من هذه الضَّياطرة يَتَمَرَّغُ أحدُهم على فراشِهِ تَمَرُّغَ الحِمارِ ويُهَجِّرُ قومٌ للذكر فيأمرني أن أطْرُدَهُمْ، ما كنتُ لأطردهم فأكونَ من الجاهلين، والذي فَلَقَ الحبّةَ وبَرأ النَّسَمَةَ لَيَضْرِبُنَّكم على الدين عَوْداً كما ضربتموهم عليه بَدْأً. قوله: الضياطرة واحدهم ضَيْطَرٌ وضَيْطارٌ وهو الأحمر العَضِلُ الفاحشُ. قال خِداشُ بن زُهَيْرٍ:

وتُرْكَبُ خيلٌ لا هَوادةَ بينها وتَشْقى الرِماحُ بالضياطرةِ الحُمْرِ

وإنما قال جَريرٌ لبني المِنْبرِ: هل أنتمُ غير أوشاب زعانفة، لأن النسابين يزعمون ان المنبر بنَ عمرو بن تميم انما هو ابن هود بن بَهْراءَ وأمُّهُمْ خارِجَةُ البَجَلِيَّةُ التي يقال لها في المَثَلِ: أسْرَعُ من نكاح أمِّ خارجة، فكانت قد

Marfat.com

وَلَدَتْ في العرب في نَيِّفٍ وعشرين حَيّاً من آباءٍ متفرقين . وكان يقول لها الرجلُ : خِطْبٌ . فتقول: نِكْحٌ . كذلك قال يونس بن حَبيب ، فنَظَرَ بَنوها الى عمرو بن تميم قد وَرَدَ بلادهم ، فأحَسُّوا بأنه أراد أمهم فبادروا اليه ليمنعوه تَزَوُّجها ، وسَبَقَهُمْ لأنه كان راكباً فقال لها : : إنّ فيكِ لبَقِيّةً . فقالت : إنْ شئتَ . فجاؤوا وقد بَنى عليها ، ثم نقلها بعدُ إلى بلده . فتزعم الرواة أنها جاءت بالعَنْبرِ معها صغيراً،وأولَدَها عمرو بن تميم أُسَيِّدَ والهُجَيْمَ والقُلَيْبَ فخرجوا ذات يوم يَسْتقون فقَلَّ عليهم الماء ، فأنزلوا مائحاًمن تميم فجَعَلَ المائحُ يملأ الدلو اذا كانت للهُجَيْمِ وأُسَيِّدَ والقُلَيْبِ ، فاذا وَرَدَت دَلوُ العَنْبرِ تركها تضطرب ، فقال العنبر :

قد رابَني من دَلْوِيَ اضْطِرابُها والنأيُ عن بَهْراءَ واغْتِرابُها
إلاّ تَجِيءْ ملأى يجيء ثُقابُها

فهذا قول النسّابين. ويروى أن رسول الله ﷺ قال يوماً لعائشة رحمها الله، وقد كانت نَذَرَتْ أن تُعْتِقَ قوماً من وَلَدِ اسمعيل،فسُبِيَ قومٌ من بني العَنْبر فقال لها رسول الله ﷺ: إنْ سَرَّكِ أن تُعْتِقي الصَميمَ من ولد اسمعيل فأعْتِقي من هؤلاء . فقال النسّابونَ : فبَهْراءُ من قُضاعةَ ، وقد قيلَ قُضاعةُ من بني مَعَدٍّ فقد رجعوا الى اسمعيل. ومن زعم ان قضاعة من بني مالك بن حِمْيَرَ وهو الحق قال: فالنسب الصحيح في قَحْطان الرُّجوعُ إلى اسمعيل وهو الحق. وقولُ المُبَرِّزينَ من العلماء: إنما العَربُ المتقدمة من أولاد عابِرَ ورَهْطُهُ عادٌ وطَسْمٌ وجَديسٌ وجُرْهُمٌ والعماليقُ ، فأما قحطان عند أهل العلم فهو ابن الهَيْمَعِ بن تَيْمَنَ بن نَبْتِ بن قَيْذارَ بن اسماعيل صلوات الله عليه ،فقد رجعوا إلى اسمعيل. وقد قال رسول الله ﷺ لقومٍ من خُزاعةَ ، وقيل من الأنصار : ارْموا يا بني اسمعيلَ فان أباكم كان رامياً . قال يحيى بن نوفَلٍ يهجو العُرْيان بن الهَيْثَمِ ابن الأسْودِ النَخَعِيّ ، وكان العُرْيانُ تزوج رَبادِ من ولد هانىء بن قَبيصةَ الشَيْبانيّ ، وكانت عند الوَليد بن عبد الملك فطلقها فتزوجها العريان،وكان ابنُ

Marfat.com

نوفل له هجّاءً فقال :

أعُرِيانُ ما يَدْري أمرؤٌ سِيلَ عَنْكُمُ ... أمِنْ مَذْحِجٍ تُدْعَوْنَ أم من إيادِ
فان قُلتُمُ من مذحج ان مذحجا ... لَبِيضُ الوُجوهِ غيرُ جِدِّ جِيادِ
وأنتم صِغارُ الهامِ جُدْلٌ كأنما ... وُجوهُكُمُ مَطْلِيَّةٌ بِمِدادِ
فان قلتمُ الحيُّ اليَمانون أصْلُنا ... وناصِرُنا في كل يوم جِلادِ
فاطْوِلْ بايْرٍ من مَعَدٍّ ونَزْوةٍ ... نَزَتْ بايادٍ خَلْفَ دارِ مُرادِ
لَعَمْرُ بني شَيْبانَ إذْ يَنْكِحُونَهُ ... زَبادِ لقَدْ ما قَصَّروا بزَبادِ
أبَعْدَ الوليدِ أنكَحوا عَبْدَ مَذْحِجٍ ... كَمُنْزِيةٍ عَيْراً خلافَ جَوادِ
وأنْكَحَها لا في كِفاءٍ ولا غِنىً ... زيادٌ أضَلَّ اللهُ سَعْيَ زِيادِ

قوله : أمن مذحج تدعون أم من اياد ، فبنو مذحج بنو مالك بن زيد بن عَريب بن زيد بن كَهْلان بن سَبَا بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطان وايادٌ ابنُ نِزارِ بن مَعَدّ بن عَدْنان. ويقال ان النَخَعَ وثقيفاً أخوان من اياد ، فأما ثَقيفٌ فهو قَسِيُّ بن مُنَبِّهِ بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمَةَ بن خَصَفَةَ بن قيس بن عَيْلان بن مُضَرَ ، فهذا قول قوم. فأما آخرون فيزعمون أن ثقيفاً من بقايا ثمود ، ونسبهم غامض على شرفهم في أخلافهم وكثرة مَناكِحِهِم قُرَيْشاً . وقد قال الحجاج على المنبر : تزعمون أنّا من بَقايا ثَمودَ والله عزّ وجل يقول : وثَمودَ فما أبْقى . وقال الحجاج يوماً لأبي العَسُوس الطائيُّ أيُّ أقدَمُ أنُزُولُ ثقيفٍ الطائفَ أم نزولُ طَيِّئٍ الجبلين . فقال أبو العَسوس : إن كانت ثقيفٌ من بكر بن هَوازنَ ، فنزول طيىء الجبلين قبلها وإن كانت ثقيف من ثمود فهي أقدم . فقال الحجاج : يا أبا العسوس إتْفِني فاني سريع الخَطْفَةِ للأحمق المُتَهَوِّكِ . فقال أبو العَسوس رواية عاصم رحمه الله العَسَوّسُ والعَسْوَسُ وفي رواية ش كما في داخل الكتاب) :

يُؤَدِّبني الحَجّاج تأديبَ أهْلِهِ ... فلو كنتُ من أولاد يوسفَ ما عَدا
وإني لأخْشَى ضربةً ثَقَفِيَّةً ... يَقُدُّ بها من عَصاهُ المُقَلَّدا

Marfat.com

على أنني مما أحاذِرُ آمِنٌ اذا قيلَ يوماً مدَّعتا المرءُ و عتَّدا

وقد كان المُغيرةُ بن شُعْبَةَ وهو والي الكوفةِ صار إلى دَيْرِ هِنْدِ بنت النُعْمان بن المُنذِرِ وهي فيه عَمْياءُ مُتَرَهْبِنةٌ ، فاستأذن عليها فقيل لها أميرُ هذه المَدَرَةِ بالباب . فقالت : قولوا له : أمِنْ وَلَدِ جَبَلَةَ بن الأيْهَمِ أنتَ؟ قال : لا . قالت : أفمِنْ وَلَدِ المُنذِرِ بن ماءِ السماءِ ؟ قال : لا قالت فمَن أنتَ ؟ قال المُغيرةُ بن شُعْبَةَ الثَقَفِيُّ . قالت : فما حاجتك ؟ قال : جئتُكِ خاطباً . قالت : لو كنتَ جئتني لجَمالٍ أو لمالٍ لأطلَبْتُكَ ، ولكنك أردتَ أن تتَشَرَّفَ بي في مَحافِلِ العرب فتقول نكحتُ ابنةَ النُعْمانِ بن المنذر ، وإلا فأيُّ خير في اجتماع أعْوَرَ وعَمْياء فبعث اليها . كيف كان أمركم؟فقالت : سأختَصِرُ لك الجوابَ ،أمسينا مَساءً وليس في الأرض عَرَبيٌّ إلا وهو يَرْهَبُنا ويَرْهَبُنا ، ثم أصبحنا وليس في الأرض عربي إلا ونحن نرغب اليه ونَرْهَبُهُ . قال : فما كان أبوكِ يقول في ثَقيفٍ ؟ قالت : اختصم اليه رجلان منهم أحدهما يَنْمي إلى إيادٍ ، والآخر الى بَكْرِ بن هَوازن فقضى بها للإيادِيِّ وقال .

إن ثَقيفاً لم تَكُنْ هَوازناً ولم تُناسِبْ عامراً او مازِنا

يريد عامر بن صَعْصعةَ ومازِنَ بن منصور فقال المغيرةُ : أما نحن فمن بكر بن هَوازن فلْيَقُلْ أبوكِ ما شاء وقالت أختُ الأشْتَرِ وهو مالك بن الحرث النَخَعِيُّ تبكيه ، وهذا الشعر رواه أبو اليَقْظانِ وكان متعصباً:

أبَعْدَ الأشْتَرِ النَخَعِيِّ تَرْجو مُكاثَرَةً و تَقْطَعُ بطنَ وادِ
وتَصْحَبُ مَذْحِجاً بإحاءِ صِدْقٍ وانْ تُنْسَبْ فنحن ذرا إيادِ
ثقيفٌ عَمُّنا وأبو أبينا واخْوَتُنا نِزارٌ أولو السَدادِ

قوله : وأنتم صغار الهام جَدْلٌ فالأجْدَلُ المائلُ العُنُقِ . يقال : قَوْسٌ جَدْلاءُ إذا اعْوَجَّتْ سِيَتُها . قال الراجز :

لها متاعٌ وَلَهاةٌ فارِضُ جَدْلاءُ كالزِقِّ نحاهُ الماخِضُ

Marfat.com

(كذا وقعت الرواية لها ، والصواب له لأنه يعني الفحل من الابل لأن الشِقْشِقَة لا تكون للأنثى قاله ش) . وأما قوله : زَبادِ يا فتى فله باب نذكره على وجهه باستقصائه بعد فراغنا من تفسير هذا الشعر . وقوله : لقَدْ ما قَصّروا فما زائدة ، مثل قوله تعالى : مما خَطيئاتِهِمْ أُغْرِقوا ، ولو قال : لَقِدْ ما قَصّروا لم يكن جيداً ودخل الوَليد في الذم . وقوله : كمُنْزِيةٍ عَيْراً خلاف جَواد . يقول بعد جواد . قال الله عزّ وجل : فَرِحَ المُخَلَّفُونَ بمَقْعَدِهِم خِلافَ رسولِ اللهِ . وقوله : لا في كِفاءٍ . يقال : هو كُفْؤُكَ وكَفْؤُكَ وكَهِيئَتِكَ وكِفاؤُكَ اذا كان عَديلَكَ في شرف أو ما أشبهه ، كما قال الفَرَزْدَقُ : وتَنْكِحُ في أكْفائِها الحَبِطاتُ (أول هذا البيت : بَنُو دارِمٍ أكفاؤُهُمْ آلُ مِسْمَعٍ . وآل مسمع بيت بكر بن وائل ، والحبطات هم بنو الحرث بن عمرو بن تميم ، وإنما قال هذا الفرزدق حين بلغه أن رجلاً من الحبطات خَطَبَ امرأةً من بني دارِمِ بن مالك ، فأجابه رجلٌ من الحبطات :

أما كان عَبّادٌ ، كَفيئاً لدارِمٍ بَلى ولِأبْياتٍ بِها الحُجُراتُ

عَبّادٌ يعني بني هاشم ، وقد تقدم هذا البيت للفرزدق في مواضع) وقال الله عزّ وجل : ولم يَكُنْ له كُفُواً أحدٌ . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : لأمْنَعَنَّ النساءَ إلا من الأكْفاءِ . وحَدَّثَ أصحابُنا عن الأصمعي عن اسحق بن عيسى قال : قلتُ لامير المؤمنين الرَشيدِ أو المهْدِيِّ : يا أمير المؤمنين مَن أكفاؤنا ؟ قال : أعداؤنا . يعني بني أُمَيَّةَ وزيادٌ الذي ذَكَرَ كان أخاها .

« هذا تفسير ما كان من المؤنث على فَعالِ مكسورَ الآخر وهو على أربعة أضرب والاصل واحد »

قال أبو العباس : اعلم انه لا يُبْنى شيءٌ من هذا الباب على الكسر إلا وهو مؤنث معرفةٌ معدولٌ عن جهته ، وهو في المؤنث بمنزلة فَعَلَ نحو : عُمَرَ وقُثَمَ في المذكر وفُعَلُ معدولٌ في حال المعرفة عن فاعِلٍ ، وكان فاعِلٌ ينصرف ، فلما عُدِلَ عنه فُعَلُ لم ينصرف ، وفَعالِ معدولٌ عن فاعِلَةَ ، وفاعِلَةُ لا ينصرف في

Marfat.com

المعرفة فعُدِلَ الى البناء، لانه ليس بعد ما لا ينصرف إلا المبنيُّ، وبني على الكسر لأن في فاعِلَةَ علامة التأنيث . وكان أصلُ هذا أن يكون اذا أردتَ به الامر ساكناً كالمجزوم من الفِعْل الذي هو في معناه ، فكَسَرْتَهُ لالتقاء الساكنين ، مع ما ذكرنا من علامة التأنيث والكسر مما يؤنّث به ، فلم يَخْلُ من العلامة . تقول للمرأة : أنتِ فَعَلْتِ ، فالكسر علامة التأنيث . وكذلك : إنكِ ذاهبةٌ وضربتُكِ يا امرأةُ ، فما لا يكون إلا معرفةً مكسوراً ما كان اسماً للفعل نحو : تَرَالِ يا فتى ، ومعناه انْزِلْ . وكذلك: تَرَاكِ زيداً، أي اتركه فهما معدولان عن المتاركة والمنازلة ، وهما مؤنثان معرفتان ، يدلك على التأنيث القياسُ الذي ذكرنا . قال الشاعر تصديقاً لذلك :

وَلَنِعْمَ حَشْوُ الدِرْعِ أنت اذا دُعِيَتْ نَزالِ وَلُجَّ في الذُعُرِ

فقال: دعيتْ لما ذكرته لك من التأنيث . وقال الآخر وهو زَيْدُ الخَيْلِ :

وقد عَلِمَتْ سلامةُ أن سَيْفي كريهٌ كُلَّما دُعِيَتْ نَزالِ *

وقال الشاعر :

تَراكِها من إبلٍ تَراكِها أما تَرى الموت لدى أوراكها

أي اتْرُكْها . وقال آخر (هو رؤبة) : حَذارِ من أرْماحنا حَذار . وقال آخر (هو أبو النجم) : نَظارِ كَيْ أرْكَبَهُ نَظارِ . فهذا باب من الأربعة . ومنها أن يكون صفة غالبة تحُلُّ محَلَّ الاسم نحو : قولهم للضُبُعِ جَعارِ يافتى وللضبّة حَلاقِ يا فتى لانها حالقة ، والدليل على التأنيث بعد ما ذكرنا قوله :

لَحِقَتْ حَلاقِ بهم على أكْسائِهِمْ ضَرْبَ الرقابِ ولا يُهِمُّ المغْنَمْ

وتقول في النداء : يا فَساقِ ويا خَباثِ ويا لُكاعِ ، تريد يا فاسقةُ ويا خَبيثةُ ويا لَكْعاءُ ، لانه في النداء في موضع معرفة كما تقول للرجل يا فُسَقُ ويا خُبَثُ ويا لُكَعُ ، فهذا باب ثانٍ (حكى ابن السَرّاج عن أبي عبيدة فرس لُكَعٌ للذكر ولُكَعة للمؤنث ومن ذلك ما عُدِلَ عن المصدر ، نحو قوله (هو المُتَلَمِّسُ يَذُمُّ الخَمْرَ) :

جمادِ لها جَمادِ ولا تَقولي طَوالَ الدَهْرِ ما ذُكِرَتْ لَحَا

* نزال : اسم فعل مبني على الكسر . ومثله : العلم المختوم بويه، وفعال علما لأنثى ،وأمس إذا أريد به معين .

Marfat.com

وقال النابغة الذُبْياني:

إنّا اقْتَسَمْنا خُطّتَيْنا بيننا فحَمَلْتُ بَرّةَ واحْتَمَلْتَ فجارِ

يريد قولي لها جموداً ولا تقولي لها حَمْداً، هذا المعنى، ولكنه عُدِلَ مؤنثاً وهذا باب ثالث. (بَرّةُ اسم علم لجميع البِرّ، وفَجارِ لجميع الفُجور، لابن جني تخصيصه بَرّةُ بفَعَلْتُ وفجارِ بافْتَعَلْتَ، مثل قوله تعالى: لها ما كَسَبَتْ وعليها ما اكْتَسَبَتْ فكَسَبَ للخير واكْتَسَبَ للشر) والباب الرابع أنْ تُسَمّي امرأةً أو شيئاً مؤنثاً باسم تصوغُه على هذا المثال، نحو: رَقاشِ وحَذام وقَطامِ وما أشبهه، فهذا مؤنث معدول عن راقشة وحاذِمَة وقاطمةَ اذا سميتَ به، وأهل الحجاز يجرونه على قياس ما ذكرتُ لانه معدول في الاصل وسُمّيَ به، فنُقِلَ إلى مؤنث كالباب الذي كان قبله فلم يغيروه فعلى ذلك قالوا: امْسَقِ رَقاشِ انها سَقّايَةْ. وقال آخر:

إذا قالتْ حَذامِ فصَدِّقوها فانّ القولَ ما قالت حَذامِ

ويُنشدون وأقْفَرَ من سَلْمَى شَراءٌ فيَذْبُلُ. (كذا وقع، والصحيح فقد أقْفَرَتْ سَلْمَى شراء لا وقبله: تَأبَّدَ من أطْلال جَمْرَةَ مَأْسَلُ. والشعر للنَمِرِ بن تَوْلَبٍ) وأما بنو تميم فاذا أزالوه عن النعت فسَمّوْا به، صرفوه في النكرة ولم يصرفوه في المعرفة. وسيبويه يختار هذا القول ولا يَرُدُّ القولَ الآخر، فيقول: هذه رَقاشُ قد جاءتْ، وهذه غَلابُ قد جاءتْ، وهذه غَلابٌ أخرى. ولا اختلاف بين العرب في صرفه إذا كان نكرة، وفي إعرابه في المعرفة، وصرفه في النكرة اذا كان اسماً لمذكر، نحو: رجل تسميه نزالِ أو رَقاشِ أو حَلاقِ، فهو بمنزلة رجل سميته بعَناقٍ أو أتانٍ، لان التأنيث قد ذهب عنه. فاحتج سيبويه في تصحيح هذا القول بانك لو سميت شيئاً بالفعل الذي هو مأخوذ منه نحو: انْزِلْ واضْرِبْ، لو سميتَ بهما رجلاً لجرى مجرى إصْبَعٍ وأحْمَدَ وإثْمِدٍ ونحو ذلك، فهذا يحيط بجميع هذا الباب.

قال أبو العباس وقالت امرأة أحسبها من بني عامر بن صَعْصَعَةَ زَوّجتْ في طَيِّئٍ:

Marfat.com

لا تَحْمَدَنَّ الدهرَ أختٌ أخاً لها ولا تَرْثِيَنَّ الدَّهْرَ بنتٌ لوالد
هُمُ جعلوها حيثُ ليستْ بحُرَّةٍ وهُمْ طرحوها في الأقاصي الأباعدِ

ويروى عن عائشة رضي الله عنها انها قالت : انما النكاح رِقٌّ ، فلْيَنظُرْ امْرُؤٌ من يُرِقُّ كريمته ، وعلى هذا جاءت اللغة ، فقالوا : كنا في إمْلاكِ فلانٍ وفي مِلْكِ فلانٍ ، وفي مَلْكِ فلان ، وفي مَلَكةِ فلان ، وفي مِلْكانِ فلانٍ ويقول الرجل : مَلَكْتُ المرأةَ وأَمْلَكْتُها وَلِيُّها ، ومن ذلك أنّ يمين الطلاق اذا وقع فيها حِنثٌ انما يكون محلُّها محلَّ الاقرار بترك ما كان يملكه كالعَتاق . وقال رسول الله ﷺ أُوصيكم بالنساء فانهنّ عندكم عَوانٍ ، أي أسيراتٌ . ويقال : عَنِيَ فلانٌ في بني فلان اذا أقام فيهم أسيراً . ويقال . فلان يَهْلِكُ العُناةَ ، وأصل التعنية التذليل ، وأصل الإسارِ الوِثاقُ ويقال للمُكَتَّب مأسور اذا شُدَّ بالقِدِّ هذا أصل هذا ، فأما المَثَلُ في قولهم : انما فلان غُلٌّ قَمِلٌ ، فإنهم كانوا يتخذون الأغلال من القِدِّ ، فكانت تَقْمَلُ . وقال رجل يذكر امرأة زُوِّجَتْ من غير كُفءٍ :

لقد فَرِحَ الواشون أن نال ثَعْلبٌ شبيهَ ظبْيٍ مُقلتاها وجِيدُها
أضَرَّ بها فَقْدُ الوليِّ فاصبحتْ بكَفٍّ لئيم الوالدينِ يَقودُها

ولما زَوَّجَ ابراهيمُ بن النعمان بن بَشيرٍ الانصاريُّ يحيى بن أبي حَفْصةَ مولى عثمانَ بن عَفّانَ ابنته على عشرين ألفَ درهم قال قائل يُعَيِّرُهُ :

لَعَمْري لقد جَلَّلتَ نفسك خِزْيةً وخالفتَ فعلَ الاكثرينَ الاكارمِ
ولو كان جَدَّاكَ اللذانِ تَتابعا ببَدْرٍ لَما راما صَنيعَ الألائمِ

فقال ابراهيم بن النُعمانِ يرُدُّ عليه :

ما تَرَكَتْ عشرونَ الفاً لقائلٍ مَقالاً فلا تَحْفِلْ مَلامةَ لائم
وانأكَ قد زَوَّجْتُ مَوْلىً فقد مضَت به سُنَّةٌ قبلي وحُبُّ الدراهم

Marfat.com

وتزوّجَ يحيى بن أبي حفصة وهو حَدثٌ مَرْوانَ الشاعرِ ، ويزعم النسّابون ان اباه كان يهودياً أسلم على يدي عثمان بن عفان ، وكان يحيى من أجود الناس ، وكان ذا يَسارٍ فتزوج خَوْلَةَ بنتَ مُقاتِلِ بن طَلَبَةَ ، (الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سِراج في فتح اللام) ابن قيس بن عاصم سيدِ أهل الوَبَر ، ابن سِنان بن خالد بن مِنقَرٍ ومَهرَها خِرَقاً ، ففي ذلك يقول القُلاخُ ابن حَزْنٍ :

لم أرَ أثوابـاً أجَرَّ لِخَزْيةٍ ... وألأمَ مَكسُوّاً وألأمَ كاسِيا
من الخِرَقِ اللاتي صُبِنَ عليكم ... بِحَجْرٍ فكنَّ المُبْقياتِ البَواليا

فقال يحيى بن أبي حَفْصَةَ يُجيبه :

تجاوَرْتُ حَزْناً رغبةً عن بناتِهِ ... وأدْرَكْتُ قيساً ثانياً من عِنانيا

يقال ذلك للسابق اذا تَقَدَّمَ تقدُّماً بيّناً ، فبلغ الغاية فمن شأنه أن يَثْنيَ عِنانَهُ فينظر الى الخيل . قال الشاعر :

فمَنْ يَفْخَرْ بمثل أبي وجَدّي ... يَجِيءُ قبلَ السوابِقِ وهو ثاني

يريد ثاني عِنانِهِ ، وقال القُلاخُ في هذه القِصةِ :

نُبِّئْتُ خَوْلَةَ قالت حين أنكَحَها ... لطالما كنتُ منكَ العارَ أنتظرُ
أنكَحْتَ عَبْدَيْنِ تَرْجو فَضْلَ مالهما ... في فيكَ مما رَجَوْتَ التُرْبُ والحجَرُ
لله دَرُّ جِيادٍ أنت سائسها ... بَرْذَنَتَها وبها التَحْجيلُ والغُرَرُ

وقال جرير يُعَيِّرُهُمْ :

رأيتُ مُقاتِلَ الطَلِباتِ حَلّى ... فُروجَ بَناتِهِ كمَرَ المَوالي
لقد أنكَحْتُمُ عبداً لعبدٍ ... من الصُهْبِ المُشَوَّهةِ السِبالِ
فلا تفخَرْ بقيسٍ إنَّ قَيْساً ... خَرِئْتُمْ فوق أعظُمِهِ البوالي

وقال آخر في مثل هذه القصة :

الا يا عبادَ اللهِ قَلبي مُتَيَّمٌ ... بأحسنِ مَن صلى وأقبحِهِم بَعْلا

Marfat.com

يَدِبّ على أحْشائهـــا كلّ ليـــلةٍ دَبيبَ القَرَنْبَى باتَ يَفْرُو سقاً سَهلا

القَرَنْبَى دُوَيْبَةٌ على هيئة الخُنفُسِ مُنَقَّطَةُ الظَهْرِ ، وربما كان في ظهرها نقطة حمراءُ ، وفي قوائمها طولٌ على الخنفس وهي ضعيفة المشي .قال الفرزدق يعني عَطِيَّةَ أبا جرير :

قَرَنْبي يَحُكُّ قَفا مُقْرِفٍ لَئيمٍ مـــآثِرُهُ قُعْدُدِ *

(ألف قرنبى ألف الحاق وليست للتأنيث ، والقعدد اللئيم وجمعه قَعادِدُ)

وفي هذا الشعر يقول :

ألم تَرَ أنّـــا بَني دارِمٍ زُرارةُ مِنّا أبو مَعْبَدِ
ومِنّا الذي مَنَعَ الوائِداتِ وأحْيا الوَئيدَ فلم تُوأَدِ
ألَسْنا بأصحاب يوم النِسار وأصحـابِ ألوَبَةِ المِرْبَدِ

(النِسارُ جبلٌ تألفه النُسورُ كثيراً فلذلك سُمي بهذا الاسم) .

ألَسنا الذينَ تَميمٌ بهـــم تُسامي وتَفْخَرُ في المَشْهَدِ
وناحيةُ الخيرِ والأقْرعان وقبرٌ بكاظِمةَ المَوْرِدِ
اذا ما أتى قَبرَهُ عائذٌ أناخَ على القَبرِ بالأسْعُدِ
أيَطْلُب مَجْدَ بني دارِمٍ عَطيّةُ كالجُعَلِ الأسود
ومَجدُ بني دارِمٍ دونـــه مكانُ السِماكَيْنِ والفَرْقَد

(الرفع في مكان أقوى وهو الوجه الجيد في العربية) . قوله : ألم تر أنا بني منقر منصوب على الاختصاص وقد مضى تفسيره ،وزُرارةُ الذي ذكرَ هو زرارة ابن عُدَسَ بن زيد بن عبدالله بن دارِمٍ وكان زرارةُ يُكنى أبا مَعْبَدٍ ، وكان له بَنونَ معبَدٌ ولَقيطٌ وحاجبٌ وعَلقَمةُ والمأمـوم ، ويزعم قوم ان المأموم هو علقمةُ ومنهم شَيْبان بن زرارة وابنه يزيد بن شَيبان النَسّابةُ . وكان حاجِبٌ أذْكَرَ القومِ. ورَوَوْا ان عبد المَلِكِ ذكر يوماً بني دارم . فقال أحدُ جُلَسائِه : يا أمير المؤمنين هؤلاء قوم محظوظون. فقال عبد الملك: أتقول ذلك وقد مضى منهم لَقيطُ بن زرارة ولم يُخلّفْ عَقِباً ، ومضى

* ومثل هذا البيت قال الأخطل فى أم رجير . وحارياوى هي معدنها الجمارة بالضراط.
تغلي الخنانيص والفرل الذي أكلت في حارياوى ردوم الليل مجمار

Marfat.com

القَعْقاعُ بن مَعْبدِ بن زُرارةَ ، ولم يُخَلِّفْ عقِبا، ومضى محمد بن عُمَيْرِ بن عُطارِد بن حاجب بن زرارة ولم يُخَلِّفْ عَقِباً ، والله لا تنسى العرب هؤلاء الثلاثةَ أبداً. وكان لقيط بن زُراة قُتِلَ يوم جَبَلةَ ،وأُسِرَ حاجبٌ فَفودِيَ فزعم أبو عبيدة انه لم يكن عُكاظيٌّ أغلى فِداءً من حاجب. وكان أسرَ زَهْدَمٌ العَبْسيُّ (اخو كَرْدَمٍ) فَلَحِقَهُ ذو الرُّقَيْبةِ القُشَيريُّ ، وبنو عَبْسٍ يومئذ نازلةٌ في بني عامر بن صَعْصَعةَ ،فأخذه الرُّقَيْبة بعِزِّهِ وأنه في محلِّ قومِهِ . فقال حاجب لَمّا تَنازعني الرجلان خِفْتُ ان أُقْتَلَ بينهما ، فقلت : حَكِّماني في نفسي ، ففعلا، فحكمتُ بسلاحي ورِكابي لزَهْدَمٍ وبنفسي لذي الرُّقَيْبةِ .وكان حاجب يُكنى أبا عِكْرِشةَ ، وكان أحْلَمَ قومه. وفي ذي الرقيبة يقول الشاعر (هو المُسَيَّبُ بن عَلَسٍ واسمه زُهَيرٌ ويُكْنى أبا الفِصَّةِ) :

ولقد رأيتُ القائلينَ وفعلَهُمْ فلِذي الرُّقَيْبةِ مالكٍ فَضْلُ
كَفَّاهُ مُتْلِفةٌ وأُخْلِفةٌ وعطاؤُهُ مُتَدفِّقٌ جَزْلُ

فَفُدِيَ حاجبٌ وقُتِلَ في ذلك اليوم لَقيطٌ وأُسِرَ عمرو بن عمرو بن عُدَسَ ، فلذلك يقول جرير يُعَيِّرُ الفرزدق ، لان الفرزدق من بني مُجاشِعِ بن دارِمٍ ، وقد مضى ذكر هذا في الكتاب . ولجرير في قيسٍ خُؤُولَةٌ ، فلما هجا الفرزدقُ قيساً في أمر قُتَيْبةَ بن مُسلم الباهليّ . قال :

أتاني وأهلي بالمدينة وقعةٌ لآلِ تميمٍ أقعَدَتْ كلَّ قائم
كان رؤوسَ الناسِ اذ سمعوا بها مُشَدَّخةٌ هاماتُها بالأمائم

(حجارةٌ تُشْدَخُ بها الرؤوس الواحدة أميمةٌ)

وما بين مَنْ لم يُعطِ سِمْعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حزِّ الحلاقِمِ
أتَغْضَبُ أن أُذنا قُتَيْبةَ حُرَّتا جِهاراً ولم تَغْضَبْ لقتل ابن خازم
وما منهما الا نقَلْنا دِماغَه الى الشامِ فوقَ الشاحِجاتِ الرَّواسم
تُذَبْذِبُ في المِخْلاةِ تحت بُطونها مُحَذَّفةُ الأذْنابِ جُلْحُ المَقادِمِ

Marfat.com

وما أنتَ من قيْسٍ فتنبحَ دونَها ولا من تميم في الرُّؤوس الأعاظِمِ
تخوّفنا أيام قيسٍ ولم نَدَعْ لعَيْلان أنفاً مُستقيمَ الخياشمِ
لقدشهِدَتْ قيسٌ فما كان نَصرُها قُتَيبةَ الا عَضّها بالأباهِمِ

وقال جرير يجيبه :

أباهلَ ما أحببتُ قتلَ ابن مسلم ولا أن تروعوا قومَكم بالمَظالم

ثم قال يخوّف الفرزدق :

تَحَضَّضْ يا ابنَ القَينِ قيساً ليَجعلوا لقومك يوماً مثلَ يوم الأراقمِ
كأنكَ لم تشهَدْ لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمروٍ اذ دعَوْا يالَ دارِمِ
ولم تَشهَدِ الجَوْنينِ والشِعبَ ذا الصَفا وشدّاتِ قيسٍ يوم دِيرِ الجماجِمِ
فيومَ الصفا كنتم عبيداً لعامرٍ وبالجَنوِ أصبحتُمْ عبيدَ اللهازِمِ
اذا عُدّتْ الايامُ أخزَينَ دارماً وتُخزيكَ يا ابنَ القَينِ أيامُ دارِمِ

أما قول الفرزدق .

كأن رؤوس الناس اذ سمعوا بها مشدّخةٌ هاماتُها بالأمائم

فان الشِجاجَ مختلفةُ الاحكامِ فاذا كانت الشَجّةُ شُقَيْقاً يَدْمَى فهي الداميةُ واذا أخذتْ من اللحم شيئاً فهي الباضعة واذا أمعَنَتْ في اللحم فهي المُتلاحِمةُ فاذا هَشَمَت العظم فهي الهاشمة واذا كان بينها وبين العظم جُلَيْدةٌ رقيقة فهي السِمْحاقُ ، ومن أجل تلك الجليدة يقال ما على تَرْبِ الشاةِ من الشَحم الا سماحيقُ أي طرائقُ ، فاذا خرجت منها عظامٌ صغار فهي المُنقّلة ، وانما أخذ ذلك من النَقَلِ وهي الحجارةُ الصِغارُ ، فاذا أوْضَحَتْ عن العظم فهي الموضِحةُ ، فاذا خرقت العظم وبلغتْ أمّ الدِماغ وهي جُلَيْدةٌ قد ألبَست الدماغَ فهي الآمّةُ ، وبعض العرب يسميها المأمومةَ واشتقاقُ ذلك افضاؤُها الى أمّ الدماغ ولا غاية بَعْدها . قال الشاعر :

يَحُجُّ مأمومةً في قَعرِها لَجَفٌ فاستُ الطَبيبِ قَذاها كالمفاريدِ

Marfat.com

وقال ابن غَلفاءَ الهُجَيْميُّ يَرُدُّ على يزيد بن عمرو بن الصَّعِق في هِجائه بني تميم :

فانكَ من هِجاءِ بني تميم كمُزْدادِ الغَرامِ الى الغَرام
هُمُ تركوكَ أسْلَحَ من حُبارى رأتْ صَقراً وأشْرَدَ من نَعام
وهُمْ ضربوكَ أمَّ الرأسِ حتى بَدَتْ أمُّ الشُؤُن من العظام
اذا يَأسونها جَشَأَت اليهم غَرَنْبَثَةُ القوائم أمُّ هامِ

(يريد غليظة القوائم) وابن خازم هو عبدالله بن خازمٍ السُلَميُّ ، وهو أحد غِرْبانِ العرب في الاسلام وكان من أشْجَعِ الناس. وقتله بنو تميم بخُراسان وكان الذي وَلِيَ قتله منهم ، وكيعُ بن الدَوْرَقيَّةِ القُرَيْعيُّ . وقوله : فوق الشاحجات يعني البغال، والرسيمُ ضربٌ من السير ، وانما عنى ههنا بغالَ البريد. لقوله . بحذفة الاذناب جلح المقادم . كما قال امرؤ القيس :

على كل مَقْصوصِ الذُنابَى مُعاوِدٍ بَريدَ السُرى بالليل من خَيْلِ بَرْبَرا

وكانتْ بُرُدُ ملوك العرب في الجاهلية الخيلَ . وأما قول جرير الجونين فقد مضى ذكرهما، ويوم دير الجماجم يريد الحجّاج في وقعته بدير الجماجم بعبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ بن قيس الكِنديِّ . وقوله: وبالحِنوِ أصبحتم عبيدَ اللهازمِ فاللهازمُ بنو قيسِ بن ثعلبةَ وبنو ذُهْل بن ثعلبة وبنو تَيْمِ اللات بن ثعْلبة وبنو عِجلِ بن لُجَيْم بن صَعبِ بن عليّ بن بكر بن وائل وبنو مازنِ ابن صَعْب بن عليّ ثم تَلَهْزَمَتْ حَنيفةُ بن لُجَيْمٍ فصارت معهم . وأما عَلقمةُ بن زُرارةَ فانه قتلتْه بنو ضُبَيعة بن قيس بن ثعلبةَ فقَتَلَ به حاجبُ أخوه أشيَمَ بن شَراحيلَ القَيسيّ . فقال حاجبٌ في ذلك :

فان تقتلوا مِنّا كريماً فاننا أبانا به مأوى الصَعاليكِ أشْيَما
قَتَلنا به خيرَ الضُبَيْعاتِ كلِّها ضُبيعةَ قيسٍ لا ضُبَيْعةَ أضْجَما

وكان يقال لأشيَمَ مأوى الصعاليكِ ، وضُبَيْعةُ أضْجَمَ الذي ذكرَ هو ضُبيعةُ بن ربيعة بن نزارٍ رهط المُتَلَمِّسِ هذا لقبهم. وأما مَعْبَدُ بن زُرارة

Marfat.com

فان قيساً أسَرَتْهُ يوم رَحْرَحانَ ، فساروا به الى الحجاز ، فأتى لَقيطٌ في بعض الاشهر الحُرُم ليَفدِيَهُ ، فطلبوا منه ألف بعير . فقال لقيط : ان أبانا أمرنا أن لا نزيد على المائتين فتطمعَ فينا دُؤْبانُ العرب . فقال معبدٌ : يا أخي افدني بمالي فاني ميت ، فأبى لقيط ، وأبى معبد ان يأكل أو يشرب ، فكانوا يَشْحُون فاه ويصبون فيه الطعام والشراب لئلا يَهْلِك فيذهبَ فداؤه فلم يزل كذلك حتى مات فقال جرير يعير الفرزدق وقومه بذلك :

تركتم بوادي رَحْرحانَ نساءَكم ويومالصفا لاقيتمُ الشِعْبَ أوعَرا
سمعتم بني مجْدٍ دعَوْا يالَ عامرٍ فكنتم نَعاماً عند ذاكَ مُنَفِّرا
وأسلمتِ القَلْحاءُ فيالغُلّ مَعبداً ولاقى لقيطٌ حَتْفَهُ فتَقطّرا

قوله : سمعتم بني مجد دعوا يال عامر ، يعني مجْدَ بنتَ النَضْرِ بن كنانةَ : وَلدَتْ ربيعةَ بنعامر بن صَعْصَعةَ وَولدُهُ بنو كلابٍ وبنو كعبٍ وبنو عامر ابن ربيعة والقَلْحاءُ لقب ، والقَلَحُ ان تَرْكبَ الاسنانَ صفرةٌ تضْرِبُ الى السواد . ويقال لها الحَبرةُ لشدة تأثيرها أنشدني المازني :

لستُ بسَعدِيٍّ على فيهِ حَبرةٌ ولستُ بعَبْدِيٍّ حقيبتُهُ النَمْرُ

وزعم أبو الحسن الاخفش سعيد بن مَسْعدةَ ، ان العرب تقول في هذا المعنى في أسنانه حِبرةٌ وليس ذلك بمعروف . ولم يأت اسم على فِعِلٍ الا إبلٌ واطِلٌ (وامرأة بِلِزٌ أي ضخمة . قاله ابن قتيبةَ . أما ابل فكما ذكروا ، وأما طِلٌ فليس كما ذكروا طِلٌ أصلهِ اطْلٌ ، ثم حركت الطاءُ اتباعاً لحركة الهمزة ، كما قالوا في الجِلْدِ الجِيلدُ . قال سيبويه : ليس في الاسماء والصفات فِعِلٌ الا إبِلٌ) . وقوله : ولاقى لقيطٌ حتفه فتَقَطّرا ، يقال : قَطّرهُ لجبينه وقَتّرهُ لغتان لان التاء من مخرج الطاء ، فان رَمى به على قفاه قيل : سَلَفَهُ وسَلْفاهُ وَبَطَحَهُ لوجهه ، فان رَمى به على رأسه قيل نَكَتَهُ . رجع التفسيرُ الى شعر الفرزدق الاول . أما قوله : ومنا الذي منع الوائدات فانه يعني جده صعصعة بن ناجية بن عِقالٍ وكانت العرب في الجاهلية تَئِدُ البنات ولم يكن هذا في جميعها ، انما كان في تميم بن مُرّ ، ثم استفاض في جيرانهم فهذا قولُ

Marfat.com

واحدٌ . وقال قوم آخرون : بل كان في تميم وقيسٍ وأسَدٍ وهُذَيلٍ وبَكْرِ ابن وائِلٍ لقول رسول الله ﷺ : اللهم اشْدُدْ وطأتَكَ على مُضَرَ واجْعَلها عليهم سِنينَ كسِني يوسُفَ . وقال بعض الرواة : اشدد وطْدَتَك والمعنى قريب يرجع الى الثِقَل فأجْدَبوا سبع سنين حتى أكلوا الوَبَرَ بالدَمِ ، فكانوا يسمونه العِلْهِزَ ولهذا أبان الله عز وجل تحريم الدم ، ودلَّ على ما من أجْلِهِ قتلوا البناتِ . فقال : ولا تقتلوا أولادكم خشيةَ إمْلاقٍ . وقال : ولا يَقْتُلْنَ أولادهُنَّ ،فهذا خَبرٌ بَيِّنٌ ان ذلك للحاجة . وقد رَوَى بعضُهم انهم انما فعلوا ذلك أنفَةً . وذكر أبو عبيدة مَعْمرُ بن المُثنَّى أن تميماً مَنَعَتِ النُعمانَ الإتاوةَ وهي الأدْيانُ ، فوجَّهَ اليهم أخاة الريّانَ بن المُنذِرِ وكانت للنعمان خمسُ كتائبَ احداها الوضائِعُ وهم قوم من الفُرسِ كان كِسْرى بَضَعُهُمْ عنده عُدَّةً ومَدداً فيقيمون سنة عند الملك من ملوك لَخمٍ ، فاذا كان في رأس الحول ردَّهمْ الى أهليهم وبَعَث بمثلهم ، وكتيبةٌ يقال لها الشَهباءُ ، وهي أهل بيت الملك ، وكانوا بيضَ الوجوه يُسَمَّوْنَ الأشاهِبَ . وكتيبةٌ ثالثة يقال لها الصَنائعُ وهم صنائع المَلِكِ أكثرهم من بكر بن وائلٍ وكتيبةٌ رابعةٌ يقال لها الرهائنُ ، وهم قوم كان يأخذُهم من كل قبيلة فيكونون رُهُناً عنده ثم يوضع مكانهم مثلهم . والخامسة دَوْسَرُ وهي كتيبة ثقيلة تجمَعُ فُرْساناً وشُجعاناً من كل قبيلة فأغزاهم أخاه وجُلٌّ من معه بكرُ بن وائل ، فاستاق النَعَم وسبى الذَراريَّ . وفي ذلك يقول أبو المُثَمْرَجِ اليَشْكُرِيُّ :

لما رأوا رايةَ النعمانِ مُقْبلةً قالوا ألا لَيْتَ أدْنى دارِنا عَدَنُ
يا ليتَ أمَّ تميمٍ لم تكن عَرفَتْ مُرّاً وكانت كمَن أوْدى به الزَمَنُ
ان تقتلونا فأعْيارٌ مُجَدْعةٌ أو تُنعِموا فَلَقَدِيماً مِنكمُ المِنَنُ
منهم زُهَيْرٌ وعَتّابٌ ومُحْتَضَرٌ وابنا لَقيطٍ وأوْدى في الوغى قَطَنُ

ويقول النعمان في جواب هذا :

Marfat.com

هُ بَكْرٌ غَداةَ الرَوْعِ لو رِبِهِم أرمي ذُرا حِضَنٍ زالتْ بهم حَضَنُ
اذ لا أرى أحداً في الناس أشبَهَهُمْ الا فوارسَ خامَتْ عنهمُ اليَمَنُ

وهذا خبر طويل فوَفَدَتْ اليه بنو تميم فلما رآها أحب البُقْيا فقال :

ما كان ضَرَّ تميماً لو تغمَّدَها من فضْلنا ما عليه قيسُ عَيْلانِ

فأناب القومُ وسألوه النساءَ . فقال النعمان كل امرأة اختارت أباها رُدَّتْ اليه ، وان اختارت صاحبها تُرِكَتْ عليه ، فكلُّهن اختارت أباها الا ابنةً لقيس بن عاصم فانها اختارت صاحبها عمرو بن المُشَمْرَجِ . فنذَرَ قيسٌ أن لا تولَدَ له ابنةٌ الا قتَلَها فهذا شيء يَعْتَلُّ به مَن وَأَدَ ، ويقول فعلناه أنفَةً وقد أكذِبَ ذلك بما أنزَلَ اللهُ تعالى في القرآن وقال ابن عباس رحمه الله في تأويل هذه الآية : وكانوا لا يُورِّثون ولا يتخذون الا من طاعَنَ بالرُمْحِ ، ومَنَعَ الحريمَ يريد الذُكْرانَ ، وروت الرواة ان صَعْصعةَ بن ناجيةَ لما أتى رسولَ الله ﷺ فأسلم قال : يا رسول الله اني كنتُ أعمَلُ عملاً في الجاهلية ، أفينفعُني ذلك اليوم . قال : وما عملك ؟ قال : أضْلَلْتُ ناقتين عُشَراوَيْنِ فركبتُ جملاً ومضيت في بُغائها فرُفِعَ لي بيتٌ حريدٌ فقصدته ، فاذا شيخ جالس بفِناء الدار ، فسألته عن الناقتين ؟ فقال: ما نارُهما ؟ قلتُ : ميسَمُ بني دارِمٍ . فقال . هما عندي وقد أحيا الله بهما قوماً من أهلك من مُضَرَ . فجلستُ معه لتُخرِجَا اليَّ فاذا عجوز قد خرجتْ من كِسْرِ البيت . فقال لها : ما وَضَعَتْ فان كان سَقْباً شارَكْنا في أموالنا ، وان كانت حائلاً وأدْناها . فقالت العجوز : وَضَعَتْ أنثى . فقلت : أتبيعها ؟ قال : وهل تبيعُ العربُ أولادها قال . قلتُ : انما اشتري منك حياتَها ولا اشتري رِقَّها . قال: فبكم ؟ قلتُ : احتَكِم قال : بالناقتين والجَمَلِ قال. قلتُ : ذاكَ لكَ على ان يُبلِّغَني الجملُ وإياها . قال ففعل ،آمنتُ بك يا رسول الله ، وقد صارتْ لي سُنَّةٌ في العرب على أن اشتريَ كل موؤدةٍ بناقتين عُشَراوَيْنِ وجملٍ ، فعندي الى هذه الغاية ثمانون ومائتا مَوْؤدةٍ فقد أنقذتها . فقال رسول الله ﷺ : لا ينفعُكَ

Marfat.com

ذلك لانك لم تَبْتَغِ به وجهَ الله وان تَعْمَلْ في اسلامكَ عملاً صالحاً تُثَبْ عليه . وكان ابن عباس يقرأ واذ الموْؤدةُ سألتْ : بأيّ ذنبٍ قُتِلْتُ ؟ وقال أهل المعرفة في قول الله عز وجل: واذا المَوؤدةُ سُئِلَتْ بأيّ ذنبٍ قُتِلتْ انما تُسئل تَبكيتاً لمن فعلَ ذلك بها . كما قال الله تعالى : يا عيسى بن مريم أأنتَ قُلتَ للناس اتخذوني وأمّيَ الهينِ من دون الله . وقوله : وئِدَتْ انما هو أُثْقِلَتْ بالتُرابِ . يقال للرجل اتَّئِدْ ،أي تثبَّتْ وتَثقّلْ كما يقال توَقَّرْ ، قال قصيرٌ صاحبُ جَذيمةَ (هذا وَهمٌ من أبي العباس وانما هو للزَبّاءِ) :

ما للجِمالِ مَشْيُها وَئيدا أجَنْدلاً يَحْمِلْنَ أم حَديد
(أمْ صَرَفاناً بارِداً شديـــدا)

وقوله : أضللتُ ناقتين عُشَراوَينِ أضللتُ ضَلّتا مني وتحقيقه صادفتهما ضالّتَينِ ، كما قال (لرجل من قُضاعةَ يقال له مالكُ بن عمرو وقبله :

لأوجِدُ ثَكلى كما وَجَدْتُ ولا وَجْدُ عَجولٍ أضَلّها رُبَعُ)
أو وَجْدُ شيخٍ أضَلّ ناقتَـهُ حين تَولّى الحَجيجُ فاندفعوا

والعُشَراءُ الناقةُ التي قد أتى عليها منذ حَمَلَتْ عشرةُ أشهر وانما حَمْلُ الناقة سنةٌ . وقوله : ما نارهما ؟ يريد ما وَسْمُهما . كما قال :

قد سُقِيَتْ آباهُمُ بالنار والنارُ قد تَشْفي من الأُوارِ

أي عُرِفَ وسمُهم فلم يُمنَعوا الماء. وقوله فاذا بيت حَريدٌ يقول مُتَنَحٍّ عن الناس . وهذا من قولهم : انحَرَدَ الجملُ اذا تنحّى عن الإناثِ فلم يَبرُكْ معها . ويقال في غير هذا الموضع حَرَدَ حَرْدَهُ ، اي قصَدَ قَصدَهُ . قال الراجز :

قد جاء سَيْلٌ جاء من أمْرِ الله يَحْرِدُ حَرْدَ الجنة المُغِلّهْ

وقالوا في قوله عز وجل : وغَدَوْا على حَرْدٍ قادرين، اي على قَصْدٍ كما ذكرنا . وقالوا هو أيضاً على مَنعٍ من قولهم: حاردَتِ الناقةُ اذا مَنَعَت لبنها وحاردتِ السنةُ اذا مَنَعَتْ مَطَرها، والبعيرُ الاحرد هو الذي يضرب بيده

Marfat.com

وأصله الامتناع من المشي . وأما قوله :

وقبر بكاظمةِ الموْردِ . اذا ما أتى قبرَهُ خائفٌ . أناخ على القبر بالأسْعُدِ

فانه يعني قبر أبيه غالِب بن صَعْصعةَ بن ناجيةَ وكان الفرزدق يُجيرُ مَن استجار بقبر أبيه وكان أبوه جَواداً شريفاً ، ودخل الفرزدق البصرةَ في إمْرةِ زيادٍ ، فباع ابلاً كثيرة وجعل يَصُرُّ أثمانها . فقال له رجلٌ . انك لتَصُرُّ أثمانها ولو كان غالبُ بن صعصعةَ ما صَرَّها ففتح الفرزدق تلك الصُرَرَ ونثرَ المالَ . وبلغ الخبرُ زياداً فطلبه فهرب الفرزدق ، وله في هربه حديثٌ طويل ، واستجارته بسعيد بن العاص بالمدينة نذكره بعد هذا ان شاء الله . فمِمَّنْ استجارَ بقبر غالِبٍ فأجاره الفرزدقُ امرأةٌ من بني جَعْفَر بن كِلابٍ خافتْ لما هجا الفرزدق بني جعفر بن كلاب أن يُسَمّيها ويَسْبُبْها فعاذَتْ بقبر أبيه فلم يَذْكُر لها اسماً ولا نسباً ولكن قال في كلمته التي يهجو فيها بني جعفر بن كلاب :

عجوزٌ تُصَلّي الخمْسَ عاذَتْ بغالِبٍ فلا والذي عاذَتْ به لا أضيرُها

ومن ذلك أن الحجاج لما ولى تميمَ بن زيد القَيْنيّ السِندَ دخل البصرة فجعل يُخْرِجُ من أهلها مَنْ شاء فجاءت عجوز الى الفرزدق فقالت : اني استجرت بقبر أبيك وأنت منه بمحصَناتٍ . فقال لها : وما شأنكِ ؟ فقالتْ : ان تميم ابن زيد خَرجَ بابنٍ لي معه ولا قُرَّةَ لعيني ولا كاسِبَ لي غيرُهُ فقال لها : وما اسمُ ابنك؟ فقالت خُنَيْس فكتب الى تميم بن زيدٍ مع بعض مَن شَخَص:

تَميمُ بن زَيدٍ لا تكوننّ حاجتي بظهْرٍ فلا يَعيا عليّ جَوابُها
وهَبْ لي خُنَيْساً واحتَسِب فيه مِنّةً لعَبْرةِ أمٍّ ما يَسوغُ شرابُها
أتَتْني فعاذَتْ يا تميمُ بغالِبٍ وبالحُفْرةِ السافي عليها تُرابُها
وقد عَلِمَ الأقوامُ أنك ماجِدٌ ولَيْثٌ اذا ما الحرب شبّ شِهابُها

فلما وردالكتابُ على تميم تَشكّك في الاسم فقال : أحُبَيْشٌ أم خُنَيْسٌ ؟ ثم قال انظروا مَن له مثلُ هذا الاسم في عسكرنا فأصيب ستةٌ ما بين حُبَيْشٍ

Marfat.com

وخُنَيْسٍ ، فوجّهَ بهم اليه ومنهم مكاتَبٌ لبني مِنقَرٍ ظَلَعَ بمكاتَبتِهِ فأتى قبرَ غالب فاستجار به وأخذ منه حَصَباتٍ فشَدّهُنّ في عمامتـــهِ ثم أتى الفرزدق فأخبره خبَرهُ وقال اني قد قلت شعراً . فقال : هاتِهِ فقال :

بقبر ابنِ لَيلى غالبٍ عُذْتُ بعدما خشيتُ الرَدى أو انْ أُرَدّ على قَسْر
بقبر امرىءٍ تَقري المِئينَ عِظامُهُ ولم يَكُ الا غالبـاً مَيّتٌ يَقري
فقال ليَ استَقدِم أمامـكَ انمـــا فكاكُكَ أن تلقى الفرزدقَ بالمِصرِ

فقال له الفرزدق : ما اسمُكَ ؟ قال لَهْذَمٌ . يا لَهْذَمُ حُكمُكَ مُسَمّطاً . قال : ناقةٌ كوْماءُ سوداءُ الحدقةِ . قال : يا جارية اطرَحي الينا حبلاً . ثم قال: يا لَهْذَمُ اخرج بنا الى المِربَدِ فألقِهِ في عُنُقِ ما شئت. فتخير العبد على عينه ثم رمى بالحبل في عنق ناقةٍ وجاء صاحبها. فقال له الفرزدق اغْدُ عليّ في ثمنها فجعل لَهْذَمٌ يقودهاوالفرزدق يسوقها حتى اذا نفَذَ بها من البيوت الى الصحراء صاح به الفرزدقُ : يا لَهْذَمُ قبّحَ الله أخْسَرَنا . (قوله : تقري المئين عظامه يريد أنهم كانوا ينحرون الابل عند قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم) قوله : ولم يك الا غالباً ميتٌ يقرى فانـه نصب غالباً لانه استثناء مقدم ، وانما انتصب الاستثناء المقدم لما أذكره لك ، وذلك أن حق الاستثناء اذا كان الفعلُ مشغولاً به أن يكون جارياً عليه ، لا يكون فيه الا هذا . تقول ، ما جاءني الا عبدُ الله وما رأيت الا عبدَالله وما مررت الا بعبدِ الله فان كان الفعل مشغولاً بغيره ، فكان موجَبا لم يكن في المستثنى الا النصبُ ، نحو جاءني إخوَتُكَ الا زيداً. كما قال تعالى أفشَربوا منه الا قليلاً منهم ، ونصَبَ على هذا معنى الفعل والا دليلٌ على ذلك فاذا قلت : جاءني القوم لم يُؤمَن أن يقع عند السامع أن زيداً أحدهم ، فاذا قال الا زيداً ، فالمعنى لا أعني فيهم زيداً أو أستثني ممن ذكرت زيداً . ولسيبويه فيه تمثيل والذي ذكرتُ لك أبْيَنُ منه وهو مُترجِمٌ عما قال غيرُ مُناقِضٍ له وان كان الاول منفياً جاز البدل والنصب ، والبدل أحسن لأن الفعل الظاهر

Marfat.com

أولى بأن يعمل من المختزَلِ الموجود، بدليلٍ وذلك قولك ما أتاني أحدالازيدٌ وما مررت بأحد الا زيدٍ ، والفصل بين المنفي والموجب أن المبدل من الشيء يفرَّغُ له الفعلُ ، فأنت في المنفي اذا قلت : ما جاءني أحدٌ الا زيـــدٌ ، اذا حذفتَ على جهة البدل صار التقدير ما جاءني الا زيدٌ ، لانه بـــدل من أحد . والموجَبُ لا يكون فيه البدل ، لانك اذا قلت : جاءني اخوتك الا زيداً لم يجز حذف الاول ، ولا تقول جاءني الا زيد وان شئت ان تقول في النفي، ما جاءني أحد الا زيداً جاز ونصبه بالاستثناء الذي شرحتُ لك في الواجب . والقراءةُ الجيدةُ ما فعلوه الا قليلٌ منهم ، وقد قرىء الا قليلاً منهم على ما شرحتُ لك في الواجب. والقراءةُ الاولى ، فاذا قدّمتَ المستثنى بطل البدل لانه ليس قبله شيء يُبدَلُ منه فلم يكن فيه الا وجهُ الاستثناء ، فتقول ما جـاءني الا أباك أحَدٌ ، وما مررت الا أباك بأحدٍ وكذلك تنشَدُ هذه الاشعارُ . قال كعبُ ابن مالك الانصاريُّ لرسول الله ﷺ :

الناسُ ألبٌ علينا فيكَ ليس لنا الا السُّيوفَ وأطرافَ القَنا وزَرُ

وقال الكُمَيْتُ بن زيد .

فما لِيَ الا آلَ أحمَدَ شيعةٌ ومالي الا مَشعَبَ الحق مَشْعَبُ

لا يكون الا هذا. وليونس قول مرغوب عنه ، فلذلك لم نذكره . وقوله : فقال لي : استَقدِمْ أمامك مُخبِرٌ عن الميت بالقول ، فان العرب وأهل الحِكمة من العجم تجعل كلَّ دليل قولاً ، فمن ذلك قول زُهَيرٍ : أمِن أُمِّ أوْفى دِمنةٌ لم تَكلَّمِ . وانما كلامها عنده أن تُبَيِّن بما يُرى من الآثار فيها من قدم أهلهـا وحِدْثانِ عَهْدهم. ويُرْوى عن بعض الحكماء أنه قال: هَلاّ وقفتَ على المعاهِد والجِنانِ . فقلتَ أيتها الجِنانُ مَن شقّ أنهارَكِ وغرَسَ أشجـارَكِ وجنى ثمارَكِ فانها ان لم تجبْكَ حواراً اجابتك اعتباراً . وأهل النظر يقولون في قول الله عز وجل قالتا : آتينا طائعين، لم يكن كلام انما فَعَلَ عز وجل مـا أراد فوُجِدَ . قال الراجز :

Marfat.com

قد خَنَقَ الحوضُ وقال قطني مَلأً رُويداً قد مَلأتُ بطني

ولم يكن كلام انما وجد ذلك فيه ، وكذلك قوله :

فقال لي استَقدِم أمامَكَ انما فكاكُكَ ان تلقى الفرزدق بالمصر

أي قد جَرَّبَ مثلُ هذا منك في المستجير بقبره . وحدثني العباس بن الفَرجِ الرياشيُّ في اسناد قد ذَهَبَ عني أكثره قال : نزل النُعمان بن المُنذِر ومعه عَديُّ بن زيد في ظل شجرة مُونِقةٍ ليَلهُوَ النُعمان هناك . فقال له عديُّ بن زيد : أيها الملك ، أبَيْتَ اللعْنَ ، أتدري ما تقول هذه الشجرة ؟ قال : وما الذي تقول ؟ قال تقول :

(مَنْ رآنا فليُحَدِّثْ نفسهُ أنه مُوفٍ على قرْنِ زَوال

وصُروفُ الدهْرِ لا يَبقى لها ولِما نأتي به صُمُّ الجبال)

رُبَّ رَكْبٍ قد أناخوا حولنا يَمْزُجون الخمر بالماءِ الزُلال

(والاباريقُ عليها فُدُمٌ وجيادُ الخيل تَرْدي في الجِلال

عَمِروا الدَهْرَ بعَيْشٍ حَسَنٍ قَطَعوا دَهْرَهُمُ غيرَ عِجال)

ثم أضْحَوْا عَصَفَ الدَهْرُ بهم وكذاكَ الدهْرُ حالاً بعد حال

قال : فتَغَصَّ النعمانُ ، وهذا في الامثال كثير وفي الاشعار السائرة . وأما قوله حُكمُكَ مُسَمَّطاً ، فاعرابه أنه أراد لك حُكمُكَ مُسَمَّطاً واستُعمِلَ هذا فكثر حتى حُذِفَ استخفافاً لعلم السامع بما يريد القائل ، كقولك الهلالُ واللهِ ، أي هذا الهلال ، وأغنى عن قوله هذا القصدُ والاشارة وكان يقال لِرُؤبةَ كيف أصبحت ؟ فيقول خَيرٍ عافاكَ الله فلم يُضمِرْ حرف الخفض ولكنه حَذَفَ بكثرة الاستعمال ، والمُسَمَّطُ المرسل غير المردود ، والكَوْماءُ العظيمة السَنام .

٣٥ - باب

قال أبو العباس : قال الليثي (هو الجاحظ) : أعتق سعيدُ بن العاصي أبا رافع الا سَهْماً واحداً فيه من أسْهُمٍ لمْ يَسْم عَدَدُها لنا ، فاشترى رسول

Marfat.com

الله ﷺ ذلك السهم فأعتقه ، وكان لابي رافع بَنونَ أشرافٌ منهم عبدالله بن أبي رافع وحديثه أثبتُ الحديث عن عليّ بن أبي طالب وكان كالكاتب له ، وكان عبيد الله بن ابي رافع شريفاً،وكان عبيد الله يُنْتَسَبُ الى ولاءِ رسول الله ﷺ ، فلما وَلِيَ عمرو بن سعيد الأشدَقُ المدينةَ لم يَعْمَلْ شيئاً قبل ارساله الى عبيد الله بن ابي رافع . فقال له مَوْلى : مَن أنتَ ؟ فقال مولى رسول الله ﷺ فأبرزه فضربه مائة سوط ثم قال له مَوْلى : مَن أنتَ ؟ فقال : مولى رسول الله ﷺ ، فضربه مائة أخرى ، فلما رأى عبدالله أخاه غير راجع وأن عمراً قد ألحّ عليه في ضربه ،قام الى عمرو فقال له: اذكرِ المِلْحَ فأمسك عنه ، والمِلْحُ ههنا اللَبنُ يريد الرَضاع كما قال أبو الطَمَحان القَيْسيُّ :

واني لارجو مِلْحَها في بطونكمْ وما بَسَطَتْ من جلد أشْمَطَ أغبرا

(كذا وقعت الرواية والصواب أغْبَرِ لان قبله :

ولو عَلِمَتْ صرفَ البُيوع لَسَرَّها بمكة أن تَبْتاع حَمْضاً بإذخِرِ

قاله ش) وكما قال الآخر :

لا يُبْعِدِ اللهُ رَبُّ العبا دِ والمِلحُ ما وَلَدَتْ خالدَهْ

ويروى ان عبيد الله بن ابي رافع أتى الحسنَ بن علي بن أبي طالب فقال : أنا مولاك . فقال في ذلك مَوْلىً لتَمّام بن عباس بن عبد المُطّلِبِ يَعْذُلُهُ ويُعَيِّرُهُ :

جَحَدْتَ بني العبّاس حَقَّ أبيهمُ فما كنتَ في الدعْوَى كريم العواقِبِ
مَتى كانَ أولادُ البناتِ كوارثٍ يَحوزُ ويُدْعى والداً في المناسِبِ

يريد أن بني العباس أولى بولاءِ مَوْلى رسول الله ﷺ لان العم مدعوٌ والداً في في كتاب الله تعالى وهو يحوز الميراث . وقال رجل من الثَقَفِيّينَ أنشَدتُ مَرْوانَ بن أبي حفصة هذين البيتين فوقع عندي أنه من هذا أخَذَ قوله :

Marfat.com

أنّى يكونُ وليس ذاك بكائنٍ لِبَني البناتِ وِراثةُ الأعمام
ألغى سِهامَهُمُ الكتابُ فما لَهُم أن يَشْرَعوا فيه بغير سِهام

وقال طاهرُ بن عليّ بن سليمان بن عليّ بن عبدالله بن العباس للطالبيّين :

لو كان جَدُّكُمُ هناكَ وجدُّنا فتنازعا فيها لوقت خِصامِ
كان التُراثُ لِجدِّنا من دونه فَحَواهُ بالقُرْبى وبالاسلام
حقُّ البناتِ فَريضةٌ معروفةٌ والعمُّ أولى من بني الأعمام

وذكر الزُبَيْريُّون عن ابن الماجِشونِ قال : جاءني رجل من ولد أبي رافع فقال : اني قد قاوَلْتُ رجلاً من مَوالي بعضِ العرب فقلت : أنا خيرٌ منكَ . فقال : بل أنا خير منكَ ، فما الذي يجب لي عليه ؟ فقلت : ليس في هذا شيء . فقال : أنا مَوْلى رسول الله ﷺ ويزعم انه خير مني قال . قلت : قد يتصرف هذا على غير الحَسَبِ . قال : فلما رآني لا أقضي له بشيء قال لي : أنت دافع مَغْرَماً . لان ولائي عنده ليس في موضعِ مَرْضيّ . قال : وصَدَقَ في بني تَيْمٍ لتَيْمٍ مَنْ هو أشرفُ ولاءً مني. وحدثت ان أسامة بن زيد قاوَلَ عمرو ابن عثمان في أمر ضَيْعةٍ يدّعيها كلٌّ واحد منهما فَلَجَتْ بهما الخصومةُ . فقال عمرو : يا أسامة أتأنَفُ ان تكون مولاي فقال اسامة : يَسُرُّني بولائي من رسول الله ﷺ نَسَبُكَ ثم ارتفعا الى مُعاويةَ فَلَجّا بين يديه في الخصومة فتقدم سعيدُ بن العاصي الى جانب عمرو فجعل يُلَقِّنُهُ الحجةَ ، فتقدم الحسن الى جانب اسامةَ يلقنه فوثَبَ عُتْبةُ بن أبي سفيان فصار مع عمرو ووثَبَ الحسين فصار مع اسامة ، فقام عبدُ الرحمن بن أمّ الحكم فجلس مع عمرو ، فقام عبدالله بن العباس فجلس مع اسامة ، فقام الوليد بن عُقبةَ فجلس مع عمرو فقام عبدالله بن جعفر فجلس مع أسامةَ ، فقال معاويةُ : الجَلِبَةُ عندي حَضَرْتُ رسول الله ﷺ وقد أقطَعَ هذه الضيعةَ أسامةَ . فانصرف

Marfat.com

الهاشميون وقد قضِيَ لهم ، فقال الأمَويُّون لمعاوية . هلاَّ إذ كانت هذه القضيّة عندك بدأتَ بها قبل التَحَزُّبِ ، أو أخرتَها عن هذا المجلس. فتكلم بكلام يدفعه بعض الناس ، وكان الذي اعتَمَدَّ به الحجّاج بن يوسف على سعيد بن جُبَيْرٍ ، لما أُتِيَ به اليه بعد انقضاء امر ابن الأشْعَثِ ، وكان سعيد عبداً لرجل من بني أسدِ ابن خُزَيْمَةَ ، فاشتراه سعيدُ بن العاصي في مائة عبدٍ فأعتقهم جميعاً ، فقال له الحجّاج : يا شقيُّ بن كُسَيْرٍ أما قدِمْتَ الكوفةَ وليس يَؤُمُّ بها الأعرَبيُّ فجعلتك إماماً . قال : بلى . قال : أفما ولّيْتُكَ القضاءَ فضَجَّ أهلُ الكوفة وقالوا لا يصلح القضاءُ إلا لعربيّ . فاستقضيتُ أبا بُرْدةَ بن أبي موسى الاشعريّ وأمرته أن لا يقطع أمراً دونك . قال : بلى قال : أوَما جعلتك في جُمّاري وكلُّهم من رؤوس العرب ؟ قال : بلى . قال : أوَما أعطيتك مائة الف درهم لتفرّقَها في أهل الحاجة ، ثم لم أسألك عن شيء منها ؟ قال : بَلى . قال : فما أخْرَجَكَ عليَّ؟قال: بَيْعةٌ كانت لابن الأشْعثِ في عُنُقي . فغَضِبَ الحجّاجُ ثم قال:أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عُنُقِكَ قبل؟والله لأقتلنّكَ ، يا حرَسِيُّ اضْرِبْ عنقه . ونظر الحجاجُ فإذا جُلُّ مَنْ خرج مع عبد الرحمن من الفقهاء وغيرهم من الموالي ، فأحب أن يُزيلَهم عن موضع الفصاحة والآداب ، ويخْلِطَهُمْ بأهل القرى والأنْباطِ فقال : إنما الموالي عُلوجٌ ، وإنما أُتِيَ بهم من القُرى ، فقُراهمْ أولى بهم . فأمر بتسييرهم من الأمصار وإقْرارِ العرب بها ، وأمر بأن يُنْقَشَ على يد كل إنسان منهم اسمُ قريتهِ . وطالت ولايتُهُ فتَوالدَ القوم هناك ، فخَبُثَتْ لُغاتُ أولادهم ، وفسُدَتْ طبائعهم. فلما قام سليمان بن عبد الملك أخرجَ من كان في سجن الحجّاج من المظلومين. فيقال أنه أخرج في يوم واحد ثمانين الفاً ، ورَدَّ المنقوشين فرجعوا في صورة الأنباط. ففي ذلك يقول الراجز:

حاريةٌ لم تَدْرِ ما سَوْقُ الإبِلْ أخرجها الحجّاجُ من كِنٍّ وظِلْ
لو كان بَدْرٌ حاضراً وابن حَمَلْ ما نُقِشَتْ كفّاكِ في جلدٍ جَلَلْ

وقال شاعر لأهل الكوفة لما استُقْضِيَ عليها نوحُ بن دَرّاجٍ (ينسب للفرزدق) :

Marfat.com

يا أيها الناسُ قد قامتْ قيامتكمْ إذْ صار قاضيَكمْ نوحُ بن درّاجِ
لو كان حيّاً له الحجّاجُ ما سلمَتْ كفّاهُ ناجيةً من نقْشِ حجّاج

ويروى عن حسّان المعروف بالنَبَطِيّ صاحب مَنارة حَسّان في البَطيحه قال : أُريتُ الحجّاجَ فيما يُرى النائمُ ، فقلتُ : أصلح الله الأمير ما صنع الله بكَ ؟ فقال : يا نبطيُّ أهذا عليك ؟ قال : فرأيتُنا لا نُفلِتُ من نَقْشِهِ في الحياة ، ومن شتمِهِ بعد الوفاة. ويروى عن حسّان انه قصّ هذه الرؤيا على محمد ابن سيرين فقال له ابن سيرين : لقد رأيت الحجاج بالصحة . قال ابو العباس : وحدّثتُ من ناحية الزُبَيرِ بْنَ أن الجَحّافَ بن حَكيم دخل على عبد الملك والأخْطَلُ عنده ، فلما بَصُرَ به الأخطلُ قال :

ألا أبْلِغِ الجَحّافَ هل هو ثائرٌ بقَتْلى أصيبَتْ من سُلَيْمٍ وعامِرِ

فقال الجحّافُ :

بَلى سوفَ نَبْكيهمْ بكلِّ مُهَنَّدٍ وَنَبْكي عُمَيْراً بالرماحِ الخواطِرِ

ثم قال : يا ابن النصرانية ، ما ظننتُك تجترىءُ عليّ بمثل هذا ، ولو كنتُ مأسوراً لك. فحُمَّ الأخْطَلُ خوفاً. فقال له عبد الملك : أنا جارُكَ منه. فقال: يا أمير المؤمنين هَبْكَ أجَرْتَني منه في اليَقَظةِ ، فمن يُجيرُني منه في النوم؟ومن هذا أو نحوه أخذ السُلَمِيُّ قولهُ (قال أبو الحسن: هو أشْجَعُ السُلَمِيُّ يقوله للرشيد) :

وعلى عَدُوِّكَ يا ابن عَمِّ محمدٍ رَصَدانِ ضَوْءُ الصُبْحِ والإظلامُ
فإذا تَنَبَّه رُعْتَهُ وإذا هَدا سَلَّتْ عليه سيوفَكَ الأحْلامُ

وكان العُدَيْلُ بن الفَرْخِ العِجْلِيُّ هارباً من الحجّاج، فجعل لا يحُلُّ ببلدةٍ إلا رِيعَ لأثرٍ يَراهُ من آثار الحجّاج ،فيَهْرُبَ حتى أبعد ففي ذلك يقول العُدَيْلُ :

يُخَشُّونني الحجّاجَ حتى كأنما يُحَرِّكُ عظمٌ في الفؤاد مَهيضُ
ودون يد الحجّاج من أنْ تنالني بَساطٌ لأيدي اليَعْمَلاتِ عَريضُ

فلم يَنْشَبْ أن أُتيَ به الحجّاج ، ففي ذلك يقول العُدَيْلُ :

Marfat.com

فلو كنتُ في سَلْمَى أجا وشِعابِها لكان لحجّاجٍ عليّ دليلُ
بَنى قُبّةَ الإسلام حتى كأنما أتى الناسَ من بعد الضلال رسولُ

أجاوٌ وسَلْمى جبلا طَيّىء ، وأجاً مهموزاً وإنما هو أجا مقصور فاعلم،قال زيدُ الخيلِ :

جَلَبْنا الخيلَ من أجإٍ وسَلْمى تَخُبُّ نَزائِعاً خَبَبَ الذئابِ

والشاعر اذا احتاج إلى قلب الهمزة قلبها . ان كانت الهمزة مكسورة جعلها ياء ، أو ساكنة جعلها على حركة ما قبلها،وإن كانت مفتوحة وقبلها فتحة جعلها الفاً ، وان كانت مفتوحة وقبلها كسرة جعلها ياء ، وان كان قبلها ضمةٌ جعلها واواً . قال الفرزدق :

رامتْ بمَسْلَمَةَ البغالُ عَشِيّةً فارْعى فَزارةُ لا هَناكِ المرْتَعُ

وقال حسّانُ بن ثابت :

سألَتْ هذيلُ رسولَ اللهِ فاحشةً ضَلّتْ هُذَيْلٌ بماسالتْ ولم تُصِبِ

وقال عبد الرحمن بن حسّان :

وكنتَ أذَلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ يُشَجّجُ رأسَهُ بالفِهْرِ واجي *

وأما قول الفرزدق فإنه يقول: لما عُزِلَ مَسْلمةُ بن عبد الملكِ عن العِراق بعد قَتْلِهِ يزيدَ بن المُهلّب لحاجة الخليفة إلى قُربِهِ ووَلِيَ عمرُ بن هُبَيْرةَ فقال :

راحتْ بمَسْلَمةَ البِغالُ عشيةً فارْعى فَزارةُ لاهَناكِ المرْتَعُ
ولقد علمتُ اذا فزارةُ أمّرتْ انسوفتَطْمَعُ في الأمارةأشْجَعُ
فأرى الأمور تَنَكّرَتْ أعلامُها حتى أُميّةُ عن فزارَةَ تُنْزِعُ
عُزِلَ ابنُ عمرو وابنِ بِشْرٍ قبلَهُ وأخو هَراةَ لِمِثْلِها يَتَوَقّعُ

(تُنْزِعُ رواية عاصم، فمن روى تُنزَعُ بضم التاء يعني تُعْزَلُ ومن روى بفتح التاء وكسر الراي فهو من النَزْعِ في القَوْس وهو الرمي يشير إلى أنها محتاجة الى رأيها وأنها ترمي عن قوسها) . ففي جواب هذا يقول الأسَدِيُّ لما وَلِيَ

* بقاع:في منخفض من الأرض.يشجج:يدق. الفهر: الحجر. واجي:من وجأ بمعنى شق وكلمة

Marfat.com

خالدُ بن عبدالله القَسْريُّ :

بَكتِ المنابرُ من فزارةَ شَجْوَها فالآن من قَسْرٍ تَضِجُّ وتَخْشَعُ
وملوكُ خِنْدِفَ أسلمونا للعِدى لله دَرُّ مُلوكنا ما تَصْنَعُ
(كانوا كتاركةٍ بَنيها جانباً سَفَهاً وغيرَهُمُ تصونُ وتُرْضِعُ)

وأما قول حسّان : سالتُ هذيلٌ رسولَ الله فاحشة ، فليس من لغته سِلْتُ أسألُ مثل خِفْتُ أخافُ وهما يتساولان ، هذا من لغة غيره . وكانت هذيل سألتْ رسولَ الله ﷺ أن يُحِلَّ لها الزنا . ويروى أن أَسَدِيّاً وهُذَلِيّاً تفاخرا فرضيا برجل فقال : اني ما اقضي بينكما إلا أن تجعلا لي عَقْداً وثيقاً أن لا تَضْرباني ولا تَشْتِماني ، فاني لستُ في بلاد قومي. ففعلا، فقال يا أخا بني أسد كيف تُفاخر العربَ ، وأنت تعلم أنه ليس حيٌّ أحَبَّ الى الجيش، ولا أبغضَ الى الضيف، ولا أقل تحت الرايات منكم وأما أنتَ يا أخا هُذَيْلٍ فكيف تكلمُ الناس وفيكم خِلالٌ ثلاثٌ . كان منكم دليلُ الحبشة على الكَعْبةِ ، ومنكم خَوْلةُ ذاتُ النِحْيَيْنِ ، وسألتم رسول الله ﷺ ان يُحِلَّ لكم الزنا ولكن اذا أردتما بَيْنَيْ مُضَرَ فعليكما بهذين الحَيَّيْنِ من تميم وقَيْسٍ قوما في غير حفظ الله ، وأما بيتُ عبد الرحمن بن حسان ، فانه يقوله لعبد الرحمن بن الحَكَمِ بن أبي العاصي وكان يُهاجيه ، فقال له في كِلمَتِهِ :

وأمـــا قولُكَ الخُلَفاءُ منا فهم مَنَعوا وِرِيدَكَ من وِراج
ولولاهُمْ لكنْتَ كحُوتِ بحرٍ هَوى في مُظْلِمِ الغَمَرات داجي
وكنتَ أذلَّ من وَتِدٍ بقاعٍ يُشَجُّجُ رأسَه بالفِهْرِ واجي

وكان أحدَ من هرب من الحجاج سَوّارُ بن المُضَرِّبِ (بفتح الراء) ففي ذلك يقول :

أقاتِلِيَ الحجّاجُ إن لم أزُرْ له دَرابَ وأتركْ عند هندٍ فُؤادِيا
فان كان لا يرضيك حتى تَرُدَّني الى قَطَرِيٍّ ما إخالُكَ راضيا

Marfat.com

إذا جاوَزَتْ درْبَ الْجيزين ناقتي فباسْتِ أبي الحجّاج لما ثَنانِيا
أَيَرْجو بنو مَرْوانَ سمعي وطاعتي وَقَوْمي تميمٌ والفلاةُ ورائيا

(فاعل يرضيك مضمر أو مَنْويّ تقديره ، فان كان لا يرْضيك الإرْضاءُ ، ولا يجوز أن يكون ما بعد يرْضيك الفاعلَ ، لأن سيبويه رحمه الله قال الفاعلُ لا يكون جملة. وحتى تَرُدّني جملةٌ ،قاله ابن الأبْرَشِ) . ووراءي ها هنا بمعنى أمامي . قال الله عزّ وجل : وإني خِفْتُ الموَالِيَ من ورائي وقال جلّ ثناؤه: وكان وراءَهُمْ مَلِكٌ يأخُذُ كلّ سفينةٍ غَصْباً. وممن هرب من الحجاج محمد بن هبد الله بن نُمَيْر الثَقَفِيُّ ،وكان يُشَبِّبُ بزينب بنت يوسف أختِ الحجّاج ، وهو القائل فيها :

تَضَوّعَ مِسْكاً بطنُ نعْمانَ أنْ مشَتْ به زينبٌ في نِسْوةٍ عَطِراتِ
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التُقى ويخْرُجْنَ شطْرَ الليل مُعْتَجِراتِ

في كلمةٍ له ، فلما أُتِيَ به الحجاج قال :

هاكَ يدي ضاقَتْ بي الارْضُ رَحْبَها وان كنتُ قد طوّفْتُ كلّ مَكان
فلو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بأسومِها لَخِلْتُكَ الا أن تَصُدّ تَراني

(من رفع رَحْبها فعلى البدل ، ومن نصب فعلى الظرف ، قاله ش .وأسومها بفتح الهمزة وبالضمّ ،والفتح أحسن ش) .ثم قال: والله أيها الامير إنْ قلتُ الا خيراً إنما قلتُ .

يُخَبِّئْنَ أطراف البنان من التقى ويخرجن شطر الليل معتجرات

فعفا عنه . ثم قال له : أخبرني عن قولك :

ولما أتى رَكْبَ النُمَيْري أعْرَضَتْ وكُنّ من أنْ يلقَيْنَهُ حَذِراتِ

ما كنتم ؟ قال : كنتُ على حمار مزبلٍ ومعي صاحبٌ لي على أتانٍ مثْلِهِ . ومن هرب منه مالك بن الرَيْبِ المازنيُّ ،أحدُ بني مازِنِ بن مالك بن عمرو بن تميم . وفي ذلك يقول :

إنْ تَنْصِفونا يالَ مَرْوانَ نقْتَرِبْ اليكم وإلا فأذَنُوا بِبِعادِ

Marfat.com

فإنّ لنا عنكم مَزاحاً ومَرْحَلا بعيسٍ الى ريح الفلاةِ صوادي
ففي الأرض عن دار المذلّةِ مَذْهبٌ وكلُّ بلادٍ أُوطِنَتْ كبلادي

(كذا وقعت الرواية بضم الهمزة وكسر الطاء ، والاصح أَوْطَنَتْ بفتح الهمزة وفتح الطاء ، قاله س) .

فماذا تُرى الحجّاجَ يَبْلُغُ جُهْدُهُ إذا نحنُ جاوزنا حَفِيرَ زيادِ
فلولا بَنو مَرْوان كان ابن يوسفٍ كما كان عبداً من عبيدِ إيادِ
زمانَ هو العَبْدُ المُقِرُّ بذِلّةٍ يُراوِحُ صِبْيانَ القُرى ويُفادي

قال ذلك لان الحجاج كان هو وأخوه مُعَلِّمَيْن بالطائف، وكان لقبه كُلَيْباً. وفي ذلك يقول القائل :

أيَنْسى كُلَيْبٌ زمان الهُزال وتَعْليمَهُ سورة الكَوْثَرِ
رغيفٌ له فَلْكةٌ ما تُرى وآخرُ كالقَمَرِ الأزْهَرِ

يقول : خُبْزُ المعلّمين يأتي مختلفاً ، لانه من بيوت صبيان مختلفي الاحوال وأنشد ابو عثمان عمرو بن بَحْرٍ الجاحظ:

أما رأيتَ بني بحرٍ وقد حَفَلوا كأنّهم خُبْزُ بَقّال وكُتّابِ
هذا طويلٌ وهذا حَنْبَلٌ جَحِرٌ يمشون خَلْفَ عُمَيرٍ صاحبِ البابِ

وفي لقبه يقول آخر من اهل الطائف :

كُلَيْبٌ تَمَكَّنَ في أرضكم وقد كان فينا صغيرَ الخطرْ

ولما دخل الحجاجُ مكة اعتذر الى أهلها، لقلة ما وصلهم به. فقال قائل منهم: إذاً والله لا نَعْذِرَكَ وأنت أمير العِراقَيْنِ ، وابنُ عظيم القَرْيَتَيْن . وذلك أن عُرْوَة بن مسعود وَلَدهُ من قبل أُمّهِ . وتأويل قول الله عزّ وجل وقالوا : لوْلا نُزِّلَ هذا القرآنُ على رجل من القريتين عَظيمٍ مجازُهُ في العربية على رجل من رجلين من القريتين عظيم . والقريتان مكةُ والطائفُ . والرجلان عُرْوَةُ ابن مسعود ، والآخر الوَليد بن المُغيرةِ بن عبدالله بن عمر بن مخزومٍ . ويروى ان أبا بكر الصديق رحمه الله ، مرّ بقبره ومعه خالد فقال : أصْبَحَ جَمْرةً في

Marfat.com

النار فأجابه خالد في ذلك بجواب غير مَرْضيٍ . وأما عُروةُ بن مسعود فان رسول الله ﷺ بعثه الى الطائف يدعوهم الى الإسلام ، فرَقِيَ سَطحَهُ ، فرماه رجل بسهم فقتله فلما وَجّه رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب رحمه الله الى مكة ، أبْطأ عليه فقال : رُدُّوا عليَّ أبي أما لئن فعلتُ به قريش ما فعلتْ ثقيفٌ بعروة بن مسعود ، لاضْرِمَنّها عليهم ناراً. يقال: رَقيتُ السطحَ وما كان مثلَهُ أرقاه ، مثل : خَشيتُهُ أخشاه . كما قال الله تبارك وتعالى : أو تَرْقى في السماء . ويقال : رَقيْتُ اللدَيغَ أرْقيه. مثل: رميته أرميه. ويقال: ما رَقأتْ عينه من الدمع مهموزٌ تَرْقأ يا فتى، مثل : قرَأتَ تقْرأ يا فتى. وكان الحجاجُ رأى في منامه أن عَيْنَيْهِ قُلِعَتا،فطلّقَ الهِنْدَينِ هِنداً بنت المهلّبِ وهنداً بنت أسماء بن خارجة . فلم يَلْبَثْ انْ جاءهُ نعيُ أخيه من اليمن في اليوم الذي مات فيه ابنه محمد . فقال: هذا والله تأويل رؤياي. ثم قال: إنّا لله وإنا اليه راجعون ، مُحمّدٌ ومُحمّدٌ في يوم واحد :

حَسْبي بَقاءُ اللهِ من كل مَيّتٍ وحَسْبي رجاءُ اللهِ من كل هالِكِ
إذا كان ربُّ العَرْش عَنّي راضياً فإنّ شفاء النفس فيما هنالكِ

(ويروى فان سرور النفس). وقال : منْ يقولُ شعراً يُسَلّيني به ؟ فقال الفرزدق

ان الرَزِيّةَ لا رَزِيّةَ مثلُها فُقْدانُ مثلِ محمدٍ ومحمدِ
مَلِكانِ قد خَلَتِ المنابرُ منهما أخذَ الحِمامُ عليهما بالمَرْصَدِ

فقال : لو زدتني . فقال الفرزدق :

إني لباكٍ على ابْنَيْ يوسفٍ جَزَعاً ومثلُ فقْدِهما للدّين يُبْكيني
ما سَدَّ حَيٌّ ولا مَيْتٌ مسَدَّهما إلا الخلائفَ من بعد النبيّينِ

فقال له : ما صنعتَ شيئاً إنما زدْتَ في حُزْني . فقال الفرزدق :

لئِنْ جَزِعَ الحجّاجُ ما نِ مصيبةٍ تكون لمحزونٍ أجَلّ وأوْجعا

Marfat.com

من المُصْطَفى والمُصْطفى من خيارهم جناحَيْهِ لما فارقاه فودّعا
أخٌ كان أغنى أيمَنَ الارضِ كلُّهُ وأغنى ابْنُهُ أهلَ العِراقَيْنِ أجمعا
جَناحا عُقابٍ فارَقاهُ كِلاهُما ولو نُزِعا عن غيره لتَضَعْضَعا

فقال: الآن . أما قوله إلا الخلائفَ من بعد النبيئين ، فخفض هذه النون، وهي نون الجمع . وإنما فعل ذلك لانه جعل الإعْرابَ فيها لا فيما قبلها . وجعل هذا الجمع كسائر الجمع نحو : أفلُسٍ ومَساجِدَ وكِلابٍ . فإن إعراب هذا كإعراب الواحد، وإنما جاز ذلك لان الجمع يكون على أبْنِيةٍ شتّى، وإنما يُلْحَقُ منه بمنْهاجِ التثنية ما كان على حَدّ التثنية لا يُكَسَّرُ الواحدُ عن بنائه، وإلا فلا ، فإن الجمع كالواحد لاختلاف معانيه ، كما تختلف معاني الواحد ، والتثنية ليستْ كذلك لانها ضَرْبٌ واحدٌ ولا يكون اثنان أكثرَ من اثنين عدداً ، كما يكون الجمعُ أكثرَ من الجمع ، فما جاء على هذا المذهب قولهم : هذه سنينٌ فاعْلَمْ وهذه عشرينٌ فاعلم . قال العَدْوانيُّ :

إني أبيٌّ أبيٌّ ذو مُحافظَةٍ وابنُ أبيٍّ أبيٍّ من أبيّينِ
وأنتمُ مَعْشَرٌ زَيْدٌ على مائة فأجمعوا كَيْدَكُمْ طُرًّا فكيدوني

وقال سُحَيْمُ بن وَثيلٍ :

وماذا يَدْري الشُعَراءُ مني وقد جاوَزْتُ حَدّ الاربعينِ
أخو خَمْسينَ مُجْتَمِعٌ أشُدّي ونَجْذَني مُداوَرَةُ الشؤونِ

وفي كتاب الله عزّ وجل ولا طَعامٌ إلا من غِسْلين ، فان قال قائل: فان غِسْلِيناً واحدٌ ، فانه كل ما كان على بناء الجمع من الواحد ، فاعرابه كإعراب الجمع ، الا ترى انّ عشْرينَ ليس لها واحد من لفظها ، واعرابها كاعراب مُسْلمينَ ، واحدهم مُسْلِمٌ . وكذلك جميع الإعراب. وتقول هذه فِلَسْطونَ يا فتى ، ورأيت فِلَسْطينَ يا فتى ، هذا القول الاجود . وكذلك: يَبْرينَ ، وفي الرفع يَبْرونَ يا فتى وكل ما أشبه هذا فهو بمنزلته، تقول: قِنَسْرونَ ورأيت قِنَسْرينَ ، والاجود في هذا البيت هو للأعشى) :

Marfat.com

وشاهِدُنا الجَلْدُ واليـاسَمو نَ والمُسْمِعاتُ بقُسّابها

(الجُلْدُ والوَرْدُ والقصاب الأوتار ، وقيل الزُمّارُ) . وفي القرآن : مـا يُصَدّقُ ذلك قولُ الله عز وجلّ : كلاّ إنّ كتاب الأبرارِ لفي علّيّينَ وما أدراك ما علّيّونَ ، فمن قال هذه قِنّسْرونَ ويَبْرونَ ، فَنَسَبَ إلى واحدة منهما رجلاً أو شيئاً. قال: هذا رجل قِنّسْرِيٌ ويَبْرِيٌ ، يحذف النون والواو لمجيء حرفي النسب ، ولو أثبتهما لكان في الاسم رفعان ونصبان وجرّان ، لأن الياء مرفوعة والواو علامة الرفع. ومن قال هذه قِنّسْرِينُ كما ترى ، قال في النسب : قِنّسْرِينيٌ لأن الإعْراب في حرف النسب ، وانكسرتْ النون كما ينكسر كلُّ ما لحقه النسب. وأما قوله : ونَجْذني مداورَةُ الشؤونِ ، فمعناه فهّمَني وعَرّفني ، كما يقال : حَنّكَتْه التجاربُ . والناجذُ آخرُ الأضراس ، ومن ذلك قولهم : ضحك حتى بدتْ نواجذه . والشؤون جمع شأنٍ ، مهموزٌ وهو الأمر وقال المفسرون من أهل الفقه واهل اللغة في قول الله تبارك وتعالى ولا طعامٌ إلا من غِسْلينٍ ، هو غُسالةُ أهلِ النار. وقال النحويون : هو فِعْلينٌ من الغُسالة. ويروى أن عمر بن عبد العزيز خرج يوماً ، فقال : الوليدُ بالشام ، والحجّاجُ بالعراق ، وقُرّةُ بن شريكٍ بمصر ، وعثمان بن حيّانَ بالحجاز ، ومحمد بن يوسف باليمن امتلأتِ الأرضُ والله جَوْراً . وكتب الحجّاج إلى الوليد بن عبد الملك ، بعد وفاة محمد بن يوسف : أخْبِرُ أمير المؤمنين أكرمه الله ، أنه أُصيبَ لمحمد بن يوسف خمسون ومائةُ الفِ دينارٍ ، فإن يكن أصابها من حِلّها فرحمه الله ، وإنْ تكن من خيانةٍ فلا رحمه الله . فكتَبَ اليه الوليدُ : أما بعد ، فقد قرأ أميرُ المؤمنين كتابَكَ فيما خَلّفَ محمدُ بن يوسف ، وإنما أصابَ ذلك المالَ من تجارةٍ أحْلَلْناها له ، فترَحّمْ عليه رحمه الله ويروى أن يَزيدَ بن معاوية قال لمعاوية في يومٍ بُويعَ له على عَهْدِه ، فجعل الناس يمدحونه ويُقَرّظونَه : يا أمير المؤمنين ، واللهِ ما تَدْري أنَخْدَعُ الناسَ أم يخدعوننا؟ فقال له معاوية : كلُّ من أردتَ خديعته فتَخادَعَ لكَ حتى تبلُغَ منه حاجتَكَ فقد خدَعْتَه . ويروى أن الحجّاج كتب إلى عبد الملك بن مَرْوانَ : وبلغني أن أمير المؤمنين عَطَسَ عَطْسةً فشَمّتَه قوم فقال : يغفر الله لنا ولكم ، فيا ليتني كنت معهم

Marfat.com

فأفوزَ فوْزاً عظيماً . وزعم الأصمعي قال : خرج الوليد يوماً على النـاس وهو مُشْعانُ الرأسِ فقال : مات الحجّاجُ بن يوسف وقُرّةُ بن شَريك ، وجعَـلَ يتَفَجّعُ عليهما. قوله : مشعانُ الرأس يعني منتفخ الشعرِ متفرقهُ (الرواية منتفخ والصحيح منتفش قاله ابن سِراجٍ) . ومثلُ هذا لا يكون في شعر لأن في هذا التقاءَ ساكنين،ولا يقع مثل هذا فيوزن الشعر إلا فيما تقدم ذِكْرُهُ في المتقاربِ وليس ذا على ذلك الوزن. وحُدّثْتُ أن عمر بن عبد العزيز رحمه الله وَجّهَ عبد الله بن عبد الأعْلى ومعه رجل من عَنْسٍ الى اليُونَ . فقال العَنْسيُّ فخَلا بي عمر دونه وقال لي : احفظ كلَّ ما يكون منه . فلما صِرْنا اليه صِرنا الى رجل عرَبيّ اللسان إنما نشأ بمَرْعَشَ ، فذهب عبدُ الله ليتكلم فقلتُ : على رِسْلِكَ. فحَمِدْتُ الله وصليتُ على نبيه ﷺ ثم قلتُ : إني وُجّهْتُ بالذي وُجّهَ بـه هذا، وإن أمير المؤمنين يدعوك إلى الإسلام،فإن تقبلْه تُصِبْ رُشْدَكَ، وإني لأحْسِبُ أن الكتـاب قد سَبَقَ عليك بالشقاء، إلا أن يشاء اللهُ غيرَ ذلك،فإن قبلتَ وإلا فاكتبْ جوابَ كتابنا . قال : ثم تكلم عبدالله فحمد الله وصلى على نبيه ﷺ وذهب في القول ، وكان مُفَوّهاً . فقال له اليونُ : يا عبدالله ما تقولُ في المسيح . فقال . روحُ اللهِ وكِلمَتُهُ . فقال : أيكون ولَدٌ من غير فحْلٍ . فقال عبد الله : في هذا نظَرٌ . فقال : أيُّ نظَرٍ في هذا، إمّا نعَمْ وإما لا ؟ فقال عبد الله : آدم خلقه الله من تراب.فقال : ان هذا أخْرجَ من رَحِمٍ .قال: في هذا نظر قال له اليونُ بالرومية : اني أعلم أنك لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلك.قال:وأنا أفهم بالرومية ثم قال : أتعظّمونَ يوماً غير يوم الجمعة؟ فقال : نعم . فقال : وما ذلك اليوم ؟ أمن أعيادكم هو ؟ فقال : لا . قال : فلم تُعظّمونه ؟ قال : عيدٌ لقوم كانوا صالحين قبل أن يصير اليكم . قال : فقال له اليونُ بالرومية:قد علمتُ أنكَ لستَ على ديني ولا على دين الذي أرسلكَ. فقال له عبدالله : أتدري ما يقول أهل السَفهِ . قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون قال إبليس : أمِرْتُ أن لا أسْجُدَ إلا لله ، ثم قيلَ لي اسْجُدْ لآدم . قال : فقال له بالرومية : الأمر فيك أبْيَنُ من ذلك. قال : ثم كتَبَ جواب كتُبِنا.

Marfat.com

قال : فرجعنا الى عمر بها . قال : فخبّرناهُ بما أردنا ، ثم نهضنا فردّني اليه من باب الدار فخلا بي فأخبرته ، فقال : لعنه الله لقد كانت نفسي تأباه ولم أحسبه يجترىء على مثل هذا . قال: فلما خرجتُ قال لي عبدُالله: ما الذي قال لكَ؟ قال : قلتُ : قال لي :أنطمَعُ فيه ؟ قلتُ: لا. ولما وجّهَ عبدُ الملك الشَعْبيّ الى صاحب الروم فكلّمه ، قال له صاحب الروم ، بعد انقضاء ما بينهما : أمنْ أهلِ بيتِ المملكةِ أنتَ ؟ قال قلتُ لا ولكني رجلٌ من العرب. قال: فكتب معي رُقْعةً وقال لي: إذا أدّيت جواب ما جئتَ لهفأدّهذه الرقعة إلىصاحبك. قال : فلما رجعت إلى عبد الملك فأعطيته جواب كتابه وخبّرتُهُ بما دارَ بيننا نهَضْتُ ثم ذكرت الرقعةَ ، فرجعت فدفعتها اليه. فلما ولّيْتُ دعاني فقال لي: أتدْري ما في هذه الرقعة ؟ قلتُ : لا. قال فيها العجَبُ لقومٍ فيهم مثلُ هذا كيفَ ولّوْا أمورهم غيرَهُ؟ قال : فلما وَلّيتُ دعاني فقال لي:أفتدري ما أراد بهذا ؟ قلتُ : لا . قال : حسَدَني عليك فأراد أن أقتلك . قال : فقلتُ : إنما كثُرْتُ عنده يا أمير المؤمنين لأنه لم يَرَك. قال: فرجع الكلام إلى مَلِكِ الروم فقال : لله أبوه ما عدا ما في نفسي . وحُدّثتُ أن معاوية كان إذا أتاه عن بِطْريقٍ من بَطارقةِ الروم كيْدٌ للاسلام احتال له فأهْدى اليه وكاتبه حتى يُغْريَ به ملكَ الروم . فكانت رُسُلُهُ تأتيه فتخبره بأن هناك بِطْريقاً يؤذي الرُسُلَ ، ويَطْعَنُ عليهم ، ويسيء عِشْرَتَهُمْ. فقال معاوية : أيُّ ما في عمل الاسلام أحبُّ اليه ؟ فقيل له : الخِفافُ الحمر ودُهْنُ البانِ فالْطَفَهُ بهما حتى عَرَفَتْ رسُلُه باعتيادِهِ ، ثم كتبَ كتاباً اليه كأنه جوابُ كتابهِ منه يُعْلِمُهُ فيه أنه وَثِقَ بما وعده به من نصره وخِذْلان ملك الروم ، وأمرَ الرسولَ بأن يَتَعرّضَ لأنْ يُظْهَرَ على الكتاب . فلما ذهبتْ رسله في أوقاتها ، ثم رجعتْ اليه قال:ما حَدثَ هناك؟ قالوا: فلانٌ البِطريقُ رأيناه مقتولاً مصلوباً فقال: وأنا أبو عبد الرحمن وحُدّثتُ أن ملكالروم في ذلك الأوانِ وَجّهَ الىمعاوية ان الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويَجْهَدُ بعضهم في ان يُغْرِبَ على بعض أفتأذن في ذلك ، فأذِنَ له فوَجّه اليه برجلين أحدهما طويلٌ جَسيمٌ والآخر

Marfat.com

أيّدٌ . فقال معاوية لعمر : وأما الطويل فقد أصبنا كُفْأَهُ ، وهو قَيْسُ بن سعد بن عُبادةَ ، وأما الآخر الآيّدُ فقد احتجنا إلى رأيك فيه . فقال : ههنا رجلان كلاهما اليك بَغيضٌ محمدُ بن الحَنَفِيّةِ وعبدُ الله بن الزُّبَيْرِ فقال معاوية : منْ هو أقربُ الينا على حال ؟ فلما دخل الرجلانِ وَجّهَ الى قيس بن سعد بن عُبادةَ يَعْلَمُهُ فدخل قيسٌ ، فلما مَثَلَ بين يدي معاوية نَزَعَ سراويلَهُ فرمى بها إلى العِلْجِ فلبسها تَنْدُوَتَهُ (الثندوةُ ما اسودَّ حول الحلمةِ) فأطرقَ مغلوباً. فحُدِّثتُ ان قيساً لِيمَ في ذلك ، فقيل له : لِمَ تَبَذَّلْتَ هذا التَبَذُّلَ بحضرة معاوية ؟ هلاَّ وَجّهتَ إلى غيرها . فقال :

أردتُ لكيما يَعْلَمَ الناسُ أنها ... سراويلُ قَيْسٍ والوُفودُ شُهودُ
وان لا يقولوا غابَ قيسٌ وهذه ... سَراويلُ عادِيٍّ نَمَتْهُ ثَمودُ
وإني من القوم اليَمانينَ سَيِّدٌ ... وما النـــاسُ إلا سيدٌ ومَسودُ
وبَذَّ جميعَ الخَلْقِ أصلي ومَنْصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجالَ مَديدُ

وكان قيس سِناطاً . فكانت الأنصارُ تقول : لوَدِدْنا أنا اشترينا له لِحْيَةً بانصاف أموالنا . وسنذكر خبره بعد انقضاء الخبر ان شاء الله (السِناطُ والسَنوطُ أن يكون في الذَقَنِ شيء من الشعر ولا يكون في العارِضَيْنِ شيء فان لم يكن فيهما جميعاً شيء فهو الشَطَطُ) . ثم وَجّهَ الى محمد بن الحنيفةَ فدخل فخُبِّرَ بما دُعِيَ له فقال : قولوا له ان شاء فليجلس وليُعطِني يده حتى أقيمَهُ أو يُقْعِدَني وان شاء فليكن القائمَ وأنا القاعدَ . فاختار الرومي الجلوسَ فأقامه محمدٌ وعجز هو عن إقعاده ، ثم اختار ان يكون محمدٌ هو القاعدَ فجذبه فأقعده وعجز الرومي عن إقامته ، فانصرفا مغلوبين . وحدثني أحد الهاشميين أن مَلِكَ الروم وَجّهَ الى معاوية بقارورة فقال : ابْعَثْ إليّ فيها من كل شيء فبَعَثَ الى ابن عباس فقال امْتَلِئْ له ماءً . فلما وُرِدَ بها على ملك الروم قال : لله أبوه ما أدهاه . فقيل لابن عباس : كيف اخترت ذلك ؟ فقال : لقول الله عزّ وجل : وجعلنا من الماء كلَّ شيءٍ حَيٍّ وقيل لرجل من بني هاشم ، وهو جعفر بن محمد بن عليّ

Marfat.com

ابن الحسين ، وكان يُقَدَّمُ في معرفته : ما طَعْمُ الماءِ ؟ فقال : طَعمُ الحياةِ .
وأما عبدالله بن الزُّبَيرِ فذكر أهلهُ أنه قال : عالَجْتُ لحْيَتي لتَتَّصِلَ لي إلى أن بلغتُ ستين سنة فلما أكمَلْتُها يَئِسْتُ منها . وكان قيس بن سعد شجاعاً جواداً سيداً ، وجاءته عجوز قد كانت تألفهُ فقال لها : كيفَ حالكِ ؟ فقالت : ما في بيتي جِرَذٌ . فقال : ما أحسن ما سألتِ ، أما واللهِ لأكثِرَنَّ جِرْذان بيتكِ . وكان سعدُ بن عُبادةَ حين تَوَجَّهَ الى حَوْرانَ قسَمَ ماله بين وَلَدِهِ ، وكان له حَمْلٌ لم يَشْعُرْ به ، فلما وُلِدَ له قال له عمر بن الخطاب يعني قيساً: لأنْقُضَنَّ ما فعلَ سعدٌ .فجاءه قيسٌ فقال: يا أمير المؤمنين نصيبي لهذا المولود، ولا تَنْقُضْ ما فعل سعد. قال أبو العباس: حُدِّثتُ بهذا الحديث من حيث أثِقُ به، ان أبا بكر وعمر رحمهما الله مَشَيا الى قيس بن سعد يسألانه في أمر هذا المولود فقال : نصيبي له ولا أُغَيِّرُ ما فعل سعدٌ . وكان معاوية كتب الى قيس بن سعد وهو والي مِصْر ، لعليّ بن أبي طالب رحمه الله : فانكَ يَهوديّ ابن يهودي ان غَلَبَ أَحَبُّ الفريقين اليكَ عَرَكَكَ واسْتَبْدَلَ بكَ ، وان غَلَبَ أبغضُهما اليكَ قتلكَ ومَثَّلَ بكَ،وقد كان أبوكَ فَرَّقَ سَهْمَهُ ورَمى غَرَضَهُ ، فأكثرَ الحزَّ وأخطأ المفْصِلَ حتى خذَلَهُ قومُهُ ، وأدركه يومُهُ فمات عربياً بحَوْران والسلام . فكتب اليه قيس : أما بعد ، فانكَ وُثِنَ ابن وُثِنَ لم يَقْدُمْ إيمانك ، ولم يَحْدُثْ نِفاقُكَ دخلتَ في الدين كُرْهاً وخرجت منه طوعاً، وقد كان أبي فوّقَ سهمَهُ ورمى غرَضَهُ فسَمَيْتَ عليه أنت وأبوك وتَظَراؤُكَ ،فلم تَشقُّوا غُباره ولم تُدْرِكوا شأوه،ونحن انصار الدين الذي خرجتَ منه، وأعداءُ الدين الذي خرجتَ اليه ، والسلام. وكانقيس موصوفاً مع جماعة قد بَذُّوا الناس طولاً وجمالاً، منهم : العباس بن عبد المطلب رحمه الله وولدُهُ،وجريرُ بن عبدالله البَجَلِيُّ ، والأشْعَثُ بن قيس الكِنْدِيُّ ، وحاتمُ بن حاتم الطائي ، وابن جِذْلِ الطعّانُ الكِنانيُّ ،وأبو زُبَيْدٍ الطائي ، وزيدُ الخَيْلِ بن مُهَلْهَلِ الطائيُّ . وكانأحد هؤلاء يُقابَلُ المرأةَ على الهَوْدَجِ . وكان يقال للرجل منهم مُقابَلُ الظُّعُنِ . وكانطلحةُ بنعبيدالله موصوفاً بالتمام

Marfat.com

٣٦ - باب

قال أبو العباس : قال السُلَيْكُ ابن السُلَكَةِ ، وهي أمه ، وكانت سَوْداءَ حَبَشِيَّةً ، وكان من غِرْبان العرب . وهو السُلَيْكُ بن عُمَيْرٍ السَعْدِيُّ :

ألا عَتَبَتْ عليّ فصارَ مَتْني ... وأعجبها ذَوو اللِمَمِ الطِوالِ
فاني يا ابنةَ الأقوامِ أرْبى ... على فِعْلِ الوَضِيِّ من الرجال
فلا تَصِلي بصُعْلوكٍ نَؤومٍ ... اذا أمْسى يُعَدُّ من العيال
ولكن كلُّ صُعْلوكٍ ضَروبٍ ... بنَصْلِ السيفِ هاماتِ الرجال

(كل خبر ابتداء والتقدير كَمِثْلِ)

أشابَ الرأسَ أني كلَّ يومٍ ... أرى لي خالةً وسْطَ الرحالِ
يَشُقُّ عليَّ أن يَلْقَيْنَ ضيماً ... ويَعْجِزُ عن تخَلُّصِهِنَّ مالي

قوله : وأعجبها ذوو اللِمَمِ الطِوالِ يعني الجُمَمَ ، وان شئت قلتَ الجِمامَ . يقال : جُمَّةٌ وجُمَمٌ ، كقولك : ظُلْمَةٌ وظُلَمٌ . كقولك جُفْرَةٌ وجِفارٌ (الجُفْرَةُ هي الحفرة العظيمة) . وبُرْمَةٌ وبِرامٌ . قال الشاعر :

إمّا تَرَيْ لِمَّتي أودى الزمانُ بها ... وشَيَّبَ الدهرُ أصداغي وأفوادي

وقوله : على فِعْلِ الوَضِيِّ من الرجال ، يريد الجميل . وهو فعيل من وَضُؤَ يَوْضُؤُ يا فتى ، تقديره كرُمَ يَكْرُمُ وهو كريم ، ومصدره الوَضاءُ ، وكذلك : قَبُحَ يَقْبُحُ قَباحةً ، وسَمُجَ يَسْمُجُ سَماجةً . ويقال : ما كنتَ وَضيئاً ولقد وُضُؤْتَ بعدَنا . وقوله : فلا تَصِلي بصعلوك ، يقول : لا تَتَّصلي به كما قال ابن أحمر :

ولا تَصِلي بمَطْروقٍ اذا ما ... سَرى في القوم أصْبَحَ مُسْتَكينا
اذا شَرِبَ المِرِضَّةَ قال أوْكِي ... على ما في سِقائكِ قد رَوِينا

(اذا صُبَّ لبن حليبٌ على حامض فهي المِرِضَّةُ) والصعلوك الذي لا مال له . قال الشاعر (جابر بن ثَعْلَبةَ الطائي) :

Marfat.com

كأنّ الفتى لم يَعْرَ يوماً اذا اكتَسى ولم يَكُ صُعلوكاً اذا ما تَمَوّلا

وقوله : نَؤُومٍ يصفه بالبلادة والكسل . وكانت العرب تمدح بخفة الرؤوس عن النوم ، وتَذُمُّ النُّوَمَةَ . كما قال عبد الملك لمؤدّبِ ولده: عَلِّمْهُمُ العَوْمَ، وخُذْهُم بقلة النوم وإنما تَوَجّعَ لخالاته لأنهنّ كنّ اماءً . ويروى عن رجل من قريش لم يُسَمّ لنا ، قال : كنتُ أجالِسُ سعيد بن المُسَيّبِ فقال لي يوماً: منْ أخوالُكَ ؟ فقلتُ أمي فَتاةٌ . فكأني نقَصْتُ في عينه ، فأمْهَلْتُ حتى دخل عليه سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلما خرج من عنده قلتُ : يا عَمّ منْ هذا ؟ فقال : يا سُبْحانَ الله ! أتجهل مثل هذا من قومك ؟ هذا سالم بن عبدالله بن عمر قلت : فمَنْ أمُّهُ ؟ قال : فتاةٌ . قال : ثم أتاه القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدّيق رحمه الله ،فجلس عنده ثم نهض فقلت. ياعمّ منْ هذا ؟ فقال : أتجهل من أهلك مثلَهُ؟ ما أعجب هذا ! هذا القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصدّيق . قلت : فمن أمُّهُ ؟ قال : فتاةٌ . فأمْهَلْتُ شيئاحتى جاءه علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فسلم عليه ثم نهض فقلت: يا عمّ منْ هذا ؟ قال : هذا الذي لا يَسَعُ مُسلماً ان يجهله ، هذا عليّ بن الحسين ابن عليّ بن أبي طالب . قلتُ : فمن أمه ؟ قال: فتاةٌ . قال : قلتُ : يا عمّ رأيتُني نَقَصْتُ في عينك لما علمتَ اني لأمّ وَلَدٍ ، أفما لي في هؤلاءِ اسْوةٌ . قال : فجَلَلْتُ في عينه جداً . وكانت أمُّ عليّ بن الحسين سُلافةُ من ولد يَزْدَجِرْدَ معروفةَ النَسَبِ ، وكانت من خيراتِ النساء . ويروى أنه قيل لعلي بن الحسين رحمه الله. انك من أبَرّ الناس ولستَ تأكل مع أمك في صَحفةٍ. فقال أكره أن تسْبِقَ يدي الى ما قد سبقتْ اليه عينُها فأكون قد عَقَقْتُها . وكان يقال له : ابن الخِيَرَتَيْنِ (بتحريك الياء أفصح) لقول رسول الله ﷺ: هُ من عباده خَيرتانِ فخِيَرَتُهُ من العرب قُرَيْشٌ ،ومن العجم فارس. وكانت سُلافةُ عَمّةَ أمّ يزيد الناقصِ او أختَها . وقال رجل من ولد الحَكَمِ بن أبي العاصي يقال له : عُبَيْدُ الله بن الحُرّ ، وكان شاعراً متقدّماً ، وكان لأمّ وَلَدٍ وهو من وَلَدِ مَرْوانَ بن الحَكَمِ :

Marfat.com

فانْ تَكُ امّي من نساءٍ آفاءَها جيادُ القَنا والمُرْهفاتِ الصفائح
فتبّاً لفَضْلِ الحُرّ انْ لم أنَلْ به كرائمَ أولادِ النساءِ الصرائح

وانما أخذ هذا من قول عَنْترَةَ :

وأنا امْرُؤٌ من خير عَبْسٍ مَنْصِباً شَطْري وأحمي سائري بالمنصُلِ

(شطري مبتدأ والخبر في المجرور قبله). وأنْشِدَ لبِلالِ بن جرير، وبلغه ان موسى بن جرير كان اذا ذكره نسبه الى امّهِ ، لأنه ابنُ امّ ولدٍ فيقول : قال ابنُ امّ حكيم : فقال بلال :

يا رُبَّ خالٍ لي أغَرّ أبْلَجا من آلِ كِسْرى يَفْتَدي مُتَوّجا
ليس كخالٍ لكَ يُدْعى عَشْنَجا

والعَشْنَجُ المتَقبّضُ الوجه السَيّئُ المنْظَرِ وكان سببُ ام بلال عند جرير أن جريراً في اول دخوله العِراقَ دخل على الحكم بن ايوب بن ابي عقيلٍ الثَقَفِيّ، وهو ابن عمّ الحجّاج وعامِلُهُ على البصرة ، وفي ذلك يقول جَريرٌ :

أقْبَلْنَ من تَهْلانَ او وادي خَيَمْ على قِلاصٍ مثلِ خيطانِ السَلَمْ
اذا قَطَعْنَ عَلَماً بدا عَلَمْ حتى أنَخْناها الى باب الحَكَمْ
خَليفةِ الحجّاجِ غيرِ المُتَّهَمْ فيضِنْضِيءِ المجْدِ وبُحْبوحِ الكرَمْ

فكتب الحكم بعد ان فاطَنَهُ الى الحجّاج ، وذلك في اول سببه ، انه قدِمَ عليّ اعرابيٌ باقِعةٌ لم أرَ مثله (يريد داهية والباقعة طائر حَذِرٌ) فكتب اليه الحجّاج ان يحمله معه ، فلما دخل عليه قال له : بلغني انك ذو بديهةٍ ، فقُلْ في هذه الجارية قافيةٍ على رأسه . فقال جرير : ما لي ان اقول فيها حتى أتأملها، وما لي ان اتأمل جاريةَ الأمير فقال : بلى فتأمّلْها واسْئَلْها. فقال لها ما اسمُكِ يا جارية ؟ فامْسَكتْ. فقال لها الحجّاج : خَبّريهِ يا لَخْناءُ. فقالت : امامةُ . فقال جرير :

وَدّعْ امامةَ حان منكَ رحيلُ ان الوَداعَ لمن يُحِبُّ قليلُ
مثلَ الكَئيبِ تَمايَلَتْ اعْطافُهُ فالريحُ تَجْبُرُ مَتْنَهُ وتَهيلُ

Marfat.com

هذي القلوبُ صواديا تَيَمَّتِها وأرى الشِفاءَ وما اليه سبيلُ

فقال له الحجاج : قد جعل الله لكَ السَبيلَ اليها خُذْها هي لك ، فضرب بيده الى يدها فتَمَنَّعَتْ عليه ، فقال

ان كان طِبُّكمُ الدَلالُ فانه حَسَنٌ دَلالُكِ يا أُمامَ جَميلُ

(ش بنصب الطب ورفع الدلال وبالعكس برفع الطب ونصب الدلال والطب هنا المذهب والدلال الدالّة) فاستَضْحَكَ الحجاجُ وأمَرَ بتجهيزها معه الى اليمامة وخُبِّرتُ انها كانتْ من أهل الرَيّ ، وكان اخوتها أحراراً ، فاتَّبعوه فأعْطَوْهُ بها حتى بلغوا عشرين ألفاً ، فلم يَفعَلْ . ففي ذلك يقول :

أذا عَرَضُوا عشرينَ ألفاً تَعَرَّضَتْ لِأُمِّ حَكيمٍ حاجةٌ هيَ ماهيا

لقد زِدْتِ أهلَ الرّيِّ عندي مَوَدّةً وحَبَّبْتِ أضْعافاً الِيَّ الموالِيا

فأولدها حَكيماً وبِلالاً وحَمْزَةَ بني جريرٍ هؤلاء مَن أذْكُرُ من وَلَدِها . ويقال ان الحِمّانيَّ قاوَلَ بلالا ذات يوم فيما كان بينهما من الشر . فقال : يا ابن أمّ حكيم . فقال له بلالٌ : ما تَذْكُرُ من ابنة دِهْقانٍ وأخيذةِ رِماحٍ وعَطيّةِ مَلِكٍ ليستْ كأمّكَ التي بالمَرْوتِ تَفْدو على أثرِ ضأنها ، كأنما عَقِباها حافرا حمارٍ فقال له الحِمّانيُّ أنا أعلم بأمّكَ ، انما عَتَبَ عليها الحجاجُ في أمرِ اللهُ أعلم به فحلف ان يدفعها الى ألأم العرب ،فلما رأى أباكَ لم يَشْكُكْ فيه . قال : وأنْشدتُ لرجل من رُجّازِ بني سَعد :

أنا ابن سَعْدٍ وتَوسَّطْتُ العَجَم فأنا فيما شئتَ من خالٍ وعَمّ

وقال عمر بن الخطاب رحمه الله ليس قومٌ أكيَسُ من أولاد السراريّ لانهم يجمعون عِزّ العرب ودَهاءَ العجم . وكتبَ أميرُ المؤمنين المنصورُ الى محمد بن عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب رحمهم الله لما كتب اليه محمد : واعلم اني لستُ من أولاد الطُلَقاءِ ، ولا أولادِ اللُعناءِ ، ولا أعْرَقَتْ فيّ ، الإماءُ ، ولا حَضَنَتْني أمّهاتُ الاولاد ، ولقد علمتَ ان هاشماً وَلَدَ عليّا مرتين وان عبد المُطّلِبِ وَلَدَ الحسن مرتين . وان رسول الله ﷺ وَلَدَني مرتين من قِبَلِ جَدّيّ الحسنِ والحسين يعني ان أمّ عليّ فاطمةُ بنت أسد بن

Marfat.com

هاشم ، وأم الحسن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ابن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم ، وان أمه فاطمةُ بنت الحسين بن عليّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، فكتب اليه المنصور: اما ما ذكرتَ من ولادةِ هاشمٍ عليّـا مرتين ، وولادةِ عبد المطلب الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأوّلينَ والآخرين رسولُ الله ﷺ لم يَلِدْهُ هاشم الا مرة واحدة ولا عبدُ المطلب الا مرة واحدة ، وله السَبْقُ الى كل خير ،ولقدعلمتَ انه بُعِثَ رسول الله ﷺ وعُمومَتُهُ أربعةٌ فآمن به اثنان أحدهما أبي وكفر به اثنان أحدهما أبوك . وأما ما ذكرت انه لم تُعْرِقْ فيك الإماءُ ، فقد فَخَرْتَ على بني هاشم طُرّاً أولهم ابراهيم ابن رسول الله ﷺ ثم عليّ بن الحسين الذي لم يُوَلَدْ فيكم بعد وفاة رسول الله ﷺ مولودٌ مثلُهُ وهذه رسالة للمنصور طريفةٌ مستحسنة جِدّاً سَنُمليها في موضعها من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى . وأنشدني الرياشيُّ :

إنّ أولادَ السَراري كَثُروا يا رَبْ فينا
ربْ ادخلني بِـلاداً لا أرى فيها هَجينا

والهجينُ عند العرب الذي أبوهُ شريف وأمه وَضيعةٌ والاصل في ذلك ان تكون أمةً ، وانما قيل هجينٌ من أجل البياض ، وكأنهم قصدوا قَصْدَ الروم الصَقالبةِ ومَنْ أشبههم ، والدليل على أن الهَجينَ الأبيضُ ان العرب تقول ما يخفى ذلك على الاسود والاحمر أي العربيّ والعجميّ ويسمون الموالي وسائر العجم الحمْراء ، وقد ذكرنا ذلك . ولذلك قال زيدُ الخَيْلِ :

(وأسلم عِرْسَهُ لما رآنا) وأيْقَنَ انّنا صُهْبُ السبال

أي كهؤلاء العدوّ من العجم . وقال ابن الرُقَيّاتِ :

ان تَرَيْني تَغَيَّرَ اللونُ مني وعلا الشَيْبُ مَفْرِقي وقَذالي
فظِلالُ السيوف شَيَّبْنَ رأسي وطِعاني في الحرب صُهْبَ السِبال

فقيل هَجينٌ من ههنا واذا كانت الام كريمةً والأب خسيساً قيل له المُذَرَّعُ . قال الفرزدق :

Marfat.com

اذا باهليٌ تحته حَنظَليّة ٌ له ولد منها فذاك المُذَرّعُ

وقال الآخر :

ان المُذَرّعَ لا تغْني خُؤُولَتُهُ كالبغل يَعْجِزُ عن شَوْطِ المحاضير

(جمع محْضيرٍ وهو الفرس السريع) وانما سمي مُذَرّعاً للرَقَمَتَيْنِ في ذراع البغل وانما صارتا فيه من ناحية الحمار . قال هُدْبة :

وَرِثَتْ رَقاشِ اللؤْمَ عن آبائها كَتَوارُثِ الحمُراتِ رَقْم الأذرُع

وقال عبدالله بن العباس في كلام يُجيب به ابن الزُبَيْرِ . والله انه لمصلوب قريش ومتى كان عَوّامُ بن عَوّامٍ يطمع في صَفيّةَ بنت عبدالمطلب ، مَنْ أبوكَ يا بغل . فقال خالي الفَرَسُ .

٣٧ - باب

قال أبو العباس : قال اعرابي :

كُلُّ امْرىءٍ ذي لحية عَثْوَلِيّةٍ يقوم عليها ظَنّ ان له فَضْلا
وما الفضلُ في طول السِبال وعَرْضِها اذا اللهُ لم يَجْعَلْ لصاحبها عَقْلا

ويروى لحاملها عَثْولية يقول : كثيرة والمستعمل . يقال : رجل عِثْوَلٌ اذا كان كثير الشعر وأصل ذلك الرأس واللحية وبناه الاعرابي بناء جَدْوَلٍ كأنه عَثْوَلٌ ثم نَسَبَ اليه ، والسَبَلَةُ مُقَدّمُ اللحية . يقال : لما أسْبَلَ من الشاربين سَبَلَتان . وتقول العرب : أخذ فلان شَفرةً فَلَتَمَ بها سَبَلَةَ بعيره أي نحَرَهُ ، واللَتْمُ الشق ، فهذا ما أسْبَلَ من جِرانِهِ . وقال بعض المحْدَثين :

وما حُسْن الرجالِ لهم بحُسْنٍ اذا ما أخطأ الحُسْنَ البيانُ
كَفى بالمرْءِ عيباً أن تراه له وجهٌ وليس له لِسانُ

وقال آخر :

اني على تَزْدَري من دَمامتي اذا قيسَ ذَرْعي بالرجال طويلُ

Marfat.com

ونظر يَزيدُ بن مَزْيَدٍ الشَيْبانيُّ الى رجل ذي لحية عظيمة ،وقد تَلَفَّفَتْ على صدره فاذا هو خاضِبٌ ، فقال : انك من لحيتك في مؤنة . فقال : أجلْ ، ولذلك أقول :

لها دِرْهمٌ للدُهْنِ في كل جُمْعةٍ وآخَرُ للحِنّاءِ يَبْتَدِرانِ
ولولا نوالٌ من يَزيدَ بنِ مَزْيَدٍ لَصَوْتَ في حافاتها الحَلَمَاتِ

وقال اسحق بن خَلَفٍ يصف رجلاً بالقصر وطول اللحية :

مـا سَرَّني أنني في طول داوُدِ وأنني عَـلَمٌ في البَأسِ والجود
ماشَيْتُ داودَ فاسْتَضْحِكتُ من عَجَبٍ كـأنني والدٌ يمشي بمـولود
مـا طولُ داودَ الا طولُ لحيتِهِ يَظَلُّ داود فيهـا غيرَ مَوْجود
تَكْنُفُهُ خُصْلةٌ منها اذا نَفَخَتْ ريحُ الشِتاءِ وَجَفَّ المـاءُ في العُود
كالأُتْبُجانيِّ مَصْقولاً عَوارِضُها سَوْداءُ في لِينِ خَدِّ الغادةِ الرُود
أجْزَى وأغنى من الخَزِّ الصَفيقِ ومن بيضِ القَطائِفِ يوم القُرِّ والسودِ
إنْ هَبَّتِ الريحُ أدْنَتْهُ الى عَدَنٍ ان كان ما لفَّ منهـا غيرَ مَعْقود

(القُرُّ بالقاف يريد البَرْدَ ، ويروى بالغين يريد السحائب البيض وجعلها غُرّاً لبياضها) . وفي الحديث من سعادة المرء خِفَّةُ عارِضَيْهِ ، وليس هـذا بناقضٍ لما جاء في إعْفاءِ اللِحى وإحْفاءِ الشوارب . فقد روي أنهم قالوا : لا بأس بأخذ العارضين والتَبْطينِ ، وأما الإعْفاءُ فهو التكثير ،وهو من الاضداد. قال الله عز وجل : حتى عَفَوْا ، أي حتى كثُروا . ويقال : عَفَا وبرُ الناقةِ اذا كثر . قال الشاعر :

ولكنا نَعِضُّ السيفَ منها بأسْوُقِ عافيات اللحم كُومِ

والكُومُ العِظامُ الأسْنِمَةِ واحدتها كَوْماءُ ، ويقال : عَفا الرَبْعُ اذا دَرَس ومن ذلك

على آثار مَنْ ذَهَبَ العفاء . أي الدُروس . وقال مَسْلَمةُ بن عبد الملك: اني لأعْجَبُ من ثلاثة من رجل قَصَّرَ شعره ثم عاد فأطاله أو شَمَّرَ ثوبه ثم عاد

Marfat.com

فأسبله أو تمتّعَ بالسَراريّ ، ثم عاد الى المهيراتِ واحدة المهيرات مهيرةٌ ، وهي الحُرّةُ المهورة ومَفعولٌ يَخْرُجُ الى فَعيلٍ كمقتول وقتيل ومجروح وجريح . قال الأعشى :

ومَنكوحةٍ غيرِ مَمهورةٍ وأُخرى يُقالُ لها فادِها

(فادِها من فَدَيْتُ الاسير وهو يَصِفُ سَبْياً أُخِذَ فيه إماءٌ وحَرائر) فهذا المعروف في كلام العرب مَهَرْتُ المرأةَ فهي مهورةٌ . ويقال : وليس بالكثير أمْهَرْتُها فهي مُمْهَرةٌ . أنشدني المازِنيُّ :

أخِذْنَ اغتِصابا خطْبةً عَجرَفِيّةً وأمْهِرْنَ أرْماحا من الخطّ ذُبّلا

(عجرفية جافية خطبة مصدر معنى) ، وأهل الحجاز يَرَوْنَ النكاح العَقْدَ دون الفعْل ولا ينكرونه في الفعل ، ويحتجون بقول الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا اذا نَكَحْتُمُ المؤمنات ثم طَلّقْتموهُنّ من قبل أن تَمَسُّوهُنّ فما لكم عليهنّ من عِدّةٍ تَعْتَدُّونها ، فهذا الأشيَعُ في كلام العرب قال الأعشى :

وأمْتَعْتُ نفْسي من الغانيا تِ إمّا نِكاحاً واما أُزَنْ

ومن كل بَيْضاءَ رُعْبوبةٍ لها بَشَرٌ ناصِعٌ كاللَبَنْ

اقوله أُزَنْ أراد أُزَنّي ثم حذف الياء وخفف النون فقال أُزَنْ) ويكون النكاحُ الجماعُ وهو في الاصل كِنايةٌ . قال الراجز :

اذا زَنَيْتَ فأحِدْ نِكاحاً وأعمِل الغُدُوّ والرَواحا

والكناية تقع عن هذا الباب كثيراً ، والأصل ما ذكرنا لك . وقال رسول الله ﷺ : أنا من نِكاحٍ لا من سفاح . ومِن خُطَبِ المسلمين ان الله عز وجل ، أحَلّ النكاحَ وحَرّمَ السِفاحَ . والكناية تقع عن الجماع قال الله عز وجل : أحِلّ لكم ليْلةَ الصيام الرَفَثُ الى نسائكم ، فهذه كناية عن الجماع . قال أكثر الفقهاء في قوله تبارك وتعالى : أوْ لامَسْتُمُ النساءَ . قالوا : كناية عن الجماع ، وليس الأمر عندنا كذلك وما أصِفُ مذهبُ أهل المدينة قد فُرِغَ من النكاح تصريحاً ، وانما الملامسة أن يَلمِسَها الرجلُ بيد أو بإدْناء جسدٍ من جسدٍ ،

Marfat.com

فلذلك ينقض انوضوء في قول أهل المدينة لانه قال تبارك وتعالى : بعد ذكر الجُنُبِ أو لامَسْتُمُ النساءَ . وقوله عز وجل : كانا يأكُلانِ الطعامَ كنايةٌ بإجماعٍ عن قَضاء الحاجة لان كل مَن أكلَ الطعام في الدنيا أنجَى ، يقال : نَجَا وأنجَى اذا قام لحاجة الانسان ، وكذلك : وقالوا لِجُلودِهِمْ لم شَهِدْتم علينا كناية عن الفروج ،ومثله أو جاء أحدٌ منكم من الغائطِ ، فانما الغائطُ كالوادي . وقال عمرو بن مَعْدي كربَ :

وكمْ من غائطٍ من دون سَلْمَى قليلِ الإنسِ ليس به كتيع

يقال : وَهِمَ الرجلُ يَوْهَمُ اذا شك هو الاجود ويجوز يَيْهَمُ وبيهَمُ ويَاهَمُ لِمِلَلٍ ، وكذلك ما كان مِثْلَهُ نحو وجِلَ يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ ووَجِعَ يَوْجَعُ ، ويجوز في وَهِمَ أن تقول يَهِمُ ، فان المعتل من هذا يجيء على مثال حَسِبَ يَحْسِبُ مثل وَلِيَ الاميرُ يَلِي ، ووَرِمَ الجُرْحُ يَرِمُ فهذا جميع ما في هذا الباب . وقال رجل أحْسِبُهُ من بني تميم :

لا تَسألنْ الخيلَ يا سَعْدُ ما لَهَا وكُنْ أخْبرياتِ الخيلِ علكَ تجرَحُ
لعلك تحمي عن صِحابٍ بطَعْنةٍ لها عاندٌ يَنفي الحصا حين يَنْفَحُ
وأكرِم كريماً ان أتاك لحاجةٍ لعاقبةٍ ان العِضاهَ تَرَوَّحُ
(بذا فامْدَحيني وانْدُبيني فإنني فتىً تَعْتريه هِزَّةٌ حين يُمْدَحُ

اذا أدْبَرَ القَيْظُ وَبَرَدَ الليلُ تحرك للشجر وَرَقٌ رَطْبٌ ،فيقال أخْلَفَ الشجرُ وتَروَّحَ . قوله : لا تسألن الخيل يا سعد مالها ، يقول : لا تَتَخَلَّفْ عن القتال وتسأل عن أخبار القوم ، ولكن كُنْ فيهم ، كما قال مُهَلْهِلٌ :

ليس مِثلي يُخْبِرُ القَوْمَ عن آ بائِهِم قُتّلوا ويَنْسى القِتالا
لم أرِمْ حَوْمَةَ الكَتيبةِ حتى حُذِيَ الوَرْدُ من دِماءٍ نِعالا

يقول : كنتُ في حومه القتال وصَلِيتُ الحربَ أكثر مما صَلِيَها غيري . ويروى عن رجل من بني أسَدِ بن عبد العُزّى يقال له فلان (ش عبدالله) بن

Marfat.com

السائب انه زوج ابنته عمرو بن عثمان بن عفان ، فلما نصت عليه طلقها على المنصة ، فجاء أبوها الى عبدالله بن الزبير ، فقال : ان عمرو بن عثمان طلق ابنتي على المنصة وقد ظن الناس ان ذلك لماهة وأنت عمها فقم فادخل اليها . فقال عبدالله أو خيراً من ذلك جيئوني بالمصعب فخطب عبدالله فزوجها من المصعب وأقسم عليه ليدخلن بها في ليلته فلا تعرف امرأة نصت على رجلين في ليلتين ولا غيرها فأولدها المصعب عيسى وعكاشة فلما كان يوم هلك ومرب أكثر الناس عن المصعب، دخل الى سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب وكانت له شديدة المحبة، وكانت تخفي ذلك فلبس غلالة وتوشح عليها وانتضى السيف فلما رأت ذلك علمت انه عزم أن لا يرجع ، فصاحت من ورائه : واحرباه ، فالتفت اليها فقال : أو هذا لي في قلبك ؟ فقالت : اي والله وأكثر من هذا . فقال : أما لو علمت لكان لي ولك شأن ، ثم خرج فقال لابنه عيسى : يا بني انج الى نجائك فان القوم لا حاجة بهم الى غيري وستقتل بجيلة أو بقيا ، فقال : يا أبتاه لا أحدث والله عنك أبداً . فقال : أما والله لئن قلت ذلك لما زلت أتعرف الكرم في أسرارك وأنت تتقلب في مهدك ش الأسرار جمع سر وهي الطرائق في الجبهة) فقتل بين يدي أبيه . ففي ذلك يقول شاعر أهل الشام من اليمانية :

نحن قتلنا مصعبا وعيسى وابن الزبير البطل الرئيسا
عمداً أدركنا مضر التبنيسا

وقال رجل يعاتب رجلا :

فلو كان شهم النفس أو ذا حفيظة رأى مارأى في الموت عيسى بن مصعب

وقال بلال بن جرير يمدح عبدالله بن الزبير (يقال ان بلالا لم يلحق ابن الزبير الا ان يكون مدحه ميتاً) .

Marfat.com

مدّ الزُبَيْرُ عليك إذ يَبْني العُلا كَنَفَيْهِ حتى نالَتا العَيُّوقا

(ويروي كَنَفَيْهِ وهو أظهر لقوله حتى نالتا) .

ولو أنّ عبدَ الله فاخَرَ مَن تَرى فاتَ البَريّةَ عِزّةً وسُموقا
قومٌ اذا ما كان يومُ نُفورةٍ جَمَعَ الزُبَيْرَ عليك والصِدّيقا
لو شِئْتَ ما فاتوك اذ جارَيْتَهُمْ ولكنتَ بالسَبْقِ البُرَّ حَقيقا
لكن أتيْتَ مُصَلِّيا بَرّاً بهم ولقد تَرى وتَرى لديْكَ طَريقا

عاد الحديث الى تفسير الأبيات المتقدمة . قوله : لعلك تحمي عن صِحابٍ بطَعْنةٍ ، يقال حَمَيْتُ الناحية أحميها حَمْياً وحِمايةً ، كما قال الفَرزدَقُ :

واذا النفوسُ جَشَأْنَ طامَنَ جاشُها ثِقةً لها بحِمايةِ الأدْبارِ

ومعنى ذلك مَنَعْتُ ودفَعتُ ، ويقال أحمَيْتُ الارضَ أي جعلتها حِمىً لا تُقْرَبُ ، وأحمَيْتُ الحديدَ أُحميه إحماءً ، وحَمَيْتُ أنفي حَمِيّةً يا فتى اذا أنتَ أبَيْتَ الضَيْمَ . وصِحابٌ جمع صاحب ، وقد يقال هو جمع صَحْبٍ كما تقول : تاجرٌ وتَجْرٌ وراكب ورَكْبٌ ونحو ذلك ، ثم تجمع صَحْباً على صِحابٍ ، كقولك كلبٌ وكِلابٌ وفَرْخٌ وفِراخٌ ، فهذا مذهب حَسَنٌ . ومن قال هو جمع صاحب فنظيره قائم وقِيام وتاجر وتِجارٌ . وقوله: لهاعاند ينفي الحصا ،يعني الدَم ،يقال عَنَدَ العِرْقُ اذا خرج الدم منه بجِدّةٍ ، وينفي الحَصا يعني الدم بشدة جَرْيِهِ ، كما قال :

مُسَحْسِحةً تنفي الحَصا عن طَريقها يُقَطِّعُ أحْشاءَ الرَعيبِ انتِثارُها)

يعني طعنةً ، وقال آخر في صفة طعنة :

ومُسْتَنَةٍ كاسْتِنانِ الخَرو فِ قد قَطَعَ الحَبلَ بالمِرْوَدِ

والخروف ههنا انما هو الفَلُوُّ الصغير . وقوله :

وأكْرِمُ كريماً ان أتاك لحاجة لِعاقبةٍ ان العِضاهَ تَرَوَّحُ

Marfat.com

يقول الشجرُ يصيبه النَدى في آخر الصيف فَيَنْشَأُ له ورقٌ ، فيقول : لعلكَ تحتاج الى هذا الكريم وقد قَدَرَ . ومثله :

ولا تُهينَ الكريم عَلَّكَ أنْ تَرْكَعَ يوماً والدَهْرُ قد رَفَعَهْ

أراد ولا تُهينَنْ بالنون الخفيفة فحذفها لالتقاء الساكنين، وهذا الحكم فيها. ومثله في المعنى قول عَبّاد بن حَبيب بن المُهَلَّبِ :

اذا خَلَّةٌ نابتْ صديقَكَ فاغْتَنِمْ مَرَمَّتَها فالدهرُ بالناس قُلَّبُ
وبادِرْ بمعروف اذا كنتَ قادراً زَوالَ اقْتِدارٍ أوغنىً عنكَ يُعْقِبُ

(زوالَ مفعول لبادِرْ قاله ش ومثل هذا كثير ، وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله : اني لأسارع الى حاجة عدوّي خوفاً من أن أرْدَّهُ فيستغني عني . وقال رجل من العرب : ما رددت رجلاً عن حاجة فتَوَلّى عني الا رأيتُ الغنى في قفاه وقال عبدالله بن العباس بن عبد المطلب : ما رأيت أحداً أسْتَفْتَهُ في حاجة الا أضاء ما بيني وبينه ولا رأيتُ رجلاً رددته عن حاجة الا أظلم ما بيني وبينه . وقال عمر بن الخطاب رحمه الله : من يَئِسَ من شيء اسْتَغْنى عنه . وقال عبدالله بن هَمّامٍ السَلولي

فاخْلِفْ وأتْلِفْ إنما المالُ عارةٌ فكُلُّهُ مع الدهر الذي هو آكِلُهْ
فالمرءُ مفقودٍ وأيسرُ هالكٍ على الحيِّ مَنْ لا يَبْلُغُ الحيَّ نائِلُهْ

عارة أي معار ووزنه فَعَلَةٌ . وقال أحد المحدثين (هو محمود الورّاق)

وليس من هذا الباب ولكنا ذكرناه في الاعارة :

أعارَكَ مالَهُ لِتَقومَ فيه بطاعته وتَعْرِفَ فضلَ حِقّهْ
فلم تَشْكُرْهُ نِعْمَتَهُ ولكن قَوِيتَ على معاصيه برزْقِهْ
تجاهِرُهُ به عَوْداً وبَدْأً وتَسْتَخْفي بها من شر خَلْقِهْ

Marfat.com

وقال جرير :

واني لأستحيي أخي أنْ أرى له عليَّ من الحق الذي لا يَرى ليا

هذا بيت يحمله قوم على خلاف معناه ، وانما تأويله اني لاستحيي أخي أن يكون له عليَّ فضلٌ ولا يكون لي عليه فضلٌ ومني اليه مُكافأة فاستحيي أن أرى له عليَّ حقا لِما فَعَلَ اليَّ ولا أفعلَ اليه ما يكون لي به عليه حق ، وهذا من مذاهب الكرام وما تأخذ به أنفسها ، فأما قول عائذِ الكلب الزُبَيْري واسمه عبدالله بن مُصعب الزبيري وسمي عائذَ الكلبِ . بقوله :

مالي مَرِضْتُ فلم يَعُدْنِيَ عائذٌ منكم ويَمْرَضُ كلْبُكمْ فأعودُ
وأشدُّ من مَرَضي عليَّ صُدودُكمْ وصدودُ كلْبِكمْ عليَّ شديد)

لعبدالله بن حسن بن حسن :

له حقٌ وليس عليه حقٌ ومَهْما قال فالحسَنُ الجميلُ
وقد كان الرسولُ يَرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسولُ

فانه ذكره بقلة الانصاف ، فقال يَرى حقاً على الناس ولا يَرى لهم عليه حقاً من أجل نَسَبِهِ برسول الله ﷺ ، وبيّن ذلك بقوله :

وقد كان الرسول يرى حقوقاً عليه لغيره وهو الرسول

فالذي يَفْتَخِرُ به عبدالله يَرى للناس عليه حقاً فالمُفْتَخِرُ به أجْدَرُ ، وقد قيل لعلي بن الحسين ، وكان بَيِّنَ الفضل رحمه الله : ما بالُكَ اذا سافرتَ كنتَ تَستَبِكَ أهْلَ الرُفْقةِ ؟ فقال : أكره ان آخذ برسول الله ﷺ ما لا أعْطِيَ مثلَهُ . وانما يَعْتري هذا البابُ من الظُلْم وقلةِ الانصاف والبعدِ من الرِقّةِ عليهم الجهلةَ من أهل هذا النَسَبِ والله جلَّ ذِكْرُهُ يقول لنبيه ﷺ بالمؤمنين رَؤوفٌ رَحيمٌ . وقال تعالى : إني أخافُ إنْ عَصَيْتُ ربي عَذابَ يومٍ عَظيمٍ ، فاذا كان هو ﷺ يخافُ من المعصية فكيف يأمنها غيره به . وأما

Marfat.com

قول جرير لهشام بن عبد المَلِكِ فهو المدح الصحيح على خلاف هـــذا المعنى قال :

وأنتَ اذا نَظَرْتَ الى هِشامٍ عرفتَ نِجارَ مُنْتَخَبٍ كريمِ
وليُّ الحق حين يَؤُمُّ حَجّاً صُفوفاً بين زَمْزَمَ والحطيمِ
يَرى للمسلمين عليه حَقّـــاً كفعل الوالد الرَؤُفِ الرحيمِ
اذا بعضُ السنينَ تَعَرَّقَتْنا كَفى الأيتامَ فَقدَ أبي اليَتيمِ

وفي هذا الشعر :

أميرُ المؤمنين على صِراطٍ اذا اعْوَجَّ المَوارِدُ مستقيمِ
أميرَ المؤمنين جَمَعْتَ دِينـــاً وحِلْماً فاضِلاً لِذَوي الحُلوم
لَكَ المُتَخَيِّران أباً وخالاً فأكْرِمْ بالخُؤُولة والعُمـــوم
فيا ابنَ المُطْعِمينَ اذا شَتَوْنا ويا ابنَ الذائدين عن الحَريمِ
سَما بكَ خالدٌ وبنـــو هِشامٍ الى العَلْياءِ في الحَسَبِ الجسيم

(وهم أبو العباس في قوله وبنو هشام ، وانما وقع في شعره، وأبو هشام وهو الصحيح يريد اسمعيل بن هشام وهو جده من قِبَلِ أمّه) :

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيث تَلْقى شُؤُونُ الرأسِ مُجْتَمَعَ الصَميمِ
تواصَتْ من تَكَرُّمِها قُرَيْشٌ بِرِدِّ الخيلِ دامِيَةَ الكُلومِ
فمـــا الأم التي وَلَدَتْ قريشاً بِمُقْرِفَةِ النِجـارِ ولا عَقيمِ
وما فَحْلٌ بأنجَبَ من أبيـكم ولا خالٌ بأكْرَمَ من تَميـــمِ
سَما اولادُ بَرَّةَ بنتِ مُرٍّ الى العَلْياءِ في الحَسَبِ العظيم
لكَ الغُرُّ السَوابِقُ من قريش فقد عُرِفَ الأغَـــرُّ من البَهيم

قوله : حين يؤم حجاً، فيكون الحج جمع حاج، كما يقال تاجر وتَجْرٌ وراكب وركْبٌ . قال العجاج :

بواسِطِ أكْرَمُ دارٍ دارا والله سَمّى نَصْرَكَ الأنْصارا

فأخرجه على ناصر ونَصْرٍ . قال : ويجوز أن يكون حَجٌّ أصحاب حج

Marfat.com

كما قال الله عز وجل : واسأل القريةَ ، يريد أهلَها . وقوله كفعل الوالد الرؤف الرحيم ، يقال رَؤفٌ على فَعُلٍ مثل يَقُظٍ وحَذُرٍ ورَؤوفٌ على وزن ضَروبٍ . وقال الانصاريُّ (هو كعْبُ بن مالك) :

نُطيعُ نَبيَّنا ونُطيعُ رَبّاً هو الرحمنُ كان بنا رؤوفا

وقد قرىء: الله رؤوف بالعباد، ورؤف أكثر. وانما هو من الرأفة وهي أشد الرحمة ، ويقال رَآفةٌ وقرىء: ولا تأخُذْكمْ بهما رآفةٌ في دين الله ،على وزن الصَرامة والسفاهة . وقوله : اذا بعض السنين تعرفتنا يفسر على وجهين أحدهما ان يكون ذهب الى بعض السنين سِنونَ ، كما قال الأعْشى :

وتَشرَقُ بالقول الذي قد أذَعْتَهُ كما شَرِقَتْ صَدْرُ القناةِ من الدَمِ

لأن صَدْرَ القناة قَناةٌ ومن كلام العرب قد ذهبتْ بعض أصابعه ، لأن بعض الأصابع اصبعٌ فهذا قول، والأجود ان يكون الخبر في المعنى عن المضاف اليه فأقْحَمَ المضاف اليه توكيداً لأنه غير خارج من المعنى . وفي كتاب الله عز وجل : فَظَلَتْ أعناقُهم لها خاضعين، انما المعنى فَظَلوا لها خاضعين والخضوع بَيْنٌ في الأعناق فأخْبَرَ عنهم ، فأقْحَمَ الأعناقَ توكيداً ، وكان أبو زيد الانصاريُّ يقول : أعناقهم جماعاتهم ، تقول أتاني عُنُقٌ من الناس ، والأول قول عامة النحويين . وقال جرير :

لمّا أتَى خَبَرُ الزُبَيرِ تَواضعتْ سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ

وقال أيضاً

رأتْ مَرَّ السنينَ أخَذْنَ مني كما أخَذَ السِرارُ من الهِلالِ

وقال ذو الرُمّةِ :

مَشَيْنَ كما اهتَزَّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ أعالِيَها مَرُّ الرياحِ النَواسِمِ

(زعم بعضهم أن البيت مصنوع والصحيح فيه مَرْضى الرِياحِ النَواسِمِ والمَرْضى التي تهب بلين)، ومثل هذا كثير. وعلى مثل هذا القولِ الثاني تقول :

Marfat.com

يا تَيْمَ تَيْمَ عَدِيٍّ لأنك أردت يا تَيْمَ عَدِيٍّ وأقحمتَ الاول توكيداً (كذا وقع وأقحمت الأوّل توكيداً وانما الصحيح وأقحمت الثاني توكيداً) ، وكذلك لا أبالكَ لأن الألف لا تثبت في الاب في النصب الا في الاضافة أو بدلاً من التنوين ، فانما أراد لا أباك ثم أقحَمَ اللام توكيداً للاضافة . وأنشد المازني :

وقد مات شمّاخٌ ومات مُزرِّدٌ وأيُّ كريمٍ لا أباكِ يُخَلِّدُ

وقال آخر :

أبالموت الذي لا بُدَّ أني مُلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفيني

وقوله على صِراط ، فالصراط المِنْهاج الواضح ، وكذلك قالت العلماء في قول الله عز وجل : اهْدِنا الصِراطَ المستقيم . وقوله . سما بك خالد ، يريد خالد بن الوليد بن المُغيرة بن عبدالله بن عمر بن مَخزوم بن يَقَظةَ بن مُرّةَ بن كعبٍ ، لان أمّ هشام بنت هشام بن اسمعيل بن هشام بن المغيرة بن عبدالله ابن عمر بن مخزوم ، وكان هشام بن المغيرة أجَلَّ قُرَشيٍّ حِلماً وجوداً ، وكانت قريش تؤرخ بموته كما كانت تؤرّخ بعام الفيلِ وبمُلْكِ فلان . قال الشاعر : زمان تَناعَى على الناسُ موتَ هِشام . ومن أجله يقول القائل

فأصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُقْشَعِرّاً كأنّ الأرضَ ليس بها هِشامُ

يقول هو وان كان مات فهو مدفون في الارض فقد كان يجب من أجله أن لا يناَلها جَدْبٌ . وقال الآخر

ذَريني أصْطَبِحْ يا سَلْمَ اني رأيتُ الموتَ نَقْبَ عن هشام

قوله نَقْبَ أي طَوّفَ حتى أصاب هشاماً قال الله عز وجل: فَنَقّبوا في البِلادِ أي طَوّفُوا ، ومثله قول امْرىءِ القَيْسِ :

وقد نَقّبْتُ في الآفاق حتى رَضيتُ من الغنيمةِ بالإياب

فأما التاريخ الذي نُؤَرِّخُ به اليومَ فأوّلُ من فعله في الاسلام عُمر بن الخطّاب رحمه الله حيث دَوّنَ الدَّواوينَ ، فقيل له : لو أرّخْتَ يا أمير المؤمنين لكنت تَمْرِفُ الامور في أوقاتها . فقال : وما التاريخ؟ فأعلِمَ ما

Marfat.com

كانت العجم تفعله . فقال : أرّخُوا . فقالوا : مُذ أيّ سنةٍ فاجتمعوا على سنة الهجرة لأنه الوقتُ الذي حكمَ فيه رسولُ الله ﷺ على غير تَقِيّةٍ ثم قالوا في أيّ شهر ؟ فقالوا : نستقبل بالناس أمورهم في شهر المحرم اذا انقَضَى حجُّهُم، وكانت هجرة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الآخِرِ (الذي اتفِقَ عليه أن هجرة رسول الله ﷺ كانت في ربيع الأول وفيه مات ﷺ) فقُدّمَ التاريخ على الهجرة هذه الاشهرَ وجاء في تصحيح هذا الوقت أعني المحرم ما رُويَ لنا عن ابن عباس رحمه الله فانه قال في قول الله عز وجل: والفَجْرِ ولَيالٍ عَشرٍ، قال : فأقسَمَ بفجر السَنةِ وهو المحرمُ . وقوله : فما الأم التي وَلدَتْ قريشاً يعني بَرّةَ بنت مُرٍّ ، كانت أم النَضْرِ بن كِنانةَ وهو أبو قُرَيْشٍ ومَنْ لم يكن من وَلدِهِ فليس بقرشي وتَميمُ بن مُرٍّ خالُهُ . وكان يقال : مَن عَرَفَ حَقّ أخيه دام له إخاؤهُ ، ومَن تكبر على الناس ورجا ان يكون له صَديقٌ فقد غَرَّ نفسه، وقيل: ليس لِلَجُوجٍ تدْبيرٌ ولا لسيءِ الخُلُقِ عَيْشٌ ولا لمتكبر صَديقٌ ، وقيل : مَن بَسَطَ بالخير لسانَهُ انبسطت في القلوب محبتُهُ والمِنّةُ تُفسِدُ الصَنيعة. ويروى ان شاعراً أتى أبا البَخْتَرِيّ (البختري بفتح الباء وبالخاء المعجمة) وَهْبَ بن وَهْبٍ ، وكان من أجود الناس وكان اذا سمع مَدْحَ المادِح ضحك وسَرى السُرورُ في جوانحه وأعطى وزاد فأتاه هذا الشاعر فأنشده :

لِكُلّ أخي فَضْلٍ نصيبٌ من العُلا ورأسُ العُلا طُرّاً عَقيدُ النَدى وَهْبُ
وما ضَرّ وَهْباً قولُ مَن غَمِطَ العلا كما لا يَضُرُّ البَدْرَ يَنْبَحُهُ الكلبُ

(غَمِطَ كفر النعمة ، وغَمَطَ ويقال أيضاً تَنَقّصَ) فثنى له الوِسادةَ وَهَشّ اليه ورَفَدَه وحَمَلَهُ وأضافه فلما أن أراد الرجل الرِحْلةَ لم يَخْدُمْهُ أحد من غِلمانِ أبي البختريّ ولا عَقَدَ له ولا حَلّ معه فانكر ذلك مع جَميل ما فَعَلَ به وأنه قد تجاوَزَ به أمَلَهُ فعاتَبَ بعضَهم ، فقال له الغلامُ : إنا انما نُعينُ النازِلَ على الاقامة ولا نعين الراحِلَ على الفِراق. فبلغ هذا الكلامُ

Marfat.com

جَليلاً من القُرَشيّين . فقال: واللهِ لَفِعْلُ هؤلاءِ العبيد على هذا القصد أحسنُ من رِفْدِ سيدهم .

٣٨ - باب

قال عبد الملك بن مَرْوانَ يوماً لِجُلَسائِهِ ، وكان يجتنب غيرَ الأُدَباءِ ، أيُّ المناديل أفضلُ ؟ فقال قائل منهم : مناديلُ مصر كأنها غِرْقِئُ البَيْض (الغرقىء يهمز ولا يهمز وكذلك فعله) ، وقال آخر : مناديلُ اليمن كأنها أنوارُ الربيعِ . فقال عبدُ الملك ما صَنَعْتُما شيئاً ، أفضلُ المناديل ما قال أخو تَميمٍ ، يعني عَبْدَةَ بن الطبيبِ (عبدة باسكان الباء) :

لما نزلنا نصبْنا ظلَّ أخْبِيَةٍ ... وفار للقوم باللحم المراجيلُ
ورْدٌ وأشْقَرُ ما يُؤْنيهِ طابِخُهُ ... ما غيَّرَ الغَلْيُ منه فهو مأكولُ
تُمْتَ قُمْنا الى جُرْدٍ مُسَوَّمةٍ ... أعرافُهُنَّ لأيدينا مَناديلُ

قوله : غرقىء البيض يعني القشرة الرقيقة التي تركب البيضة دون قشرها الاعلى وقشرهُ الاعلى يقال له القَيْضُ . وقوله المراجيلُ انما واحدُهُ المراجلُ ، ولكن لما كانت الكسرة لازمة أشبعها للضرورة كما قال : نَفْيَ الدراهيم تَنقادُ الصَيارِيف . (الحجة في الصياريف) وقد مر تفسير هذا. وقوله وَرْدٌ وأشقَرُ مايؤْنيه طابخُهُ يقول : ما تغير من اللحم قبل نُضْجِهِ . وقوله ما يُؤنيه طابخه يقول ما يؤخره لأنه لو آناه لأنضَجَهُ ،لأن معنى آناه بلغ به إناهُ ، أي إدْراكهُ قال الله عز وجل : الى طعامٍ غيرَ ناظرينَ إناهُ . وتقول : أنَى يَأني إني اذا أدرك وآنَ يَئِينُ مثله . وقوله تعالى : يطوفون بينها وبَينَ حَميمٍ آنٍ ، أي قد بلغ إناهُ . وقوله : ما غير الغلي منه فهو مأكول يقول نحن أصحابُ صَيْدٍ ، وهذا من فعلهم (العرب لا تُنضِج اللحم اما لاستعجالها للضيف وأما لأن ذلك مستحب عندها ، فلذلك قال لا يؤنيه وقيل لتعجيل القِرى) . وقوله : مسوّمة تكون على ضربين أحدهما ان تكون مُعْلَمَةً ، والثاني أن تكون قد أسِيمتْ في المرْعى ، وهي ههنا مُعْلَمَةٌ ،وقد مضى هذا التفسير وانما أخَذَ ما

Marfat.com

ي هذه الأبيات من بيت امرىء القيس فانه جَمَعَ ما في هذه الأبيـات في بيت
احد مع فضل التقدم :

تَمُشُّ بأعْرافِ الجيادِ أكُفَّنا اذا نَحْنُ قُمْناعن شِواءٍ مُضَهَّبِ

وهو الذي لم يُدْرِكْ ، ونمش نمسح ، ويقال للمنديل المَشوشُ ، وكانت العرب
الف الطيبَ وتطرَحُ ذلك في حالتين في الحرب والصيد . قال النابغة :

تَهِيكينَ من صَدأ الحديد كأنَّهم تَحْتَ السَّنوْرِ جِنَّةُ البَقّارِ

وقال آخر :

وأسيافُكمْ مِسْكٌ تَحَلُّ أكُفَّكُمْ على أنها ريحُ الدِماء تضُوعُ

(تَضَوَّعُ رواية) معنى تَضُوع تفوح ، ورُوي عن ابنة هانىء بن قَبيصةَ
(ذكر يعقوب انها ابنة قَيْس بن خالد الشيباني ش) انه لما قُتِلَ عنها لَقيطُ
بن زُرارةَ بن عُدَسَ بن زيد بن عبدالله بن دارِم بن مالك بن حَنْظلةَ فتزوجها
رجل من أهلها ، فكان لا يزال يراها تذكر لقيطاً ، فقال لها ذات مرة : ما
استحسنتِ من لقيط ؟ فقالت : كل أموره كانت حسنةً ، ولكني أحدِّثُكَ
انه خرج مرة الى الصيد وقد انتشَى فرجع وبقميصه نضْخٌ من دم صيده
والمِسْكُ يضوعُ من أعْطافِهِ ورائحةُ الشراب مِنْ فيه فضَمَّني ضمّةً وشَمَّني
شمّةً ، فليتني كنت مِتُّ ثَمَّةَ . قال : ففعل زوجها مثل ذلك ، ثم ضمها اليه
وقال أين انا من لقيط ؟ فقالت : ماءٌ ولا كَصَدْآء مثل حَمْراءَ ووزنها
فَعْلاءُ وموضع اللام همزة وهي بئر مقدّمةٌ ، واسمها ما ذكرنا عن الاصمعي
وأبي عبيدة ، وكذلك سمعنا العرب تقوله ، ومَنْ ثَقَّلَ فقد أخطأ . ومثل ذلك
رجل ولا كالكِ (فما يقال فتىً ولا كالكِ ، وقد تقدم لأبي العباس فَتىً وهو
الصواب) يعنون مالك بن نُوَيرةَ ، ومَرْعىً ولا كالسَّعْدانِ . وحدثني عليّ بن
عبدالله عن ابن عائشة قال : كان ذو الإصْبَعِ العَدْوانيُّ رجلا غَيُوراً وكانت
له بناتٌ أربعٌ وكان لا يزوِّجهنَّ غَيْرةً فاستمع عليهنَّ يوماً ، وقد خَلَوْنَ
يَتَحَدَّثْنَ ، فقالت قائلة منهنَّ : لتقل كلُّ واحدةٍ منكنَّ ما في نفسها ،
ولْتَصْدُقْ جميعاً . قال فقالت كُبْراهُنَّ :

Marfat.com

ألا ليتَ زوجي من أناسٍ ذَوي غِنىً حَديثُ الشبابِ طَيِّبُ النشرِ والذكرِ
لِصوقٌ بأكبادِ النساءِ كأنه خَليفةُ جانٍ لا يُقيمُ على هَجْرِ

قل : وقالت الثانية :

ألا ليتَهُ يُعطى الجمالَ بَديئَةً له جَفْنةٌ تَشْقى بها النيبُ والجُزُرُ
له حَكَماتُ الدهرِ من غيرِ كِبْرَةٍ تَشيبُ فلا فانٍ ولا ضَرَعٌ غُمْرُ

(أخذُ التجاربِ وهو مأخوذ من حَكَمَةِ اللجام ش) . فقُلْنَ لها: أنتِ تريدين سيّداً . فقالت الثالثة :

ألا هَلْ تراها مَرَّةً وَحليلُها أشَمُّ كنَصْلِ السَيْفِ عَيْنَ المُهَنَّدِ
عَليماً بأدواءِ النساء ورَهْطُهُ إذا ما انْتَمى من أهلِ بَيْتي وَمَحْتِدي

(حليلها بفتح اللام وبالضم ، واشم مثله). فقلن لها : أنت تُريدينَ ابنَ عَمٍّ لكِ فقد عَرَفْتِهِ . وقُلْنَ للصغرى : ما تقولين ؟ فقالت : لا أقول شيئاً . فقُلْنَ : لا ندَعُكِ وذاك ، إنكِ اطَّلَعْتِ على أسرارنا وتَكَتَّمينَ سِرَّكِ . فقالت : زَوْجٌ من عُودٍ خيرٌ من قُعود . قال فخُطِبْنَ فزَوَّجَهُنَّ جَمَعَ ، ثم أمْهَلَهُنَّ حولاً ، ثم زار الكُبْرى فقال لها : كيف رأيتِ زوْجَكِ ؟ قالت : خير زوجٍ يُكْرِمُ أهله ويَنْسى فضْلَهُ . قال لها : فما مالكم ؟ قالت : الإبلُ . قال : وما هي ؟ قالت : نأكلُ لُحْمانَها مُزَعاً ، ونشرب ألبانها جُرَعاً ، وتحملنا وضَعَفَتَنا معاً فقال : زوجٌ كريمٌ ومالٌ عَميمٌ . ثم زار الثانية فقال لها: كيف رأيت زوجك؟ قالت : يُكْرِمُ الحليلةَ ، ويُقَرِّبُ الوَسيلةَ . قال: فما مالكم؟ قالت : البقرُ . قال: وما هي؟ قالت: تأنف الفِناءَ ، وتملأ الإناء ، وتودِكُ السِقاء ونساءٌ مع نساء . قال لها : رضيتِ وحَظيتِ . ثم زار الثالثة فقال لها : كيف رأيتِ زوجَكِ؟ فقالت : لا سَمْحٌ بَذِرٌ ولا بَخيلٌ حَكِرٌ . قال : فما مالكم ؟ قالت: المِعْزى . قال: وما هي؟ قالت: لو كنا نولَدُها فطَماً ونَسْلَخُها أدَماً لم نَبْغِ بها نَعَماً. فقال لها : جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ . ثم زار الرابعة فقال لها : كيف رأيتِ زوجكِ؟ فقالت: شرُّ زوجٍ يكرم نفسه ويُهينُ عِرْسَهُ قال لها فما مالكم؟ قالت: شرُّ مالِ الضأنُ. قال لها: وما هنَّ؟ قالت: جُوفٌ لا يشبَعْنَ ،

Marfat.com

وهمٌ لا يَنْفَعْنَ، وصُمٌ لا يَسْمَعْنَ، وأمرَ مُفْوِيَتِهِنَّ يتْبَعْنَ فقال: أشبهَ بعضَ بَزِّهِ (أشبه امرأً بعضُ بَزِّهِ روايةٌ) فأرسلها مثلاً. قال علي بن عبدالله: قلتُ لابن عائشة: ما قولها وأمرُ مفويتهنَّ يتْبعن؟ فقال: أما تراهنَّ يمررْنَ فتسقط الواحدة منهن في ماء أو وَحَل وما أشبه ذلك، فيَتْبَعْنَها اليه. قول الثانية له: جفنة تشقى بها النيب والجزر، فالنيبُ جمع نابٍ وهي المسِنَّةُ، وإنما قيل لها ناب لطول نابها. قال أوْسُ بن حجَرٍ: تُشَبِّهُ نابا وهْيَ في السِنِّ بَكْرةٌ. وتقدير نيبٍ من الفعل فَعْلٌ. ولكن ما كان من ذوات الياء كُسِرَ له موضع الفاء من الفعل لتصح الياء، لأن الياء اذا سكنت وانضم ما قبلها كانت واواً في الأصل نحو: موقِنٍ وموسِرٍ، وإن فارقتها الضمة عادتْ الى أصلها نحو قولك: مَياسِرُ. ومثل ذلك: أبيضُ وبيضٌ، وإنما بيض فَعْلٌ كأحمَرَ وحُمْرٍ وأصفر وصُفْرٍ، ولكن كسرت النون لتصح الياء. ولو كانت واواً في الأصل لم تغير نحو: أسود وسُودٍ وقوله: ناب، تقديرها فَعَلٌ متحركة العين، ولا تنقلب الياء ولا الواو الفاً إلا وهما في موضع حركة وما قبلهما مفتوح نحو: باعَ وقال ورَمى وغزا لأن التقدير فَعْلٌ ولو كان على فَعَلٍ لصحت الياء والواو كما تقول: بَيْعٌ وقَوْلٌ، وفَعَلٌ قد يجمعونه على فُعْلٍ كقولهم: أَسَدٌ وأُسْدٌ وَوَثَنٌ ووُثْنٌ. وقولها: تشقى بها النيب والجزر، فانما عطفت أحدهما على الآخر، لأن من الابل ما يكون جزوراً للنحر لا غير. وأما قولها: ولا ضرع غمر، فالضَرَعُ الضعيف والغَمْرُ الذي لم يجرب الأمور. ويروى أن الحجّاج لما ورد عليه ظَفَرُ المهلَّبِ بن أبي صُفْرةَ، وقَتْلُهُ عبدَ رَبِّهِ الصغيرَ، وهَرَبُ قطَرِيٍّ عنه تمَثَّلَ فقال: لله دَرُّ المهلب والله لكأنه ما وَصَفَ لقيطٌ الإيادِيُّ حيث يقول:

وَقَلَّدوا أمرَكم لله دَرُّكمُ ... رَحْبَ الذِراعِ بأمرِ الحَرْبِ مُضْطَلِعا
لا مُتْرِفاً إنْ رَخاءُ العيشِ ساعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مَكْروهٌ به خَشَعا
ما زالَ يَحْلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ ... يكونُ مُتْبِعاً طَوْراً ومُتْبَعا
حتى استمرتْ على شَزْرٍ مَريرَتُهُ ... مُرَّ العَزيمةِ لا رَتْناً ولا ضَرَعا

فقام اليه رجل فقال: أيها الأمير والله لكأني أسمع هذا التمثيل من قَطَرِيٍّ

Marfat.com

في المهلب . فسُرّ الحجّاج بذلك سروراً تبين في وجهه .وقولها: كنصل السيف عين المُهَنّد، فالمهند المنسوب الى الهند. وقولها: من أهل بيتي ومَحْتِدِي فالمحتد الأصل . قال الشاعر :

وفي السِرّ من قَحْطانَ أولادُ حرّةٍ عِظامُ اللَها بيضٌ كِرامُ المحاتِدِ

وقوله مال عمي يقول: جامِعٌ أخذه من عَمٌ يَعُمُّ وقوله: جِذْوٌ مُغْنِيَةٌ فالجذو جمع جَذْوةٍ وهي القطعة ، وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار . وقال الله عزّ وجل : أو جَذْوةٍ من النار وتجمع أيضاً جِذاً.قال ابن مُقْبِلٍ:

باتتْ حواطبُ سَلْمى يَلْتَمِسْنَ لها جَزْلَ الجِذا غَيْرَ خَوّارٍ ولا دَعِرِ

الخوار الضعيف ، والدعِرُ الكثير الثُقَبِ . يقالُ :عودٌ دَعِرٌ . وقولها : جوف لا يشبعن تقول: عظام الأجواف. وهيم لا ينقعن : الهيمُ العِطاشُ يكون الواحد من هيمٍ أهْيَمُ . ويقال في هذا المعنى هَيْمانُ . وقال بعض المفسرين في قول الله عزّ وجل : فشاربون شُرْبَ الهِيمِ . قال هي الإبل العِطاش. وقال ذو الرُمّةِ (يصف حميراً) :

فراحت الحُقْبُ لم تَقْصَعْ صرائرَها وقد تَنَشحْنَ فلا رِيٌّ ولا هيمُ

(الحقب البيضُ الأعْجازِ من الحمير) .ويقال : قصَعَ صارّتَهُ اذا رَوِيَ . والصارّةُ شدة العطش،والنُشوحُ ان تشرب دون الرِيّ يقال: نَشَحَ يَنْشَحُ ومثله تَنَمّرَ اذا لم يَرْوَ . ويقال للقَدَحِ الصغير النُمَرُ من هذا . وقال بعض المفسرين: الهيم رمال بعينها واحدتها هَيْماءُ يا فتى . وقولها : لا يُنْقَعْنَ أي لا يَرْوَيْنَ. يقال : نقعت ماشية بني فلان بريٍّ اذا لم تبلغ من الماء حقها . ويقال للماء النَقْعُ . ويقال النقع في غير هذا الموضع للغبار يقال أثاروا النَقْعَ بينهم والنَقْعُ اسم موضع بعينه . قال الشاعر :

لقد حَبَّبَتْ نُعْمٌ الينا بوجهها مساكنَ ما بين الوَتائر والنَقْعِ

(الوتائر بالتاء منقوطة باثنتين من فوق) والنَقْعُ الصُراخُ . قال لَبيدٌ :

فتى يَنْقَعْ صُراخٌ صادِقٌ يُخْلبوهُ ذات جَرْسٍ وزَجَلْ

Marfat.com

وقولها : وصمّ لا يسمعن طَريفٌ من كلام العرب ، وذلك انه يقال لكل صحيح البصر ولا يُعْمِلُ بصرَه أعمى ، وإنما يراد به أنه قد حلّ مَحَلّ مَن لا يُبْصر البَتّةَ إذا لم يُعْمِلْ بصره. وكذلك يقال للسميع الذي لا يقبل أَصمُّ. قال الله جلّ ذكره : صمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ . كما قال جلّ ثناؤه : أمْ على قلوب أقْفالها . وكذلك : انك لا تُسْمِعُ الموتى ولا تُسْمِعُ الصُمّ الدُعاءَ. وقوله عزّ وجل: كمَثَلِ الذي يَنْعِقُ بما لا يسمع إلا دُعاءً ونِداءً . وتقول العرب: أَبْلَدُ ما يُرْعى الضّأنُ . ويقال : أَحمَقُ منْ راعي ضَأنٍ ثمانين (قوله: أحمق من راعي ضأن ثمانين، المثَلُ لكِسْرى في أعرابي خَيّرَهُ فاختار ذلك. ذكره أبو عبيد ، وهذا غير ما أشار اليه أبو العباس) . وتحدث عمرو بن بَحْرٍ قال: كان يقال لا ينبغي لعاقل أن يشاور واحداً من خمسة : القَطّان، والغزّال، والمُعَلّم، وراعي ضأنٍ ، ولا الرجل الكثيرُ الحادّثةِ للنساء. وقيل في مثل هذا لا تَدَعْ أمْ صبيك تضربه ، فانه أعقل منها وإن كان طفلاً . وقال الأحْنَفُ بن قيسٍ: إني لأجالسُ الأحمقَ الساعةَ فأتبيّنُ ذلك في عقلي . وقال جلّ ثناؤه في صفة النساء : أوَمَنْ يُنَشّأُ في الحِلْيَةِ وهو في الخِصام غير مُبينٍ وُحدّثتُ أنه عُمَرَ بن عبدالله بن أبي رَبيعةَ أتى المدينة فأقام بها ، ففي ذلك يقول :

يا خليليّ قد مَلِلْتُ ثوائي بالمصلّى وقد شَنِئْتُ البَقيعا

فلما أراد الشُخوصَ شخَصَ معه الأحْوَصُ بن محمد . فلما نزلا وَدّ أن صار اليها نَصِيبٌ فمضى الأحوص لبعض حاجته فرجع الى صاحبيه فقال : إني رأيتُ كُثَيّراً بموضع كذا. فقال عمر: فابعثوا اليه ليصيرّ الينا. فقال الأحْوَصُ: أهو يصير اليكم؟ هو والله أعظم كِبْراً من ذلك . قال : فإذاً نصيرُ اليه. فصاروا اليه وهو جالس على جلدِ كبشٍ ، فوالله ما رفع منهم أحداً ولا القُرَشيّ ، ثم أقبل على القرشي فقال : يا أخا قُرَيْشٍ والله لقد قلتَ فأحسنتَ في كثير من شعرك ولكن خَبّرْني عن قولك

قالتْ لها اختُها تعاتبها لا تُفْسِدِنّ الطَوافَ في عُمَرِ

Marfat.com

(كذا وقعت الرواية لا تفسدنّ على النهي والصحيح لتفسدنّ على القسم كأنها قالت : والله لتفسدنّ) :

قومي تَصَدّيْ له ليُبْصِرَنا ثم اغْمِزيهِ يا أخت في خَفَرِ
قالتْ لها قد غَمَزْتُهُ فأبى ثم اسْبَطَرَّتْ تشتد في أَثَري

والله لو قد قلتَ هذا في هِرّةِ أهلِكَ ما عَدا أن تَنْسُبَ بها فَنَسَبْتَ بنفسك ، أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بالخَفَرِ وأنها مطلوبة ممتنعة ، هلا قلتَ كما قال هذا . وضرب بيده على كتف الأحْوَصِ :

أدور ولولا أنْ أرى أمّ جَعْفرٍ بأبياتكم ما دُرْتُ حيث أدورُ
وماكنتُ زَوّاراً ولكنّ ذا الهوى اذا لم يُزَرْ لا بدّ أن سيزور
لقد مَنَعَتْ معروفَها أمُّ جعفر وإني الى معروفها لفقيرُ

قال : فامتلأ الأحوصُ سروراً ثم أقبل عليه فقال : يا أحوص خَبِّرْني عن قولك :

فان تَصِلي أصِلْكِ وإن تَعودي لهَجْرٍ بعد وَصْلِكِ لا أُبالي

أما والله لو كنتَ من فحول الشعر لبالَيْتَ ، هلا قلت مثل ما قال هذا. وضرب بيده على جنب نُصَيْبٍ :

بزَيْنَبَ أَلْمِمْ قبل أنْ يَظْعَنَ الرَّكبُ وقُلْ ان تَمَلَّينا فما مَلَكِ القَلْبُ

قال : فانتفخ نُصيب ، ثم أقبل عليه فقال له : ولكن أخبرني عن قولك يا أسْوَدُ :

أهيمُ بدَعْدٍ ما حَييتُ وإن أمُتْ فوا حَزَنا من ذا يَهيمُ بها بعدي

كأنك اغتممتَ ان لا يُفْعَلَ بها بَعْدكَ ولا يَكُنْني. فقال بعضهم لبعض: قوموا فقد استوت القِرْفَةُ ، وهي لُعْبة على خطوط فاستواؤها انقضاؤها. (قال أبو الحسن : الطَّبِينُ هي السُّدْرُ ، فاذا زيدَ في خطوطه عَمَّتْهُ العرب القِرْفَةَ ،وتسمية العامة السُّدْرَ) . قال : وحدّثتُ ان كُثَيِّراً دخل على عبد الملك بن مَرْوانَ وعنده الأخطل،فأنشده، فالتفت عبد الملك الى الأخطل فقال : كيف تَرى ؟ فقال : حجازي مُجَوِّعٌ مقرورٌ ، دَعْني أضْغَمْهُ يا أمير

Marfat.com

المؤمنين . فقال كثير : من هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقال له : هذا الاخطل . فقال له كثير : مَهْلاً فهلا ضَغَمْتَ الذي يقول :

لا تطلُبَنّ خؤولةً في تَغْلِبٍ فالزَنْجُ أكرمُ منهمُ أخوالا
والتَغْلَبِيُّ اذا تنحنح للقِرى * حَكّ اِسْتَهُ وتَمثلَ الأمْثالا

(أخوالا منصوب على الحال، ومن زعم أنه تمييز فقد أخطأ فسكت الأخطلُ فما أجابه بحرف . قال أبو العباس : سمعت من ينشد هذا الشعر : والتغلبيُّ إذا تُنُبِّحَ للقرى ، وهو أبلغ . قال : وأُخْبِرْتُ أن نصيباً نزل بامرأة تُكنى أمَّ حَبيبٍ من أهل مَلَلٍ ، وكانت تضيف في ذلك الموضع وتَقْرِي ، ولا يزال الشريفُ قد نزل بها فأفْضَلَ عليها الفضلَ الكثير ، ولا يزال الشريفُ ممن لم يَحْتَلْ بها يتناولها بالبِرّ ليُمينها على مُرُوّتِها، فنزلَ بها نصيبٌ ومعه رجلان من قريش ، فلما أرادوا الرِحْلةَ عنها وَصَلها القُرَشِيّانِ ، وكان نصيب لا مال معه في ذلك الوقت. فقال لها : إن شئت فلكِ أن أُوَجِّهَ اليك بمثل ما أعطاكِ أحدُهما ، وإن شئتِ قلتُ فيكِ شعراً . فغَزِلَتْ أمُّ حبيبٍ (أي مالت الى ان يتغزل بها) فقالت : بل الشعرَ . فقال :

ألا حَيِّ قبل البَيْنِ أمَّ حبيبِ وإن لم تكنْ منا غداً بقريبِ
وإنْ لم يكن أني أحبكِ صادقاً فما أحدٌ عندي إذاً بحَبيبِ
تَهامٍ أصابتْ قلبه مَلَكِيّةٌ غريبُ الهوى واهاً لكل غريبِ

وحُدِّثتُ أن نصيباً أتى عبد الملك فأنشده ، فاستحسن عبد الملك شعره ، وسرّ به فوصله ، ثم دعا بالغداء فطَعِمَ معه ، فقال له عبد الملك : يا نصيبُ هل لك فيما يُتَنادَمُ عليه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين تأمُلُني قال : قد أراكَ . فقال : يا أمير المؤمنين جِلْدي أسْودُ ، وخَلْقي مُشَوَّهٌ ، ووجهي قبيح ، ولست في مَنْصِبٍ وإنما بَلَغَ بي مجالستُكَ ومؤاكلتُكَ عقلي ، وأنا اكره يا امير المؤمنين ان أُدْخِلَ عليه ما يَنْقُصُهُ . فأعجبه كلامه فأعفاه . وقال الوليد بن عبد الملك للحجّاج في وَفْدَةٍ وَفَدَها عليه ، وقد أكلا : هل لكَ في الشراب؟ فقال : يا أمير المؤمنين ليس بحرام ما احلّتَهُ ، ولكني أمنع اهلَ عملي منه ، واكره ان

* والتغلبي ... هذا البيت لجرير ، ويؤخذ مثالاً على شدة نفوذ هجاء جرير للأخطل وإقذاعه

Marfat.com

أخالف قول العبد الصالح ، وما أريد ان أخالِفَكمْ إلى ما أنهاكم عنه ،فاعفاه .
وقال مَسْلمةُ بن عبد الملك يوماً لنصيب: أمَدَحْتَ فلاناً لرجل من أهله فقال: قد فعلتُ قال أوَحرَمَكَ ؟ قال : قد فعل . قال : فهَلا هجوته . قال : لم أفعَلْ . قال ولِمَ ؟ قال : لأني كنتُ أحقُّ بالهجاءِ منه إذ رأيتُهُ موضعاً لمدحي ، فأُعْجِبَ به مسلمةُ ، فقال : اسئلني . قال: لا افعلُ . قال . ولمَ ؟ فقال : لأن كفَّكَ بالعطية أجودُ من لساني بالمسئلة . فوهب له الفَ دينارٍ . وحُدِّثتُ أن الكُمَيْتَ بن زيد أنشد نُصَيْباً ، فاستمع له. فكان فيما أنشده:

وقد رأينا بها حُوراً مُنَعَّمةً بيضاً تكامَلَ فيها الدَلُّ والشَنَبُ

فثَنى نُصيبٌ خِنْصِرَه ، فقال له الكميت : ما تصنع ؟ فقال : أحْصي خَطَأَك تَباعَدْتَ في قولك : تكامل فيها الدل والشنب ، هلا قلت كما قال ذو الرُمَّةِ :

لَمْياءُ في شَفَتَيْها حُوَّةٌ لَعَسٌ وفي اللِثاتِ وفي أنيابها شَنَبُ

ثم انشده في اخرى :

كأنَّ الغُطامِطَ من جَرْيِها أراجيزُ أسْلَمَ تَهْجو غِفارا

(وقعت الرواية من جريها ، وصوابه من غليها ، لأنه يصف قدراً فيه لحم فشبه غليان القدر وارتفاع اللحم فيه بالموج الذي يرتفع) فقال له نصيب : ما هَجَتْ أسْلَمُ غِفاراً قطُّ . فاستحيا الكميت فسكت قال ابو العباس: والذي عابه نصيب من قوله : تكاملَ فيها الدل والشنب قبيح جداً ، وذلك أن الكلام لم يَجْرِ على نظمٍ ، ولا وقع الى جانب الكلمة ما يشاكلها . وأول ما يحتاج اليه القول أن يُنْظَمَ على نسَقٍ ،وان يوضع على رسم المشاكلة. وحُبِّرْتُ أن عمر ابن لَجَأٍ قال لابن عم له : انا أشعر منك قال له : وكيف ؟ قال : لأني أقول البيت واخاه ، وانت تقول البيت وابن عمه . وأنشد عمرو بن بحر :

وشِعْرٍ كبَحْرِ الكبش فرّقَ بينه لسانُ دَعِيٍّ في القَريض دَخيلُ

Marfat.com

وبعر الكبش يقع متفرقاً . فمن ذلك قول ابنة الحُطَيْئة له لما نزل في بني كليب بن يربوع : تركتَ الثروة والعدد ونزلتَ في بني كُلَيْبِ بَعْرِ الكَبْشِ. يقال : بَعْرٌ وبَعَرٌ ، وشَعْرٌ وشَعَرٌ ، وشَمْعٌ وشَمَعٌ . ويقال للصَدْر : قَصٌ وقَصَصٌ . وكذلك : نَهْر ونَهَر. وزعم الأصمعي أنه سأل أعرابياً وهو بالموضع الذي ذكره زُهَيْرٌ :

ثم استمروا وقالوا إنّ مَشْرَبَكُمْ ماءٌ بِشَرْقِيّ سَلْمَى فَيْدُ اوركَكُ

قال الأصمعي : فقلتُ لأعرابي : أتعرف رككا ؟ فقال : لا ، ولكن قد كان هٰهنا ماء يسمى رَكّا. فهذا ليست فيه لغتان ، ولكن الشاعر إذا احتاج الى الحركة اتبَع الحرفَ المتحرّكَ الذي يليه الساكنُ ما يشاكله ، فحرّكَ الساكنَ بتلك الحركة . قال عبد مناف بن رِبْع (ش رِبْعِيّ) الهذليُّ :

إذا تجاوَبَ نَوْحٌ قامَتَا معه ضَرْباً اليماً بِسِبْتٍ يَلْعَجُ الجِلِدا

يريد الجِلْدَ فهذا مطرد. (قال ابن القُوطِيّة : لَعَجَ الحُبُّ قلبه والصَرْدُ جِلْدَه احرقه) . ومن مذاهبهم المطردةِ في الشعر ان يُلْقوا على الساكن الذي يَسْكن ما بعده للتقييد حركةَ الإعراب ، كما قال الراجز قال ابن السّيدِ احسبه لعَبيدِ بن ماوِيّةَ :

انا ابنُ ماوِيّةَ إذْ جَدّ النَقُرْ . يريد النَقْرُ يا فتى ، وهو النَقْرُ بالخيل ، فلما اسكن الراء القى حركتها على الساكن الذي قبلها (النُقَيْرُ صوتٌ باللسان يُسَكِّنُ به الفرس إذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس :

أَخفِضْهُ بالنَقْرِ لما عَلَوْتُهُ ويَرْفَعُ طرفاً غيرجافٍ غَضيضِ

وشبيه بهذا قولُهُ :

عجبتُ والدهرُ كثيرٌ عَجَبُهْ من عَنَزِيّ سَبَّني لم اضْرِبُهْ

اراد لم اضربْهُ يا فتى ، فلما اسكن الهاء القى حركتها على الباء ، وكان ذلك في الباء احسن لخفاء الهاء . وقال ابو النجم : اقول قَرِّبْ ذا وهذا ازْحِلْهْ . يريد : ازحِلْهُ يا فتى . (اقول قَرِّبْ ذا وهذاك ازْحِلْه ، كذا عن ش ا . وقال طَرَفَةُ :

Marfat.com

حابِسي رَبْعٌ وقفتُ به لو أُطيعُ النفسَ لم أرِمْهُ

ولم يَلْزمه رد الياء لما تحرّكت الميم ، لأن تحركها ليس لها على الحقيقة ، وإنما هي حركة الهاء . وأما قول الشاعر :

حديثُ بَني بَدْرٍ إذا ما لقيتَهُم كَنَزْوِ الدَبى في العَرْفَجِ المُتَقارِبِ

فليس كقوله : وشعر كبعر الكبش ، ولكنه وصفهم بصُؤولة الأصوات ، وسرعة الكلام ، وإدخال بعضه في بعض ، والذي يُحْمَدُ الجهارةُ والفَخامةُ . وأنشِدْتُ لرجل قال يمدح الرشيد :

جَهيرُ الكلام جَهيرُ العُطاس جَهيرُ الرُواءِ جَهيرُ النَعَمْ
ويَخْطو على الأينِ خَطْوَ الظَليم ويَعْلو الرجالَ بخَلْقٍ عَمَمْ

(الرجل هو العُمانيُّ الشاعرُ وقوله : عمم أي جسيم ، والأين الإعياء ، ويكون الاين الحية وهي الأيمُ) ويروى ان الرشيد كان يأتزر في الطواف ، فيُذَنِّبُ إزاره ويُباعِدُ بين خُطاهُ ، فاذا رجع بيده كاد يَفتِنُ مَنْ يَراه ، فعند ذلك مُدِحَ بهذا الشعر . ويروى ان عائشة رحمها الله ، نظرت إلى رجلٍ مُتماوِتٍ فقالت : ما هذا ؟ فقالوا : أحدُ القُرّاء . فقالت . قد كان عمر بن الخطاب قارئاً فكان إذا قال أسمَعَ ، وإذا مشى أسرع ، وإذا ضربَ أوجَعَ . ويروى أن عمر بن الخطاب رحمه الله ، نظر إلى رجل مُظْهِرٍ للنُسْكِ مُتَماوِتٍ ، فخَفَقَهُ بالدِرَّةِ وقال : لا تُمِتْ علينا ديننا أماتك الله . ويروى أن عبد الملك بن صالح ابن علي بن عبدالله بن عباس أتتهُ وفودٌ من الروم ، وقام السِماطانِ فأُتِيَ برجل منهم ، وعَطَسَ أحدٌ من في السِماطين فأخفى عَطْسَتَهُ ، فقال له عبد الملك لما انقضى أمر الوَفْدِ : هَلاّ إذْ كنتَ لئيم العُطاس أتبعت عَطْسَتَكَ صيحةً حتى تخلع بها قلب العِلْجِ . وكان العباس بن المطّلب رحمه الله ، أجهر الناس صوتاً ، ولذلك قال رسول الله ﷺ ، لما انهزم الناس يوم حُنَيْنٍ : يا عبّاسُ أصْرُخْ بالناس . ويروى أن غارة أتتهم يوماً ، فصاح العباس : يا صَباحاه ! فاستسقَطت الحوامل لشدة صوته وقد طُعِنَ في قول النابغة الجَعْدِيّ :

Marfat.com

(وأزْجرُ الكاشِحَ العَدُوَّ اذا اغـــتابكَ عندي زَجْراً على أضَمِ)
زَجْرَ أبي عُرْوَةَ السِباعَ اذا أشْفَقَ أنْ يَخْتَلِطْنَ بالغَنَم

وذلك ان الرواة احتملت هذا البيت على انه كان يزجر الذئابَ ونحوها مما يُغيرُ على الغنم ، فيَفْتُقُ مَرارة السبع في جوفه . (ويروى: زَجْرَ أبي عروةِ السِباعِ ، بخفض السِباع كما قيل قَيْسُ الرُقَيّاتِ ، فصار على هذا يعرف بأبي عُرْوةِ السِباعِ مثل ذلك) . فقال : من يطعنُ في هذا السَبُعُ أشدُّ أيْداً من الغَنَم ، فاذا فعل ذلك بالسبع هلكت الغنم قبله . فقال مَن يحْتَجُّ له : ان الغنم كانت قد أنِسَتْ بهذا منه ، والصوت الرائعُ أنْسٌ لمن أنِسَ به ، كالرعد القاصف الذي لولا خشيةُ صاعقته لم يُفْزِعْ كبيرَ فزَعٍ ، ولو جاء أقلُّ منه من جوف الأرض لذَعَرَ ولم يَبْعُد ان يَقْتل إذا أتى من حيث لم يُعْتَدْ . وجملة هذا البيت أنه وصف شدة صوت المذكور ، وتأويله انه من تَكاذيب الأعْراب . وحُدِّثتُ أن الحسن نظر الى رجل يجود بنفسه فقال : إنّ أمراً هذا آخِرُهُ لجديرٌ بأنْ يُزْهَدَ في اوله ، وان أمراً هذا أوّلهُ لجديرٌ ان يُخاف آخرُهُ . وقيل لرجل من أشراف العجم في عِلّتِهِ التي مات فيها : ما بِكَ ؟ قال فِكْرٌ عجيبٌ وحَسْرةٌ طويلة . فقيل مِمَّ ذاك ؟ فقال : ما ظنكم بمن يقطع سفراً قَفْراً بلا زادٍ ، ويسكن قبراً موحِشاً بلا مُؤْنِسٍ ، ويَقْدَمُ على حَكَمٍ عادل بلا حُجّة . وقال بعض المحدثين ، وهو محمود الورّاقُ :

بأيّ اعتـــذارٍ أم بأيّةِ حجّةٍ يقول الذي يَدْري من الأمر لا أدْري
إذا كان وَجْهُ العذرِ ليس بِبَيِّنٍ فإنّ اطّراحَ العذر خيرٌ من العُذْرِ

واعتذر رجل إلى سَلْمِ بن قُتَيْبةَ من أمر بلغه عنه فعَذَرَهُ ثم قال له : يا هذا لا يحملنّك الخروجُ من أمر تخلصتَ منه على الدخول في أمرٍ لعلكَ لا تَخْلُصُ منه . وقيل لخالد بن صَفْوان : أيُّ إخوانك أحبّ اليك ؟ فقال : الذي يَسُدُّ خَلَلي ، ويغفر زَلَلي ، ويقبل عِلَلي . وافتقد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب صديقاً له من مجلسه ثم جاءه فقال له : اين كانت غيبَتُكَ ؟ فقال : خرجتُ إلى

Marfat.com

عُرْضٍ من أعْراض المدينة مع صديق لي فقال له ان لم تَجِدْ من صحبة الرجال بُدّا فعليك بصحبة مَن إنْ صَحِبْتَهُ زانَكَ ، وإن خَفَفْتَ له صانك، وإن احتجتَ اليه مانَكَ ، وإن رأى منك خَلّةً سدّها أو حَسنةً عدّها ، وإن وعدَكَ لم يُحْرِضْكَ ، وإن كُثرتَ عليه لم يَرْفِضْكَ ، وان سألته أعطاك ، وإن أمسكتَ عنه ابتداكَ . قال ابو العباس : وامتدح نُصَيْبٌ عبدَالله بن جعفر فأمر له بخيل وإبل وأثاث ودنانير ودراهم . فقال له رجل : أمِثْلُ هذا الأسودِ يُعْطى مثلَ هذا المال ؟ فقال له عبدالله بن جعفر : إن كان اسود فان شِعْرَهُ لأبْيَضُ وإن ثناءه لعربيّ ، ولقد استحق بما قال أكثر مما نال . وهل أعطيناه إلا ثياباً تَبْلى ومالاً يَفْنى ومَطايا تُنْضى ، وأعطانا مدحاً يُرْوى ، وثناءً يَبْقى . وقيل لعبدالله بن جعفر : إنكَ لتَبْذُلُ الكثير اذا سُئِلتَ ، وتُضَيِّقُ في القليل اذا تُوجِرْتَ . فقال : اني أبذُلُ مالي وأضِنُّ بعقلي. وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ فقال : إعطاء المال مَن لا تعرف فانه لا يصير اليه حتى يَتَخَطّى مَن تعرف. وخُبِّرْتُ عن رجل من الأنصار قال لابن عبد الرحمن ابن عوف : ما ترك لك أبوك ؟ قال : ترك لي مالاً كثيراً . فقال: ألا أُعْلِمُكَ شيئاً هو خير لك مما تَرَكَ أبوك، انه لا مالَ لعاجز ولا ضَياعَ على حازم والرَّقيقُ جمالٌ وليس بمال، فعليك من المال بما يَعولُكَ ولا تعولُه . وقال معاوية: الخفض والدَعَةُ سَعَةُ المنزل وكثرةُ الخَدَمِ . وقيل لخَرَيِّمٍ المُرّيّ ، وهو المُنَبِّزُ بخُرَيِّمٍ الناعِمِ : ما النعمة ؟ فقال : الأمنُ فانه ليس لخائفٍ عيش ، والغِنى فانه ليس لفقير عيش، والصحةُ فانه ليس لسَقيم عيش . قيل : ثم ماذا ؟ قال: لا مزيدَ بعد هذا. وقال سَلْمُ بن قُتَيْبَةَ :الشبابُ الصحة ، والسلطانُ الغِنى، والمروءة الصبر على الرجال . وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرةَ :العجَب لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الأحرار بمعروفه . وكان يقول لِبَنيهِ : إذا غدا عليكم الرجلُ وراح مُسَلِّماً فكفى بذلك تقاضياً . وقال خالد بن عبدالله القَسْري : مَحْضُ الجود ما لم تسبقه مسئلة ، وما لم يتبعه مَنٌّ ، ولم يُزْرِ به قِصَرٌ ، ووافق موضعَ الحاجة . وقال بعض المُحْدَثين وهو (حبيب) الطائي :

Marfat.com

أسائِلَ نَصْرٍ لا تَسَلْهُ فإنه أَحَنُّ الى الإرْفادِ منكَ الى الرِّفدِ

وقال آخر وهو ابو العتاهية :

لا تَسْأَلَنَّ المرءَ ذات يَدَيْهِ فلَيَحْقِرَنَّكَ من رَغِبْتَ اليهِ
المرءُ ما لم تَرْزُهُ لك مُكْرِمٌ فاذا رَزَأْتَ المرءَ هُنْتَ عليهِ
وكما يكون لَدَيْكَ من عاشرتَهُ فكذاكَ فارْضَ بأن تكون لَدَيْهِ

ودخل النَّخّارُ العُذْرِيُّ على معاوية في عَباءةٍ فاحتقره ،فرأى ذلك النخّارُ في وجهه فقال له : يا أمير المؤمنين ليست العباءةُ تكلمك إنما يكلمك مَن فيها . ثم تكلم فملأ سمعَهُ ثم نهض ولم يسأله .فقال معاوية : ما رأيت رجلاً أحقرَ أولاً ولا أجلَّ آخراً منه . ودخل محمد بن كعب القرظيّ على سليمان بن عبد الملك في ثياب رَثّةٍ فقال له سليمان: ما يحملك على لبس مثل هذه الثياب ؟ فقال: اكره ان أقول الزُّهْدُ فأطْرِيَ نفسي ،او أقول الفقرُ فأشْكوَ ربي. وحدثني التَّوَّزِيُّ قال . دخل سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب على هشام بن عبد الملك في ثياب وعليه عمامة تخالفها فقال له هشام : كأنّ العمامة ليست من الثياب . قال: انها مستعارة. فقال : كم سِنُّكَ ؟ قال : ستون سنة .قال: ما رأيت ابن ستين أبْقى كِدْنةً منك . (كدنة قوة الجسم قال ابن القوطية: في الأفعال كَدِنَ الشَّفَةُ كُدونا اسودّت ، وأكْدِنَ البعيرُ ،كَثُرلحمه وشحمه)ما طعامك ؟ قال: الخبز والزيت قال . أما تأجمُهما ؟ قال: إذا أجمْتُهما تركتهما حتى أشتهيهما،ثم خرج من عنده وقد صُدِعَ . فقال أُتَرَوْنَ الأحولَ لَقَعَني بعينه . فمات بتلك العلة. (قال ابن الأعرابي: لَقَعَ فلانٌ فلاناً بعينه وزَلَقَهُ وزَلْقَهُ وأزْلَقَهُ وشَقِدَهُ وشوْهَهُ ، ويقول الرجل إذا أجاد في عمله : لا تُشَوِّهْ عليَّ ، اي لا تقل لي أَجدْتَ فتصيبني بالعين. ورجل مَعينٌ اذا أصيب بالعين. وشاةٌ وشائِهٌ وشَقِذٌ وشقِذانٌ) ونظر أعرابي الى رجل جيد الكِدْنةِ فقال: يا هذا اني لأرى عليكَ قطيفةً مُحْكَمةً من نَسْج أضراسك.ودخل أبو الأسود الدُّؤَليُّ(اسم ابي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان ، وقيل ابن عمرو بن جَنْدَلِ بن سفيان، وأمه

Marfat.com

من بني عَبْدِ الدارِ بصري، تابعيٌ ثقة من أصحاب عليّ من كُتّابِهِ على عبيدالله ابن زياد في ثياب رَثّةٍ ، فكساه ثياباً حِساناً فخرج وهو يقول :

كساكَ وما استكسيتَهُ فشكرْتَهُ أخٌ لك يعطيكَ الجزيلَ وناصرُ
وان أحقَّ الناسِ ان كنتَ مادِحاً بمدحكَ من أعْطاكَ والعِرْضُ وافرُ

وحدّثني الرياشي قال : دخل أبو الأسود الدؤلي على عبيدالله بن زياد وقد أَسَنَّ فقال له عبيدالله يَهْزأُ به يا أبا الأسود انك لجميل فلو تعلّقتَ تميمةً تَرُدّ عنك بعضَ العيون . فقال أبو الاسود :

أفْنى الشَّبابَ الذي أفنيتُ جِدَّتَهُ كرُّ الجديدين من آتٍ ومنطلق
لم يَتْركا ليَ في طول اختلافهما شيئاً أخاف عليه لَذْعةَ الحدَق

قوله فلو تعلقت تميمة هي المعاذة يعلقها الرجل. قال ابن قيسِ الرُقَيّاتِ :

صَدَروا ليلةَ انقضى الحجُّ فيهم طَفلةٌ زانها أغَرُّ وَسيمُ
يَتّقي أهلُها العيونَ عليها فعلى جيدِها الرُقى والتَميمُ

وقال أبو ذُؤَيْبٍ :

وإذا المنِيّةُ أنشَبَت أظفارها ألفَيْتَ كلَّ تميمةٍ لا تَنْفَعُ

وقوله :لذعة الحدَق، فهو من قولك لَذَعَتْهُ النارُ اذا لَفَحَتْهُ . ويقال : لَذَعَ فلانٌ فلاناً بأدَبٍ اذا أدّبَهُ أدباً يسيراً كأنه المقدار الذي وصفناه من النار وقولُ ابن قيس الرقيات : زانها أغر وسيم ،فالأغر الأبيض يعني الوجه ، والوسيم الجميل ، والمصدر الوَسامةُ والوَسامُ . وقال بعض المحدّثين ذكرناه بقول أبي الأسود :

قد كنتُ أرتاعُ للبيضاءِ في حَلَكٍ فصرتُ أرتاعُ للسوداءِ في يَقَقِ
مرلم يَشِبْ ليسِ مملاقاً لخليلَتِهِ وصاحبُ الشيبِ للانسوان ذو مَلَقِ
قد كُنَّ يَفْرَقْنَ منه في شَبيبتِهِ فصار يَفْرَقُ ممن كان ذا فَرَقِ
إن الخضابَ لتَدْليسٌ يُغَشُّ به كالثوب في الرَوق مطويّاً على خرَقِ

Marfat.com

ويروى : يُطْوى لِتَدْليسٍ على حَرَقِ . وشبيهٌ بهذا المعنى قول أبي تَمّامٍ :

طالَ إنْكاريَ البياضَ وإن عُمِّرْتُ شيئاً أنكرتُ لونَ السَوادِ

وحدّثني الزِيادِيُّ قال : قيل لأعرابي : ألا تَخْضِبُ بالوَسْمَةِ ؟ فقال: لِمَ ذاكَ ؟فقال: لِتَصْبوَ اليك النساء. فقال: أما نساؤنا فما يُرِدْنَ بنا بديلاً وأما غيرهن فما نَلْتَمِسُ صَبْوَتَهُنّ . وقال العُتْبِيُّ :

وقائلةٍ تَبَيَّضْ والغَواني نوافِرُ عن مُعالَجةِ القَتيرِ

(ويروى معالجة بكسر اللام، فمن فتح اللام جعله مصدراً ، ومن كسر اللام فهي الجماعة التي تعالج ذلك الشيء) .

عَليْكَ الخِطْرَ عَلَّكَ أن تَدَنّى الى بيضٍ تَرائِبُهُنّ حُورِ
فقلتُ لها المشيبُ نذيرُ عُمْري ولَسْتُ مُسَوِّداً وَجْهَ النَذيرِ

وقال آخر وهو أبو خالد يزيد بن محمد المُهَلّبيُّ :

صَبَغْتُ الرأسَ خَتْلاً للغواني كما غَطّى على الرَيْبِ المُريبُ
أُعَلِّلُ مرةً وأُسامُ أخرى ولا تُحْصى من الكِبَرِ العُيوبُ
أُسَوِّفُ توبَتي خمسينَ عاماً وظَنّي أن مِثْلِيَ لا يتوبُ
يُقَوِّمُ بالثِقافِ العودُ لَدْناً ولا يَتَقَوَّمُ العودُ الصَليبُ

وقال مالك بن دينار : جاهِدوا أهواءكم كما تُجاهِدونَ أعداءكم. وكان يقول ما أشدَّ فِطامَ الكبير . وقال آخر :

دعي لَوْمي ومَعْتَبَتي أُماما فإني لم أعَوِّدْ أن ألاما
وكيف مَلامتي إذ شابَ رأسي على خُلُقٍ نشأتُ به غُلاما

وقيل لأعرابي : ألا تُغَيِّرُ شيبك بالخضاب ؟ فقال : بلى. ففعل ذاك مرة ثم لم يُعاوِدْ . فقيل له : لِمَ لا تُعاوِدُ الخِضابَ؟ فقال: يا هَناهُ لقد شَدَّ لَحْيايَ فجعلت إخالُني ميتاً . وقال بعض المُحَدِّثينَ ، وهو محمود الورّاقُ :

Marfat.com

يا خاضِبَ الشَيْبِ الذي في كل ثالثةٍ يَعودُ
إن النُصولَ اذا بدا فكأنه شَيْبٌ جديد
وله بَديهةُ لَوْعةٍ مكروهُها أبداً عَتيد
فدَعِ المشيبَ لِما أرا دَ فلَنْ يَعودَ كما تُريد

وقال محمود أيضاً :

أليس عَجيباً بأنّ الفتى يُصاب ببعض الذي في يَدَيْهِ
فمِنْ بين باكٍ له موجَعٍ وبين مُعَزٍّ مُفِدٍّ اليهِ
ويَسْلبُهُ الشيبُ شرْخَ الشباب فليس يُعَزّيهِ خَلْقٌ عليهِ

وقال أيضاً :

يا خاضبَ الشَيبةِ نحْ فقدَها فإنما تُدْرِجُها في كَفَنْ
أما تَراها مُنْذُ عايَنْتَها تَزيدُ في الرأس بنقص البَدَنْ

وقال أيضاً :

إغْتَنِمْ غَفْلةَ المَنيّة واعلم أنما الشيبُ للمنية جَسْرُ
كم كبيرٍ يوم القيامة يُقْصَى وصَغيرٍ له هنالك قَدْرُ

(قال ابو الحسن : يقال جِسْرٌ وجَسْرٌ ، وهو مأخوذ من الناقة الكبيرة يقال لها الجَسْرُ) . وقال أعرابي (هو أبو النَجْم) :

قالت سُلَيْمى أنتَ شيخٌ أنْزَعُ فقلتُ ما ذاكِ وإني أصْلَعُ
ثم حَسَرْتُ عن صَفاةٍ تَلْمَعُ فأقبلتْ قائلةً تسترجعُ
ما رأسُ ذا إلا جَبينٌ أجْمَعُ

وقال آخر وهو رُؤْبةُ :

قد تَرَكَ الدهرُ صَفاتي صَفْصَفا فصار رأسي جَبْهةً الى القفا
كأنه قد كان رَبْعاً فعَفا يُمْسي ويُضْحي للمَنايا هَدَفا

وكان نَصْرُ بن حَجّاج بن عِلاطٍ السُلَمِيُّ ثم البَهْزِيُّ جميلا ، فعَثَرَ

Marfat.com

عليه عمر بن الخطّاب رحمه الله ، في أمرِ اللهُ أعلم به ، فحلق رأسه . وكان عمرُ أصلَعَ لم يَبْقَ من شعره إلا حِفافٌ ، كذلك قال الأصمعي . فقال نصر ابن حجّاج :

لَضَنَّ ابنُ خَطّابٍ عليَّ بحُمَّةٍ إذا رُجِّلَتْ تهتزُّ هزَّ السلاسلِ
فصَلْعَ رأساً لم يُصَلِّعْهُ رَبُّهُ يَرِفُّ رفيفاً بعد أسْودَ جائِلِ
لقد حسَدَ الفُرْعانَ أصْلَعُ لم يكن اذا ما مشى بالفَرْعِ بالمُتخايلِ

قوله: بالفَرع بالمتخايل، ليس أنه جعل بالفرع من صلة المتخايل فيكون معناه بالذي يَختال بالفرع ، فيكون قد قدّمَ الصِلةَ على الموصول، ولكنه جعل قوله بالفرع تبييناً، فصار بمنزلة بك التي تقع بعد مَرْحَباً للتبيين، وقد مرّ تفسير هذا مستقصىً في الكتاب المُقْتَضَبِ وقال آخر :

تُغَطّي تُمَيْرٌ بالعمائم لُؤْمَها وكيف يُغَطّي اللُؤْمَ طَيُّ العمائم
فإن تَضْربونا بالسِياطِ فإننا ضربناكمُ بالمُرْهفاتِ الصَوارم
وإن تَحْلِقوا منا الرؤوس فاننا حَلَقْنا رؤوساً باللِحا والغَلاصِم
وإنْ تمْنعوا منا السِلاحَ فعندنا سلاحٌ لنا لا يُشْتَرى بالدراهم
جَلامِيدُ أمْلاءُ الأكُفِّ كأنها رؤوسُ رجالٍ حُلِّقَتْ بالمَواسم

وكان يزيد بن الطَثَرِيّةِ غَزِلاً ، وكان أخوه ثوراً ذا مال ، فكان يزيد يأتي العطّار فيقول : ادّهِني دَهْنةً بناقة من إبل ثور ، فيفعل ذلك. وكان ذا جُمّةٍ حَسَنَةٍ ، فإذا كثر عليه الدين هرب فتَبَدّى ، فاذا ذَكَرَ حُوشِيّةَ ، وهي امرأة كان يُشَبِّبُ بها (حوشيّة بنت أبي فُدَيْكِ بن قُرّة ، ولها مع يزيد حديثٌ طَريفٌ) قَدِمَ فاقتطعَ من إبل أخيه ما يَقْضي به دَيْنه . وفي ذلك يقول :

قضَى غُرَمائي حُبُّ أسماءَ بعدما تَخَوّفني ظُلْمٌ لهم وفُجور
فذلك دَأبي ما حييتُ وما مَشَى لِثَوْرٍ على ظهرِ الفلاة بعير

Marfat.com

فاستَعْدى عليه ثورٌ السلطانَ فأمر بحلق رأسه . فقال :

أقول لثَوْرٍ وهو يحلِق لِمّتي بمَقفاءَ مردودٌ عليها نِصابُها
تَرَفَّقْ بها يا ثورُ ليس ثوابُها بهذا ولكنْ عند ربي ثوابُها
ألا ربما يا ثورُ فَرّقَ بينهـا أناملُ رَخْصاتٌ حديثٌ خِضابُها
فبَهْلِكُ مِدْرى العاجِ في مُدْلَهِمّةٍ اذا لم تُفَرّجْ مات غمّاً صُؤابُها
فجاء بها ثور تَرِفٌ كأنهـا سلاسِلُ بَرْقٍ لينُها وانسِكابُها
ورُحْتُ برأسٍ كالصُخَيْرةِ أشْرَفَتْ
عليها عُقابٌ ثم طارتْ عُقابُها
خداريّةٌ كالشَرْيةِ الفَرْدِ جادَها من الصيف أنواءٌ مَطيرٌ سَحابُها

٣٩ - باب

قال رجل من المتقدمين وهو قيس بن عاصم المِنْقَريُّ :

أيا ابنةَ عبدِ اللهِ وابنةَ مالكٍ ويا ابنةَ ذي البُرْدَيْنِ والفَرَسِ الوَرْدِ
اذا ما أصَبْتِ الزادَ فالتمسي له أكيلاً فإني لستُ آكِلَهُ وحْدي
قَصِيّاً كَريماً أو قَريباً فانني أخافُ مَذَمّاتِ الأحاديثِ من بعدي
واني لَعَبْدُ الضَيْفِ ما دام ثاوياً وما من خِلالي غيرَها شيمةُ العبدِ

غيرها استثناء مقدم وقد مضى تفسيرهُ ، وقوله : قصياً كريماً، من طَريف المَعاني. وذلك انه لم يحتج الى ان يشترط في نِسْبته الكَرَم لأنه قد ضَمِنَ ذلك واشترط في القَصِيّ ان يكون كريماً لأنه كره ان يكون مُؤاكِلُه غيرَ كَريمٍ. وهذا ليس من الباب الذي ذكره جرير حيث يقول في هجائه بني هِزّانَ :

ضَيْفُكمْ جائعٌ ان لم يَبِتْ غَزِلا وجارُكمْ يا بني هِزّانَ مَسروقُ

Marfat.com

رأيتُ هِزّانَ في أخراجِ نِسْوتِها رَحْبٌ وهِزّانُ في أخلاقِها ضيقُ

وقال آخر من المُحْدَثينَ وهو يحيى بن نوفل أنشده دِعْبِلٌ :

كنتُ ضيفاً بِبَرْمَنايا لعبدِ الله والضيفُ حقُّه معلوم
فانْبَرى يَمدحُ الصيامَ الى ان صُمْتُ يوماً ما كنتُ فيه أصومُ
ثم أنشا يَستامُ بِرْذَوْنيَ الوَرْ دَ مُلِحّاً كما يُلِحُّ الغَريم

(قال الاخفش يروي بِرْذَوْنيَ الزَرْدَ وهو الاصفر) :

ولَعَمْري إنّ ابنَ قَيْلَةَ إذ يَسْتامُ بِرْذَوْنَ ضيفِه للئيم

وقال رجل أنشدنيه السِجِسْتانيُّ يقوله لابن دَعْلَجٍ ، وكان ابن دعلج يتوالى بني تميم :

اذا جئتَ الامير فقلْ سَلامٌ عليكَ ورحمةُ اللهِ الرحيمِ
وأمّا بَعْدَ ذاكَ فلي غريمٌ من الأعْراب قُبِّحَ من غريم
لَزومٌ ما عَلِمْتُ بباب داري لزومَ الكهفِ أصحابُ الرَّقيمِ
له مائةٌ عليَّ ونصفُ أخرى ونصفُ النِصْفُ في صَكٍّ قديم
دراهمُ ما انتفعتُ بها ولكن حَبَوْتُ بها شيوخَ بني تميم

(زاد أبو الحسن :

أتَوْنيَ في العَشيرة يسألوني ولم أكُ في العَشيرة بالمُليمِ

قال أبو الحسن : لم يعرف أبو العباس هذا البيت الاخير وهو صحيح) .
وجاوَرَ قيسُ بن عاصم بنِ سِنان بن خالد بن مِنْقَر بن عُبيدٍ تاجراً خَمّاراً ، فشرب شرابهُ وأخذ متاعه ثم أوثقه ، فقال : افْدِ نفسك . وقال في ذلك :

وتاجرٍ فاجرٍ جاءَ الإلهُ بـه كأنّ عُثْنونَهُ أذْنابُ أجمالِ

(قال ذلك لأن ذَنَبَ البعير يَضْرِبُ الى الصُهْبَةِ وفيه استواء ، وهو يشبه اللِحْيَةَ) . وقال النَمِرُ بن تَوْلَبٍ :

Marfat.com

اذا كنتَ في سَعْدٍ وأمُّكَ منهم غريباً فلا يَغْرُرْكَ خالُكَ من سعدِ
فان ابن أخت القوم مُصْغًى اناؤُهُ اذا لم يَزاحِمْ خالَهُ باب جَلْدِ

واستعمل رسولُ الله ﷺ قَيْسَ بن عاصم على صدقات بني سعد ، فتوفي رسول الله ﷺ فقسمها قيس بعدُ في بني مِنْقَرٍ وقال :

مَن مُبْلِغٌ عنّي قُريشاً رِسالةً اذا ما أتتها مُحْكَماتُ الوَدائعِ
حَبَوْتُ بما صَدَّقْتُ في العام مِنْقَراً وأيأسْتُ منها كلَّ أطلَسَ طامِعِ

وجاور عُرْوةُ بن مُرَّةَ أخو أبي خِراشٍ الهُذليّ ثُمالةَ من الأزْد ، فجلس يوماً بفِناء بيته آمِناً لا يخاف شيئاً ، فاستدبره رجل منهم من بني بَلالٍ بسهم فَقَصَمَ صُلْبَهُ ، ففي ذلك يقول أبو خراش :

لَعَمْرَ الالهُ وُجوهَ قومٍ رُضِخْ غَدَروا بعُرْوةَ من بني بَلالِ

وأُسِرَ خراشُ بن أبي خراش أسَرَته ثُمالةُ ، فكان فيهم مقيماً ، فدعا اسرُهُ يوماً رجلاً منهم للمنادمة ، فرأى ابنَ أبي خراش موثَقاً في القِدِّ ، فأمْهَلَ حتى قام الآسِرُ لحاجة . فقال المدْعُوُّ لابن أبي خراش : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابن أبي خراش . فقال : كيف دِلْيلاكَ ؟ قال : قَطاةٌ . قال: فقم فاجلس ورائي وألقى عليه رِداءَهُ ، ورجع صاحبه فلما رأى ذلك أصْلَتَ بالسيف . وقال . أسيري فَتَثَلَ الجبرُ كِنانَتَه وقال : والله لأرْمِيَنَّكَ ان رُمْتَهُ فاني قد أجرته ، فَتَخَلَّى عنه ، فجاء الى أبيه ، فقال له : من أجارك ؟ فقال : والله ما أعرفه . فقال أبو خراش ، وقال الرواة: لا نعرف أحداً مَدَحَ مَنْ لا يَعْرِفُ غير أبي خراش :

حَمِدْتُ الهي بعد عُرْوةَ اذ نَجا خراشٌ وبعضُ الشَرِّ أهْوَنُ من بعض
فوالله لا أنْسى قَتيلاً رُزِيتُهُ بجانب قَوْسى ما مَشَيتُ على الارض
بَلى انها تَنْفُو الكُلومُ وانما نُوَكَّلُ بالأدْنى وان جَلَّ ما يَمْضي
ولم أدْرِ مَنْ ألْقى عليه رداءَهُ على انه قد سُلَّ عن ماجدٍ مَحْض

Marfat.com

(ولم يَكُ مَثلوجَ الفُؤاد مُهَبَّجا أضاع الشَباب في الرَبيلةِ والخَفْضِ
ولكنه قد لَوَّحَتْهُ مَخامِصٌ على أنه ذو مِرَّةٍ صادقُ النَّهْضِ)
كأنهمُ يَسْعَوْنَ في إثرِ طائر خفيفِ المُشاشِ عَظمُهُ غيرُ ذي نحْض
يبادر جُنْحَ الليلِ فهو مُهابِذٌ يَحُثُّ الجناحَ بالتَبَسُّطِ والقَبض

قوله : قَبَحَ الاله وجوه قوم رُضَّع ، فهو جماعة راضع ، وقوم يقولون هو توكيد للثيم ، كما يقولون : جائع نائعٌ وحَسَنٌ بَسَنٌ وعطشان نَطْشان وأجمَعُ أكتَعُ . وقوم يقولون : الراضع هو الذي يرتضع من الضَرْع لئلا يسمع الضيفُ او الجار صوت الحَلَبِ فَيَطلُبَ منه ، وتصديقُ ذلك ما أنشدَناه أبو عثمان عمرو بن بحر لرجل من الاعراب يَنْسُبُ ابنَ عمٍّ الى اللؤم والتوحش :

أحَبُّ شيء اليه أن يكون له حُلْقومُ وادٍ له في جوفه غارُ
لا تَعْرِفُ الريحُ مَمْساهُ ومُصْبَحَهُ ولا يُشَبُّ اذا أمْسى له نارُ
لا يَحْلُبُ الضَرْعَ لؤماً في الاناء ولا يُرى له في نواحي الصَحْن آثارُ

وقوله : كيف دِلِّيلاكَ فهي كثرة الدِلالة والفِعْيل انما تستعمل في الكثرة. يقال : القِتِّيتَى لكثرة التَّميمة ، ويقال الهِجِّيرَى لكثرة الكلمة المترددة على لسان الرجل . يقال : ذِكْرُك هِجِّيراىَ ، أي هو الذي يجري على لساني ، وفي الحديث كان هِجِّيرَى أبي بكر الصديق رحمه الله بلا اله الا الله . ويقال : كان بينهم رميًا لكثرة الرَمْيِ ، وكذلك كل ما أشبه هذا. وقوله : بجانب فُوسَى فهو بلد تَحُلُّهُ ثُمالةُ بالسَراة . وقوله : بلى انها تعفو الكلوم ، فهي الجِراحُ والآثار التي تشبهها . قال جرير .

تَلْقى السُلَيطيَّ والابطالُ قد كَلِموا وَسْطَ الرجال سليماً غير مكلوم

وينشَد وسط الرِحال ، وتعفو تَدْرُسُ . وقوله : عظمه غير ذي نحض النَحْضُ اللحم ، يقال : يأكل نحضاً . ويُرَوِّي الرجال نَحْضاً . وقوله : فهو مهابذ يقول مجتهد وهُذَيْل فيها سعيٌ شديد ، وفي جماعة من القبائل التي تَحُلُّ بأكناف الحجاز . ولقي الزِبْرِقانُ بن بَدْرٍ وهو قاصدٌ بصَدقاتِ قومه الى

Marfat.com

أبي بكر الصديق رحمه الله الحُطَيْئَةَ في طريقه، فقال له الزبرقانُ : مَن أنت؟ فقال : انا أبو مُلَيْكةَ انا حَسَبٌ موضوع فقال له الزبرقانُ : اني أريد هذا الوجه ومالَكَ منزلٌ فامْضِ الى منزلي بهذا السَهْمِ فَسَلْ عن القَمَرِ بن القَمَر وكن هناك حتى أعود اليك، ففعل. فأنزلوه وأكرموه فأقام فيهم فحسدهم عليه بنو عمهم من بني قُرَيْعٍ . وذلك أن الزبرقان من بني بَهْدَلَةَ بن عوف بن كَعْبِ بن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم وحاسدوه بنو قُرَيْعِ بن عوف بن كعب ابن سعد. ولم يكن لعوف الا قريع وعُطارِدٌ وبَهْدلةُ ، وكان الذين حسدوه منهم بنو لأيِ بن شمّاسِ بن أنفِ الناقةِ بن قريع فَدَسُّوا الى الحطيئة أن تحَوَّلْ الينا نُعْطِكَ مائة ناقة ونشدٌ كل طُنُبٍ من أطناب بيتك بِجِلَّةٍ بَجْوَنَةٍ قال ؛ فأنّى لي بذلك . قالوا : انهم يريدون النُجْعَةَ ، فاذا احتملوا فتَخلَّفْ عنهم . ثم دَسُّوا الى امرأة الزبرقان ، مَن خَبَّرَ بأن الزبرقان انما قدّم هذا الشيخَ ليتزوج ابنته ، فقَدَح ذلك في قلبها ، فلما تحمل القوم تخلّف الحطيئةُ فاحتمله القُرَيْعيّونَ فبَنَوْا له ووَفَوْا له . فلما جاء الزبرقانُ صار اليهم ، فقال : رُدُّوا عليَّ جاري . فقالوا : ليس لك بجار وقد طرحتَه، فذلك حيث يقول الحطيئة :

وانّ التي نَكَّبْتُها عن مَعاشِرٍ ... عَليَّ غِضابٍ أنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا
أتَتْ آلَ شمّاس بن لأيٍ وانما ... أتاهم بها الأحْلامُ والحَسَبُ العِدُّ
فان الشَقِيَّ مَنْ تُعادي صُدورُهُمْ ... وذا الجَدُّ من لانوا اليه ومَنْ وَدُّوا
يَسُوسونَ أحلاما بَعيداً أناتُها ... وان غضِبوا جاء الحَفيظةُ والجِدُّ
أقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكم ... من اللَّوْمِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سَدُّوا
أولئك قوم ان بَنَوْا أحسنوا البُنا ... وانعاهدوا أوْفَوْا وان عقدوا شدّوا
وان كانت النعماءُ فيهمْ جَزَوْا بها ... وان أنْعموا لا كدّروها ولا كدّوا
وان قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ ... من الدهر رُدُّوا فضل أحلامكم رَدُّوا
وتَعْذُلُني أفناءُ سعدٍ عليهمُ ... وما قلتُ الا بالذي علِمتْ سعدُ

قوله : جلة بجونة أي ضخمة ، يقال ذلك للناقة والنخلة اذا استفحلتْ

Marfat.com

وطالت . وقوله : نكَبْتُها ، يقول عدلت بها . وقوله : والحسب العِدُّ معنى الجليل الكثير . وأصل ذلك في الماء ، يقال بئر عِدٌّ اذا كانت ذات مادة من العيون لاتنقطع ، وكل ماء ثابت فهو عِدٌّ . وقوله : يسوسون احلاماً بعيداً أناتُها ، يقول : ثِقالٌ لا يُبْلَغُ آخرها ، وأصل الاناة من التأني والانتظار ، فيقول : لا يُبْلَغُ آخرها فتُسَفَّهَ . وقوله : أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البُنا وان شئت قلت البِنا ، فهما مقصوران ، يقال : بَنى بِنْيَةَ وبُنْيَةِ بِنىً ، وجمع بُنْيَةٍ بُنىً فبِنية وبِنىً ككِسْرةٍ وكِسَرٍ ، وبُنية وبُنىً كظُلْمَة وظُلَمَ . فأما المصدر من بنيتُ ، فممدود ، يقال بنيته بناء حسناً وما أحسن بناءك . وقوله : وان عاهدوا أوفوا ، أوْفى في أحسن اللغتين ، يقال وَفى أوْفى ، قال الشاعر فجمع اللغتين :

أما ابن بِيضٍ فقد أوْفى بذمَّتِهِ كما وَفى بقِلاصِ النجم حاديها

وفي القرآن : بَلى مَن أوْفى بعَهْده . وقال الله تبارك وتعالى : وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم . وقال عز وجل : والموفونَ بعهدهم اذا عاهدوا ، فهذا كله على أوْفى . وقال رسول الله ﷺ فيما روى من انه قَتَلَ مسلماً بمعاهدٍ . وقال : أنا أوْلى مَن أوفى بذمته وقال السَمَوْأَلُ في اللغة الاخرى :

وفَيْتُ بأدْرُعِ الكِنْدِيِّ اني اذا عاهدتُ أقواماً وَفَيْتُ

وقال المُكَعْبَرُ الضَبِّيُّ ، قال أبو الحسن حفظي المُكَعْبِرُ) :

وَفَيْتُ وفاءً لم يَرَ الناسُ مثلَه بتِعْشارَ اذ تَحْبو اليَّ الاكابرُ

وقوله

وان كانت النَعْماءُ فيهم جَزَوْا بها وان أنعَموا لا كدَّروها ولا كدّوا

يقول ما قال جرير مثلَه :

واني لأسْتَحْيي أخي أن أرى له عليَّ من الحقِّ الذي لا يَرى لِيا

يقول استحيي ان أرى نعمته عليَّ ولا يرى على نفسه لي مثلها . وقوله : على جُلِّ حادثٍ ، فهو الجليل من الامر . يقال : فلان يُدْعى للجُلَّى . قال طَرَفَةُ

Marfat.com

وان أدْعَ للجُلّى أكنْ من حُماتها . وفيهم يقول الحطيئة :

لقد مَرَيْتُكمُ لو ان دِرّتَكمْ يوماً يجيءُ بها مَسْحي وإبْسامي
لما بَدا ليَ منكم غَيْبُ أنفسكم ولم يكن لجراحي فيكمُ آسي
أزْمَعْتُ يأساً مُبيناً من نَوالِكمُ ولا ترى طارداً للحُرّ كالياس
ما كان ذنبُ بغيضٍ لا أبالكمُ في بائِس جاء يحدُو آخِرَ الناس
جارٍ لنوم أطالوا هُونَ منزله وغادروهُ مُقيماً بين أرْماس
مَلُوا قِراهُ وهَرّتْهُ كلابهمُ وجَرّحوه بأنيابٍ وأضْراس
دعِ المكارمَ لا تَرْحَلْ لِبغْيتها واقعُدْ فانكَ أنتَ الطاعِمُ الكاسي
مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَهُ لا يَذْهبُ العُرْفُ بينَ الله والناس

قوله: لقد مريتكم ، أصل المرْيِ المسح يقال : مَرَيْتُ الناقة اذا مسحتَ ضَرْعها لِتدُرّ . ويقال : مَرَى الفرسُ والناقةُ اذا قام أحدُهما على ثلاث ومَسَحَ الارضَ بيده الاخرى قال الشاعر :

اذا حُطّ عنها الرحلُ ألقتْ برأسها الى شَذَبِ العيدانِ أو صَفَنَتْ تَمري

وهذا من أحسن أوصافها . وقال بعض المحْدَثين يَصِفُ بِرْذَوْنا بحسن الأدَبِ) .الشعرلمحمد بن يزيد من ولد مَسْلمة بن عبد الملك يصف فرسه وقبله :

عَوّدْتُهُ فيما أزورُ حبيبي إمهالَهُ وكذاكَ كلُّ مُخاطِرِ)
واذا احْتَبى قرَبوسُهُ بعِنانِهِ عَلكَ اللجامَ الى انصراف الزائر

ويقال مَراه مائة سوط ومائة درهم اذا أوصل ذلك اليه ، ولِمَراهُ موضع آخر ومعناه مَراهُ حقه اذا دفعه عنه ومنعه منه ،وقد قرِيء :أفتَتَمْرونَهُ على ما يَرى ، أي تدفعونه ، وعلى ، في موضع : عن . قال العامري (هو القُحَيْفُ العُقَيْلي) :

إذا رَضِيَتْ عليّ بنو قُشَيْرٍ لَعمْرُ الله أعجبني رِضاها

Marfat.com

وبنو كعبِ بن ربيعةَ بن غامر يقولون: رضي الله عليك . وأما الإبْساسُ فان تدعو الناقة باسمها أو تُليِّنَ لها الطريق الى الحَلَبِ ، بقولٍ أومسح أو ما أشبه ذلك . فاذا كانت الناقة تَدُرُّ على الدعاء والمَلَقِ . قيل: ناقة بَسوسٌ، وذلك من صفاتها في حسن الخُلُق . وقوله : ولم يكن لجراحي فيكم آسي . يقول مداوٍ : والآسي الطبيب . قال الفرزدقُ يصف شَجَّةَ :

اذا نَظَرَ الآسونَ فيها تَقَلَّبَتْ حَمالِيقُهُمْ من هول أنيابها العُصْل

والإساءُ الدواء ممدود . قال الحطيئة :

هُمُ الآسونَ أمَّ الرأسِ لمّا تَواكَلَها الأطِبّةُ والإساءُ

وأما الأسَى فمقصور وهو الحُزْنُ ، من ذلك قول الله جل ثناؤه فلا تأسَ على القوم الكافرين . وقال العَجّاجُ :

يا صاحِ هل تَعْرِفُ رَسْماً مُكْرَما قال : نعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسا
وانْخَلَبَتْ عيناه من فَرْطِ الأسَى

فاذا قلت الأُسَى قصرتَ ، وهو جمع أُسْوةٍ . يقال: فلان أُسوتي وقُدْوتي. قال الله عز وجل : لقد كان لكم في رسول الله أُسْوةٌ حسنةٌ ، والرَمْسُ التراب . يقال : رُمِسَ فلان في قبره ، وأشعار الحُطَيْئة في هذا الباب كثيرة ولولا انها معروفة مشهورة لأتينا على آخرها ، ولكننا نذكر منها شيئاً مختاراً. فمن ذلك قوله :

جَزى الله خيراً والجزاءُ بكفِّهِ على خير ما يَجْزي الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جُدْناه ضَنَّ فلم يُسَلْ وصادف مَنّاً في البلاد عَريضا

كذا وقعت الرواية مَنّاً والصواب مَنْئاً ، أي بُعداً ، مأخوذٌ من نَأَيْتُ اذا بَعُدْتَ ومنه النأيُ) . يقول كثرت محاسنه حتى كُذِّبَ ذامُّهُ فاستَغنى عن ان يُكَثِّرَ مادحِهُ ثِقةً بأنّ هاجيه غير مُصَدَّقٍ ، فاعْتَبِرْ هذا الكلام فانك تجدُه رأساً في بابه . ومن ذلك قوله :

Marfat.com

واني قد عَلِقْتُ بحبل قومٍ أعانَهُمُ على الحسَب الثَراءُ
اذا نَزَلَ الشِتاءُ بجار قومٍ تَجَنَّبَ جارَ بيتِهِمُ الشتاءُ
هُمُ الآسونَ أمَّ الرأسِ لَمَّا تَوَاكَلَها الأطِبَّةُ والإساءُ

ثم قال يخاطب الزِبرِقانَ ورَهْطَه :

ألم أكُ ثانياً فدَعَوْتموني فجاءَ بيَ المواعِدُ والدُعاءُ
فلما كنتُ جارَكُمُ أبيتمْ وشَرُّ مَواطِنِ الحَسَبِ الإباءُ
ولما كنتُ جارَهُمُ حَبَوْني وفيكم كانَ لو شئتمْ حِباءُ
فلما أن مدحتُ القومَ قُلتم هجوتَ وهل يَحِلُّ لي الهِجاءُ
ولم أشْتِمْ لكم حَسَباً ولكن حَمَدْتُ بحيث يُسْتَمَعُ الحُداءُ

ويروى ان الحطيئة واسمه جَرْوَلُ بن أوْس ويُكْنى أبا مُلَيكةَ : مَرَّ بحسان بن ثابت وهو يُنْشِدُ (ش أدخله سيبويه رحمه الله على أن الجفَنات من الجمع الكثير) :

لنا الجَفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بالضُحى * وأسيافُنا يَقْطُرْنَ من نَجْدةٍ دما

فالتفت اليه ، فقال : كيف تَرى ؟ فقال : ما أرى بَأساً . فقال حسان : انظروا الى الأعرابي يقول : ما أرى بأساً، أبو مَن؟ قال : أبو مُلَيكةَ . قال حسان : ما كنتَ عليَّ أهونَ منك حيث اكْتَنَيْتَ بامرأة ، ما اسمُك ؟ قال : الحطيئةُ . قال : امْضِ بسلام وكان الحطيئة في حبس عمر بن الخطاب رحمه الله باستدعاء الزِبْرِقانِ عليه في هذه القصة ، ولعمر يقول :

ماذا تقولُ لِأفْراخٍ بذي مَرَخٍ حُمْرِ الحواصِلِ لاماءٌ ولا شَجَرُ
ألْقَيْتَ كاسِبَهم في قَعْرِ مُظْلِمةٍ فاغفِرْ عليك سلامُ الله يا عمرُ
أنت الامام الذي من بعد صاحبه ألقتْ اليك مقاليدَ النُهى البَشَرُ
ما آثروكَ بها إذ قَدَّموكَ لها لكنْ بكَ استأثروا اذ كانتْ الأُثَرُ

ويروى عن أبي زيد الانصاري أنه قال ويروي الإثَرُ والواحدة أثْرة

* لنا الجفنات ... : وعلى البيت مآخذ . فاللمعان في الضحى شيء لا يعتد به . والأسياف جمع قلة . ومن نجدة : تعني لم يبدأ القتال .

Marfat.com

وإنْرة ومعناه الاستئثار، فسَرَقٌ له عمر فأخرجه ، فيُروى أن رحمه الله دعا بكُرسيٍّ فجلس عليه ،ودعا بالحطيئة فأجلسه بين يديه، ودعا بإشْفى وشفْرةٍ يُوهمُه أنه على قطْعِ لسانه حتى ضَجَّ من ذاك ، فكان فيما قال له الحطيئة : يا مير المؤمنين اني والله قد هجَوْتُ أبي وأمي وهجوت امرأتي وهجوت نفسي فتبسّم عمر رحمه الله ثم قال: فما الذي قلتَ؟قال: قلتُ لأبي وأمي والمخاطبة للأم:

ولقد رأيتُكِ في النساءِ فسُؤْتِني وأبا بَنيكِ فساءَني في المجْلس

وقلت لها :

تَنَحَّيْ فاجلسي مِني بَعيداً أراحَ الله منكِ العالمينا

أغِرْبالاً اذا استُوْدِعْتِ سِرّاً وكانوناً على المُتَحَدِّثينا

(قوله : كانوناً قيل الكانون النَمّامُ ، وقيل الثقيل، وقيل الذي اذا دخل على القوم كَنَّوا حديثهم منه ، وقيل هو المُصْطَلي وقيل إنه هو كانون النار لأنه يُؤْذي ويُحْرِق) وقلت لامرأتي :

أُطوِّفُ ما أُطوِّفُ ثم آوي الى بيتٍ قعيدتُه لُكاعِ

فقال له عمر رحمه الله : فكيف هجوتَ نفسك ؟ فقال: اطَّلَعْتُ في بئر فرأيت وجهي فاستقبحته . فقلت :

أبَتْ شَفَتايَ اليومَ إلاّ تَكَلُّماً بسوءٍ فما أدْري لِمَنْ أنا قائلُه

أرى لِيَ وَجْهاً قبَّحَ الله خَلْقَهُ فقُبِّحَ من وجه وقُبِّحَ حامِلُه

ونزل أعرابي من طيّىء يقال له المُثَنّى بن معروف بأبي جَبْرٍ الفَزاريّ فسمعه يوماً يقول : والله لوَدِدْتُ أني أبيتُ الليلة خالياً بابنة عبد الملك بن مَرْوان . فقال له المثنى أحلالاً أم حراماً ، فقال : ما أبالي ، فوَثَب عليه فضرب رأسه برحالةٍ ثم انتقل وهو يقول :

أبْلِغْ أميرَ المؤمنينَ رسالةً على النأيِ أني قد وَرِثْتُ أبا جَبْرِ

كسرتُ على اليافوخِ منه رِحالةً لنَصْرِ أمير المؤمنين وما يَدْري

على غيرِ شيءٍ غيرَ أني سمعتُهُ يَبُنّي بنساءِ المسلمين بلا مَهْرِ

ويروى أن الحجاج جلس لقتل أصحاب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعثِ ،

Marfat.com

فقام رجل منهم فقال : أصلح الله الامير، ان لي عليك حقاً قال : وما حقُّكَ؟ قال : سبّكَ عبدُ الرحمن يوماً ، فرددت عليه . قال : من يعلم ذاك ؟ قال : أنشُدُ اللهَ رجلاً سمع ذاك إلاّ شَهِدَ به ، فقام جل من الأُسَراءِ فقال : قد كان ذاك أيها الأمير . قال : خَلُّوا عنه . ثم قال للشاهد: فما منعَكَ أن تُنكِرَ كما أنكر ؟ قال : لقديم بُغضي إيّاكَ . قال : ويُخَلَّى عنه لصدقه . وقال عمر ابن الخطاب لرجل وهو أبو مريم السّلولي : واللهِ لا أحبّك حتى تُحِبَّ الارضُ الدَّمَ . قال : أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس انما يأسَفُ على الحُبِّ النساءُ (وهم أبو العباس رحمه الله في قوله : أبو مريم السلولي انما هو أبو مريم الحَنَفيُّ ، وكان سببُ بغضِهِ اياه أنه قتل أخاه زيدَ بن الخطاب ، وكان أبو مريم صاحِبَ مُسَيْلمةَ الكذابِ ،واسم أبي مريمِ اياسُ بنُ صُبَيْحٍ، ثقةٌ كوفي، واسم أبي مريم السلولي مالك بن ربيعة من الصحابة . وروى عنه ابنه يزيد وغيره) .وقال الحجاج لرجل من الخوارج: والله اني لأُبْغِضُكُمْ . فقال له الخارجي: أدخلَ الله أشدنا بغضاً لصاحبه الجنةَ . وأُتيَ الحجاجُ بامرأة من الخوارج فجعلت لا تنظر اليه، وكان يزيد بن أبي مسلم يرى رأي الخوارج ويكتم ذاك ، فأقبل على المرأة فقال : انظري الى الامير . فقالت : لا أنظر الى مَنْ لا ينظر الله اليه ، فكلمها الحجاج وهي كالساهية . فقال لها يزيد : اسمعي ويْلَكِ من الامير . فقالت : بل الويل لك أيها الكافرُ الرِدّيُّ ، والرِدّيُّ عند الخوارج الذي له عَقْدُهمْ ويُظهر خلافه رغبة في الدنيا . وكان صالح بن عبد الرحمن كاتِبَ الحجاج وصاحِبَ دواوين العراق والذي قَلَبَ الدواوين الى العربية ثم كان على خَراجَ العراق أيامَ وَلِيَ يزيدُ بن المُهَلَّبِ فأشْجى يزيدَ وقد كان يرى رأي الخوارج فكايَدَهُ يزيدُ بن أبي مسلم مَوْلى الحجاج ، فأشار على الحجاج أن يأمره بقتل جَوّابِ الضَبّيْ وهو رأس من رؤوس الخوارج . وقال يَزيدُ ان فَعَلَ بَرِئَتْ منه الخوارجُ وقتلته ،وان أمسك قتله الحجاج، فقتله. وخُبِّرْتُ أنه قال : والله ما قتلتُه رغبة في الحياة ، ولكني خفتُ يَسْبي الحجاجُ بناتي. وكان يقول : اني حين أقْتُلُ جَوّاباً لَحريصٌ على الدنيا ، فلما عذبه عمر بن

Marfat.com

هُبَيْرَةَ في خلافة يزيد بن عاتِكَةَ رُمِيَ به على قُمامةٍ وهو لِمآبِهِ ،فَسُمِعَ يحَسْكَمُ عليها. وحَكَمَ مالكُ بن المنذر بن الجارود وهو بآخر رَمَقٍ في سجن هشام بن عبد الملك ، ودخل يزيد بن أبي مسلم على سليمان بن عبد الملك وكان دَميماً ، فلما رآه قال : قَبَحَ اللهُ رجلا أجرَّكَ رَسَنَهُ وأشركك في أمانته. فقال له يزيد : يا أمير المؤمنين ، رأيتَني والأمرُ لكَ ، وهو عني مُدْبِرٌ ولو رأيتَني والأمر عليَّ مقبل لاستكبرتَ مني ما استصغرْتَ ، واستعظمتَ مني ما استحقَرتَ . فقال : أترى الحجاجَ استقرَّ في قعر الجحيم بعدُ ؟ فقال: يا امير المؤمنين لا تقل ذاكَ فان الحجاج وَطَّأ لكم المنابر ،وأذلَّ لكم الجبابر وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيكَ وعن يسار أخيك ، فحيث كانا كان .

٤٠ – باب

قال أبو العباس: وهذا باب من تَكاذيب الاعراب ،حدثني أبو عمر الجَرْميُّ. قال : سألت أبا عبيدة عن قول الراجز :

أَهدَموا بيتَكَ لا أبا لسكا وأنا أمشي الدَّألا حَوالَكا

فقلت لِمَ هذا الشعر ؟ فقال هذا يقوله الضَبُّ للحِبْلِ أيامَ كانت الأشياءُ تتكلم، الدَّألا مشيٌ كمشي الذئب . يقال : هو يَدْأَلُ في مشيه اذا مشى كمِشْيةِ الذئب ، من ذلك قول امرىء القيس : أقَبُّ حَشيثَ الرَّكْضِ والدَّألانِ . ومن قال في بيت ابن عَتَمةَ الضَبّيِّ :

(حَقيبةُ رَحْلها بَدَنٌ وسرج) تُعارِضُه مُرَبَّبةٌ دَؤُولُ

فانما أراد هذا . ومن قال ذؤولُ فانما أراد السرعة ، يقال مر يَذْأَلُ اذا مرَّ يُسْرِعُ . وقوله حَوالَكا ، يقال : هو يطوف حَوالَهُ وحولَهُ وحَوالَيْهِ . ومن قال حوالِيهِ بالكسر فقد أخطأ ، وفي القرآن نُودِيَ أنْ بُورِكَ مَنْ في النار ، ومن حولها وحوالَيْهِ تثنية حَوال كما تقول حنانَيْهِ الواحد حَنانٌ . قال الشاعر :

فقالتْ حَنانٌ ما أتى بك هاهنا أذُو نَسَبٍ أم أنتَ بالحيِّ عارفُ

Marfat.com

والحنان الرحمة . قال الله عز وجل : وحناناً من لدنا . وقال الشاعر (وهو الحطيئة) لعمر بن الخطاب رحمه الله :

تحنن علي هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

وقال طرفة :

أيا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وحدثني غير واحد من أصحابنا قال : قيل لربة ما قولك ؟

لو أنني عمرت سن الحمل أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتئل كمثل الوحل

ما زمن الفطحل ؟ قال : أيام كانت السلام رطاباً . قوله : سن الحمل مثل تضربه العرب في طول العمر (ذكر ابن جني أن الحمل يعيش ثلثمائة سنة) . وأنشدني رجل من بني العنبر أعرابي فصيح لعبيد بن أيوب العنبري :

كأني وليلى لم يكن حل أهلنا بواد خصيب والسلام رطاب

وحدثني سليمان بن عبدالله عن أبي العميثل مولى العباس بن محمد ، قال : تكاذب أعرابيان . فقال أحدهما : خرجت مرة على فرس لي فاذا بظلمة شديدة فيممتها حتى وصلت اليها فاذا قطعة من الليل لم تتنه ، فما زلت أحمل بفرسي عليها حتى أنبهتها فانجابت . فقال الآخر : لقد رميت ظبياً مرة بسهم فعدل الظبي يمنة فعدل السهم خلفه فتياسر الظبي فتياسر السهم خلفه ثم علا الظبي فعلا السهم خلفه ، فانحدر فانحدر عليه حتى أخذه . وتزعم الرواة ان عروة بن عتبة بن جعفر بن كلاب . قال لابني الجون الكنديين يوم جبلة . ان لي عليكما حقاً لرحلتي وفادتي فدعوني أنذر قومي من موضعي هذا . فقالوا : شأنك . فصرخ بقومه بعد أن قالا له شأنك ، فاسمعهم على مسيرة ليلة . ويروى عن حماد الراوية قال : قالت ليلى بنت عروة بن زيد الخيل لأبيها : أرأيت قول أبيك ؟

Marfat.com

بني عامرٍ هل تَعْرفون اذا غَدا أبومِكْنَفٍ قدشدّ عَقدَ الدَوابر
يجيشُ تَضِلُّ البُلْقُ في حَجَراته ترى الأُكُمَ منه سُجّداً للحوافر
وَجَمْعٍ كمِثْلِ الليلِ مُرْتَجِسِ الوَغى كثيرٍ تَواليه سريعِ البَوادِرِ
ابتْ عادةٌ للوَرْدِ أن يَكرَهَ الوَغى
وحاجةُ رُمحي في نُمَيْرِ بن عامر

فقلت لأبي : أحضرتَ هذه الوقعة ؟ فقال: نعم . قلت : فكم كانت خيلكم؟ قال : ثلاثة أفراس احدها فرسه. قال فذكرت هذا لابن أبي الهُذَليّ ، فحدثني عن أبيه قال : حضرت يوم جَبَلَةَ . قال : وكان قد بَلَغَ مائة سنة ، وكانقد أدْرَكَ أيامَ الحجاج . قال : فكانت الخيل في الفريقين ، مع ما كان مع ابنيْ الجَوْنِ ثلاثين فرساً . قال : فحدّثتُ بهذا الحديث الخَثْعَميّ ، وكان راوية أهلِ الكوفة ، فحدثني ان خَثْعَمَ قتلتْ رجلاً من بني سُلَيْمِ بن منصور فقالت أخته ترثيه :

لعَمْري وما عَمْري عليّ بِهَيّنٍ لَنِعْمَ الفتى غادرْتم آل خَثْعَما
وكانإذا ما أوْرَدَ الخيلَ بِيشةٌ الى جَنْبِ أشْراجٍ أناخَ فأَجْلَما
فأرسلها رَهْواً رِعالاً كأنها جَرادٌ زَهَتْهُ ريحُ نَجْدٍ فأتهما

فقيل لها : كم كانت خيل أخيك ؟ فقالت : اللهم ،إنيلا اعرف الا فرسه . قوله : قد شد عقد الدوابر ، يريد عقد دوابر الدرع ، فان الفارس اذا حَمِيَ فعَلَ ذلك . وقوله : تضل البلق في حجراته ، يقول : لكثرته لا يُرى فيه الأبْلَقُ ، والابلق مشهور المنظَرِ لاختلاف لونيه . من ذلك قوله :

فلئن وقفتَ لتَخْطِفَنّكَ رماحُنا ولئن هَرَبْتُ ليُعْرَقَنّ الابلقُ

وحجراته نواحيه وقوله ترى الاكم منه سجداً للحوافر ،يقول: لكثرة الجيشِ تَطْحَنُ الاكَمَ حتى تُلْصِقَها بالارض . وقوله : كمثل الليل ، يقول كثرةٌ فيكاد يَسْوَدُّ سوادُهُ الأُفُقَ ، ولذلك يقال كتيبة خضراء ، أي سوداء ، وكانت كتيبةُ رسول الله ﷺ التي هو فيها والمهاجرون والانصارُ يقال لها الخَضْراءُ .

Marfat.com

والمُرْتجِسُ الذي يُسْمَعُ صوته ولا يَبينُ كلامُهُ . يقال : ارتجسَ الرعد من هذا ، والوَغى الاصوات والتوالي اللواحقُ . يقال : تلاه يتلوه اذا اتّبعَهُ ، وتَلوْتُ القرآن ، أي أتبعت بعضه بعضاً ، والمُتْلِيةُ التي معها أولادُها . وقوله : فأرسلها رهواً،يقول ساكنة. قال الله جل وعز: واترُكِ البَحْرَ رَهْواً. ويقال : عيش راهٍ يا فتى ، اي ساكن ، ورِعالٌ جمع رَعيلٍ وهو ما تقدم من الخيل . يقال : جاء في الرَعيل الاولِ . قال عَنْترةُ :

اذ لا أُبادرُ في المضيق فَوارِسي ولا أُوَكَّلُ بالرَعيلِ الاولِ

وقوله:زهته ريح نجد فأتهما يقول رفعتْهُ واستخفّته. قال ابن أبي ربيعةَ :

فلما تَواقَفْنا وَسَلّمْتُ أشرقتْ وُجوهٌ زَهاها الحُسْنُ أن تَتَقَنّعا

ومعنىأتهم أتى تِهامةَ.وزعمأبو عبيدة عمن حدّثهُ أن بَكْرَ بن وائلٍ أرادت الغارة على قبائل بني تميم . فقالوا : ان عَلِمَ بنا السُلَيْكُ أنذَرَهُمْ ، فبعثوا فارسين على جوادين يُريغانِ السُلَيكَ ، فبَصُرا به فقصداه ، وخرج يَحْصِبُ كأنه ظبي ، فطارداه سُحابةَ يومِهِما ، فقالا : قاتَلهُ الله ما أشدّ مَتْنَيْهِ ، ولعل هذا كان من اول الليل، فلما امتد به الليل قَتَر ، فاتبعاه فاذا به قد عَثرَ بأصل شجرة فندر منها كمكان تلك، وانكسرت قوسه ، فارْتزّتْ قِصْدةٌ منها في الارض فتَشِبَتْ . فقالا : قاتله الله واللهِ لانتْبَعُهُ بعد هذا. فرجعا عنه وأتمّ الى قومه (ش يروى أتم بألف وتمْ بغير ألف ونمْ بالنون ومعنى تم الى قومه أي نفذ) فانذرهم فلم يصدقوه لبعد الغاية، ففي ذلك يقول

يُكَذّبني العَمْرانِ عَمْرو بن جُنْدُبٍ
وعمرُو بن كَعْبٍ والمكذّبُ أكذَبُ
ثَكِلْتُكما إنْ لم أكن قد رأيتُها كراديسَ تَهْديها الى الحيّ مَوْكِبُ
كراديسُ فيها الحَوْفَزانُ وحوله فوارسُ هَمّامٍ حق يَدْعُ يَرْكَبُ

فصدقه قوم فنجوا، وكذبه قوم فوَرَدَ عليهم الجيشُ فاكْتَنَحَهُمْ . وحدثني التَوّزيُّ قال : سألت أبا عبيدة عن مثل هذه الاخبار من اخبار العرب.

Marfat.com

فقال لي : ان العجم تكذب فتقول كان رجل ثلثه من نحاس وثلثه من رَصاص وثلثه من ثلجٍ فتُعارضها العرب بهذا ، وما أشبهه. ومن ذلك قول مُهَلْهِلِ بن رَبيعة :

فلو نُشِرَ المقابرُ عن كُلَيْبٍ ... فتخبرَ بالذنائبِ أيُّ زيرِ
بيوم الشَعْثَمَيْنِ لقَرَّ عَيْنا ... وكيفَ لِقاءُ مَنْ تحتَ القُبور
كأنا غُدْوَةً وبني أبينا ... بجنب عُنَيْزةٍ رَحَيَا مُدير
كأنَّ رِماحَهم أشْطانُ بئرٍ ... بعيدٍ بَيْنَ جالَيْها جَرُورِ
فلولا الريحُ أسمَعَ مَنْ بحَجْرٍ ... صَليلُ البَيْضِ تُقْرَعُ بالذكور

(قال أبو الحسن : يقال فلان زيرُ نساءٍ ، وطِلْبُ نساءٍ وتِبْعُ نساءٍ وخِلْبُ نساءٍ اذا كان صاحبَ نساءٍ ، وذلك أن مهلهلا كان صاحِبَ نساءٍ ، فكان كليب يقول : ان مهلهلا زير نساء ولا يُدْرِكُ بِثأرٍ ، فلما أدرك مهلهل بثأر كليب ، قال: أيُّ زير فرفع أياً بالابتداء، والخبر محذوف، فكأنه قال: أيُّ زيرٍ أنا في هذا اليوم) ؟ قال أبو العباس : وحدثني عمرو بن بحر قال: أتيت الربيع الغَنَويَّ وكان من أفصح الناس وأبلغهم ومعي رجل من بني هاشم فقلت: أأبو الربيع ههنا ؟ فخرج اليّ وهو يقول خرج اليك رجل كريم ، فلما رأى الهاشميُّ استحيا من فخره بحضرته فقال: أكرَمُ الناسِ رديفاً وأشرفهم حليفاً. فتحدثنا مَليّاً ثم نهض الهاشمي، فقلت لابي الربيع : يا أبا الربيع ، مَنْ خَيْرُ الخلق ؟ فقال الناس والله . فقلت : مَنْ خيرُ الناسِ ؟ قال : العرب والله . قلت : فَمَنْ خير العرب ؟ قال : مُضَرُ والله . قلت : فَمَنْ خير مُضَرَ ؟ قال قيسٌ والله . قلت : فمن خير قيس ؟ قال: يَعْصُروا والله. قلت: فمن يَعصُرَ ؟ قال : غنيٌّ والله . قلت: فمن خير غني؟ قال: المخاطِب لك والله.قلت : أفأنت خير الناس ؟ قال : نعم اي والله . قلت : أيَسُرُّكَ انّ تحتَكَ بنتَ يزيد بن المُهَلْهِلِ ؟ قال : لا والله . قلت : ولك ألفُ دينار . قال : لا والله . قلت : فألفا دينار . قال : لا والله . قلت : ولك الجنةُ ، فأطرق ثم قال : على ان لا تلِدَ مني وأنشد :

Marfat.com

تَابى لأعْصُرَ أعْراقٌ مُهَذَّبَةٌ من أن تُناسِبَ قوماً غيرَ أكْفاءِ
فإن يكنْ ذاكَ حتماً لا مَرَدَّ له فاذْكُرْ حُذَيْفَ فاني غيرُ أبّاءِ

قوله : أكرم الناس رديفاً ، فان أبا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ كان رديف رسول الله ﷺ. وقوله: وأشرفهم حَليفاً، كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب.

وقوله : فاذكر حذيف أراد حُذَيْفَةَ بن بَدْرٍ الفَزارِيَّ . وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم اليه نسباً، وذاك أن يَعْصُرَ ابن سعد بن قيس وهؤلاء بنو رَيْثِ بن غَطَفانَ بن سعد بن قيس . وقد قال عُيَيْنَةُ بن حِصْنٍ يهجو ولده يعصر وهم غَنِيٌّ وباهِلَةُ والطُّفاوةُ :

أباهِلَ ما أدري أمِن لُؤْمِ مَنْصِبي أُحِبُّكُمُ أم بي جنونٌ وأُولَقُ
أَسِيْدُ أخوالي ويَعْصُرُ إخْوَتي فمَنْ ذا الذي مني مع اللؤم أحمَقُ

فقال الباهلي يجيبه :

وكيف تُحِبُّ الدهرَ قوماً هُمُ الأولى تَواصَيْكُمُ في سالف الدهر حَلْقُوا
أَلَسْتَ فزارِيّاً عليكَ غَضاضَةٌ وإن كنتَ كِنْدِيّاً فانك مُلْصَقُ

وتَحَدَّثَ الرواةُ بأن الحجّاجَ رأى محمد بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَّقَفِيَّ وكان يَنْسِبُ بزينب بنت يوسف، فارتاع من نظرِ الحجّاج،فدعا به فلما عرفه قال مبتدئاً :

هاكَ يدي ضاقتْ بيَ الأرْضُ رَحْبُها وان كنتُ قد طَوَّفْتُ كلَّ مكان
ولو كنتُ بالعَنْقاءِ أو بيَسُومِها لَخِلْتُكَ الا أن تَصُدَّ تَراني

ثم قال: واللهِ انْ قلتُ إلا خيراً ، إنما قلتُ:

يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنانِ من التُّقى ويَخْرُجْنَ جُنْحَ الليل مُعْتَجِراتِ

قال : أَجَلْ ، ولكن أخبرني عن قولك :

ولما رأتْ رَكْبَ النُّمَيْرِيِّ أعرضتْ وكُنَّ من أنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ

في كم كنتَ ؟ قال : واللهِ إنْ كنتُ إلا على حمار هَزيلٍ ومعي رفيقي على

Marfat.com

أتانٍ مثلِه . ومن ذلك ما يحكون في خبر لُقمانَ بن عاد فإنهم يَصِفونَ أن جارية له سُئِلَتْ عما بقي من بصره لدخوله في السِنّ فقالت: واللهِ لقد ضَعُفَ بصرُه ولقد بَقِيَتْ منه بَقِيّةٌ انه ليَفْصِلُ بين أَثَرِ الانثى والذكر من الذَرّ إذا دَبّ على الصَفا، في أشياء تُشاكِلُ هذا من الكذب. وحُدِّثْتُ أن امرأة عِمْران ابن حِطّانَ السَدوسيّ قالت له: أما حلفت أنك لا تكذب في شعر؟ فقال لها: أوَكان ذاكَ ؟ قالت : نعم ، قلتَ :

فكذاكَ مَجْزَأَةُ بن ثَوْ ر كان أشجعَ من أسامَهْ

أيكون رجل أشجعَ من أسدٍ ؟ فقال لها : ما رأيتُ أَسَداً ، فتَحَ مدينةً قطُّ ، ومَجْزأةُ بن ثور قد فتح مدينة . (مجزأة بن ثور جعل له عمر رحمه الله رئاسة بَكْرٍ ، فلما أسنَّ فعَلَ عثمانُ بن عفان رضي الله عنه ذاكَ مع ابنه شَقيقَ ابن مجزأة، وقتل رحمه الله على تُسْتَرَ هو والبَراءُ بن مالك، وكانا من أبطال المسلمين) . ومر عمران بن حطان بالفرزدق وهو يُنشِدُ فوقف عليه فقال :

أيها المادحُ العبادَ ليُعْطى إنّ لله ما بأيدي العِبادِ
فاسْألِ اللهَ ما طلبتَ اليهم وارْجُ فضلَ المُقَسِّمِ الغَوّادِ
لا تَقُلْ للجواد ما ليس فيه وتُسَمِّ البَخيلَ باسم الجَوادِ

وأنشدني الحسنُ بن رجاءٍ لرجل من المُحْدَثين لم يُسَمِّهِ (وهو بكر بن النَطّاح في أبي دُلَف) :

أبا دُلَفٍ يا أكذبَ الناسِ كُلِّهِم سِوايَ فاني في مَديحِكَ أكْذَبُ

وأنشدني آخرَ لرجل من المُحْدَثين (أيضاً قال أبو الحسن هو بكر بن النطاح) :

اني امْتَدَحْتُكَ كاذباً فأَثَبْتَني لما امتدحتُكَ ما يُثابُ الكاذِبُ

قال الأصمعي : قلتُ لأعرابي كنت أعرفه بالكذب : أصدقتَ قطُّ؟ قال : لولا اني أخافُ ان أصْدُقَ في هذا لقلتُ لك . وتحدثوا من غير وجه أن عمرو ابن معدي كرب كان معروفاً بالكذب : وقيل لِخَلَفٍ الأحمر ، وكان شديدَ التعصب لليمن - أكان عمرو بن معدي كرب يكذب ؟ فقال : كان يكذب في

Marfat.com

المقال، ويصدق في الفعال. وذكروا من غير وجه أن أهل الكوفة من الأشراف كانوا يظهرون بالكناسة، فيتحدثون على دوابهم الى أن يطردهم حر الشمس، فوقف عمرو بن معدي كرب وخالد بن الصقعب النهدي، فأقبل عمرو يحدثه، فقال: أغرنا مرة على بني نهد فخرجوا مستعرضين لخالد بن الصقعب، فحملت عليه فطعنته فأزريته، ثم ملت عليه بالصمصامة فأخذت رأسه. فقالد له خالد: حلأ أبا ثور إن قتيلك هو المحدث. فقال: يا هذا إذا حدثت فاستمع، فانما نتحدث بمثل ما تسمع لتذهب به هذه المعدية. قوله: مسترعفين يقول مقدمين له. يقال: جاء فلان يرعف الجيش اذا جاء متقدماً لهم. ويقال في الرعاف: رعف يرعف. لا يقال غير رعف، ويجوز يرعف من أجل العين وليس من الوجه، وسنذكر هذا الباب بعد انقضاء هذه الأخبار ان شاء الله. وقوله: حلأ أبا ثور، يقول: استثن. يقال: حلف ولم يتحلل اي لم يستثن. وخبرت أن قاصاً كان يكثر الحديث عن هرم بن حيان (الهرم الضب، يقال انه في الشتاء يأكل حسوله ولا يخرج. قال الشاعر: كما أكب على ذي بطنه الهرم. قيل ان هرم بن حيان حملته أمه أربع سنين، ولذلك سمي هرماً) فاتفق هرم معه في مسجد وهو يقول: حدثنا هرم بن حيان مرة بعد مرة بأشياء لا يعرفها هرم، فقال له: يا هذا أتعرفني، أنا هرم بن حيان ما حدثتك من هذا بشيء قط؟ فقال له القاص: وهذا أيضاً من عجائبك، انه ليصلي معنا في مسجدنا خمسة عشر رجلاً اسم كل رجل منهم هرم بن حيان، كيف توهمت أنه ليس في الدنيا هرم بن حيان غيرك. وكان بالرقة قاص يكنى أبا عقيل يكثر التحدث عن بني اسرائيل فيظن به الكذب، فقال له يوماً الحجاج بن حنتمة. ما كان اسم بقرة بني اسرائيل؟ قال: حنتمة. فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري: في أي الكتب وجدت هذا؟ قال: في كتاب عمرو بن العاص. وقال القيني: انا أصدق في صغير ما يضرني ليجوز كذبي في كبير ما ينفعني. وانشد المازني للأعشى، وليس مما روت الرواة متصلاً بقصيدة

Marfat.com

فصدقتهم وكذبتهم والمرء ينفعه كذابه

ويروى أن رجلاً وفد على رسول الله ﷺ فسأله، فكذبه فقال له رسول الله ﷺ : أأسألك فتكذبني لولا سخاء فيك ومقك الله عليه لشردت بك من وافد قوم . معنى ومقك أحبك . يقال : ومقته أمقه ، وهو على فعلت أفعل ، ونظيره من هذا المعتل ورم يرم وولي يلي . وكذلك : وسع يسع ، كانت السين مكسورة وإنما فتحت للعين ، ولو كان أصلها الفتح لظهرت الواو نحو: وجل يوجل ووحل يوحل ، والمصدر مقة كقولك: وعد يعد عدة ، ووجد يجد جدة . ويروى أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فأسلم، ثم قال: يا رسول الله إنما أوخذ من الذنوب بما ظهر وأنا أسر بخلال أربع : الزنا والسرق وشرب الخمر والكذب ، فأيتهن أحببت تركت لك سرًا . فقال رسول الله : دع الكذب . فلما ولى من عند رسول الله ﷺ هم بالزنا فقال : يألني رسول الله فان جحدت نقضت ما جعلت له وان أقررت حددت . فلم يزن ثم هم بالسرق ، ثم هم بشرب الخمر ففكر في مثل ذلك ، فرجع الى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد تركتهن جميع . وشهد أعرابي عند معاوية بشهادة فقال له معاوية : كذبت . فقال له الأعرابي: الكاذب متزمل في ثيابك . فقال معاوية : هذا جزاء من عجل . وقال معاوية يوماً للأحنف وحدثه حديثاً : أتكذب؟ فقال: والله ما كذبت منذ علمت أن الكذب يشين أهله . ودخل عبدالله بن الزبير يوماً على معاوية فقال: إسمع أبياتاً قلتهن . وكان واجداً عليه ، فقال معاوية : هات . فأنشده :

اذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران ان كان يعقل
ويركب حد السيف من أن تضيمه إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل

فقال له معاوية : لقد شعرت بعدنا يا أبا بكر . ثم لم ينشب معاوية ان دخل عليه معن بن أوس المزني فقال له: أقلت بعدنا شيئاً ؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين . فأنشده :

لعمرك ما أدري واني لأوجل على أينا تغدو المنية أول

Marfat.com

حتى صار الى الأبيات التي انشدها ابن الزبير فقال له معاوية: يا أبا بكر أما ذكرتَ آنفاً ان هذا الشعر لك؟ قال: أنا أصلحتُ معانيه وهو السَّف الشعر وهو بَعْدُ ظِئْري فما قال من شيء فهو لي . وكان عبدالله بن الزُّبَيرِ مسترَضعا في مُزَيْنَةَ . وحُدِّثْتُ ان عمر بن عبد العزيز كتب في إشْخاصِ إياسِ بن معاوية المُزَنِيِّ وعَدِيِّ بن أرْطاةَ الفَزاريِّ أميرِ البصرة وقاضيها يومئذ ، فصار اليه عدِيٌّ فقَرَّبَ ان يُمَزِّنَهُ عند الخليفة فقال : يا أبا وائلةَ ان لنا حقاً ورَحِماً . فقال إياسٌ :أعلى الكذب تريدني!واللهِ ما يسرُّني أني كذبْتُ كذْبةً يغفرها الله لي ولا يَطَّلِعُ عليها إلا هذا—وأومأ الى أبيه—ولي ما طَلَعَتْ عليه الشمسُ. (قال أبو الحسن التمزين المدح ، ولم أسمع هذه اللفظة إلا من أبي العباس ، وهي عندي مشتقة من المازِنِ وهو النمل ، وبهذا سُميتْ مازنٌ كأنه أراد منه أن يُكَبِّرَهُ ، ويروى يُكَثِّره . قال القُتَيبيُّ: المازِنُ بيض النمل . قال الشيخ قوله : ان يُمَزِّنَهُ عند الخليفة أي كأنه يجعله سَيِّد مُزَيْنَةَ لأنه كان مُزَنِيّاً ، والصواب يُمَزِّرَهُ . قال الموْصِلِيُّ :

وإنيَ مَعْ ذا الشيبِ حلوٌ مَزيرُ . ولم يكن في القضاة ، وإنما كان أميراً على البصرة ان مات عمرواً [1] كتب عمر الى عدي :إجمع ناساً ممن قَبِلَكَ وشاورهم في لياس بن معاوية والقاسمبن ربيعة واستقضِ احدهما فوَلّى عدِيٌّ إياساً).ويروى أن أخا اياسصار الى ابنهُبيرة فقال: طَرَقَني اللصوص فحاربتهم فهزمتهم وظَفِرْتُ منهم بهذا المِغْوَلِ فجعله ابن هُبيرة تحت مُصَلاَّهُ،ثم بعث الى الصَّياقلة فأحضرهم فقال : أيَعْرِفُ منكم الرجلُ عمله؟ قالوا: نعم . فأخرج المِغْوَل فقال : من عَمَلِ أيِّكم هذا ؟ فقال قائل منهم : انا عملت هذا واشتراه مني هذا أمس . (المغول سيف صغير) .

٤١ – (باب ما يجوز فيه يَفْعَلُ فيما ماضيه فَعَلَ مفتوحُ العين) .

اعلم ان كل فعل على فَعُلَ فهو غير متعدٍّ الى مفعول لأنه فعل الفاعل في نفسه

---

١ كذا بياض بالاصل في الموضعين .

Marfat.com

وتأويله الانتقال ، وذلك قولك : كَرُمَ عبدُ الله ، وظَرُفَ عبدالله . وتأويل قولي ، الانتقال ، انما هو انتقال من حال الى حال ، تقول : ما كان كريماً ولقد كرُمَ ، وما كان شريفاً ولقد شَرُفَ ، فهذا تأويله فأما قولهم : كِدْتُ أكادُ ، فانما كِدْتُ معترضةٌ على أكاد . وما كان من فَعِلَ الصحيح فانه يَفْعَلُ نحو : شَرِبَ يَشْرَبُ ، وعَلِمَ وفَرِقَ ويكون متعدياً وغير متعدٍ تقول : حَذِرْتُ زيداً وعَلِمْتُ عبدَالله ، ويكون فيه مثلُ : سَمِنْتُ وبَخِلْتُ غير متعدٍ وكله على يَفْعَلُ نحو : يَسْمَنُ ويَبْخَلُ ويَعْلَمُ ويَطْرَبُ . فأما قولهم في الأربعة من الأفعال : يَحْسِبُ ويَيْئِسُ ويَنْعِمُ ويَبْئِسُ فهي معترضة على يَفْعِلُ تقول في جميعها : يَحْسَبُ ويَنْعَمُ ويَبْئَسُ ويَبْئَسُ وما كان على فَعَلَ فبابه يَفْعُلُ ويَفْعِلُ نحو : قتل يقتُلُ ، وضرب ويضرِب ، وقعد يقعُد ، وجلس يجلِس ، فقد أنبأتك انه يكون متعدياً وغير متعدٍ ، فأما يَأبى ويَقْلَى فلهما علة تُبَيَّنُ عندما أذكره لك إن شاء الله . ولا يكون فَعَلَ يَفْعَلُ ، إلا ان يكون يَمْرِضُ له حرف من حروف الحلق الستة في موضع العين أو موضع اللام ، فان كان ذلك الحرف عيناً فَتَحَ نفسهُ ، وان كان لاماً فتح العينَ . وحروف الحلق الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء . وذلك قولهم : قرأ يقرأ قَرْأً يا فتى وقراءة ، وسأل يسأل ، وجَبَهَ يَجْبَهُ ، وذهب يذهب . وتقول : صنع يصنَعُ ، وظَعَنَ يَظْعَنُ ، وضَبَحَ يَضْبَحُ وكذلك : فَرَغَ يَفْرَغُ وسلَخَ يَسْلَخُ . وقد يجوز ان يجيء الحرف على أصله وفيه أحد الستة ، يجوز : زَأَرَ يَزْئِرُ ، وفَرَغَ يَفْرُغُ ، وصبَغَ يَصْبُغُ . إلا ان الفتح لا يكون فيما ماضيه فَعَلَ إلا وأحدُ هذه الحروف فيه . وأما يَأبى فله علة ، وأما يَقْلى فليس يثبت . وسيبويه يذهب في يأبى إلى انه إنما انفتح من أجل ان الهمزة في موضع فائه ، والقول عندي على ما شرحت لك من انه اذا فُتِحَ حَدَثَ فيه حرف من حروف الحلق ، فانما انفتح لأنه يصير الألف وهي من حروف الحلق ولكن لم نذكرها لأنها لا تكون أصلاً إنما تكون زائدة أو بدلاً ، ولا تكون متحركة فإنما هي حرف ساكن ، ولا يعتمد اللسان به على موضع فهذا الذي ذكرت لك من ان يَسَعُ ويَطَأُ حدهما فَعِلَ يَفْعِلُ في المثل كحَسِبَ

Marfat.com

يَحْسِبُ من الصحيح ، ولكن فتحتها العينُ والهمزةُ ، كما تقول : وَلِغَ الكلبُ يَلَغُ ، والأصل يَوْلِغُ ، فحرف الحلق فتحهُ .

٤٢ - باب

ويروى عن عليّ بن أبي طالب رحمة الله عليه ، انه افتقد عبدالله بن العباس رحمه الله فقال : ما بالُ ابي العباس لم يحضر ؟ فقالوا : وُلِدَ له مولودٌ . فلما صلى عليّ رحمه الله قال : امضوا بنا اليه . فأتاه فهنّأهُ فقال : شكرتَ الواهِبَ وبُورِكَ لك في الموهوب ، ما سميته ؟ قال: أرَيجوز لي أن أسميه حتى تُسَمّيه . فأمَرَ به فأخْرِجَ اليه ، فأخذه وحنّكهُ ودعا له ، ثم رده اليه وقال : خذه اليك أبا الأمْلاك ،قد سَمّيْتُه عليا وكنّيْتُهُ أبا الحسن. فلما قام معاوية قال لابن عباس : ليس لكم اسمه وكنيتُه قد كنيته أبا محمد . فجَرَتْ عليه . وكان عليٌّ سيداً شريفاً بليغاً ، وكان له خمسمائة أصل زيتون يصلي في كل يوم الى كل أصل ركعتين ، فكان يُدْعى ذا الثّفِنات . وضُربَ بالسوط مرتين ، كلتاهما ضربه الوليد ،إحداهما في تزَوُّجِهِ لُبابةَ بنت عبدالله بن جعفر ،وكانت عند عبدالملك فعضّ تفاحة ثم رمى بها اليها ، وكان أبخر . فدعتْ بسِكّينٍ فقال : ما تصنعين به . قالت : أميطُ عنها الأذى. فطلقها فتزوجها عليُّ بن عبدالله ،فضربه الوليد وقال : إنما تتزوّج بأمّهات الخلفاء لِتَضَعَ منها – لأن مَرْوان بن الحكمِ تزوج أمّ خالد بن يزيد بن معاوية ليَضَع منه. فقال عليّ بن عبدالله إنما ارادت الخروج من هذه البلدة وأنا ابنُ عمها فتزوجتها لأكونَ لها مَخْرَجاً . وأما ضربه إياه في المرة الثانية فانا نرويه من غير وجه ،ومن أتم ذلك ما حدّثنيه أبو عبدالله محمد بن شُجاع البَلْخِيُّ (هو محمد بن شجاع الثَلْجيّ كذا صوابه) في إسنادٍ له متصل لستُ أحفظه ،يقول في آخر ذلك الإسناد: رأيت علياً مضروباً بالسوط يُدارُ به على بعير ووجهه مما يلي ذَنَبَ البعير وصائحٌ يصيحُ عليه :هذا عليُّ بن عبدالله الكذاب . قال : فأتيته فقلتُ : ما هذا الذي نسبوك فيه الى الكذب . قال : بلغهم قولي ان هذا الأمر سيكون في ولدي، والله ليكوننّ فيهم حتى يَمْلِكَهُمْ

Marfat.com

عبيدُهم الصِغارُ العيونِ المِراضُ الوجوهِ الذين كأنّ وجوهَهم المجَانُّ المُطْرَقةُ .
ومع هذا الحديث آخَرُ في شَبيهٍ باسناده أن عليّ بن عبدالله دخل على سليمان بن عبد الملك ومعه ابنا ابنه الخليفتان ابو العباس وابو جعفر ، وقال ابو العباس : وهذا غلط لما أذكره لك ، إنما ينبغي ان يكون دخل على هشام فأوْسَعَ له على سريره وسأله عن حاجته فقال : ثلاثون الفَ درهم عليّ دَيْنٌ . فأمَرَ بقضائها . قال له : وتستوصي بابْنَيّ هذين خيراً . ففعل ، فشكره وقال : وَصَلتْكَ رَحِمٌ . فلما وَلّى عليٌّ قال الخليفة لأصحابه : إن هذا الشيخ قد اختلّ وأسنّ وخُلِطَ فصار يقول ان هذا الأمر سينتقل الى ولده . فسمع ذلك عليٌّ فالتفت اليه فقال : والله ليكوننّ ذاك ولَيَمْلِكنّ هذان . قال أبو العباس : اما قولي ان الخليفة في ذلك الوقت لم يكن سليمانَ فلأن محمد بن علي بن عبدالله كان يُمْنَعُ من تزوُّج الحارثية للحديث المروي . فلما قام عمر بن عبد العزيز جاءه محمد فقال له : إني أردت ان اتزوج بنت خالي من بني الحرث بن كعب أفتأذن لي؟ فقال عمر : تَزَوّجْ رحمك الله من أحببتَ . فتزوجها فأولدها أبا العباس امير المؤمنين ، وعُمَرُ بعد سليمان فلا ينبغي أن يكون تهيأ له أن يدخل على خليفة حتى يَتَرَعْرَعَ (ش كذا وقع في الأمّ والروايةِ ، والصحيح لهما أن يدخلا على خليفة حتى يترعرعا) فلا يتم مثلُ هذا إلا في أيام هشام . وكان عبد الملك يُكْرِمُ عليّاً ويقدمه ، فحدّثني التَوَّزِيُّ قال : قال علي بن عبدالله : سايرتُ يوماً عبد الملك فما حاوَرْنا إلا يسيراً حتى لقيه الحجّاج قادما عليه ، فلما رآه تَرَجّلَ ومشى بين يديه ، فخَبّ عبدُ الملك فأسرع الحجاج ، فزاد عبدُ الملك فهرول الحجّاج ، فقلتُ لعبد الملك : أبِكَ مَوْجِدةٌ على هذا؟ فقال : لا ولكنه رَفَعَ من نفسه فأحببتُ أن أغُضّ منه . وحدثني جعفر بن عيسى بن جعفر الهاشمي قال : حضر عليٌّ عبدَ الملك وقد أهْدِيَ له من خراسان جاريةٌ وفَصٌّ وسيف فقال : يا ابا محمد ان حاضر الهدية شريك فيها فاختر من الثلاثة واحداً . فاختار الجارية ، وكانت تُسمّى سُعْدى وهي من سَبْيِ الصُغْدِ من رهطِ عُجَيْف بن عَنْبَسَةَ ، فأولدها سليمانَ وصالحا ابنيْ عليٍّ وذكر جعفر بن عيسى انه لما أولدها سليمان اجتنبت فراشه

Marfat.com

فمرض سليمان من جُدَرِيٍّ خرج عليه ، فانصرف عليٌّ من مُصَلَّاهُ فاذا بها على فراشه فقال: مرحبا بك يا أمّ سليمان. فوقع بها فأولدها صالحا، فاجتنبت بَعْدُ فسألها عن ذلك ، فقالت : خِفْتُ ان يموت سليمانُ فينقطع النسب بيني وبين رسول الله ﷺ ، فالآن إذ ولدتُ صالحا فبِالحرَى إن ذهب احدهما أن يبقى الآخرُ ، وليس مثلي اليوم مَن وطئه الرجال. وزعم جعفر أنه كانت فيها رُتَّةٌ فالرتةُ تَعَذُّرُ الكلام إذا أراده الرجل ، فهي الآن معروفة في ولد سليمان وولد صالح ، وكان عليٌّ يقول: أكره أن أُوصِيَ الى محمد، وكان سَيِّدَ ولدهِ ، خوفاً من أن أشينَهُ بالوصية . فأوصى الى سليمان، فلما دُفِنَ عليٌّ جاء محمد الى سعدى فقال : أخرجي إليّ وصيةَ أبي. فقالت : ان أباك أَجَلُّ من أن يُخْرِجَ وصيته ليلاً ، ولكنها تأتيك غداً فلما أصبح غَدا بها عليه سليمانُ فقال : يا أبي ويا أخي هذه وصية أبيك . فقال محمد : جزاكَ اللهُ من ابن وأخٍ خيراً ، ما كنتُ لِأُتْرِبَ على أبي بعد موته كما لم أُتْرِبْ عليه في حياته. قال أبو العباس: التَمْتَمة التردد في التاء، والفأفأة التردد في الفاء، والعُقْلة التواء اللسان عند ارادة الكلام، والحُبْسة تعذر الكلام عند ارادته، واللَفَفُ إدخال حرف في حرف، والرُتَّةُ كالرَتَج تمنع أوّل الكلام ، فاذا جاء منه شيء اتصل ، والغَمْغَمة أن تَسْمَعَ الصوت ولا يتبينَ لك تقطيعُ الحروف، والطَمْطَمة أن يكون الكلام مُشْبِهاً بالكلام المُعْجَم، والكُكْنة أن تَعْتَرِضَ على الكلام اللغةُ الأعجميةُ. وسنفسر هذا بحجته حرفاً حرفاً ، وما قيل فيه ان شاء الله . واللُثْغَة أن يُعْدَلَ بحرف الى حرف، والغُنَّة أن يُشْرَبَ الحرفُ صوتَ الخَيْشوم، والخُنَّة أشدُّ منها، والتَرْخيمُ حذف الكلام. يقال: رجل فافاءٌ يا فتى تقديره فاعالٌ ونظيره من الكلام ساباطٌ وحاتامٌ . قال الراجز .

يا مَيُّ ذاتَ الجَوْرَبِ المُشَقَّقْ أخذتِ خاتامي بغير حق

(كذا ذكره أبو العباس بغير همز الألف الأولى ، والصحيح أنه بالهمز على فَعْلالٍ مثل : خَضْخاضٍ وقَمْقامٍ ، فالذي حكى أبو العباس غَلَطٌ ،

Marfat.com

لأن سيبويه رحمه الله قال: ليس في الصفات فاعال. قال أبو الحسن: يقال خاتمٌ على وزن دانَقٍ ، وخاتِمٌ على وزن ضارِبٍ ،وخَيْتامٌ على وزن دَيّانٍ ،وخاتام على وزن ساباط) . وقال ربيعة ُ الرَّقيُّ في مدحه يزيدَ بن حاتم بن قَبيصةَ بن المُهَلَّبِ – وربيعة ُ احتج به الأصمعيُّ – وذَمِّهِ يزيدَ بن أُسَيْدٍ السُّلَمِيّ :

لَشَتّانَ ما بين اليزيدَيْنِ في النَدى يَزيد ُسُلَيمٍ والأغَرِّ بن حاتم
فهَمُّ الفتى الأزْدِيّ إتلافُ مالِه وَهَمُّ الفتى القَيْسِيّ جمعُ الدراهم
فلا يَحْسِبِ التَمْتامُ أني هَجَوْتُهُ ولكنني فَضَّلْتُ أهلَ المكارم

وقال آخر أيضاً :

ليسَ بفَأفاءٍ ولا تَمْتامِ ولا عَيِيٍّ سَقِطِ الكلام

وقال الشاعر :

وقد تَمْتَريهِ عُقْلَةٌ في لسانه اذا هُزَّ نَصْلُ السيفِ غيرَ قريب

وزعم عمرو بن بحر الجاحظ عن محمد بن الجَهْمِ قال : أقبلتُ على الفِكْرِ في أيام محاربة الزُطّ ، فاعترتني حُبْسَةٌ في لساني ، وهذا يكونُ لأن اللسان يحتاج الى التَمْرين على القول حتى يَخِفَّ له ، كما تحتاج اليد الى التمرين على العمل ، والرِجْلُ الى التمرين على المَشْيِ ، وكما يُعانيه مُوَتِّرُ القَوْسِ ورافعُ الحجر ليَصْلُبَ ويشْتَدَّ . قال الراجز :

كأنَّ فيه لَفَفاً اذا نَطَقْ من طول تَحْبيسٍ وهَمٍّ وأرَقْ

وقال ابن اللَقَفّع : اذا كَثُرَ تقليبَ اللسانِ رَقَّتْ جوانبُهُ ، ولانتْ عَذَبَتُهُ وقال العتابيُّ : إذا حُبِسَ اللسان عن الاستعمال اشتدّتْ عليه مَخارجُ الحروف وأما الرُتَّة ُ فانها تكون غريزة . قال الراجز : يا أيها المُخَلِّطُ الأرَتُّ . ويقال : إنها تَكْثُرُ في الأشراف ، ولم توجد تختص واحداً دون واحد . واما الفَمْفَمة ُ فقد تكون من الكلام وغيره ، لأنه صوت لا يُفهم تقطيع حروفه . وحدّثني من لا أحْصي من أصحابنا عن الأصْمَعِيِّ عن شُعْبَةَ عن قتادة قال: قال معاوية يوماً: من أفْصَحُ الناس؟ فقام رجل من السِماطِ فقال:

Marfat.com

قومٌ تباعدوا عن فُراتِيَّةِ العِراق، وتَيامَنوا عن كَشْكَشَةِ تميم، وتَيامَسروا عن كَسْكَسَةِ بكر، ليس فيهم غَمْغَمَةُ قضاعةَ، ولا طَمْطُمانِيَّةُ حِمْيَرَ. فقال له معاوية: من اولئك؟ فقال: قومي يا أمير المؤمنين فقال له معاوية: من أنتَ؟ قال. أنا رجل من جَرْمٍ. قال الأصمعي: وجَرْمٌ من فُصحاء الناس. قولُه: تيامَنوا عن كشكشة تميم، فان بني عمرو بن تميم اذا ذكَرتْ كاف المؤنث فوقفتْ عليها أبْدَلَتْ منها شيناً لقرب الشين من الكاف في المَخْرَجِ، وأنها مهموسة مثلها، فأرادوا البيان في الوقف، لأن في الشين تفَشّياً، فيقولون للمرأة: جَعَلَ الله لكِ البركةَ في دارِشْ، وبَيْحَكِ مالَشْ. والتي يُدْرِجونها يَدَعُونها كافاً، والتي يقفون عليها يبدلونها شيناً. وآما بكر فتختلف في الكسكسة، فقومٌ منهم يُبْدِلُونَ من الكاف سيناً، كما يفعل التَّيْميُّون في الشين، وهم أقلهم، وقوم يُبَيِّنونَ حركة كاف المؤنث في الوقف بالسين، فيزيدونها بعدها، فيقولون: أعْطَيْتُكِسْ. وآما الغمغمةُ فما ذكرتُ لك. وقال الهارِبُ لامرأته يوم الخَنْدَمةِ، وذاكَ أنها نظرتْ اليه يَحُدُّ حَرْبَةً في يوم فتح مكة، فقالت: ما تصنعُ بهذه؟ قال: أعْدَدْتُها لمحمد وأصحابه. فقالت: واللهِ إن أراهُ يقوم لمحمد واصحابه شيءٌ. فقال لها: اني لأرْجو ان أخْدِمَكِ بعضهم، وأنشأ يقول (الهارب هو أبو عثمان الهُدَلِيُّ، ويقال له الرَّعّاشُ. ويقال ان الرجز المذكور بعد هذا لِحِماسِ بن قيس، أخي بني بَكْرِ بن عبد مَناةَ، أنشده له أبو اسحق، والخَنْدَمةُ جبل دخل منه النبي ﷺ مكة يوم الفتح، وقيل: الخندمة مشيٌ فيه اسراع، فأضيف الى اليوم لما كَثُرَ فيه):

انْ تَقْبلوا اليومَ فما بي عِلّهْ هـذا سِلاحٌ كامل وألَّهْ
وذو غِرارَيْنِ سريعُ السَّلَّهْ

الألَّةُ: الحَرْبة، والغرار ههنا الحدّ، ويعني بذي غرارين السيفَ. فلما لقيهم خالد يوم الخندمة انهزم الرجل، فلامتْهُ امرأته، فقال:

إنكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ اذ فرّ صفوانُ وفرّ عِكْرِمَهْ

Marfat.com

وَلَحِقْتُنا بالسيوف المُسِلَّهْ يَفْلِقْنَ كلَّ ساعدٍ وجُمْجُمَهْ
ضَرْبًا ولا تَسْمَعُ إلا غَمْغَمَهْ لهم نَهِيتٌ حولنا وجَمْجَمَهْ
لم تَنْطِقِي في اللوْمِ أدْنى كلمَهْ

وأما الطُمْطمانيَّةُ ففيها يقول عَنْتَرَةُ :

تَبْري له حُولُ النَعام كأنها حِزَقٌ يمانيَةٌ لأعْجَمَ طِمْطِمِ

وكان صُهَيْبٌ أبو يحيى صاحِبُ رسول الله ﷺ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً رومِيَّةً ، ويذكرون أن نَسَبَهُ في النَمِر بنِ قاسطٍ صحيح ، وقد قال رسول الله ﷺ : صُهَيْب سابِقُ الرومِ ، وسلمانُ سابِقُ الفُرْسِ ، وبِلالٌ سابِقُ الحَبَشَةِ . وقال عمر لصهيب في قوله انه من النمر بن قاسط : قد سمِعتَ ما قال رسولُ الله ﷺ فيمن انْتَمى الى غير نسبه . فقال صُهَيْب : أنا من القوم ، ولكن وقع عليَّ سِباءٌ . وكان عبدُ بني الحَسْحاسِ يَرْتَضِخُ لُكْنَةً حبشيةً ، فلما أنشد عمرَ بن الخطّاب :

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إن تجهزتَ غاديا كفى الشيبُ والإسلامُ للمرْءِ ناهيا

فقال عمر : لو كنتَ قدَّمْتَ الإسلامَ على الشيبِ لأجزْتُكَ . فقال : ما شَعَرْتُ ، يريد ما شَعَرْتُ . وكان عُبَيْدُالله بن زِيادٍ يرتضخُ لكنةً فارسيةً ، وإنما أتته من قِبَلِ زوج أمه شِيرَوَيْهِ الإسْوارِيّ . ويقال إن علياً عليه السلام عادَ زِياداً في منزل شِيرَوَيْهِ ، فقال عُبيدالله يوماً لرجل كلَّمه ، فظن به رَأى الخوارج (الرجل الذى كلمه عُبيدالله بن زياد ، وظن أنه من الخوارج هانىءُ بن قَبيصة) : أَهَرُورِيٌّ منذُ اليوم ، أحَرُورِيٌّ ، وهذه الهاء تشترك في قلبها من الحاء أصنافٌ من العجم . وكان زيادٌ الأعْجَمُ ، وهو رجل من عبد القَيْسِ ، يرتضخُ لكنةً أعجميةً يذهب فيها الى مذهب قوم بأعيانهم من العجم ، وانشدَ المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرةَ في مدحه إياه :

فقٌ زاده السُلْتانُ في المدح رغبةً إذا غَيَّرَ السُلْتانُ كلَّ خَليلِ

Marfat.com

يريد السلطان . وذلك أن بين التاء والطاء نسباً ، فلذلك قلبها تاء، لأن التاء من مخرج الطاء ، فقال السلتان . وأما الغُنَّة ُ فتُستَحسَنُ من الجارية الحديثة السن ، لأنها ما لم تُفرِط تميل الى ضرب من النَغْمة قال ابن الرِقاعِ العامليُّ يصف الظبية وولدها :

تَرْجي أغنَّ كأنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَمٌ أصابَ من الدواةِ مِدادَها

٤٣ - باب

قال محمد بن عبد الله بن نُمَيْرٍ الثَقَفيُّ :

لم تَرَ عَيْني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ من النَعْمِ مُعتَجِراتِ
مَرَرْنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عَشِيَّةً يُلَبِّينَ للرحمن مُؤْتَجِراتِ
تَضوَّعَ مِسكاً بَطنُ نَعْمانَ إن مَشَتْ بِهِ زينبٌ في نسوةٍ عَطِراتِ
وقامتْ تَرَاأى يومَ جَمْعٍ فأفتَنتْ برؤيتِها مَن راح من عَرفاتِ
ولما رأتْ رَكْبَ النُمَيْرِيِّ أعرضَتْ وكُنَّ من أن يَلْقَيْنَهُ حَذِراتِ
دَعَتْ نِسْوَةٌ شُمُّ العَرانينِ بُدَّناً نَوَعِمَ لا شُعْثاً ولا غَبِراتِ

(ويروى لا غَفِراتِ بالفاء أخت القاف من الغَفَرِ ، وهو الشعر الذي ينبت في اللحيين . يقال : غَفِرَتْ المرأةُ اذا نبت لها ذاك الشعر) .

فأدْنَيْنَ لما قُمْنَ يَحْجُبْنَ دونها حِجاباً من القَسِّيِّ والحِبَراتِ
أحلَّ الذي فوق السمواتِ عَرْشُهُ أوانِسَ بالبَطْحاءِ مُعْتَمِراتِ
يُخَبِّئْنَ أطرافَ البنان من التُقى ويخرجْنَ جُنْحَ الليلِ مُحْتَمِراتِ

قوله مثلَ سِربٍ رأيته ، هو القطعة من النساء أو من الظِباءِ او من البقر او من الطير ، كما قال :

لم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رأيتُهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابنِ واقِفِ

فهذ يعني نساء(القطيع من السباع يقال له سِرْبٌ ،قاله ابن جنيّ ،و كذلك

Marfat.com

من الماشية كلها) . ويقال : مَرَّتْ بنا سِرْبَةٌ من الطير ، في هذا المعنى . قال ذو الرُّمَّةِ :

سوى ما أصابَ الذئبُ منه وسِرْبَةٌ أطافتْ به من أمَّهاتِ الجوازِلِ

ويقال : فلان واسعُ السِّرْبِ يعني بذلك الصدر . ويقال : خَلِّ لفلانٍ سَرْبَهُ أي طريقه الذي يَسْرُبُ فيه . ويقال للابل كذلك بالفتح : لأذْعَرَنَّ سَرْبَكَ . ويقال حَذِرات وحَذُرات ، ويَقِظٌ ويَقْظٌ . قال أبن أحمر :

هل يُنْسِئَنْ يومي إلى غيره أني حَوَالِيَّ وأني حَذُرْ

وقوله : وكن منَ أن يلقَينه حذِرات ، الأصل من أن يلقينه ، ولكن الهمزة إذا خففت وقبلها ساكن ليس من حروف اللين الزوائد فتخفيفها ، متصلةً كانت أو منفصلة ، أن تُلْقِيَ حركتها على ما قبلها وتحذفها تقول : مَنَ ابوك ، فتفتح النون وتحذف الهمزة ، ومَنِ اخوانك ، ومَنُ امُّ زيد فتضم النون وتكسرها وتفتحها على ما ذكرتُ لك ، وتقول : الذي يُخْرِجُ الخَبَ في السموات ، وفلانٌ له هَيَةٌ ، وهذه مَرَةٌ اذا خففتَ الهمزةَ في الخَبْءِ والهيئة والمرأة . وعلى هذا قوله تعالى : سَلْ بني اسرائيل ، لأنها كانت اسْئَلْ ، فلما حُرِّكت السين بحركة الهمزة سقطت الفُ الوصل لتحرُّكِ ما بعدها ، وإنما كان التخفيف في هذا الموضع بحذف الهمزة ، لأن الهمزة اذا خُففت قَرُبَتْ من الساكن . والدليل على ذلك أنها لا تُبْتَدأ إلا مُحَقَّقة كما لا يُبتدأ إلا بمتحرك ، فلما التقى الساكنُ وحُروفٌ تجري مجرى الساكن حذفتَ المعتلَّ منها كما تَحْذِفُ لالتقاء الساكنين . وقوله : دعت نسوة شم العرانين ، فالشُّمَّاءُ السابغة الأنف ، والمصدر الشَّمَمُ . وقال أحد الشعراء يمدح قُثَمَ بن العباس :

نَجَوْتِ من حَلٍّ ومن رِحْلَةٍ يا ناقَ إنْ قَرَّبْتِنِي من قُثَمْ
إنَّكِ ان قَرَّبْتِنِيهِ غداً عاش لنا اليُسْرُ ومات العَدَمْ
في باعِهِ طولٌ وفي وجهِهِ نورٌ وفي العِرْنِينِ منه شَمَمْ

Marfat.com

لم يَدْرِ ما لا وبَلى قد دَرَى فعافَها واعتاضَ منهم نَعَمْ

(قال ابو الحسن : أنشدَنيه أبي لسليمان بن قتّة وزادني :

أصَمُّ عن ذكر الخَنا سَمْعُهُ وما عن الخير به من صَمَمْ)

والعِرْنينُ والمَرْسِنُ والأنف واحد لما يحيط بالجميع . وللبُدْنُ واحدها بادِنٌ ، كقولك : شاهدٌ وشُهّدٌ وضامِرٌ وضُمّرٌ ، وهو العظيم البدن . يقال : بَدُنَ فلانٌ اذا كَثُرَ لحمهُ ، وبَدّنَ اذا أسن . وفي الحديث عن رسول الله ﷺ : إني قد بَدّنْتُ فلا تسبقوني بالركوع والسجود . (من رواه بَدُنْتُ بضم الدال فقد أخطأ ، لأن بَدُنَ بمعنى ضَخُمُ ، ولم يكن صفته عليه السلام أنه ضخمُ الجسم ، ولكنه الرجُـــل بين الرجلين . ومعنى بَدّنَ بالتشديد أسَنّ) . والأشْعَثُ والشَّعْثاءُ : الخاليان من الدُهْنِ . وكان عمر بن عبـد العزيز يتمثل :

مَنْ كان حين تَمَسُّ الشمسُ جبهتَه أو الغُبارُ يخافُ الشَيْنَ والشَعَثا

ويَأْلَفُ الظل كيْ تَبْقى بَشاشَتَه فسوف يَسْكُنُ يوماً راغماً جَدَثا

(قال أبو الحسن : وزادني أبي :

في بطن مُظْلِمَةٍ غَبْراءَ مُقْفِرَةٍ كَيْما يُطيلُ بها في بطنها اللَبَثا

تَجَهَّزي بِجَهازٍ تَبْلُغينَ بـــه يا نَفْسُ واقْتَصِدي لم تُخْلَقي عَبَثا)

وقال عمر بن أبي ربيعة : ونظر الى أم عمر بنت مَرْوانَ بن الحَكَمِ ، وكانت صارت اليه متنكّرة ، فرَأَتْهُ وَقَضَتْ من محادثته وَطَراً ثم انصرفت . فلما رجعت من مِنىً عرفها ، فعلمت ذلك فبعثتْ اليه : لا تَرْفَعْ بي صوتاً . وأهدتْ اليه الف دينار ، فاشترى بها عطراً وبَزّاً وأهداه لها ، فأبت ان تقبله فقال : إذاً والله أُنْهِبَهُ فيكونَ أذْيَعَ له . فقبلته . وفي ذلك يقول :

وكم من قَتيلٍ لا يُباءُ به دَمٌ ومن غَلِقٍ رَهْناً اذا ضَمَّهُ مِنى

وكم مالِئٍ عينيه من شيءٍ غيرِهِ اذا راحَ نحوَ الجمرة البيضُ كالدُمى

يُجَرْجِرْنَ أذْيالَ المُروطِ بأسْوُقٍ خِدالٍ اذا وَلَّينَ أعجازُها رَوَى

Marfat.com

أوانِسُ يَسْلُبْنَ الحليمَ فؤادَهُ فياطولَ ماحُزْنٍ وياحُسْنَ مُجْتَلى
فلم أرَ كالتجمير مَنْظَرَ ناظِرٍ ولا كلَيا لي الحج أمْتَنَ ذا هوى

وفيها أيضاً يقول :

أيها الرائح الجِدُّ ابتكارا قد قضى من تِهامةَ الأوطارا
ليت ذا الحجَّ كان حَتْماً علينا كلَّ شهرَيْنِ حجَّةً واعتمارا

قوله : وكم من قتيل لا يُباء به دم ، يقول : لا يقادُ به قاتِلُهُ ، وأصل هذا انه يقال : أبأتُ فلاناً بفلانٍ فباءَ به اذا قتلتَه به ، ولا يكاد يستعمل هذا إلا والثاني كُفءٌ للأول فمن ذلك قول مُهَلْهِلِ بن ربيعة حيث قتَلَ بُجَيْرَ ابن الحرث بن عبادٍ ، فقيل للحرث ، ولم يكن دَخَلَ في حربهم : ان ابنك قتِلَ . فقال : إن ابني لأعظمُ قتيلٍ بَرَكةً إذا أصلح اللهُ به بين ابني وائلٍ . فقيل له انه لما قتِلَ قال مهلهل : بُؤْ بشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْبٍ . فعند ذلك أدخل الحرث يده في الحرب وقال :

قَرِّبا مَرْبِطَ النعامة مني لقِحَتْ حربُ وائلٍ عن حيالِ
لا بُجَيْرٌ أعني قتيلاً ولا رَهْطُ كُلَيْبٍ تَزاجروا عن ضَلال
لم أكن من جُناتها عِلمَ الله واني بحَرِّها اليومَ صالي

وقالت ليلى الأخْيَلِيَّةُ :

فإن تكن القَتْلى بَواءً فانكم قَتَلْتم آلَ عَوْفِ بن عامر

وقال عمرو بن حُيَيٍّ التَغْلَبِيُّ :

ألا تَنْتَهي عنّا مُلوكٌ وتَتَّقي محارَمَنا لا يَبْؤُ الدمُ بالدم

ويقال: باءَ فلانٌ بذَنْبِهِ أي بخَعَ به وأقرَّ . قال الفرزدق لمعاوية :

فلو كانهذا الحكمُ في غيرِ مُلْكِكُمْ لَبُؤْتُ به أو غَصَّ بالماء شارِبُهْ

ويقال : باءَ فلانٌ بالشيء ، من قولٍ أو فعلٍ ، اي احتمله ، فصار عليه . وقال المفسرون في قول الله جلَّ وعزَّ : أريدُ أن تَبوءَ بإثمي وإثمك ، اي : يجتمعا عليك ، فتحملها . وأما قوله : ومن غلق رهن فمن

Marfat.com

جرٌ فهو من قولهم رَهْنٌ غَلِيقٌ ، فلما قدَّمَ النعت اضطراراً أبدل منه المنعوت. ولو قال : ورِهْنٌ غَلِيقٍ رَهْناً ، فنصب على الحال من المعرفة بقي الاسم المضمر في غَلِيقٍ . وقوله : اذا طمه مِنِيّ ، فانما سميت مِنى لما يُمْنى فيها من الدم . يقال في المَنِيّ وهي النُطفة مَنى الرجُل وأمْنى. والقراءة: أفرأيتم ما تُمْنُونَ. ويقال : مَذى الرجلُ وأمْذى ورَدى وأوْدى . فقولهم : ودى يعني البِئْلَةَ (بكسر الباء رواية عاصم وبفتحها رواية ابن سِراج) التي تكون في عَقِبِ البول كالمَذْي، واما المذي فيعترى من الشهوة والحركة. وقال علي بن أبي طالب رحمه الله: كلُّ فحلٍ مَذّاءٌ ، ومن كلام العرب كل فحل يَمْذي وكل أنثى تَمْذي وهو أن يكون منها مثلُ المذي. ولِمَنى موضع آخر . يقال : مَنى اللهُ لكَ خيراً ، أي قدّر لك خيراً . ويقال : مَنى الله أنْ ألقى فلاناً ، اي قدّرَ ، والمَنِيّةُ من ذا . يقال : لقي فلان منيته ، اي ما قُدّرَ له من الموت. فأما المَنيئةُ بالهمزة فهي المَدْبغةُ وهي المكان الذي يُدْبَغُ فيه . وقوله : اذا راح نحو الجمرة البيضُ كالدُمى: الجمرة، انما سميت لاجتماع الحصى فيها، ومن ثم قيل: لا تُجَمِّروا المسلمين فتفتنوهم ،تفتنوا نساءهم ،اي لا تجمعوهم في المغازي. والتجميرُ التجميعُ ، وكذلك قيل في جَمَرات العربِ وهم بنو تُمَيْرِ بن عامر بن صعصعة وبنو الحرث بن كعب بن عَلَةَ بن جَلْدٍ وبنو ضَبَّةَ بن أدّ بن طابخةَ وبنو عَنْسِ بن بَغيضِ بن رَيْثٍ لانهم تجمّعوا في أنفسهم ولم يُدْخِلوا معهم غيرهم . وأبو عبيدة لم يَعُدّ فيهم عَنْساً في كتاب الديباج، ولكنه قال : فَطَفِئَتْ جَمرتان وهما بنو ضَبَّةَ لانها صارت الى الرِباب فحالفت ، وبنو الحرث لانها صارت الى مَذْحِجٍ ،وبقيت بنو تُمَيْرٍ الى الساعة لانها لم تُحالِفْ . وقال النميريُّ يُجيبُ جريراً :

تُمَيْرٌ جمرةُ العرب التي لم تزَلْ في الحرب تَلْتَهِب التهابا
واني إذ أُسَبُّ بها كَلَيْباً فتحتُ عليهمُ الخسف بابا

وقال في هذا الشعر :

ولولا أن يقال هجا نميراً ولم نسمع لشاعرها جوابا

Marfat.com

رَغِبْنا عن هِجاءِ بني كُلَيْبٍ وكيف يُشاتِمُ الناسُ الكِلابا

وقال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة :

ليْتَ شِعْري هل أقولنّ لرَكْبٍ بفَلاةٍ هُمْ لديها هُجوعُ
طالما عَرّسْتُمُ فاستقلوا حانَ من نَجْمِ الثُرَيّا طُلوعُ
ان هَمّي قد نفى النوم عني وحديثُ النفس شيء وَلوعُ
قال لي فيها عَتيقٌ مَقالاً فَجَرَتْ مما يقولُ الدُموعُ
قال لي ودِّعْ سُلَيْمى ودَعْها فأجابَ القَلْبُ لا أستطيعُ
لا تَلُمْني في اشْتياقي اليها وابْكِ لي مما تُجِنُّ الضُلوع

قوله : حان من نجم الثريا طلوع كناية ، وانما يريد الثريا بنت علي بن عبدالله ابن الحرث بن أُمَيّةَ الاصغر وهم العَبَلاتُ ، وكانت الثريا وأختها عائشة أعْتَقَتا الغَريضَ المُغَنيَ واسمه عبد الملك ويُكْنى أبا يزيد . ويقول اسحقُ ابن ابراهيم الموصلي: انما سُمّي الغَريض بالطَلْعِ لان الطلع يقال له الإغْريضُ . وليس هو عندي كما قال ، انما سمي الغَريضَ لِطَراءَتهِ . يقال لحم غَريضٌ . وكانت الثريا موصوفة بالجمال ، وتزوجها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف الزهري فنقلها الى مصر ، فقال عمر يَضْرِبُ لها المثل بالكَوْكَبَيْنِ :

أيها المُنْكِحُ الثُرَيّا سُهَيْلا عَمْرَكَ اللهَ كيف يلتقيان
هي شامِيّة اذا ما اسْتَقَلّتْ وسُهَيْلٌ اذا استقَلَّ يَماني

وقوله : قال لي فيها عتيق مقالاً ، يزعم الرواة أن كل شيء ذَكَرَ فيه عتيقاً أو بَكْراً ، فانما يَعني ابن أبي عَتيق (ابن أبي عتيق هو عبدالله بن أبي عتيق ابن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قُحافةَ ، وأبو عتيق اسمه محمد وهو صحابي وأبوه عبد الرحمن صحابي وجده أبو بَكر صحابي ، وجد أبيه أبوقحافة صحابي ، ولم يكن أحد من الصحابه كذلك غيرهم ، وعبدالله بن أبي عتيق غلبت عليه الدُعابةُ وشُهِرَ بها) وكان ابن أبي عتيق من نُسّاكِ قريش وظُرَفائهم

Marfat.com

بل كان قد بَذَّهُمْ ظَرْفاً ، وله أخبار كثيرة سيمر بعضها في الكتاب ان شاء الله ، فمن طَريف أخباره انه سَمع وهو بالمدينة قولَ ابن أبي ربيعة :

فما نِلْتُ منها مَحْرَماً غير أننا ... كِلانا من الثوب المُطَرَّفِ لابسُ

فقال: أبِنا يَلعَبُ ابن أبي ربيعة ، فأيُّ محرمٍ بقي؟فركب بغلته متوجها الى مكة ، فلما دخل أنصابَ الحرم قيل له : أَحْرِمْ . قال : ان ذا الحاجة لا يُحْرِمُ ، فلقي ابن أبي ربيعة فقال : أما زعمت أنك لم تركب حراماً قط . قال : بلى . قال : فما قولك ؟ كلانا من الثوب المطرف لابس . فقال له : إذاً أخبرَك.. خرَجتْ بعِلّةِ المسجدِ فصرنا الى بعض الشِعابِ ، فأخذتْنا السماءُ فأمَرْتُ بمُطْرَفي فسَتَرَنا الغِلمانُ به لئلا يَرَوْا بها بِدْعَةً ، فيقولوا هلا استترتِ بسقائف المسجد ؟ فقال له ابن أبي عتيق يا عاهر، هذا البيت يحتاج الى حاضنة . وهو الذي سمع قولَ عمر بن أبي ربيعة .

مَنْ رسولي الى الثُرَيّا بأني ... ضِقْتُ ذرعاً بهجرها والكتاب

فلبس ثيابه وركب بغلته وأتى باب الثريا فاستأذن عليها. فقالت : والله ما كنت لنا زوّاراً . فقال : أَجَلْ! ولكني جئت برسالة يقول لك ابن عمك عمر ابن أبي ربيعة ، ضقتُ ذرعاً بهجرك والكتاب، فلامَهُ عمرُ . فقال له ابن أبي عتيق : انما رأيتك مُتَلَدِّداً تلتمس رسولاً فخَفَفْتُ في حاجتك ، فانما كان ثوابي أن أُنْكَرَ . ومن طَريف أخباره ، أن عائشة بنت طلحة عَتَبَتْ على مُصْعَب بن الزبير فهجرته . فقال مصعب: هذه عشرة آلاف درهم لمن احتال لي أن تكلمني فقال له ابن أبي عتيق : عَدِّل المال ، ثم صار الى عائشة فجعل يستعتبها اصعب . فقالت : والله ما عزمي ان أكلمه أبداً ، فلما رأى جِدَّها قال لها : يا بنت عمّ انه قد ضمن لي ان كلمتِه عشرة آلاف درهم، فكلميه حتى آخذها ثم عودي الى ما عَوَّدَكِ الله . ومن أخباره أن مَرْوان بن الحَكَمِ قال يوماً: اني لمشغوف ببغلة الحسن بن علي رحمها الله فقال له ابن أبي عتيق ان دفعتُها اليك ، أتقضي لي ثلاثين حاجة قال : نعم . قال : اذا اجتمع الناسُ

Marfat.com

عندك العَشيّةَ فاني آخذٌ في مآثر قريش ثم أمْسِكُ عن الحسن، فَلُمْني على ذلك. فلما أخذ الناس مجالسهم أخذ في مآثرِ قريش . فقال له مروان : ألا تذكر أوّليّةَ أبي محمد وله في هذا ما ليس لأحد . فقال : انما كنا في ذكر الأشراف ولو كنا في ذكر الانبياء ، لَقَدّمْنا ما لأبي محمد ، فلما خرج الحسنُ ليركب تبعه ابن أبي عتيق فقال له الحسن ، وتبسّم : ألك حاجةٌ ؟ فقال : ذكرتُ البغلةَ . فنزل الحسنُ ودفعها اليه . ومن طريف أخباره ، أن عثمان بن حيان المُرّيّ لما دخل المدينة والياً عليها ، اجتمع الاشراف عليه من قريش والانصارُ فقالوا له : انك لا تعمل عملاً أجْدى ولا أوْلى من تحريم الغِناء والرِثاءِ ففعل ، وأجّلَهُمْ ثلاثاً. فقدم ابن أبي عتيق في الليلة الثالثة فحَطّ رحله بباب سلامةَ الزَرْقاءِ وقال لها : بدأتُ بك قبل أن أصير الى منزلي. فقالت : أوَ ما تدري ما حدثَ ،وأخبرتْه الخبر . فقال : أقيمي الى السَحَر حتى ألقاه. فقالت : إنا نخاف أن لا تُغني شيئاً وتُنكَظَ (تعني تَنالَنا شِدّةٌ) . فقال : انه لا بأس عليك. ثم مضى الى عثمان فاستأذن عليه ،فأخبره أن أحَدّ ما أقدمه عليه حُبُّ التسليم عليه ، وقال له : ان من أفضل ما عملتَ به تحريمُ الغِناء والرِثاءِ .قال : ان أهلك أشاروا عليّ بذلك . قال: فانك وُفّقْتَ ولكني رسولُ امرأة اليك تقول : قد كانت هذه صِناعَتي فَتُبْتُ الله منها ، وأنا أسالك أيها الأمير أن لا تحولَ بينها وبين مجاورة قبر النبي ﷺ . فقال عثمان : اذن أدَعَها لك.قال: اذن لا يَدَعَها الناسُ ولكن تَدْعُو بها فتنظر اليها ، فان كانت ممن يُتْرَكُ تركَتْها قال فادعُ بها . قال : فأمرها ابن أبي عتيق فَقَشّفَتْ وأخذت سُبْحةً في يدها وصارت اليه ، وحدثته عن مآثر آبائه ففَكِهَ لها. فقال لها ابن أبي عتيق : اقْرئي للامير ، ففعلتْ فأُعْجِبَ بذاك . فقال لها : فاحْدي للامير فَحَرّكَهُ حُداؤُها. ثم قال لها:غَنّيري للامير ، فجعل يُعْجَبُ بذلك عثمانُ ، فقال له ابن أبي عتيق : فكيف لو سمعتها في صناعتها ، فقال: قل لها فلتقل فأمرها ، فَغَنّتْ :

تَمَدّدْنَ خَصاصَ الخيْمِ لما دَخَلْنَهُ بكلّ لبانٍ واضحٍ وجبينِ

Marfat.com

فنزل عثمان بن حيّان عن سريره حتى جلس بين يديها ثم قال : والله مـــا مثلكَ يخرُجُ عن المدينة . فقال له ابن أبي عتيق : إذاً ، يقولَ الناسِ أذِنَ لِسَلامةَ في المُقامِ ومَنَعَ غيرها . فقال له عثمان : قد أذِنتُ لهم جميعاً . وقال ابن نُمَيْرٍ الثَقَفيُ :

أشاقَتْكَ الظَعائنُ يومَ بانوا بذي الزِيِّ الجميلِ من الأثاثِ
ظعائنُ أُسْلِكتْ نَقْبَ المُنَقَّى تَحُثُّ اذا وَنَتْ أي احْتِثاثِ
كأنَّ على الظَعائنِ يـــوم بانوا نِعاجاً تَرْتَعي بَقْلَ البِراثِ
يُهَيِّجُني الحمـــامُ اذا تَغَنَّى كما سَجَـــعَ النوائحُ بالمَراثي

قوله : الظعائن واحدتُها ظَعينةٌ ، وانما قيل لها ظعينة ، وهم يريدون مظعوناً بها ، كقولك قتيل في معنى مقتول ، ثم استعمل هـذا وكثر حتى قيل للمرأة المُقيمة ظَعينةٌ . وقوله : بذي الزِيِّ الجميـــل من الاثاث ، هي الرواية الصحيحة ، وقد قيل بذي الريِّ الجميل واستَهوا هُمُ اليه قولُ الله جل ثناؤه : هم أحْسَنُ أثاثاً وريّاً ، فالاثاثُ متاع البيت ، والريُّ ما ظهر من الزينة . وانما أخذ من قولك : رأيت ، فالريُّ غير الأثاث والزِيُّ من الأثاث ، فمن ههنا غلطوا . وقوله : أُسْلِكَتْ نقب المنقى ، فالمنقى موضع بعينه ، والنَقْبُ الطريق في الجبل ، والخَلُّ الطريق في الرمل ، فان اتسع الطريق في الجبل وعلا ، فهو ثنيّةٌ . قـال ابن الأيهَمِ التَغْلَبيُ

وتراهنَّ شُزَّباً كالسَعـــالي يَتَطَلَّعْنَ من ثَنايا النقابِ

وقوله : نعاجاً ترتعي بقلَ البِراثِ ، فالنعجة عند العرب البقرة الوحشية ، وحكم البقرة عندهم حكم الضائنة ، وحكم الظبية عندهم حـكم الماعزة ، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة ، وبالشاة قال الله تبارك وتعالى : ان هذا أخي لهتسع وتسعون نعجة . وقال الأعشى :

فرميتُ غَفْلَةَ عينه عن شاته ... حتى قلبها وطحالها

يريد المرأة . وأما البِراثُ فهي الأماكن السهلة من الرمل ، واحدُها بَرْثٌ

Marfat.com

مفتوح موضع الفاء من الفعل وتقديرها كلْبٌ وكِلابٌ . والسجعُ من الكلام أن يأتلف أواخره على نسق كما تأتلف القوافي، وهو في البهائم موالاةُ الصوت. قال ابن الدُمَيْنةِ :

أإنْ سَجَعتْ وَرْقاءُ في رَوْنَقِ الضُحى
على فَنَنٍ غَضِّ النبات من الرَنْدِ

(الرند صغار الآس) . وقال عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة :

قال لي صاحبي ليَعْلَمَ ما بي أتحُبُّ القَتولَ أختَ الرَباب
قلتَ وجْدي بها كوَجْدِكَ بالما ء اذا ما مُنِعْتَ بَردَ الشراب
مَنْ رسولي الى الثُرَيّا بأني ضِقْتُ ذَرْعاً بهجرها والكتاب
سَلَبَتْني مُجاجةُ المِسْكِ عقلي فَسَلوها بما تُحِلُّ اغتصابي
أزْهَقَتْ أمُّ نَوْفَلٍ إذ دَعَتْها مُهْجَتي ما لقاتلي من مَتاب
حين قالتْ لها أجيبي فقالت مَنْ دعاني قالت أبو الخطّاب
فاستجابت عند الدعاء كما لبّى رجالٌ يرجون حُسْنَ الثواب
أبرزوها مثلَ المهاةِ تَهادى بين خَمسٍ كواعِبٍ أترابِ
وهي مكنونة تَحيّرَ منها في أديم الخدّيْنِ ماءُ الشَباب
ثم قالوا تُحِبُّها قلتُ بَهْراً عدَدَ النجْم والحَصَى والتُراب
دُمْيةٌ عند راهبٍ ذي اجتهاد صَوّروها في جانب المحراب

قوله : قلت وجدي بها كوجدك بالماء، معنى صحيح وقد اعْتَوَرَهُ الشعراءُ وكلهم أجاد فيه. وقوله : اذا ما منعت برد الشراب، يريد عند الحاجة، وبذلك صحّ المعنى . ويروى عن علي بن ابي طالب رحمه الله أن سائلاً سأله ، فقال : كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ فقال : كان والله أحَبَّ الينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ. وقال آخر وأحسبه قَيْسَ ابن ذَريح :

Marfat.com

حَلَفْتُ لها بالمشْعَرَيْنِ وزَمْزَمٍ وذو العرش فوق المُقْسِمينَ رقيب

(قال أبو الحسن : ويروى واللهُ فوق المقسمين وهو أحب اليّ) .

لئن كان بَرْدُ الماء حرّانَ صادياً اليّ حبيباً إنهـا لحبيبُ

وقال القُطاميُّ :

يَقْتُلْنَنا بحَديث ليس يَعْلَمُهُ مَنْ يَتَّقِيهِ ولا مَكْنُونُهُ بادي

فبنَ يَنْبِذْنَ من قول يُصِبْنَ به مواقعَ الماء من ذي الغُلَّةِ الصادي

والقول فيه كثير . وقوله : ضقت ذرعاً بهجرها والكتاب. قوله: والكتاب قَسَمٌ . وقوله : أرهقتْ أمْ نوفل اذ دعتها مهجتي تأويله أبطلت وأذهبت . قال الله جل وعز. فَسَدْمَغُهُ ، فاذا هو زاهق. وللزاهق موضع آخر وهوالسمين المُفْرِطُ . قال زُهَيْرٌ :

القائدُ الخيلَ مَنْكوباً دَوابِرُها منها الشَنونُ ومنها الزاهِقُ الزَهِمُ

وقوله : ما لقاتلي من متاب ، أي من توبةٍ ، والمصدر اذا كان بزيادة الميم من فَعَلَ يَفْعُلُ فهو على مَفْعَلٍ. قال الله جل وعز: فانه يتوب الى الله مَتاباً. وأما قوله جل ذكره : غافِرِ الذَنْبِ وقابِلِ التَوْبِ فيكون على ضربين يكون مصدراً ويكون جماعاً ، فالمصدر قولك ، تاب يتوب تَوْباً ، كقولك ، قال يقول قولاً ، والجمع تَوْبَةٌ وتَوْبٌ مثل تَمْرَةٍ وتَمْرٍ وجَمْرَةٍ وجَمْرٍ. وقوله : أبرزوها مثل المهاة تهادى، المَهاةُ هي البقرة في هذا الموضع ،وتُشَبَّهُ المرأةُ بالبقرة من الوحش لحسن عينها ولمشيتها ، والبقرة يقال لها العَيْناءُ والجماعُ العِينُ ، وكذلك يقال للمرأة ، وتكون المَهاةُ البِلّورَةَ في غير هذا الموضع . وقوله : تهادى، يريد يهدي بعضها بعضاً في مشيتها ، ومشية البقرة تُستحسن . قال ابن ابي ربيعة :

أبْصَرْتُها ليلة ونِسْوَتُها بِشِين بين المَقام والحَجَرِ

بِشِين في الرَيْطِ والمُروطِ كما بِشِي الهُوَيْنا سواكنُ البقرِ

وقوله : كواعب، الواحدة كاعِبٌ ، وهي التي قد كَعَبَ ثدياها للنُهودِ

Marfat.com

وأترابٌ أقرانٌ ، يقال تِرْبُ فلان. والمكوّرة المُكْتَنِزة. وقوله : ثم قالوا تحبُّها قلتُ بَهراً، قال قوم: اراد بقوله تحبها الاستفهام ، كما قال امرؤ القيس :

أحارِ تَرَى بَرْقاً ريكَ وميضَهُ .. فحذف الف الاستفهام وهو يريد اترى ، وقالوا : اراد أتحبها وهذا خطأ فاحش ، انما يجوز حذف الالف اذا كان في الكلام دليل عليها ، وسنفسر هذا ونذكر الصواب منه ان شاء الله قوله : تحبها ، ايجاب على غير استفهام ، انما قالوا أنت تحبها ، أي قد علمنا ذاكَ فهذا معنى صحيح لا ضرورة فيه . وأما قول امرىء القيس فانما جاز لانه جعَلَ الالف التي تكون للاستفهام تنبيهاً للنداء واستَغْنى بها ودلّتْ على ان بعدها ألفاً منوية فحُذفت ضرورةً لدلالة هذه عليها . ونظير قول امرىء القيس : أحار ترى برقاً، فاكتفى بالالف عن أن بعدها في تَرَى،قولُ ابن هَرْمةَ :

ولا اراهـــا تزال ظالمـــةً تُظْهِرُ لي قرْحةً وتَنْكَؤُها

استغنى بلا الاولى عن اعادتها ، كما قال التميمي وهو اللَعينُ المِنْقَريُّ :

لَعَمْرُكَ ما ادري وان كنتُ داريا شُعَيْثُ بنُ سهمٍ ام شُعَيْثُ بنُ مِنقَرِ

يريد أشعيث ، فدلت أمْ على الف الاستفهام . وقال ابن ابي ربيعة :

لعمرك ما ادري وان كنت داريا بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجمـ أم بثمان

هو مثل ذلك. وبيت الأخْطَلِ فيه قولان وهو :

كَذَبَتْكَ عينُك ام رأيتَ بواسِطٍ غَلَسَ الظلام من الرَّباب خَيالا

قال : اراد اكذبتك عينك ، كما قلنا فيما قبله. وليس هذا بالأجود ولكنه ابتدأ متيقناً ثم شك فأدخل ام، كقولك إنها لإبلٌ ثم تشك فتقول ، ام شاءٌ يا قوم وقوله: قلت بهراً،يكون على وجهين أحدهما حُبّاً يَبْهَرُني بَهراً اي يملؤني. ويقال للقمر ليلة البدر باهر ، اي يبهر النجوم اي يملؤها ، كما قال ذو الرُمّة :

كما يَبْهَرُ البدرُ النجومَ السواريا وقال الأعشى :

حَكَمْتموه فقضى بينكم أبْلَجُ مثلُ القمر الباهِرِ

Marfat.com

والوجه الآخر أن يكون أراد: بهراً لكم أي تَبّاً لكم حيث تلومونني على هذا، كما قال ابن مُفَرِّغ :

تَفاقدَ قَوْمي إذ يَبيعون مُهْجتي بجارية بَهْراً لهم بعدها بَهْراً

وقوله : عدد النجم والحصى والتراب، فيه قولان أحدهما انه أراد بالنجم النجوم ووضع الواحد في موضع الجمع لأنه للجنس ، كما تقول : أهْلَكَ الناسَ الدرهمُ والدينارُ وقد كَثُرت الشاةُ والبعيرُ ، وكما قال الله جل وعز : انّ الانسانَ لفي خُسْرٍ الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقال الشاعر :

فبات بَعْدُ النجمَ في مُسْتَجيرةٍ سَريعٍ بأيدي الآكلين جُمُودها

يريد النجوم، ويعني بالمستجيرةِ اهالةً . والوجه الآخر أن يكون النجم ما نَجَمَ من النّبت وهو ما لم يقم على ساق، والشجر ما يقوم على ساق، واليَقْطينُ ما انتشر على وجه الارض . قال الله عز وجل : والنَجْمُ والشَجَرُ يسجدان . وقال الحرث بن ظالم للأسود بن المُنذِرِ بن ماء السماء :

أخُصَّيَّ حمارٍ بات يَكْدِمُ نَجْمةً أيُؤْكَلُ جيراني وجارُكَ سالِمُ

ومن طريف شعره ، قوله :

فلما قَدَفْتُ الصوت منهم وأطْفِئَتْ مَصابيحُ شُبَّتْ بالعِشاء وأنْوُرُ *
وغاب قَمَيْرٌ كنتُ أرجو غُيُوبَه ورَوْحَ رُعْيانٌ ونَوْمٌ سُمُرُ
ونَفَّضْتُ عني العينَ أقبلتُ مِشْيةَ الـ ـحُبابِ ورُكْبي خِيفةَ القوم أزْوَرُ
فَحَيَّيْتُ اذ فاجأْتُها فتَوَلَّهَتْ وكادتْ بمكنون التحيّة تَجْهَرُ
وقالت وعَضَّتْ بالبَنان فَضَحْتَني وأنتَ امرؤ ميسور أمرِك أعْسَرُ
أرَيْتَكَ اذ هُنّا عليك ألم تَخَفْ رَقيباً وحولي من عَدُوِّكَ حُضَّرُ
فوالله ما أدري أتَعْجيلُ حاجةٍ سَرَتْ بك أم قد نام من كنتَ تَحْذَرُ
فقلتُ لها بل قادني الشوقُ والهوى اليك وعَيْنٌ من الناس تنظرُ
فيا لكَ من ليل تقاصَرَ طولُهُ وما كان ليلى قبل ذلك يَقْصُرُ

* تعتبر هذه القصيدة أروع ما قاله عمر فهي حلقة تمهيد قبل المسرحية الحديثة ، وفيها نفس ملحمي ظاهر وطريف .

Marfat.com

ويا لكَ من مَلْهىً هُناكَ وَمجْلسٍ ... لنا لم يُكَدِّرْهُ علينا مُكدِّرُ
يَمُجُّ ذَكيُّ المسكِ منها مُفَلْفَلٌ ... رقيقُ الحواشي ذو غُروبٍ مُؤشَّرُ
يَرِفُّ اذا يَفْتَرُّ عنه كأنه ... حَصى بَرَدٍ أو أقْحوانٌ مُنَوَّرُ
وتَرْنو بعينيها الىَّ كما رَنَتْ ... الى رَبْرَبٍ وَسْطَ الخميلة جُؤْذُرُ
فلمّا تَقَضَّى الليلُ إلاّ أقَلَّهُ ... وكادتْ تَوالي نجمِهِ تَتَغَوَّرُ
أشارَتْ بأن الحيَّ قد حان منهمُ ... هُبوبٌ ولكنْ مَوْعِدٌ لكَ عَزْورُ
فما راعَني الا مُنادٍ بِرِحْلةٍ ... وقد لاحَ مَفْتوقٌ من الصبح أشْقَرُ
فلما رأتْ مَنْ قد تَشَوَّرَ منهمُ ... وأيْقاظَهُمْ قالت أشِرْ كيف تأمُرُ
فقلت أبادِيهِمْ فإمّا أفوتَهم ... وأما يَنالُ السيفُ ثأراً فَيَثْأرُ
فقالتْ أتحقيقاً لِما قال كاشِحٌ ... علينا وتَصْديقاً لما كان يُؤْثَرُ
فانْ كان ما لا بُدَّ منه ففيرُهُ ... من الأمر أدْنى للخَفاء وأسْتَرُ
أقُصُّ على أُخْتَيَّ بَدْءَ حديثنا ... ومالِيَ من أنْ تَعْلما مُتَأخَّرُ
لعلَّهما أن تبْغيا لكَ مَخْرَجاً ... وأن تَرْحَبا سِرْباً بما كنتُ أحْضَرُ
فقامتْ كئيباً ليس في وجهها دَمٌ ... من الحزن تَذْري عَبْرةٌ تَتَحَدَّرُ
فقالتْ لأُختيها أعِينا على فَتىً ... أتى زائراً والأمْرُ للامرِ يُقْدَرُ
فأقْبَلَتا فارتاعَتا ثم قالتا ... أقِلِّي عليكِ الهَمَّ فالخَطْبُ أيْسَرُ
يقوم فيمشي بيننا مُتَنَكِّراً ... فلا سِرُّنا يَفشو ولا هو يَظْهَرُ
فكان بِجَنْبي دون مَنْ كنتُ أتَّقي ... ثلاثَ شخوصٍ كاعِبانِ ومُعْصِرُ
فلما أجَزْنا ساحةَ الحيِّ قُلْنَ لي ... ألم تَتَّقِ الاعداءَ والليلُ مُقْمِرُ
وقُلْنَ أهذا دَأبُكَ الدهرَ سادِراً ... اما تَستحي أو تَرْعَوي أو تُفَكِّرُ

قوله : شُبَّتْ يقول 'أوقدت'، يقال: شَبَبْتُ النارَ والحَرْبَ أي أوقدتها. وقوله : وانوِّر ان شئت همزت وان شئت لم تهمز ، وانما الهمزة لانضمام الواو ،

Marfat.com

وقد مضى تفسير هذا . وقوله: قمير، انما صغره لأنه ناقص عن التمام وهذا في أول الشهر ، وكذلك في آخر الشهر ، لأن النقصان فيهما واحد . قال عمر :

وقُمَيْرٌ بَدَا ابن خمسٍ وعشريـــن له قـالت الفَتاتان قُوما

وقوله رُعْيان ، يريد جمع الراعي ، ومثله راكب ورُكْبان ، وفارِس وفُرْسان. والسمّر، جمع السامر. وهم الجماعة يتحدثون ليلاً، والحباب حِبة بعينه. وقوله : ونفضت عني العين ، يقول احترست منها وأمِنتُها. والنَفَضُ أمـــام العَسْكرِ هم القومُ يتقدمون فينفضون الطريق. وقوله أزور، يعني متجافياً، يقال تزَاوَرَ فلان اذا ذهب في شِقّ . وقوله : ذو غروب، غَرْبُ كلّ شيء حَدُّهُ وانما يعني الاسنان ، وقوله مؤشر يعني له أُشْرٌ وهو تشرير الاسنان في قول الناس جميعاً ، يقال لاسنانه أُشْرٌ فهذا الشائع الذائع، وأما الشَنَبُ فهو عندهم جميعاً بَرْدٌ في الاسنان . وحدثني الرياشي عن ابن عائشة قال : أخذ أبي حَبّـة رُمّانٍ بين اصبعيه فاذا هي تَرِفُ، فقال هذا الشَنَبُ. وقوله : وكادت توالي نجمه تتغور، التوالي التوابع، وتتغور تَغورُ فتذهب، وهو مأخوذ من الغَوْرِ . وقوله : أشارت بأن الحي قد حان منهم هبوب ، يقول انتباه . يقال هَبَّ من نومه يَهُبُّ . قال عمرو بن كلثوم :

ألا هُبّي بصَحْنِكِ فاصْبَحينا (ولا تُبْقي خُمورَ الأندَرينـا)

وقال الآخر :

هَبَبْتُ تلوم وليستْ ساعةَ اللاّحي هلا انتظرتِ بهذا اللومِ إصْباحي

وعزوَر موضع بعينه . وقوله : وأيقاظهم جمـع يَقْظٍ . وقوله فقالت : أتحقيقاً أي أتفعل هذا تحقيقاً ، ومن كلام العرب أكُلٌ هذا بخلاً وذاك انه رآه يفعل شيئاً أنكره، فقال أتفعل كل هذا بخلاً. وقوله : أباديهم يعني أظهر لهم، غير مهموز ، يقال بَدا يَبْدو غير مهموز اذا ظهر، وبدأت بهذا مهموز اذا أردت به معنى الاول . وقوله بده حديثنا يريد أولَ حديثنا . وقوله : وان ترحبا يريد أن تتسعا أي تتسع صدورهما من قولهم فلان رَحيبُ الصدر . وقوله : أحْضَر

Marfat.com

أضيق به ذَرْعاً ، وقد مضى تفسيره. وقوله : يجَنّي يريد تُرْسي . وقوله : ثلاث شخوص والوجه ثلاثة أشْخُص ، ولكنه لما قَصَدَ الى النساء أنّث على المعنى وابان ما أراد بقوله : كاعبان ومعصر . ومثل قول الشاعر :

فانْ كِلاباً هذه عَشْرُ أبْطُنٍ وأنتَ بريءٌ من قَبائلها العَشْرِ

فقال: عشر أبطن، لان البطن قبيلة ، وابان ذلك في قوله من قبائلها العشر . وقال الله جل وعز : من جاء بالحسنة فله عَشْرُ أمثالها ، لان المعنى حسنات . ويروى ان يزيد بن معاوية لما أراد توجيه مسلم بن عُقْبةَ المُرّيّ الى المدينة اعترض الناسَ فمر به رجلٌ من أهل الشام معه تُرْسٌ قبيح ، فقال له : يا أخا أهل الشام! يجَنُّ ابن أبي ربيعة أحسنُ من يجَنّكَ ، يريد قولَ ابن أبي ربيعة :

فكان مجني دون مَنْ كنت اتقي ثلاث شخوص كاعبانِ ومُعْصِرُ

وقوله أما تستحي يريد تستحيي وله تفسير يبعد في العربية قليلا وسنذكره بعد ذا ان شاء الله تعالى .

٤٤ - باب

قال أبو العباس : وحُدّثتُ ان عُمَرَ الوادي قال : أقبلتُ من مكة أريد المدينة ، فجعلت أسير في صَرْدٍ من الارض ، فسمعت غِناءً من القَرار لم أسمع مثله ، فقلتُ : والله لأتَوَصّلَنّ اليه ولو بذَهاب نفسي. فانحدرتُ اليه ، فاذا عبد أسود ، فقلت له أعِدْ عليّ ما سمعتُ . فقال لي : والله لو كان عندي قِرًى أقْرِيَك ما فعلتُ ولكني أجعله قِراكَ فاني ربما غَنّيْتُ هذا الصوتَ وانا جائع فأشبع ، وربما غنيته وأنا كَسْلانُ فأنشَطُ ، وربما غنيته وأنا عطشان فأرْوَى ، ثم انبَرى يُغَنّيني :

وكنتُ اذا مازُرْتُ سُعْدَى بأرضها أرى الأرضَ تُطْوَى لي ويَدْنو بعيدُها
من الخفِرات البيض وَدْ جَليسُها اذا ما قضَتْ احْدوثةً لو تَعيدُها

Marfat.com

(وبعده :

تَحَلَّلْ أَحْقادي اذا ما لَقيتُها وتَبْقى بلا ذنب عليَّ حُقودُها
وكيف يُحِبُّ القلبُ مَنْ لا يُحِبُّهُ بَلى قد تريد النفسُ مَن لا يريدها)

قال عمر : فحفظتُه عنه ثم تغنَّيت به على الحالات التي وَصَفَ فاذا هو كما ذَكَرَ . وتَحَدَّثَ الزُّبَيْرِيُّونَ عن خالدٍ صاحِبَ انه كان من أحسن الناس ضرباً بالعُود ، قال . فَقَدِمْتُ على الوَليد بن يَزيد وهو في مجلسٍ ناهيكَ به مجلساً ، فألفَيته على سريره وبين يديه مَعْبَدٌ ومالك بن أبي السَّمْحِ وابن عائشة وأبو كامل غُزَيِّلٌ الدِمَشْقيُّ . فجعلوا يغنّون حتى بلغت النَوْبَةُ اليَّ فَغَنَّيْتُهُ :

سَرَى هَمّي وَهَمُّ المَرْءِ يَسْري وغارَ النَجْمُ الا قيدَ فِتْرِ
أراقِبُ في المَجَرَّةِ كلَّ نَجْمٍ يَعَرَّضَ أو على المَجْراةِ يَجْري
لِهَمٍّ ما أزالُ له قَرينا كأنَّ القلبَ أبْطِنَ حَرَّ جَمْرِ
على بَكْرٍ أخي فارقتُ بَكْراً وأيُّ العَيْشِ يَصْلُحُ بعد بَكْرِ

فقال لي : أَعِدْ يا صامَ ، ففعلتُ ، فقال لي : مَنْ يقولُ هذا الشعر ؟ فقلت ، هذا يقوله عُرْوَةُ بن أُدَيْنَةَ يرثي أخاه بكراً . فقال لي الوليد : وأي العيش يصلح بعد بكر . هذا العيش الذي نحن فيه والله قد تَحَجَّرَ واسعاً على رَغْمِ أنفِهِ . وحدّثتُ أن سُكَيْنَةَ بنت الحسين أنشدَتْ هذا الشعر . فقالت ومَنْ بَكْرٌ ؟ فوصِف لها ، فقالت : أذاك الأُسَيْدُ الذي كان يمر بنا والله لقد طاب كلُّ شيء بعد ذاكَ حتى الخبزُ والزيتُ . ورَوى أصحابنا أن يزيد بن عبد الملكِ ـ وأمُّه عاتِكَةُ بنت يزيد بن معاوية واليها كان يُنْسَبُ ـ قال يوماً : يقال ان الدنيا لم تَصْفُ لاحد قطُّ يوماً ، فاذا خَلَوْتُ هذا فاطْلُبوا عني الاخبار وَدَعوني وَلَذّتي وما خَلَوْتُ له . ثم دعا بحَبابةَ ، فقال : اسقيني وغنّيني فخَلَوا في أطيب عَيْشٍ ، فتناولت حَبابةُ حَبَّةَ رُمّانٍ فرصه بها في فيها ، فَغَصَّتْ بها فماتت ، فجَزِعَ يزيدُ جزَعاً أذهَلَهُ ومَنَعَ من دفنها حتى قال له مشايخ بني أُمَيَّةَ ، ان هذا عيب لا يُستقالُ وانما هذه جيفةٌ ، فأذِنَ في دفنها وتَبِعَ جِنازَتَها . فلما واراها قال : أمسيتُ والله

Marfat.com

فيكِ ، كما قال كُثَيِّرٌ :

فان تَسْلُ عنكِ النفسُ أو تَدَعِ الهَوى
فباليأسِ تَسْلو عنـــك لا بالتَجَلُّدِ
وكلُّ خليلٍ راءَني فهو قائـــلٌ مِن أجْلِكِ هذا هامةُ اليومِ او غَدِ

فمُدَّ بينهما خمسةَ عشر يوماً . وقوله راءني يريد رآني ولكنه قَلبَ فأخر الهمزة . ونظير هذا من الكلام قِسِيٌّ في جمع قَوْسٍ وانما الاصل قُوُوسٌ ولما أُخِّرَ الواوين أُبْدِلَ منهما ياءين كما يجب في الجمع ، تقول دَلْوٌ ودُلِيٌّ وعاتٍ وعُتِيٌّ ، وان شئت قلت عِتِيٌّ ودِلِيٌّ من أجل الياء ، فان كان فُعولٌ لواحد ، قلت عُتُوٌّ . . ويجوز القلبُ . والوجه في الواحد اثبات الواو ، كما تقولُ مَغْزُوٌّ ومَدْعُوٌّ ويجوز مَغْزِيٌّ ومَدْعِيٌّ . وفي القرآن: وعَتَوْا عُتُوّاً كبيراً ،وقال أيُّهُمْ أشَدُّ على الرحمن عِتِيّاً . وقال : ارْجِعي الى ربِّكِ راضيةً مَرْضِيَّةً والأصل مَرْضُوَوَةً لانه من الواو من الرضوان . ومن القلب قولهم طَأمَنَ ، ثم قالوا : اطْمأنَّ فأخروا الهمزة وقدموا الميم ، ومثل هذا كثير جداً : وقوله : هذا هامةُ اليوم أو غَدِ ،يقول مَيِّتٌ في يومه او في غده ، يقال انما فلان هامة اي يصير في قبره وأصل ذلك شيء كانت العرب تقوله ،وقد مضى تفسيره . وحدثني عبد الصمد بن المُعذَّلِ قال : سمعتُ اسحق بن ابراهيم المَوْصليَّ يتحدث قال: حَجَجتُ مع أمير المؤمنين الرشيدِ ، فلما قَفَلْنا فنزلنا المدينة آخيتُ بها رجلاً كان له سِنٌّ ومعرفة وأدَبٌ فكان يُمْتِعُني فاني ذاتَ ليلةٍ في منزلي اذا أنا بصوته يَسْتأذن عليَّ ، فظننت أمراً قد فَدَحَهُ ففَزِعَ فيه اليَّ . فأسرعت نحو الباب ، فقلت : ما جاء بك ؟ فقال: اذن أخبرَكَ ، دعاني صديقٌ الى طعام عَتيدٍ وشراب قد اتقى طرفاه وشِواءٍ رِشْراشٍ وحديث مُمْتِعٍ وغِناء مُطْرِبٍ فأجبته وأقمت معه الى هذا الوقت فأخذتْ مني حُمَيَّا الكأسِ مأخذها ثم غنَّيتُ بقول نُصَيْبٍ :

بزينبَ أَلِمْ قبل أن يَرْحَلَ الرَكْبُ وقل ان تَمَلَّيْنا فما مَلَكِ القلبُ

فكدتُ أطير طرباً ، ثم وجدت في الطرب نقصاً اذ لم يكن معي مَنْ يَفْهَمُ

Marfat.com

هذا كما فهمته ففزعتُ اليك لأصفَ لكهذه الحال ثم ارجع الى صاحبي ،وضَرَبَ نَعْلَيْهِ مُوَلِّياً عني، فقلت : قِفْ أكلِّمْكَ . فقال: ما بي الى الوقوف اليك من حاجة . وحدّثني غير واحد من أصحابنا عن أبي زيـــد سعيد بن أوس الانصاري يُسْنِدُهُ قال : كانت وَليمةٌ في أخوالنار، وهم حَيٌّ يقال لهم بنو نُبَيْظٍ من الانصار . قال : فحضر الناس وجاء حَسّان بن ثابت وقـد ذهبَ بصرُه ومعه ابنه عبد الرحمن يقوده. فلما وُضِعَ الطعـام وجيء بالثـريد ، قال حسان لابنه : يا بنيّ أطعامُ يَدٍ أم طعام يَدَيْنِ ؟ فقال بل طعام يد،فأكل. ثم جيء بالشواء فقال : أطعام يد أم طعام يدين ؟ فقال: طعام يدين فأمسك. وفي المجلس قَيْنَتان تغنيان بشعر حسان :

انظُرْ خَليلي بباب جِلِّقَ هل تُؤنِسُ دون البَلْقاءِ من أحـد

قال: وحسان يبكي يذكر ما كان فيه من صحة البصر والشباب وعبدالرحمن يومىء اليهما أن زيدا ، قال أبو زيد : فَلْأعْجَبَني ما أعْجبهُ من أن تُبَكّيا أباه ، يقول : عَجِبْتُ ما الذي اشتَهى من ان تبكيا اباه ، فقوله أعجبني اي تركني اعْجَبُ ، ومثله قول ابن قَيْسِ الرُّقَيّاتِ :

ألا هَزِئَتْ بنا قُرَشيـــةٌ يَهْتَزُّ مَوْكِبُهـا
رأتْ بي شَيْبَةً في الرأ سِ عني ما أُغَيِّبُها
فقالتْ أبْنُ قيسٍ ذا وبعضُ الشيب يُعْجِبُها

اي تتعجب منه . وحدثني عبد الصمد بن المُعَذّلِ قال : كان خَليلانُ الأُمَويُّ يتغنى ويرى ذاك زائداً في الفُتُوّةِ . وكان خَليلانُ شريفاً وذا نعمة واسعة، فحضر يوماً منزل عُتْبَةَ بن سَلْمِ الهُنائيّ وهو أمير البصرة وكان عاتياً جباراً، فلما طَعِما وخَلَوا نظر خليلانُ الى عودٍ موضوع في جانب البيت فَعَلِمَ انه عُرِّضَ له به فأخذه فتغنّى :

بابنة الأزْدِيِّ قلبي كَئيبُ مُسْتَهامٌ عندها ما يؤوبُ
ولقد لاموا فقلتُ دَعُوني انّ مَن تَلْحَوْنَ فيه حبيبُ

Marfat.com

فجعَلَ وجهُ عقبة يتغير وخليلانُ في سَهْوٍ عما فيه عقبةُ يَرى انه محسن، ثم فطَنَ لتغير وجه عقبة فعلم انه لِما تَعَنّى به، فقَطَعَ الصوت وجعل مكانه :

ألا هزئت بنا قرشيـــة يهتز موكبهـا

فَسُرّيَ عن عقبة ، فلما انقضى الصوت وضع خليلانُ العودَ ووَكدَ على نفسه الحلف ألا يُغَنّي عند من يجور امرُه عليه ابداً. وحُدّثتُ ان رجلاً تغنى بحضرة الرشيد بشعر مُدِحَ به عليُّ بن رَيْطَه وهو عليّ ابن امير المؤمنين المَهْدي وتَغَنّاهُ المغني على جهل وهو :

قل لعليٍّ أيا فتى العربِ وخيرَ نامٍ وخيرَ مُنتَسِبِ
أعْلاكَ جدّاك يا عليُّ اذا قصّرَ جدٌّ في ذِرْوةِ الحسَبِ

ففتش عن المغني فوجده لم يَدْرِ فيمن الشعرُ فبَحَثَ عن اول مَن تغنى فيه فاذا هو عبد الرحيم الرَقّاصُ فأمر به فضرب اربعمائة سوط . وحُدّثتُ ان معاوية استمع على يزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناءً أعجبه ، فلما اصبح قال ليزيد : من كان مُلْهِيكَ البارحةَ . فقال له يزيد : ذاك سائبُ خاثِرٍ. قال : إذاً فأحْسِنْ له من العطاء . وحُدّثتُ ان معاوية قال لعمرو: امضِ بنا الى هذا الذي قد تَشاغَل باللهو وسعى في هدم مُروءتِهِ حتى نَنْعَى عليه، اي نعيب عليه فعله، يريد عبدالله بن جعفر بن ابي طالب. فدخلا اليه وعنده سائبٌ خاثِرٍ وهو يُلقي على جَوارٍ لعبدالله فأمر عبدالله بتنحية الجواري لدخول معاوية وثبتَ سائبٌ مكانه . وتَنَحّى عبدُالله عن سريره لمعاوية فرفع معاوية عمراً فأجلسه الى جانبه، ثم قال لعبدالله: أعِدْ ما كنتَ فيه. فأمر بالكَراسيّ فألقيتَ وأُخْرِجَ الجواري فتغنى سائب بقول قيس بن الخطيم .

ديارُ التي كادتْ ونحن على مِنىً تحُلُّ بنا لولا نَجاءُ الرَكائبِ
ومثلِكِ قداصبيتُ ليستْ بكنّةٍ ولا جارةٍ ولا حَليلةِ صاحبِ

وردّدَهُ الجواري عليه، فحرك معاويةُ يديه وتحرك في مجلسه ثم مَدّ

Marfat.com

رجليه ، فجعل يضربُ بهما وجه السرير . فقـــال له عمرو : اتّئِدْ يا امير المؤمنين ، فان الذي جئتَ لتَلْتحاهُ أحسنُ منك حالاً ، وأقل حركة . فقال معاوية : اسكتْ لا أبالك فان كلّ كريم طَروبٌ . وحُدّثتُ من غير وجه أن سفيان بن عُيَيْنة قال لجلسائه يوماً إني أرى جارنا هذا السَهْمِيّ قد أثرى وانفسحتْ له نِعمةٌ ، وصار ذا جاه عند الامراء ، ووافداً الى الخلفاء ، فَمِمّ ذاكَ ؟ يعني يحيى بن جامعٍ . فقال له جلساؤه : انه يصير الى الخليفة فيتغنى له . فقال سفيان : فيقول ماذا ؟ فقال احد جلسائه : يقول :

أطوفُ نهاري مع الطائفين وأرْفَعُ مِئْزَري المُسْبَلِ

فقال سفيان : ما احسَنَ ما قال ؟ فقال الرجل :

وأسْهَرُ ليلي مع العاكفين وأتلو من المُحْكَمِ المُنْزَلِ

قال: حَسَنٌ والله جميلٌ. قال: انّ بعد هذا شيئا. قال سفيان: وما هو؟ قال:

عَسى فارِجُ الكَرْبِ عن يوسفٍ يُسَخّرُ لي رَبْـــةَ المَحْمَلِ

فزَوَى سفيان وجهه ، وأومأ بيده ان كُفّ وقال : حَلالاً حلالاً . ولقي ابنُ ابْجَرَ عَطاءَ بن ابي رَباحٍ وهو يطوف ، فقال : اسمَعْ صوتاً للغريض . فقال له عَطاءٌ : يا خَبيثُ افي هذا الموضع ؟ فقال ابن ابْجَرَ : ورَبّ هـذه البَنِيّةِ لَتَسْمَعَنّهُ خفيّةً او لأشيدَنّ به . فوقف له فتَغَنّى :

عوجي علينـــا رَبّةَ الهَوْدَجِ إنّكِ ان لا تَفْعَلي تَحْرَجي
أنّى اتيحت لي يَمانيـــةٌ إحدى بني الحرث من مَذْحِجِ
تَلْبَثُ حولاً كامـــلاً كلّه لا تَلْتَقي إلا على مَنْهَجِ
في الحج إن حَجّتْ وماذا مِنىً واهْلُهُ ان هي لم تَحْجُجِ

فقال له عطاء الكثير الطَيّبُ يا خبيثُ . وسَمِعَ سليمانُ بن عبد الملك مُتَغَنّياً في عسكره فقال: اطلبوه. فجاؤوا به فقال: أعِدْ ما تغنّيتَ. فتغنى واحْتَفَلَ ، وكان سليمانُ مُفْرِطَ الغَيْرَةِ ، فقال لأصحابه: والله لكأنها جَرْجَرةُ الفحل في الشَوْلِ ، وما احسبُ انثى تسمع هذا إلا صَبَتْ. ثم امر به فخُصِيَ.

Marfat.com

وحدّثتُ ان الفرزدق قدم المدينة، فنزل على الأحوصِ بن محمد بن عبدالله بن عاصم بن ثابت بن ابي الأقلحِ، فقال له الأحوصُ : الا اسمعُكَ غِناءً من غِناءِ القُرى . فأتاه بمُغَنٍّ فجعل يغنيه . فكان مما غنّاه :

أتنسى إذ تودّعنا سُلَيْمى بفَرْعِ بَشامةٍ سُقِيَ البَشامُ
ولو وَجدَ الحمامُ كما وَجدْنا بسُلْمانَيْنِ لاكْتابَ الحمامُ

فقال الفرزدق : لمن هذا ؟ فقالوا : لجرير . ثم غناه :

اسْرى لخالِدَةَ الخيالُ ولا ارى شيئاً الذَّ من الخيال الطارق
ان البليةَ من تَمَلُّ حديثَه فانقَعْ فؤادكَ من حديث الوامق

فقال : لمن هذا ؟ فقيل : لجرير . ثم غناه :

ان الذين غدَوْا بلُبّكَ غادروا وَشلاً بعينكَ ما يزال مَعينا
غَيَّضْنَ من عَبَراتهنّ وقُلْنَ لي ماذا لقيتَ من الهوى ولَقينا

فقال : لمن هذا ؟ فقالوا : لجرير . فقال الفرزدق: ما احوَجهُ مع عَفافه الى خُثُونةِ شِعْري ، واحْوَجَني مع فُسوقي الى رِقّةِ شعره . وقال الأحْوَصُ يوماً لمَعْبَدٍ : امضِ بنا الى عَقيلةَ حتى نتحدث اليها ونسمع من غنائها وغناء جواريها . فمضيا فأتيا على بابها مُعاذاً الأنصاريّ ، ثم الزُرَقيّ وابنَ صائد النجاري ، فاستأذنوا عليها جميعاً فأذنت لهم الا الاحوص ، فانها قالت : نحن غِضابٌ على الاحوص . فانصرف الاحوص وهو يلوم اصحابه على استبدادهم ، فقال :

ضَنّتْ عَقيلةُ لما جئتُ بالزاد وآثرت حاجةَ الثاري على الغادي
فقلتُ والله لولا ان تقولَ له قد باح بالسِرّ اعدائي وحُسّادي
قلنا لمنزلها حُيّيتَ من طَلَلٍ وللعَقيق الا حُيّيتَ من وادي
اني جعلتُ نَصيبي من مودتها لِمَعْبدٍ ومُعاذٍ وابن صَيّاد
لابن اللَعين الذي يُخْبا الدخانُ له وللمُغَنّي رسولِ الزورِ قوّادي
اما معاذٌ فاني لستُ ذاكِرَهُ كذاك اجدادُهُ كانوا لأجْدادي

Marfat.com

قال الزبيري: وكان مُعاذٌ جَلْداً فخاف الأحوصُ ان يضربه، فحلف مَعْبدٌ ان لا يكلم الاحوص ولا يتغنى في شعره، فشقّ ذلك على الاحوص. فلما طالتْ هِجْرتهُ اياه رَحلَ نجيباً له وجعل طِلاءً في مِذْرَعٍ (والمذرع زِقٌ سُلِخَ حين سُلِخَ مما يلي الذراعَ)في حقيبة رحلهِ، واعدّ دنانير ومضى نحو معبد. فأناخ ببابه ومعبدٌ جالس بفنائه فنزل اليه الاحوصُ فكلمه ، فلم يكلمه معبد، فقال: يا ابا عَبّادِ أتهجرني؟ فخرجت اليه امرأته امّ كَرْدَمٍ فقالت: أتهجرُ ابا محمد؟ والله لتكلمنه . قال : فاحتمله الاحوص ، فأدخله البيت وقال : والله لا رِمْتُ هذا البيت حتى آكل الشِواءَ ، واشرب الطِلاءَ، وأسمع الغِناء . فقال له معبد: قد أخزى الله الا بَعْدَ هذا الشِواء أكلتَهُ، والغناء سمعته ، فأنّى لك بالطِلاء؟ قال : قُمْ الى ذلك المذرع ففيه طلاء ومعه دنانير ، فأصلح بها ما تريد من أمرنا. ففعل كل ما قال . فقالت ام كَرْدمٍ لمعبد: أتهجر مَن ان زارنا أغدر فينا فضلاً ونَبْلاً ، وان فارقنا خلّفَ فينا عقلاً ونُبْلاً !فانصرف الاحوص مع العصر فمر بين الدارين وهو يميل بين شَمْبَتَيْ رحله . وحُدّثْتُ ان سعد بن مُصْعب بن الزبير اتُّهِمَ بامرأة في ليلةِ مَناحةٍ أو عُرْسٍ ،وكانت تحته ابنة حمزة بن عبدالله ابن الزبير . فقال الاحوص : وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار :

ليس بسَعْدِ النارِ مَنْ تذكُرونه ولكنّ سَعدَ النار سعدُ بنُ مُصْعبِ
ألم ترَ انّ القومَ ليلةَ جمعهم بَغَوْهُ فألفوه لدى شَرّ مَرْكبِ
فما يَبْتَغي بالشرّ لا درّ درّهُ وفي بيته مثلُ الغزال المُرَيّبِ

فأمر سعدُ بن مصعب بطعام ، فصنع ثم حُمِلَ الى قباب العرب ، وقال للأحوص،وكان له صديقاً:تعالَ نَمْضِ فنصيب منه.فلما خلا به أمَر به فأوثِق وأراد ضربه فقال له الاحوص : دَعْني فلا والله لا أهجو زُبَيْرِيّاً ابداً . فحله ثم قال : اني والله ما لُمتك على مزحك ولكني انكرت قولك :

وفي بيته مثل الغزال المريب . وحُدّثْتُ ان ابن ابي عَتيق ذُكِرَ له ان الخَنَثَيْن بالمدينة خُصِيا ، وانه خُصِيَ الدّلالُ فيهم فقال : أنا له ، اما والله

Marfat.com

لئِن فُعِلَ ذلك به لقد كان يُحْسِن :

لِمَنْ رَبْعٌ بِذات الجَيْش أمْسى دارسا خَلَقا

ثم استقبل ابنُ ابي عتيق القبلةَ يصلي فلما كَبّر سَلّمَ ، ثم التفت الى اصحابه فقال : اللهم انه كان يُحْسِنُ خَفيفَهُ فأما ثقيلهُ فلا. الله اكبر. وحُدِّثْتُ ان مَدَنِيّاً كان يصلي مذ طلعت الشمس الى ان قارب النهار ان ينتصف ومن ورائه رجل يَتَغَنّى وهما في مسجد رسول الله ﷺ ، فاذا رجل من الشُرَطِ قد قبض على المغني فقال : أَتَرْفعُ عَقيرتَكَ بالغِناءِ في مسجد رسول الله ﷺ ، فأخذه. فانفتل المدنيُّ من صلاته ، فلم يزل يَطلُبُ اليه فيه حتى استنقذه ، ثم أقبل عليه فقال : أتدري لِمَ شَفَعْتُ فيك ؟ قال : لا ، ولكني إخالُكَ رحمتني . قال : إذاً فلا رحمني الله . قال : فأحسبك عرفتَ قرابةً بيننا . قال : إذاً فقطعها الله . قال : فلِيَدٍ تقدمتْ مني اليك . قال : لا والله ولا عرفتُكَ قبلها. قال : فخَبِّرْني . قال : لأني سمعتك غَنَّيْتَ آنفاً فأقمتَ واواتِ مَعْبَدٍ ، أما والله لو أسأتَ التأدية لكنتُ أحد الاعوانَ عليك . والصوتُ الذي ينسبُ الى واوات معبد شعرُ الأعشى الذي يُعاتبُ فيه يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشيباني ، وهو قوله :

هُرَيْرةَ وَدِّعْها وإنْ لام لائمٌ غداةَ غد أم أنتَ للبينِ واجِمُ
لقد كان في حَوْلٍ ثواءٍ ثَوَيْتَهُ تُقَضّى لُبانات ويَسْأمُ سائِمُ

قوله : هريرةَ ودعها وإن لام لائم ، منصوب بفعل مضمر تفسيره وَدِّعْها كأنه قال : وَدِّعْ هريرة ، فلما اختُزِلَ الفعل أظهر ما يدلُّ عليه ، وكان ذلك أجود من أن لا يُضْمِرَ ، لان الأمر لا يكون إلا بفعل ، فأضمر الفعل اذ كان الأمر أحقَّ به . وكذلك : زيداً اضربه ، وزيداً فأكرمه. وإن لم تُضمر ورفعتَ جاز وليس في حُسْنِ الأول ترفعه على الابتداء وتُصَيِّرُ الأمر في موضع خبره. فأما قول الله عزّ وجل : والسارِقُ والسارِقةُ فاقطعوا أيديهما ، وكذلك الزانيةُ والزاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة. فليس على هذا ، والرفعُ الوجهُ ، لأن

Marfat.com

معناه الجزاء كقوله : الزانيةُ أي التي تزني،فإنما وجب القطع للسَرِقِ والجَلْدُ للزنا،فهذا مجازاة.ومن ثم جاز: الذي يأتيني فله درهم،فدخلت الفاء لانه استحقّ الدرهم بالاتيان. فان لم ترد هذا المعنى قلت : الذي يأتيني له درهم ، ولا يجوز : زيد فله درهم على هذا المعنى.ولكن لو قلتَ: زيد فله درهم، على معنى:هذا زيد فله درهم،أو هذا زيد،فحسنٌ جميل جاز على انزيداً خبر وليس بابتداء،وللاشارة دخلت الفاء . وفي القرآن : الذين يُنفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانيةٍ فلهم أجرهم عند ربهم . ودخلت الفاء لأن الثواب دخل للانفاق . وقد قرأت القُرّاءُ : الزانيةَ والزاني فاجلدوا ، والسارقَ والسارقةَ فاقطعوا، بالنصب على وجه الأمر والوجه الرفع والنصب حسن في هاتين الآيتين، وما لم يكن فيه معنى جَزاءٍ فالنصب الوجه . ويروى أن مَعْبَداً بلغه ان قُتَيْبةَ بن مسلم فتح خمس مَدائن فقال : لقد غَنّيْتُ خمسة أصوات هُنّ أشد من فتح المدائن التي فتحها قتيْبة بن مسلم. والأصوات :

وَدّعْ هُرَيْرةَ ان الرَكبَ مُرتحل وهل تُطيقُ وَداعاً أيها الرجلُ

وقوله :

هريرةَ وَدّعْها وإن لامَ لائِم غَداةَ غدٍ أم أنت للبَيْنِ واجِمُ

وقوله :

رأيتُ عَرابةَ الأوْسيَّ يَسْمو الى الخيراتِ مُنقَطِعَ القَرين

وقوله :

ودّعْ لُبابةَ قبل أنْ تَترَحّلا وأسألْ فان قَليلةٌ أن تَسْألا

وقوله :

لعَمْري لئن شَطّتْ بعَتْمةَ دارُها لقد كنتُ من خوف الفِراقِ أليعُ

أما قوله : ودّع هريرة ان الركب مُرتحل . وقوله : هريرة ودّعها وان لام لائم ، فللأعشى يعاتب فيها يَزيدَ بن مُسْهِرٍ الشَيبانيّ بقول :

أبْلِغْ يَزيدَ بني شَيْبانَ مَألُكةً أبا ثُبَيتٍ أما تَنفَكُّ تأتَكِلُ

Marfat.com

ألستَ مُنتهياً عن نحتِ أثلَتِنا ... ولستَ ضائِرَها ما أطَّتِ الإبلُ
كناطِحٍ صَخْرةً يوماً ليَفْلِقَها ... فلم يَضِرْها وأوْهى قَرْنَهُ الوَعِلُ

ويقول في الأخرى يعاتبه أيضاً :

يزيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دوني كأنما ... زَوى بين عَيْنَيْهِ عليَّ المحاجِمُ
فلاينبسِطْ من بين عينيك ماانْزَوى ... ولا تَلْقَني إلا وأنفُكَ راغِمُ
فأقْسِمُ ان جَدَّ التقاطُعُ بيننا ... لتَصْطَفِقَنْ يوماً عليكَ المآتِمُ
وتلقى حَصانٌ تَنْصُفُ ابنةَ عَمِّها ... كما كان يُلْقى الناصفاتُ الخوَادِمُ
إذا اتصلتْ قالت أبَكرَ بن وائل ... وبَكرٌ سَبَتْها والأنوفُ رَواغِمُ

فأما الشعر الثالث فللشَمّاخ بن ضِرارِ بن مُرَّة بن غَطَفانَ يقوله لعَرابةِ ابن أَوْس بن قَيْظِيّ الأنصاري :

رأيتُ عَرابةَ الأوْسيَّ يَسْمو ... الى الخيراتِ منقطعَ القرين
إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لمجْدٍ ... تَلَقّاها عَرابةُ باليمين
إذا بَلَّغْتَني وحملتِ رَحْلي ... عَرابةَ فاشرَقي بدَمِ الوَتين

والرابع لعمر بن عبدالله بن أبي رَبيعةَ يقوله في بعض الروايات :

وَدِّعْ لُبابة قبلَ أنْ تَتَرَحّلا ... واسأل فان قليلةٌ أن تَسألا
أمْكِنْتُ لعَمْرُكَ ساعةً فتَأتَّها ... فعسى الذي بَخِلَتْ به ان يُبْذَلا
لسْنا نُبالي حين نُدْرِكُ حاجةً ... إن باتَ أو ظَلَّ المطِيُّ مُعَقَّلا

والشعر الخامس لا أعرف قائله ، ولم يَتَغَنَّ مغنٍ في مدح قط إلا في ثلاثة أشعار ، منها ما ذكرنا في عرابة ، ومنها عبدالله بن قَيْسِ الرُّقَيّاتُ في عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب :

تَقَدَّمْتَ بي الشَّهْباءُ نحوَ ابنِ جعفر ... سَواءٌ عليها ليلُها ونهارُها

والثالث قول موسى شَهَواتٍ في حمزةَ بن عبدالله بن الزُّبَيْرِ :

حمزةُ المبتاعُ بالمال الثَّنا ... ويَرى في بيعه ان قد غَبَنْ
وهو ان أعطى عَطاءً كاملاً ... ذا إخاءٍ لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ

Marfat.com

ونحن ذاكرو قصص هذه الأشعار التي جرت في عقب ما وصفنا ان شاء الله تعالى. قال ابو العباس: كان عبدالله بن قيس الرَقيّات منقطعاً الى مُصْعَبِ بن الزبير ، وكان كثير المدح له ، وكان يقاتل معه ، وفيه يقول :

إنما مُصْعَبٌ شِهابٌ من الله تَجَلَّتْ عن وجهه الظَلْماءُ
مُلْكُهُ مُلْكُ قوةليس فيه جَبَروتٌ منه ولا كِبْرِياءُ
يَتَّقي اللهَ في الأمور وقد أفـلحَ من كان هَمُّهُ الإتّقاءُ

قال ابو العباس : وله فيه أشعار كثيرة . فلما قُتل مصعب، كان عبد الملك على قتل عبد الله بن قيس ، فهرب فلحق بعبد الله بن جعفر ، فشَفَعَ فيه الى عبد الملك ، فشَفَّعَهُ في ان تَرَكَ دمه ، فقال : ويدخل اليك يا أمير المؤمنين فتسمعَ منه . فأبى ، فلم يزل بـه حتى أجابه . ففي ذلك يقول لعبـد الله بن جعفر :

أتيناكَ نَثْني بالذي أنتَ أهلُهُ عليكَ كما أثنى على الأرض جارُها
تَقَدَّمْتَ بي الشَهْباءُ نحو ابن جعفرٍ سواءٌ عليها ليلُها ونهـارُها
تزورُ فتىً قد يَعْلَمُ الناسُ أنه تَجودُ له كفٌ قليلٌ غِرارُها
فوالله لولا ان تَزور ابن جعفر لكان قليلاً في دِمَشْقَ قرارُها

والشعر الذي مَدَحَ به عبدَ الملك :

عادَ لهُ من كثيرةَ الطَرَبُ فعينُهُ بالدموع تَنْسَكِبُ
كوفيّةٌ نازِحٌ مَحِلَّتُها لا أَمَمٌ دارُها ولا صَقَبُ
والله ما ان صَبَتْ إليَّ ولا يُعْلَمُ بيني وبينها نَسَبُ
إلا الذي أورثَتْ كثيرةُ في القلب وللحُبِّ سَوْرَةٌ عَجَبُ

وفيها يقول :

ما نَقَمُوا من بني أُمَيّةَ إلا أنهم يَحْلُمونَ ان غضِبوا
وإنهمْ سادَةُ الملوك فلا تَصْلُحُ إلا عليهمُ العَرَبُ

Marfat.com

إن الفَتيقَ الذي أبوه أبو الـــعاصي عليه الوَقارُ والحُجُبُ
خليفةُ الله في رَعِيَّتِـــه جفَّتْ بذاكَ الأقلام والكتُبُ
يَعْتَدِلُ التاجُ فوق مَفْرِقِهِ على جَبينٍ كأنه الذَهَبُ

فقال له عبد الملك : أتقول لمصعب :

إنما مُصْعَبٌ شِهابٌ من الله تَجَلَّتْ عن وجهه الظَلْماءُ

وتقول لي :

يعتَدِلُ التاجُ فوق مفرقهِ على جبينٍ كأنه الذهبُ

وأما شعر الشَمّاخ في عرابة فقد ذكر في موضعه بحديثه . وأما الشعر في حمزة بن عبد الله بن الزبير فانه اوسى شَهَوات. وكان موسى قال لمعبد: أقول شعراً في حمزة ، وتتغنّى أنت به ، فما أعطاك من شيء فهو بيننا . فقال هذا الشعرَ :

حمزةُ المُبْتاعُ بالمال الثَنا ويَرَى في بيعه أنْ قد غَبَنْ
وهو ان أعْطى عطاء كاملاً ذا إخاء لم يُكَدِّرْهُ بمَنْ
وإذا ما سَنَةٌ مُجْحِفَـــةٌ بَرَتِ المال كَبَرْيِ بالسَفَنْ
حَسَرَتْ عنه نَقِيّاً لونُـهُ طاهرَ الأخلاق ما فيه دَرَنْ

فأعطاه مالاً ، فقاسمه موسى .

٤٥ - باب

قال أبو العباس : قال عُتْبةُ بن شَمّاسٍ :

انّ أوْلى بالحقّ في كل حقّ ثم أحْرى بأن يكون حَقيقا
مَن أبوه عبدُ العزيزِ بن مَرْوا ن ومن كان جدُّه الفـــاروقا
رَدَّ أموالنـــا علينا وكانتْ في ذُرا شاهقٍ يفوت الأنُوقا

يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان ، وأمُّ عمر أمُّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رحمه الله . والأنوقُ الرَخَمَةُ ولا يقال الانوق إلا

Marfat.com

الرخمة الانثى ومن أمثال العرب : هو أعَزُّ من بيض الأنوق . وتقول العرب لمن يَطْلُبُ الأمر العسير : سألتَني بيض الأنوقِ . وذاك انها تبيض في رؤوس الجبال، فلا يكاد يوجد بيضها لبُعد مَطلبه وعسره، فإن سأله مُحالاً قال: سألتَني الأبْلَقَ العقوقَ ، وإنما هو الذكر من الخيل . ويقال : فرس عَقوقٌ ، إذا حملتْ فامتلأ بطنها فالأبْلَقُ العقوق مُحال . ويروى ان رجلاً سأل معاوية أمراً لا يوجد فأعلمه ذلك . فسأل أمراً عَسِراً بعده، فقال معاوية :

طَلَبَ الابْلَقَ العَقوقَ فلما لم يَنَلْهُ اراد بيض الانوق

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

ما عَدَّ قومٌ كأجداد تَعُدُّهُمُ مَرْوانُ ذوالنور والفاروقُ والحكمُ
أشْبَهْتَ مَن عُمَرَ الفاروقَ سيرَتَهُ قادَ البَرِيَّةَ وانْتَمَتْ به الاممُ
تدعو قريشٌ وأنصارُ الرسول له أن يُمْتَعوا بأبي حفصٍ وما ظلموا

وفيه يقول جرير أيضاً :

يعودُ الحِلْمُ منكَ على قُريش وتَفْرُجُ عنهمُ الكُرَبَ الشِدادا
وقد آمَنْتَ وَحْشَتَهُمُ برِفْقٍ ويُعْيِي الناسَ وَحْشَتُكَ ان يُصادا
(وتَبْني المَجْدَ يا عُمَرَ ابن لَيْلى وتَكْفي المُمْحِلَ السنةَ الجَمادا)
وتدعو الله مجتهداً ليَرْضى وتذكر في رَعِيَّتِكَ المَعادا
(فما كعْبُ بن مامةَ وابنِ سُعْدى بأجود منك يا عمرُ الجوادا)

وكان ابن سعدٍ الأزدي قد تولى صدقات الاعراب وأعْطِياتِهِمْ ، فقال جرير يشكوه الى عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه .

إنّ عيالي لا فواكِهَ عندهم وعند ابن سَعْدٍ سُكَّرٌ وزبيبُ
وقد كان ظَنَّني بابن سَعْدٍ سَعادة وما الظنُّ إلا مُخْطِىءٌ ومُصيبُ
فان ترجعوا رِزْقي إليَّ فانه متاعُ ليالٍ والاداءُ قَريبُ
تَحَنَّنَ العظامُ الراجفاتُ من البِلى وليس لداء الركبتين طَبيبُ

Marfat.com

وفيه يقول أيضاً لما نُعي :

نعَى النُعاةُ أميرَ المؤمنين لنا ... يا خَيرَ مَنْ حَجَّ بيتَ الله واعتَمَرا
حملتَ أمراً جسيماً فاصْطَبَرْتَ له ... وقُمْتَ فيه بحقّ الله يا عُمَرا
فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تَبْكي عليكَ نجومَ الليل والقَمَرا

قوله : يا عمرا نُدْبَةٌ ، أراد يا عُمَراهْ وإنما الالف للندبة وحدها ، والهاء تزاد في الوقف لخفاء الالف ، فاذا وصلتَ لم تزدها ، تقول يا عمرا ذا الفضل ، فاذا وقفتَ قلتَ : يا عمراه ، فحذف الهاء في القافية لاستغنائه عنها. فأما قوله: نجومَ الليل والقمرا ففيه أقاويل كلُّها جيدٌ فمنها ان تنصب نجوم الليل والقمرا بقوله بكاسفة. يقول : الشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ نجومَ الليل والقمر يقول: إنما تكسف النجومَ والقمرَ بافراطِ ضيائها، فاذا كانت من الحزن عليه قد ذَهبَ ضياؤُها ظهرت الكواكب . ويقال : إن الغبار يوم حَليمةَ سَدَّ عين الشمس فظهرت الكواكب المتباعدةُ عن مَطْلِعِ الشمس. ويومُ حَليمةَ هو اليوم الذي سافر فيه المُنْذِرُ بن المنذر بعَرَبِ العِراقِ الى الحرث الأعْرَجِ الغسّاني ، وهو الاكبرُ ، والحرث في عَرَب الشام ، وهو أشهر أيام العرب. ومن أمثالهم في الامر الفاشي : ما يَوْمُ حَليمةَ بِسِرٍّ . وفيه يقول النابغة :

تُخَيِّرْنَ من أزمان يوم حَليمةٍ ... الى اليوم قد جُرِّبْنَ كلَّ التجاربِ

وأظن قول القائل من العرب : لأُرِيَنَّكَ الكواكب ظُهْراً ، إنما أُخِذَ من يوم حليمة . قال طَرَفةُ :

ان تَنَوَّلْهُ فقد تَمنعُهُ ... وتُريهِ النَجْمَ يَجْري بالظُهُرْ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله القَسْريّ :

لَعَمْري لقد سار ابنُ شَيْبَةَ سيرةً ... أرَتْكَ نجومَ الليل مُظْهِرةً تَجْري

ويجوز ان يكون نجومَ الليل والقمرَ ، أراد بهما الظَرْفَ يقول : تبكي الشمس عليك مدة نجومِ الليل والقمر. كقولك : تبكي عليك الدهرَ وتبكي عليك الليلَ والنهارَ يا فتى ، ويكون تبكي عليك الشمس النجومَ . كقولك بَكَيْتُ زيداً على فلانٍ لما رأيتُ به وقد قال في هذا المعنى أحَدُ المحدَثينَ شيئاً مليحاً

Marfat.com

وهو أحمد أخو أشجع السُلَمِيّ يقوله لنصر بن شَبَث العُقَيْليّ ، وكان أوقع بقوم من بني تَغْلِبَ بموضع يعرف بالسَواجير وهو اشبه بالشعر قال :

لله سيفٌ في يَدَيْ نَصْرِ في حَدِّهِ ماءُ الرَّدى يجْري
أوقَعَ نَصْرٌ بالسَواجير ما لم يُوقِعْ الجحّافُ بالبِشْرِ
أبكي بني بَكْرٍ على تَغْلِبٍ وتَغْلِباً أبكي على بكرِ

ويكون تبكي عليك نجومُ الليلِ والقَمَرَ على ان تكون الواو في معنى مع، واذا كانت كذلك فكان قبل الاسم الذي يليه أو بعده فعل انتصبَ ، لانه في المعنى مفعولٌ وَصَلَ اليه فنصبه . ونظيرَ ذلك استوى الماءُ والخشبةَ لانك لم ترد استوى الماءُ واستوتِ الخشبةُ ، ولو أردتَ ذلك لم يكن إلا الرفع، ولكن التقدير ساوى الماءُ الخشبةَ . وكذلك: ما زلتُ اسيرُ والنيلَ يا فتى، لانك لست تخبر عن النيل يسير، وانما تريد ان سَيْرك بجذائه ومعه ، فوصلَ الفعلُ. وهذا باب يطول شرحه ، فان قلت: عبدُ الله وزيدٌ أخوَاك، وأنت تريد بالواو مع لم يكن إلا الرفع ، لان قبلها اسماً مبتدأ ، فهي على موضعه. وأجود التفسيرين عندنا في قول الله عزّ وجل : فأجمِعوا أمركم وشُرَكاءَكمْ ، ان تكون الواو في معنى مع لانك تقول : أجمَعْتُ رأيي وأمري، وجمعْتُ القومَ. فهذا هو الوجه، وقوم ينصبونه على دخوله بالشركةِ مع اللام في معنى الاول ، والمعنى الاستعداد بهما، فيجعلونه كقول القائل :

يا ليتَ زَوْجكِ قد غَدا مُتَقَلِّداً سيفاً ورُمْحا

والرمح لا يُتَقَلَّدُ ، ولكن أدخله مع ما يُتَقَلَّدُ ، فتقديره متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً ، ويكون تقدير الآية : فأجمِعُوا أمرَكم وأعِدُّوا شركاءَكم، والمعنى يؤول الى أمر واحد . ومن ذلك قوله : شَرَابُ ألبانٍ وتَمْرٍ واقِطْ . فأما ما جاء من القرآن على هذا خاصة فقوله عزّ وجل: واللهُ خَلَقَ كلَّ دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ،ومنهم من يمشي على رجلين، ومنهم من يمشي على أربع، فأدخل مَنْ ههنا ، لان الناسَ مع هذه الاشياء . فجَرَتْ على لفظ واحد ، ولا تكون مَن إلا لمن يعقل إذا أفردتها . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز رحمه الله

Marfat.com

يشكو اليه عُمّاله :

إنّ الذين أمرتَهُمْ ان يَعْدِلوا نَبَذوا كِتابَكَ واستُحِلّ المَحْرَمُ
وأردتَ أن يَلِيَ الامانةَ منهمُ بَرٌّ وهيهاتَ الابَرُّ المسلمُ
طُلْسُ الثيابِ على منابرِ أرْضِنا كلٌّ بنَقْصِ نصيبِنا يَتَكَلّمُ

أنشدنيه الرياشي عن الأصمعي ، ونظيرُ هذا قول ابن هَمّامٍ السَّلولي :

إذا نصَبوا للقول قالوا فأحْسَنوا ولكنّ حُسْنَ القولِ خالَفَهُ الفعلُ
وذَمّوا لنا الدنيا وهم يَرْصَدونها أفاويقَ حتى ما يَدُرُّ لها بُقْلُ

وقد مرّ تفسير هذا الشعر . والأطلَسُ الأغبر، وربما اشتدّت غُبْرَتهُ حتى يخفى في الغبار وإنما أراد بقوله طلس الثياب ،إنهم يُظْهِرونَ تَقَشُّفاً. ويكون ان يكونَ جعلهم بمنزلة الذئاب، وهو أحسن. ويروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه وَلّى رجلاً بلداً فوَفَدَ عليه ، فجاءه مُدَّهِناً حسن الحال في جسمه عليه بُرْدان ، فقال له عمر رضي الله عنه : أهكذا وَلّيناكَ ؟ ثم عَزَلَهُ ودَفَعَ اليه غُنَيْمات يرعاها، ثم دعا به بعد مدة فرآه بالياً أشْعَثَ في ثوبين أطلسين. وذُكِرَ عند عمر بخير فرده الى عمله وقال : كلوا واشربوا وادّهِنُوا فانكم تعلمون الذي تُنْهَوْنَ عنه . ويروى عن الحسن انه قال : اقرُبُوا من هذه الأعواد فإنهم إذا رَقوها لَقّنوا الحِكْمَةَ لتكون عليهم حجةً يومَ القيامة . وقال رجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه ، أنشدنيه الرياشي :

قد غيّب الدافنونَ اللّحْدَ إذْ دَفَنوا بِدَيْرِ سَمْعانَ قُسْطاسَ الموازين
مَنْ لم يكن هَمُّهُ عيناً يُفَجِّرُها ولا النخيلَ ولا رَكْضَ البَراذين
أقول لما أتاني نَعْيُ مَهْلَكِهِ لا يَبْعَدَنْ قِوامُ المُلْكِ والدين

يقال : هذا قِوامُ الأمر ومِلاكُهُ لا غير . وتقول : فلان حسن القَوام بالفتح ،تريد بذلك الشَّطاط لا يكون إلا ذاك. وقوام ،اذا كان اسماً لم تنقلب واوه ياء من أجل الكسرة لأنها متحركة إلا ان يكون جمعاً قد كانت الوار في واحده ساكنة فتنقلب في الجمع لأن حركتها العلة. تقول: سوط وسِياطٌ ،ثوبٌ وثيابٌ ،

Marfat.com

وحَوْضٌ وحِياض فاقالت الواو في الواحد متحركة ثبتت في الجمع نحو طويل وطِوالٌ . وكذلك: فِعالٌ اذا كان مصدراً صح اذا صح فعله واعْتَلَّ اذا اعتل فعله ، فما كان مصدراً لفاعَلْتُ فهو فِعالٌ صحيح نحو: قاولته قِوالاً ولاوَذْتُهُ لِواذاً، كقول الله عزّ وجلّ: قد يَعْلَمُ الذين يتسللون منكم لِواذاً، أي مُلاوذَةً. وإذا كان مصدر فَعَلْتُ اعْتَلَّ لاعتلال الفعل فقلتَ: قمتُ قِياماً ونِمتُ نِياماً ولُذْتُ لياذاً وعُذْتُ عِياذاً. وقال عُوَيْفُ القوافي شعراً يَرْثي سليمانَ بن عبد الملك ويذكر عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، هذا ما اخترناه منه :

لاح سَحابٌ فرأينا بَرْقَهُ ثم تَدانى فسَمِعْنا صَعْقَهُ
وراحت الريحُ تُزَجّي بُلْقَهُ ودُهْمَهُ ثم تُزَجّي وُرْقَهُ
ذاكَ سَقى وَدْقاً فرَوّى وَدْقَهُ قَبْرَ امرىءٍ أعْظَمَ ربي حقه
قبرَ سليمانَ الذي مَنْ عَقَّهُ وجَحَدَ الخيرَ الذي قد بَقَّهُ
في العالمين جِلْهُ ودِقَّهُ لما ابتلى اللهُ بخيرٍ خَلْقَهُ
وكادتِ النفسُ تُساوي خَلْقَهُ أنْقى إلى خير قريش وَسقَهُ
يا عمرَ الخيرِ المُلَقّى وَفْقَهُ سُمِّيتَ بالفاروق فافْرُقْ فَرْقَهُ
وارْزُقْ عيال المسلمين رِزْقَهُ واقصد الى الخير ولا تَوَقَّهُ
بحرُكَ عذبُ الماء ما أعَقَّهُ رَبُّكَ والمحرومُ من لم يَسْقَهُ

يقال : لاح البرق إذا بدا وألاح إذا تلألأ . وهذا البيت يُنْشَدُ : من هاجهُ الليلة برقُ ألاح . ويقال : شَرَقت الشمس إذا بَدَتْ ، وأشرقت إذا أضاءتْ وَصفَتْ . ويقال : صاعقة وصاقِعة . وبنو تميم تقول صاقِعة. والصَّعْقُ شدة الرَّعْدِ، ويُعْنى به في أكثر ذلك ما يَعْتري مَن يسمع صوت الصاعِقة. وقوله: تزجي يقول تسوقه وتَسْتَحِثُّهُ. والابلق من السحاب ما فيه سواد وبياض، وفي الخيل كلُّ لونٍ يخالطه بياض فهو بَلَقٌ ، والأوْرَقُ الذي بين الخُضْرةِ والسواد وهو الأمُّ ألوانِ الإبل . ويقال إن لحم البعير الاوْرَق أطيبُ لُحْمانِ الإبل . والوَدْقُ المطر ، يقال : وَدَقتِ السماءُ يا فتى تَدِقُ وَدْقاً قال الله جلّ وعزّ: فترى الوَدْقَ يخْرُجُ من خِلاله . وقال عامر بن جُوَيْنِ الطائيُّ :

Marfat.com

فلا مُزْنةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهَا ولا أرضَ أبْقَلَ إبْقالها

وأصل العَقّ القَطْعُ في هذا الموضع . وللعَقّ مواضعُ كثيرة . يقال: عَقّ والديه يعُقُّهما اذا قطعهما . وعَقَقْتُ عن الصبي من هـذا . وقالوا : بل هو من العَقيقة ، وهي الشَعرُ الذي يولَدُ الصبيُّ به . يقال: فلان بعَقيقتِهِ اذا كان بشَعرِ الصبا لم يحلقه ويقال : سيف كأنّهُ عَقيقةٌ ، أي كأنه لَمْعةُ برقٍ . يقال : رأيت عقيقة البرق يا فتى ، أي اللمعةَ منه في السحاب . ويقال : فلانٌ عُقّتْ تميمته ببلد كذا ، أي قُطِعتْ في ذلك الموضع . قال الشاعر :

ألم تَعْلَمي يا دارَ بَلْحاءَ أنني إذا أخْصَبَتْ أو كانَ جَدْبًا جَنابُها
أُحِبُّ بلادِ الله ما بين مُشْرِفٍ إليَّ وسَلْمَى أن يَصوبَ سَحابُها
بلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تميمتي وأوّلُ أرض مَسَّ جلدي تُرابُها

وقوله : وجحد الخير الذي قد بقّه . يقال : بَقّ فلانٌ في الناس خيراً كثيراً وبقّ ولداً كثيراً وأبق كلاماً كثيراً وقوله: ألْقى إلى خير قريش وسقه ، فهذا مثل يريد قَلّدَهُ أمره ، والوَسْقُ الحِمْلُ . وقوله : الملقى وفقه . يقال: لُقّيَ فلانٌ خيراً أي جُعِلَ تِلْقاه والوَسْقُ من الكيل مقدار خمسة أقْفِزَةٍ بقفيز البصرة ، وهو قفيزان ونصف بقفيز مدينة السلام . وقوله : ليس في أقلّ من خمسة أوْسُقٍ صدقةٌ ، إنما مبلغ ذلك خمسة وعشرون قفيزاً بقفيز البصري ، والوَفْقُ التوفيق وقوله : سميت بالفاروق ، فتأويل الفاروق هو الذي يَفْرُقُ بين الحق والباطل وكذلك قال المفسرون في الفرقان . وقد أبان ذلك بقوله: فافرُقْ فرقه . وقوله : وارزق عيال المسلمين رزقه ، يقال : رزقه يَرْزُقُهُ رَزْقاً ، والاسم الرِزْقُ . وقوله : بحرُك عذبُ الماء ما أعقه ، مقلوب انما هو ما أقَعّهُ ربك . يقال : ماءٌ قُعاعٌ وماءٌ حُراقٌ ، فالقعاع الشديد الملوحة . يقول : ما أمْلحَهُ ربُّك ، والحُراق الذي يُحْرِقُ كل شيء بملوحته ، والماء العذب يقال له النُقاخُ وما دون ذلك شيئاً يقال له المَوسُ . أنشد أبو عبيدة :

لو كنتَ ماءً كنتَ لا عَذْبَ المذاق ولا مَسوسا

يقال: ماءٌ عَذْبٌ وماءٌ فُراتٌ ، وهو أعْذَبُ العَذْبِ . ويقال: ماء مِلْحٌ ولا يقال مالح ، وسمك مملوح ومَليحٌ ولا يقال مالح ، وأشدّ الماء ملوحةً الأُجاجُ

Marfat.com

قال الفَرزْدَقُ :

ولو أسْقَيْتَهُمْ عَسَلاً مُصَفّىً بماء النيل او ماء الفُراتِ
لقالوا إنه مِلْحٌ أُجــاجٌ أراد به لنا إحْدى الهَنَاتِ

وقوله : ذاك سَقى وَدْقاً فَرَوّى وَدْقَهُ ،يقالفيه قولان:أحدهما فرَوّى الغيمُ وَدْقَهُ هذا القبرَ يريد من ودقه ، فلما حَذَفَ حرف الجر عَمِل الفعل ، والآخر كقولك : رَوّيْتُ زيداً ماءً ، ورَوّى اكثرُ من أرْوَى ، لان رَوّى لا يكون إلا مرة بعد مرة .يقول:فرَوّىاللهودقه اي جعله رَواءً فأضمر لعلم المخاطب لان قوله: لاح سحاب إنما معناه ألاحه الله، فالفاعل كالمذكور لان المعنى عليه. ونظيره قوله جلّ وعزّ : إني أحببْتُ حُبّ الخير عن ذكر ربي حتى تَوارت بالحجاب،ولم يذكر الشمس و كذلك ما تَرَكَ على ظهرهامن دابة ولم يذكرالارض. وقال قوم وَدقه يريد ودْقة واحدة. وهذا رديء في المعنى ليس بمبالغ . وقال ابن الموْصِليّ

لعَمْري لئن حُلْتُ عن مَنْهَلِ الصِبا لقد كنتُ وراداً لمَنْهَلِهِ العَذْبِ
لياليَ أمشي بين بُرْدَيّ لاهياً أميسُ كغُصْنِ البانةِ الناعِمِ الرَطْبِ
سلامٌ على سيرِ القِلاصِ مع الرَكبِ ووَصْلِ الغَواني والمُدامةِ والشرْبِ
سلامُ امرىءٍ لم تَبْقَ منه بَقِيّةٌ سوى نظرِ العينين أو شَهْوةِ القلبِ

قوله : والشرب يريد جمع شارب يقال:شاربٌ وَشَرْبٌ وراكبٌ ورَكبٌ وتاجرٌ وَتَجْرٌ وزائرٌ وزَوْرٌ . قال الطِرِمّاحُ :

حَبيبٌ بالزَوْرِ الذي لا يُرى منه إلا صَفْحةٌ عن لِمام

وهذا باب متصل كثير قال العَجّاجُ :

بواسِطٍ أكْرَمُ دارٍ دارا واللهُ سَمّى نصْرَكَ الأنْصارا

يريد أنصارك فأخرجه على ناصر ونَصْرٍ وقوله:سلام امرىء،على البدَل من قوله:سلام على سير القلاص،وإن شئت نَصبتَ بفعل مضمر، كأنك قلتَ :أسْلِمُ سلامَ امرىءٍ ، لأنك ذكرتَ سلاماً أوّلاً. ومثل ذلك:له صوْتٌ صَوْتَ حمار لانك لما قلت له صوت دللتَ على أنه يصوّت، كأنكقلت:يصوّتُ صَوتَ حمار. وكذلك له:حَنينٌ حَنينَ ثكلى،وله صَريفٌ صَريفَ الفَعْوِ بالمَد أي يصرف

Marfat.com

صريفاً. فما كان من هذا نكرة فنصبُه على وجهين على المصدر وتقديره يَصْرِفُ صريفاً مثل صريف جَمَلٍ وان شئتَ جعلته حالاً، وتقديره يخرجه ، في هذه الحال . وما كان معرفة لم يكن حالاً ، ولكن على المصدر . فان كان الاول في غير معنى الفعل لم يكن النصب البَتَّةَ ، ولم يصلح الا الرفع على البدل . تقول: له رأسٌ رأسُ ثورٍ ، وله كفٌ كفُّ أسدٍ . فالمرتفع الثاني إذا كان نكرة كان بدلاً أو نعتاً ، واذا كان معرفة كان بدلاً ولم يكن نعتاً ، لان النكرة لا تُنْعَتُ بالمعرفة. وكذلك اذا كان الاول ابتداءلم يجز الا الرفعلان الكلام غير مُسْتَغْنٍ. وإنما يجوز الاضمار بعد الاستغناء ، تقول : صوْتُهُ صوتُ الحمار وغِناؤُهُ غِناءُ المجيدين . وكذلك ان خَبَّرْتَ بأمر مستقرّ فيه اختير الرفعُ . تقول: له عِلْمُ عِلْمُ الفقهاء ، وله رأيُ رأيُ القضاةِ . لانك انما تمدحه بان هذا قد استقر له وليس الابلغُ في مدحه ان تخبر بانك رأيتَه في حال تَعَلُّمٍ ،ويجوز النصب على انك رأيته في حال تَعَلُّمٍ فاستدللتَ بذلك على علمه، فهذا يَصْلُحُ. والاجودُ الرفع ، فإذا قلت : له صوتٌ صوتَ حمارٍ ، فإنما خَبَّرْتَ أنه يُصَوِّتُ فهذا سوى ذلك المعنى . ومما يختارُ فيه الرفعُ قولك: عليه نوحٌ نوحَ الحمامِ،وانما اختير الرفع لان الهاء في عليه اسم المفعول له ، والهاء في له اسم الفاعل. ويجوز النصب على انك قلت : عليه نوح ، دلّ النوح على أن معه ناتحاً، فكأنك قلت: ينوحون نوح الحمام، فهذا تفسير جميع هذه الابواب.وقال ابن الخَيّاط المَدِينيُّ يعني مالك بن أنس :

يَأبى الجواب فما يُراجع هَيبةً والسائلون نَواكِسُ الاذْقانِ
هَدْيُ التَّقيِّ وعِزُّ سُلْطانِ النُّهى فهو العزيزُ وليس ذا سُلْطانِ

أراد له هَدْيُ التقي أو معه هدى التقيّ .

« تمّ الجزء الاول من كتاب الكامل ، ويليه الجزء الثاني ، وأوله (باب) . قال أبو العباس : نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً . الخ »

Marfat.com

فهرس الجزء الأول من الكامل

فهرس

٢ مقدمة المؤلف

٢ حديث الأنصـــار حديث (ألا أخبركم بأخيكم الخ)

٥ كلمة سيدنا أبي بكر في مرضه

٨ عهد أبي بكر بالخلافة إلى عمر ـ أول خطبة خطبها عمر رضي الله عنه

٩ رسالة عمر في القضاء إلى أبي موسى الأشعري

١١ كتاب عثمان إلى علي بن أبي طالب حين أحيط به .

١٣ معاتبة عثمان عليا رضي الله عنهما

١٣ كلمة علي حين بلغه أن خيلا لمعاوية وردت الأنبار وقتلوا عاملها بن حسان

١ — باب

١٧ قال أبو العباس : من كلام العرب الاختصار المفهم والأطناب المفخم الخ ما أورده أبو العباس من الفاظ العرب البينة القريبة

ما وقع من كلام العرب كالايمان

١٨ ما وقع من أقبح الضرورة وأهجر الألفاظ وأبعد المعاني مع مقارنته بما هو أوضح معنى وأغرب لفظا

فهرس

وأقرب مأخذا

١٩ مـا يفضل لتخلصه من التـكلف وسلامته من التزايد وبعـــده من الاستعانة في الكلام

٢٠ لرجل خارجي يصف خطيبا بالجبن لآخر يصف رجلا من إياد بالعي .

ليحيى بن نوفل يعير خـــالد بن عبد الله القسرى بالعي .

ما يستحسن لفظه ويستغرب معناه ويحمد اختصاره

٢٢ ما يستحسن ويستجاد

٢٦ ما سهل من الشعر وحسن

٢٧ مايحسن من الشعور ومايقرب مأخذه

٢٨ مـــا يستحسن إنشاده من الشعر لصحة معناه وجزالة لفظه وكثرة تردد ضربه من المعاني وبين الناس

٢٩ نبذة من كلام الحكماء

٣٠ ما جرى بين معاوية والأحنف بن قيس حينما نصب يزيد للعهد

لرجل يهجو بلال بن المعير المحاربي لأبي الطمحان يمدح بجير بن أرس

٣١ لاياس بن الوليد يمدح قومه

Marfat.com

صفحة
لآخر ينفي نسب آخرين
لرجل من بني نهشل بن دارم في ابن عمه . لنبهان بن عكس العبشمي
٣٢ لذي الرمة يمدح هلال بن أحوز المازني
٣٣ للاشهب بن رميلة يرثي قوما قتلوا بفلج
٣٤ للقتال الكلابي يفتخر
٣٦ للشمردل بن شريك يمدح قومه
لرجل عبسي وكان عروة قد شتمه
٣٧ لرجل من بني تميم
للقطامي يفتخر
٢ — باب
٣٩ نبذ من كلام الحكماء
٤٠ معاوية والأحنف بن قيس
٣ — باب
٤١ لرجل من بني سعد يرثي رجلا
٤١ لحضرمي بن عامر وقد غبط بميراث
ورثه من أحد أهله
٤٢ لجميل بن معمر يشبب بمحبوبته بثينة
٤٤ لأمية بن أبي الصلت في الفناء
للهيثم بن الربيع في الغزل
٤ — باب
٤٥ نبذ من كلام الحكماء
٥ — باب
٤٧ لرجل من بني عبدالله بن عفان

صفحة
جاور في طيء وهو خائف. لرجل من سلامان يمدح طيئاً. لعبيد بن الفرندس الكلابي يصف قوما نزل بهم
٤٨ للمكعبر الضبي يمدح بني مازن ويذم بني العنبر
٤٩ تفسير ما في شعر المكعبر من الغريب
٥١ لابن ميادة يصف سحابا. للفرزدق يرثي صديقه عطية بن جعال وتفسير ما فيه من الغريب
٥٢ لأعرابي يمدح سوار بن عبدالله القاضي
٥٣ لنضلة السلمي في يوم غول وتفسير ما فيه من الغريب
٥٥ لأعرابي في خلاف الدمامة وتفسير ما فيه من الغريب
٥٦ لأعرابي يرد على مغنية عابته بالقصر
٥٧ تتمة ما قيل في خلاف الدمامة
٦ — باب
٥٨ لصيرة بن شمان يمدح حية أمام معاوية ليزيد بن أبي سفيان وقد ارتج عليه
٥٩ لعلي ابن أبي طالب وقد سئل اين ربنا للحسن البصري في المواعظة وتفسير ما فيه من الغريب
٧ — باب
٦١ ليزيد بن الصقيل العقيلي وكان

Marfat.com

صفحة
يسرق الابل ثم تاب لابن حبناء التميمي وتفسير ما فيه من الغريب
٦٢ تتمة شعر ابن حبناء
٦٣ لأعرابي من بني الحارث بن كعب وتفسير ما فيه من الغريب
٦٦ لبشامة بن حزن النهشلي يفتخر وتفسير ما فيه من الغريب
٨ باب
٦٨ نبذ من كلام الحكماء
٧٠ للفرزدق في آخر عمره حين تعلق بأستار الكعبة وتفسير ما فيه من الغريب
٧١ للفرزدق أيام نسكه
٧٢ للفرزدق وقد ندم على طلاق زوجته النوار
٩ – باب
٧٠ للقيط بن زرارة
ما حصل بين معاوية وهانئ بن عروة
٧٢ ما يخيل للشارب وقت نشوته
٧٤ لرجل من قريش يذم الخمر
لحسان بن ثابت في الخمر وتفسير ما جاء فيه من الغريب
١٠ – باب
٧٥ من كلام الأحنف بن قيس
من كلام عبيد الله بن عتبة لكلم بن نوفل

صفحة
وقد قيل له ما أرخص السؤدد فيكم.
لعرابة بن أوس وقد قال له معاوية بم سدت قومك؟
٧٦ للشماخ يمدح عرابة بن أوس وتفسير ما فيه من الغريب
١١ – باب
٧٧ لرجل من رجاز بني تميم في وقعة الجفرة . لآخر يصفه ابنه
٧٨ لعروة بن الورد وكانت زوجته تنهاه عن التيار في البلاد وتفسير ما جاء فيه من الغريب
١٢ – باب
٨٠ من كلام ابن عباس
٨١ لعبد الله بن جعفر وقد قيل له إنك أسرفت في بذل المال
ليزيد بن المهلب وقد مر بأعرابية في خروجه من سجنه . حديث للاصمعي.
ما كان بين الأحنف وزيادة بن عمر.
٨٣ الفرزدق يفتخر . لجرير يفتخر
٨٤ لجرير يهجو الأخطل التغلبي
١٣ – باب
٨٥ إنشاد أعرابي بيتاً من قصيدة ذي الرمة لجحدر العكلي وهو في سجنه
ما قيل في المال

Marfat.com

صفحة
٨٦ لشبيب بن البرصاء يفخر بكرمه وتفسير ما جاء فيه من الغريب
١٤ – باب
٨٧ لعمر بن عبد العزيز وقد سئل أي الجهاد أفضل. لرجل من الحكماء. لمحمد بن علي بن الحسين
٨٨ من أرجوزة للعجاج وتفسير ما جاء فيها من الغريب
٨٩ لعلي بن ابي طالب يصف الدنيا. حديث عمر مع عماله وتفسير ما ورد فيه من الغريب
٩١ لعمر بن عبد العزيز وتفسير ما ورد فيه من الغريب
٩٢ لعلي بن ابي طالب يعظ. لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفسير ما ورد فيه من الغريب
٩٣ من كلام الحجاج بن يوسف وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٥ – باب
٩٣ لعمارة بن عقيل يحض بني كعب وبني كلاب على بني نمير وتفسير ما ورد فيه من الغريب
٩٥ لعامر بن الطفيل وتفسير ما ورد فيه من الغريب
صفحة
٩٦ لعمارة ايضا وتفسير ما ورد فيه من الغريب
٩٨ لعمارة وقد كتب له أبو سعد يأمره ان يضع يده في يد ابي نصر بن حميد الطائي
٩٩ حديث عمرو بن هند مع بني دارم بأوراة
١٠٠ لجرير يعير الفرزدق. للطرماح ينتفي من بني حنظلة. لأبي مهرس الفقعسي يهجو تميما. لأعرابي يهجو قوماً من طيىء
١٠١ من احسن المدح قول زهير لأشجع في محمد بن منصور.
١٦ – باب
١٩٢ للاحنف بن قيس وقد سئل اي المجالس اطيب وتفسير ما ورد فيه من الغريب
للمهلب بن ابي صفرة وقد قيل له ما خير المجالس. ما قاله لقمان الحكيم لابنه. لابن عباس في الجليس.
١٠٣ ما كان يفعله القعقاع بن شور مع جليسه. لرجل جالس قوماً من بني مخزوم فأساؤا عشرته وسعوا به إلى معاوية. ما قاله رجل من بني مخزوم للأحوص ليؤذيه ورد

Marfat.com

صفحة
الأحوص عليه
١٠٤ للنعمان بن بشير يتهدد معاوية ويتوعده . للاحنف بن قيس في المحافظة على تقاليد العرب وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٧ - باب
١٠٥ حديث عبد الملك مع اسلم بن الاحنف
١٠٦ راي جلساء عبد الملك في قول نصيب اهيم بدعد ، للبيت . . وسؤاله لهم . الفرزدق ونصيب بين يدي سليمان بن عبد الملك
١٠٧ لأعشى همـــدان في غير المدح وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٠٨ حديث ابي وجزة وابي زيـــد الأسلمي . لأبي رباط يقول لابنه
١١٠ لاعرابي يستجدي عمر بن هبيرة
١١١ لصخر بن عمرو الشريد وقد قيل له اهج قتلة اخيك
١١٢ لقاتل وهو يتعرض للشهادة في الحرب
١١٥ مرة بن محكان السعدي وقد امر بقتله
١١٨ من كلمة لحميد بن ثور الهلالي . رجل اعتل في غربة فتذكر اهله
١١٩ لقاتل يبكي شبابه
١٨ - باب
١٢٠ نبذ من امثال العرب

صفحة
١٢١ لسعد بن ناشب المازني وقد هدمت داره وهو من الفتاك . الحزم عند علي بن ابي طالب رضي الله عنه . حديث الهرمزان لما قدم على عمر بن الخطاب للكلبي وقد سأله خالد القسري ما تعدون السؤدد
١٢٢ لعبد الله بن يزيد وقد سأله عبد الملك ما مالك وبم تكون اغنى الناس واعزهم واقواهم لرسول الله ﷺ - ولعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه خطبة لرسول الله عليه الصلاة والسلام بهم امر الله رسوله عليه السلام . ما كان بين حكيمين
١٢٣ لمالك بن دينار في العظة لعمر بن عبد العزيز وقد سئل أي الجهاد افضل . لزيد الخيل يفتخر بكثرة رقائمه وتفسير ما فيه من الغريب ما قاله قيس بن عاصم لما حضرته الوفاة
١٩ باب
١٢٤ لرجل من الأعراب يرثي رجلا منهم . لحسان بن ثابت لامراته
١٢٤ لصخر بن حيناء يعاتب اخاه وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٢٥ لعبد الله بن معاوية يعاتب صديقه

Marfat.com

صفحة

وتفسير ما ورد فيه من الغريب .
بم يعرف الشجاع والحليم والصديق
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه
١٢٦ لعبد الله بن الزبير الاسدي يمدح
عمرو بن عثمان بن عفان وقد وصله .
لعلي بن ابي طالب يتمثل في
طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه
لعلي بن ابي طالب بعد وقعة الجمل وقد
تفقد القتلى فراى طلحة من بينهم
١٢٧ ما قيل في الشباب وطول السلامة
١٢٩ للفرزدق يرثي ابني مسمع وتفسير
ما جاء فيه من الغريب
١٣٠ بم كفرت الفقهاء الحجاج بن يوسف
١٣١ لأبي الشغب يرثي ابنه . لسليمان
ابن قنه يرثي الحسين بن علي
رضي الله عنهما . للفرزدق يرثي
ابنيه وتفسير ما ورد فيه من الغريب
وبيان ما استشهد به من اسماء الرجال
١٣٧ للفرزدق يتمدح بجوده وتفسير ما
ورد فيه من الغريب

- ٢٠ باب

١٣٨ ما قيل في اللذة والعيش الرغد
١٣٩ ادب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه .
حديث لا ترفعوني فوق قدري الخ

صفحة

١٤٠ لعمر بن عبدالعزيز وقد قال له مسلمة
الا توصي . لعلي بن الحسين وقد قيل
له إنك من أبرّ الناس بأمك ...
لعمر بن ذريص ادب ابنه معه
لأبي المخشن يصف بنته .
١٤١ لأم ثواب الهمزانية نصف عقوق
ابنها
١٤٢ للمهلب وقد سئل : من اشجع الناس

٢١ - باب

لعائشة فيمن ارضى الله باسخاط
الناس والعكس . لابن هرمة وقد
نهاه الحسن بن زيد عن شرب الخمر .
لمطرف وقد قال له الحسن عظ
اصحابك . ما قاله مطرف لابنه
١٤٢ حديث «إن هذا الدين متين» الخ
وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٤٤ ليزيد بن هبيرة ينصح المنصور بالإحسان
لأسماء بن خارجة في كرم الاخلاق
للاحنف بن قيس في كرم الاخلاق
وتفسير ما فيه من الغريب
١٤٥ ما قالته هند لما اسلم ابو سفيان .

٢٢ - باب

١٤٦ لحسان بن ثابت يهجو مسافع بن عياض
وتفسير ما ورد فيه من الغريب

Marfat.com

صفحة
١٥٠لآخر يذكر ابنه وتفسير مافيه من الغريب
١٥١لآخر يرثي ابنه. لابراهيم بن عبد الله بن الحسن يرثي أخاه محمداً وتفسير ما فيه من الغريب
١٤٢لمتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً لعلي بن عبدالله بن عباس يفتخر وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٥٣لهشام أخي ذي الرمة يرثي ابن عمه أوفى. من كلمة لحسان بن ثابت يصف لهوه ويفخر
١٥٤لجرير وقد مرض فعادته قيس لعبد الرحمن بن حسان يهجو عبد الرحمن بن الحكم .

٢٣ – باب

١٥٥نبذ من كلام الحكماء
١٥٥لعمرو بن العاص يعيب على معاوية
١٥٦عدم أخذه برأيه في قتل عبدالله ابن هاشم . حديث عمرو مع عائشة . ما قاله عمر في احتضاره
١٥٧من كلام لزياد من كلام للمهلب بن أبي صفرة. من كلام لعثمان بن عفان
١٥٨خطبة للحجاج بن يوسف في أهل العراق

صفحة
١٥٩لقيس الرقيات يذكر قتل مصعب ابن الزبير . من كلمة ابن الاشعث عند ظهور الحجاج عليه
١٦٠حسن إجابة عرار بن شاس لعبد الملك. كتاب صاحب اليمن لعبد الملك في وقت محاربته لابن الأشعث
١٦١ كتاب عبد الرحمن بن الأشعث إلى عبدالملك ورد عبدالملك على كتاب ابن الأشعث .

٢٤ – باب

١٦٥من أبيات الراعي وما ورد فيه من الغريب
١٦٧لأعرابي يشكو حبيبته
١٧٠لبعض المحدثين في العناق
١٧١لأبي المالية يذكر واقعة حال مع حبيبته وتفسير ما ورد فيه من الغريب
١٧٢لقيس بن المعاذ الملقب بالمجنون. لعمر بن أبي ربيعة في النحافة
١٧٣لابن عائشة ينشد لبعض القرشيين
١٧٤لعبد الرحمن بن حسان في بنت معاوية .

٢٥ – باب

١٧٥إكرام رسول الله ﷺ لعبد الله

Marfat.com

صفحة

ابن الزبير بن عبد المطلب لرجل
من بني غبة يقول لتميم بن مرة
١٧٦ خطبة ابن الزبير لما أتاه خبر قتل
أخيه مصعب بن الزبير . ما قاله
زياد لحاجبه . ماذا يعجب زياداً
من الرجل . بلاغة جعفر بن يحيى
١٧٧ نبذ من كلام الحكماء
١٧٨ حديث الحجاج مع أذاد مرد بن
الهريذ
١٧٩ لليلى الأخيلية تمدح الحجاج
سؤال الحجاج الشعبي عن الفريضة
المخمسة
١٨٠ حديث الحجاج مع محمد بن عمير

٢٦ - باب

١٨١ المفضل بن المهلب يصف الشجاعة
والنجدة وتفسير ما ورد فيه من
الغريب
١٨٢ ما جرى بين شيخ من الأعراب
وبين امرأته وكانت تتصنع وهي
عجوز
١٨٣ اعتذار عقيل بمدح خالد بن يزيد
الشيباني ويذم تميم بن خزيمة النهشلي
١٨٤ آخر يصف أثر الفقر والغنى .
لآخر يؤثر قومه وإن آذوه

صفحة

لأعرابي من باهلة يشكو الفقر
١٨٥ وصف زياد لحارثة بن بدر وقد
قيل له ان حارثة قد غلب عليك
وهو مستهتر بالشراب . لحارثة بن
بدر يرثي زياداً ، وتفسير ماورد
فيه من الغريب .
١٨٨ لضابي بن الحارث البرجمي وهو
في السجن ، وتفسير ما ورد فيه
من الغريب .

٢٧ - باب

١٩٠ ذهاب جرير بن عبد الله البجلي
الى معاوية ليأخذ منه البيعة لعلي
ابن أبي طالب
١٩١ كتاب علي الى معاوية رضي الله عنه
١٩٣ كتاب الى معاوية وتفسير ما
ورد فيه من الغريب
١٩٦ انتصار خالد بن يزيد بن معاوية
لأخيه عبد الله عند عبد الملك بن
مروان .

٢٨ - باب

١٩٨ لرجل من بني أسد يمدح يحيى
ابن حيان لرجل يطوف بالبيت
وأمه على عنقه
١٩٩ لآخر في الصبر وعدم اليأس

Marfat.com

صفحة

٢٠٠ لأحد لصوص بني سعد وتفسير ما ورد في أبياته من الغريب

٢٩ – باب

٢٠٣ لبعض الشعراء يحرض عبدالملك على خالد بن يزيد

٢٠٤ لخالد بن يزيد في رملة بنت الزبير

٢٠٥ زواج الحجاج بابنة عبد الله بن جعفر وإرغامه على طلاقها

٢٠٦ لابراهيم بن أدهم وقد سأله رجل أن يعظه لأعرابي وقف على حلقة يونس النحوي يستجدي، وتفسير ما في كلامه من الغريب

٢٠٧ خديعة الحجاج بن علاط السلمي لقريش

٢٠٨ حديث رجل من الصيارفة افتقر

٢٠٩ حديث رجل من أزد شنوءة ظلمه رجل من آل عتبة فشكاه اليه

٢١٠ حديث السواقط.

٣٠ – باب

٢١٣ مما أنشده السعدي أو محلم لأبي العباس

٢١٤ كلمة عمر بن عبد العزيز لمؤدبه. لآخر يخاطب رجلا اسمه دد، وتفسير ماورد في شعره من الغريب

صفحة

٢١٦ للفرزدق وقد نزل به ذئب فأضافه وتفسير ما ورد فيه من الغريب

٢٢٠ مما يستحسن في وصف الجود والحث عليه

٢٢١ للحارث بن حلزة اليشكري في الجود

٢٢٢ كتاب الحجاج الى قطري بن الفجاءة

٢٢٣ رد قطري اليه

٣١ – باب

من خطبة لعلي بن أبي طالب

٢٢٤ قدوم الحجاج أميراً على العراق وخطبته في أهله وتفسيرها

٢٢٨ حديث ضابيء بن الحارث البرجمي مع عثمان بن عفان

٢٢٩ حديث أبي شجرة السلمي مع عمر ابن الخطاب

٢٣٠ كلمة عمر حينما بلغه ان قوماً ما يفضلونه على أبي بكر

٢٣٢ للحطيئة في أيام ردته.

٣٢ – باب

٢٣٣ لعبد الصمد بن المعذل وقد لامته امرأته على انقطاعه عن مجلس يحيى بن أكثم. لبشار بن برد

Marfat.com

صفحة
يذكر عبيدالله بن فزعة
٢٣٤لأبي العتاهية في المواعظ والحكم
لمحمود الوراق في المواعظ والحكم
٢٣٥حلم الحسن بن علي بن أبي طالب.
لأبي نواس يمدح الفضل بن الربيع.
لعبد الله بن محمد بن أبي عيينة
يخاطب ذا اليمينين
٢٣٧المحسن بن هانىء الحكمي يخاطب
العباس. لدعبل بن علي الخزاعي
٢٣٨لاسماعيل بن القاسم
٢٤٠لابن أبي عيينة
٢٤١للخليل بن أحمد وكان نظر في
النجوم . لمحمد بن بشير يعيب
المتكلمين
٢٤٢ما استحسن من شعر أبي نواس
٢٤٤لاسحاق بن خلف البهراني يمدح
علي بن عيسى
٢٤٥بمَ تكون بليغاً من كلام بعض
الحكماء
٢٤٦لأبي دلف العجلي يذكر لهوه
وجدّه
٢٤٧لاسحاق يمدح الحسن بن سهل
٢٤٨بمَ يحكم بالنبل وبم يحكم بالاستصغار
للأعشى في موذة بن علي

صفحة
٢٤٩ سؤال كسرى لهوذة بن علي
عن بنيه. لأبي عيينة يعاتب رجلا
من الأشراف
٢٥٠سبب هجاء ابن عيينة لاسماعيل
ابن جعفر
٢٥٣لعمرو بن زعبل يهجو ابن أبي
عيينة
٢٥٤لابن أبي عيينة في عيسى بن
سليمان
٢٥٥لعبد الله بن عيينة يعاتب ذا
اليمينين
٢٥٧وله أيضاً يخاطب علي بن محمد
وكان قد توعده . له في المغيرة
يرثيه .

٣٣- باب

٢٦١نبذة من كلام الحكماء
للمتبي يذكر ابناً له مات
٢٦٢حديث خالد بن صفوان مع
بلال بن أبي بردة
٢٦٣لخالد بن صفوان وقد سأله سليمان
ابن علي عن بنيه
٢٦٤دهاء إياس بن معاوية. تحيل أبي
دلامة ومكره
٢٦٥حلم سوار بن عبدالله

Marfat.com

صفحة
٢٦٦ أنفة عقيل بن علفة
٢٦٧لأبي خراش الهذلي وكان قد قتل أخاه جميل بن معمر الجمحي
٢٦٨حديث بلال بن أبي بردة مع عمر بن عبد العزيز. لذي الرمة يمدح بلالاً .

٣٤- باب

٢٧٢لجرير وقد نزل بقوم من بني العنبر فلم يقروه
٢٧٦ليحيى بن نوفل يهجو العريان ابن الهيثم وتفسير ما ورد بـه من الغريب
٢٧٨ (تفسير ما كان من المؤنث على فعال مكسور الآخر وهو على أربعة أضرب والأصل واحد الأول - المؤنث المعرفة المعدول الثاني - الصفة الغالبة التي تحل محل الاسم
الثالث - ما عدل عن المصدر
الرابع - ما تسمي به امرأة أو شيئاً مؤنثاً باسم تصوغه على المثال
٢٨١لامرأة من بني علمر زوجت في طيىء. لرجل يذكر امرأة زوجت من غير كفء

صفحة
٢٨٢لقائل يعير إبراهيم بن النعمان لتزويجه ابنته ليحيى بن أبي حفصة
٢٨٣للفرزدق يعني عطية أبا جرير
٢٨٤للفرزدق يهجو قيساً
٢٨٥لجرير يجيبه
٢٨٦لابن غلفاء يرد على يزيد بن عمرو في هجائه بني تميم
٢٨٧لجرير يعير الفرزدق وقومه
٢٨٨اغارة النعمان بن المنذر على تميم لما منعته الاتاوة
٢٨٩صعصعة بن ناجية بين يدي رسول الله يخبره بما كان يفعـــله مع المو،ودات في الجاهلية
٢٩١استجارة امرأة بقـبر غالب وشفاعة الفرزدق لها
٢٩٤لهو النعمان بن المنذر ومعه عدي ابن يزيد .

٣٥- باب

٢٩٥حديث الموال
٢٩٨ما وقع بين الجحاف بن حكيم والأخطل لأشجع السلمي يمدح الرشيد هرب العديل بن الفرخ العجلي من الحجاج وارجاعه اليه

Marfat.com

صفحة
٢٩٩ للفرزدق في مسلمة بن عبدالملك لما عزل
٣٠٠ للأسدي في خالد بن عبد الله القسري، لعبد الرحمن بن حسان في عبد الرحمن بن الحكم، وكان بهاجيه. لسوار بن المضرب وقد هرب من الحجاج
٣٠١ حديث محمد بن عبد الله الثقفي مع الحجاج وكان قد هرب منه. لمالك بن الريب المازني وقد هرب من الحجاج
٣٠٣ نعي أخي الحجاج وابنه محمد في يوم واحد
٣٠٥ لعمر بن عبد العزيز في ولاة الوليد بن عبد الملك. كتاب الحجاج الى الوليد لما مات أخوه محمد ورد الوليد عليه
٣٠٦ ما كان بين عبدالله بن عبدالأعلى وأليون وقد أرسله اليه عمر بن عبد العزيز
٣٠٧ ما كان بين الشعبي وملك الروم لما أرسله عبد الملك اليه
ما كان يفعله معاوية إذا بلغه كيد بطريق. للاسلام استئذان

صفحة
ملك الروم معاوية في أن يغرب كل منهما على الآخر
٣٠٨ كتاب معاوية الى قيس بن سعد ورد قيس عليه
٣٦ باب
٣١٠ لسليك بن السلكة أحد غربان العرب
٣١١ النجباء من أولاد السراري
٣١٢ كيف اتصلت أم بلال بجرير
٣١٣ كتاب محمد بن عبدالله الى منصور ورده عليه
٣٧ - باب
٣١٣ لأعرابي فيمن أطال لحيته
٣١٥ لاسحاق بن خلف يصف رجلا بالقصر وطول اللحية
٣١٧ رأي أهل الحجاز في المراد من لفظ النكاح
٣١٩ طلاق عمرو بن عثمان ابنة سائب وهي على المنصة. لبلال بن جرير يمدح عبدالله بن الزبير
٣٢٢ لعلي بن الحسن وقد سئل ما بالك إذا سافرت كتبت نسبك؟
٣٢٣ لجرير يمدح هشام بن عبد الملك
٣٢٥ عمر بن الخطاب أول من وضع

Marfat.com

صفحة
التاريخ الهجري
٣٢٦لشاعر أتى أبا البحتري يمدحه
٣٨- باب
٣٢٧سؤال عبد الملك لجلسائه أي المناديل أفضل
٣٢٨ذكر ابنة هانئ، وهي تفضل ما كان من لقيط على ما كان من زوجها الآخر . بنات ذي الاصبع العدواني
٣٣٠ثناء الحجاج على المهلب لما ورد ظفره
٣٣٣نقد كثير عزة الشعراء وما وقع بين كثير والأخطل بحضرة عبد الملك
٣٣٤تصدق نصيب بالشعر على امرأة أكرمته . عفة نصيب عن منادمة عبد الملك . اعتذار الحجاج للوليد عن الشراب
٣٣٥نقد نصيب شعر الكميت
٣٣٧لرجل يمدح الرشيد . لعائشة وقد نظرت إلى رجل متناوت
٣٣٨للحسن وقد نظر لرجل يجود بنفسه . أي إخوانك أحب اليك
٣٤٠للنخار العذري وقد احتقره
صفحة
معاوية
٣٤١لأبي الاسود الدؤلي يمدح عبدالله ابن زياد
٣٤٢لخالد بن يزيد المهلبي في الخطاب
٣٤٤لنصر بن حجاج وقد علق عمر رأسه . حديث يزيد بن الطثرية .
٣٩- باب
٣٤٥لقيس بن عاصم يخاطب زوجته . لجرير يهجو بني هزان
٣٤٦ليحيى بن نوفل يهجو
٣٤٧لقيس بن عاصم وقد قسم الصدقات في بني منقر لأبي خراش يمدح من لا يعرف
٣٤٨لرجل من الأعراب ينسب ابن عم له الى اللؤم والتوحش
٣٤٩حديث الحطيئة مع الزبرقان وبني عمه وتفسير ماورد في ذلك من الغريب
٣٥٣استعطاف الحطيئة لعمر لما حبسه
٣٥٤حديث لمثنى بن معروف مع أبي جبر الفزاري
٣٥٥الحجاج والخوارج .
٤٠- باب
٣٥٦من تكاذيب الأعراب

Marfat.com

صفحه

٣٥٨ليلى بنت عروة بن زيد الخيل
تنشد لأبيها قول أبيه
٣٥٩بكر بن وائل تريد الغارة على
بني تميم
٣٦٠كذب المهلهل في شعره
تطرف أبي الربيع في الفخر
٣٦١تشبيب محمد النميري بزينب
أخت الحجاج
٣٦٢لعمران بن حطان يخاطب
الفرزدق . كذب عمرو بن
معديكرب
٣٦٣كذب رجل وافد على رسول
الله ﷺ
٣٦٥ادعاء عبد الله بن الزبير شعراً
أنشده معاوية .

٤١ – باب

٣٦٦ما يجوز فيه يفعل فيما ماضيه فعل
مفتوح العين

٤٢ – باب

٣٦٧حديث عبدالله بن العباس
٣٧٠سؤال معاوية من أفصح الناس.

٤٣ – باب

٣٧٣لمحمد بن عبدالله الثقفي يتغزل
٣٧٤لأحد الشعراء يمدح فثم بن العباس

صفحة

٣٧٥عمر بن عبدالعزيز يتمثل. لعمر بن
أبي ربيعة في أم عمر بنت مروان.
٣٧٦للحرث بن عباد لما بلغه قتل ابنه
٣٧٧للنميري يجيب جريراً
٣٧٨لعمر بن أبي ربيعة
٣٧٩دعابة بن عتيق وطرف من أخباره.
٣٨١لابن نمير الثقفي
٣٨٢لعمر بن أبي ربيعة .

٤٤ – باب

٣٨٨حديث عمر الوادي مع أسود
سمعه يغني
٣٨٩ارتياح الوليد بن يزيد لغناء خالد
صامة . خلوة يزيد بن عبد الله
للغناء والشراب
٣٩٠حديث إسحاق بن ابراهيم الموصلي
مع صاحبه
٣٩١حسان بن ثابت في وليمة وقينتان
تغنيان بشعره. خليلان الأموي
يغني أمير البصرة
٣٩٢غضب الرشيد على مغن بشعر مدح
به أخوه. انتقال معاوية الى عبدالله
ابن جعفر ليعيب عليه لهوه
٣٩٣سؤال سفيان بن عيينة عن سبب
غنى جاره السهمي . ابن أيحر

Marfat.com

صفحة

يغني عطاء بن رباح وهو يطوف.
سماع سليمان بن عبد الملك متغنياً في عسكره
٣٩٤ الأحوص يغني الفرزدق بشعر جرير وحديث الأحوص مع عقيلة ومعبد
٣٩٥ مجاء الأحوص سعد بن مصعب
٣٩٦ شفاعة رجل مدني عند رجل من الشرط لرجل كان يغني بمسجد رسول الله
٣٩٧ افتخار معبد بخمسة أصوات كان يغنيها للأعشى يعاتب يزيد ابن مسهر الشيباني
٣٩٨ الشماخ يمدح عرابة بن أوس لعمر ابن أبي ربيعة في لبابة
٣٩٩ لعبدالله بن قيس الرقيات يمدح

صفحة

مصعب بن الزبير . لعبدالله بن قيس يمدح عبدالله بن جعفر، وله أيضاً يمدح عبد الملك
٤٠٠ لموسى شهوات يمدح حمزة بن عبدالله بن الزبير

٤٥ — باب

٤٠٠ لعتبة بن شماس يمدح عمر بن عبد العزيز
٤٠١ لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز.
لجرير يشكو سعد الأزدي الى عمر ابن عبد العزيز
٤٠٢ وله أيضاً لما نعي عمر بن عبدالعزيز
٤٠٤ لرجل يشكو الى عمر على عماله.
لرجل يرثي عمر بن عبد العزيز
٤٠٥ لعويف القوافي يرثي سليمان بن عبد الملك وتفسير ما في ذلك من الغريب

تم فهرس الجزء الاول

Marfat.com

الكامل

في اللغة والأدب

للعلامة أبي العباس محمد بن يزيد المعروف بالمبرد
النحوي المتوفى سنة ٢٨٥ هـ

سمعنا من شيوخنا في مجالس التعلم أن أصول
فن الادب وأركانه أربعة دواوين وهي كتاب
الكامل للمبرد وأدب الكاتب لابن قتيبة وكتاب
البيان والتبيين للجاحظ وكتاب النوادر لابي
علي القالي البغدادي وما سوى هذه الاربعة فتبع
لها وفروع منها اه .
ابن خلدون

الجزء الثاني

روجعت هذه الطبعة وقوبلت على عدة نسخ خطية ومطبوعة وشرح
الضروري منها وصححت بمعرفة لجنة من المحققين
باشراف مكتبة المعارف – بيروت

الناشر
مكتبة المعارف
بيروت

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

٤٦ — باب

قال أبو العباس نذكر في هذا الباب من كل شيء شيئاً لتكون فيه استراحةٌ للقارىء وانتقالٌ يَنْفي المَلَلَ لحسن مَوْقِعِ الاستطراف ونَخْلِطُ ما فيه من الجِدِّ بشيء يسير من الهَزْلِ ليستريحَ اليه القلبُ وتسكنَ اليه النفسُ قال أبو الدَّرْداءِ رحمه الله اني لأَسْتَجِمُّ نفسي بالشيء من الباطل ليكون أقوَى لها على الحق. وقال عليّ بن أبي طالب رحمه الله القَلبُ اذا أُكْرِهَ عَمِيَ وقال ابن مسعود رحمه الله القلوب تَمَلُّ كما تملُّ الأبدانُ فابتغوا لها طَرَائفَ الحِكْمَةِ. وقال ابن عباس رضي الله عنه العِلْمُ أكثرُ من أنْ يُؤتَى على آخره فَخُذْ من كل شيء أحسنَهُ وليس هذا الحديث من الباب الذي ذكرنا ولكن نذكر الشيء بالشيء إما لاجتماعهما في لفظ وإما لاشتراكهما في معنى. وقال الحسن وليس من هذا الباب حادثُوا هذه القلوبَ فانها سَريعةُ الدُّثُورِ واقدَعُوا هذه الانفسَ فانها طُلَعَةٌ وانكم الاَّ تَزَعُوها تَنْزِعْ بكم الى شرٍّ غايةٍ وقد مضى تفسير هذا الكلامَ. وقال أرْدَشِيرُ بن بابِكَ ان للآذان مَجَّةً وللقلوب مَلَلاً فَفَرِّقُوا بين الحِكْمَتَيْنِ يكن ذلكَ استجماماً. وكان أنوشَرْوانُ

Marfat.com

يقول القلوب تحتاج الى أقواتها من الحِكْمَةِ كاحتياج الأبدان الى أقواتها من الغِذاء ويروى أنه أُصِيبَ في حِكْمَةِ آل داود لا ينبغي للعاقل أن يُخلِيَ نفسه من واحدة من أربع : من غُدُوّ لمعادٍ أو إصلاحٍ لمَعَاشٍ أو فِكْرٍ يَقِفُ به على ما يُصْلِحُهُ مما يفسده أو لَذَّةٍ في غير مُحَرَّمٍ يستعينُ بها على الحالات الثلاث : وقال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه يوماً يا أبتِ انك تنامُ نومَ القائلةِ وذو الحاجَةِ على بابكَ غيرُ نائم فقال له يا بُنَيَّ ان نفسي مَطِيَّتي فان حملتُ عليها في التَّعَبِ حَسَرْتُها ؛ تأويلُ قوله حسرتها بَلَغْتُ بها أقصى غاية الإعياء قال الله جل وعز : ينقلبْ اليكَ البصرُ خاسِئاً وهو حَسيرٌ : وأنشد أبو عبيدة ان العَسيرَ بها داءٌ مُخامِرُهـــا فَشَطْرَها نظرُ العينـــين مَحْسور

قوله فشطرها يريد قَصْدَها ونَحوَها قال الله جل وعز : فَوَلِّ وَجْهَـــكَ شَطْرَ المسجد الحرام . قال الشاعر :

لَهُنَّ الوَجا لمْ كُنَّ تَوْناً على النَّوَى ولا زالَ منها ظالِـــعٌ حَسيرُ

يعني الابل يقول هي المفرقةُ كما قال الآخر .

ما فَرَّقَ الالأَفَ بعـــد اللهِ إلا الإبَـــلُ
ولا اذا صاحَ غُـــرا بٌ في الديار احْتَمَلوا
ومـــا غـــرابُ البـين الا ناقةٌ أو جَمَـــلُ

(قال أبو الحسن وزادني فيه غيرُ أبي العباس :

والنـــاسُ يَلْحَوْنَ غُرا بَ البَيْنِ لمـــا جَهِلوا
والبائِسُ المسكينُ مـا تُطْوَى عليه الرِّحَـــلُ

(ويقال إنه لأبي الشِّيصِ) .

قال أبو العباس فمن قال آلِفٌ للواحد قال للجميع ألافٌ كعاملٍ وعُمّالٍ

Marfat.com

وشاربٍ وشُرَّابٍ وجاهلٍ وجُهَّالٍ ومن قال إلْفٌ قال للجميع آلافٌ وتقديره عدْلٌ وأَعْدال وأَحْمِلٌ وحِمالٌ وثِقْلٌ واثقال وقد أنصفَ الإبل الذي يقول :

ألا فَرَعَى اللهُ الرَّواحِلَ انما مَطَايا قلوبِ العاشِقِينَ الرَّواحِلُ
على انهنَّ الواصِلاتُ عُرَى النَّوَى اذا ما نَأَى بالآلِفِينَ التَّوَصُّلُ

وقال الآخر :

أقولُ والهَوْجاءُ تَمْشي والفُضُلْ قَطَّعَتِ الأَحْداجُ أعناقَ الإبِلْ

الهوجاء التي تجدّ في البر وتَرْكَبُ رأسها كأن بها هَوَجاً . كما قال لله دَرُّ اليَعْمَلاتِ الهُوج . وكما قال الأعشي :

وفيها اذا ما هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ اذا حِلْتَ حِرْباءَ الوَدِيقَةِ أَصْيَدَا

والفضل مِشْيةٌ فيها اختيال كأنَّ مشيتها تخرج عن حِطامها فَتَفْضُلُ عليه والأصل في ذلك ان يمشي الرجل وقد أَفْضَلَ من إزاره وتمشي المرأةُ وقد أَفضلتْ من ذَيْلها وانما يفعل ذلك من الخَيَلاء ، ولذلك جاء في الحديث فَضْلُ الإزارِ في النار . وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لابي تَميمَةَ الهُجَيْميِّ وإيَّاكَ والمَخِيلةَ فقال يا رسول الله نحن قوم عَرَبٌ فما المَخِيلةُ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سَبَلُ الازار ، وقال الشاعر : (ويقال انه لقَيْس بن الخَطيم) .

ولا يُنْسِينيَ الحدَثانُ عِرْضي ولا أُرْخِي من المَرَحَ الإزارا

وقال أبو قيس بن الأَسْلَت الانصاريّ :

تَمشي الهُوَيْنا اذا مَشَتْ فُضُلاً كأنها عودُ بانةٍ قَصِفُ

(قال أبو الحسن عليّ بن سليمان ما نعرف هذا البيت الا لقيس بن

Marfat.com

الخطيم الأنصاري أعني تمشي الهوينا) وقال أبو العباس وقال الوَليدُ بن يزيد :

أنا الوليدُ الامامُ مُفتَخِراً أُنعِمُ بالي واتْبَعُ الغَزَلا
أَنقُلُ رِجْلي الى مَجَالِسِها ولا أُبالي مقال مَنْ عَذَلا
غَرَّاءُ فُرْعاءُ يُستضاءُ بها تمشي الهُوَيْنا إذا مشت فُضُلا

ثم نعود إلى الباب قال الراجز يعني إبلَهُ أو ناقته :

إنَّ لها لَسَائِقاً خَدَلَّجَا لم يُدْلِجِ اللَّيلةَ فيمن أدْلَجا

الخَدَلَّجُ المُدمَجُ السَّاقين وإنَّما عنى المرأة التي ساقه حبه اليها ، والكلام يجرى على ضروب ، فمنه ما يكون في الأصل لنفسه ومنه ما يكنى عنه بغيره ومنه ما يقع مَثَلاً فيكون أبلغَ في الوصف . والكنايةُ تقع على ثلاثة أضرب أحدها التَعْمِيةُ والتَّغْطِيةُ كقول النابغة الجعديّ :

أكَنِّي بغير اسمها وقد عَلِمَ الله خفيَّاتِ كُلِّ مُكْتَتَمِ

وقال ذو الرُّمة استراحة إلى التصريح من الكناية :

أُحِبُّ المكانَ القَفْرَ من أَجْلِ أنني بهِ أَتَغَنَّى باسمها غيرَ مُعْجَمِ *

وقال أحد القرشيين هو محمد بنُ نُمَيْرٍ الثَقفي :

وقد أرْسَلَتْ في السِّر انْ قد فَضَحْتَني وقد بُحْتَ باسمي في النَسِيبِ وما تَكْني

ويروي أن عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة قال شعراً وكتب به بحضرة ابن أبي عتيق إلى امرأة مُحرِمَةٍ وهو :

ألِمّا بذاتِ الخالِ فاسْتَطْلِعا لنا على العَهْدِ باقي وُدّها أم تَصَرَّما
وقولا لها إنَّ النَوَى أجنَبِيةٌ بنا وبكم قد خِفْتُ أن تَتَيَمَّما

قال فقال له ابن أبي عتيق ماذا تريد إلى امرأة مسلمة محرِمة تكتب

* غير معجم : اى في غير تكنية ، بل صراحة . وهو لا يقصد اعجام الحروف-أي نقطها.

Marfat.com

إليها بمثل هذا الشعر ؟ قال فلما كان بعد مُدَيْدَة قال له ابن أبي ربيعة أما علمتَ أن الجواب جاءنا من عند ذاك الإنسان ، فقال له ما هو فقال كَتَبتْ :

أضحَى قَريضُكَ بالهَوَى نَمَّامـــا فاقْصِدْ هُديتَ وكُنْ له كَتَّامـــا
واعْلَمْ بأنَّ الحالَ حين ذكرتَـــهُ قَعَدَ العدُوّ بهِ عليك وقامـــا

ويكون من الكناية وذلك أحسنُها الرغبةُ عن اللفظ الخسيس المُفْحِشِ إلى ما يدل على معناه من غيره . قال الله ، وله المَثَلُ الاعلى : أُحلَّ لكم ليلة الصيام الرَّفثُ إلى نسائكم . وقال : أو لامَستُمُ النساء ، والملامسةُ في قول أهل المدينة مالكٍ وأصحابه غيرُ كنايةٍ إنما هو اللَّمْسُ بعينه يقولون في الرجل تقع يده على امرأته أو على جاريته بشهوة ان وضوءه قد انْتَقَضَ وكذلك قولهم في قضاء الحاجة جاء فلانٌ من الغائط وإنما الغائط الوادي وكذلك المرأة قال عمرو بن معدي كَرب الزُبَيْدِيُّ :

فكَمْ من غائطٍ من دون سَلْمَى قَليلِ الأُنسِ ليسَ به كَتيعُ

وقال الله جل وعز في المسيح بن مريم وأمه صلى الله عليهما : كانا يأكلان الطعام وإنما هو كنايةٌ عن قضاء الحاجة . وقال : وقالوا لجُلودهم لما شَهِدْتُمْ علينا ، وإنما هي كناية عن الفُروج وهذا كثير . والضرب الثالث من الكناية التفخيم والتعظيم ومنه اشتقت الكُنْيَةُ وهو أن يُعَظَّمَ الرجلُ أنْ يُدْعى باسمه ووقعت في الكلام على ضربين وقعت في الصبي على جهة التَفاؤُل بان يكون له ولد ويُدْعى بولده كنايةً عن اسمه ، وفي الكبير أنْ يُنادَى باسم ولده صيانةً لاسمه وإنما يقال كُنِيَ عن كذا بكذا أي تُرِكَ كذا إلى كذا لبعض ما ذكرنا . وكان خالد بن عبدالله القَسْرِيُّ لعنهُ الله يلعن عليَّ بن

Marfat.com

أبي طالب رحمة الله عليه ورضوانه على المنبر فيقول فَعَل الله على علي بن أبي طالب بن عبد المُطَّلِبِ بن هاشم بن عبد مناف ابن عَمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنتِهِ فاطمة وأبي الحسن والحسين ثم يُقْبِلُ على الناس فيقول أكَنَيْتُ ، فهذا تأويلُ هذا . قال أبو العباس ونرجع إلى الباب الذي قصدنا له ، قال اعرابي :

وحُقَّةٍ مِسْكٍ من نساءٍ لَبِسْتُهـا شَبابي وكَأْسٍ باكَرَتْني شَمولُها
جَديـدةِ سِرْبالِ الشَباب كَأَنَها أَباءَةُ بَرْدِيٌّ سَقَتْها غُيولُهـا
مُخَمَّلةٍ باللحم من دون خَصْرها تَطولُ ٱلقِصارَ والطوالُ تَطُولُها

قوله باكرتني شمولها زعم الاصمعي ان الخمر انما سُميت شمولاً لأن لها عَصْفةً كعصفة الريح الشمال . وقوله اَبَاءَةَ وَبَرْدِيٌّ ، الأَباءَةُ القَصَبةُ وجمعها الأَباءُ . قال كعب بن مالك الانصاري :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبٌ يُرَعْبِلُ بَعْضُهُ بَعْضاً كَمَعْمَعَةِ الأَبَـاءِ المُحْرَقِ

المعمعةُ صوت إحْراقه يقال سمعتُ معمعةَ القَصَبِ والقَوْصَرَّة في النـار أي صوت احتراقها وانما شبه المرأة بالبردية والقصبة لنقاء اللون المستتر منها وما والاه ورقته. قال حُمَيْدُ بن ثَورِ الهِلالي :

لم أَلْقَ عَمْرَةَ بعـد إذْ هي ناشئةٌ خرجتْ مُعَطَّفةً عليهـا مِئْزَرُ

(العِطافُ الوِشاحُ من النساء) :

بَرَزَتْ عَقيلةَ أربـعٍ هادَيْنُها بِيض الوجوه كَأَنَّهُنَّ العُنْقَـرُ

(العُنْقَرُ أصول القصب يقال عُنْقَرٌ وعُنْقُرٌ) وفي هذا الشعر :

ذهبتْ بعقلكَ رَيْطَةٌ مَطْوِيَّةٌ وهي التي تُهْدَى بهـا لو تُنْشَرُ

Marfat.com

(قال أبو الحسن أنشدَنيه ثعلب في قوله لو تنشر ثشْعُرُ) :

فَهَمَمْتُ أَنْ أَغْشَى اليها مَحْجِراً وَلمثْلُها يُغْشَى اليـــه المَحْجِرُ

وقوله سقتها غيولها الغِيلُ هنا الأَجمةُ ومن هذا قولهم أُسْدُ غيلٍ قال طَرَفَةُ :

أُسُدْ غِيـــل فاذا ما شربوا وَهَبُوا كلَّ أُمونٍ وطِمِرْ

وقد أملينا جميعَ ما في الغَيلِ والغِيلِ . وقوله تطول القصـــارَ والطوالُ تطولها طال يكون على ضربين أحدهما تقديره فَعُلَ وهو ما يقع في نفسه انتقالاً لا يتعدى الى مفعول نحو مـا كان كريما فكَرُمَ وما كان وضيعاً ولقد وَضُعَ وما كان شريفاً وقد شَرُفَ وكان الشيء صغيراً فَكَبُرَ وكذلك كان قصيراً فطال وأصله طَوُلَ ، وقد أجبرنا بقصة الياء والواو اذا انفتح ما قبلها وهما متحركان. وعلى ذلك يقال في الفاعل فَعيلٌ نحو شريفٍ وكَريم وطَويل فاذا قلت طاوَلني قطُلْتُهُ أي فعلوته طولا فتقديره فَعَلَ نحو خاصمني فَخَصَمْتُهُ وضاربني فضَربته وفاعِلُهُ طائل كقولك ضارب وخاصِمٌ . وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق الرَّبْعة واذا مشى مع الطوال طالهم . وقـال رِياحُ بن سُنَبْحٍ الزِنْجِيُّ مولى بني ناجيـــة وكان فصيحاً يُجيب جَريرَ لما قال جرير :

لا تُطْلُبَنَّ خُولةً في تَغْلِبٍ فالزِّنْجُ أكرمُ منهمُ اخوالا

فتحرك رياح فذكر أكثر مَنْ وَلَدَتْهُ الزنج من اشراف العـــرب في قصيدة مشهورة ومعروفة يقول فيها :

والزِّنْجُ لو لاقَيْتَهُمْ في صفِّهم لاقيتَ ثَمَّ جَحاجِحاً أبطالا

ما بالُ كَلْبِ بنى كُلَيْبٍ سَبَّهُمْ ان لم يُوازِنْ حاجبا وعقالا

Marfat.com

ان الفرزدقَ صخرةٌ عادِيَّةٌ طالتْ فليس تَنالُها الأَنْجبالا

يريد طالت الأجبالَ فليس تنالُها . ثم نعود الى ذكر الباب ، وقال مَرْوان بن أبي حَفْصة وهو مروان بن سليمان بن يحيى بن يحيى بن أبي حفصة واسم أبي حفصة يَزيدُ :

انَّ الغَوانيَ طالما قتَلْنَنَا بعُيونهنَّ ولا يَدِينَ قتيلا
من كلِّ آنسةٍ كأنَّ حِجالَها ضُمِّنَّ أحْوَرَ في الكِناس كَحيلا
أرْدَيْنَ عُرْوَةَ والمُرَقِّشِ قبله كلٌّ أُصيبَ وما أطاقَ ذُهولا
ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّراً وجَميلا ولقد تَرَكْنَ أبا ذُؤَيْبٍ هائماً
وتَرَكْنَ لابنَ أبي رَبيعة مَنْطِقاً فيهنَّ أصبح سائراً محمولا
إلا أكُنْ ممن قَتَلْنَ فانني ممن تركْـنَ فُؤادَهُ مَخْبولا

قوله ولا يدين قتيلا يقال وَدَي يدي وكل ما كان من فَعَلَ مما فاؤه واو ومضارعه يَفْعِلُ فالواو ساقطة منه لوقوعها بين ياء وكسرة . وكذلك ما كان منه على فَعِلَ يَفْعِلُ لأن العلة في سقوط الواو كسرة العين بعدها وقد مضى تفسير هذا ولكن في يدينَ علة أخرى ، وهي أن الياء التي هي لام الفعل بعد كسرة فهي تَعْتَلُّ اعتلال آخرِ يَرْمي وأوله يعتل اعتلال واو يَعِدُ واحْتَمَلَ علتين لان بينهما حاجزاً . ومثل ذلك وَعَى يعي وَوَقى يَقي وَوَشى يَشي وَوَنى في أمره يني وما أشبه ذلك ، ويقع في فَعِل نحو وليَ الأميرُ الآن يلي ، فاذا أمرتَ كان الفعلُ على حرف واحد في الوصل لاتصاله بما بعده تقول : يا زَيْدُ ، عِ كلاماً وشِ ثوباً . وتقول : لي عَمْراً يا زيدُ من وَلِيتُ . فاذا وقفتَ قلتَ له ، وشِهْ وقِهْ لا يكون إلا ذلك لأن الواو

Marfat.com

تسقط فتبتدىء بمتحرك لا يحتاج إلى ألف وصل . فإذا وقفتَ احتجتَ إلى ساكن تقف عليه ، فأدخلت الهاء لبيان الحركة في الأول ولم يجُز إلا ذلك . ومن قال لك : إلْفِظْ لي بحرف واحد غير موصولٍ فقد سألك مُحالاً لأنك لا تبتدىء إلا بمتحرك ولا تقف إلا على ساكن فقد قال لك ، إلْفظْ لي بساكن متحرك في حال . وقوله ضُمِّنَّ يقال ضُمِّنَ القبرُ زيدَ أو ضُمِّنَ القبرَ زيدٌ كلٌّ صحيح فمن قال : ضُمِّنَ القبرُ زيداً فإنما أراد جُعِلَ القبرُ ضَمينَ زيدٍ ومن قال ضُمِّنَ زيدٌ القبرَ فإنما أرادَ جُعِلَ زيد في ضِمْنِ القبر ويُنْشَدُ هذا البيت على وجهين (لأبي حَيَّةَ النُّمَيْرِي) :

وما غائبٌ مَنْ غابَ يُرْجى إيابُهْ ولكِنَّهُ مَنْ ضُمِّنَ اللَّحْدَ غائبُ

ومن روى مَنْ ضُمِّنَ اللحدُ غائبُ يريد من ضُمِّنَهُ اللحدُ وحَذَفَ الهاءَ من صلة مَنْ وهذا من الواضح الذي يحتاج إلى تفسير . وقوله ، أحورَ يعني ظَبْيًا وأهلُ الغريب يذهبون إلى أن الحَوَرَ في العين شدةُ سَوادِ سَوادِها وشدةُ بياضِ بَياضها والذي عليه العرب إنما هو نقاء البياض فعند ذلك يتضح السواد ، وقدفسرنا الحَوَرَ والحَوَارِيَّ . والكِناسُ حيث تَكْنِسُ البقرةُ والظَبيةُ وهو أن تتخذ في الشجرة العادِيَّةِ كالبيت تأوي اليه وتَبْعَرُ فيه فيقال أن رائحته أطيب رائحة لطيب ما تَرْتَعي . قال ذو الرُّمَّةِ :

إذا اسْتَهَلَّتْ عليه غَيْبَةٌ أرِجَتْ مَرَابِضُ العِين حتى يَأْرَجَ الخَشَبُ

كأنَّهُ بيتُ عَطَّارٍ يُضَمِّنُهُ لَطَائِمَ المِسْكِ يحويها وتُنْتَهَبُ

قوله غيبة هي الدُّفْعةُ من المطر وعند ذلك تتحرك الرائحة ، والأَرَجُ تَوَهُّجُ الريح وانما يستعمل في الريح الطيبةِ والعِينُ جمع عَيْنَاء يعني البقرة

Marfat.com

الوحشية وبها شبِّهَتِ المرأة فقيل حُورٌ عِينٌ واللطيمةَ الإبل التي تحمل العطر والبَزَّ لا تكون لغير ذلك فيقول : ضُمِّنَّ ظَبْياً أَحْوَرَ العينِ أَكْحَلَ ، وجعل الحِجالَ كالكِناس . وقال ابن عباس في قول الله جل وعز : فلا أُقْسِمُ بالخُنَّسِ الجَوارِ الكُنَّسِ قال : أُقْسِمُ ببقر الوحش لانها تُخْنِسُ الأُلوفِ والكُنَّسُ التي تَلْزم الكناس . وقال غيره أُقْسِمُ بالنجوم التي تجري بالليل وتَخْنُسُ بالنهار وهو الاكثر . وقوله : أَرْدَيْنَ يقول أَهْلَكْنَ والرَّدَى الهلاك والموت من ذا والذهول والانصراف يقال ذَهِلَ عن كذا وكذا اذا انصرف عنه الى غيره . (قال الله عز وجل: يوم تَرَوْنَها تَذْهَلُ كلُّ مُرْضِعَةٍ عما أَرْضَعَتْ أي تَسْلَى وَتَنْسَى عنه الى غيره) . قالَ كُثَيِّر :

صَحَا قَلْبُهُ يا عَزَّ أو كادَ يَذْهَلُ وأَضْحَى يريد الصَّرْمَ أو يَتَدَلَّلُ

وقوله : ولقد تَبَلْنَ كُثَيِّراً وجَميلاً، أصلُ التَّبْلِ الترةُ يقال تَبْلي عند فلان قال حَسَّانُ بن ثابت .

تَبَلَتْ فؤادَكَ في المنام خَريدَةٌ تَشْفِي الضَّجيعَ بِبَارِدٍ بَسَّامِ

والخَريدَةُ الحَيِيَّةُ . وقوله ممن تَرَكن فؤاده مخبولا ، يريد الخَبْلَ وهو الجنون ولو قال مَخْبولاً لكان حسنا يريد مَصيداً واقعاً في الحِبالةِ كما قال الأعشى .

فكُلُنا هائمٌ في إثْرِ صاحِبِهِ دانٍ وناءٍ ومَخْبولٌ ومُخْتَبِلُ

وخُبِّرْتُ أن رجلاً جافياً عَشِقَ قَيْنَةً حَضَرِيَّةً فكلمها يوماً على ظَهْرِ الطريق فلم تكلمه فظن أن ذاك حَياء منها فقال : يا خريدةُ قد كنت أَحْسِبُكِ عَروباً فما بالُنا نَمِقْكِ وتَشْنَؤِينَا فقالت : يا ابن الخبيثة أَتَجَمَّشُني بالهَمْزِ ، الخريدة الحيية والعَروبُ الحسنةُ التَّبَعُّلِ وفُسِّرَ في القرآن على ذلك في

Marfat.com

قول: عُرُباً أترابا، فقيل هُنَّ المُحِبّاتُ لازواجهنّ. قال أوسُ بن حَجَرٍ.
(ويقال عَبيدُ ابن الأَبْرص :

وقد لَهَوْتُ بمثل الرُّئْمِ آنسةٍ تُصْبي الحَليمَ عَروبٍ غيرِ مِكْلاحِ

وذكر الليثي أن رجلاً أحب جارية ولم يكن يُحْسِنُ مما يُتَوَصَّلُ به الى النساء شيئاً إلا أنه كان يحفظ القرآن فكان يَتَوَصلُ إليها بالآية بعد الآية فكان أن وَعَدَتْهُ فأخلفتْهُ، وتَحَيَّنَ وقت مرورها فقال: يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولونَ ما لا تفعلونَ. وإن خرجتُ خَرْجَةً ولَمْ يَعْلَم بها فينتظرُ تَحَيُّنَها في أُخرى فتلا: ولو كنتُ أعلم الغَيْبَ لاستكثرتُ من الخير، وإن وَشَى به اليها واشٍ كتب اليها: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فَتَبَيَّنُوا أن تُصيبوا قوماً بجَهالة، وذكروا أن أبا القَماقِم بن بَحْرٍ السَّقَّاء عَشِقَ جاريةً مدينيةً فبعث إليها أنّ إخوانا لي زارني فابعثي إليَّ برؤوس حتى نأكلها ونَصْطَبِح على ذِكْرِكِ ففعلتْ. فلما كان اليومُ الثاني بعث اليها أن القوم مقيمون لم نفترق فابعثي إلي بِقَلِيَّةِ جَزُرِ رَيَّةٍ وَبَقَرِيَّةٍ قَدِيَّةٍ حتى نَتَغذَّاها ونصطبح على ذكرك. فلما كان في اليوم الثالث بَعَثَ اليها إنّا لم نفترق فابعثي إلي بسَنْبُوسَكٍ حتى نصطبح اليوم على ذكرك. فقالت لرسوله إني رأيت الحُبَّ يَحُلُّ في القلب ويَفيضُ الى الكبد والأحشاء وإن حُبَّ صاحبنا هذا ليس يُجاوز المَعِدَةَ. وخُبِّرْتُ أن أبا العَتاهِيَةِ كان قد استأذن في أن يُطْلَقَ له أن يَهْدِيَ إلى أمير المؤمنين المَهْدِيِّ في النَّيْرُوزِ والمِهْرجان فَأُهْدى في أحدهما بِرْنِيَّةً ضخمة فيها ثوب ناعم مُطَيَّبٌ قد كَتَبَ في حواشيه.

نفسي بشيء من الدنيا معلَّقةٌ اللهُ والقائمُ المهديُّ يَكْفيها

Marfat.com

اني لأيأسُ منها ثم يُطْمِعُني فيها احتِقَارُكَ للدّنيا وما فيها

فَهَمّ يدفع عُتْبةَ اليه فَجَزِعَتْ وقالت : يا أمير المؤمنين حُرْمتي وخدمتي أتدفعني الى رجل قبيح المَنْظَرِ بائعِ جِرارٍ ومُكْتسِبٍ بالعشق فأعفاها وقال إملؤا هذه البرنِيّةَ مالاً فقال للكُتّابِ أَمَر لي بدنانير فقالوا ما ندفع ذلك ولكن إذا شئتَ أعطيناك دراهم إلى أن يُفْصحَ بما أراد فاختَلف في ذلك حولاً ، فقالت عُتْبةُ لو كان عاشقاً كما يزعم لم يكن يختلف مُنذُ حَوْلٍ في التمييز بين الدراهم والدنانير وقد أعرض عن ذِكْري صَفْحاً . ودعتْ أبا الحرث جُمَيْزَ واحدةٌ كان يحبها فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام فلما طال ذلك به قال جعلني الله فِداكِ لا أسمع للغِذاءِ ذكراً ! قالت أما تستحي أمافي وجهي ما يَشْغَلُكَ عن ذا ؟ قال لها جعلني الله فداك لو أن جَميلاً وبُثَيْنَةَ قعدا ساعة لا يأكلان شيئاً لَبزَقَ كلُّ واحد منهما في وجه صاحبه وافترقا . وأُنشدتُ لإعرابي :

وقد رابني من زَهْدَمٍ أنَّ زَهْدَماً ... يَشُدُّ على خُبْزِي ويبكي على بُجْلي

فلو كنتَ عُذْرِيَّ العَلاقة لم تكن ... سَميناً وأنساكَ الهوى كثرةَ الأكل

وقال أعرابي :

ذَكَرْتُكِ ذِكْرةً فاصْطَدْتُ ضَبّا ... وكنتُ إذا ذكرتُكِ لا أخيب

وقال ذو الرمة :

ألم تَعْلمي يا مَيَّ أنا وبيننا ... مَهَا وَلِطَرْفِ العين فيهنَّ مَطْرَحُ

ذكَرْتُكِ آنْ مَرَّتْ بنا أمُّ شادِنٍ ... أمامَ المَطَايا تَشْرَئِبُّ وَتَسْنَحُ

من المُؤْلِفاتِ الرَّمْلَ أدماءُ حُرّةٌ ... شُعاعُ الضُّحَى في لونها يَتَوَضَّحُ

Marfat.com

هي الشَّبْهُ أعطافاً وَجِيداً ومقلةً ومَيَّةُ أَبهَى بعدُ منها وَأَمْلَحُ
كأنَّ البُرَى والعاجَ عِيجتْ مُتونُهُ على عُشَرٍ نَهْيٍ به السَّيلُ أبطح
لئن كانت الدنيا عليَّ كما أرى تباريحَ من ذكراكِ لَلْمَوتُ أَرْوَحُ

قوله مها وواحدتها مَهْواة وهو الهواء بين الشيئين ، ويقال لفلان في داره مطرح اذا وصفها بالسَّعَةِ يقال فلان يَطْرَحُ بَصَرَهُ كذا مرة وكذا مرة وأنشد سيبويه :

نَطَّارَةٌ حين تعلو الشمسُ راكبَها طَرْحاً بعينيْ لَيَاحٍ فيه تحديدُ

اللياح من البياض واللَّوْحُ الهواء والشادن الذي قد شَدَنَ أي تحرك . وقوله تَشْرَئِبُّ يقال إذا وقف ينظر كالمتحير قد إشْرَأَبَّ نحوي ويقال هو يَسْرَحُ في المَرْعَى. وقوله من المؤلفات يقال آلَفْتُ المكانَ أُولِفُهُ إيلافاً ويقال أَلِفْتُهُ أَلْفاً وفي القرآنِ : لإيلافِ قُرَيْشٍ إيلافِهِمْ ، وقرؤا إلْفِهِمْ على المصرِ . وقوله الرملَ النصب فيه أجود بالفعل ويجوز الخفض على شيء تذكره بعد الفراغ من هذا الباب إن شاء الله . وأصل الهجان الأبيضُ والعِطْفُ ما انثنى من العنق قال ثانيَ عِطْفِهِ ويقال للأَرْدِيةِ العُطُفُ لانها تقع على ذلك الموضع . وفي الحديث أن قوماً يزعمون أنهم من قريش أتوا عمر بن الخطاب رحمه الله وكان قائفاً ليثبتهم في قريش فقال : اخرجوا بنا الى البَقيع فنظر إلى أَكُفِّهِمْ ثم قال أَطرحوا العُطُفَ واحدها عِطافٌ ثم أمرهم فأقبلوا وأدبروا ثم أقبل عليهم فقال ليست بأكُفٍّ قريش ولا شَمائلها فأعطاهم فيمن هم منه . والجِيدُ العنق والبُرَى الخلاخيل واحدتها بُرَةٌ وهي من الناقة التي تقع في ماذِنِ الانف والذي يقع في العظم يقال له الخِشاشُ. والعاجُ كان يتخذ مكان الأُسْوِرَةِ. قال جرير :

Marfat.com

تَرَى العَبَسَ الحَوْلِيَّ جَوْناً بكوعها لها مَسَكاً من غير عاجٍ ولا ذَبَلِ

العبس ما يتعلق من الأَبْعارِ والبول بأذناب الإبل والوذَحُ الذي يتعلق باطراف ألاء والشاء. ويكون العبس في أذناب الإبـــل من البول إذا خَثُرَ. والجون ههنا الأسود وهو الأغلب فيـــه والكوع رأس الزَّنْدِ الذي يلي الابهام والكُرْسوعُ رأسه الذي يلي الخنصر والمَسَكَةُ السِوارُ والذَّبَلُ شيء يُتخذ من القرون كالأسورة ويقال سِوارٌ وسُوارٌ وإسْوار قالت الخَنْساء .

كأنه تحت طَيِّ البُرْدِ اسْوار. والعشرُ شجرٌ بعينه والأَبطَح ما انبطح من الوادي يقال أَبْطَحُ وبَطْحاء يا فتى وأَبْرَقُ وبَرْقاء وأَمْعَزُ ومَعْزاءُ وهذا كثير. والتباريح الشدائد يقال بَرَّحَ به وفي الحديث فأين أصحاب النهر قال لفوا بَرَحاً ، والعرب لا تعرفه إلا ساكن الراء قال جرير :

ما كنتُ أوَّلَ مَشْعوفٍ أضرَّ به بَرْحُ الهوى وعَذابٌ غيرُ تَفْتيرِ

(قال أبو الحسن وقد سمعنا من غير أبي العباس يقال لقيت منك بَرْحاً بالفتح ويقال لقي منه البُرَحِينَ أي الدواهيَّ الشِدادَ التي تُبَرِّحُ) . قال أبو العباس في المثل السائر : قيل لرجل : ما خَفِيَ ؟ قال ما لم يكن . وفي تفسير هذه الآية يَعْلَمُ السرَّ وأَخْفَى قال ما حَدَّثَ به نفسَكَ كما قـــال أو أكْنَنْتُمْ في أنفسكم. وتقديره في العربية وأَخْفَى منه والعرب تحذف مثل هذا فيقول القائل مررت بالفيل أو أعظمَ وأنه لكالبَقَّة أو أصغرُ ولو قال رأيت زيدا أو شبيها لجاز لان في الكلام دليلا ولو قال رأيتُ الجمل أو راكباً وهو يريد عليـــه لم يجز لانه لا دليل فيه. والاوّل انما قَرَّبَ شَيئاً من شيء وههنا انما ذكر شيئاً ليس من شكْلِ ما قبله. فأما قوله جل ثناؤه وهو أهْوَنُ عليه ففيه قولان أحدهما

Marfat.com

وهو المرضيّ عندنا إنما هو وهو عليه هَيِّنٌ لان الله جل وعز لا يكون عليه شيء أهْوَنَ من شيء آخر وقد قال مَعْنُ بن أوْسٍ .

لَعَمْرُكَ ما أدري وإني لَأوْجَلُ على أينا تَغْدو المَنِيَّةُ أوَّلُ

أراد وإني لَوَجِلٌ وكذلك يَتَأوَّلُ ما في الأذان ألله أكبر ألله أكبر أي ألله كبير لأنه إنما يُفاضَلُ بين الشيئين إذا كانا من جنس، يقال هذا أكبر من هذا إذا شاكَلَهُ في بابٍ فأما الله أجوَدُ من فلان والله أعلمُ بذلك منك فوجه بَيِّنٌ لأنَّهُ من طريق العلم والمعرفة والبَذلِ والاعطاء . وقومٌ يقولون : الله اكبر من كل شيء وليسَ يقع هذا على مَحْضِ الرؤية لأنه تبارك وتعالى ليس كمثله شيء وكذلك قول الفَرَزْدقِ :

إن الذي سَمَكَ السَماء بنى لنا بيتاً دعائِمُه أعَزُّ وأطوَلُ

جائز ان يكون قال للذي يخاطبه من بيتك فاستغنى عن ذكر ذلك بما جرَى من المخاطبة والمفاخرة، وجائزٌ ان تكون دعائمه عزيزةً طويلةً . قال الراجز

قُبِّحْتُمُ يا آلَ زَيْدٍ نَفَراً ألْأمُ قومٍ أصغراً وأكْبرا

يريد صِغاراً وكِباراً . فأما قول مالك بن نُوَيْرَةَ في ذؤابِ بن رَبيعةَ حيث قَتَلَ عُتَيْبَةَ بن الحرث بن شهابٍ وفَخْرُ بني أسد بذلك مع كثرة من قَتَلَتْ بنو يَرْبُوعٍ منهم :

فَخَرَتْ بَنُو أسَدٍ بِمَقْتَلِ واحدٍ صدقتْ بنو أسَدٍ عُتَيْبَةُ أفْضَلُ

فإنما معناه أفضل ممن قتلوا على ذلك يدل الكلامُ وقد أبان ما قلنا في بيته الثاني بقوله :

فَخَروا بِمَقْتَلِهِ ولا يُوفي به مَثْنَى سَرَاتِهمُ الذين تُقَتَّلُ

Marfat.com

والقول الثاني في الآية وهو أهونُ عليه عندكم لأن إعادة الشيء عند الناس أهون من آبتدائه حتى يَجْعَلَ شَيئاً مِنْ لا شيء ثم نعود إلى الباب .
قال زُهَيْرٌ :

ومَهْما تَكُنْ عندآمرىءٍ من خَليقةٍ ولو خالَها تَخْفَى على الناس تُعْلَمِ

فهذا مثل المَثَلِ الذي ذكرناه . وقال عمرو بن العاص : إذا أنا أفشَيْتُ سِرِّي إلى صَدِيقي فأذاعه فهو في حِلٌّ فقيل له : وكيف ذاك ؟ قال أنا كنتُ أحَقَّ بصِيانته . وقال أمرؤُ القَيْسِ :

إذا المرءُ لم يَخْزُنْ عليهِ لِسانَهُ فَلَيْسَ على شيءٍ سِواهُ بِخَزَّانِ

وَأَحْسَنُ ما سُمع في هذا ما يُعْزَى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقائل يقول هو له ويقول آخرون قاله متمثلاً ولم يُخْتَلَفْ في أنه كان يُكْثِرُ إنشاده :

فلا تُفْشِ سِرَّكَ إلا إليـــك فإن لكلِّ نَصيحٍ نَصيحـــا
واني رأيتُ غُوَاةَ الرجا لِ لَا يَتْرُكونَ أديماً صَحيحا

وذكر العُتْبِيُّ أن معاوية أسَرَّ إلى عثمان بن عَنْبَسَةَ بن أبي سفيان حديثه ، قال عثمان فجئت إلى أبي فقلت إن أمير المؤمنين أسَرَّ إليَّ حديثك أفأُحدثك به قال لا إنه مَنْ كَتَمَ حديثه كان الخِيارُ إليه ومَنْ أظهرَه كان الخيار عليه فلا تجعلْ نفسك مملوكاً بعد أن كنت مالكاً . فقلت له أوَ يَدْخلُ هذا بين الرجل وأبيه ؟ فقال لا ولكني أكره أن تُذَلِّلَ لسانك بإفشاء السر . قال فرحت إلى معاوية فذكرت ذلك له فقال معاوية أعتَقَكَ أخي من رِقِّ الخطأ .
وقال معاوية أعِنْتُ على عليّ رحمه الله بأربع : كنتُ رجلاً أكتم سِرِّي وكان رجلاً ظَهَرَةً وكنتُ في أطوَعِ جُنْدٍ وأصلحِهِ وكان في أخبث جند وأعصاه

Marfat.com

وتركتُه وأصحابَ الجَمَلِ وقلت إن ظَفِروا به كانوا أهْوَنَ عليَّ منه وإن ظَفِرَ بهم اعتددتُ بها عليه في دينه وكنتُ أَحبَّ إلى قُرَيْشٍ منه فيا لكَ من جَامع اليَّ ومُفَرِّقٍ عنه وعَوْنٍ لي وعونٍ عليه. وقال أَرْدَشيرُ: الداء في كل مكتوم. وقالَ الأَخطل:

إن العداوة تلقاها وإن قَدُمَتْ كالعُرِّ يَكْمُنُ حيناً ثمَّ يَنْتشرُ *

وقال جَميلٌ:

ولا يَسْمَعَنْ سِرِّي وسِرُّكِ ثالثٌ ألاَ كُلُّ سرّ جاوَزَ اثنين شائعُ

وقال آخر وهو مِسكين الدارِميُّ:

وفِتيانِ صِدْقٍ لَسْتُ مُطْلِعَ بعضهم على سِرّ بعض غير اني جِماعُها
يَظَلُّونَ في الأَرضِ الفَضاءِ وسِرُّهُمْ إلى صَخْرةٍ أَعْيا الرجالَ انصداعُها
(لكل أمرىءٍ شِعْبٌ من القلب فارغ وموضعُ نَجْوَى لا يُرامُ إطّلاعُها

وقال آخر:

سأكتمه سِرِّي وأحفظُ سِرَّهُ ولا غَرَّني أنّي عليه كريمُ
حَليمٌ فَيَنْسَى أو جَهولٌ يُضيعُهُ وما الناسُ إلا جاهلٌ وحليم

وكان يقال أصبرُ الناسِ مَنْ صَبر على كِتْمانِ سِرِّهِ ولم يُبْدِهِ لِصديقه فيوشِكَ أن يصير عَدُوًّا فَيُذيعَهُ. وقال آخر:

ولي صَاحِبٌ سِرّي المُكَتَّمُ عنده مَخارِيقُ نيرانٍ بلَيْلٍ تُحَرَّقُ
عَطَفْتُ على أسراره فكسوتها ثياباً من الكِتْمانِ لا تَتخرّقُ
فمن تكن الأَسرارُ تَطْفُو بصدره فأسرارُ صَدْري بالأَحاديثِ تُغْرَقُ
فلا تودِعَنَّ الدهرَ سِرَّك أحمقا فإنك إن أودعتَهُ منه أحمقُ

* كالعر: العر داء معد يصيب الابل، وهو الجرب، ودواؤه الطلاء بالقطران على الدّبر خاصة.

Marfat.com

وحسبك في ستر الأحاديث واعظاً ... من القول ما قال الأريب الموفق
إذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه ... فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال كعب بن سعد الغنوي :

ولست بمبد للرجال سريرتي ... وما أنا عن أسرارهم بسؤال
(ولا أنا يوما للحديث سمعته ... إلى ههنا من ههنا بنقول

وقد ذكرنا قول العباس بن عبد المطلب رحمه الله لابنه عبد الله أن هذا الرجل قد اختصك من دون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحفظ عني ثلاثاً : لا يجربن عليك كذباً ولا تفشين له سرا ولا تغتب عنده أحداً ، فقيل لابن عباس : كل واحدة منهن خير من ألف دينار فقال : كل واحدة منهن خير من عشرة آلاف . وقال بعض المحدثين :

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقو ... ل فحيلتي فيه قليلة

وقال آخر : (قال أبو الحسن هو أبو العباس المبرد) .

إن النموم أغطي دونه خبري ... وليس لي حيلة في مفتري الكذب

وقال بعض المحدثين :

كتمت الهوى حتى إذا نطقت به ... بوادر من دمع تسيل على خدي
وشاع الذي أضمرت من غير منطق ... كأن ضمير القلب يرشح من جلدي

وقال جميل بن عبدالله بن معمر العذري .

إذا جاوز الاثنين سر فإنه ... بث وإفشاء الحديث قمين

وتأويل قمين وحقيق وجدير وخليق واحد أي قريب من ذاك هذه

Marfat.com

حقيقته ، يقال: قَمِنٌ وقَمينٌ في معنى قال الحرث بن خالد المخزومي .

مَنْ كان يسأل عنّا أين منزلنا فالاقْحُوانَةُ منا منزل قَمِنْ

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من باع داراً أو عقاراً فلم يَرْدُدْ ثمنه في مثله وذلك مالٌ قَمَنٌ ألا يُبارَكَ فيه وقال الرقاشيُّ :

إذا نحن حِفْنا الكاشحين فلم نُطِقْ كلاماً تَكَلَّمنا بأعْيُنِنا سِرّا

فَنَقْضِي ولم يُعْلَمْ بنا كلَّ حاجة ولم نَكْشِفِ النَّجْوى ولم نَهْتِكِ السِّتْرا

وقال معاوية لعَيَّاشِ بن صُحَارِ العَبْدِيِّ ما أقْرَبُ الاختصار قال لَمحةٌ دالةٌ . وقيل خير الكلام ما أغْنَى اختصارُهُ عن إكْثاره وقيل النَمائم سهمٌ قاتل . وقال بعض المُحْدثين:

لا أكْتُمُ الأسْرار لكن أنَمّها ولا أدع الاسرار تَغْلي على قَلْبي

وإن أحَقَّ الناس بالنَّخْف لأمْرُؤٌ تُقَلِّبُهُ الاسرار جَنْباً إلى جَنْب

وقال آخر :

وأمْنَعُ جارتي من كل خَيْرٍ وأمشي بالنَّميمةِ بين صَحْبي

ويقال للنمام القَتَّات وفي الحديث : لا يُراحُ القَتَّاتُ رائحة الجنة . وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم لَعنَ اللهُ المُثَلِّث فقيل يا رسول الله ومنِ المُثَلِّثُ فقال الذي يَسْعَى بصاحبه إلى سُلْطانه فَيُهْلِكُ نفسه وصاحبه وسلطانه . وقال معاوية للأحْنَفِ بن قَيْسٍ في شيء بلغه عنه فانكر ذلك الأحنف فقال له معاوية بَلَّغَني عنك الثقةُ فقال له الأحنف يا أمير المؤمنين إن الثقة لا يُبَلِّغُ .

وقال أحد الماضين (وهو طُرَيْحُ بن إسماعيل الثَّقَفيُّ) .

إنْ يَسْمعوا الخيرَ يُخْفوهُ وإن سَمعوا شَرّاً أذِيعَ وإن لم يَسْمعوا كَذَبوا

Marfat.com

وقال المُهَلَّبُ بن أبي صُفْرةَ أدْنى أخلاقِ الشريف كتمانُ السرّ وأعْلَى أخلاقِهِ نسيانُ ما أُسِرَّ اليه. ويقال للنكاح السِّرُّ على غير وجهه وليس هذا من الباب الذي كنا فيه ولكن يُذْكر الشيءُ بالشيء وهذا حرف يُغْلَطُ فيه لأن قوماً يجعلون السِّرَّ الزنى وقوم يجعلونه الغِشيانَ وكِلا القولين خطأ إنما هو الغِشيان من غير وجهه . قال الله تبارك وتعالى: ولكن لا تواعدوهن سِرّاً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً . فليس هذا موضعَ الزنى وقال الحُطَيْئَةُ .

ويَحْرُمُ سِرُّ جارتِهِمْ عليهم ويأكلُ جارُهُمْ أُنُفَ القِصاع

وقال الأعْشَى لسَلامةَ ذي فائشِ الحُمَيْرِيِّ :

وقومُكَ انْ يَضْمَنُوا جارةً وكانوا بموضع أنضَادِها

فلنْ يَطْلُبوا سِرَّها للغِنى ولن يُسْلِموها لإزْعادها

في هذا قولان أحدهما أنهم لا يطلبون اجترارَها اليهم على رَغْمِ أوليائها من أجل مالِها غَصْبا للجِوارِ ولا يُسْلِمونها إذا انقطع رجاؤهم من الثواب والمكافأة ، والآخرُ أنهم لا يرغبون في ذوات الأموال وإنما يرغبون في ذوات الأحْسَاب اختياراً للأولاد وصِيانة للأصْهار أنْ يَطْمَعَ فيهم مَنْ لا حَسَبَ له . وقول الحُطيئة « ويأكل جارهم أنف القصاع » إنما يريد المستأنف الذي لم يؤكل قَبْلُ منه شيء يقال رَوْضَةٌ أُنُفٌ إذا لم تُرْعَ وكأسٌ أُنُفٌ إذا لم يُشْرَبْ منها شيءٌ قبلُ ، قال لَقيطُ بن زُرارةَ :

إن الشِّواءَ والنَّشِيلَ والرُّغُفْ والقَيْنَةَ الحسناءَ والكأسَ الأُنُفْ

« للطاعِنين الخيلَ والخَيْلُ خُنُف »

قال أبو العباس وهذا باب اشترطنا أن نَخْرُجَ فيه من حَزْنٍ إلى سهلٍ

Marfat.com

ومن جِدّ الى هَزْلٍ ليستريح اليه القارىء ويَدْفَعَ عَن مُسْتَمِعِهِ المَلالَ نحن ذاكرون ذلك إن شاء الله تعالى. قال بَكْرُ بن النَّطّاحِ في كَلِمَةٍ له يمدح فيها مالِكَ بن عليٍّ الخُزَاعِيَّ .

عَرَضْتُ عليها ما أرادت من المنَى لتَرْضَى فقالتْ قُمْ فجئنا بكَوْكَبِ
فقلت لهـا هذا التَّعَنُّتُ كلُّهُ كمن يَتَشَهَّى لحم عَنقاءَ مُغْرِبِ
فلو أنني أصْبحْتُ في جودِ مالكٍ وعزَّتِـهِ ما نال ذلكَ مَطْلَبي
فَتَى شَقِيَتْ أموالُهُ بسَماحِـه كما شَقِيَتْ قَيْسٌ بأرْماحِ تَغْلِبِ

وقال الخليعُ في كلمة يمدح بها عاصما الغَسّانيّ :

أقول ونفسي بـين شَوْقٍ وحَسْرَةٍ وقد شَخَصَتْ عيني ودَمْعي على خَدّي
أريحي بقَتْـلِ مَنْ تَرَكْتِ فُؤادَهُ بلَحْظَتِهِ بين التَّأَسُّفِ والجَهْـدِ
فقالتْ عذابٌ في الهوى قبل ميتَةٍ وموتٌ إذا أفْرَحْتَ قلبكَ من بَعْدِي
لقد فَطِنَتْ للجَوْرِ فِطْنَةَ عَاصِمٍ لصُنْعِ الأيادِي الغُرِّ في طَلَبِ الحَمْدِ
سأشكوكِ في الأشْعارِ غيرَ مُقَصِّرٍ الى عاصمٍ ذي المَكْرُماتِ وذي المَجْدِ
لعَلَّ فَتَى غَسّانَ يجمـعُ بيننا فَتَأْمَنَ نفسي منكمُ لَوْعَةَ الصَّدِّ

وقال اسماعيل بن القاسم :

إنَّ السَّلامَ وإنَّ البِشْرَ من رجل في مِثْلِ ما أنتَ فيه ليس يكفيني
هذا زمانٌ ألَحَّ النَّاسُ فيـه على زَهْوِ الملوكِ وأخْـلاقِ المساكين
أمَا علمتَ جزاكَ الله صالحةً عني وزادكَ خيراً يا ابن يَقْطِينِ
أنّي أريدكَ الدنيا وعاجِلَها ولا أريدُكَ يومَ الدِّينِ للدِّينِ

وقال يَزيدُ بن محمد بن المُهَلَّبِ المُهَلَّبِيُّ في كلمة يمدح بها إسحق

Marfat.com

ابن ابراهيم :

إنْ أكُنْ مُهْدِيــاً لكَ الشِعْرانيَ لَابْنُ بيتُ تُهْدَى له الأشْعــارُ
غيرَ أني أراكَ من أهــل بيت ما على الحُرِّ أنْ يسودوه عــار

وقال أيضاً في كلمة أخرى :

وإذا جُدِدْتَ فكلُّ شيءٍ نافعُ وإذا حَدِدْتَ فكلُّ شيءٍ ضائرُ
وإذا أتاكَ مُهَلَّبيٌّ في الوَغَــى والسيفُ في يــده فنِعْم الناصرُ

وقال عبد الله بن الزُبَيْرِ لما أتاه قتلُ مُصْعَبِ بن الزبير أَشَهِدَهُ المُهَلَّبُ ابن أبي صُفْرةَ ، قالوا لا ، كان المهلب في وجوه الخوارج قال : أَفَشَهِدَهُ عَبَّادُ ابن الحُصَيْنَ الحَبَطِيُّ قالوا لا . قال أفشهده عبد الله بن خازم السُلَميُّ قالوا لا فَتَمَثَّلَ عبدُ الله بن الزُّبيرِ فقال :

فقلتُ لها عِيشي جَعارِ وجَرِّري بِلَحْمِ امْرِىءٍ لم يَشْهَدِ اليومَ ناصِرُه

جَعارِ اسم من أسماءِ الضَبُعِ وهي صفة غالبة لأنه يقال لها جاعِرة فهذا في بابه كفَساقِ ولَكاعِ وحلاقِ للمنيةِ ، وقد فسرنا هذا الباب مُسْتَقْصَى على وجوهه الأربعة . ويروى أن ابنة جارية لِهَمَّامِ بن مُرَّةَ بن ذُهْلِ بن شَيْبان قالتْ له يوماً :

أَهَمَامُ بنِ مُرَّةَ حَنَّ قَلْــبي إلى اللَّائي يَكُنَّ مَعَ الرجـال

فقال يا فَساقِ أردتِ صَفيحةً ماضيةً فقالتْ :

أهمام بن مرة حن قلــبي إلى صَلْعاء مُشْرَفَةِ القَذالِ

فقال فَجارِ أردتِ بَيْضةً حصينة فقالت :

أهمام بن مرة حن قلــبي إلى أَيْدٍ أُسِدُّ به مَبــالي

Marfat.com

قال فقتلها . قال ابو العباس قال أبو الشمَقمَقِ وهو مَرْوانُ بن محمد . وزعم التَوَّزِيُّ عن أبي عبيدة قال أبو الشمقمق ومنصور بن زيادٍ ويَحْيى بن سُلَيْمٍ الكاتِبُ من أهلُ خرسانَ من بُخَارِيةِ عبيدالله بن زِيادٍ (وبُخارِيةُ اسم قرية من قرى خراسان وبها كان عبيدالله بن زياد) وكان أبو الشمقمق ربما لَحَنَ ويهزِلُ كثيراً ويُجِدُّ فيكثُر صوابه. قال يمدح مالك بن عليّ الخُزاعيّ ويَذُمُّ سَعيدَ بن سَلمٍ الباهليّ :

قد مَرَرْنا بمالك فوَجَدْنا ... هُ جَواداً إلى المكارم يَنمي
ما يُبالي أتاهُ ضَيفٌ مُحِقٌّ ... أم أتته يأْجوجُ من خَلْفِ رَدْمِ
فانْتَهينا إلى سَعيد بن سَلْمٍ ... فإذا ضَيْفُهُ من الجوع يَرْمِي
وإذا خُبْزُهُ عليه سَيَكْفيكَهُمُ اللهُ ما بدا ضوءُ نَجْمِ
وإذا خاتَمُ النبيّ سُلَيما ... نَ بنِ داود قد علاهُ بِخَتْمِ
فارتحلْنا من عند هذا بِحَمْدٍ ... وارْتَحَلْنا من عند هذا بِذَمِّ

وقال عبد الصَّمد بن المُعَدَّلِ يرثي سَعيدَ بن سَلْمٍ :

كَمْ صغيرٍ جَبَرْتَهُ بعد يُتْمٍ ... وَفقيرٍ نَعَشْتَهُ بعد عُدْمِ
كُلَّمَا عَضَّتِ الحوادثُ نادَى ... رضيَ اللهُ عن سَعيد بن سَلْمِ

وقال سعيد بن سلم عَرَضَ لي أعرابيٌّ فمدحني فَبَلَغَ فقال :

أَلا قُلْ لساري الليلِ لا تَخْشَ ضَلَّةً ... سعيد بن سَلْمٍ ضَوْءُ كُلِّ بِلادِ
لنا سيّدٌ أرْبى على كل سيد ... جَوادٌ حنَا في وجه كُل جَواد

قال فتأخرت عن بِرِّهِ قليلاً فهجاني فَبَلَغَ فقالَ :

لكل أخي مَدْحٍ ثوابٌ يُعدُّهُ ... وليس لِمَدْحِ الباهليِّ ثوابُ

Marfat.com

مدحت ابن سَلْمٍ والمديحُ مَهَزَّةٌ فكانَ كَصَفْوانٍ عليه تُراب

وقال أبو الشمقمق :

قال لي الناسُ زُرْ سَعيدَ بن سَلْمٍ قلتُ للناس لا أزورُ سَعيدا
وأميري فَتى خُزاعةَ بالبَصْرةِ قد عَمَّها سَماحاً وجوداً
ولنِعْمَ الفَتَى سَعيدٌ ولكن مالكٌ أكْرمُ البَرِيَّةِ عُوداً

فقال لوِددْتُ انه لم يكن ذَكَرَني مع مالك وإنَّهُ أَخذ مني أُمْنِيَّتَهُ . وقال أبو الشمقمق أيضاً :

هيهاتَ تَضْرِبُ في حديدٍ باردٍ إن كنتَ تطمع في نوالِ سَعيدِ
واللهِ لو مَلَكَ البِحَارَ بأسْرِها وأتاه سَلْمٌ في زمانٍ مُمدودِ
يَبْغيهِ منها شَرْبةً لَطَهُورِهِ لَأَبى وقالَ تَيَمَّمَنْ بصَعيد

ومثله قول الآخر :

لو أنَّ قَصْرَكَ يا ابن يوسفَ كُلَّهُ إبَرٌ يضيق بها فَضَاءُ المنزلِ
وأتاك يوسُفُ يَسْتَعيرُكَ إبْرةً ليخيطَ قَدَّ قَميصهِ لم تَفْعَلِ

وقال مُسْلِمُ بن الوَليد :

دُيونُكَ لا يُقْضَى الزمانَ غَريمُها ويُخْلُكَ بُخْلُ الباهِليِّ سَعيدِ
سَعيدُ بن سَلْمِ الأمُ الناسِ كُلِّهِمْ وما قومُهُ من بُخْلِهِ ببعيد
يزيدُ له فضلٌ ولكنَّ مَزْيَداً تَدارَكَ منا نَجْدَهُ بيَزيدِ
خُزَيْمَةُ لا بَأْسٌ به غيرَ أنه لِمَطْبَخِهِ قُفْلٌ وبابُ حَديد

وقال عبد الصمد بن المُعَذَّلِ يَرْثِي عمرو بن سعيد بن سَلْمٍ وكان عمرو هَلَكَ بُعَيْدَ سعيد بيسير .

Marfat.com

رُزِينا أبا عَمْرٍ فقلنا لنا عمرو سَيَكْفيكَ ضوءُ البَدْرِ غَيبوبةَ البَدْرِ
وكان أبو عمرو مُعاراً حَيَاتُهُ بعمرو فلما مات ماتَ أبو عمرو

وقال أمير المؤمنين الرشيدُ يوماً لسَعيد بن سَلْمٍ : يا سَعيدُ مَن بيتُ قَيسٍ في الجاهلية . قال يا أمير المؤمنين بنو فَزارةَ قال فَمنْ بيتهم في الاسلام قال يا أمير المؤمنين مَنْ شَرَّفتموه قال صدقتَ ، أنت وقومُكَ .

وحدثني علي بن القاسم بن علي بن سليمان الهاشمي ، قال : حدثني رجل من أهل مكة قال : رأيت في منامي سعيد بن سَلْمٍ في حياته وفي نعمته وكثرة عَدَدِ ولده وحُسْنِ مذهبه وكمال مُروءتِهِ قال : فقلتُ في نفسي ما أَجَلَّ ما أُعْطِيَهُ سعيدُ بن سَلْمٍ ! فقال لي قائل وما ذَخَره الله له في الآخرة أكثر .

وكان سعيد بن سلم إذا استقبل السنةَ التي يَستأنف فيها عدد سِنيهِ أعتقَ نَسَمَةً وتصدق بعشرة آلاف درهم، فقيل لمَديني إن سعيد بن سلم يشتري نفسه من ربه بعشرة آلاف درهم فقال إذا لا يَبيعَهُ . وقال أحمد بن يوسف الكاتبُ لولد سعيد بن سلم .

أبني سعيدٍ إنكم من مَعْشَرٍ لا يَعْرفونَ كرامةَ الأَضْياف
قوم لباهلةَ بن يَعْصُر إنْ هُمُ نُسِبوا حَسِبْتَهُمُ لبعدِ مَناف
قَرَنوا الغداء إلى العَشاء وقَرَّبُوا زاداً لَعَمْرُ أبيك ليس بكاف
وكأنني لما حَطَطْتُ اليهمُ رَحْلي نَزَلْتُ بأبرقَ العَزَّاف
بينا كذاكَ أتاهُمُ كُبَراؤُهُمْ يَلْحَوْنَ في التبذير والاسراف

وأنشدني المازني :

سَلِ اللهَ ذَا المَنِّ من فَضْلِهِ ولا تسألنَّ أبا وائلة

Marfat.com

فـــما سأل اللهَ عبـــدٌ له فخابَ ولو كان من باهـــله

(قال أبو الحسن وزادني بعض أصحابنا) :

(تَرَى الباهِـــلِيَ على خُبْزِهِ إذا رامـــه آكِلٌ آكِـــلَهْ)

وأنشد أبو العباس لرجل من عبد القيس :

أباهِـــلَ يَنْبَحُني كلبـــكم وأُسْدُكُمُ ككِلابِ العَرَب

ولو قيل للكلب يا باهليّ عَوى الكلبُ من لُؤْمِ هذا النَّسَبْ

وحدثني عليّ بن القاسم قال : حدثني ابو قِلابةَ الجَرْميُّ قال حججْنا مرة مع أبي جَزْءٍ بن عمرو بن سعيد قال وكنا في ذَراهُ وهو إذ ذاك بَهِي وَضِيٌّ فجلسنا في المسجد الحرام إلى أقوام من بني الحرث ابن كعب لم نَرَ أفصح منهم، فرَأَوْا هيئة أبي جزء وإعظامَنا إياه مع جَمالِهِ فقال قائل منهم له أمِن أهل بيت الخليفة أنت ؟ قال لا ، ولكن رجل من العرب قال ممن الرجلُ ، قال من مصر قال : أعْرِضْ ثوبَ المُلْبِسِ مِنْ أيها عافاكَ اللهُ قال رجل من قيس قال أيْنَ يُرادُ بكَ صرْ إلى فَصِيلَتِكَ التي تُؤْوِيكَ قال رجل من بني سعد بن قيس قال اللهم غفراً من أيها عافاكَ اللهُ قال رجل من بني يَعْصُرْ قال من أيها قال رجل من باهِلَةَ قال قُمْ عنا قال أبو قلابة فأقبلتُ على الحارثيّ فقلت أتعرف هذا قال : ذَكَر انه باهليّ فقلت هذا أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير ابن أمير قال حتى عَدَدْتُ خمسة ثم قلت ، هذا أبو جزء أميرٌ ابن عمرو وكان اميراً ابن سعيد وكان اميراً ابن سلم وكان وكان اميراً ابن قتيبة وكان اميراً فقال الحارثيُّ الأمير اعظمُ ام الخليفةُ فقلت بل الخليفة قال أفالخليفة ، أعظم أم النبي قلت بل النبي قال والله لو عَدَدْتَ

Marfat.com

له في النبوة أضعاف ما عددتَ له في الإمارة ثم كان باهِليًّا ما عَبَأ الله به شيئاً . قال فكادت نفس أبي جَزْء تخرج فقلت انْهَضْ بنا فإن هؤلاء اسوأ الناس آدابا . (قال ابو الحسن يقال للرجل إذا سئل عن شيء فأجاب عن غيره أعْرَضَ ثوبَ المُلْبَسِ اي ابدى غير ما يراد منه) . وحُدِّثْ ان اعرابياً لقي رجلاً من الحاج فقال له ممن الرجل قال باهليّ قال أعيذك بالله من ذلك قال إي واللهِ وانا مع ذلك مولى لهم فأقبل الأعرابي يقبل يديه ويتمسح به قال له الرجل ولِمَ تفعلُ ذاك قال لأني اثق بان الله عز وجل لم يَبْتَلِكَ بهذا في الدنيا إلا وانت من اهل الجنة . ويزعم الرَّقاشِيُّ ان قُتَيْبَة ابن مسلم لما فَتَحَ سَمَرْقَنْدَ أفضى إلى أثاث لم يُرَ مثلُهُ وإلى آلات لم يُسمَعْ بمثلها فأراد أن يُريَ الناسَ عظيم ما فتح الله عليه ويعرفهم أقدار القوم الذين ظَهَرَ عليهم فأَمرَ بدار فَفُرِشَت وفي صحنها قُدور تُرْتَقَى بالسلالم فإذا بالحُضَيْنِ بن المنذر بن الحرث بن وَعْلةَ الرقاشي قد اقبل والناس جُلوسٌ على مراتبهم والحضين شيخ كبير ، فلما رآه عبد الله بن مسلم قال لقتيبة ائذن لي في معاتبته قال : لا تُرِدْهُ فإنه خبيث الجواب ، فأبى عبد الله إلا أن يأذن له وكان عبد الله يُضَعِّفُ وكان قد تَسَوَّرَ حائطاً الى امرأة قبل ذاك فأقبل على الحضين فقال أمِنَ الباب دخلتَ يا أبا ساسان قال : أَجَلْ أَسَنَّ عَمُّكَ عن تَسَوُّرِ الحيطان قال : أرأيتَ هذه القدور قال هي أعظم من أن لا تُرَى قال ما أحسِبُ بَكْرَ بن وائل رأى مثلها قال : أَجَلْ ولا عَيْلانَ ولو كان رآها سُمِّيَ شَبْعانَ ولم يُسَمَّ عيلان قال له عبد الله يا أبا ساسان أتعرف الذي يقول :

عَزَلْنَا وأَمَّرْنا وبَكْرُ بنُ وائـــل تَجُرُّ خُصاها تَبْتَغي من تُحالِفُ

Marfat.com

قال أعرفه وأعرف الذي يقول :

وَخَيْبَـــةَ مَنْ يَخيبُ على غَنِيٍّ وباهِـــلَة بنِ يَعْصُرَ والرِكاب

(يريد يا خيبة من يخيب) قال أَفتعرف الذي يقول :

كَأَنَّ فِقاحَ الأَزْدِ حولَ ابنِ مِسْمَعٍ وقد عَرِقَتْ أفواه بِكْرِين وائل

قال أعرف هذا وأعرف الذي يقول :

قومٌ قُتَيْبَةُ أُمُّهُـــمْ وأَبوهُمْ لولا قُتَيْبَةُ أصبحوا في مَجْهَـــلِ

قال أما الشعرُ فأراك ترويه ولكن هل تقرأ من القرآن شيئاً قال أقرأ منه الأكثر الأَطْيَبَ . هل أَتى على الإنسان حينٌ من الدَّهرِ لم يكن شيئاً مذكوراً قال فأغضبه فقال والله لقد بلغني أن امرأة الحُضَيْنِ حُمِلتْ إليه وهي حُبْلَى من غيره قال : فما تحرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم قال على رِسْلِهِ وما يكون تَلِدُ غلاماً على فراشي فيقال فلان بن الحضين كما يقال عبد الله ابن مسلم فأقبل قتيبةُ على عبدالله فقال لا يُبْعِدِ اللهُ غَيرَكَ هذا الحضين بن المنذر بن الحرث بن وعلة وكان الحضين بيده لواء عليّ بن أبي طالب رحمه الله على ربيعةَ وله يقول القائل :

لِمَنْ رايةٌ سَوْداء يَخْفِقُ ظِلها إذا قيل قَدِّمها حُضَيْنُ تَقَدَّما

وللحرث بن وعلة يقول الاعشَى وكان قَصَدَهُ فلم يَحْمِدْهُ وعَرَّجَ عنه إلى هَوْذَةَ بن علي ذي التاج، وهوذةُ من بني حنيفة بن لُجَيْمِ بن صَعْبِ بن علي بن بَكْر بن وائِلٍ ، والحرثُ بن وَعْلَةَ من بني رَقَاشٍ وهي امرأة وأبوهم مالك ابن شَيْبانَ بن ذُهْلِ بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل فقال الأعشى يذكر الحرث بن وعلة وهوذة بن علي :

Marfat.com

أَتَيْتُ حُرَيْثاً زائراً عن جَنابةٍ فكان حُرَيْثٌ عن عَطائيَ جامدا
إذا ما رَأى ذا حاجةٍ فكأنما يَرَى أَسَداً في بيته وأَساوِدا
لَعَمْرُكَ ما أَشْبَهْتَ وعلة في النَّدَى شمائِلَهُ ولا أَباه مُجالدا
وإنَّ امْرأً قد زرْتُهُ قبل هذه بَجَوٌّ لخيرٌ منك نفساً ووالدا
تَضَيَّفْتُهُ يوماً فَقَرَبَ مجلسي وأَصْفَدَني على الزمانة قائداً
وأَمْتَعَني على العَشا بوَليدةٍ فَأَبْتُ بخير منكَ يا هَوْذَ حامدا
فَتًى لو يُباري الشَّمسَ أَلْقَتْ قِناعِها أو القَمَرَ السَّارِي لَأَلْقَى المَقالدا
يَرَى جَمْعَ ما دون الثلاثين قُصْرَةً ويَعْدو على جمع الثلاثينَ واحدا

وهي كلمة قوله أتيتُ حُرَيْثاً يريد الحرث وتصغيرهُ على لفظه حُوَيْرِثٌ وهذا التصغير الآخر يقال له تصغير الترخيم وهو أَن تَحْذِفَ الزوائد من الاسم ثم تُصَغِّرَ حروفهُ الاصلية فتقول في تصغير أَحمد حُمَيْدٌ لانه من الحمد وفي الحرثِ حُرَيْثٌ لأنه من الحَرْثِ وفي غَضبان غُضَيْبٌ لأنه من الغَضَبِ لأن الألف والنون زائدتان وكذلك ذوات الأربعه تقول في تصغير قِنْدِيلٍ على لفظه قُنَيْديلٌ فإن صغرته مُرَخَّماً حذفت الياء فقلت قُنَيْدِلٌ فعلى هذا تَجْزَى الباب . وقوله عن جنابة يقول عن غُرْبَةٍ وبُعْدٍ يقال هم نِعَمَ الحَيُّ لجارِهم جار الجنابة أَي الغربة . يقال رجل جُنُبٌ ورجلٌ جانبٌ أَي غريب قال الله جل وعز : والجارِ الجُنُبِ . وقال الحُطَيْئة :

والله ما مَعْشَرٌ لاموا أَمرَأً جُنُباً في آل لَأْيِ بن شَمَّاسٍ بأَكْياسِ

وقال عَلْقَمةُ بن عَبَدَة :

فلا تَحْرِمَني نائلاً عن جنابةٍ فإني امْرُؤٌ وَسْطَ القِبَاب غَريبُ

Marfat.com

فمن قال للواحد جُنُبٌ قال للجميع أَجْناب كقولك عُنُقٌ وأعناق وطُنَبٌ وأَطناب ومن قال للواحد جانبٌ قال للجميع جُنّابٌ كقولك راكب ورُكّابٌ وضارب وضرّابٌ قالت الخَنْساء :

ابْكِي أَخاكِ لِأَيْتامٍ وأَرْمَلَةٍ وابْكِي أَخاكِ إذا جاوَرْتِ أَجنابا

وإن كان من الجنابة التي تُصيب الرجلَ . قلت رجل جُنُبٌ ورجلان جُنُبٌ وكذلك المرأَة والجميع وقد يجوز وليس بالوجه رجلان جُنُبان وامرأَة جُنُبَةٌ وقوم أجنابٌ . وقوله يرى أَسداً في بيته وأَساود يريد جمع أَسودَ سالخٍ وأَسودُ ههنا نعت ولكنه غالب فلذلك جرى ههنا مجرى الأَسماء لأَنه يدل على الحَيَّةِ ، وأَفعَلُ إذا كان نعتاً بنفسه فجمعه فُعْلٌ نحو أَحْمَرَ وحُمْرٍ وأَسودَ وسُودٍ . وإذا كان نعتاً فأُجري مجرى الاسماء فجمعه أَفاعلُ نحو أَساود وأَجادِلَ وأَداهِمَ إذا أردت القَيْدَ لأنه نعت غالب يجري مجرَى الاسماء وان أردت أَدْهَمَ الذي هو نعت محض قلت دُهْمٌ . قال الأَشْهَبُ بن رُمَيْلَة :

أُسودُ شَرًى لاقتْ أُسود خَفِيَّةٍ * تَسَاقَوْا على حَرْدٍ دِماء الأَساوِدِ

فأَجراه مُجْرَى الأَسماء نحو الأَصاغِرِ والأَحامِدِ . وقوله لعمرك ما أَشْبَهت وعلة في الندى شمائله فإنه جعل شمائله بدلاً من وعلة والتقدير ما أَشبَهت شمائلَ وَعْلَةَ والبدل على أَربعة أَضْرُبٍ فواحد منها أَن يُبْدَلَ أَحدُ الاسمين من الآخر إذا رجعا إلى واحد ولا تُبالي أَمَعْرِفَتَيْنِ كانا أَم معرفةً ونكرةً وتقول مررتُ بأَخيك زيدٍ لأَن زيداً هو الأَخ وكذلك مررت برجلٍ عبدِ اللهِ فهذا واحد ، وآخر أَن يُبَدَلَ بعضُ الشيء منه نحو ضربت زيداً رأْسَهُ لَمّا قلتَ ضربت زيداً أَردتَ أَن تُبين موضع الضرب منه

* اسود شرى : اسود شراة . اسود خفية ، فتكون الاسود الفتك . حرد : قسوة وعناء . الأساود : الفوارس الصلاب .

Marfat.com

فَمِثْلُ الأول قول الله تبارك وتعالى : اهدِنا الصراطَ المستقيم صراطَ الذين أنعمت عليهم . وقوله : وانك لَتَهْدي إلى صِراطٍ مستقيم صِراطِ اللهِ ، ولَنَسْفَعاً بالناصِيَةِ ناصِيَةٍ كاذبةٍ خاطِئَةٍ . ومِثْلُ البدل الثاني قوله : ولله على الناسِ حَجُّ البَيْتِ مَنْ اسْتطاع إليه سبيلاً مَنْ في موضع خفض لأنها بدل من الناس ومِثْلُهُ إلا أنه أعيد حرف الخفض : قال الذين اسْتَكْبَروا للذين اسْتُضْعِفوا لِمَنْ آمن منهم . والبَدَلُ الثالث مِثْلُ ما ذكرنا في البيت أبدل شمائله منه وهي غيره لاشتمال المعنى عليها ، ونظير ذلك أسألُكَ عن زيدٍ أمرِهِ لأن السؤال عن الأمر وتقول على هذا سُلِب زيدٌ ثوبُهُ فالثوب غيره ولكن به وَقَعَ السَّلْبُ كما وقعت المسألة عن خبر زيد ونظير ذلك من القرآن : يسألونك عن الشهر الحرامِ قتالٍ فيه، لأن المسألة إنما كانت عن القتال . هل يكون في الشهر الحرام . قال الشاعر (وهو الأَخْطَلُ) :

إنَّ السَّيرفَ غُدُوَّها ورَواحَها تَرَكَتْ هَوازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأَعْضَبِ

وبَدَلُ رابع لا يكون مثلُهُ في القرآن ولا في الشِعْر وهو أن يَغْلَطَ المتكلمُ فَيُدْرِكَ غلطه أو يَنْسى فَيَذْكُرَ فيرجعَ إلى حقيقه ما يَقْصِدُ له وذلك قولك مررتُ بالمسجدِ دارِ زيد أراد أن يقول مررت بدار زيد فإمَّا نَسِيَ وإمَّا غَلِطَ فاسْتَدْرَكَ فوضع الذي قَصَدَ له في موضع الذي غَلِطَ فيه . وقوله بجوّ فهي قَصَبَةُ اليمامة . وقوله تضيفته يوماً إنما هو تَفَعَّلْتُهُ من الضيافة . يقال ضِفْتُ الرجل أي نزلتُ به وأضافني أي أنزلني . وقوله وأصفدَني يقول أعطاني وهو الإصفاد والصَّفَدُ الاسم والإصفاد المصدر . قال النابغة (فلم أُعَرِّضْ أَبَيْتَ اللَّعْنَ بالصَفَدِ) ويقال :

Marfat.com

صَفَدْتُ الرجل فهو مَصْفود من القيد ولا يقال في القيد أصفدت ولكن صَفَدْتُهُ صَفْداً واسم القيد الصَفَدُ، قال الله عز وجل: مُقَرَّنينَ في الأصفاد، كقولك جَمَلٌ وأَجْمال وصَنَمٌ وأصنام. وقوله: فتى لو يُباري الشمس يقول: يُعارِضُ يقال، إنبرَى لي فلان أي اعترض لي في هذا المعنى، وفلان يُباري الريحَ من هذا، أي يعارض الريح بجُوده. فهذا غير مهموز فأما بارأت الكَرِيَّ فهو مهموز لأنه من أَبرأني وأبرأته. ويقال بَرَأَ فلان من مرضه وبَرِيَ يا فتى والمصدر منهما البُرْء فاعلم، وبَرَيْتُ القلم غير مهموز والله البارِيْ المُصَوِّر. ويقال ما بَرَأَ اللهُ مثلَ فلان، مهموز. وقولك البَرِيَّةَ أصله من الهمز ويُخْتارُ فيه تخفيف الهمز ولفظ التخفيف والبدل واحد. وكذلك يُخْتار في النبي التخفيف ومن جعل التخفيف لازماً قال في جمعه أنبياء كما يفعل بذوات الياء والواو وتقول وَصِيٌّ وأوصياء وتَقِيّ وأتقياء وشَقِيّ وأشقياء. ومن همز الواحد قال: في الجميع نُبَآء لأنه غير معتل كما تقول حكيم وحكماء وعليم وعلماء وأنبياء لغة القرآن والرسولِ صلى الله عليه وسلم وقال العباس ابن مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ:

يا خاتِمَ النبآء انـــكَ مُرسَلٌ بالحق كُلُّ هدى السَّبيل هُدَاكا

وقوله أو القمرَ الساريَ لأَلْقَى المقالدا فَأَسْكَنَ الياء ضرورة وإنما جاز ذلك لأن هذه الياء تَسْكُنُ في الرفع والخفض. فإذا احتاج الشاعر إلى إسكانها في النصب قاس هذه الحركة على الحركتـــين الضمة والكسرة الساقطتين فشبهها بهما فجعلها كالألف التي في مثنىً التي هي على هيئة واحدة في جميع الإعراب. قال النابغة:

Marfat.com

رَدَّتْ عليه أقاصيه ولَبَّـــدَهُ ضَربُ الوَليدة بالمِسْحاة في الثَّأدِ

فَأسكَنَ الياء في أقاصيه . وقال رُؤْبَةُ :

كَأنَّ أيديهنَّ بالقـــاع القَرِقْ (أيدِي جَوارٍ يتعَاطَيْنَ الوَرَقْ)

وقال: سَوَّى مَساحيهنَّ تَقْطيطُ الحُقَقْ (ويروى تقطيطَ بالنصب وهو أجود لان بعده :) تَقْليلُ ما قارَعْنَ من سُمْرِ الطرَقْ . والطُّرَقُ جمع طُرْقةٍ) وقال آخر :

كفَى بالنَّـــأي من أسماء كافِ وليس لِحبها ما عِشْتُ شاف

وأما قوله : وأمتعني على العشا بوليدة فأبت بخير منك يا هوذ حامدا

فإنه كان يتحدث عنه ثم أقبل عليه يخاطبه وترك تلك المخاطبةَ ، والعرب تَتْرُكُ مخاطبةَ الغائب إلى مخاطبة الشاهد ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب . قال الله جل وعز : حتى إذا كنتم في الفُلْكِ وجَرَيْنَ بهم بريح طَيِّبَةٍ ، كانت المخاطبةُ للأمَّةِ ثم انصرفتْ إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخباراً عنهـــم .

وقال عَنْترة :

شَطَّتْ مَزَارُ العاشقين فأصبحتْ عَسِراً عَليَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْزَمِ

فكان يتحدث عنها ثم خاطبها . ومثل ذلك قول جرير :

ونَرَى العَواذِلَ يَبْتَدِرْنَ مَلامتي فإذا أرَدْنَ سِوى هَواكِ عُصينا

وقال الآخر :

فِدًى لكِ والدي وسراة قومي ومالي أنَّـــهُ منـــه أتاني

وهذا كثير جداً . وقوله : يرى جَمْعَ ما دون الثلاثين قُصْرَةً أي قليلاً من الإقتصار ويروى ويَغْدو ويَغْدو جميعاً . وكان هَوْذَةُ بن عليّ ذا قدْر عال وكانت له خَرَزاتٌ تُنْظَمُ فتجعل على رأسه تَشَبُّهاً بالملوك . وحدثني

Marfat.com

التَّوَّزِيُّ عن أبي عبدة ، قال : ما تَتَوَّجَ مَعدِّيٌّ قَط إنما كانت التيجان لليمن قال : فسألته عن قول الأعشى :

مَنْ يَرَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غير مُتَّئِبٍ إذا تَعَمَّمَ فوق التاج أو وَضَعَا

قال إنما كانت خرزاتٌ تُنْظَمُ له . وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة كما كتب إلى الملوك ، وكانت بنو حنيفة بن لَجْيَمٍ أصحابَ اليَمَامة . ويقول بعض النَّسَّابين أن عُبَيْدَ بن حنيفة كان أتى اليمامـــة وهي صَحْراء فاخْتَطَّها فجعل يَرْكُضُ حَوَالَيْها ويَخُطُّ برمحه في الأرض على ما أصاب من النخل وأنهم أكلوا ما أصابوا تحته من التمر ، فلما طَلَعَ لهم التمرُ بَعْدُ لم يهتدوا الصعود النخل فأقبلوا يَجُدُّونَهُ حتى فَكَّرُوا فَأَعَدُّوا له السلالم. فلما عَمِرَتِ اليمامةُ جَعلت العرب تَنْتَجِعُهُمْ لموضع التمر فيجاورون العَزيزَ منهم ، وكان يقال لمن دخلها من هؤلاء السواقطُ ممن كانوا . ويقال أن اليمامة والبحرين والقريتين ومواضعَ هناك كانتِ لِطَسْمٍ وجَديسَ ، والخـــبر في ذلك مشهور بِزَرْقاء اليَمامةِ وقد ذكر ذلك الأعشى في قوله :

(ما أَنْظَرَتْ ذاتُ أَشْفارٍ كَنَظْرَتِها حَقًّا كما نَطَقَ الذِّئْبُ إذ سَجعا)

قالت أرى رَجُلاً في كَفِّه كَتِفٌ أو يَخْصِفُ النعل لَهْفِي أَيَّةً صَنَعا

وكَذَّبوها بمـــا قالت فَصَبَّحَهُمْ ذو آلِ غَسَّانَ يُزْجِي الموتَ والشَّرَعا

وحدثني التَّوَّزِيُّ عن أبي عبيدة والأَصْمَعيِّ عن أبي عمرو قال ، قال : لي رجل من أهل القريتين أَصَبْتُ ههنا دراهم وَزْنُ الدرهم ستة دراهم وأربعة دَوانيقَ من بقايا طَسْمٍ وجَديسَ فخفت السلطان فأخفيتها . وقد ذكر ذلك زُهَيْرٌ في قوله :

Marfat.com

عَهْدِي بها يومَ باب القريتين وقد زال الهَمَالِيجُ بالفُرْسان واللجُمِ
فاستبدلتْ بعدنا داراً يَمانيَةً تَرْعَى الخَرِيفَ فأَدْنَى دارها ظَلِمُ

وقال جرير يهجو بني حنيفة :

هجانيَ الناسُ مِلْ أحياءِ كُلِّهِمِ حتى حنيفةُ تَفْسو في مَناخِيها

(تُعَيَّر بَنو حنيفة بالفَسْوِلان بلادهم بلاد نخل فيأكلونه ويُحْدِثُ في أجوافهم الرياح والقراقير :)

أصحابُ نخل وحيطانٍ ومَزْرَعَةٍ سُيوفهم خُشُبٌ فيها مَساحيها
ذَلَّتْ وأَعطتْ يَداً لِلسِّلْمِ صاغرةً من بعدما كاد سيفُ الله يُفْنيها
صارتْ حنيفـــةُ أثلاثاً فثُلْثُهُمُ أَضحَوْا عبيداً وثُلْتٌ من مَوَاليها

قوله مناخيها المَنْحاةُ مَقام السانيـــة على الحوض ، والحائط البستان .

وقوله من بعدما كاد سيف الله يفنيها ، يعني خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم في وقعته بمُسَيْلِمةَ الكذابِ وللنُّسَّابين بعد هذا قولٌ مُنْكَرٌ . وقال جرير :

أَبَني حَنيفةَ نَهْنِهوا سُفَهاءَكُمْ إني أخاف عليكُم أن أَغْضَبا
أبني حنيفـــة انني أَنْ أَهْبُكُمْ أَدَعِ اليَمامةَ لا تُوارِي أَرْنَبَا

وقال عُمارةُ بن عَقيل :

بل أيها الراكبُ الماضي لِطَيَّتِهِ بَلِّغْ حنيفة وانْشُرْ فيهمُ الخبرا
أكان مَسْلَمةُ الكَذَّابُ قال لكم لن تُدْرِكوا المجدَ حتى تُغْضِبوا مُضَرَا
مَهْلاً حَنيفة إن الحرب إن طَرَحَتْ عليكم بُرْكَها أَسْرَعْتُمُ الضَّجَرَا

البَرْكُ الصدر إذا فتحتَ الباء ذَكَّرْتَ ، وإن أردت التأنيث كسرت

Marfat.com

الباء قلتَ بِرْكَةٌ . قال الجَعْدِيُّ :

ولَوْحا ذِراعَـــينِ في بِرْكَةٍ إلى جُؤْجُؤْ رَهِـــلِ المَنْكِبِ

وزعم الأصمعي أن زِياداً كان يقال له أَشْعَرُ برْكَا لأنه كان أشعر الصدر ، وغير الأصمعي يزعم أن هذا كان يقال : للوليد بن عُقْبَة بن أبي مُعَيْطُ بن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ ، وذكروا أن عَدِيَّ بن حاتم بن عبد الله الطائيّ قال يوماً ألا تَعْجبونَ لهذا أشْعَرَ بَرْكَاً يُوَلَّى مثلَ هذا المصر ، والله ما يُحسِنُ أن يَقضِيَ في تمرتين. فَبَلَغَ ذلكَ الوَليدَ فقال على المنبر أَنشُدُ اللهَ رجلاً سَمَّاني أشعر بركا إلا قام ، فقامَ عَدِيُّ بن حاتم فقال أيها الأمير إن الذي يقوم فيقول: أنا سميتك أشعر بركا لجريء . فقال إجلس يا أبا طَريف فقد بَرَّاكَ الله منها . فجلس وهو يقول والله ما بَرَّأني اللهُ منها ، وكانت أمَّ الوليد بن عقبة أمَّ عثمان بن عَفَّانَ رحمها الله وهي أرْوَى بنتُ كُرَيْزِ ابن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مَنافٍ وأُمُّها البَيْضَاء بنت عبد المُطَّلِبِ ابن هاشم ، ومن ثَمَّ قال : الوليد لعلي بن ابي طالب رحمه الله ، انا القى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بأمي من حيث تَلْقاه بأبيك. وكان يقال للبَيْضاء بنت عبد المطلب قُبَّةُ الدِيباج واسمها أمُّ حكيم . ولذلك قيل لعثمان أو للوليد يا ابن أرْوَى ويا ابن أم حكيم وقال الوليد لبني هاشم لهذا السبب حين قتِلَ عثمان رحمه الله :

بني هاشم رُدُّوا سِلاحَ ابنِ أختكم ولا تُنْهِبوهُ لا تَحِـــلُّ مَناهِبُه

بني هاشم كيف الهوادَةُ بيننا وعند عليٍّ دِرْعُـهُ ونَجَائبه

هُمُ قَتلوهُ كَيْ يكونوا مكانَـــه كما غَدَرَتْ يوماً بكِسْرَى مَرَازِبُهْ

Marfat.com

وهذا القول باطل . وكان عُرْوةُ بن الزبير إذا ذكر مَقْتَلَ عثمان يقول كان عليّ أتقى لله من ان يُعينَ في قتل عثمان ، وكان عثمان أتقى لله من ان يعين في قتل عليٍّ . وقال الوليد بن عقبة :

ألا إنَّ خَيْرَ الناس بعد ثلاثةٍ قَتيلُ التَّجُوبِيِّ الذي جاء من مِصْرِ
ومالِيَ لا أبكي وتَبْكي أقاربي وقد حُجِبَتْ عنا فُضولُ أبي عمرو

وقالت لَيْلَى الأخْيَلِيَّةُ أنشدنيه الرِّياشيُّ عن الأصْمَعِيِّ :

أبَعْدَ عثمان تَرْجو الخيرَ أمَّتُهُ وكانَ آمَنَ مَنْ يمشي على ساق
خَليفةُ الله أعطاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ما كان من ذَهَبٍ جمٍّ وأوراق
فلا تُكَذِّبْ بوعد الله وارْضَ بِهِ ولا تَوَكَّلْ على شَيءٍ بإشْفاق
ولا تَقولَنْ لشيءٍ سوف أفْعَلُهُ قد قَدَّرَ اللَّهُ ما كلُّ امرىءٍ لاق

وقال آخر :

ألا قُلْ لقومٍ شاربي كأس عَلْقَمٍ بقَتْلِ إمَامٍ بالمجوسة مُحْرِمِ
قَتَلْتُمْ أمِنَ الله في غيرِ رِدَّةٍ ولا حَدٌّ إحْصانٍ ولا قَتْلِ مُسْلِم
تَعالَوْا ففاتُونا فإن كان قَتْلُهُ لواحدة منها فَحَلَّ لكم دمي
وإلاَّ فأعْظِمْ بالذي قد اتيتمُ ومَنْ بأتِ ما لم يَرْضَهُ اللَّه يَظْلِمِ
فلا يَهْنِئَنَّ الشامتين مُصَابُهُ فَحَظُّهُمُ من قتله حَرْبُ جُرْهُمِ

وانشدني الرياشي عن الأصمعي . (قال ابو الحسن هذا الشعر لابن الغريرةِ الضَّبِيِّ) .

لَعَمْرُ أبيكَ فلا تَذْهَلَنْ لقد ذَهَبَ الخيرُ إلاَّ قليلا
وقد فُتِنَ النَّاسُ في دِينهم وخلَّى ابنُ عُفَّانَ شَرًّا طويلا

Marfat.com

ومثله قول الراعي :

قَتلوا ابنَ عَفَّانَ الخَلِيفَةَ مُحْرِماً ودَعا فـــلم أَرَ مثله مخْذُولا
فَتَفَرَّقَتْ من بعد ذالكَ عَصاهُمُ شِقَقاً وَأصبح سَيْفُهُمْ مَغْلولا

قولهِ محرِماً يريد في الشهر الحرام وكان قُتِلَ في أيام التشريق رحمه الله وقال أَيْمَسُ بن خُرَيْمٍ ابن فاتكٍ الأَسَدِيُّ وكانت له صُحْبَةٌ :

تَفاقَدَ الذابحو عـــثمانَ ضاحِيَةً أَيَّ قَتيلٍ حَرامٍ ذُبِّحوا ذَبَحوا
ضَحَّوْا بعثمان في الشهر الحرام ولم يَخْشَوْا على مَطْمَحِ الكف الذي طَمَحوا
فأيُّ سُنَّـــةِ جَوْرٍ سَنَّ أَوَّلُهُمْ وبابِ جَوْرٍ على سُلْطانِهِمْ فَتَحوا
ماذا أرادوا أَضَلَّ اللهُ سَعْيَهُـــمُ من سَفْحِ ذاكَ الدمِ الزاكي الذي سفَحوا
فاسْتَوْرَدَتْهُمْ سُيوفُ المسلمين على تمامِ ظُمءٍ كما يُسْتَوْرَدُ النَّضَـــحُ
إنَّ الذينَ تَوَلَّوْا قِتْـــلَه سَفَهـــاً لاقوا أثامـــاً وخُسْراناً فما رَبِحـــوا

الظمْء ما بين الشَّرْبَتَيْنِ . وقوله ضحوا بعثمان إنما أصله فُعِلَ في الضُّحَى قال زهير :

ضَحَّوْا قليلاً على كُثْبانِ أسنُمةٍ ومنهمُ بالقَسومِيّـــاتِ مُعْـــتَرَكُ

أي نزلوه ضُحًى. ويقال بَيَّتُوا ذاك أي فعلوه ليلاً قال الله جل وعز : إذ يُبَيِّتُون ما لا يَرْضَى من القول. وأنشد أبو عبيدة :

أَتَوْني فـــلم أَرْضَ مـــا بَيَّتوا وكانوا أَتَوْني بأمـــرٍ نُكُـــرْ
لِأُنْكِـــحَ أَيِّمَهُـــمْ مُنْـــذِراً وهل يُنْكِحُ العبـــدَ حُرٌّ لِحُر

وقوله في سفح ذاك الدم الزاكي الذي سفحوا أي في صب ذاك الدم ، يقال سَفَحْتُ دَمَهُ وسَفَكْتُ دمه قال الله تبارك وتعالى: إلا أن يكون مَيْتَةً

Marfat.com

أو دماً مَسْفوحاً . وقوله على تمام ظمء فهذا مَثَـلٌ ، وأصل الظمء أن تشرب يوماً ثم تُغَبَّ يوماً لا تَرِدُ الماء ، فما بين الشَّرْبتين ظمء فيكون الظمء يومين فيقال له الرِّبْعُ كما يقال : في الحُمَّى لإنهم يَعْتَدُّونَ بيَوْمَيْ شُرْبها ، والخَمْسُ أن تَظْمَأَ ثلاثةَ أيام ، والنَّضَخُ الحوض ، والأثامُ الهلاك . قال : اللَّه عَزَّ ذِكْرُهُ : ومَنْ يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثاماً ، ثم فسر فقال : يُضاعَفْ له العذابُ يوم القيامة ويَخْلُدْ فيه مُهاناً ، فجزم يُضاعفْ لأنه بدل من قوله يلق أثاماً إذ كان إياه في المعنى ، وأنشدني أبو عبيدة :

جَزَى اللَّه ابنَ عُرْوةَ إذ لَحِقْنا عُقوقاً والعُقوقُ من الإثام

وقوله على مَطْمح الكف يقول : على رفعها وإبعادها ، يقال طَمَحَ بصرُه إذا ارتفع فأَبْعَدَ النظرَ . قال امرؤ القيس :

لَقَد طَمَحَ الطِّماحُ من بُعْدِ أرضه لِيُلْبِسَني من دائِهِ ما تَلَبَّسَا

٤٧ ـ باب

قال أبو العباس : وهذا باب طريفٌ نَصِلُ به هذا الباب ، الجامع الذي ذكرناه وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمُحْدَثينَ بعدهم . فأحسنُ ذلك ما جاء باجماع الرُّواةِ ، ما مَرَّ لامرىء القيس في كلام مختصرٍ أي بيتٍ واحد من تشبيه شيء في حالتين بشيئين مختلفين وهو قوله :

كَأَنَّ قلوبَ الطَّيرِ رَطْباً ويابساً لَدَى وَكْرها العُنَّابُ والحَشَفُ البالي

فهذا مفهوم المعنى فإن اعترض معترض ، فقال : فَهَلاَّ فَصَلَ فقال

Marfat.com

كأنه رَطْباً العُنَّابُ وكأنَّهُ يابساً الحَشَفُ . قيل له العربيُّ الفصيحُ الفَطِنُ اللَّقِنُ يَرْمِي بالقول مفهوماً ويَرَى ما بعد ذلك من التكرير عِيًّا . قال الله جل وعز وله المَثَلُ الأَعْلَى : ومن رحمته جَعَلَ لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ، عِلْماً بان المخاطَبين يعرفون وقت السكون ووقت الاكتساب . ومن تمثيل امرىء القيس العجيب قوله :

كأنَّ عُيونَ الوَحْشِ حَوْلَ خِبائِنا وَأَرْحُلِنا الجَزْعُ الذي لم يُثَقَّبِ

ومن ذلك قوله :

إذا ما الثُّرَيَّا في السماء تَعَرَّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْناءِ الوِشاحِ المُفَضَّلِ

وقد أَكْثَرَ النَّاسُ في الثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ولا بما يقارب سُهولةَ هذه الألفاظ . ومن أعجب التشبيه قول النابغة :

فإنكَ كالليل الذي هو مُدْرِكي وإن خِلْتُ أَنَّ المُنْتَأَى عنك واسِعُ

وقوله : خَطاطيفُ حُجْنٌ في حِبالٍ مَتينةٍ تَمُدُّ بها أَيْدٍ اليكَ نَوازِعُ

وقوله : فإنكَ شَمْسٌ والملوكُ كواكبٌ إذا طَلَعَتْ لم يَبْدُ منهنَّ كوكبُ

ومن عجيب التشبيه قولُ ذي الرُّمَّةِ :

وَرَدْتُ اعْتسافاً والثُّرَيَّا كأنها على قُمَّةِ الرأس ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ

وقوله : فجاءت بنَسْجِ العَنْكَبوت كأنه على عَصَوَيْها سابريٌّ مُشَبْرَقُ

وتأويل هذا أنه يَصِفُ ماءً قديماً لا عَهْدَ له بالواردة فقد اصفرَّ واسْوَدَّ فقال :

وماءٍ قَديمِ العَهْدِ بالإنسِ آجِنٍ كأنَّ الدَّبى ماء الغَضا فيه تَبْصُقُ

وقد أجاد عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ الفَحْلُ في وصف الماء الآجن حيث يقول :

Marfat.com

إذا وَرَدَتْ ماءً كأن جِمامَـهُ من الأَجنِ حَنَّاءٌ معاً وصبيبُ

فقال ذو الرُّمَّةِ في وصف هذا الماء فقَرَنَ بتغيره بُعْدَ مَطْلَبِهِ :

فأَدْلَى غُلامي دَلْوَهُ يَبْتَغِي بهـا شِفاءَ الصَّدَى والليلُ أَدْهَمُ أَبْلَقُ

يريد أن الفجر قد نَجَمَ فيه فجاءتْ ، يعني الدلو ، بنسج العنكبوت كأنه على عصَويها سابري مشبرَق والسابري الرقيق من الثياب والدُّروعِ والمشبرق المُزَّقُ . وأنشد أبو زيد :

لَهَوْنا ببرْبال الشَّبـاب مَلاوة فأَصْبَحَ بِرْبالُ الشَّباب شَبارِقا

ومن التشبيه العجيب قولُ ذي الرمة في صفة الظَّليم :

شَخْتُ الجزارةِ مثلُ البيت سائِرُهُ من المُسُوحِ خِدَبٌّ شَوْقَبٌ خَشِبُ

الشخت الضَّئيلُ اليابس الضعيف والجزارة القوائم . وقوله مثل البيت ، سائره من المسوح يعني إذا مَدَّ جناحَيْهِ وإنما أخذه من قول علقمة ابن عبدة :

صَعْلٌ كأن جناحَيْهِ وجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطافَتْ به خَرْقاءُ مَهْجومُ

الصعل الصغير الرأس ، والخرقاء : التي لا تُحْسِنُ شيئاً فهي تُفْسِد ما عَرَضَتْ له . قال الحُطَيْئَةُ :

هُمُ صَنَعُوا لجارِهمُ وليستْ بخرقاءَ مثلَ يد الصَّناعِ

والمهجوم المهدوم ، وفي الخبر أنه لما قُتِلَ بِسْطامُ بن قَيْسٍ لم يبق بيت في بكر بن وائل إلا هُجِمَ ، أي هُدِمَ . والخِدَبُّ الضخم ، والشوقب الطويل ، والخشب الذي ليس يلين على مَنْ نزل به . ومن التشبيه المصيب قوله في صفة روضة .

Marfat.com

قَرْحاءُ حَوَّاءُ أَشراطِيَّةٌ وَكَفَتْ فيها الذِهابُ وحَفتْهـــا البَرَاعِيمُ

قرحاء يريد الأنوار . وقوله حواء يقول : تضرب الى السواد لشدة رِيِّها وخُضْرتها وكذلك المفسرون يقولون ، في قول الله جل وعز : — مُدْهامَّتَانِ ، تَضْربان إلى الدُّهمة لشدة خضرتها ورِيِّها . وقوله : أشراطية ليس مما قصدنا له ولكنه مما يجري فَيُفَسَّرُ ، ومعناه أنهـــا مُطِرَتْ بِنَوْءِ الشَّرَطَينِ . وحدثني الزِيادِيُّ قال : سمعتُ الأصمعيَّ وسُئلَ بِحَضْرَتي أو سألته عن قوله : أشراطية فقال : بانْتِهِ واسْتِ عِرْسِهِ وذاك أن الأصمعي كان لا يُنْشِدُ ولا يُفَسِّرُ ما كان فيه ذكرُ الأنْواء لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا ذُكِرَتِ النُّجُومُ فَأمْسِكوا ، لأن الخبر في هذا بعينه مُطِرْنا بِنَوْءِ كذا وكذا وكان لا يفسر ولا ينشد شعراً فيه هِجاءٌ وكان لا يفسر شعراً يوافق تفسيرهُ شيئاً من القرآن ، هكذا يقول أصحابه ، وسُئِلَ عن قول الشَّمَّاخِ .

طَوَى ظِمْأَهَا في بَيْضةِ الصَّيْفِ بعدما جَرَى في عِنانِ الشعْرَيَيْنِ الأَمَاعِزُ

فأبى أن يفسر في عِنانِ الشعريين . وأما قوله الذِهابُ فهي الأمطار اللينة الدائمةُ . ويقال أنها أَنْجَعُ المطر في النبت وكذلك العِهادُ وأنشد الأصمعي :

أمـــيرٌ عَـــمَّ بالنُّعْمَـــاء حتى كَأَنَّ الأَرضَ جَلَّلَهَـــا العِهـــادُ

والبَراعيمُ واحدتها بُرْعومةٌ وهي أَكِمَّةُ الرَّوْضِ قبل أن تَتَفَتَّقَ ، يقال لواحدها كِمٌّ وكِمامٌ فمن قال : كِمام فجمعه أَكِمَّةٌ مثل صِمام وأَصِمَّةٍ وزِمامٍ وأَزِمَّةٍ ، ومن قال : كِم فالجماعُ أَكْمامٌ . قال الله عز وجل : والنخلُ ذاتُ الأَكمامِ . ومن ذلك قول الآخر . أحسبه تَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ . (قال أبو

Marfat.com

الحسن يقال أنه لمجنون بني عامر وهو الصواب) :

كَأنَّ القلبَ ليلة قيـــلَ يُغْدَى بلَيْـــلَى العامِرِيَّةِ أو يُراحُ
قَطاةٌ عَزَّهـــا شَرَكٌ فباتَتْ تُعالِجُهُ وقد عَلقَ الجَنـــاحُ
لها فَرْخانِ قـــد غَلِقا بِوَكْرٍ فَعُشُّهُمـــا تُصَفِّقُـــهُ الرياحُ
فلا باللَيـــل نالتْ مـــا تُرَجِّي ولا بالصبح كان لهـــا بَراحُ

ويروى نجادِبُهُ فهذا غاية الاضطراب ، وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار . وقال الشيبانيّ للحَجّاج .

هَلاَّ بَرَزْتَ إلى غَزَالَةَ في الوَغَى بل كان قَلْبُكَ في جَناحَيْ طائرِ

فهذا يجوز أن يكون ، في الخَفَقَان وفي الذّهاب البَتّـــةُ . ومن التشبيه المحمود قول الشاعر :

طَليقُ اللهِ لم يَمْنُنْ عليـــه أبو داودَ وابنُ أبي كَثير
ولا الحَجّاجُ عَيْنَيْ بنتِ ماءٍ تُقَلِّبُ طَرْفَها حَذَرَ الصقور

وهذا غاية في صفة الجبان ، ونَصَب عيني بنت ماء على الذم وتأويله أنه إذا قال : جاءني عبدُ الله الفاسقَ الخبيثَ . فليس يقول : إلا وقـــد عرفه بالخُبْثِ والفسق ، فنصبه بأعني وما أشبهه من الأفعال نحو أذكُرُ ، وهذا أبلغ في الذم أن يقيم الصفةُ مقامَ الاسم . وكذلك المدح . وقول الله تبارك وتعالى : والمُقيمينَ الصلاةَ بعد قوله لكن الراسخون في العلم منهم إنما هو على هذا ، ومَنْ زعم أنه أراد ومن المقيمين الصَّلاةَ فمخطىء في قول البصريين لانهم لا يَعْطفون الظـــاهرَ على المضمر المخفوض . ومن أجلزه من غيرهم فعلى قُبْحٍ كالضرورة . والقرآنُ إنما يُحْمَلُ على أشرف

Marfat.com

المذاهب . وقرأ حمزة : الذي تَسّاءلون به والأرحامِ . وهذا مما لا يجوز عندنا إلا أن يُضطَرَّ اليه شاعرٌ كما قال :

فاليومَ قَرّبتَ تَهجونا وتَشتِمُنا فاذْهَبْ فما بكَ والأيامِ من عَجَبِ

وقرأ عيسى بن عمرو : أمرأتُهُ حَمّالَةَ الحطَبِ أراد وامرأتُهُ في جِيدِها حبلٌ من مَسَدٍ فنصب حَمّالةَ على الذم ، ومن قال : أن امرأته مرتفعة بقوله : سَيَصْلى ناراً ذات لَهَبٍ فهو يجوز ، وليس بالوجه أن يُعْطَفَ المُظْهَرُ المرفوع على المضمر حتى يُؤَكَّدَ نحو إذْهَب أنتَ وربُّكَ فقاتلا واسْكُنْ أنت وزَوْجُكَ الجنةَ . فأما قوله : لو شاء الله ما أشرَكْنا ولا آباؤُنا ، فإنه لما طال الكلام وزادتْ فيه لا احتمل الحذف وهذا على قبحه جائز أعني ذهبتُ وزيدٌ وأذْهَبُ وعَمرٌ . وقال جرير :

وَرَجا الاَخيْطِلُ من سَفاهة رَأيِهِ مـا لم يَكُنْ وأبٌ له لِينـالا

وقال ابن أبي ربيعة :

قلتُ إذ أقبَلَتْ وزُهرٌ تَهادى كِنعاج المَلاَ تَعَسَّفْنَ رملا

ومما ينصب على الذم قول النابغة :

لَعَمْرِي ومـا عَمْرِي عليَّ بِهَيِّنٍ لقد نَطَقَتْ بُطْلاً عليَّ الأقارعُ
أقارِعُ عَوْفٍ لا أُحاوِلُ غيرها وُجوهَ قُرودٍ تَبْتَغِي مَن تُخَادِعُ

وقال عُرْوَةُ بن الوَرْدِ العَبْسِيُّ :

سَقَوْني الخمـرَ ثم تَكَنَّفوني عُـداةَ اللهِ من كَـذِبٍ وزورِ

والعربُ تُنْشِدُ قول حاتم الطائي رفعاً ونصباً :

إنْ كُنْتِ كارهةً مَعيشَتَنا هـاَنا فَحُلّي في بَني بَدْرِ

Marfat.com

أحمـ ـين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجري

وربما خفضوهما على النعت وربما رفعوهما على القطع والابتداء. وكذلك قول سرحة بنت هفان القيسية من بني قيس بن ثعلبة.

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الازر

وكل ما كان هذا، فعلى هذا أكثر إنشاده. وإن لم يرد مدحاً ولا ذماً قد استقر له فوجهه النعت. وقرأ بعض القراء: فتبارك الله أحسن الخالقين. وأكثر ما تنشد العرب بيت ذي الرمة نصباً لأنه لما ذكر ما يحن اليه يتصبو الى قربه، أشاد بذكر ما قد كان يبغي فقال:

ديار ميـة إذ مي تساعفنا ولا يرى مثلها عجم ولا عرب

وفي هذه القصيدة من التشبيه المصيب قوله:

بيضاء في دعج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

وفيها من التشبيه المصيب.

تشكو الخشاش ومجرى النسعتين كما أن المريض إلى عواده الوصب

الخشاش ما كان في عظم الأنف، وما كان في المارن فهو برة يقال: أبرّيت الناقة فهي مبراة. قال: الشماخ وهذا من التشبيه العجيب:

فقربت مبراة تخال ضلوعها من الماسخيات القسي الموترا

وماسخة من بني نصر من الأزد وإليهم نسبت القسي الماسخية. واحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها قول الراعي:

وكأنما انتطحت على أثباجها قدر بشاية قد تمنن وعولا

Marfat.com

القادِرُ المسِنُّ من الوُعول ، وذو الرُّمَّةِ أخـــذ ذلك المعنى من قول المُثَقِّبِ العبديّ

إذا ما قُمْتُ أرْحَلُها بليـــل تَأوَّهُ آهةَ الرجلِ الحزينِ

ومن التشبيه المستحسن قول علقمَة بن عبَدَة .

كأنَّ ابريقهم ظَبيٌ على شَرَفٍ مُقَدَّمٌ بَسَبا الكَتَّانِ مَلثومُ

فهذا حسن جداً . وقال أبو الهِنْدِيِّ وهو عبد المؤمن بن عبد القُدُّوسِ ابن شَبَث بن رِبْعِيٌّ الرياحيُّ من بني رِياحِ بن يربوع . وكان شَبث سيد بني يربوع الكوفة :

مُقَدَّمَةً قَزًّا كأنَّ رِقابهـــا رِقابُ بناتِ الماءِ أفزَعها الرَّعدْ

وكان أبو الهندي قد غَلَبَ عليه الشراب على كرم مَنْصِبِهِ وشرف أسْرَتِهِ حتى كاد يبطله وكان عَجيب الجواب فجلس إليه رجل مرةً يُعْرَفُ بِبرْزينِ المناقيرِ وكانَ أبوه صُلِبَ في خِرابةٍ . والخِرابةُ عندهم سَرَقُ الإبل خاصةً فأقبل يُعَرِّضُ لأبي الهِنْدِيِّ بالشراب فلما أكثر عليه قال أبو الهندي أحدُهم يَرَى القَذاةَ في عين أخيه ولا يَرَى الجِذْع في استِ أبيه .

وفي الخرابة يقول الراجز :

والخارِبُ اللِصُّ يُحِبُّ الخارِبا وتلك قُرْبى مثلَ أن تُناسِبا
أن تُشْبِهَ الضَرائِبُ الضَرائبا

وقال الآخر :

أنتِ الطَّريقَ وانْجَنِبْ أرْماما إنَّ بها أكْتَلَ أو رِزاما
خُوَيْرِبَيْنِ يَنْقُفانِ اتهاما

Marfat.com

(زاد أبو الحسن (لم يَتْرُكا لِمسْلِمٍ طعاما) نَصَبَ خويربين على أعْنِي لا يكون غيرُ ذلك لأنه إنما أثبت أحدهما بقوله أو . ومرّ نصر بن سَيَّارٍ الليثي بأبي الهندي وهو يَميل سُكْراً فقال له : أفْسَدْتَ شرفك. فقال أبو الهندي : لو لم أُفْسِدْ شرفي لم تكن أنت والي خراسان وحَجَّ به نصرُ بن سيار مرة ، فلما ورد الحَرَمَ قال له نصر : إنك بِفناءِ بيتِ الله ومحلّ وُفودِهِ فَدَعْ لي الشرابَ حتى يَنْفِرَ النَّاسُ واحْتَكِمْ عليَّ . ففَعَلَ فلما كان يومُ النَفْرِ أَخَذَ الشراب فوضعه بين يديه وأقبل يشرب ويبكي ويقول :

رَضيعُ مدامٍ فارَقَ الراحَ رُوحُهُ فَظَلَّ عليها مُسْتَهِلَّ المدَامـــع
أُدِيرَا عليَّ الكأسَ اني فَقَدْتُها كما فَقَدَ المَفْطومُ دَرَّ المَراضع

وكان يَشْرَبُ مع قيس بن أبي الوَليد الكِنانيّ ، وكان أبو الوليـد بسكاً فاسْتَعْدَى عليه وعلى ابنه فهربا منه . وقال أبو الهندي :

قل للسَرِيِّ أبي قيس أَتوعِدُنا ودارُنا أصبحتْ من داركم صَدَدا
أبا الوليد أَمَا والله لو عَمِلَتْ فيكَ الشَمولُ لما حَرَّمْتَها أبـدا
ولا نسيتَ حُمَيَّاها ولَذَّتَهـــا ولا عَدلْتَ بها مـالاً ولا ولدا

ثم نرجع إلى التشبيه ، وربما عَرَضَ الشيء والمقصودُ غيره فَيُذْكَرُ للفائدة تقع فيه ثم يعاد إلى أصل الباب . قال أبو العباس وقال عُرْوَةُ بن حِزامٍ العُذْرِيُّ :

كأنَّ قَطاةَ عُلِّقتْ بجَناحهـــا على كَبِدِي من شـــدة الخفقانِ

ويقال إن المرأة إذا كانت مُبْغِضةً لزوجها فآيةُ ذلك أن تكون عند قُرْبِهِ منها مُرْتَدَّةَ النظر عنه كأنما تنظر إلى الانسان من وراته ، وإذا كانت

Marfat.com

محبة له لا تُقْلِعُ عن النظر إليه وإذا نَهَضَ نظرتْ من ورائه إلى شخصِه حتى يزول عنها . فقال رجل : أردتُ أن أعلمَ كيف حالي عند امرأتي فالتفتُّ وقد نَهَضْتُ من بين يديها فإذا هي تُكَلِّحُ في قَفايَ . وقال الفَرَزْدَقُ في هذا المعنى والنَوارُ تُخاصِمُهُ عند عبدالله بن الزُبَيْرِ :

فَدُونَكَها يا ابن الزُبَيْرِ فإنها مُوَلَّعَةٌ يُوهِي الحجارَةَ قيلُها
إذا جلست عند الامام كأنها تَرَى رُفْقَةً من خلفها تَسْتَحيلها

قوله مولعة يقول مولعة بالنظر مرّة ههنا ومرة ههنا . وقوله : ترى رُفقة . يقال رِفْقَةٌ ورُفْقَةٌ . ومعنى تستحيلها تتبيّن حالاتهـــا . قال حميد بن ثَوْر :

مُرَوَّعَةٌ تَسْتَحيـل الشُخوصَ من الخـوف تَسْمَعُ مـا لا تَرَى

(قوله مروعة يقول كل شيء يُدْنيني من الظفَر بها يروّعها وينفرها).

ومن عجيب التشبيه قول جرير فيما يُكْنَى عن ذكره :

تَرَى الصبيـان عاكفةً عليهـا كعَنْفَقَةِ الفَرَزْدَقِ حين شابا

ويقال أن الفرزدق حين أنشِدَ النصفَ الأولَ ضرب بيده إلى عَنْفقَتِهِ تَوَقعا لِعَجُزِ البيت ، ومن التشبيه الحَسَنِ قول جرير في صفةِ الخيل :

يَشْتَفِنَ للنظر البعيدِ كأنما إرْنانُها بَبَوائن الأشْطانِ *

قوله يشتفن ويَتَشَوَّفْنَ في معنى واحد . وقوله : وكأنما إرنانها ببوائن الأشطان ، أراد شدة صهيلها . يقول : كأنما يَصْهَلْنَ في آبارٍ واسِعةٍ تَبِينُ أشطانُها عن نواحيها . ونظير ذلك قول النابغة الجَعْدِيِّ ؟

وَيَصْهَلُ في مثل جَوْفِ الطَوِيِّ صَهيـــلاً يُبَيِّنُ للمُغْرِبِ

* يشتفن : ينظرن من عل . ارنانها : رنين صهيلها . ببوائن : ج بائن أي بعيـــد الغور . الأشطان : الحبال .

Marfat.com

المعرب : العالم بالخيل العِرابِ . ومن حَسَنِ التشبيه قول عَنْترَة :

غادَرْنَ نَضْلَةَ في مَعْرَكٍ يَجُرُّ الأسِنَّةَ كالمُحْتَطِبْ

يقول طُعِنَ وغُودِرَتْ الرِماحُ فيهِ فظَلَّ يجرّها كأنه حاملُ حطب .

ومن التشبيه المتجاوز المُفْرِطِ قولُ الخَنْساء :

وإنّ صَخْراً لَتَأتَمُّ الهُداةُ به كأنــه عَـلَمٌ في رأسـه نار

فجعلت المهتدي يأتمُّ به وجعلته كنار في رأس علَم والعَلَمُ الجبل .

قال جرير :

(إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمْ) . وقال الله جل ثناؤه : وله الجَوارِ المُنْشَآتُ في البحر كالأعلام . ومن هذا الضرب من التشبيه قول العَجّاجِ : (تَقَضّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ) . والتقضّي الانقضاض وإنما أراد سرعتها . والعرب تُبْدِلُ كثيراً الياء من أحــد التضعيفين ، فيقولون : تَظَنّيْتُ والاصل تَظَنَّنْتُ لأنه تفعّلت من الظن ، وكذلك تَقَضّيْتُ من الانقضاض أي تَقَضَّضْتُ ، وكذلك تَسَرّيْتُ ومثل هـذا كثير . ومن تشبيــه المُحْدَثين المُسْتَطْرَفِ قول بَشّارٍ :

كأنَّ فُؤادَهْ كُــرَةٌ تُـنَزَّى حِذَارَ البين إن نَفَعَ الحِذارُ

(يُرَوِّعُهُ السِرارُ بكل أمرٍ مَخافَةَ أن يكون به السِرارُ)

وفي هذه القصيدة :

جَفَتْ عيني عن التَغْميضِ حتى كأنَ جُفونَها عنهــا قِصارُ

أقولُ ولَيْلتي تَزْدادُ طــولاً أما لليلِ بعدهمُ نَهــارُ

وقال الحسن بن هانىء في صفة الخمر :

Marfat.com

فإذا ما لَمَسْتَها فَهَبـــاءٌ تَمْنَعُ اللَّمْسَ ما تُبيحُ العُيونا
دَرَسَ الدهرُ ما تَجَسَّمَ منها وتَبَقَّى لُبابَهـا المكنونـا
فهي بِكْرٌ كأنها كلُّ شيءٍ يَتَمَنَّى مُخَـيَّرٌ أن يكونا
في كؤوسٍ كأنهنَّ نُجومٌ جارياتٌ بُروجها أيدينـا
طالعاتٌ مع السُّقاةِ علينا فإذا ما غَرَبْنَ يَغْرُبْنَ فينا

فهذه قطعة من التشبيه غايةٌ على سُخْفِ كلام المُحْدَثين : وقال الحنفيّ : وهو إسحق بن خَلَفٍ في صفة السيف :

أَلْقَى بجـانبِ خَصْـرِهِ أمْضَى من الأَجَلِ المُتاح
فكأنَّمـا ذَرَّ الهَبـا ءعليـه أنفـاسُ الرياح

وقال مُسْلِمُ بن الوليد الأنصاري في مَدحِه يَزيدَ بن مَزْيدٍ :

تَمْضي المَنايا كما تَمْضي أسِنَّتُهُ كأنَّ في سرجه بَدْراً وضِرْغاما

وقال دِعْبِلُ بن عليٍّ في صفة مصلوب :

لم أرَ صَفًّا مثل صَفِّ الزُّطِّ تسعينَ منهم صُلبوا في خَطِّ
من كل عالٍ جِذْعُهُ بالشَّطِّ كأنـه في جذعـه المُشْتَطِّ
أخو نُعاسٍ جَدَّ في التَّمَطِّي قـد خامَرَ النومَ ولم يَغِـطِّ

(وقال آخر، في صفة مصلوب وهو يَزيدُ المُهَلَّبيُّ) :

قام وَلَمَّا يَسْتَعِنْ بساقِـهِ آلَفَ مَثْواهُ على فِراقـه
كأنما يَضْحَكُ في أشداقِـهِ

(أراد بياض الشريط فيه) . وقال أعرابي في صفـة مصلوب (وهو الأخطل، قال : أبو الحسن، الأخطل الذي يعني رجل مُحْدَثٌ من

Marfat.com

أهل البصرة ، ويعرف بالاَخيْطِلِ وَيُلَقبُ ببَرْقوقا . وذكر أبو الحسن ، أن أبا العباس كان يُدَلِّسُ به) :

كأنه عاشقٌ قَدمَدَّ صَفْحَتَهُ يومَ الفِراقِ إلى تَوْدَيعِ مُرْتَحِلِ
أو قائمٌ من نُعاسٍ فيه لُوْنَتُهُ مواصِلٌ لِتَمَطِّيهِ من الكَسَلِ

(وقال مسلم بن الوليد) :

(وَضَعْتُهُ حيث تَرْتَابُ الرِّياحُ به ويَحْسُد الطيرَ فيه أَضْبُعُ البَلَدِ)

وقال حَبيبُ بن أَوْسٍ : (قال أبو الحسن ، يعني به اسحق بن إبراهيم الطاهري) :

قد قَلَّصَتْ شَفتاهُ من حَفيظَتِهِ فَخِيلَ من شِدَّةِ التَّعْبيس مُبْتَسِما

وقال أيضاً في رجل ينسُبُهُ الى الدعْوَةِ . (وهو إسحق بن إبراهيم الطاهري) :

وتَنَقلُ من مَعْشَرٍ في مَعْشَرٍ فكأَنَّ أَمَّكَ أَو أَباكَ الزِّئْبَقُ

يقال : زِئْبِقٌ وزِئْبِرٌ ، مهموزان ودرهم مُزَأْبَرٌ . ومن أفراط التشبيه قول أبي خِراشٍ الهذلي يصف سرعة إبنه في العَدْوِ .

كأَنَّهُمُ يَسْعَوْنَ في إثْرِ طَائِرٍ خَفيفِ المُشاشِ عَظْمُهُ غيرُ ذي نَحْضِ
يُبادِرُ جُنْحَ الليل فهو مُهابِذٌ يَحُثُّ الجَناحَ بالتبَسُّطِ والقَبْضِ

وقال أوْسُ بن حَجَرٍ : (قال أبو الحسن أهل الكوفة يروونها لعَبيدِ ابن الأَبْرَصَ) :

كأَنَّ رِيقَتَها بعد الكَرَى اغْتُبِقَت من ماء أدكَنَ في الحانوت نَضَّاحِ
أو من مُعَتَّقَةٍ وَرْهاءَ نَشْوَتُها أو من أنابيب رُمَّانٍ وتُفَّاحِ

Marfat.com

وقال ابن عَبْدَلٍ يهجو رجلاً بالبَخَرِ :

نَكِهَتْ عليَّ نَكْهَةَ أخدَرِيٍّ شَتيمِ شابِكِ الأنيابِ وَرْد

وفي هذا الشعر :

فما يَدْنو الى فيــه ذُبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُهُ بقَنْــدِ
يَرَيْنَ حَــلاوةً ويَخَفْــنَ موتا وشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بِوِرْدِ

الذبابُ الواحِد من الذِّبّانِ . وأدنى العدد فيه أذِبَّةٌ والكثير الذِّبّانُ ، ولكنه ذكر واحدا ثم خَبَّرَ عن سائر الجنس . والأسَدُ أنتَنُ السباع فماً ، كما أن الصُّقْرَ أنتنُ الطير فماً ، قال : بعض المُحْدَثينَ في رجل يهجوه والمهجوُّ داود بن بكر وكان وَلِيَ الأهوازَ ، والشعر لابي الشَّمَقْمَق .

وله لحيــةُ تيسٍ وله مِنْقارُ نَسْرِ
وله نَكهَةُ لَيْثٍ خالَطَتْ نَكْهَةَ صقْرِ

وقال عبد الرحمن بن أبي عبد الرحمن ابن عائشة :

من يكنْ إبْطُهُ بات من الخَلْــقِ فإبْطاي في عِدَادِ الفِقاحِ
لِيَ إبْطانِ يَزْمِيــان جَليسي بشَبيهِ السُّلاحِ أو بالسُّلاحِ
فكأني من نَتْنِ هذا وهــذا جالسٌ بين مُصْعَبٍ وصَبَاحِ

يعني مُصْعَبَ بن عبدالله الزُّبَيْرِيَّ وصَباحَ بن خاقانِ المهتَدِيِّ وكانا جليسين لا يكادان يفترقان وصَديقَيْنِ مُتَواصِلَيْن لا يكادان يتصارمان فَحُدِّثتُ أن أحمد بن هشام لقِيهما يوما فقال : أمَا سَمِعْتُما ما قال فيكما هذا يعني سحق بن المَوْصِلِيّ . فقالا : ما قال فينا إلا خيرا . قال ، قال :

لامَ فيها مُصْعَبٌ وصَباحٌ فعَصَيْنا مُصْعبا وصَباحا

Marfat.com

وأَبَيْنا غـــير سَعيٍ اليهـــا فاستوْحنا منهمَا واستراخا

قالا ما قال الاخير أو المكروه ما قال فيك إذ يقول :

سمافِيَةٍ تُعْشي العُيون رَقيقةٍ رَهِينةِ عامٍ في الدِّنان وعامِ

ثَوَرْنا بها الكأس الرَّوِيَّةَ مَوْهِنا من الليل حتى انجابَ كلُّ ظَلام

فما ذَرَّقَرْنُ الشمس حتى كأننا من العِي نَحْكي أَحْمَدَ بن مِشام

واعلم أن للتشبيه حداً . فالأشياء تَشابَهُ من وجوه وتبايَنُ من وجوه، وإنما يُنْظَرُ إلى التشبيه من وجوه وَقَعَ فان شَبَّهَ الوجهَ بالشمس فإنما يريد الضِّياء والرَّوْنَقَ ولا يراد العِظَمُ والإحراق. وقال الله جل وعز: كأنهنَّ بَيْضٌ مَكْنونٌ. والعرب تشبه النساء بِبَيْضِ النعام تريد: نَقاءهُ ونَعْمَةَ لونه قال الراعي :

كأنَّ بَيْضَ نعامٍ في مَلاحِقِها إذا اجْتَلاهنّ قَيْظٌ ليلُهُ وَمِدُ

وقيل للأوسية : وهي إمرأة حَكيمـــةٌ من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رحمه الله ، أيُّ مَنْظَرٍ أحسنَ فقالت : قُصورٌ بِيضٌ في حُدائِقَ خُضْرٍ فأنشد عمر بن الخطاب لِعَدِيِّ بن زيد :

كدُمَى العاجِ في المَحاريبِ أو كالـــبَيْضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُستنيرُ

وقال الآخر :

كالبَيْضِ في الأُدْحِيِّ يَلْمَعُ بالضُّحَى فالحسنُ حُسْنٌ والنعيم نعيمُ

وقال جرير :

ما اسْتَوْصَفَ الناسُ عن شيءٍ يَروقُهُمُ ألا رَأَوْا أمَّ نوعٍ فوق ما وَصَفوا

كأنها مُزْنَةٌ غَرّاءُ رائِحَـــةٌ أو دُرَّةٌ لا يواري لَوْنها الصَّدَفُ

Marfat.com

المزنة السحابةُ البيضاء خاصة وجمعها مُزْنٌ . قال الله جل وعز : أأنتم أنزلتُموه من المُزْنِ . فالمرأة تشبَّه بالسحابةِ لِتَهاديها ، وسُهولةِ مَرِّها قال الأعشَى :

كأنَّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِها مَرُّ السَّحابة لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

الرَّيْثُ الإبطاء فهذا ما تَلْحَقُهُ العَيْنُ منها فإمَّا الخِفَّةُ فهي كأسرع مارٍّ وإن خفي ذلك على البصر . قال الله جل وعز : وتَرَى الجبال تَحْسَبُها جامدةً وهي تَمُرُّ مَرَّ السحاب . والعرب تُشَبِّهُ المرأة بالشمس والقمر ، والغُصْنِ والغَزالِ والبَقرةِ الوحشية والسحابة البيضاءِ والدُّرَّةِ والبَيضةِ وإنما تَقْصِدُ من كل شيء إلى شيء قال ذو الرُّمَّةِ

ومَيَّةُ أحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ جِيداً وسالِفَةً وأحْسَنُهُمْ قَذالا
فلم أرَ مِثْلَها نَظَراً وعَيْنا ولا أمَّ الغَزال ولا الغَزالا
تُريكَ بَيانَ غُرَّتِها ووَضْحا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أفْتَقَ ثم زالا
أصابَ خَصاصةً فبدا كَليلاً كَلاَ وأنْغَلَّ سائرُه انْغِلالا

الجيد العنق والسالفة ناحية والقَذالانِ ناحيتا القَفا من الرأس . وقوله : أفتق ثم زالا يقال : أفْتَقَ السحابُ إذا انكشف انكشافة فكانت فيه فُرْجَةٌ يسيرة بين السحابتين . تقول العرب دامَ علينا الغَيْمُ ، ثم أفتقنا . وإذا نُظِرَ إلى الشمس والقمر من فَتْقِ السحاب فهو أحسن ما يكون وأشدُّه استنارةً . وقوله كَلاَ يريد في سرعةِ ما بَدَا ثم غاب . وقال الله عز وجلّ : كأنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ . وقال تباركَ وتعالى : كأمثال اللؤلؤ المكنون ، والمكنون المَصُونُ يقال : كَنَنْتُ الشيء إذا صُنْتَهُ وأكْنَنْتُهُ إذا أخفيتَهُ فهذا

Marfat.com

المعروف . قال تبارك وتعالى : أو أكننتم في أنفسكم . وقد يقال كَنَنْتُهُ أخفيتُهُ وقد قال جرير في يَزيدَ بن عبدِ المَلِكِ ، وأُمُّهُ عاتِكةُ بنت يزيد بن معاوية ابن أبي سفيان .

الحَزْمُ والجودُ والإيمان قد نَزَلوا على يَزيـــدَ أمينِ الله فاْختَلَفوا
ضَخْمُ الدَسيعةِ والإيمانِ غُرَّتُـــهُ كالبَدْرِ ليلةَ كادَ الشهرُ يَنْتَصِفُ

وقال ذو الرُمَّةِ .

فيا ظَبْيَةَ الوَعْساءِ بين جُلاجِلٍ وبَيْنَ النَقَا آأنتِ أَمْ أمُّ سالِمِ

وقال ابن أبي ربيعة :

أبْصَرْتُها ليـــلةً ونِسْوَتَها يَمْشينَ بين المَقـــام والحَجَرِ
يَرْفُلْنَ في الرَيْطِ والمُروطِ كما تمشي الهُوَيْنَا سَوَاكنُ البَقَرِ

فهذه تشبيهات غريبات مفهومة . وقال أبو عبد الرحمن العَطَوِيُّ :

قد رأينا الغَزالَ والغُصْنَ والنَجْمَيْنِ شَمْسَ الضُحَى وبَدْرَ الظلام
فَوَحَقُّ البَيَانِ يَعْضُدُهُ البُرْ هانُ في مَأْقِـطِ أَلَدِّ الخِصام
ما رأينا سِوى المليحةِ شَيْئاً جَمَعَ الحُسْنَ كلَّهُ في نِظامِ
فهي تَجْرِي مَجْرَى الأَصالةِ في الرَأْ يِ ومَجْرَى الأَرْواحِ في الأَجسام

البرهان الحجة ، قال الله عز وجل : قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . أي حججكم ، والمأقِط موضع الحرب فضربه مَثَلاً لموضع المناظرة والمحاجَّةِ ، والأَلَدُّ الشديد الخصومة . قال الله تبارك وتعالى : لِتُنْذِرَ به قوماً لُدّاً . وقال : وهو أَلَدُّ الخِصام . وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

كأَنَّ فَتَى الفِتْيانِ تَوْبَةَ لَم يُنِخْ بِنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ

Marfat.com

ولم يَقْدَعِ الخصمَ الألَدَّ ويَمْلَأُ الجِفَانَ سَدِيفاً يوم نَكْباءَ صَرْصَرِ

السديف شِقَقُ السَنام ، والنكباء الريح بين الريحين لان الرياح أربع وما بين كل ريحين نكباء فهي ثمانٍ في المعنى فما بين مَطْلِعِ سُهَيْل إلى مَطْلِعِ الفجْر جَنوبٌ وإنما تأتي الجنوب من قِبَلِ اليَمَنِ . قال جرير :

وخَبَّذا نَفَحَاتٌ من يَمانِيةٍ تأتيك من قِبَلِ الرَّيَّانِ أحياناً

وإذا هَبَّتْ من تلْقاء الفجر فهي الصَّبا تُقابِلُ القِبلة ، فالعرب تسميها القَبولَ . قال الشاعر :

إذا قلتُ هذا حين أسْلُو يَهيجُني نَسيمُ الصَبا من حيث يَطَّلِعُ الفجرُ

وإذا أتت من قبل الشَامِ فهي شَمالٌ . قال الفَرَزْدَقُ :

مُسْتَقْبِلِين شَمالَ الشَامِ تَضْرِبُنا بحاصِبٍ كَنَديفِ القُطْنِ منتور

وهي تقابل الجنوب . وكذلك قال امرؤ القيس :

فَتُوَضِحَ فالمِقْراةِ لم يَعْفُ رَسْمُها لَمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأل

وإذا جاءت من دُبُرِ البيت الحرام فهي الدَبورُ وهي تَهُبُّ بشدة . والعرب تسميها مَحْوَةَ عن أبي زيد لانها تمحو السحاب ، ومَحْوَةُ معرفة لا تنصرف ، فأما الأصمعي فزعم أن محوة من أسماء الشمال وأنشدا جميعاً :

قد بَكَرَتْ مَحْوَةُ بالعَجاجِ فَدَمَّرَتْ بَقِيَّةَ الرَجاجِ

الرجاج حاشية الإبل وضعافها . وقال الأعشى :

لها زَجَلٌ كَحفيفِ الحَصا دِ صادَفَ بالليلِ ريحاً دبورا

ولهذه الرياح أسماء كثيرة وأحكام في العربية لأن بعضهم يجعلها نعوتاً وبعضهم يجعلها أسماء ، وكذلك مَصادرها تحتاج إلى الشرح والتفسير

Marfat.com

ونحن ذاكرون ذلك في عقب هذا الباب إن شاء الله ، يقال : جَنَبَتِ الريحُ جُنوباً وشَمَلَتْ شُمولاً ودَبَرَتْ دُبوراً وصَبَتْ صُبُوًّا وسَمَّتْ سُموماً وحَرَّتْ حُروراً ، مضمومات الأوائل . فإذا أردتَ الاسماء فتحتَ أوائلها فقلت : جَنوبٌ وشَمولٌ وسَمومٌ ودَبورٌ وحَرورٌ . ولم يأت من المصادر شيء مفتوح الاول إلا أشياء يسيرة . قالوا : توَضَّأتَ وَضوءاً حسناً ، وتطهرتَ طهوراً وأُولِعْتُ بالشيء وَلوعاً وإن عليه لَقبولاً ووَقَدَتِ النار وَقوداً وأكثرهم يجعل الوَقودَ الحطب والوُقودَ المصدر . ويقال الشَمالُ على لغات ست . يقال : شَمالٌ وشَأْمَلٌ وشَمْأَلٌ وشَمَلٌ وشَمْلٌ وشَامَلٌ غيرُ مهموز ، ويقال للشَمال الجِرْبِياء . قال ابن أَحْمَرَ :

بَحَرٌ من قَسَا ذَفِرِ الخَزامَى تَدَاعَى الجِرْبِياء به الحَنينا

ويقال للجَنوب الأَرْيَبُ ، ويقال للصَبا القَبولُ وبعضهم يجعله للجنوب وهو في الصَّبا أشهر ، بل هو القول الصحيح والإِيرُ والهِيرُ والأَيِّرُ والهَيِّرُ . قال الشاعر :

« مَطاعيمُ أَيْسَارٌ إذا الهِيرُ هَبَّتِ » . فهذا يدل على أنه الصَبا وذاك أنهم إنما يتمدحون بالإِطعامِ في المَشْتاة وشِدَّةِ الزمان ، كما قال طَرَفَةُ :

نحن في المَشْتاةِ نَدْعو الجَفَلَى لا تَرَى الآدِبَ فينا يَنْتَقِرْ .

الجفلى العامةُ ، والنَقَرَى الخاصةُ والآدب صاحب المَأْدُبةِ . يقال مَأْدَبَةٌ ومَأْدُبَةٌ للدعوة . وفي الحديث : إن القرآن مَأْدَبَةُ اللهِ . قال أهل العلم معناه مَدْعاةُ الله وليسَ من الادَبِ ، وأكثر المفسرين قالوا القولَ الاول وكلاهما في العربية جائز . ويدل على القول الاول قول رسول الله ﷺ : أنا الجَفْنَةُ

Marfat.com

الغَرّاء ، أي التي يجتمع الناس عليها ويُدْعَوْنَ إليها . ويقال في الدعوة : أَدَبَهُ يَأْدُبُهُ أَدَباً إذا دعاه . قال الشاعر :

وما أصبح الضَحّاكُ إلا كخالِعٍ عَصانا فَأَرْسَلْنا المَنِيَّةَ تَأْدُبُهْ

وقولنا في الرياح انها تكون اسماء ونعوتاً نفسره إن شاء الله. يقول أكثر العرب : هذه ريح جَنوب وريح شمال وريح دَبور فتجعل جنوباً وشمالاً ودبوراً وسائر الرياح نعوتاً . قال الاعشى :

لها زَجَلٌ كحفيف الحصا دِ صادف بالليل ريحاً دبورا

وقال زُهَيْرٌ :

مُكَلَّلٌ باصول النبت تَنْسِجُهُ ريح شَمالٌ لضاحي مائِهِ حُبُكُ

وقال جرير « ريح خَريقٌ شُمالٌ أو يَمانِيَةٌ » فهذا يكون على النعت أجود لانه اوضحه بيمانية ولا تكون اليمانية إلا نعتاً لانها منسوبة فأما الخريق فهي الشديدة من كل ريح . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

بِمَثْوَى حَرامٍ والمَطِيُّ كأنه قَنَاً مُسْنَدٌ هَبَّتْ لَهُنَّ خَريقُ

والبليل الباردة من كل الرياح وأصل ذلك الشمال . قال جرير :

يُعَيِّرُ بَني مُجاشِعٍ بِخِذْلانهم الزُبَيْرَ بن العوام في كلمة يقول فيها :

إنِّي تُذَكِّرُني الزُبَيْرَ حَمامَةٌ تَدْعو بأَعْلَى الأَيْكَتَيْن هَديلا
يا لَهْفَ نفسي إذ يَغُرُّكَ حَبْلُهُمْ هَلّا اتَّخَذْتَ على القُيونِ كَفيلا
قالتْ قُرَيش ما أَذَلَّ مُجَاشِعاً جاراً وأَكْرَمَ ذا القتيل قَتيلا
أَفَبَعْدَ مَتْرِكِكُمْ خَليلَ مُحَمَّدٍ ترجو القُيونُ مع الرسول سَبيلا
أَفَتَى النَدَى وفَتَى الطِعانِ غَرَرْتُمُ وأخا الشَمال إذا تَهُبُّ بَليلا

Marfat.com

ويروى أن أُحَيْحةَ بن الجُلاحِ الأنصاريَّ ، وكان يُبَخَّلُ إذا هبت الصَّبا طَلَعَ من أُطمِهِ فنظر إلى ناحية هبوبها . ثم يقول لها هُبِّي هُبوبَكِ فقد أعددتُ لك ثلثمائة وستين صاعا من عجوة أدْفَعُ إلى الوليد منها خمس تَمْرات فيردعليَّ منها ثلاثاً أي لصلابتها بعد جَهْدٍ ما يَلُوكُ منها أثنتين وكان لَبيدُ بن رَبيعة بن مالك بن جعفر بن كِلابٍ شريفاً في الجاهلية والإسلام. قد نَذَرَ أن لا تَهُبَّ الصبا ، إلا نَحَرَ وَأطعم حتى تنقضي ، فهبت بالإسلام وهو بالكوفة مُقْتَرٌ مُمْلِقٌ . فعلم بذلك الوليد بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيطْ بن أبي عمرو بن أُمَيَّةَ بن عبد شمس بن عبد مَناف . وكان الوليد واليها لعثمان بن عَفَّان. وكان أخاه لأمه ، وأُمُّها أرْوَى إبنة كُرَيْزِ بن حَبيب بن ربيعة بن عبد شمس، وأمُّ أرْوى البيضاء بنت عبد المُطَّلِبِ فخطب الناس، وقال: إنكم قد عرفتم نَذْرَ أبي عَقيلٍ وما وَكَّدَ على نفسه فأعنوا أخاكم. ثم نزل فبعث اليه بمائة ناقة (وأبيات يقول فيها) :

أرَى الجَزَّارَ تُشْحَذُ مُدْيتاهُ إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عَقيلِ
طَويلِ الباع أبيضَ جَعْفَرِيّ كريم المَجْدِ كالسَّيْفِ الصَّقيلِ
وَفى ابنُ الجَعْفَرِيِّ بما لَدَيْهِ على العِلاَّتِ والمالِ القليلِ

فلما أتته قال : جزى الله الأمير خيراً ، قد عرف الأميرُ أني لا أقول شعراً ولكن اخرجي يا بُنَيَّتي محرجت خماسيةٌ . فقال لها : أجيبي الأمير (فأقبلت وأدْبَرَتْ) . وبَعَثَ الناسُ فقضى نذره ففي ذلك تقول ابنةُ لَبيدٍ :

إذا هَبَّتْ رِياحُ أبي عَقيلٍ دَعَونا عند هَبَّتِها الوليدا

Marfat.com

(طَويلَ الباع أبيضَ عَبْشَمِيًّا أعـــانَ على مُرُوَّتِهِ لَبيـدا
بأمثال الهِضاب كأنَّ رَكْباً عليها من بَني حامٍ قُعوداً
أبا وَهْبٍ جـــزاكَ الله خـــيراً نحرناها وأطعمنـــا الثريـــدا
فَعِدْ إنّ الكريمَ له مَعادٌ وظَنّي بابن أرْوَى أن يعـــودا

قال لها لبيدأحسنتِ يا بنيتي لولا أنك سألتِ ، فقالت : إن الملوك لا يُسْتَحَى من مسئلتهم . (فقال لها يا بنيتي وأنت في هذا أشْعَرْ) . ومَنْ جعل الشّمال والجَنوب أسماء لم يَصْرِفها إذا سُمّيَ بشيء منها رجلٌ لأنك إذا سميت رجلاً مذكراً باسم مؤنث على أربعة أحرف فصاعداً ، لا علامَةَ للتأنيث فيه لم تصرفه في المعرفة، وصرفته في النكرة نحو: عَناقٍ وأتانٍ وعقربٍ وإن كان نعتاً انصرف، لأنك إذا سميتَ رجلاً مذكراً بنعت مؤنث، لا علامة فيه صرفته لأنه مذكر نَعَتَّ به المؤنث نحو حائض وطالق ومُتْئِمٍ ومُرْضِعٍ وإذا ذكرنا من الباب شيئاً فما نذكره منه فعلى مَجْراه ومِنْهاجِهِ . قال الشاعر : فجعل ما وَصفنا أسماء :

حالتْ وحِيلَ بهـــا وغَيَّرَ آيَها طولُ البِلى تَجْرِي به الرِّيحـــانِ
رِيـــحُ الشَّمال من الجَنوب وتارةً رِهَمُ الربيع وصائبُ التَّهْتانِ

وقد أنشدوا بيت زهير . رِيحُ الجَنوبِ لضاحي مائهِ حُبُـــكُ . وقولنا لا علامةَ فيه للتأنيث لتَعْرِفَ كيف حكم علامات التأنيث ، لأن ذلك إنما يكون على ضَرْبَيْن، فما كانت فيه ألف التأنيث مقصورة أو ممدودة فغير منصرف في معرفـــة ولا نكرة لمذكر كان أو مؤنث . فالمقصور، نحو حُبْلَى وسَكْرَى وما أشبه ذلك ، والممدود نحو حمراء وصفراء وما أشبه

Marfat.com

ذلك. فإن كانت ممدودة لغير التأنيث ، انصرف إذا كان لمذكر في المعرفة والنكرة زائداً كان أو اصليا ، فالأصلي نحو سِقاء وعِذاء وحِذاء ورِداء ، والزائدة نحو عِلْباء وحِرْباء وقُوباء يا فتى ، ومن قال قُوباء يا فتى ، أنّثَ ولم يصرف. لأن الاولى مُلْحَقَةٌ وهذه للتأنيث. فأما الالف المقصورة التي لغير التأنيث فإن كانت أصلية انصرفت في المذكر نحو مَلْهَى ومَعْزَى ومُشْتَرَى وإن كانت زائدة لغير التأنيث انصرفت في النكرة ، ولم تنصرف في المعرفة نحو أرْطَى وعَلْقَى فيمن جعل الواحدة عَلقاةً. وأما ما كانت فيه هاء التأنيث فهو منصرف في النكرة وغير منصرف في المعرفة لمذكر كان أو مؤنث عربياً كان أو أعجمياً ، فهذه جملة هذا الباب ، فأما قياسه وشرحه فقد أتينا عليه في الكتاب المقتضب . وتقول : في أكثر الكلام هَبَّتْ جَنوباً وهبت شَمالا فتستغني عن ذكر الريح ، وهذا مما يؤكد أنها نعوت لان الحال إنما بابها أن تقع فيما يكون نعتاً . قال جرير :

هَبَّتْ شَمالاً فَذِكْرِي ما ذَكَرْتُكُمُ عند الصَّفاة إلى شَرْقِيّ حَوْرانا

وقال الآخر :

فَأيُّ حَيٍّ إذا هَبَّتْ شَآميـــةٌ واسْتَدْفَأ الكَلْبُ بالمأسور ذي الذِّئب

المأسور يعني قَتَباً وإنما الأسرُ الشد بالقِدّ حتى يُحْكَمَ ، وإنما قيل الاسير من ذا لأنه كان يُشَدُّ بالقد ، ثم قالت العرب : لكل مُحْكَمٍ شديدُ الاسرِ . قال الله تبارك وتعالى : نحنُ خلقناهم وشَدَدْنا أسرَهُمْ . وقوله ذي الذئب يعني الفُضولَ التي وسّعَتْهُ وأسْبَغَتْهُ . يقال : غَبيطٌ مُذَأْبٌ أي ذو ذِئَبٍ أي مُوَسَّعٌ . والغَبيط مَرْكَبٌ من مَراكبِ النساء . وقال أوْسُ بن حَجَرٍ

Marfat.com

في شدة البرد وغلبة الشمال يَرْثِي فَضالَة بن كَلَدةَ الأَسَدِيَّ

والحافظُ الناسَ في قَحوطَ إذا لم يُرْسلوا تحت عائدٍ رُتَعاً
وعَزّتِ الشَمْألُ الرِياحَ وقد أمْسَى كَمِسَعِ الفتاةِ مُلتَفِعاً
وكانت الكاعِبُ المُتَعَّمةُ الحسناء في زاد أهلها سَبْعا

قَحوط وقَحُوط وكَحْلُ وحَجْرةُ أسماء السنة المُجْدِبة ، والعائذ الحديثة النِتاج فَتُنْحَرُ أولادُها في السنة المجدبة إبقاء على ألبانها وشحومها والرَبع الذي يُنْتَجُ في الربيع، والهُبَعَ الذي ينتج في الصيف، يقال ما لَهُ هُبَعٌ ولا رُبَعٌ ، وإنما سُمي هبعاً لان الربع أسن منه فيمشي مع أمهاتها . ولا يلحقهنّ الهبعُ إلا باجتهاد فيستعين بعنقُهُ في المشي ، يقال إذا فعل ذلك هَبَعَ يَهْبَعُ . ويقال للريح الشمال نِسْعٌ ومِسْعٌ . قال الهُذَليُّ :

قد حال دون دَرِيسَيْهِ مُأوّبَةٌ نِسْعٌ لها بِعضاهِ الارضِ تهْزِيزُ

الدريسان ثوبان خَلَقان ، ومأوّبة مُفَعّلةٌ من التأويب وهو سير النهار لا تعريج فيه . قال أبو عبيدة : هو سير النهار والإسآد سير الليل لا تَعْريسَ فيه . وأنشد لسَلامة بن جَنْدَلِ :

يومان : يومُ مقاماتٍ وأندِيةٍ ويومُ سَيْرٍ إلى الاعداء تأويبِ

وإنما يَعْني ريحاً . وقوله نسع أي شمال ، والعِضاهُ شجرة ضخمة ، فبعض العرب يقول للواحدة عِضاهةٌ وللجمعِ عِضاهٌ على وزن دَجاجة ودَجاجٍ . وبعضهم يقول للواحدة عِضةٌ . فيقول في الجمعِ عَضَوات وعِضَهات فتكون من الواو ، ومن الهاء . قال الشاعر :

هذا طريقٌ يَأزِمُ المآزِما وعِضَوَات تَقْطَعُ اللَهازِما

Marfat.com

ونظير عِضَةٍ سَنَةٌ على أن الساقط الهاء في قول بعض العرب والواو في قول بعضهم ، تقول في جمعها سَنَوات ، وسانَيْتُ الرجل وبعضهم يقول سَنَهات وأَكْرَيْتُهُ مُسانَهةً وهذا الحرف في القرآن يقرأ على ضروب . فمن قرأ لم يَتَسَنَّهْ وانظر فوصل بالهاء فهو مأخوذ من سانَهْتُ التي هي سُنَيْهَةٌ ، ومن جعله من الواو وقال في الوصل لم يَتَسَنَّ وانظر فإذا وقف قال لم يَتَسَنَّهْ . فكانت الهاء زائدة لبيان الحركة بمنزلة الهاء في قوله : فبهداهم اقْتَدِهْ وكِتابِيه وحِسَابِيَهْ . والمعنى واحد وتأويله لم تغيره السِنونَ ومن لم يَقْصِدْ إلى السَنة قال : لم يَتَأَسَّنْ والآسِنُ المتغير . قال الله جل وعز : فيها أنهارٌ من مـاء غيرِ آسِنٍ في هذا المعنى . كما يقال : رجلٌ حاذِرٌ وحَذِرٌ . ويقال للريح الجَنوبِ النُعامىَ . قال أبو ذُؤَيْبِ :

مَرَتْهُ النُعامَى فلم يَعْتَرِفْ خِلافَ النُعامى من الشأم ريحا

ومعنى مرته اسْتَدَرَّتهُ . وفي الحديث ما هبت الريح الجَنوبُ الا أسالَ الله بها وادِياً . وقال رجل يمدح رجلا :

فتى خُلِقَتْ أخلاقُهُ مُطْمَئِنَّةً له نَفحاتٌ رِيحُهُنَّ جَنوبُ

يريد أن الجَنوبَ تأتي بالمطر والنَدَى ، والعرب تكره الدَّبورَ . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَبور وقلما يكون بالدَبور المطرُ لانها تُجَفِّلُ السحابَ ويكون فيها الرَهجُ والغَبَرَةُ ، ولا تَهُبُّ إلا أقلَّ ذاك إلا بشدة فتكاد تَقْلَعُ البيوت وتأتي على الزروع . وقال رجل يهجو رجلاً :

لو كنتَ ريحاً كانت الدَّبُورا أو كنتَ غَيْماً لم تكن مَصيرا *

* مصير : خطأ مطبعي والقصد مطير ، اي ممطر ، وفي هذا إقذاع في الهجاء

Marfat.com

أو كنتَ ماء لم تكن طَهورا أو كنتَ مُخًّا كنتَ مُخًّا رِيرا
أو كنتَ بَرْداً كنْتَ زَمْهَرِيرا

الرير : المخ الرقيق ، يقال ، رير ورَارٌ في مغنى واحد . وقال السُّلَيْكُ :

يَصيدُكَ قافِلاً والمُخُّ رارُ . والشيء يذكر بالشيء . وقال آخر .

لو كنتَ ماءً لم تكن بِعَذْبِ أو كنتَ غَيْماً لم تكن مَطيرا
أو كنتَ لحماً كنتَ لحم كَلْبِ أو كنتَ عَيْراً كنتَ غير نَدْبِ

فأما قول السُّلَيْكِ فإنه يرثي فرسه وكان يقال له النَّحَّامُ فقال :

كأنَّ قَوائم النَّحَّامِ لَمَّا تَحَمَّلَ صُحْبتي أُصُلاً مَحارُ
على قَرْماءَ عاليةٌ شَواهُ كأنَّ بياضَ غُرَّتِهِ خِمارُ
وما يُدْريكَ ما فَقْري اليه إذا ما القَوْمُ وَلَّوْا أو أغاروا
ويُخْضِرُ فوق جُهْد الحضر نَصًّا يَصيدكَ قافلاً والمخُّ رار

قوله كأن قوائم النحام محار المحارةُ الصَّدَفَةُ يريد الملاسة وأنه قد ارتفعت قوائمه للموت ، والاُصلُ جمع أصيلٍ والأَصِيلُ العشيُّ يقال : أصيلٌ وأُصُلٌ مثل قَضيب وقُضُبٍ وجمعُ أُصلٍ آصال ، وهو جمع الجمع وتقديره عُنُقٌ وأعناقٌ ، وطُنُبٌ وأطناب . ويقال : في جمع أصيلةٍ أصائِلُ مثل خَليفةٍ وخَلائفَ . قال الأعشى : ولا بأحسَنَ منها إذ دنا الاُصل . وقال أبو ذُؤَيب :

لَعَمْري لأنتَ البيتُ أكْرِمُ أهْلَهُ وأقعدُ في أفيائِهِ بالأصائل

وقرماء ممدودةً إسم موضع . وشواه قوائمه . وقد فسرناه قبل هذا ، وقوله : ولوا أو أغاروا إذا طَلَبوا أو هَرَبوا . وقوله : يصيدك أو يصيد لك ، يقال

Marfat.com

صِدْتكَ ظبْياً . قال الله عز وجل : وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ ، أي كالوا لهم أو وزنوا لهم ، يقال كِلْتُكَ ووَزَنْتُكَ لانه قد قال تعالى أوْلاً إذا اكْتالوا على الناس يَسْتَوْفون . فأما ما جاء في الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الهبوب اللهم اجْعَلْها رِياحاً ولا تَجْعَلْها رِيحـــاً ، فإن العرب تقول لا تَلْقَحُ السحـــابُ إلا من رِياحٍ . وتصديق ذلك قول الله عز وجل : الله الذي يُرْسِلُ الرياحَ فَتُثِيرُ سَحاباً ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم إذا هَبَّتْ بَحْرِيَّةً ثم تَذَاءَبَتْ ، قـــال الشاعر : تَسُحُّ إذا تَذَاءَبَتِ الرِّياحُ ، يقول إذا تَقابَلت ، يقال تذاءبت الرياح ، وتَنَاوَحَتْ أي تقابلت وتَناوَحَ الشجرُ إذا قابَلَ بعضُه بَعْضاً . وإنما سميت النائحة نائحة لانها تُقابِلُ صاحبتها فـــإذا خَلَصَتِ الريحُ عندهم دَبُوراً فهي من جنس البوارِ وإذا خَلَصَتْ شَمالاً شَتْوِيَّةً فهي من آياتِ الجدْبِ . ومن ثَمَّ تقول العرب : فلان يُطْعِمُ في الشَّمالِ كما تقول يُطْعِمُ في المَحْلِ . قال أوْسُ بن حَجَرٍ . وعَزَّت الشمالُ الرياحَ ، أي غلبتها . فكانت أقوى منها فلم تَدَعْ لها موضعاً . وقوله تعالى : وعَزَّني في الخطاب أي غلبني في المُخاطبةِ والخصومـــةِ ومن أمثال العرب من عَزَّ بَزَّ وتأويله من غَلَبَ سَلَبَ . قالت الخَنْساء :

كأنْ لم يكونوا حِمًـــى يُتَّقَى إذا الناسُ إذ ذاك من عَزَّ بَزَّا

قال أبو العباس وحدثني عمرو بن بحْرٍ الجاحظ قال رأيت رجلاً من غَنِيٍّ يُفاخِرُ رجلاً من بني فَزارةَ ، ثم أحدَ بني بَدْرِ بن عمرو وكان الغَنَوِيُّ متمكّناً من لسانه وكان الفزارِيُّ بَكِيًّا . فقال الغنوي ماؤنا ما بين الرَّقَمِ الى كذا وهم جيراننا فيه فنحن أقصر منهم رِشاءً وأعذبُ منهم ماءً لنا رِيفُ

Marfat.com

السُّهولِ ومعاقِلُ الجبالِ وأرضهم سَبِخَةٌ ومياههم أملاحٌ وأرْشِيتهم طِوالٌ والعربُ إذ ذاك عَنْ عَزَّ بَزَّ فَبِعِزِّنا تَخَيَّرْنا عليهم وبِذُلِّهِمْ ما رضوا عنا بالضَّيْمِ . قوله كان الفزاريُّ بكيا يقول غير قادر على الكلام وأصل ذلك في الحَلَبِ يقال ناقة بَكيٌّ وهي ضد الغزيرة أي قليلة اللبن ودَهِينٌ وصِنْرِدٌ في معنى. يقال : بكَأْتِ الشاة والناقة وبَكُوتْ . قال الشاعر :

فإذا مـــا حاردتْ أو بَكُوَتْ فُضَّ عن خاتم أخرى طينُها

وقال سَلامةُ بن جَنْدَلِ الطُّهَوِيُّ :

يقول مَحْبِسُها أدْنَى بَارْتَعِها وإن تَدَاعى بَبَكْءٍ كلُّ محلوب

يقول أن نَحْبِس الإبل على ضرٍّ ونقاتل عنها فهو أدنى بأن تَعِزَّ فَتَرْتَعَ فيما تَسْتَقْبِلُ وإن ذهبت ألبانها لانا إن طردناها وهربنا طُمِعَ فينا واسْتُذْلِلْنا. ويقال في الكلام رجل غَنِيٌّ بَكِيٌّ . قال أبو العباس : وهذا الغنوي إذا حاول بقبيلته آل بدر فقد أعظم الفِرْيَةَ وبلغ في البَهْتِ وأشْمَتَ العَدُوَّ بجُمْهور قَيْسٍ ، وصار بهم إلى ما قال الأخطَلُ :

وقد سَرَّني من قَيْسِ عَيْلانَ أنني رأيتُ بني العَجْلانِ سادُوا بني بدر

وكان زِيادٌ يقول وهو الغاية في السياسة : أوصيكم بثلاثة ، بالعـــالم والشريف والشيخ ، فوالله لا أوتَى بوضيعٍ سَبَّ شريفاً أو شابَّ وَثَبَ بشيخ أو جاهل امْتَهَنَ عالماً إلا عاقبت وبالغت . وقال عمارة لبني أسَد ابن خُزَيْمَـــةَ :

يا أيها السائلي عَمْـــداً لأُخْبِرَهُ بذات نفسي وأيدي الله فوق يدي

إن تَسْتَقِمْ أسَدٌ تَرْشُدْ وإن شَغَبَتْ فـلا يَلُمْ لائِمٌ إلا بَني أسَد

Marfat.com

اني رأيتكُم يُغضى كبيرُكُم وتَكْنَعونَ إلى ذي الفَجْرةِ النكِدِ
فباعدَ الله كلَّ البُعْدِ دارَكُمُ ولا شفاكم من الأَضْغَان والحسد

فرأى عصيانهم الكبير من أقبح العيب وأدَلّهِ على ضِغْنِ بعضهم لبعض وحسد بعضهم بعضاً ، والوضيع ينقلب إلى الشريف ، لإنه يَرَى مُقاولتَه فخراً والاجتراء عليه ربحاً كما أن مُقاوَلة الشريف اللَّئيم ذلٌّ وضَعَةٌ .

وقال الشاعر :

إذا أنتَ قاولتَ اللَّئيم فإنما يكونُ عليكَ العَتْبُ حين تُقاوِلُهْ
ولستَ كمن يَرضى بما غَيْرُهُ الرِضا ويمسح رأسَ الذِئْبِ والذئبُ آكِلُهْ

وسَنُشْبِعُ في هذا المعنى إن شاء الله . وفي هذا الشعر بيت يُقَدَّمُ في باب الفَتْكِ وهو :

فلا تَقْرَبَنْ أَمْرَ الصَريمة بامرِىء إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَواذِلُهْ

(وقل للفؤادِ إن تَرَى بكَ نَزْوَةً من الرَوْعِ أفرِخْ أكثرُ الروعِ باطِله)

الصَريمةُ العَزيمةُ وقد امتنع قومٌ من الجواب تَنَبُّلاً ومواضعهم تُنْبِىء عن ذلك ، وامتنع قوم عِيًّا بلا اعْتلالٍ ، وامتنع قوم عجزوا واعتلوا بكراهة السَفَهِ وبعضهم مُعْتَلٌّ برفعة نفسه عن خصمه وبعضهم كان يَسُبُّهُ الرَجُل الرَكيكُ من العَشيرة فَيُعْرِضُ ويَسُبُّ سيدَ قومه . وكانت الجاهلية ربما فعلته في الذُحولِ . قال الراجز :

ان بَجيلاً كُلَّما هَجاني مِت على الأَغْطَشِ أو أبانِ
أو طَلْحةِ الخيرِ فَتَى الفِتْيانِ أولاكَ قومٌ شأنُهمْ كشاني
ما نِلْتُ من أعراضهم كَفاني وإن سَكَتُّ عرفوا احساني

Marfat.com

وقال أحد المحدثين :

اني إذا هرَّ كلبُ الحيِّ قلتُ له اسْلَمْ وربُّكَ مخنوقٌ على الجِرَرِ

قوله أسلم فاستأنف بألف الوصل ، لأن النصف الأول موقوف عليه .

قال الشاعر :

ولا يُبادِرُ في الشتاءِ وَليدُها القِدْرَ يُنْزِلُها بغير جِعال

الجِعالُ : الذي يوضع فيه البُرْمةُ وربما تُوُقِّيَتْ به حرارتها . قال الراجز :

لا نَسَبَ اليومَ ولا خلةٌ اتَّسَعَ الخَرْقُ على الراقِعِ

وهذا كثير غير مَعيب ، وفي مثل اختيار النَبيلِ لتتكافأ الأعراضُ

قولُ الأخطل :

شَفَى النفسَ قَتْلَى من سُلَيْمٍ وعامر ولم يَشْفِها قَتْلَى غَنيٍّ ولا جَسْرِ

ولا جُشَمٍ شَرُّ القبائل انها كَبَيْضِ القَطَا ليسوا بسُودٍ ولا حُمْرِ

ولو بِبَني ذُبيانَ بُلَّتْ رِماحُنا لَقَرَّتْ بهم عيني وباءَ بهم وِتْرِي

وقال رجل من المحدَثينَ وهو حَمْدانُ بن أبانَ اللَّاحِقيُّ :

أَلَيْسَ من الكبائر أن وَغْداً لِآلِ مُعَذَّلٍ يهجو سَدوسا

هجا عِرْضاً لهم غَضّاً جديداً وأهدَفَ عِرْضَ والِدِهِ اللَّبيسا

وقال آخر :

اللُّؤْمُ أكرَمُ من وبْرٍ ووالِدِهِ واللُّؤْمُ أكرمُ من وَبْرٍ وما وَلَدا

قَوْمٌ إذا جَرَّ جاني قومِهِمْ أَمِنُوا من لُؤْمِ أحسابِهِمْ أن يُقْتَلُوا قَوَدا

اللؤْم داءٌ لِوَبْرٍ يُقْتَلونَ بِهِ لا يُقْتَلونَ بداءٍ غيرِهِ أبداً

وقال أحد المحدَثينَ (هو دِعْبِلٌ) .

Marfat.com

أما الهجاء فَدَقَّ عِرْضَكَ دونه والمَدْحُ عنكَ كما عَلِمْتَ جَليلُ
فاذهب فأنتَ عَتيقُ عِرْضِكَ أمه عِرْضٌ عَزَزْتَ به وأنت ذَليلُ

وقال آخر :

نُبِّئْتُ كَلْبــاً هابَ رَمْيي له يُنْبِحُــني من موضــع نائي
لو كنتَ من شيء هجوناك أو لو نلت للشايــع والرائي
فَعَــدَّ عن شتمي فإني امْرُؤٌ حَلَّمني قِلــة أكفائي

وقال آخر (هو دعبل) :

فــلو أني بُليتُ بهــاشميّ خُوَلَتُهُ بنو عَبْدِ المَــدانِ
صبرتُ على عداوتــه ولكن تَعــالَيْ فانظري بمن ابتلاني

ووقف رجل عليه مُقَطَّعاتٌ على الأَحْنَفِ بن قيس يسبه ، وكان عمرو الأَهْتَمِ جعل له ألف درهم على أن يُسَفِّه الاحنف فجعل لا يألو أن يسبه سباً يُغْضِبُ والأحنفُ مُطْرِقٌ صامت . فلما رآه لا يكلمه أقبل الرجل يَعَضُّ أبهاميه ويقول : يا سوأتاه ، والله ما يمنعه من جوابي إلا هَواني عليه. وَفَعَلَ ذلك آخرُ فأمسك عنه الأَحنفُ فأكثر الرجل إلى أن أراد الاحنف القيام للغَداء فأقبل على الرجل فقال له : يا هذا إن غداءنا قد حضر فانْهَضْ بنا اليه إن شئت فانك مُذُ اليوم تَحْدو بِجَمَلٍ ثَقَّالٍ . والثَّقَّالُ من الإبــل البطيء الثقيل الذي لا يكاد ينبعث . وعُدَّتْ على الأَحنف سَقْطَةٌ في هذا الباب ، وهو أن عمرو بن الأهتم دَسَّ اليه رجلا ليسفّهه فقال له : أبا بَحْرٍ ما كان أبوك في قومــه ، قال : كان من أوسطهم لم يَسُدْهُمْ ولم يتخلّف عنهم، فرجع اليه ثانيةً فَفَطَنَ الأَحنفُ أنه من قِبَلِ عمرو فقال : مــا كان

Marfat.com

مال أبيك ؟ فقال كانت له صِرْمَةٌ يَمْنَحُ منها ويَقْري ولم يك أَهْتَمَ سَلاَّحاً . وجُعِلَ لرجل ألفُ درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أُمِهِ، ولم تكن في موضع مَرْضِيّ ، فأتاه الرجل وهو بمصر أمير عليها فقال ، أردت أن أعرف أمَّ الأمير ، فقال نعم كانت من عَنَزة ثم من بني حِلَّانَ تُسَمَّى لَيْلَى وتُلَقَّبُ النابغةَ ، اذْهَبَ وخُذْ ما جُعِلَ لك. وقال له مرةً المنذرُ بن الجارود أيُّ رجلٍ أنت لولا أُمُّكَ قال فإني أَحْمَدُ الله اليك اني فَكَّرْتُ في هذه البارحة فأقبلتُ أنقلها في قبائل العرب فما خطرتْ لي عبدُ القيس على بال. ودخل عمرو مكة فرأى قوماً من قريش قد جلسوا حَلْقَةً فلما رأوه رَمَوْهُ بأبصارهم فَعَدَلَ اليهم فقال : أَحسِبُكم كنتم في شيء من ذكري ، قالوا : أَجَلْ كنا نُمَيِّلُ بينك وبين أخيك هشامٍ ، أيُّكما أفضلُ ؟ فقال عمرو : إن لهشام عليّ أربعة. أُمه ابنةُ هشامِ بن المغيرة وأمّي مَنْ قد عَرَفْتم ، وكان أحبَّ إلى أبيه مني وقد عرفتم معرفة الوالد بالولد، وأسلم قبلي ، واسْتُشْهِدَ وَبَقِيتُ. وقد أكثر الناسُ في الباب الذي ذكرناه وإنما نذكر من الشيء وجوهه ونوادره . قال رجل لرجل من آل الزبير كلاماً أقذَعَ له فيه فأعرض الزبيريّ عنه ثم دار كلامٌ فسب الزبيريُّ علي بن الحسين فأعرض عنه ، فقال له الزبيريُّ ، ما يمنعك من جوابي؟ فقال عليٌّ : ما منعك من جواب الرجل. وقد رُوِيَ قولُ القائل لو قلتَ واحدةً لسمعتَ عشرا فقال له الرجلُ . ولكنك لو قلتَ عشراً ما سمعتَ واحدة . وقال الشاعر .

ولقد أَمُرُّ على اللئيم يَسُبُّني فأجوز ثم أقول لا يعنيني

وقال رجل لرجل ، وسبّه فلم يلتفت اليه: إياك أعني . فقال له الرجل:

Marfat.com

وعنك أعرِضُ . فأما قول الشعبي للرجل ما قال ، فمن غير هذا الباب وإنما مَخْرَجُهُ الديانة وذاك أن رجلاً سب الشعبي بأمور قبيحة نسبه اليها فقال الشعبي : إن كنتَ كاذباً فغفر الله لك وإن كنتَ صادقاً فغفر الله لي . وقال أبو العباس : قال رجل لأبي بكر الصديق رحمه الله لَاسُبَّنَّكَ سباً يدخل معك قبرك فقال : رأيت رجلاً على بغلة لم أر أحسنَ وجهاً ولا أحسنَ لباساً ولا أفرَهَ مَرْكَباً منه فسألت عنه فقيل لي الحسن بن علي بن أبي طالب . فامتلأتُ له بُغْضاً فَصِرْتُ اليه فقلت أأنت ابن أبي طالب فقال . أنا ابن ابنه ، فقلت له : فيك وبك وبأبيك أُسبُّهما . فقال : أحسِبُكَ غريباً ، قلت أجَلْ ،فقال : إن لنا منزلاً واسعاً ومَعونَةً على الحاجة ومالاً نُواسي منه ،فانطلقت وما أجد على وجه الارض أحب منه) . ويتصل بهذا الباب ذِكْرُ مَنْ رَغِبَ برجل عن إرث رجل لا بشا كله وولاية رجل لا يشابهه . قال الشاعر .

بكتْ دارُ بِشْرٍ شَجْوَهَا أن تَبَدَّلَت ... هِلالَ بن قَعقاعٍ بِبِشْرِ بن غالب
وما هي إلا كالعروس تَنَقَّلَتْ ... على رغمها من هاشم في مُحارِبِ

وقال الفرزدق ، حينَ ولى العراقَ عمرُ بن هُبَيْرَةَ الفزاري بعقب مَسْلَمَةَ ابن عبد الملك .

راحتْ بمسلمةَ البغال عَشِيَّةً ... فارْعَيْ فَزارةُ لا هناكِ المَرْتَعُ
ولقد علمتُ اذا فَزارةُ أُمِّرَتْ ... أن سوف يَطْمَعُ في الإمارة أشْجَعُ
فأرى الامور تَنَكَّرَتْ أعلامها ... حتى أُمَيَّةَ عن فزارة تُنْزَعُ
عُزِلَ ابن بشر وابن عمرو قبله ... وأخو هَراةَ لمثلها يَتَوَقَّعُ

Marfat.com

فلما وَلِيَ خالد بن عبدالله القَسْريُّ على عمر بن هبيرة ، قال رجل من بني أسد يجيب الفرزدق :

عَجِبَ الفرزدقُ من فَزارةَ أنْ رَأى ... عنها أُمَيَّـــةَ بالمشارق تُـــنْزَعُ
فَلَقَدْ رَأى عَجَباً وأُحدِثَ بعـده ... أمر تَضِجُّ له القلوبُ وتَفْـــزَعُ
بَكَتِ المنابرُ من فَزارة شَجْوَها ... فاليومَ من قَسْرٍ تَذوبُ وتَجْزَعُ
وملوكُ خِنْدِفَ أسلمونا للعِـــدَى ... لله دَرُّ ملوكنا ما تَصْنَـــعُ
كانوا كَتاركـــةٍ بَنيها جانبا ... سَفَهاً وغيرُهمُ نصون وتُرْضِعُ

قال أبو العباس : وكان الفرزدق هَجَّاءً لعمر بن هبيرة عند ولايته العراق . وفي ذلك يقول ليزيد بن عبد الملك بن مروان :

أَمـــيرَ المؤمنـــينَ وأنتَ بَرٌّ ... أمينٌ لستَ بالطبعِ الحَريصِ
أأطْعَمْتَ العـــراقَ ورافِدَيْهِ ... فَزاريًّا أَحَـذَّ يَـدِ القَميصِ
تَفَهَّـــقَ بالعِـــراق أبو المُثَنَّى ... وعَلَّمَ قَومَـــهُ أكْلَ الخَبيصِ
ولم يَكُ قبلها راعي مَخاضٍ ... ليأمَنَـــهُ على وَرِكَيْ قَلوصِ

قوله : لست بالطبع الحريص فالطَّبِعُ الشديد الطَّمَعِ الذي لا يفهم لشدة طمعه وإنما أُخِذَ هـذا من طَبَـعِ السيفُ يا فتى وهو سيف طَبِـع إذا ركبه الصَّدَأُ حتى يُغَطِّي عليه . والمَثَلُ من هـذا في الذي طُبِـعَ على قلبه إنما هو تغطية وحجاب ، يقال : طَبَعَ الله على قلب فلان كما قال جل وعز : طَبَـعَ الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، هذا الوقف . ثم قال : وعلى أبصارهم غِشاوةٌ . وكذلك رينَ على قلبه وغِينَ على قلبه فالرَّيْنَ يكون من أشيـــاء تَأْلَفُ عليه فتغطيه .قال الله جل وعز : كَلاَّ بل رانَ على قلوبهـم ما كانوا

Marfat.com

يكسبون . وأما غِينَ على قلبه فهي غشاوة تعتريه ، والغَيْنَةُ القطعة من الشجر الملتف تُغَطِّي ما تحتها . قال الشاعر :

كأني بين خافِتَيْ عُقـــابٍ أصاب حَمامةً في يوم غَيْنِ

وقال بعضهم : أراد في التفافٍ من الظلمة . وقال آخرون : أراد في يوم غيم فأبدل من الميم نونا لاجتماع الميم والنون في الغنة كما يقال للحبة أَيْمٌ وأَيْنٌ واستجازت الشعراء أن تجمع الميم والنون في القوافي لما ذكرت لك من اجتماعهما في الغنة . قال الراجز .

بُنَيَّ إن البِر شيء هَيِّنْ المَنْطِقُ اللَّيِّنُ والطَعَيِّمْ

وقال آخر :

ما تَنْقِمُ الحربُ العوانُ مني بازلُ عامَيْنِ حديثُ سِنّي .

لِمِثْلِ هـــذا وَلَدَتْني أُمّي

والعِراقان البصرةُ والكوفة ، الرافدان دِجْلةُ والفُراتُ . وقوله : أحذ يد القميص ، الأَحذ الخفيف . قال طَرَفَةُ . وَأَتْلَعُ نَهّاضٌ أَحذ مُلَمْلَمٌ . وإنما نسبه بالخفة في يده الى السَّرَقِ وقوله : تفْهَقُ أي امتلأ ماء ، يقال بئر تَفْهَقُ وغَديرٌ يَفْهَقُ إذا امتلأ ماء . قال الراجز .

لا ذَنْبَ لي قد قلتُ للقوم استقوا والقَوْمُ في عُرْضِ غَديرٍ يَفْهَقُ

وقال الأعشى في مدحه ، المُحَلَّقَ بن حَنْتَمٍ أحـــدَ بني أبي بكر بن كِلابٍ .

نَفَى الذَّمَّ عن رَهْط المُحَلَّقَ جَفْنَةٌ كجابيةِ الشيخ العِراقيِّ تَفْهَـــقُ

هكذا رواية ابي عبيدة . وقوله :

• تنقم : تطلب وتنشد . الحرب العوان : التي تكرر لقاحها واستعرت . البازل : الفحل الفاطر .

Marfat.com

ولم يَكُ قَبْلَها راعي مَخاضٍ لِيَأْمَنَـــهُ على وَرِكَيْ قَلوصِ

كانت بنو فَزارَةَ تُرْمَى بغشيان الإبل ولذلك قال ابن دارةَ :

لا تَأْمَنَنَّ فَزارِيًّا خَلَوْتَ بِـــه على قَلوصِكَ واكْتُبها بأَسيار

فلما عُزِلَ ابن هُبَيْرةَ وحبسه خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ قال الفرزدق :

لعمري لئن نابتْ فَزارةَ نَوْبَةٌ لَمِنْ حَدَثِ الأيام تَحْبِسُها قَسْرُ

لقد حَبَسَ القسريُّ في سجن واسِطٍ فَتًى شَيْظَمِيًّا ما يُنَهْنِهُهُ الزَّجْرُ

فَتًى لم تُرَبِّيْهُ النصارى ولم يكن غِذاءً له لحمُ الخنازير والخَمْرُ

الشيظميّ الطويل . قال ذو الرمة :

إذا ما رَمَيْنا رَمْيةً في مَغـــارةٍ عَراقيبَها بالشَّيْظَمِيِّ المُواشِكِ

يريد حادياً يسوقها . وقوله : ما ينهـــه الزَّجْر يقول ما يَحْرِكُه . وقوله : فتى لا تربيه النصارى يَنْبِهُ به على أم خالد وكانت نصرانية رومية وكان أبوه استلبها في يوم عيد للروم فأولدها خالداً وأسَدا ولذلك يقول الفرزدق :

ألا قَطَـــعَ الرحمن ظهر مَطِيَّةٍ أتتنا تَهادَى من دِمَشْقَ بخالد

وكيف يؤم الناسَ من كانت أُمُّهُ تَدِينُ بان الله ليس بواحـــد

بَنَى بيعةً فيها النَّصارَى لِأُمِّـــهِ ويَهْدِمُ من كُفْرِ مَنَارَ المساجد

وقال: عليكَ أميرَ المؤمنين بخالدٍ وأصحابِـهِ لا طَهَّرَ اللهُ خالدا

بنى بيعةَ فيها الصليبُ لِأُمِّه ويَهْدِمُ من بُغض الصلاة المساجدا

وكان سبب هدم خالد مَنار المساجد حتى حَطَّها عن دُورِ الناسِ : أنه بلغه شعر لرجل من الموالي موالي الانصار وهو :

ليتـــني في المؤذِّنين حيـــاتي إنهم يُبْصِرونَ مَن في السُّطوح

Marfat.com

فَيُشيرونَ أو تُشيرُ اليهـــم بالهَوَى كلُّ ذات دَلٍّ مَليـــح

فحطها عن دور الناس . ويروى عنه فيما رُوِيَ من عُتُوِّهِ أنه اسْتُعْفِيَ من بيعةٍ بناها لأمه . فقال لَمَلأٍ من المسلمين : قَبَحَ اللهُ دينهم إن كان شَرًّا من دينكم . وقال الفرزدق لابن هُبَيْرةَ حيث نُقِبَ له السجنُ وهرب وسار تحت الارض هو وابنه حتى نفذا :

لَمَّا رَأيتَ الأرضَ قد سُدَّ ظهرُها ولم يَبْقَ الا بطنُها لك مَخْرَجـــا
دَعَوْتَ الذي ناداه يونُسُ بعدما ثَوَى في ثلاثٍ مُظْلمـات فَفَرَّجـا
فأصبحتَ تحت الأرض قد سرْتَ سِيرةً وما سار سارٍ مثلَها حيث أَدْلَجـــا
خرجتَ ولم يَمْنُنْ عليك طَلاقـــةً سوى رَبِذِ التقريب من آل أَعْوجا

فقال ابن هبيرة : ما رأيت أشرف من الفرزدق ، هجاني أميراً ومدحني أسيراً . قوله حيث أدلجا تقول : أَدلجتُ إذا سِرت من أول الليل وادَّلَجتُ إذا سرتَ من آخره في السَّحَرِ . قال زُهَيْرٌ :

بَكَرْنَ بَكُوراً وَادَّلَجْنَ بِسُحْرةٍ فَهنَّ لِوادي الرَّسِّ كاليَدِ لِلفَمِ

وأَعْوَجُ فرس كان لِغَنِيٍّ . وقالوا : كان لبني كلاب ولا يُنْكَـــرُ هذا لأن حبيبةَ بنتَ رياحٍ الغَنَوِيَّةَ ولدت بني جعفر بن كلاب فلعله أن يكون صار الى بني جعفر بن كلاب من غنى ، والعرب تنسب الخيلَ الجِيادَ الى أَعْوَجَ والى الوَجيهِ ولاحِقِ والغُرابِ واليَحْمُومِ . وما أشبه هذه الخيل من المتقدمات . قال زيدُ الخَيْل :

جلبْنا الخيـلَ من أجـإٍ وسَلْمَى تَخُبُّ نَزَائِعـــاً خَبَبَ الذِئاب
جلبنـــا كلَّ طِـرْفٍ أعْوَجيٍّ وسَلْهَبَةٍ كخافيةِ العُقـــاب

Marfat.com

ثم نرجع الى التشبيه المصيب . قال امرؤ القيس في طول الليل :

كأن الثُّرَيَّا عُلِّقَتْ في مَصامِهـــا بأمْراسِ كَتَّانٍ الى صُمِّ جَندَلِ

فهذا في ثبات الليل وإقامته، والمصام المَقامُ وقيل للممسك عن الطعام : صائم، لثباته على ذلك . ويقـــال صام النهار إذا قامت الشمس . قال امرؤ القيس :

فَدَعْها وسَلِّ الهَمَّ عنكَ بِجَسرةٍ ذَمولٍ إذا صام النهارُ وهَجَّـــرا

وقال النابغة :

خَيْلٌ صِيامٌ وخَيْلٌ غير صائمة تحتَ العجاج وخيلٌ تَعْلُكُ اللُّجُما

والأمراس جمع مَرَسٍ وهو الحبل قال : أبو زُبَيْدٍ يرثي غلامه وتعرض للحرب فقُتل :

أمّا تُعَلِّقْ بك الرّمـــاحُ فلا أبكيك إلا لـــلدَّلْوِ والمَرَسِ

وقال في ثبات الليل :

فيا لَكَ من ليـل كأنَّ نجومَـهُ بكل مُغارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بيَذْبُـلِ

المغار الشديد الفتل . يقال : أَعزْتُ الحبلَ إذا شددت فتله ، ويذبل جبلٌ بعينه ، وقال أيضاً :

كأن أباناً في أفانين وَدْقِـــهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّل

أبانٌ جبلٌ ، وهما أبانان أبان الاسود وأبان الابيض . قال : مُهَلْهِلٌ وكان نزل في آخر حربهم حرب البَسوسِ في جنب بن عمرو بن عُلَةَ بن جَلْد بن مالك ، وهو مَذْحِجٌ وجَنْبٌ حي من أحيائهم وضيعٌ فَخُطِبَتْ ابنته ومُهِرَتْ أدَماً فلم يقدر على الامتناع فزوّجها وقال :

Marfat.com

أنكحَها فَقْدُهـــا الأراقمَ في جَنْبٍ وكان الحِباءُ من أدَمِ
لو بأبانَينْ جاء يخطبهـــا ضُرِّجَ ما أنفُ خاطِبٍ يـــدم

وقوله في أفانين ودقه يريد ضُروبا من ودقه، والوَدْقُ المطر . تـال الله تبارك وتعـــالى : فَتَرَى الودقَ يخرج من خِلالهِ . وقـــال عامر بن جُوَيْنٍ الطائيُّ :

خلا مُزْنَةٌ وَدَقَتْ وَدْقَهـا ولا زال أرضَ أبْقَلَ إبقالَها

وقوله : كبير أناس في بجاد مزمل ، يريد مزملا بثيابه . قال الله تبارك وتعالى : يَأَيُّها المُزَّمِّلُ ، قُمِ الليل إلا قليلا . وهو المُتَزَمِّلُ والتاء مدغمة في الزاي ، وإنما وَصَفَ امرؤ القيس الغيثَ فقال قوم: أراد أن المطر قد خَنَقَ الجبلَ فصار له كاللباس على الشيخ المتزمل . وقال آخرون : إنما أراد ما كساه المطرُ من خضرة النبت . وكلاهما حَسَنٌ . وذَكَر الودق لأن تلك الخضرة من عمله . وقال الراجز يصف غيثا :

أقبَلَ في المُستَنِّ من رَبابهِ أسْنِمةُ الآبال في سَحابه

أراد أن ذلك السحابَ يُنبِتُ ما تأكله الإبل فتصير شحومها في أسنمتها والرَّباب سحاب دُوَيْنَ المُعْظَمِ من السحاب ، قال المازني :

كأنَّ الرَّبابَ دُوَيْنَ السحاب نَعـــامٌ يُعَلَّقُ بالأرْجُـــلِ

وقوله جل وعز : أراني أعصر خمراً ، أي أعصر عِنباً فيصير إلى هذه الحال . وقال زهير :

كأنَّ فُتاتَ العِهْنِ في كل منزِلٍ نَزَلْنَ به حَبُّ الغَنـا لم يُحَطَّمِ

الغَنا شجر بعينه يُثمِرُ ثمرا أحمر ثم يتفرق في هيئة النَّبِقِ الصغار . فهذا

Marfat.com

من أحسن التشبيه ، وإنما وصف ما يسقط من أنماطهن إذا نَزَلْنَ . والعِهْنُ الصوفُ المُلَوَّنُ في قول أكثر أهل اللغة . وأما الأصمعي فقال : كل صوف عهن، وكذلك قال أهل اللغة : الحَنْتَمُ الخَزَفُ الأخضر . وقال الاصمعي : كل خزف حنتم . قال القرشي :

مَنْ مُبْلِغُ الحَسْناء أنّ حليلَها بِمَيْسانَ يُسقى في زُجاجٍ وحَنْتَمِ

وقال جرير :

ما في مَقام ديارِ تَغْلِب مَسْجِدٌ وبها كنائِسُ حَنْتَمٍ وِدْيانِ

والتشبيه جارٍ كثير في كلام العرب ، حتى لو قال قائل : هو أكثر كلامهم لم يُبْعِدْ . قال الله عز وجل : وله المَثَلُ الأعلى . الزجاجةُ كأنها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ . وقال : طَلْعُها كأنه رؤوس الشياطين . وقد اعترض معترض من الجَهَلَةِ المُلْحِدينَ في هذه الآية . فقال : إنما يُمَثَّلُ الغائبُ بالحاضر ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها وهؤلاء في هذا القول ؟ كما قال الله جل وعز : بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولَمَّا يأتِهِمْ تأويلُهُ ، وهذه الآية قد جاء تفسيرها ضربين ، أحدهما : أن هناك شجرا يقال له الأستِنُ منكر الصورة يقال لثمره : رؤوس الشياطين ، وهو الذي ذكره النابغة في قوله : (تَحِيدُ من أستِنٍ سُودٍ أسافِلُهُ) . وزعم الأصمعي أن هذا الشجر يسمى الصَّوْمَ . والقول الآخر : وهو الذي يسبق إلى القلب أن الله جل ذكره شَنَّعَ صورة الشياطين في قلوب العباد . وكان ذلك أبلغُ من المعاينة ثم مَثَّلَ هذه الشجرة بما تَنْفِرُ منه كلُّ نفس وحُدِّثتُ في إسناد متصل أن أبا النَّجْمِ العِجْلِيَّ أنشد هشام بن عبد الملك

Marfat.com

(والشمس قد صارتْ كعَيْن الأَحولِ) لما ذهب به الرّوِيُّ عن الفكر في عين هِشامٍ ، فأغضبه، فَأَمرَ بطرده فَأَمَلَ أبو النجم رَجْعَتَهُ . وكان يأوي إلى المساجد فَأَرِقَ هشامٌ ليلة فقال لحاجبه : أبغني رجلاً عَرَبِيًّا فَصيحا يحادثني ويُنْشِدُني. فَطَلَبَ له ما طَلَبَ فَوَقَفَ على أبي النجم فَأَتى . فلما دُخِلَ به اليه . قال : أين تكون منذ أقصيناك . قال : بحيثَ أَلْفَتني رُسُلُكَ . قال : فَمنْ كان أبا مَثْواكَ . قال رجلين كَلْبِيًّا وتَغْلَبِيًّا أَتَغَدَّى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر . فقال له مالك من الولد ؟ قال ابنتان . قال : أَزَوَّجْتَها ؟ قال زوجت إحداهما . قال : فَبِمَ أوصيتَها . قال قلت لها ليلة أَهْدَيْتَها .

سُبِّي الحَماةَ وابْهَتي عليها وإن أَبَتْ فازْدَلفي اليها
ثم اقْرَعي بالوَدِّ مِرْفَقَيها وجَدِّدي الحِلْفَ به عليها
(لا تُخْبِرِي الدهرَ بذاك ابنيها)

قال : فأوصيتَها بغير هذا ؟ قال ! نعم قلت :

أوْصَيْتُ من بَثَّةَ قلباً بالكَلْبِ خيرا والحَماةِ شَرّا
لا تَسْأَمي نَهْكاً لها وَضَرّا والحيَّ عُمِّيهِمْ بشرٍّ طُرّا
وإن كَسَوْكِ ذهبا ودُرّا حتى يَرَوْا حُلْوَ الحياة مُرّا

فقال هشام : ما هكذا أرْضَى يعقوب ولده . قال أبو النجم ولا أنا كيعقوب ولابنتي كولده . قال : فما حال الأخرى . قال . قد دَرَجَتْ بين بيوت الحيّ ونفعتنا في الرسالة والحاجة . قال : فما قلتَ فيها . قال قلت :

Marfat.com

كان ظلاَّمَةَ أختَ شَيْبَـــان شِيمَـةُ ووالداها حَيَّـــان
الرَّأْسُ قَمْـــلٌ كله وسِبْلانُ وليس في الرِّجلَيْن إلا خيطان
(فهي التي يُذْعَرُ منها الشيطان)

قال : فقال هشام لحاجبه : ما فعلت الدنانيرُ المختومةُ التي أمرتك بقبضها . قال : ها هي عندي ووزنُها خمسمائة . قال : فادفعها الى أبي النجم ليجعلها في رجل ظَلاَّمَةَ ما كان الخيطين أفلا تراه قال . (فهي التي يذعر منهـا الشيطان) وإن لم يره لما قُرِّرَ في القلوب من نَكارتـــه وشَناعته .

وقال آخر :

وفي البَقْلِ ان لم يدفع الله شَرَّهُ شَياطينُ يَعْدُو بَعْضُهُنَّ على بعض

وزعم أهل اللغة أن كل متمرد من جنّ أو انس يقال له شيطان . وأن قولهم : تَشَيْطَنَ . إنما معنـاه ، تَخَبَّثَ وتنكر . وقد قال الله جل وعز : شياطينَ الأنس والجن . قال الراجز :

أبصَرْتُهـــا تَلْتَهِمُ الثُّعْبانا شيطانَةً تَزَوجتْ شَيْطانا

وقال امرؤ القيس :

أتُوعدُني والمَشْرَفيُّ مُضاجِعي ومَسْنونةٌ زُرْقٌ كأنياب أغوال

والغول لم يُخْبِرْ صادقٌ قط أنه رآها . ثم نرجع إلى تفسير قول أبي النجم قوله : سُبيّ الحماة وأبهتي عليها . إنما يريد أبهتيها ، فوضع ابهتي في موضع اكذبي فمن ثَمَّ وَصَلَها بعلي ، والذي يستعمل في صلة الفعل اللامُ لأنهـا لام الإضافة ، تقول لِزيدٍ ضربتُ ولِعمرو أكرمتُ والمعنى عمراً أكرمت فإنما تقديرُه إكرامي لعمرو وضربي لزيدٍ فأجرى الفعل مُجْرَى المصدر . وأحسنُ

Marfat.com

ما يكون ذلك إذا تقدَّم المفعولُ لأن الفعل إنما يجيء وقد عَمِلَت اللامُ كما قال الله جل وعز : إن كنتُم للرؤيا تَعْبُرونَ . وإن أُخِّرَ المفعولُ فَعَـرَبِيّ حسن ، والقرآن محيط بكل اللغات الفصيحة قال : قال الله جل وعز : وأمرتُ لأن أكون أوّل المسلمين . والنحويون يقولون في قوله جل ثناؤه : قل عسى أن يكون ردف لكم ، إنما هو ردفكم . وقال كُثَيِّرٌ :

أريد لأَنْسَى ذِكْرَها فكأنما تُمَثَّلُ لي لَيْلَى بكل سَبيل

وحروف الخفض يُبْدَلُ بعضُها من بعض إذا وقع الحرفان في معنى في بعض المواضع. قال الله جل ذكره : ولا صلِّبنكم في جُذوعِ النخل، أي على، ولكن الجذوع إذا أحاطت دخلت في لأنها للوعاء ، يقال فلان في النخل ، أي قد أحاط به . قال الشاعر :

هُمُ صَلَبوا العَبْدِيّ في جِذْعِ نخلة فلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلا بأَجْدَعا

وقال الله جل وعز : أم لهم سُلَّمٌ يستمعون فيه ، أي عليه . وقال تبارك وتعالى : له مُعَقِّباتٌ من بين يديه ومن خلفه يحفظونـه من أمر الله ، أي بأمر الله . وقال ابن الطَّثَرِيَّة :

غَدَتْ مِنْ عليه تَنْفُضُ الظِّلَّ بعدما رأتْ حاجبَ الشمس اسْتَوَى فترقّعا

وقال الآخر :

غَدَتْ مَن عليـه بعدما ما تَمَّ خِمْسُها تَصِلُّ وعن قَيْضِ بِزِيزاء مَجْهَلِ

أي من عنده . وقال العامري :

إذا رضيتْ عـليَّ بنو قُشَـيْرٍ لَعَمْرُ الله أعجبَني رِضاهـا

وهذا كثير جداً . وقوله : وإن أبتْ فازدلفي اليها ، يقول تَقَرَّبي

Marfat.com

ومن ذا سُمِّيت المُزْدَلِفَةُ . قال العَجَّاجُ :

ناجٍ طَواهُ الأَيْنُ مما وَجَفا طَيَّ اللَيالي زُلَفاً فَزُلَفا
(سَماوَةَ الهِلالِ حتى احْقَوقفا)

تقول زُلْفةٌ وزُلَفٌ كقولك غُرْفةٌ وغُرَفٌ . وقوله : بالكلب خيرا والحماة شرا ،كلام معيب عند النحويين . وبعضهم لا يجيزه وذاك أنه عطف على عاملين بالباء وعلى الفعل ، ومَنْ قال هذا قال : ضربتُ زيداً في الدار والحُجْرةِ عمراً . وكان أبو الحسن الأخفش يراه ويقرأ : واختلافِ الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رِزْق فأحيا به الأرض ، بعد موتها وتَصْريفِ الرياح آياتٍ ، فعطف على أن وعلى في . وقال عَديّ بن زيد :

أكُلَّ امرىء تَحْسَبينَ امرءاً ونارٍ تَوَقَّدُ بالليل نارا

فعطف على كلّ وعلى الفعل . وأما قوله : غدت مَنْ عليه بعدما تم خمسها فالخَمْسُ ظِمْءٌ من أظمائها وهو أن تَرِدَ ، ثم تغُبَّ ثلاثا ثم تَرِدَ فَيُعْتَدُّ بيومي وِرْدِها مع ظِمْئها . فيقال: خَمْسٌ والرِبعُ كحُمَّى الرِّبعِ . وقوله : تَصِلُّ أي تَسمع لأجوافها صَليلاً من يبس العطش ، يقال : المسمار يَصِلُّ في الباب إذا أكره فيه . قال جرير يخاطب الزُّبَيْرَ : بمَرْثيتهِ في هجائه الفرزدق :

لو كنتَ حين غُرِرْتَ بين بيوتنا لَسَمِعْتَ من وَقْعِ الحديد صَليلا

ويقال للحمار المُصَلْصِلُ إذا أخرج صوته من جوفه حادًّا خفيا قال الأعشى :

عَنْتَريسٌ تَغدو إذا حُرِّكَ السو طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ

Marfat.com

وقال المفسرون في قول الله عز وجل : من صَلْصالٍ من حَمَإٍ مَسْنون . قالوا : هو الطين الذي قد جفَّ فإذا قَرَعَهُ شيء كان له صَليلٌ ، وتفسير ذلك عند العرب التِّقْنُ الذي يَذهب عنه الماء في الغُدْرانِ فيتشقق ثم ييبس. والقَيْضُ قشر البيضة الأَعلى ، والذي يَلْبَسُ البيضةَ فيكون ما بينها وبين قشرها الأَعْلَى يقال له الغِرقىء . يقال ثوب كأنه غِرْقىء بَيْض . والزيزاء ما ارتفع من الأَرض ، وهو ممدود منصرف من المعرفة والنكرة إذا كان لمذكر كالعِلْباءِ والحِرْباءِ ، وسنذكر هذا في غير هذا الموضع مُفَسَّرا إن شاء الله تعالى على أنّا قد استقصيناه في الكتاب المُقْتَضَبِ . والمَجْهَلُ الصحراء التي يُجْهَلُ فيها فلا يُهْتَدَى لسبيلها . ويقال للشيء إذا غَبَّ وتغيرت رائحته صَلَّ وأَصَلَّ فهو صالٌّ ومُصِلٌّ . ويقال : نَتَنَ وأَنْتَنَ . ويقال : خَمَّ وأَخَمَّ وذاك إذا كان مستوراً حتى يفسد ويقال إذا ، عَتَق اللحمُ فتغير خَنَزَ وخَزِنَ . وبيت طَرَفَةَ أَحسنُ ما يُنْشَدُ عليه :

ثم لا يَخْنَزُ فينا لَحْمُها إنما يَخْنَزُ لَحْمُ المُدَّخِرَ

ويقال لرب البيت وَرَبَّةَ البيت اللذين ينزل بهما الضيفُ هي أم مَثْواهُ ، وهو أبو مثواه . وأنشد عبيدة :

من أمِّ مَثْوَى كريمٍ قد نزلتُ بها انَّ الكريمَ على عِلاَّتِهِ يَسَعُ

وفي كتاب الله جل وعز : أَكْرِمي مَثْواهُ ، معناه عند العرب إضافته ، ومن التشبيه المُطَّردِ على ألسنة العرب ما ذكروا في سير الناقة وحركة قوائمها . قال الراجز :

كأنها ليلةَ غِبِّ الأَزْرَقِ وقد مَدَدْنا باعَها للسُّوْق

Marfat.com

(خرقاء بين السُّلَّمين تَرْتَقِي)

قوله : ليلة غب الأزرق، إنما يعني موضعاً وأحسِبُهُ ماءً لأنهم يقولون : نطفة زرقاء وهي الصافية . قال زهير :

فلما وَرَدْنا الماءَ زُرْقاً جِمامُهُ وضَعْنَ عِصِيَّ الحاضر المُتَخَيِّمِ*

وقال آخر .

فَأَلْقَتْ عَصا التَّسْيار عنها وخَيَّمَتْ بأَرْجاء عَذْبِ الماء زُرْقٍ مَحافِرُهْ

وقوله : وقد مددنا باعها للسُّوَّقِ . يقول : استفرغنا ما عندها من السير ، يقال تَبَوَّعتْ وانْباعتْ إذا مَدَّتْ باعها . وقوله : خرقاء بين السُّلَّمين ترتقي، يقول لِكثرة حركة الخَرْقاء وقلة حِذقها بالصعود . وقال الآخر :

كأنها نائحةٌ تَفَجَّعُ تَبْكِي لِشَجْوٍ وسواها الموجَعَ

وقال الشَّمّاخ :

كأنَّ ذراعَيْها ذِراعا مُدِلَّةٍ بُعَيْدَ السُّباب حاوَلَتْ أن تَعَذرا
من البيض أعطافاً إذا اتَّصَلَتْ دَعَتْ فِراسَ بن غَنْمٍ أو لَقِيطَ بن يَعْمَرَا
بها شَرَقٌ من زَعْفران وعَنْبَرٍ أطارتْ من الحُسْن الرِّداءَ المُحَبَّرا
تقول وقد بَلَّ الدُّموعُ خِمارَها أَبى عِفَّتي ومَنْصِبي أن أُعَيَّرا
كأنَّ بِذِفْراها مَنادِيلَ فارقَت أُكُفَّ رجال يَعْصِرونَ الصَّنَوْبرا
كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غَرْضِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيْهِ ظَفَّرا

شبه يديها بيديْ مدِلّة بجمال ومنصب قد سأَبَتْ وأقبلتْ تعتذر وتشير بيديها ، فوصف جمالها الذي به تُدِلُّ ومَنْصِبَها المتصلَ بمن ذَكَرَتْهُ . وقوله : أطارت من الحسن الرداء المحبَّرا ، يقول هي مدِلة بجمالها فلا تختمر

* جمامه : اطرافه . وضمن : أي ظعائن الهوادج في المعلقة . الحاضر . الذي ينوي الاقامة في الحضر . المخيم : من يضرب خيامه.

Marfat.com

فتستر شيئاً عن الناظر لإنها تبتهج بكل ما في وجهها ورأسها . وقد كَشَفَ هذا المعنى عمر بن أبي رَبيعة المخزوميُّ حيث يقول :

فلما تَوَقَّفْنا وسَلَّمْتُ أقبلتْ وجوهٌ زَهَاها الْحسْنُ أن تَتَقَنعا
تَبَالَهْنَ بالعِرْفانِ لما عَرَفْنَني وقُلْنَ امرؤ باغٍ أَكَلَّ فأوْضعا
وقَرَّبْنَ أسباب الهوى لِمَقَتَّلٍ يَقيسُ ذِراعاً كلما قِسْنَ إصبعا
(فقلتُ لِمطْرِيهنَّ ويْحَكَ إنما ضررتَ فهل تَسْطيعُ نفعاً فتنفَعا)

قوله :

كأنَّ بِذِفْراها مناديل فارقتْ أكُفَّ رِجالٍ يَعْصرونَ الصَّنوبرا

يقول لسواد الذفرى ، وهذا من كرمها . قال أوْسُ بن حَجَرٍ :

كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَداً أو عَنِيَّةً على رَجْعِ ذِفْراها من الليتِ واكِفُ

(الكحيل القَطِرانُ والعنية ضربٌ منه) . وهذا معنى يُسأل عنه لأن اللِّيتين صفحتا العنق والذفرى في أعلى القفا ، فكيف يَكِفُ على الذفرى من اللِّيت . والمعنى إنما هو كأنَّ كُحَيْلاً مُعْقَداً أو عنيةً واكفٌ على رجع ذفراها . وقوله : من اللِّيت كقولك كموضع دِجْلَة من بَغْداد إنما هو للْحد بينها لا أنه وَكَفَ على شيء . وأما قوله :

كانَّ آبن آوَى موثَقٌ تحت غَرْضِها إذا هو لَم يَكْلِمْ بِنابَيْهِ ظَفْرا

يقول ليست تستقر فكأنَّ آبن اوى يَكْلِمها بنابيهِ ، أو يَخْلِبها بظفره فهي لا تستقر . وقال أوس بن حجر .

كأنَّ هِرًّا جَنيباً تحتَ غُرْضَتِها والْتَفَّ ديكٌ بحَقْوَيْها وخنزير

والغَرْضُ والغُرْضَةُ واحد وهو حزام الرَّحْلِ . وقال آخر :

Marfat.com

كأن ذراعيها ذراعاً بَذِيَّةٍ مُفَجَّعةٍ لاقتْ خَلائلَ عن عُفْرِ
سَمِعْنَ لها واستفرغتْ في حديثها فلا شيء يَفْرِي باليدين كما تَفْرِي

(قال أبو العباس : أنشدنيها عبد الصمد بن المُعَدَّلِ وأنشدنيها سعيد بن سَلْمٍ) . ولو قيل : إن هذا من أبلغ ما قيل في هذا الوصف ، ما كان ذلك بعيداً ، وصفها بأنها بَذيةوقد فُجِعَتْ بما أُسْمِعَتْ ، ونيلَ منها ، ولقيتْ خلائلها بعد زمان ، وتلك الشكوى كامنة فيها وأَصْغَيْنَ إليها يتسمعن . والفريُ الشق يقال : فَرَى أَوْدَاجهُ ، أي قطع ، وفَرَيْتُ الأديم. وإذا قلت : أفريتُ ، فمعناه أصلحتُ . وقول الحجاج : اني والله ما أَهُمُّ إلا مَضَيْتُ ولا أَخْلُقُ إلا فَرَيْتُ ، يقول : إذا قَدَّرت قطعت . يقال فريت القِرْبَةَ والمزَادَةَ فهما مَفْرِيَّتانِ . قال ذو الرمة . (كأنه من كُلَى مَفْرِيَّةٍ سَرِبُ) وقال امرؤ القيس .

كأن الحَصَى من خلفها وأمامها إذا نَجَلَتْهُ رِجْلُها خَذَفُ أعسرا
كأن صَليلَ المَرْو حين تُشِذُّهُ صَليلُ زيوف يُنْتَقَدْنَ بعَبْقرا

قوله : خذف أعسرا ، يريد أنه يذهب على غير قصد . وقوله : صليل زيوف ، يقال ان الزَّيْفَ شديد الصوت صافيه . وقال آخر :

كأن بَدَيْها بَدَا ماتِحٍ أتى يوم وِرْدٍ لِغِبٍّ زَرُودا
يخاف العِقابَ وفي نفسه إذا هو أَنْهَلَ ألا يَعودا

يقول : هذا الساقي يخاف العقاب إن قَصَّرَ ولا عَوْدَةَ له إليهِ ثانيةً فهي تُسْقَى سَقْيَةً في مرة واحدة ، وقد أكثروا في هذا . فمن الإفراط في السرعة ، قول ذي الرمة :

Marfat.com

كأنه كوكب في إثْرِ عِفْرِيَةٍ مُسَوَّمٌ في سواد اللَّيْل مُنْقَضِبُ

يقال : عِفْريت وعفرية في معنى واحد ، والتاء في عفريت زائدة وهو ملحق بقِنْديل ، يقال فلان (عِفْرِيةٌ زِبْنية والزبنيَةُ المُنْكَرُ وجمعه زَبانيةٌ ، وأصله من الحركة يقال زَبَنَهُ إذا دفعه ويقال) : عفربة نَفْرِيةٌ على التوكيد . (وعِفْريتٌ نِفْريتٌ . ويقال : عُفارِيةٌ ولم يُتْبَع بِنفارية) ومن الافراط قول الحُطَيْئَةِ :

وإن نَظرتْ يوماً بمُؤْخِرِ عينها الى عَلَمٍ بالغَوْرِ قالتْ له ابْعُدِ

ومن الافراط قوله :

بأرض تَرَى فَرْخَ الحُبارى كأنه بها راكبٌ مُوفٍ على ظهر قَرْدَدِ

ومن ذلك قوله :

وكادَتْ على الأَطْواءِ أَطْواءِ ضارِجٍ تُساقِطُني والرَّحْلَ من صوت هُدْهُدِ

وقال آخر :

مَروحٌ برِجليها إذا هي هَجَّرَتْ ويمنعها من أن تَطير زِمامُها

وقال الشَّمَّاخُ :

مَروحٌ تَغْتَلي في اليدِ حَرْفٌ تَكاد تَطيرُ من رَأْي القَطيع

وكذلك الأعرابي الذي يقول : (لو تُرْسَلُ الريحُ لَجِئْنا قَبلها) وقد مضى خَبَرُهُ . وأَمْلَحُ ما قيل في هذا المعنى وأَجْوَدُهُ قول امرىء القيس :

وقَدْ أغتدي والطيْرُ في وُكُناتها بمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأوَابِدِ هَيْكَلِ

فجعله للوحش كالقيد . وحُدِّثتُ أن رجلاً نظر إلى ظَبيةٍ تَرُودُ فقال

Marfat.com

له أعرابي : أتحب أن تكون لك ؟ قال : نعم ، قال : فأعطني أربعة دراهم حتى أردها اليك . ففعل : فخرج يَفْحَصُ في إثْرِها فَجَدَّتْ وَجَدَّ حتى أخذ بقَرْنَيْها فجاء بها وهو يقول :

وهي على البُعْدِ تُلَوِّي خَدَّها تُرِيغُ شَدِّي وأُرِيغُ شَدَّهـــا
(كيف تَرَى عَدْوَ غلام رَدَّها)

قال أبو العباس : ومن حلو التشبيه ، وقريبه وصريح الكلام قول ذي الرُّمَّةِ :

ورَمْلٍ كأوراك العَذارَى قطعتُه وقد حَلَّلَتْهُ المُظْلِماتُ الحَنادِسُ

الحِنْدِسُ اشتداد الظُّلمة ، وهو توكيد لها ، يقال ليلٌ حِنْدِسٌ وَلَيْلٌ أَلْيَلُ مظلم . وقال الشمّاخ في صفة الفرس :

مُفِجٌّ الحَوامي عن نسورٍ كأنهـــا نَوَى القَسْبِ تَرَّتْ عن جَرِيمٍ مُلَجْلَجِ

قوله : مفج الحَوامي ، يريد مُفَرِّق الحَوامي فالحوامي نواحي الحافر ، والنسور واحدها نَسرٌ . وهي نكتة في داخل الحافر ، ويُحْمَدُ الفرس إذا صَلُبَ ذلك منه ، ولذلك شُبِّهَ بنوى القسب . وتَرَّتْ سقطتْ ، والجَرِيم المصروم ، والملجلج الذي قد لُجْلِجَ مَضْغـــاً في الفم ثم قَذِف لصلابته . وقوله : مفجّ ليس يريد الذي هو شديد التفرقة ولكن الانفصال عن النَّسْرِ ، فإنه إن اتسع واستوى أسفلُه فذلك الرَّحَحُ ، وهو مذموم في الخيل . وكذلك إن ضاق وصَغُرَ ، قيل له مُضْطَرٌ وكان عيباً قبيحاً . قال حُمَيْدٌ الأَرْقَطُ :

لا رَحَحٌ فيهـــا ولا اضْطِرارُ ولم يُقَلِّمْ أَرْضَهـــا البَيْطـــارُ
(ولا لِحَبْلَيْهِ بها حَبـــارُ)

Marfat.com

(الحبار الأَثَرَ) . ويروى : ولم يُقَلَّبْ وتأويل ذلك أن حوافرها لا تتشعّث فيقلّمها البيطار لأنها إذا كانت كذلك ذهب منها شيء بعد شيء فحقها . وقال عَلْقَمَةُ بن عَبَدَةَ :

لا في شَظاها ولا أرْساغِها عَنَتٌ ولا السَّنابِكُ أفناهنَّ تَقْلِيمُ

وإنما يُحْمَدُ الحافر المُلقَّبُ ، وهو الذي هيئته كَهيئة القَعْبِ وإن كان كذلك قيل حافر وأَبٌ . قال ابن الخَرِع .

لها حافرٌ مثل قَعْبِ الوليد يَتَّخذُ الفَأْرُ فيه مَغارا

يريد لو دخل الفأرُ فيه لَصَلَحَ كقول القائل : فَأَتَى بجفنة يقعد عليها عُشرةٌ أي لو قعد عليها عشرة لَصَلَحَ . وقال الراجز : (وأَبٌ حَمَتْ نسورُهُ الأوْقارا) . (يقال : حافر مَوْقور وهو أن يصيبه داء يشبه الرَّهصةَ) وفي كل حافر حاميتان وهما حرفاه عن يمين وشمال ومُقَدَّمُهُ السُّنْبُكُ ومُؤَخَّرُهُ الدابرةُ . ومثلُ قوله عن جريم ملجلج قولُ عَلْقمةَ ابن عبدة :

مُلاَّءةٌ كعَصا النهْدِيِّ غُلَّ بها ذو فَيْئَةٍ من نَوَى قُرَّانَ مَعجومُ

شبّهها بالشوكة من شوك النخل لأن الارس الأُنثى يُحْمَدُ منها أن يَدِقَّ صدرُها ثم ينخرط على امتلاء الى مؤخرها والحمام يحمد منهنَّ أن يَعْرُضَ الصدرُ ثم ينخرط إلى ذَنَبِه ضُموراً . فيقال في صفته كأنه جَلَمٌ . وقوله : كعصا النهدي يريد في الصلابة . كما قال : « وكلُّ كُمَيْتٍ كالهِراوةِ صِلْدِمِ » . وقوله : ذو فيئة من نوى قران ، يقول ذو رَجْعَةٍ . يقول مَضَغَتْهُ الإبل فلم تكسره ثم بَعَرَتْهُ صُحاحاً ومعجوم ممضوغ ، يقال عَجمْتُهُ أعْجُمُهُ إذا

Marfat.com

مضغته فالعَجَمُ المَضْغُ . ويقال للنوى من كل شيء العَجَمُ متحرك العين . قال الأعشي : « وجُذْعانها كَلَقيط العَجَمْ » . وقال النابغة :

وظَلَّ يَعْجُم أعْلَى الرَّوْقِ مُنْقَبِضا في حالِكِ اللونِ صَدْقٍ غير ذي أوَدِ

ومثل البيت الأول قول عُقْبة بن سابِقٍ العَنْبَرِيِّ :

له بَيْنَ حَوامِيهِ نُسورٌ كَنَوَى القَسْبِ

فهذا تشبيه مقارِبٌ جداً . ومن التشبيه الحسن قولُ الشاعر ، (هو الشَّمَّاعُ) :

كأنَّ المَتْنَ والشَّرْخَيْنِ منه خِلافَ النَّصْلِ سِيطَ به مَشيجُ

يريد سهماً رُمِيَ به فأنْفَذَ الرَّمِيَّةَ وقد اتصل به دَمُها ، والمتن متنُ السهم ، وشرخُ كل شيء حَدُّهُ فأراد شَرْخَيِ الفُوقِ وهما حرفاه ، والمشيج اختلاط الدم بالنطفة ، هذا أصله . قال الشماخ :

طَوَتْ أحْشاء مُرْتَجَّةٍ لِوَقْتٍ على مَشَجٍ سُلالَتُهُ مَهِينُ

وقال الله جل وعز : من نُطْفَةٍ أمْشاجٍ نَبْتَلِيهِ . وفي الحديث : أقتُلوا مَسَانَّ المشركين واسْتَبقوا شَرْخَهُمْ . أي الشابَّ لأن الشرخ الحَدُّ . قال حَسَّانُ .

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْـ ـودَ ما لم يُعاصَ كان جنونا

وأنْشَدَنا عمرو بن مرزوق ، قال : أنشدنا سِماكُ بن حَرْبٍ في هذا الحديث .

إن شَرْخَ الشَّباب تأْلَفُهُ البِيْـ ـضُ وشَيْبُ القَذالِ شيءٌ زَهِيدُ

فأما قول الشَّنْفَرَى :

Marfat.com

كأنَّ لها في الأرضِ نَسْياً تَقُصُّهُ على أُمِّها وَإنْ تُحَدِّثْكَ تَبْلِتِ

فإنما أراد شدة استحيائها يقول : لا ترفع رأسها كأنها تطلب شيئاً في الأرض، والنَّسْيُ على ضربين ، أحدهما : ما تقـــادم عَهْدُهُ حتى يُنْسَى ؛ والآخر : ما أَضَلَّهُ أهلُهُ فيُطْلَبُ ويُطمَعُ فيه وتَقُصُّهُ تَتَّبِعُهُ . قال الله جل وعز : وقالتْ لأُخته قُصِّيهِ ، أي اتَّبِعِي أَثَرَهُ . والأَمُّ القصد . وقوله: وإن تحدثك تبلت تَقْطَعُ الحديثَ لاستحيائها . وأَنْشِدَ بَشَّارُ بن بُرْدٍ الأعمى قولَ كُثَيِّرٍ :

ألا إنما لَيْلَى عَصَا خَيْزُرانـــةٍ إذا غمزوها بالأَكُفِّ تلـــينُ

قال : فقال لِلّهِ أبو صَخْرٍ جعلها عصا ثم يَعْتَذِرُ لها والله لو جعلها عصا من مُخٍّ أو رُبْدٍ لكان قد هَجَّنها بالعصا ، ألا قال كما قلتُ :

وبَيْضاء المَحَاجِرِ من معَـــدٍّ كأنَّ حديثها قِطَعُ الجِنانِ
إذا قامتْ لِسُبْحَتِهـــا تَثَنَّـــتْ كأنَّ عِظامَها من خَـــيْزُرانِ

والخيزرانة كل غصن لين ينثني ، ويقال للمُرْدِيِّ خيزرانة إذا كان ينثني إذا اعْتُمِدَ عليه . قال النابغة :

يَظَلُّ من خوفه المَلاَّحُ مُعْتمدا بالخَيْزُرانةِ بعد الأَيْنِ والنَّجَدِ

الأَين الإعياء ، والنجد العرَقُ وقد عاب بعضُ الناس قول كثير :

فما رَوْضَةٌ بالحزْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمُجُّ النَّدَى جَثْجاثُها وعَرارُها
يُمْنْخَرَق من بطن وادٍ كأنمـــا تلاقَتْ به عَطَّارةٌ وتِجارُهـــا
بأَطْيَبَ من أَرْدان عَزَّةَ مَوْهِناً وقدأُرِقدَتْ بالمَنْدَلِ الرَّطْبِ نارُها

وحكى الزبيريون أن امرأة مَدينية عَرَضَتْ لكثير فقالت : أأنت

Marfat.com

الفائل هذين البيتين؟ قال ، نعم . قالت: فَضَّ الله فـــاكَ ، أرأيت لو أن زِنجِيَّةً بَخَّرَتْ أردانها بمنـــدل رطب أما كانت تطيب ، ألا قلت كما قـــال امرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَني كُلَّمَا جِئْتُ طارِقـــاً وَجَدْتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّبِ

قوله : جثجاثها وعرارها ، الجثجاث ريحانة طيبة الريح بَرِيَّـــةٌ من أحرار البقل . قال جرير يهجو خالِدَ عَيْنَيْنِ العَبْدِيَّ :

كم عَمَّةٍ لك يا خُلَيْـدُ وخالةٍ خُضْرٍ نَواجذُها من الكُرَّاثِ
نَبَتَتْ بَمَنْبِتِهِ فطاب لريحهـــا ونَأَتْ عن القَيْصومِ والجَثْجاثِ

وإنما هجاه بالكرّاث ، لأَن عبد القيس يسكنون البحرين والكراث من أطعمتهم ، والعامة يسمونه الرَّكْلَ والرَّكَالَ . قال أحد العَبْدِيَّيْن :

أَلا حَبَّذَا الأَحْسَا وطِيبُ تُرَابها ورَكَالُها غـــادٍ علينا ورائحُ

وقول كثيِّر : وعرارها ، فالعرار البَهارُ البَرِّيُّ وهو حسن الصُفْرةِ طيب الريحِ . قال الاعشى :

بيضاءُ ضَحْوَتَهـــا وَصفْراءُ العَشِيَّـــةَ كالعَراره

وقوله موْهناً يريد بعد هَدْءٍ ، يقال : أتانا بعدهده من الليل وبعد وَهْنٍ ، أي بعد دخولنا في الليل . وأنشد أبو زيد :

هَبَّتْ تَلومُكَ بعد وَهْن في النَّدَى بَسْلٌ عليكِ مَلامَتي وعتـــابي

والمُندَل العودُ ، يقال له المَنْدَلُ والمَنْدَليُّ . قال الشاعر :

أَمِنْ زينب ذي النارُ قُبَيْلَ الصبح ما تَخْبو
إذا ما خَمَدَتْ يُلْقَى عليها المَنْدل الرَّطْبُ

Marfat.com

قال أبو العباس : ذي معناه ذِهْ ، يقال : ذا عبدالله وذي أَمَةُ الله وتهْ أَمَةُ الله وتا أمة الله ، فإذا قلت : هذا عبدالله فالاسم ذا وها للتنبيه. وعلى هذا تقول: هذي أَمة الله وإن شئتَ أسكنت في الوصل ، فقلت : هَذِه أَمةُ الله . وإذا قلت : هَذِ هي أَمةُ الله فالياء زائدة لأَن هذه الهاء لما كانت في لفظ المضمر شبهوها به في زيادة الياء نحو مررت بهي يا فتى لا يجوز أَن تضم الهاء في هذه على قول من قال : مررت بهو لأَن هاء الاضمار أَصلها الضم، تقول : رأَيتهو يا فتى ورأَيتهم يا فتى . وهذه الهاء ليست من هذه إنما هي مشبهة . تقول : هاتِهِ هندٌ وهاتِيْ هندٌ وهاتا هند على زيادة ها للتنبيه . قال جرير :

هذي التي جَدَعَتْ تَيْماً مَعاطِسَها ثم اقْعُدي بعدها يا تَيْمُ أوقومي

وقال عِمْرانُ بن حِطَّانَ :

وليس لعيْشِنا هذا مَهــاهٌ وليستْ دارُنا هاتا بــدار

قال أبو العباس : النحويون يثبتون الهاء في الوصل ، فيقولون : مهاهٌ وتقديره فَعالٌ ، ومعناه اللَّمْعُ والبهاء ، يقال : وجه له مهاه يا فتى . والاصمعي يقول : مهاة ، تقديرها حصاةٌ ، يجعل الهاء زائدة ، وتقديرها في قوله فَعَلَةٌ ، والمَهاةُ البِلَّوْرَةُ ، والمَهاة البقرة الوحشية ، وجمعها المَها (حكى يعقوب ابن السكّيت مَهاة من اسماء الشمس وأنشد :

ثم يجلو الظلام رَبٌّ رَحِيمٌ بمَهــاةٍ ضِياؤُها مَنْشور)

فإذا صَغّرت ذِهْ قلت ذَيَّا ، كأَنك صغرت تا ولا تصغر ذه على لفظها لأَنك إذا صغرت ذا قلت : ذيّا ، فلو صغرت ذي ، فقلت : ذَيّــا

Marfat.com

لالتس المؤنث بالمذكر، فصغّروا ما يخالف فيه المؤنثُ المذكر. وهذه المبهمة يخالف تصغيرها تصغير سائر الأسماء. وسنذكر ذلك في باب نفردهُ له إن شاء الله تعالى. عاد القول إلى التشبيه، أنشدتني أمُّ الهَيْثَمِ في صفة جمل:

كأنَّ صوتَ نابِهِ بِنابِهِ صَريرُ خُطّافٍ على كُلّابِهِ

أرادت الصريف، وهو أن يَحُكَّ أحدَ نابَيْهِ بالآخر. وقوله: صرير خُطاف على كلابه، فالخطاف ما تدور عليه البَكَرَةُ، والكُلاب ما وليه. وقد قال النابغة:

مقذوفةٍ بدخيس النَحْض بازِلُها له صَريفٌ صَريفَ القَعْوِ بالمَدِّ

القعو، ما تدور عليه البكرة إذا كان من خشب، فان كان من حديد فهو خطاف، وإن دارت على حبل فذلك الحبل يسمى الدَرَكَ. وقوله: مقذوفة، يقول: مرمية باللحم، والدخيس الذي قد رَكِبَ بعضهُ بعضاً، والنحض اللحم، وبازلها نابها. ومعنى بَزَلَ وفطر واحد وهو أن ينشق الناب. قال ذو الرمة:

كأنَّ على أنيابها كُلَّ سُدْفَةٍ صِياحَ البَوازي من صَريف اللوائك

يقول: مما تلوكه. ويقال في الغضب: تركت فلاناً يَصْرِفُ نابُهُ عليك ويَحْرِقُ ويَحْرُقُ، ورأيته يَعُضُّ عليك الأُرَمَ. قال زهير في مدحه حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ (بن بدرٍ الفَزَارِيّ):

أَبى الضَيْمَ والنُعْمانُ يَحْرُقُ نابه عليه فأَفْضَى والسُيوفُ مَعاقِلُهْ

وقال آخر:

Marfat.com

نُبِّئْتُ أَحْماء سُلَيْمَى أَنمـــا ظَلوا غِضَاباً يَعْلُكُون الارْمَا

وقال بعض النحويين : يعني الشِّفاه . وقال بعضهم : يعني الاصابع. فأما قولهم عض على ناجذه ،هو آخر الأسنان فيكون على وجهين : أحدهما أنه قال قد اختنك والمغَ ، والآخران يكون لِلإِطْراق والتشدد . ويروى عن علي بن أَبيْ طالب رضي الله تعالى عنه إنه كان يقول : إذا لقيتم القوم فاجمعوا وعَضُّوا على النَّوَاجذ فإن ذلك يَنْني السيوفَ عن الهـــام .

ثم نعود إلى التشبيه ، قال الراجز (وهو أبو النجم) .

كأنها حـــين تَناهَى الباسُ جِنَّيَـــةٌ في رأسها أَمْراسُ
بها سكونٌ وبهـــا شِماسُ يخرج منها الحَجَرُ الكُباسُ
يمرّ لا يَحْبِسُه حَبَّـــاسُ لا نافذ الطَّعْنِ ولا تَرَّاسُ

يصف المَنْجَنِيقَ ، والأمراس الحبال، الواحد مَرَسَةٌ ، والكُباسُ الضخم . يقال ، هامة كَبْســاء يا فتى ورأس أَكْبَسُ ، والحَبَّاسُ الذي من شأنه أن يحبس . يقال ، رجل ضارب للذي يضرب كثيراً كان منه ذلك أو قليلا، فاذا قلت ضَرَّابٌ وقَتَّالٌ فإنما يُكَثِّرُ الفعل ، ولا يكون للقليل . قال الراجز.

أَخْضَرُ من مَعْدِنِ ذي قُساسِ كأنه في الحَيدِ ذي الأَضْراس
(يُرْمَى به في البـــلد الدَّهاسِ)

يصف معْولاً وذو قُساسٍ معدن للحديد الجيد ، وهو يقرب من بلاد بني أَسدٍ . والحيدُ ما أشرف من الجبل أو غير ذلك . يقال . للطنف حَيْدٌ ، وهو الذي يسميه أهل الحَضَرِ الأَفريزَ ، يقال : طَنِّفْ حائطَك ، ويقال للناتىء وسط الكتف حَيْدٌ وعَيْرٌ وكذا الناتىء في القدم . وقوله :

Marfat.com

ذي الأَضراس يريد الموضع الضَرِسَ الخَشِنَ ذا الحجارة . فيقول : هـذا المِعْوَلُ لِحِدَّتِهِ يقع في الخشونة فيهدمها كما يهدم الدُهاسُ ما لان من الرمل. قال دُرَيْدُ بن الصِمَّةِ في يوم حُنَيْنٍ : أين مُجْتَلَدُ القوم ؟ فقالوا : بأوْطاس. فقال : نِعْمَ مَجالُ الخيل لا حَزْنٌ ضَرِس ولا لَيِّنٌ دَهِسٌ . وقال العَجّاجُ يَصِف حماراً :

كأن في فيهِ إذا ما شَجا عُوداً دُوَيْنَ اللَهواتِ مُوَلجا

هذا يوصف به العَيْرُ الوحشيّ إذ أَسَنَّ تراه لا يشتدّ نَهيقُهُ وكأنـه يعالجه علاجاً . قال الشَمّاخُ :

إذا رَجَّعَ التعسيرَ شَجّا كأنّـه بناجِذِهِ من خَلْفِ قارِحِهِ شَجِي

فأما قول عَنْترةَ :

بَرَكَتْ على ماء الرِداعِ كأنما بركَتْ على قَصَبٍ أَجَشَّ مُهَضَّمَ

فإنما يصف الناقة ، ويذكر حنينها ، يقال انه يخرج منها كأشجى صوت فإنما شبهه بالزَمير وأراد القَصَب الذي يُزْمَرُ به . قال الاصمعي : هو الذي يقال له بالفارسية ناي . قال الراعي يصف الحادي :

زَجِلُ الحداء كأنَّ في حَيْزومِهِ قَصَباً ومُقْنِعَة الحنينِ عَجولا

المُقْنِعُ : الرافع رأسه في هذا الموضع ، ويقال في غيره الذي يحط رأسه إستخذاء وندماً . وقال الله جل وعز : مُقْنعي رؤوسهم . ومن قال : هو الرافع رأسه ، فتأويله عندنا أنه يتطاول فينظر ثم يطأطىء رأسه فهو بَعْدُ يرجع إلى الإغضاء والانكسار . والبعير يحن كأشد الحنين إلى أَلّافِه إذا أُخِذَ من القطيع ، قال وأكثرُ ما يَحِنُّ عند العطش . قال الشاعر :

Marfat.com

(وتفرّقوا بعد الجميعِ لنِيَّةٍ لا بُدَّ أن يتفرّق الجيرانُ)

لا تصبرُ الإبلُ الجِلاد تفرقت بعد الجميع ويصبر الإنسانُ

وقال آخر .

وهل ريبةٌ في أَن تَحِنَّ نجِيبةٌ إلى إلْفها أو أن يحنَّ نَجِيبُ

وإذا رَجَّعَتِ الحنين كان ذلك أحسن صوت يهتاج له المفارقون ، كما يهتاجون لنوح الحَمام ولالتياح البُروق . وقال عَوْفُ بن مُحَلِّم وسمع نوحَ حمامة :

ألا يا حَمامَ الأَيْكِ إلْفُكَ حاضرٌ وغصنك مَيَّالٌ ففيم تنوح

أَفِقْ لا تَنُحْ من غير شيء فإنني بَكيتُ زماناً والفؤادُ صحيح

ولَوعاً فَشَطَّتْ غَرْبَةً دارُ زينب فها أنا أبكي والفؤادُ قَريحُ

وكل مُطَوَّقةٍ عند العرب حمامةٌ كالدُّبسيِّ والقُمْرِيِّ والوَرَشانِ وما أشبه ذلك . قال حُمَيْدُ بن ثَوْرٍ :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ دَعَتْ ساق حُرٍّ تَرْحةً وتَرَنُّما

إذا شئتُ غَنَّتْني بأجزاع بيشةٍ أو النَخْل من تَثْليثَ أو بَيْلَمَلَما

مُطَوَّقةٌ خَطْباء تَسْجَعُ كُلَّما دنا الصيفُ وانجالَ الربيعُ فأنْجَما

مَحَلَّاةُ طَوْقٍ لم يكن من تَميمةٍ ولا ضَرْبَ صَوَّاغٍ بكفَّيْهِ درْهما

تَغَنَّتْ على غصن عِشاءً فلم تَدَعْ لنائحةٍ في شَجْوها مُتَلَوَّما

إذا حرّكته الريحُ أو مال مَيْلَةً تَغَنَّتْ عليهِ ماثلاً ومُقَوَّما

عجبتُ لها أنَّى يكون غِناؤُها فَصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقها فما

فَلم أر مثلي شاقَهُ صوتُ مثلها ولا عَرَبيًّا شاقَهُ صوتُ أعجما

Marfat.com

وقال ابن الرِقاع وذكر حمامة :

(ومما شَجاني أنني كنتُ نائماً أُعَلَّلُ من بَرْدِ الكرَى بالتَنَشُّمِ
إلى أن بَكَتْ ورقاء في غصن أيْكةٍ تردد مَبْكاها بحسن الترنّم)

فلو قبْل مَبْكاها بكيتُ صَبابةً بسُعْدَى شفيتُ النفسَ قبل التَنَدُّم
ولكنْ بكتْ قبْلي فهاج لي البكا بُكاهـا فقلتُ الفَضْلُ للمتقدّم

أما قول حميد : دعت ساق حر فإنما حكى صوتها . ويقال للواحد ذكراً كان أو أنثى حمامة والجمع الحَمام والحَمامات . فإذا كان ذكراً قلت هذا حمامة ، وإذا كانت أنثى قلت هذه حمامة ، وكذلك هذا بطّةٌ وهذه بَطّةٌ . ويقال بقرة للذكر والأُنثى ودجاجة لهما ، فإذا قلت ثور أو ديك بَيَّنْتَ الذكر واستغنيت عن تقديم التذكير . ويقال للحمامة تَغَنَّت وناحت وذاك أنه صوت حسن غير مفهوم ، فَيُشَبَّهُ مرةً بهذا ومرةً بهذا . قال قَيْسُ بن مُعاذ :

ولو لم يَشُقْني الظاعنونَ لَشاقَني حمائمُ وُرْقٌ في الديار وُقـوع
تجاوَبْنَ فاسْتَبْكَيْنَ من كان ذا هَوَى نوائِـحَ ما تجري لهنَّ دموع

وقوله : وانجالَ الربيع ، يقال انجال عنا أي أقلع ، ومثل ذلك أَنْجَمَ عنا ، وإن قلت أَثْجَمَ فمعناه لزم ووقع فهو خلاف أنجم . وإن قلت انجاب فمعناه انشقّ . يقال المِجوَبُ للحديدة التي يُثْقَبُ بهـا العَسيبُ . ويقال جُبْتُ البلاد ، أي دخلتها وطوّفتُها . وفي القرآن : وثَمودَ الذين جـابوا الصخر بالواد ، أي شقوه . وقوله : لم يكن من تميمةٍ ، التميمةُ المعاذةُ وقد مضى هذا وقوله : ولم تَفْغَرْ بمنطقها فماً ، يقول لم تفتح ، يقال فَغَرَ

Marfat.com

فاه إذا فتحه (حكى ثعلب فَغَرَ فاه وفَغَرَ نفسَهُ . وكذلك شَحَا فاه وشَحَا نفسهُ) وقوله : ولا عربياً شاقه صوت أعجما ، يقول : لم أفهم ما قالت ، ولكني استحسنتُ صوتها واستحزنته فحنت له . ويروى أن بعض الصالحين كان يسمع الفارسية تنوح ولا يدري ما تقول ، فيبكيه ذلك ويرقّقه ويذكر به غير ما قصدتْ له . وَحُدِّثْتُ أن بعض المُحْدَثين سمع غِناء بخراسان بالفارسية فلم يَدْرِ ما غيرَ أنه شَوَّقَهُ لشَجاه وحُسنه . فقال في ذلك :

حَمِدْتُكَ ليلةً شَرُفَتْ وَطابَتْ أقام سُهادُها ومَضَى كَراها
سمعتُ بها غِناءً كان أوْلى بأن يَقتاد نفسي من غِناها

الغناء الأول الممدود من الصوت . والذي ذكره بعد في القافية من المال المقصور :

ومُسْمِعَةً يَحارُ السمعُ فيها ولا تُصْمِتْهُ لا يَصْمَمْ صَداها
مَرَتْ أوتارَها فَشَفَتْ وشاقَتْ فلو يَسْطِيعُ حاسدُها فداها
ولم أفهم معانيها ولكن وَرَتْ كَبِدِي فلم أَجْهَلْ شَجاها
فكنتُ كأنني أَعمى مُعَنًّى بحبِّ الغانيات وما يراها

(وقال عَبْدُ بني الحَسْحاس :

وراهُنَّ ربي مثلَ ما قد وَرَيْنَني وأَحْمَى على أكبادهنَّ المَكاوِيا)

قال أبو العباس : والشيء يذكر بالشيء وإن كان دونه ، فنجري لاحتواء الباب والمعنى عليهما . وفي شعر حُمَيْدٍ هذا ما هو أَحْكَمُ مما ذكرنا وأوعظُ وأحرَى أن يتمثّل به الاشراف وتُسَوَّدَ به الصحفُ .

وهو قوله :

Marfat.com

أرَى بَصَري قد رابني بعد صِحَّةٍ وحَسْبُك داءً أن تَصِحَّ وتَسْلَما
ولا يَلْبَثُ العَصْرانِ يومٌ وليـلة إذا طلبـا أن يُدْرِكا ما تَيَمَّما

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : كَفَى بالسَّلامة داءً . ثم نرجع إلى التشبيه ، والعرب تُشَبِّهُ على أربعة أضرب فتشبيه مُفْرطٌ وتشبيه مُصيب ، وتشبيه مقارِب وتشبيه بعيد يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه . وهو أخشن الكلام . فمن التشبيه المفرط المتجاوِز قولهم للسَّخِيِّ هو كالبَحْرِ وللشجاع هو كالأَسد وللشريف سَما حتى بَلَغَ النجمَ . ثم زادوا فوق ذلك ، فمن ذاك قولُ بعضهم . (وهو بَكْرُ بن النَّطَّاحِ . يقوله لابي دُلَفَ القاسم بن عيسى) .

له هِمَمٌ لا مُنْتَهَى لكِبارها وهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَجَلُّ من الدهر
له راحة لو أَن مِعْشارَ جُودِهـا على البَرِّ صارَ البَرُّ أَنْدَى من البحر
ولو أَنَّ خَلْقَ اللهِ في مَسْكِ فارِسٍ وبارَزَهُ كان الخَلِيُّ من العُمْرِ

وقد قيل إن امرأة عِمْرانَ بن حِطَّانَ قالت له أما زعمتَ أنك لم تكذب في شعر قَطُّ . قال أو فعلتُ . قالت أنت القائل :

فهنـاك مَجْزَأَةُ بن ثَوْ رٍ كان أَشْجَعَ من أُسامَـه

أفيكون رجل أشجع من الأسد ؟ قال فقال : أنا رأيتُ مجزأة فتحَ مَدينة والأسد لا يفتح مدينة . ومن عجيب التشبيه في إفراط غير أنه خَرَجَ في كلام جيد وعُنِيَ به رجلٌ فخرج من الاحتمال الى باب الاستحسان ثم جُعِلَ لجودة ألفاظه وحُسن رَصْفِهِ واستواء نظمه في غاية ما يُسْتَحْسَنُ قولُ النابغة يعني حِصْنَ بن حُذَيْفَةَ (بن بَدْرِ بن عمرو الفَزَارِيُّ) :

يقولون حِصْنٌ ثم تأبى نفوسهم وكيف بِحِصْنٍ والجبالُ جُنوحُ

Marfat.com

ولم تَلْفِظِ الموْتَى القُبورُ ولم تَزُلْ نجومُ السماء والأَديمُ صحيح
فعَمَّا قليل ثم جاء نَعِيُّـهُ فَظَلَّ نَـدِيُّ الحَيِّ وهو يَنُوح

ومن تشبيهِهم المتجاوِزِ الجيدِ النَّظْمِ ما ذكرناه وهو قول أبي الطَّمَحان :

أضاءتْ لهم أحسابُهم ووجوهُهُمْ دُجَى الليلِ حتى نَظَّمَ الجِزْعَ ثاقبُهْ

ويروى عن الأصمعي أنه رأى رجلاً يختال في أُزَيِّرٍ في يومٍ قُرَّ في مِشْيته فقال له : ممن أنتَ يا مَقْرورُ . فقال أنا ابن الوَحيد أمشي الخَيْزَلَى ويُدْفئُني حَسَبي. وقيل لآخر في هذه الحـــال أما يوجِعُكَ البَرْدُ ؟ فقال : بَلَى والله ولكني أذكر حسبي فَأَدْفَأُ . وأَصوَبُ منها قولُ العريان الذي سُئِلَ في يوم قُرٍّ عما يجد فقال : ما عليَّ منه كبيرُ مؤنة . وقيل وكيفَ؟ فقال دام بي العُرْيُ فاعتاد بدني ما تعتاده وجوهكم . ومن التشبيه القاصِد الصحيح قولُ النابغة :

وَعيدُ أَبي قابوسَ في غير كُنْهِهِ أتاني ودوني راكسٌ فالضَّواجِعُ
فَبِـتُّ كأني ساوَرَتْني ضَئيـلة من الرُّقْشِ في أنيابها السُّمُّ ناقعُ
يُسَهَّدُ من نوم العشاء سليمها لِحَـلْيِ النساءِ في يَدَيْهِ قعاقع
تَنَاذَرَها الراقونَ من سوء سُمِّها تُطَلَّقُهُ طَوْراً وَطَوْراً تُراجعُ

فهذه صفة الخائف المهموم . ومثل ذلك قول الآخر .

تَبيتُ الهموم الطارقاتُ يَعُدْنني كما تَعْتَرِي الأَوْصابُ رأسَ المُطَلَّقِ

والمطلق هو الذي ذكره النابغة في قوله . (تطلقه طوراً وطوراً تراجع) وذاك أن المنهوش إذا أَلَحَّ الوجعُ به تارة وأَمْسَكَ عنه تارةً ، فقد قارب أن يُؤْأس من بُرْئه وإنما ذَكَرَ خوفه من النعمان ، وما يعتريه من لَوْعةٍ في أَثَر لوعةٍ، والفَتْرةَ بينهما والخائف لا ينام إلا غِراراً فلذلك شبَّهه بالملدوغ المُسَهَّدِ . وقوله :

Marfat.com

لحلى النساء في يديه قعاقع ، لأنهم كانوا يعلّقون حُليّ النساء على المدوغ يزعمون أن ذلك من أسباب البرء . لأنه يسمع تَقَعْقُعَها فيمنعه النوم فلا ينـــام فَيَدِبُّ فيه السَّمُّ ويُسَهَّدُ لذلك . وقال الآخر :

كأنَّ فِجاجَ الأرض وهي عريضةٌ على الخائف المطلوب كُفَّةُ حابِل
يُؤَتَّى إليـــه أن كل ثَنِيَّـــةٍ نَيَمَّمَها ترمي اليه بقاتـــل

يقال لكل مستطيل كُفَّـةٌ . يقال كُفَّةُ الثوب لحاشيته وكُفَّـةُ الحابل إذا كانت مستطيلة . ويقال لكل شيء مستدير كِفَّةٌ . ويقال ضَعْهُ في كِفَّةِ الميزان . فهذه جملة هذا . وكُفَّةُ الحابل يعني صاحب الحبالة التي ينصبها للصَّيد . وأما التشبيه البعيد الذي لا يقوم بنفسه فكقوله :

بل لو رأتني أُختُ جيرانِنـــا إذ أنا في الدار كأني حمـــار

فإنما أراد الصحة فهذا بعيد لان السامع إنما يستدل عليه بغيره . وقال الله جل وعز ، وهذا البيِّن الواضح: كَمَثَلِ الحمار يَحْمِلُ أسفارا والسِّفْرُ الكتابُ . وقال : مَثَلُ الذين حُمِّلُوا التوراة ثم لم يحملوها كَمَثَل الحمار ، في أنهم قد تَعامَوا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرِها ونهيها ، حتى صاروا كالحمار الذي يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها . وهجا مروان بن سليمان ابن يَحْيى بن أبي حَفْصَةَ من رواة الشعر بأنهم لا يعلمون ما هو على كثرة استكثارهم من روايته فقال :

زَواملُ للأشعار لا عِلْمَ عندهم بجَيِّدِها إلا كعِلْمِ الاباعـر
لَعَمْرُكَ ما يَدْري البعيرُ إذا غدا بأوساقه أرواحَ ما في الغرائر

والتشبيه كما ذكرنا من أكثر كلام الناس . وقد وقع على ألسُنِ الناس

Marfat.com

من التشبيه المستحسن عندهم وعن أصل أخذوه أن شبهوا عين المرأة والرجل بعين الظبي أو البقرة الوحشية . والانفَ بحَدّ السيف والفمَ بالخاتَمَ والشّعرَ بالعَناقيد والعنقَ بابريق فضة والساقَ بالجُمَّارِ ، فهذا كلام جارٍ على الأَلْسُنِ. وقد قال سُراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ : فرأيت رسول الله ﷺ وساقاه باديتان في غَرْزِهِ كأنهما جُمَّارتانِ فَأَرَدْتُـــهُ ، فوقعت في مِقْنَبٍ من خيل الأنصار فَقَرَّ عوني بالرِّماح ، وقالوا أين تُريدُ . وقـــال كعب بن مالك الأنصاري : وكان رسول الله ﷺ ، إذا سُرَّ تَبَلَّجَ وجهُه فصار كأنـــه البَدْرُ . وعينُ الإنسان مشبهة بعين الظبي والبقرة في كلامهم المنثور وشعرهم المنظوم من جاري ما تكلمتْ به العرب ، وكثير في أشعارها قال :

فَعَيْناكِ عَيْناها وجيدُكِ جِيدُها ولكنَّ عظمَ الساقِ منكِ دَقيق

(وقال ذو الرمة) :

أرى فيك من خَرْقاءَ يا ظَبْيةَ اللَّوَى مُشابِهَ جُنَّبْتِ اغتلاقَ الحبائـــل
فعيناكِ عيناها وجيدك جيدُهـــا ولونُكِ إلا أنهـــا غَيْرُ عاطِـــلِ

وقال الآخر :

فلم تَرَ عيني مثلَ سِرْبٍ رَأَيتُـــهُ خَرَجْنَ علينا من زُقاقِ ابن واقِفِ
طَلَعْنَ بأعناق الظِبـــاء وأعين الجَـــآذِرِ وامْتَدَّتْ بهنَّ الرَّوادِفِ

ويقال للخطيب: كأن لسانه مِبْرَدٌ ، فهذا الجاري في الكلام. كما يقال : للطويل كأنه رُمْحٌ . ويقال للمُهْتَزِّ للكَرَم كأنه غُصنٌ تحت بارِحٍ . ومن مليح التشبيه قول القائل :

لَعَيْناكَ يوم البَيْنِ أسرَعُ واكفاً من الفَـنَنِ الممطورِ وهـو مَروحُ

Marfat.com

وذاك أن الغصن يقع المطر في وَرَقِهِ فيصير منها في مِثْلِ المَدَاهن فإذا هَبَّتْ به الريحُ لم تُلَبِّثْهُ أن تُقَطِّرَهُ . ثم نذكر بعد هذا طرائف من تشبيه المُحْدَثين ومَلَاحاتهم فقدشرطناه في أول الباب إن شاء الله . قال أبو العباس : ومن أكثرهم تشبيهاً لاتساعه في القول وكثرة تَعَنُّنِهِ ، واتساع مذاهبه الحسنُ بن هانىء ، قال في مديحه الفَضْلَ بن يحيى بن خالد بن بَرْمَك :

وكنا إذا ما الحائنُ الجَدُّ غَرَّهُ سَنى بَرْقِ غارٍ أو ضَجيجُ رِعاد
تَرَدَّى له الفضلُ بن يحيى بن خالد بماضي الظُّبَى أزهاهُ طولُ نِجاد
أمامَ خميسٍ أرْجُوانٍ كأنه قَميصٌ محوكٌ من قَنَا وجِياد
فما هو إلا الدهرُ يأتي بصَرْفِهِ على كل مَنْ يَشْقَى به ويُعادي

قوله الحائن الجد ، يقال : حان الرجلُ إذا دنا موته . ويقال : رجل حائنٌ ، والمصدر الحَيْنُ ، والجَدُّ الحظُّ ، والجَدُّ والجِدَّةُ مفتوحان ، فإذا أردتَ المصدر من جَدَدْتُ في الأمر قلت أَجِدُّ جِدًّا مكسور الجيم . ويقال جَدَدْتُ النخل أَجُدُّهُ جَدًّا إذا صرمته . ويقال : جَذَذْتُهُ جَذًّا وتركت الشيء جُذاذاً إذا قطعته قِطعاً . ويُرْوى هذا البيتُ لجرير على وجهين :

آلُ المُهَلَّبِ جَدَّ اللهُ دابرَهم أضحَوْا رَماداً فلا أَصْلٌ ولا طَرَفُ

ويروى جَذَّ ، وقرأ بعض القرّاء عَطاءً غير مَجْذوذ . فأما قوله : فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً ، فلم يُقرأ بغيره . ويقال : كم جِذاذُ نَخْلِكَ ، أي كم تَصْرِمُ منها . ويروى في قول الله جل وعز : وأنه تعالى جَدُّ رَبِّنا ، عن أنس بن مالك ، غِنَى ربنا . وقرأ سعيد بن جبير جَدًّا ربُّنا ، ولو قرأ قارىء

Marfat.com

جدًّا رُبْنا على معنى جِدٌ رَبّنا لم يُقْرأ به لتغير الخط . وكذا قراءة سعيد مخالِفةُ الخطِّ . وهذا الشعر يُنْشَدُ بالكسر :

أَجِدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيلةً فَتَرْقُدَها مَعَ رُقّادِها

ومثله (قول الاعشى) :

أَجِدَّكَ لم تَسْمَعَ وصاةَ محمدٍ رسولِ الإله حين أوْصَى وأَشْهدا

لأن معناه أَجِدًّا منك على التوقيف ، وتقديره في النصب أَتَجِدُّ جِدًّا . ويقال : امرأة جَدّاءُ ، إذا كانت لا ثَدْيَ لها فكأنه قُطِعَ منها لأن أصل الجدِّ القطع . ويقال : بلدة جَدّاءُ إذا لم تكن بها مياهٌ . قال الشاعر :

وجَدّاءَ ما يُرْجَى بها ذو هَوادةٍ لِعُرْفٍ ولا يَخْشى السُّماةَ رَبيبُها

(القَرابةُ والهَوادةُ في المعنى واحد . قال أبو الحسن : السُّماةُ هم الصادَةُ نصفَ النهار . ورُوِيَ عن بعض أصحابنا عن المازني قال : إنما سُمّي ساماً بالمِسْماةِ ، وهو خفٌّ يَلْبَسُهُ لئلا يسمع الوحشُ وَطْأه ، وهو عندي من سَمَا للصيد) ويُنْشَدُ هذا البيت :

أَبَى حُبيّ سُلَيْمَى أن يَبيدا وأَصْبَحَ حَبْلُها خَلَقاً جديدا

يقول : أصبح خَلَقاً مَقْطوعاً ، لأن جديداً في معنى مَجْدودٍ أي مقطوع ، كما تقول قتيل ومقتول وجَريحٌ ومجروح . ويقال في غير هذا المعنى رجل مَجْدودٌ إذا كان لا حَظَّ له أي حظ ، وفي الدعاء : ولا يَنْفَعُ ذا الجَدِّ منك الجَدُّ ، أي مَنْ كان له حظ في دنياه لم يَدْفَعْ ذلك عنه ما يريد الله به ، ولو قال قائل : ولا ينفع ذا الجِدِّ منك الجِدُّ يريد الاجتهادَ لكان وجهاً . وقوله : سنى برق غارٍ ، والسنى من الضياء مقصور . قال الله

Marfat.com

جل وعز : يكاد سَنى بَرْقِه يذهب بالأبصارِ ، والسَّناءُ من المَجـــدِ ممدود ، وقال الشاعر :

وهم قومٌ كِرامُ الحَيِّ طُـــرًّا لهم خَوَلٌ إذا ذُكِرَ السَّناء

وضربه الحسن ههنا مَثَلاً وجمع الرَّعْدَ فقال رِعـــادٌ كقولك كَلْبٌ وكِلابٌ وكَعْبٌ وكِعاب . وقوله بماضي الظُّبَى ، ظُبةُ كل شيء حَدُّهُ ، يقال : وخَزَهُ بظبة السيف يراد بذلك حَدُّ طَرَفِهِ . وقوله أزهاه طول نجاد ، النجاد حمائلُ السيف ، وأزهاه رفعه وأعلاه . والرجل يُمْدَحُ بالطول فلذلك يُذْكَرُ طولُ حمائله . قال مَرْوانُ بن أبي حَفْصةَ يمدح المَهْديَّ .

قَصُرَتْ حمائـلُهُ عليه فَقَلَّصَتْ ولقد تَأَنَّقَ فَيْنُهـــا فأطالها

وقال الحسن بن هانىء يمدح محمداً الأمين :

سَبْطُ البَنانِ إذا احتَبَى بنِجادِهِ غَمَرَ الجَماجِمَ والسِماطُ قِيامُ

وقال جرير للفرزدق :

تعالَوْا فقاتُونا ففي الحُكْمِ مَقْنَعٌ الى الغُرِّ من أهْلِ البِطاحِ الأكارِمِ
فاني لأَرْضَى عَبْدَشمسٍ وما قَضَتْ وأرْضَى الطَّوالَ البِيضَ من آل هاشم

وقال الآخر :

لما الْتَقَى الصَّفَّانِ واخْتَلَفَ القَنا نِهالاً وأسبابُ المَنايا نِهالُها
تَبَيَّنَ لي أنَّ القَمامَـــةَ ذِلَّةٌ وأن أشدَّاءَ الرجـــالِ طِوالُها

وقوله أمام خميس : الخَميسُ ههنا الجيش ، وكذلك قال رَبيئةُ أهل خَيْبَرَ لما أطلَّ رسولُ الله ﷺ عليهم : محمدٌ والخَميسُ ، أي والجيشُ ، وقال الشاعر وهو طَرَفةُ :

Marfat.com

وأيُّ خميسٍ لا أَفَأْنا نِهابَـــهُ وأسيافُنا يَقطُرْنَ من كَبْشِهِ دما

افأنا رَدَدْنا يقـــال : أَفاءه يُفيء إذا رَدَّ ، والأُرْجُوانُ الاحمر ، قال الشاعر :

عَشِيَّةَ غادَرَتْ خَيْلي حُمَيْداً كأنَّ عليه حُلَّةَ أُرْجُوانِ

والجِياد الخيلُ . وفي القرآن : إذْ عُرِضَ عليـــه بالعَشِيِّ الصافناتُ الجِيادُ . ومن تشبيه الجيد في هذا الشعر الذي ذكرنا قوله :

تَرَى الناس أفواجاً إلى باب داره كأنهمُ رِجْـــلا دَبَى وجَرادِ

فَيَوْمٌ لِإلْحاقِ الفَقير بذي الغِنى ويومُ رِقابٍ بُوكِرَتْ لحصـــاد

ومن التشبيه الجيد قوله : أي أبي نُواسٍ الحسن بن هانيء) :

فكأني بما أُزَيِّنُ منهـــا قَعَـــدِيٌّ يُزَيِّنُ التَّحْكـــيما

وفي سبب هذا الشعر أن الخليفة تَشَدَّدَ عليه في شرب الخمر وحبسه من أجل ذلك حبساً طويلاً فقال :

أيُّها الرائحانِ باللَّوْمِ لُومـــا لا أذوقُ المُـــدامَ إلا شَميما

نالَني بالمَلام فيها إمـــامٌ لا أرى لي خِلافَـــهُ مُستقيما

فاصرِفاها إلى سِوايَ فـــإني لَسْتُ إلا على الحديث نَديما

كُبْرُ حَظّي منها إذا هي دارتْ أن أراهـــا وأن أَشَمَّ النَّسيما

فكأني بمـــا أُزَيِّنُ منهـــا قَعَـــدِيٌّ يزيِّنُ التحكـيما

لم يُطِقْ حَمْلَهُ السلاحَ إلى الحرْ بِ فأوْصى المُطيـق الا يُقيما

فهذا المعنى لم يسبقه اليه أحد . قال : وحُدِّثْتُ أن العمانيَّ الراجز أنشد الرشيدَ في صفة فرس :

Marfat.com

كأنَّ أُذْنَيْـــهِ إذا تَشَوَّفـا قادمةً أو قلَمـــاً مُحَرَّفـــا

فعلم القوم كلهم أنه قد لحن ولم يهتد منهم أحد لإصلاح البيت إلا الرشيدُ فانه قال له قل : (تَخالُ أذنيه إذا تشوفا) والراجز ، وإن كان لحن فقد أحسن التشبيه. ويروى أن جريراً دخل إلى الوليد وابنُ الرِّقاعِ العامليُّ عنده يُنْشِدُهُ القصيدة التي يقول فيها :

غَلَبَ المَساميحَ الوليدُ سَماحةً وكَفَى قُرَيْشَ المُعْضِلاتِ وسَادَها

قال جرير : فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية :

(تُزْجِي أَغَنَّ كأنَّ إبْرةَ رَوْقِهِ) . قال : فقلت في نفسي وقع والله ما يقدر أن يقول أو يُشَبِّه به قال فقال : (قَلَمٌ أصاب من الدَّواة مِدادَها) قال : فما قدرت حسداً له أن أقيم حتى انصرفت. ومن تشبيهه الحسن الذي نستطرفه قوله :

تُعاطيكَها كَفٌّ كأنَّ بَنانَهـــا إذا اعْتَرَضَتْها العينُ صَفٌّ مَداري

ومن التشبيه المليح قوله :

وكأن سُعْدَى إذ تُوَدِّعنـــا وقد اشْرَأبَّ الدَّمعُ أن يَكِفا
رَشأٌ تواصَيْنَ القِيانُ به حتى عَقَدْنَ بأُذْنِهِ شُنُفا *

(يقال : أشْرَأبَّ لأن يكلمني إذا تهيأ لكلامك ، وأشْرَأبَّ الدمعُ إذا تهيأ للوكْفِ) وفي هذا الشعر من التشبيه :

خَبِّرْ فُؤادَكَ أو سَتُخْبِرُهُ قَسَماً لَتَنْتَهِيَنَّ أو حَلِفا
الحبُّ ظهرٌ انت راكِبُهُ فإذا صرفتَ عِنانَهُ انْصَرَفا

ومن التشبيه الجيد قوله :

* تواصين القيان: فاعلان لفعل واحد على لغة «أكلوني البراغيث». شنفا: حلقة خزام للتجمل

Marfat.com

إليكَ رَمَتْ بالقوم خوصُ كأنما جَماجِمُها فوق الحِجاجِ قُبور

وله أيضاً :

سَأَرْحَلُ من قُودِ المَهارى شِمِلَّةً مُسَخَّرةً ما تُستَحَثُّ بحادي
مع الريح ما راحتْ فإن هي أعصَفتْ نَهوزٌ برأسٍ كالعَلاةِ وهادي

العلاة السِنْدان قال جرير :

أيَفْخَرُ بالمُحَمَّمِ قَيْنُ لَيْلى وبالكِيرِ المُرَقَّعِ والعَلاةِ

وقال الحسن بن هانيء في صفة السفينة :

بُنِيَتْ على قَدَرٍ ولا أمَ بينَها طَبقانِ من قِيرٍ ومن أَلْواح
فكأنها والماءُ يَنْطِحُ صَدْرَها والحَيْزُرانةُ في يدِ الملّاح
جَوْنٌ من العِقْبانِ يَبْتَدِرُ الدُجى يَهْوِي بصَوْتٍ واصْطفاقِ جَناح

وقال في شعر آخر ، يصف الخمر ويذكر صفاءها ورِقتها وضياءها وإشراقها :

إذا عَبَّ فيها شاربُ القومِ خِلْتَهُ يُقَبِّلُ في داجٍ من الليل كَوْكباً

فأما قوله :

بَنَيْنا على كسْرَى سَماءَ مدامَةٍ جَوانِبُها مَحْفوفةٌ بنجوم
فلو رُدَّ في كسْرَى بن ساسان روحُهُ إذاً لاصطفاني دون كل نديم

فإنما كانت صورة كسرى في الإناء . وقوله : جوانبها محفوفة بنجوم ، فإنما يريد ما تَطَوَّقَ به من الزَبَد ، وقد قال في أخرى (أولُ الشعر من غير الأُمّ :

ودارِ نَدامى خَلَّفوها وأدْلَجوا بها أثَرٌ منهم جَديدٌ ودارسُ

Marfat.com

مساحِبُ من جَرِّ الزِقاقِ على الثَرَى وأضغاثُ رَيْحَانٍ جَنِيٌّ ويابس
حَبَسْتُ بها صَحْبي فَأَلَّفْتُ شملهم وإني على أمثال تلك لَحابسُ)
أقمنا بها يوماً ويوماً وليـــلةً ويوماً له يوم التَرَحُّلِ خامسُ
تُدَارُ علينا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ حَبَتْها بأنواع التَصاوير فارِسُ
قرارتُها كِسْرَى وفي جَنَباتهـــا مَهاً تَدَّريهـــا بالقِسِيِّ الفَوارِسُ
فلِلْخَمْرِ ما ذُرَّتْ عليه جُيوبُها وللماء ما دارَتْ عليه القَلانِسُ

العسجدية منسوبة إلى العَسْجَدِ ، وهو الذهب . وقال المُثَقِّبُ العبدي :

قالت : ألا لا تَشْتَري ذاكُم إلا بما شِئْنا ولم يُوجَدِ
إلا بِبَدْرَيْ ذهبٍ خالصٍ كلَّ صَباحٍ آخرَ المُسْنَدِ
من مال مَنْ يَجْبي ويُجْبى لـــه سبعون قِنطاراً من العسجد

وقوله : تَدَّريها أي تَخْتِلُها . يقـــال دَارَيْتُ الصَيد إذا خَتَلته قال الأخطل :

وإن كنتِ قد أقصدتِني إذ رَمَيْتِني بسَهْمِكِ والرامي يصيد وما يَدْرِي

وقال الحسن بن هانىء :

ما حَطَّكَ الواشونَ من رُتْبةٍ عندي ولا ضَرَّكَ ما اغتابوا
كأنهـم أثنَوْا ولم يَعْلمـوا عليك عنـدي بالذي عـابوا

وهذا المعنى عندي مأخوذ من قول النعمان بن المنذر لحَجْل بن نَضْلةَ . وقد ذُكر معاوية بن شَكَلٍ فقال : أَبَيْتَ اللعن انه لَقَعْوُ الأَلْيتينِ مُقْبَلُ النعلين فَحِجُ الفَخِذَيْنِ مَشَّاءة بأفراء تبّاعُ إماء قَتَّالُ ظباء . فقال النعمان : أردت أن تَذِيمَهُ فَمَدَحْتَهُ . قوله مقبل النعلين ، يقول لنعله قِبالٌ يَنْسُبُهُ الى

Marfat.com

التَّرَفهِ ، وتبّاع إماه وقتال ظباء من ذلك . والقعو ما تدور فيه البَكَرةُ إذا كان من خشب . وقوله : تذيمه معناه تذُمّه ، يقال ذَمَّهُ يَذُمُّهُ ذَمًّا وذامه يَذيمُهُ ذَيْماً وهَأَمَهُ ذأْما . والمعنى واحد . قال الله تبارك وتعالى : أَخرُجْ منها مَذْؤما مَدْحورا . وقال الحَرِثُ بن خالد المخزومي لعبد الملك :

صَحَبْتُكَ إذ عَيْني عليها غشاوةٌ فلما انْجَلَتْ قَطَّعتُ نفسي أذيمُها

وقوله : فمدَهته يريد مدحته فأبدل من الحاء هاء لقرب المخرج. وبنو سَعْد بن زيد مَناة بن تميم كذلك تقول ولَخْمٌ ومن قاربها ، قال رؤبةُ :

لله درُّ الغانيات المَدَّهِ سَبَّحْنَ واسْتَرْجَعْنَ من تألُّهي

يريد المُدَّح ، وفي هذه الأُرْجوزة : (بَرَّاقُ أَصلادِ الجبين الأَجْلَهِ) يريد الأَجلح ، والعرب تقول : جَلِحَ الرجلُ يَجْلَحُ جَلَحاً وجَلِهَ يَجْلَهُ جَلَهاً وجَلِيَ يَجْلَى جَلَىً ، والمعنى واحد . قال العجاج : (مَعَ الجلا ولائح القَنير) ومثلُ بيت الحسن وكلامِ النُّعمان قول عمرو بن معديكرب :

كأنَّ مُحَرَّشاً في بيت سُعْدَى يُعَلُّ بعيبها عندي شَفيعُ

وفي قصيدة الحسن هذه :

ان جئتُ لم تأتِ وإن لم أجىءْ جئتَ فهذا منكَ لي دابُ
كأنما أنتَ وإن كنتَ لا تَكْذِبُ في الميعاد كَذَّابُ

وهذا كلام طريف . ومن حَسَنِ تشبيه المُحْدَثين قولُ بَشَّارٍ :

وكأنَّ تحتَ لسانها هاروتَ يَنفثُ فيه سِحْرا
ونَخالُ ما جَمَعَتْ عليه بَنانَها ذَهَباً وعِطْرا

وهذا التشبيه الجامع ، ونظيره في جمع شيئين لمعنيين ما ذكرتُ لك

Marfat.com

من قول مسلم بن الوليد : (كأن في سَرْجِهِ بَدْراً وضِرْغاماً) ومن حَسَنِ التشبيه ، من قول المُحْدَثين ، قولُ عباس بن الأحنف .

أُحرَمُ منكم بما أَقولُ وقـــد نالَ به العاشقونَ مَنْ عَشِقوا
صِرْتُ كأني ذُبالةٌ نُصِبَـــتْ تُضيءُ للناس وهي تَحْتَرِقُ

فهذا حسن في هذا جِدًّا . ومن حَسَنِ ما قالوا قول اسماعيل بن القاسم أبي العَتاهِيَةِ للرَّشيد :

أمينَ اللهِ أَمْنُكَ خَيْرُ أَمنٍ عليك من التقَى فيـــه لباسُ
تُساسُ من السَّماءِ بكلِّ فَضْلٍ وأنتَ به تَسوسُ كما تُساسُ
كأنَّ الخَلْقَ رُكِّبَ فيه رُوحٌ له جَسَدٌ وأنتَ عليه راسُ

وقد أخذ هذا المعنى علي بن جَبَلَةَ فقال في مدحه حُمَيْدَ بن عبـــد الحميد ، وزاد في الشرح والترتيب فقال :

يَرْتُقُ مـــا يَفْتُقُ أعداؤُهُ وليس يَأْسو فَتْقَـــهُ آسي
فالنـاس جسمٌ وإمامُ الهُدَى رأسٌ وأنتَ العَيْنُ في الراس

والعرب تختصر في التشبيه ، وربما أومأتْ به ايماءً قال أحد الرُّجَّازِ :

بِتْنا بحَسَّان ومِعْزاهُ تَيِطّ ما زِلْتُ أَسْعَى بيتهم وأَلْتَبِطْ
حتى إذا كان الظلامُ يَخْتَلِطْ جاؤوا بمَذْقٍ هل رأيتَ الذِئْبَ قَطْ

يقول في لون الذئب ، واللَّبَنُ إذا جُهِدَ وخُلِطَ بالماء ضَرَبَ الى الغُبْرَةِ . وأنشد الاصمعي :

وتَشْرَبُهُ مَحْضاً وتَسْقي عِيالَها سَجاحاً كأَقْرابِ الثعالب أوْرَقا

السجاج الرقيق الممذوق والقُرْبانِ الجنبان والواحد قُرْبٌ . من ذلك

Marfat.com

قول عمر بن الخطاب رحمه الله لرسول الله ﷺ وقد شاور في رجل جَنَى جِنايةً وجاء قومه يشفعون له ، فشفع له قوم آخرون . فقال له عمر : يا رسول الله ، أرى أن تُوجِعَ قُرْبَيْهِ . فقال القوم : يا رسول الله إنك لن تَشْتَدَّ على أُمَّتِكَ بقول عمر ، فنزل اليه جبريل ﷺ فقال له ثلاثا : يا محمد ، القول قولُ عمر ، شُدَّ الاسلام بعمر . فخرج رسول الله ﷺ فضربَ الرجلَ . والأورقلون بين الخُضْرة والسواد ، يقال: جَمَلٌ أورَقُ بَيِّنُ الوُرْقةِ ، وهو أَلأَمُ ألوان الابل عند العرب ، وأطيبُها لحما . ومن مَليح التشبيه قولُ عبد الصَّمد بن المُعَدَّلِ في صفة العقرب .

تُبرِزُ كالقَرْنَيْنِ حين تُطْلِعُهْ تُزْحِلُهُ مَرًّا ومَرًّا تَرْجِعُهْ
في مِثْلِ صَدْرِ السِبْتِ خَلْقٌ تُفْظِعُهْ أعصَلُ خَطَّارٌ تَلوحُ شُنَعُهْ
أسودُ كالسُّبْجَةِ فيه مِبْضَعُهْ لا تَصْنَعُ الرَّقشاءُ ما لا يَصْنَعُهْ

وفي هذه الأرجوزة أيضاً :

بات بها حَيْنُ حُبَيْشٍ يَتْبَعُهْ وباتَ جذْلانَ وثيراً مَضْجَعُهْ
ذا سِنَةٍ آمنَ ما يُرَوِّعُهْ حتى دَنَتْ منه لِحَتْفٍ تُزْمِعُهْ
فاظَتْ تَجُمُّ سَمَّها وتَجْمَعُهْ يا بُؤْسَ لِلْمُودَعِهِ ما يُودِعُهْ
فَشَرَعَتْ أمُّ الحِمامِ اصْبَعُهْ أنْحَتْ عليه كالشِّهابِ تَلْذَعُهْ
عَطَّكَ سِرْبالَ حَرِيرٍ تَخْلَعُهْ فَكُلُّ خِلٍّ ظاهرٍ تَفَجُّعُهْ
يزدادُ من بَغْتِ الحِمامِ جَزَعُهْ واليأس من تَيْسيره تَوَقُّعُهْ

وكذلك قال يَزيدُ بن ضَبَّةَ : (أو العَرْجَمُ قال أبو الحسن شكّ أبو العباس في أنه لاحدهما ، أعني هذا البيت :

Marfat.com

ولكنهم بانوا ولم أدرِ بَغْتَةً وأفظَعُ شيءٍ حين يَفْجَؤُكَ البَغْتُ

ومن أحسن التشبيه ، ومليحه قول رجل يهجو رجلا برثاثة الحال :

يأتيك في جُبَّةٍ مُخَرَّقَةٍ أطولُ أعمار مثلها يَوْمُ
وطَيْلَسانٍ كالآل يَلْبَسُهُ على قَميصٍ كأنه غَيْمُ

والتشبيه كثير ، وهو باب كأنه لا آخر له وإنما ذكرنا منه شيئاً لئلا يخلو هذا الكتاب من شيء من المعاني ونختم ما ذكرنا من أشعار المُحْدَثين ببيتين أو ثلاثة من الشعر الجيد ، ثم نأخذ في غير هـــذا الباب ان شاء الله قال طُفَيْلٌ .

تَقْريبُه المَرَطى والجَوْنُ مُعْتَدِلٌ كأنه سُبَدٌ بالمـــاء مَغْسولُ

السُبَدُ طائر بعينه . وقد قالوا الخَصَفلةُ التي توضع عند البئر ، وهو بالطائر أشبه . وإنما أراد العَرَقَ في هذا الوقت ، وخيرُ الخيلِ ما لم يُسْرِعْ عَرَقُهُ ، ولم يُبْطِىء فاذا جاء في وقته شَمِلَةٌ . قال الراجز :

كأنه والطَّـــرْفُ منه سام مشتملٌ جاء من الحَمَّام

وقال الأعشى :

يُعادي النَّحوصَ ومِسْحَلَها وعِفْوَهما قبل أن يَسْتَحِمّ

النَّحوص جماعها : نُحُصٌ ، وهي التي لم تحمل في عامها ، والمسحل العير ، والعفو الولد وجمعه عِفاء . فأعـــلم وهو أسْعَى له إذا لم يكن لعامه ويستحم بعرق . وفي حديث أمّ زَرْعٍ مَضْجَعُهُ كَمَسَلّ الشَّطْبَةِ وتكفيه ذِراعُ الجَفْرةِ ومعناه أنه خميص البطن وهذا تَمْدَحُ به العربُ وتستحسنه . فأما قول مُتَمِّم بن نُوَيْرَةَ : (فتى غَيْرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعا) فإنما أراد أنه

Marfat.com

لا يستعجل بالعَشاء لانتظاره الضيف . كما قال :

وضَيْفٍ إذا أرْعَى ظُروقاً بعيرُهُ وعانٍ نَآهُ الوَفْدُ حتى تَكَنَّفا

وقالوا في قول الخَنْساء :

يُذَكِّرُني طلوعُ الشمسِ صَخْراً وأَذكُرُهُ لكل غُروبِ شمس

قالوا : أرادت بطلوع الشمس وقتَ الغارة ، وبغروب الشمس وقتَ الأضياف . وقال رجل لابنٍ له : والله ما أنتَ بعظيم الرأس فتكون سيداً : ولا بأرْسَحَ فتكون فارساً . وقال رجل من بني أَسدٍ لرجل من قَيْسٍ : والله ما فُتِقْتَ فَتْقَ السادة ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفُرْسان ، فهذه كلها نعوت قد عُرِفَتْ لقومٍ حتى كأنها سِماتٌ لهم ، ينبغي للفارس أن يكون مُهَفْهَفَ الخَصْرَيْنِ مُتَوَقِّد العينين ، حَمْشَ الذراعين . وأنشد الأصمعي : (كأنما ساعداه ساعِدا ذيبِ) قالوا : وسُنَّ نعت السيد ان يكون لَحِماً ضخمَ الهامةِ جهير الصوتِ إذا خطا أبعَدَ ، وإذا تُؤُمِّلَ مَلَأَ العين لأن حقه أن يكون في صدر مجلس أو ذِرْوةِ مِنْبَر أو منفرداً في مَوْكِبٍ . وكانوا يقولون في نعت السيد : يملأ العين جمالاً والسمعَ مَقالاً . وقال أبو علي دِعْبلٌ في رجل نسبه إلى السودد يقوله لمعاذ بن جَبَلِ بن سعيد الحِمْيَرِيّ ، وهو من ولد حُمَيْدِ بن عبد الرحمن الفقيه :

فإذا جالَسْتَهُ صَدَّرْتَـــهُ وَتَنَحَّيْتُ له في الحاشِيَـــهْ

وإذا سايَرْتَهُ قَدَّمْتَـــهُ وَتأَخَّرْتَ مع المُسْتَأْنِيَـــهْ

وإذا ياسَرْتَهُ صادَفْتَـــهُ سَلِسَ الخُلْقِ سَليمِ الناحية

وإذا عاسرتـه صادفتـــه شَرِسَ الرَأْيِ أَبِيًّا داهيه

Marfat.com

فاحْمِدِ اللهَ على صُحْبتـــه واسألِ الرحمنَ منه العافِيَهْ

وهذا المعنى قد أجمله جَريرٌ في قوله :

بِشْرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسرتَهُ عسِرٌ وعندَ يَسارِه مَيْسور

٤٨ - باب

تجتمع فيه طَرائفُ من حَسَنِ الكلام ، وجيد الشعر ، وسائر الأمثال ، ومأثور الأخبار ان شاء الله . كان الحجاج بن يوسف يستثقل زِيادَ بن عمرو العَتكِيَّ ، فلما أثنت الوُفودُ على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاجُ حاضِرٌ ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين ، ان الحجاج سيفُكَ الذي لا يَنْبُو ، وسَهْمُكَ الذي لا يَطيشُ ، وخادِمُكَ الذي لا تأخذه فيك لَوْمَةُ لائِمٍ . فلم يكن أحد بَعْدُ أخفَّ على قلب الحجـــاج منه . ولزياد يقول ابن قَيْسِ الرُّقَيَّات في معاتبته المُهَلَّبَ بن أبي صُفْرةَ .

أبلِغا جـــارِيَ المُهَلَّبَ عني كُلُّ جارٍ مُفارقٌ لا مَحـــالَه

إنَّ حاراتِكَ اللَّواتي تَكَرَّبـــتَ لِتَنْبيذِ رَحْلِهِنَّ مَقالَه

لو تَعَلَّقْنَ من زِياد بن عمرو بِجِبال لَما دَمَمْنَ حِبالَه

غلبتْ أُمُّـــهُ أباه عليـــه فهو كالكَلْبِ أشْبَهَ خالَه

ولقد غالني يَزيدُ وكانتْ في يَزيدٍ خِيانَةٌ ومغالَه

عَتَكِيٌّ كأنه ضوءُ بَدْرٍ يَحْمَدُ الناسُ قَوْلَهُ وفِعالَه

وقال أسماء بن خارجةَ الفَزَارِيُّ : لا أُشاتِمُ رجلا ، ولا أَرُدُّ سائلاً ، فانما هو كريم أسْدَدْتُ خَلَّتَهُ أو لئيم أشتري عِرْضي منه . وقال سَهْلُ بن هرون :

Marfat.com

يجب على كل ذي مَقالة أن يَبْدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما يُبدِيء بالنعمة قبل استحقاقها . وكانِ يقول عند التّعْزية التّهْنِئةُ بآجل الثواب أوْلى من التعزية على عاجل المصيبة . وأراد رجل الحج فأتى شُعْبَةَ بن الحجاج يُوَدِّعُهُ . فقال له شعبة أما أنك إن لم تر الحلم ذُلا والسَّفَهَ أنفاً سَلِمَ لك حَجُّكَ . وقال أوَيْسٌ العَرْفيُّ : ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما وقال دِعْبلُ ابن عليّ الخُزاعيّ يذم رجلا :

رأيتُ أبا عِمْران يَبْذُلُ عِرْضَهُ ... وخُبْزُ أبي عمران في أحرَزِ الحِرزِ
يَحِنُّ الى جاراتِـــهِ بعد شِبْعِـــهِ ... وجاراته غَرْثَى تَحِنُّ الى الخُـــبْزِ

وقال آخر :

قَوْمٌ إذا أكلوا أخفوا كلامَهُـــمُ ... واسْتَوْثَقوا من رِتاج الباب والدارِ
لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارهمُ ... ولا تَكُفُّ يَدٌ عن حُرْمةِ الجارِ

(أظن تمامه :

حتى إذا اسْتَنْبَحَ الأضيافُ كلبهم ... قالوا لِأُمِّهِـــمُ بُولي على النـــار
قامتْ بأخمرِها تَنْدَى مَشافِرُهُ ... كأنه رِئةٌ في كَفِّ جَـــزّارِ)

وقال رجل من طيء ، وكان رجلٌ منهم يقال له زيد من ولد عُرْوةَ ابن زَيْدِ الخَيْلِ قَتَلَ رجلا من بني أسد يقال له زيد ثم أُقيدَ به بَعْدُ :

عَلا زَيْدُنا يومَ الحِمى رأسَ زَيْدِكُمْ ... بأبْيَضَ مَصْقولِ العِـــرار يَمـــان
فان تَقْتُـــلوا زَيْداً بزيـــد فإنما ... أقادَكُمُ السُّلْطانُ بعد زمان

(قال أبو الحسن ، وأنشدنا غيره :

عَلا زيدُنا يوم النَّقا رأس زيدكم ... بأبيض من ماء الحديد يمان)

Marfat.com

قال : كَلَّمَ شَمْعَلٌ التَّغْلبيُّ عبدَ المَلِكِ كلاماً لم يَرْضَهُ ، فرمـــاه عبدُ المَلك بالجُرْزِ فَحَدَشَ وَهَشَمَ فقال شمعل :

أمِنْ جَذْبِهِ بالرِجلِ مني تَباشَرَتْ عُدَاتي فلا عيبٌ عليَّ ولا سُخْرُ
فإن أمير المؤمنـــين وسَيْفَـــهُ لـكالدَهْرِ لا عارٌ بما فَعَلَ الدهرُ

وقال الحجاج : البُخْلُ على الطعام أقْبَحُ من البرَص على الجسد . وقال زِياد : كَفَى بالبخيل عاراً ان اسمه لم يقع في حَمْدٍ قَطُّ ، وكفى بالجواد مَجْداً ان اسمه لم يقع في ذمّ قط . وقال آخر :

ألا تَرَيْنَ وقد قَطعْتني عَـــذَلاً ماذا من الفَضْلِ بين البُخْلِ والجود
لا يَعْدَمُ السائلونَ الخيرَ أفعَلُهُ إمّا نَوالاً وإما حُسْنَ مَرْدود
إلاَّ يَكُنْ وَرَقٌ يوماً أراحُ به للخابطـــين فاني لَيِّنُ العـــود

قوله : إلا يكن ورق، يريد المال ، وضربه مَثَلاً . ويقال : أتى فلان فلاناً يختبط ما عنده والاختباط ضرب الشجر ليسقط الورق . فجعل الخابطَ الطالبَ والورقَ المال ، كما قال زهير :

وليس مانعَ ذي قُرْبَى ولا رَحِمٍ يوماً ولا مُعْدِماً من خابطٍ وَرَقا

ويروى : أن ضيفاً نزل بالحطيئة وهو يرعى غنما له ، وفي يده عصا فقال الضيف : يا راعي الغنم ، فأومأ اليه الحطيئة بعصاه وقال : عَجْراء من سَلَم ، فقال الرجل : اني ضيف ، فقال الحطيئة : للضِيفانِ أعددتها .

وقال دِعْبِلٌ :

وابنُ عِمـــرانَ يَبْتَغي عَرَبِيّا ليس يرضى البناتِ للاكفاء
ان بَدَتْ حاجةٌ له ذكر الضَّيْـــفَ وبنساه عنـد وقت الغَـداء

Marfat.com

وقال أيضاً :

أضيافُ سالِمَ في خَفْضٍ وفي دَعَةٍ ... وفي شَرابٍ ولحمٍ غير ممنوع
وضَيْفُ عَمْرٍ وعَمْرٌو يَسْهَرانِ معاً ... عَمْرٌو لِبطْنَتِهِ والضيفُ للجوع

وقال دِعْبلُ :

ما يَرْحَلُ الضيفُ عنّي بعد تَكرِمة ... الا بِرِفْدٍ وتَشْيِيعٍ ومَعْذِرَةِ

وقال أيضاً :

لم يُطيقوا أن يَسْمَعوا وسَمِعْنا ... وصَبَرْنا على رَحى الأسنان
صوتُ مَضْغِ الضُّيوف أحسنُ عندي ... من غِناءِ القِيانِ بالعيدان

وقال القرشي من بني أُمَيَّةَ :

إذا ما وُتِرْنا لم نَنَمْ عن تِراتِنا ... ولم نَكُ أوْغالاً نُقيمُ البَواكيا
ولكننا نُمْضي الجِياد شَوازِباً ... فَنَرْمي بها نحو التِراتِ المَراميا

وقال جرير :

إن الذي حَرَمَ الخلافةَ تَغْلِباً ... جَعَلَ النبُوَّةَ والخلافةَ فينا
مُضَرٌ أبي وأبو الملوكِ فَهَلْ لكم ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ من أبٍ كأبينا
هذا ابنُ عمي في دِمَشْقَ خَليفةٌ ... لو شئتُ ساقَكُمُ الَيَّ قَطينا
ان الفرزدق إذ تَحَنَّفَ كارهاً ... أضحَى لِتَغْلِبَ والصليبِ خَدينا
ولقد جَزِعْتَ الى النَّصارى بعدما ... لَقِيَ الصليبُ من العذاب مُهينا
هَلْ تَشْهَدونَ من المَشاعر مَشْعَراً ... أو تَسْمعونَ من الأذان أذينا

قال أبو العباس : حدثني عُمارة بن عَقيل بن بِلالِ بن جَرير قال لما بلغ الوليدَ قولُهُ :

Marfat.com

هذا ابنُ عَمِّي في دِمَشْقَ خَليفةٌ لو شئتُ ساقكمُ اليَّ قَطينـــا

قال الوَليدُ : أمَّا واللهِ لو قال : لو شاء ساقـــكم لفعلتُ ذاك به ، ولكنه قال : لو شئتُ فجعلني شُرْطِيًّا له . ويروى أن بلالا قعد يوما ينظر بين الخصوم ورجل منهم ناحيةً يَتَمَثَّلُ قول الأَخْطَل على غير معرفة :

وابنُ المَراغة حابسٌ أعيـــارَهُ مَرْعَى القَصِيَّةِ ما يَذُقنَ بِلالا

فسمعه بلال فلما تقدم مع خصمه ، قال له بلال : أَعِدْ إِنْشادك فغمَزَه بعض الجلساء ، فقال الرجل اني والله ما أدري مَنْ قاله ولا فيمن قيل . فقال بلال : أَجَلْ هو أَسْيَرُ من ذاك هَلُمَّا فاحْتَجَّا . وقال آخر :

مَرَرْتُ على الديار فما رأينـــا كدارٍ بين تَلْعـــةَ والنَّظيم
عَرَفْتُ المُتَأَى وعرفتُ منها مَطايا القِدْر كالحدا الجُثومِ

وقال آخر :

لقد تَبَلَتْ فُؤادَكَ إذ تَوَلَّتْ ولم تَخْشَ العُقوبةَ في التَّوَلّي
عرفتُ الدار يوم وقفتُ فيها بريح المسك تَنْفَحُ في المَحَلّ

٤٩ ــ « باب من أخبار الخوارج »

قال أبو العباس : ذكر أهل العلم من الصُفْرِيَّة أن الخوارج لما عزموا على البيعة لعبـــد الله بن وَهْبٍ الراسِبيّ من الأَزْدِ تَكَرَّهَ ذلك فأَبَوْا مَنْ سواه ، ولم يريدوا غيره ، فلما رأى ذلك منهم قال : يا قوم اسْتَبِيتُوا الرأي ، أي دَعوهُ يَغِـــبَّ . وكان يقول : نعوذ بالله من الرأي الدَبَرِيّ . قوله : استبيتوا الرأي يقول : دعوا رأيكم تَأْتِ عليه ليلةٌ ثم تَعَقَّبوهُ ، قال

Marfat.com

بَيَّتَ فلانٌ كذا وكذا اذا فعله ليلاً . وفي القرآن: إذ يُبَيِّتونَ ما لا يَرْضى من القول ، أي اداروا ذلك ليلاً بينهم. وأنشد أبو عبيدة :

أَتَوْني فلم أَرْضَ ما بَيَّتوا وكانوا أَتَوْني بأَمرٍ نُكُرْ
لأُنْكِحَ أَيِّمَهُمْ مُنْذِراً وهل يُنْكِحُ العبدَ حُرٌّ لِحُرّ

والرأي الدبَري الذي يَعْرِضُ من بعد وقوع الشيء . كما قال جرير :

ولا يعرفونَ السرَّ حتى يصيبهم ولا يعرفونَ الأَمْرَ الا تَدَبَّرا

وكان عبد الله بن وهب ذا رأي وفَهْمٍ ولسانٍ وشجاعةٍ . وانما لَجَؤُا اليه ، وخلعوا مَعْدان الإيادِيَّ لقول معدان :

سلامٌ على مَنْ بايَعَ الله شارياً وليس على الحِزْبِ المُقيمِ سلامُ

وبَرَئَتْ منه الصُّفْرِيَّةُ . وقالوا : خالفتَ لانك برئت من القَعَد . قال أبو العباس . والخوارجُ في جميع أصنافها تبرأ من الكاذب ومن ذي المعصية الظاهرة . وحُدِّثتُ ان واصلَ بن عَطاءٍ أَبا حُذَيْفةَ أَقْبَلَ في رُفْقةٍ فَأَحَسُّوا الخوارجَ . فقال واصل لاهل الرفقة : ان هذا ليس من شأنكم فاعتزلوا ودَعوني واياهم وكانوا قد أشرفوا على العَطَب . فقالوا : شَأْنَكَ ، فخرج اليهم . فقالوا : ما أنت وأصحابُكَ ؟ قال : مشرِكونَ مستجيرون ليسمعوا كلام الله ويعرفوا حدوده ، فقالوا : قد أجرناكم. قال فَعَلِّمُونا ، فجعلوا يعلمونه أحكامهم ، وجعل يقول : قد قبلتُ أنا ومن معي ، قالوا فامضوا مصاحبين فإنكم اخواننا . قال ليس ذلك لكم قال الله تبارك وتعالى : وان أَحدٌ من المشركين استجارَكَ فَأَجِرْهُ حتى يَسْمَعَ كلامَ الله ثم أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ، فأَبلِغونا مأمننا . فنظر بعضهم الى بعض ثم قالوا ذاك لكم ، فساروا بأجمعهم حتى

Marfat.com

بلّغوهم المأمن . وذكر أهلُ العلم من غير وجه ان عليا رضي الله تعالى عنه لما وَجَّهَ اليهم عبدَ الله بن عباس ، رحمة الله عليه ، ليناظرهم قـــال لهم : ما الذي نَقِمْتُمْ على أمير المؤمنين ؟ قالوا : قد كان للمؤمنين أميرا فلما حَكَّمَ في دين الله خَرج من الإيمان فَلْيَتُبْ بعد اقراره بالكفر تَعُدْ له . فقال ابن عباس : لا ينبغي لمؤمن لم يَشُبْ ايمانه شَكٌّ أن يُقِرَّ على نفسه بالكفر . قالوا انه قد حَكَّمَ . قال إن الله عز وجل : قد أمرنا بالتحكيم في قتـــل سيد فقال عزُ وجل: يَحْكُمُ به ذوا عَدْل منكم ، فكيف في إمامة قد أشكلتْ على المسلمين ؟ فقالوا : إنه قد حُكِمَ عليه فلم يَرْضَ ، فقال ان الحكومـــة كالامامة ، ومتى فَسَقَ الامام وجبت معصيته ، وكذلك الحكمانِ لما خالفا نُبِذَت أقاويلُهما . فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش حجةً عليكم فان هذا من القوم الذين قال الله عز وجل فيهم : بل هم قومٌ خَصِمونَ . وقال عز وجل : وتُنْذِرَ به قوما لُدًّا ، والشيء يذكر بالشيء . وجاء في الحديث : أن رجل اعرابياً أتى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال إني أصبت ظبيا وأنا مُحْرِمٌ ، فالتفت عمر الى عبد الرحمن بن عوف ، فقال : قل . فقال عبـد الرحمن يُهْدي شاةً . فقال عمر : أهدِ شاةً . فقال الاعرابي : والله ما دَرَى أميرُ المؤمنين ما فيها حتى اسْتَفْتى غيرَهُ . فَخَفَقَهُ عمر رضوان الله عليه بالدرَّة . وقال : أتَقْتُلُ في الحَرَمِ وتَغْمِصُ الفُتْيا ! إن الله عز وجل قال : يحكم به ذوا عدل منكم ، فانا عمر بن الخطاب وهذا عبد الرحمن بن عوف . وفي هذا الحديث ضروب من الفقه : منها ما ذكروا ان عبد الرحمن بن عوف قال أوّلاً ليكون قولُ الامام حُكْماً قاطعاً ، ومنها انه رأى ان الشاة مثـــل الظبية .

Marfat.com

كما قال الله عز وجل : فَجَزاءٌ مثلُ ما قَتَلَ من النَّعَمِ ، وانه لم يسأله أَخطَأَ قَتَلَهَ أم عَمْداً وجعل الأمرين واحداً . ومنها أنه لم يسأله أَقَتَلْتَ صيداً قبله وأنت مُحْرِمٌ لأن قوما يقولون : إذا أصاب ثانية لم يُحْكَمْ عليه . ولكنا نقول : اذهب فاتق الله لقول الله تبارك وتعالى : ومن عاد فَيَنْتَقِمُ اللهُ منه. قال أبو العباس : ومن طريف أَخْبار الخوارج قول قَطَرِيٍّ ابن الفُجاءة المازنيٌّ لابي خالد القَنانِيٌّ ، وكان من قَعَدِ الخوارج .

أَبا خالد يا انْفِرْ فَلَسْتَ بخالدٍ ... وما جَعَلَ الرحمنُ عُذراً لقاعد

أَتَزْعُمُ ان الخارجيَّ على الهدى ... وأنتَ مقيمٌ بين لِصٍّ وجاحدِ

فكتب اليه أبو خالد :

لقد زاد الحياةَ الَيَّ حُبّاً ... بناتيَ انهنَّ من الضِعاف

أُحادرُ أَنْ يَرَيْنَ الفقرَ بَعْدي ... وأَن يَشْرَبْنَ رَنْقاً بعد صاف

وان يَعْرَيْنَ ان كُسِيَ الجواري ... فَتَنْبُو العَيْنُ عن كَرَمٍ عِجاف

ولولا ذاكَ قد سَوَّمتُ مُهْرِي ... وفي الرحمن للضُّعَفاء كاف

(أبانا مَنْ لنا ان غِبْتَ عنا ... وسار الحيُّ بعدكَ في اختلاف)

وهذا خلاف ما قال عِمْرانُ بن حِطّانَ أحدُ بني عمرو بن شَيْبان ابن ذُهْل بن ثَعْلَبَةَ بن عُكابَةَ بن صَعْب بن عليّ بن بَكْرِ بن وائل . وقد كان رأس القَعَد من الصُّفْرِيَّةِ ، وخَطيبَهم وشاعرَهم . قال : لما قُتِل أبو بلال ، وهو مِرْداسُ ابن أُدَيَّة — وهي جدته — وأبوه حُدَيْرٌ وهو أحد بني ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم قال عمران بن حطان :

لقد زاد الحياةَ الَيَّ بُغْضاً ... وحُباً للخُروج أبو بِلال

Marfat.com

أحاذِرُ أن أموتَ على فراشي وأَرجو الموتَ تحت ذُرا العَوالي
ولو أني عَلِمْتُ بأن حَتْفي كَحَتْفِ أبي بِلالٍ لم أُبالِ
فمن يَكُ هَمُّهُ الدنيا فإني لها واللهِ رَبُّ البيت قـــالِ

وفيه يقول أيضاً :

يا عين بَكّي لِمرداسٍ ومَصْرَعِهِ يا ربَّ مرداسٍ اجعَلْني كمرداس
تركْتَني هائماً أبـــكي لِمرْزِئَتي في منزل موحِشٍ من بعد إيناس
أنكرتُ بعدكَ ما قد كنتُ أعرِفُهُ ما الناسُ بعدكَ يا مِرْداسُ بالناس
إنَّما شَرِبتَ بكاسٍ دارَ أولُها على القُرون فذاقوا جُرْعَةَ الكاس
فكلُّ مَنْ لم يَذُقْها شاربٌ عَجِلاً منها بانفاسِ وِرْدٍ بعد أنفـــاس

قال أبو العباس : وكان من حديث عمران بن حطان ، فيما حدثني العباس بن الفَرَجِ الرِياشيُّ عن محمد بن سَلَّامٍ ، إنه لما أطْرَدَهُ الحجّاج كان ينتقل في القبائل ، فكان إذا نزل في حَيٍّ انتسب نسباً يَقْرُبُ منه . ففي ذلك يقول :

نَزَلْنا في بَني سَعْدِ بن زيـــد وفي عَكٍّ وعامِرِ عَوْثَمان
وفي لَخْـــمٍ وفي أُدَدِ بن عمرو وفي بَكرٍ وحَيٍّ بني العـدان

ثم خرج حتى نزل عند رَوْحِ بن زِنباعٍ الجُذامِيِّ . وكان روح يَقْرِي الاضيافَ ، وكان مسامراً لعبد الملك بن مروان أثيراً ، عنده ، فانتمى له من الأزد . وفي غير هذا الحديث : ان عبد الملك ذكر روحاً فقال : مَنْ أعطِيَ مثل ما أعطِيَ أبو زُرْعَةَ أعطِيَ فِقْهَ أهل الحجاز ، ودَهاءَ أهل العِراق ، وطاعة أهل الشام . رجع الحديث . وكان روح بن زنباع لا يَسْمع

Marfat.com

شعراً نادراً ولا حديثاً غريباً عند عبد الملك فيسأل عنه عِمْرانَ بن حِطّان إلا عرفه وزاد فيه ، فذكر ذلك لعبد الملك فقال : إن لي جاراً من الأزد ما أسمع من أمير المؤمنين خَبَراً ولا شعراً إلا عَرَفَهُ وزاد فيه ، فقال : خَبِّرْني ببعض أخباره فَخَبَّرَهُ وأنشده فقال: ان اللغة عَدْنانيةٌ ، وإني لأُحسِبُهُ عمران بن حطان ، حتى تذاكروا ليلةً قول عمران بن حطان يمدح ابن مُلْجَمٍ لعنه الله :

يا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيٍّ ما أراد بها ... إلا لِيَبْلُغَ من ذي العرشِ رضوانا
أني لأذكره يوماً فأحسِبُهُ ... أَوْفى البَرِيَّةِ عِند الله ميزانا

(قَلَبه الفقيهُ الطَبرِيُّ فقال :

يا ضربةً من شَقِيٍّ ما أراد بها ... إلا لِيَهْدِمَ من ذي العرش بُنْيانا
اني لاذكره يوماً فَأَلْعَنُهُ ... إيهاً وأَلْعَنُ عِمْرانَ بن حِطانا

قال محمد بن أحمد الطبيب يَرُدُّ على عمران بن حطان :

يا ضربةً من غَدورٍ صار ضاربُها ... أشقى البَرِيَّةِ عند الله انسانا
إذا تَفَكَّرْتُ فيه ظَلْتُ أَلْعَنُهُ ... وأَلْعَنُ الكَلْبَ عمران بن حطانا)

فلم يَدْرِ عبدُ الملك لمن هو ، فرجع رَوْح إلى عمران بن حطان فسأله عنه ، فقال عمران : هذا يقوله عمران بن حطان يمدح به عبد الرحمن بن ملجم قاتلَ عليّ بن أبي طالب . فرجع روح إلى عبد الملك فأخبره ، فقال له عبد الملك : ضَيْفُكَ عمرانُ بن حطان ، إذْهَبْ فجئني به ، فرجع إليه ، فقال : إن أمير المؤمنين قد أحبَّ أن يراك ، قال عمران : قد أردْتُ أن أسألك ذلك فاستحييتُ منك فامْضِ فإني بالأثَرِ . فرجع روح إلى عبدالملك

Marfat.com

فأخبره ، فقال عبدُ الملك : أمَا إنَّكَ سترجع فلا تجده ، فرجع وقدارتحل عمران وخَلفَ رُقْعَةً فيها :

يا رَوْحُ كم من أخي مَثْوًى نزلتُ به ... قد ظَنَّ ظَنَّكَ من لَخْمٍ وغَسَّانِ
حتى إذا خِفْتُهُ فارَقْتُ منزلَهُ ... من بَعْدِ ما قيل عمرانُ بن حطان
قد كنتُ جارَكَ حَوْلاً ما تُرَوِّعني ... فيه رَوائِعُ من إنس ومن جان
حتى أردتَ بِيَ العُظْمَى فأدركَني ... ما أدْرَكَ الناسَ من خوف ابن مَرْوانِ
فاعذِرْ أخاك ابنَ زِنباعٍ فانَّ له ... في النائبات خُطوباً ذات ألوان
يوماً يمـــانٍ إذا لاقيتُ ذا يمنٍ ... وإن لَقيتُ مَعَدِّيًّا فعَدْناني
لو كنتُ مستغفراً يوماً لطاغِيةٍ ... كنتَ المُقَدَّمُ في سِرِّي وإعْلاني
لكن أبَتْ لِيَ آيات مُطَهَّرةٌ ... عندَ الولاية في طَـــهَ وعِمْرانِ

ثم ارتحل حتى نزل بزُفَرَ بن الحرث الكِلابيّ أحـــدِ بني عمرو بن كِلابٍ ، فانتسبَ له أوزاعياً ، وكان عمران يُهيلُ الصلاة . وكان غِلْمانٌ من بني عامر يضحكون منه ، فأتاه رجل يوماً ممن رآه عند روح بن زنباع فسلّم عليه فدعاه زُفَرُ فقال : من هذا ؟ فقال : رجل من الأزد رأيتـه ضيفاً لرَوْحِ بن زنباع . فقال له زفر : يا هذا ، أزْدِيًّا مرةً وأوْزَاعِيًّا مرةً ، إن كنت خائفاً آمَنَّاكَ وإن كنتَ فقيراً جَبَرْناكَ . فلمـــا أمْسَى هَرَبَ وخَلَّفَ في منزله رُقعةً فيها :

إن التي أصبحتْ يَعيَى بها زُفَر ... أعْيَتْ عَياءً على رَوْحِ بن زِنْباعِ .

قال أبو العباس أنشدنيه الرياشي : (أعْيا عياها على رَوْحِ بن زِنْباعِ)

. التي : الداهية العظيمة . يعيى بها : تعسر عليه . أعيت : شقت وعظمت.

Marfat.com

وأنكره كما أنكرناه لأنه قَصَرَ الممدود ، وذلك في الشعر جائز ولا يجوز مَدُّ المقصور :

ما زالَ يسألني حَوْلاً لِأُخْبِرَهُ ... والنَّاسُ من بين مَخْدوع وخَدَّاع
حتى إذا انقطعتْ عني وَسائلُهُ ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولَعْ بإهلاع
فاكْفُفْ كما كَفَّ عني إنني رجل ... إمَّا صَميمٌ وإما فَقْعَةُ القاع
واكْفُفْ لسانك عن لَوْمي ومَسْئلتي ... ماذا تُريدُ إلى شَيْخٍ لِأَوْزاعِ
أما الصَّلاةُ فإني غيرُ تاركِها ... كُلُّ امْرِىءٍ للذي يُعْنى به ساع
أكْرِمْ بروحِ بن زنباع وأُسْرتِهِ ... قومٌ دعا أوّليهم للعُلى داع
جاوَرْتُهُمْ سنة فيما أُسَرُّ بِهِ ... عِرْضي صحيح ونومي غير تَهْجاع
فاعْمَلْ فإنك مَنْعيٌّ بواحدة ... حَسْبُ اللبيبُ بهذا الشَيْبِ من ناع

ثم ارتحل حتى أتى عُمانَ فوجدهم يُعَظِّمون أمر أبي بلالٍ ، ويظهرونه فَأَظْهَرَ أَمرَهُ فيهم ، فبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى أهل عُمانَ . فارْتَحَلَ عمرانُ هارباً حتى أتى قوماً من الأَزْدِ ، فلم يزل فيهم حتى مات . وفي نزوله بهم يقول :

نزلنا بحمد الله في خير مَنْزِلٍ ... نُسَرُّ بما فيه من الأنْسِ والْخَفَرْ
نزلنا بقوم يَجمَعُ الله شَمْلَهُمْ ... وليسَ لهم عُودٌ سوى المجْدِ يُعْتَصَرْ
من الأَزْدِ إنَّ الأَزْدَ أكرم مَعْشَرٍ ... يَمانيةٍ طابوا إذا نُسِبَ البَشَرْ
فأصبحتُ فيهم آمِناً لا كَمَعْشَرٍ ... أَتَوْنِي فقالوا من رَبيعةَ أو مُضَرْ
أم الحيُّ قَحْطانٍ فَتِلْكُمْ سَفاهةٌ ... كما قال لي رَوْح وصاحِبُهُ زُفَرْ
وما منهما إلا يُسَرُّ بنسبةٍ ... تقرّبني منه وإن كان ذا نَفَرْ

Marfat.com

فنحن بنو الإسلام واللهُ واحدٌ وأَوْلَى عبادِ اللهِ باللهِ مَنْ شَكَرَ

قوله : يا روحُ كم من أخي مثوى نزلت به ، قد مر تفسيره ، يقال هذا أبو مَثْوايَ وللأُنثى هذه أُمُّ مَثْوايَ ، ومنزل الضيافة وما أشبهها المَثْوَى. وكذلك قال المفسرون في قول الله عز وجل : أَكْرِمي مَثْواه ، أي اضافته . ويقال من هذا : ثَوَى يَثْوِي ثُوِيًّا ، كقولك مَضَى يَمْضي مُضِيًّا . ويقال ثواءً ومَضاءً كما قال :

طال الثّواءُ على رَسْمٍ بِيَموْدِ أَوْدَى وكلُّ جديدٍ مرةً مُودِى

وقوله فيه روائع من انس ومن جان ، الواحدة رائعة ، يقال : راعَني يَروُعني رَوْعاً أي أفزعني. قال الله تعالى ذكْرُهُ : فلما ذَهَبَ عن ابراهيم الرَّوْعُ . ويكون الرائعُ الجميلَ ، يقال : جَمالٌ رائع يكون ذلك في الرجل ، والفرس ، وغيرهما . وأَحْسِبُ الاصل فيها واحدا أنه يُفْرِطُ حتى يَروعَ . كما قال الله جل ثناؤه : يكَادُ سَنى بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصار للافراط في ضِيائه ، والرائعُ مهموز وكذلك كل فعلٍ من الثلاثة مما عينُه واو أو ياء إذا كانت معتلة ساكنة تقول : قال يقول ، وباع يبيع ، وخاف يَخاف ، وهاب يَهاب ، يَعْتَلُّ اسم الفاعل فَيُهْمَزُ موضعُ العين نحو قائلٍ وبائع وخائفٍ وهائبٍ ، فان صحّت العين في الفعل صحت في اسم الفاعل ، نحو عَوِرَ الرجلُ ، فهو عاوِرٌ وصَيِدَ فهو صايدٌ . والصَّيَدُ داء يأخذ في الرأس ، والعينين والشئون . وإنما صحّت في عَوِرَ وحَوِلَ وصَيِدَ لأنه منقول من احْوَلَّ واعْوَرَّ وقد أحكمنا تفسير هذا في الكتاب المُقْتَضَب . وقوله :

Marfat.com

يوماً يمـــان اذا لاقيتُ ذا يمن وان لقيتُ مَعَدّيًّا فعدناني

يريد أنا يوما يمان ولولا أن الشعر لا يصلح بالنصب لكان النصب جائزاً على معنى ، أَتَنَقَّلُ يَوْماً كذا ويوماً كذا والرفع حسن جميل وهذا الشعر يُنْشَدُ نصبا :

أَفي السِّلْمِ أعياراً جَفاءً وغِلْظَةً وفي الحربِ أمثالَ النساءِ العَوارك

العوارِكُ هُنَّ الحوائضُ . وكذلك قوله :

أَفي الوَلائِمِ أولاداً لواحـــدةٍ وفي المحافلِ أولاداً لعَـــلاَّتِ

قال : العَلاَّتُ سُمِّيتْ لأَن الواحدة تُعَلُّ بعد صاحبتهـــا ، وهو من العَلَلِ ، وهو الشرب الثاني أي يختلفون ويتحولون في هذه الحالات . ومن كلام العرب أتميميًا مرة وقيسيًا أخرى ، وكذلك ان لم تستفهم وأخبرت قلتَ تميميا مرةً عَلِمَ اللهُ وقيسيا أخرى أي تنتقل ، ومن ثَمَّ قال له زفر بن الحرث : أزْدِيّاً مرة وأوْزاعِيًّا أخرى . والرفـــع على أنتَ جَيِّدٌ بالغ . وقوله :

(لو كنتُ مستغفرا يوماً لطاغية) يكون على وجهين لنَفْس طاغيةٍ ، والآخر للمذكر . وزاد الهاء للتوكيد والمبالغة . كما يقال : رجـــل راوِيَةٌ وعَلاَّمَةٌ ونسَّابَةٌ وكلاهما وجه ، ويقال : جاءت طاغية الروم يراد الجماعةُ الطاغيةُ . كما قال رسول الله ﷺ : تقتلك الفِئَةُ الباغيـــةُ . وقوله : عند الوَلاية إذا فتحتَ فهو مصدر الوَلِيّ وفي القرآن العظيم : ما لكم من وَلاَيَتِهِمْ من شيء . والولايةُ مكسورة نحو السياسةِ والرياضـــةِ والإيالةِ وهي الوِلايةُ ، واصلُه من الاصلاح ، يقال آلَهُ يَؤُلُهُ أوْلاً إذا أصلحه . قال

Marfat.com

عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : قد أَلْنا وإيلَ علينا تأويل ذلك قد وَلِينا وَوُلِيَ علينا . وهذه كلمة جامعة يقول قد وَلينا فعلمنا ما يُصْلِحُ الواليَ وَوُلِيَ علينا فعلمنا ما يصلح الرَّعِيَّـــة . وقوله : (حتى إذا ما انقضت مني وسائله) الوسائل واحدها وسيلة وهي الذَّريعةُ والسبب . يقال قد تَوَسَّلت الى فلان، قال رُؤْبةُ بن العَجَّاج.

والناسُ إنْ فَصَّلْتَهُمْ فَصائلاً كلٌّ الينـــا يبتغي الوَسائلا

وقوله : لم يولع بإهلاعي أي بافزاعي . وترويعي ، والهَلَعُ من الجُبْنِ عند ملاقاة الأقران . يقال: نعوذ بالله من الهَلَعِ ، ويقال : رجل هَلوعٌ إذا كان لا يصبر على خير ولا على شر حتى يفعل في كل واحد منهما غـــير الحق . قال الله عز وجل : ان الانسان خُلِقَ هَلُوعاً إذا مسه الشر جَزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً ، وقال الشاعر :

ولي قَلْبٌ سقيم ليس يَصْحو ونَفْسٌ ما تُفيقُ من الهُلاع

وقوله : (اما صميم وأما فقعة القاع) الصَّميمُ الخالص من كل شيء يقال : فلان من صميم قومه أي من خالصهم . وقـــال جرير لهشام بن عبد الملك :

وتَنْزِلُ من أُمَيَّةَ حيث تَلْقَى شُؤْنُ الرأس مُجْتَمَعَ الصَّميم

وقوله : وأما فقعة القاع ، يقال لمن لا أصل له هو فَقْعةُ بقاعٍ ، وذلك لأن الفقعة لا عروق لها ولا أغصان ، والفقعة الكَمْأةُ البيضاء ويقال حَمامٌ فقِيعٌ لبياضه . ومن ذا قول الشاعر :

قومٌ إذا نُسِبوا يكون أبوهُمُ عند المناسب فَقْعَةً في قَرْقَرِ

Marfat.com

وقال بعض القرشيين :

إذا ما كنتَ متخـــذاً خليـــلاً فلا تَجْعَلْ خليلَكَ من تَمـــيم
بَلَوْتُ صَميمَهُمْ والعـــدَ منهم فما أدْنَى العبيـــدَ من الصَميم

وقوله: نُسَرُّ بما فيه من الأُنْسِ والخَفَر، فأصل الخفر شدة الحياء يقال امرأة خَفِرةٌ إذا كانت مستترة لاستحيائها . قال ابن نُمَيْرٍ الثَّقَفيُّ .

تَضَوَّعَ مِسْكاً بَطْنُ نَعْمانَ أنْ مَشَتْ به زينبٌ في نِسْوَةٍ خَفِـــرات

وقوله : إن الأزدَ أكرم أسرة ، يقول عصابة وقبيلة ويقال للرجل من أُسْرةِ أنت ، وأصل هذا من الاجتماع. يقال للقَتَبِ مأسورٌ وقد مضى تفسيره وينشد (يَمانيةٌ قَرْبُوا إذا نُسِبَ البَشَرْ) يريد قَرْبُوا وهذا جائز في كل شيء مضموم أو مكسور إذا لم يكن من حركات الإعراب ، تقول في الاسماء في فَخِذٍ فَخْذٌ وفي عَضُد عَضْدٌ وتقول في الافعـــال كَرُمَ عبدُ الله أي كَرُمَ وقد عَلِمَ اللهُ أي عَلِمَ اللهُ . قال الأَخْطَلُ .

فإن أهْجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجِرَ بازلٌ من الإبلِ دَبَرَتْ صَفْحتاه وكاهله

وقال آخر :

عَجِبْـــتُ لمولود وليس له أبٌ وذي وَلَدٍ لم يَلْـــدَهُ أبوان

ولا يجوز في ضَرَبَ ولا في جَمَل أن يُسكَّن لخفة الفتحة. وقوله: أتوني فقالوا من ربيعة أو مضر ، يقول : أمن ربيعة أم من مُضَر ، ويجوز في الشعر حذف ألف الاستفهام لأن أم التي جاءت بعدها تـــدل عليها . قال ابن أبي ربيعة :

لَعَمْرُكَ ما أدري وإنْ كنتُ داريا بسَبْعٍ رَمَيْنَ الجَمْرَ أم بـــثمان

Marfat.com

يريد أبسبع . وقال التميمي :

لعمرك ما أدري وإن كنت داريا شُعَيْثُ بن سَهْمٍ أم شُعَيْثُ بنِ مِنْقَرِ

الرواية على وجهين : أحدهما أمن ربيعة أم مضر أم الحيّ قَحْطانَ يريد أذا أم ذا والاصلح في الرواية من ربيعة أو مضر أم الحيّ قحطان ، لأن ربيعة أخو مضر فأراد من أحد هذين أم الحيّ قحْطانَ ، لأنه إذا قال أزيدُ عندك أم عمرو ؟ فالجواب نَعَمْ أو لا لأن أحد هذين عندك ومعنى الاول أيُّهما عندك . ويروى وحدثنيه المازنيُّ أن صَفِيَّةَ بنت عبد المُطَّلِبِ أتاها رجل فقال لها : أين الزُّبَيْرُ ؟ قالت : وما تريد اليه ؟ قال : أريد أن أباطِشَهُ . فقالت : ها هو ذاك : فصار الى الزبير فباطشه فغلبه الزبير فرَّ بها مَغْلولاً فقالت صفية :

كيف رأيتَ زَبْراً أأقِطاً أو تَمْرا أم قُرَشِيًّا صَقْرا

لم تَشْكُكْ بين الاقط والتمر فتقول : أيُّهما هو ، ولكنها أرادت أرأيتَهُ طعاماً أم قرشيا صقرا ، أي أأحدَ هذين رَأيتَهُ أم صَقْرا . ولو قالت : أأقطا أم تمرا كان محالا على هذا الوجه . وقوله: وما منهما الا يُسَرُّ بنُسْبَةٍ ، معناه : وما منهما واحد ، فَحَذَفَ لعلم المخاطب . قال الله جل اسمه : وإن من أهل الكتاب الا ليُؤْمِنَنَّ به قبل موته . أي وإن أحد ، ومعنى إن معنى ما قال الشاعر :

وما الدهرُ إلا تارتانِ فمنهما أموتُ وأخرى أبْتَغي العيشَ أكْدَحُ

يريد فمنهما تارة وقوله :

فنحن بنو الاسلام واللهُ واحدٌ وأوْلَى عبادِ الله بالله مَنْ شَكَرْ

يقول : انقطعت الوَلاية الا وِلاية الاسلام ، لان ولايةَ الإسلام قد

Marfat.com

قاربتْ بين الغرَباءِ . وقال الله عز وجل : انما المؤمنون إخْوَةٌ . وقال عز وجل ، فباعَدَ به بين القرابة إنه ليس من أهلك أنه عَمَلٌ غيرصالح . وقال نَهارُ ابن توْسِعةَ البَشْكُريُّ :

دَعِيُّ القوم يَنْصُرُ مُدَّعِيـــهِ لِيُلْحِقَهُ بذي الحَسَبِ الصَميم
أبي الاسلامُ لا أَبَ لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تمـــيم

ويقال فيما يُرْوَى من الأخبار أن أول مَنْ حَكَّمَ عُرْوةُ ابن أُدَيَّةَ وأُدَيَّةُ جدةٌ له جاهلية ، وهو عروة ابن حُدَيْرٍ أحدُ بني ربيعة بن حنظلة . وقال قوم : بل أول مَنْ حَكَّمَ رجلٌ يقال له سَعيدٌ من بني مُحـــارب بن خَصَفَةَ بن قَيْسِ بن عَيْلان بن مُضَرَ ، ولم يختلفوا في إجماعهم على عبدالله ابن وهب الراسبي ، وأنه امتنع عليهم وأومأ الى غيره فلم يقنعوا إلا به فكان إمام القوم ، وكان يوصف بالرأي . فأمـــا أول سيف سُلَّ من سيوف الخوارج فسيف عُروة ابن أدية وذلك أنه أقبل على الأشعَثِ فقال : ما هذه الدنيئةُ يا أشعثُ وما هـذا التحكيم أَشرْطٌ أوْثَقُ من شرط الله عز وجل ، ثم شَهَرَ عليه السيفَ والأشعثُ مُوَلٍّ فضرب به عجُز البغـــلة فشَبَّتِ البغلةُ فنَفَرتِ اليمانية وكانوا جُلَّ أصحابِ عليّ صلواتُ الله عليه ، فلما رأى ذلك الأحْنَفُ قَصَدَ هو وجاريةُ بن قُدامةَ ومسعودُ بن فَدَكِيٍّ بن أَعْبَدَ وشَبَثُ بن رِبْعِيٍّ الرِياحيُّ الى الأشعث ، فسألوه الصفح ففعـــل . وكان عروة ابن أدية نجا من حرب النَّهْرَوان فلم يزل باقيا مدةً من خلافـــة معاوية ثم أُتِيَ به زيادٌ ومعه مولى له فسأله عن أبي بكر وعمر فقال خيراً ، ثم سأله فقال : ما تقول في أمير المؤمنين عثمان بن عَفَّان وأبي تُرابٍ علي بن أبي طـــالب فتَوَلَّى عثمانَ ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في أمر عليّ

Marfat.com

مثلَ ذلك الى أن حَكمَ ثم شهد عليـــه بالكفر . ثم سأله عن معاوية فسبه سَبًّا قبيحاً ثم سأله عن نفسه فقال : أَوَّلُكَ لِزِينَـــةٍ وآخرُكَ لدَعْوةٍ وأَنتَ بعدُ عاصٍ لربك ثم أمرَ به فضُرِبَتْ عنقه ، ثم دعا مولاه فقال : أأَطْنِبُ أم أَخْتَصِرُ ، فقاله : بل اخْتَصِرْ فقال : ما أَتيتُه بطعام بنهـار قط ولا فرشت له فراشاً بليـــل قط . وكان سبب تسميتهم الحرورية أن علياً لما ناظرهم بعد مناظرة ابن عباس رحمه الله إياهم ، فكان مما قال لهم: ألا تعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلتُ لكم إن هذه مكيدة وَوَهْنٌ ، وأنهم لو قصَدوا الى حكم المصاحف لم يأتوني . ثم سألوني التحكيم أفَعَلِمْتُمْ أنه كان منكم أحد أكرَهَ لذلك مني . قالوا : اللهم نعم . قال فهل علمتم أنكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطتُ أنَّ حُكْمَهما نافذ ما حَكَما بحكم الله عز وجل ، فان خالفاه فأنا وأنتم من ذلك بُرَآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يَعدوني . قالوا : اللهم نعم — وفيهم في ذلك الوقت ابن الكَوَّاء — وهذا من قبل أن تذبحوا عبد الله بن خَبَّاب فانما ذبحوه بكَسْكَرَ في الفُرْقةِ الثالثة . فقالوا : حَكَّمْتَ في دين الله برأينا ونحن مقرّون بأنا قد كفرنا ، ونحن تائبون فَأْقرِرْ بمثل ما أقررنا وتُبْ نَنْهَضْ معك الى الشام . فقال : أمَا تعلمون ان الله جل ثناؤه قـــد أمرَ بالتحكيم في شِقاقِ بين رجل وامرأة . فقال تبارك وتعالى · فابعثوا حَكَماً من أهله وحَكَماً من أهلها . وفي صيد أصيبَ في الحرم كأرنب يساوي رُبْعَ دينار . فقال عز وجل : يَحْكُمُ به ذوا عدل منكم ؟ فقالوا : إن عمراً لما أبى عليكَ أن تقول في كتابك ، هذا ما كتبه عبد الله عليٌّ أمير

Marfat.com

المؤمنين ، مَحَوْتَ اسمك من الخلافة وكتبت عليّ بن أبي طالب . فقال لهم رضي الله عنه : لي برسول الله ﷺ أسوة حيث أبى عليه سُهَيْلُ بن عمرو أن يكتب هذا كتابٌ كتبه محمد رسول الله وسهيلُ بن عمرو فقال : لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكني أقدّمك لفضلك . ثم قال : أكْتُبْ محمد بن عبد الله فقال لي : يا علي امْحُ رسول الله فقلت يا رسول الله لا تسخو نفسي بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام : قِفْني عليه فمحاه بيده ﷺ . ثم قال : اكتب محمد بن عبد الله ثم تبسم اليَّ فقال: يا عليّ أما أنك سَتُسامُ مثلَها فتعطي . فَرَجعَ معهُ منهم ألفان من حَروراء وقد كانوا تَجَمَّعوا بها فقال لهم عليٌّ صلوات الله عليه : ما نُسَمّيكُمْ . ثم قال: أنتم الحَرورِيّةُ لاجتماعكم بحَروراء والنَّسَبُ الى مثل حَروراء حَروراويٌ ، فاعلَمْ . وكذلك كل ما كان في آخره ألف التأنيث الممدودة ، ولكنه نُسِبَ الى البلد بحذف الزوائد فقيل الحرَوريٌ وقال الصَّلَتانُ العَبْدِيُّ في كلمة له :

أرَى أمَّةً شَهَرَتْ سَيْفَها ... وقد زيد في سوطها الأصْبَحِيّ
بنَجْدِيَّةٍ وحَرورِيَّةٍ ... وأزْرَقَ يَدْعو الى أزرقِيّ
فَمِلَّتُنا أننا المسلمون ... على دِينِ صِدّيقنا والنبيّ

وفي هذا الشعر مما يستحسن قوله :

أشابَ الصغيرَ وأفْنَى الكبير ... مُرورُ الليالي وكَرُّ العَشِيّ
اذا لَيلةٌ هَرَّمَتْ يومَها ... أتى بعد ذلك يومٌ فتِيّ
نَروحُ ونَغْدو لحاجاتنا ... وحاجةُ مَنْ عاش لا تنقضي

Marfat.com

تموتُ مع المَرْء حاجاتــهُ وتَبْقَى له حاجــة ما بقِــي

قوله : وقد زيد في سوطها الأصبحي ، فانه تسمى هذه السياط التي يعاقب بهــا السلطان الأصبحية وتُنْسَبُ الى ذي أصْبَحَ الحِمْيَرِيّ وكان مَلِكا من ملوك حِمْيَرَ ، وهو أول من اتخذها وهو جدُّ مالك بن أنس الفقيــه رضي الله عنه . والنَّجدية تُنسب الى نَجْدَةَ بن عُوَيْمِرٍ وهو عامر الحنفيُّ وكان رأساً ذا مقالةٍ منفردة من مقالات الخوارج ، وقد بقي من أهلها قوم كثير ، وكان نجْدة يصلي بمكة بحذاء عبد الله بن الزُّبَيْرِ في جَمْعِهِ في كل جمعة ، وعبدالله يَطْلُبُ الخلافة فَيُمسِكانِ عن القتــال من أجل الحَرَمِ . قال الراعي يخاطب عبدَ المَلِك .

اني حَلَفْتُ على يمــينِ بَرَّةٍ لا أكْذِبُ اليومَ الخليفةَ قِيلا
ما إنْ أتَيْتُ أبا خُبَيْبٍ وافِداً يوما أُريــد ببَيْعَتي تَبْدِيــلا
ولا أتَيْتُ نُجَيْــدَةَ بنَ عُوَيْمِــرٍ أبْغَى الهُــدَى فيزيدَني تَضْليلا
من نِعْمةِ الرحمن لا من حيلتي أني أُعــدُّ له عليَّ فُضــولا

وفي هذه القصيدة :

أخذوا العَريفَ فَقَطَّعوا حَيْزومَهُ بالأصْبَحِيَّــةِ قائمــاً مَغْلولا

قوله أزرق يدعو إلى أزرقي ، يريد مَنْ كان من أصحابِ نافــع بن الأزرق الحنفي، وكان نافع شجاعاً مُقَدَّماً في فِقْهِ الخوارج . وله ولعبدالله ابن عباس مسائل كثيرة ، وسنذكر جملة منها في هذا الكتاب ان شاء الله .

وقوله : على دين صدّيقنا والنبي ، فالعرب تفعل هذا ، وهو في الواو جائز أن تَبْدَأَ بالشيء وغيرُهُ المُقَدَّمُ . قال الله عز اسمه : هو الذي خَلَقَكم ،

Marfat.com

فمنكم كافرٌ ومنكم مُؤْمِنٌ . وقال : يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنْسِ . وقال : واسْجُدِي واركعي مع الراكعين . وقال حَسّانُ بن ثابت :

بهاليلُ منهم جعفر وابنُ أُمِّـهِ عليٌّ ومنهم أحمـد المُتَخَيَّرُ

يعني بني هاشم . ومن كلام العربَ رَبيعةُ ومُضَرُ وقَيسٌ وخِنْـدِفُ وسُلَيْمٌ وعامِرٌ وأصحابُ نافع بن الازرق هم ذوو الحَدِّ والجِدِّ وهم أحاطوا بالبصرة حتى تَرَحَّلَ أكثرُ أهلِها منها ، وكان الباقون على الترحُّـل . فَقُلِّدَ المُهَلَّـبُ حربهم فهزمهم إلى الفرات ثم هزمهم إلى الأهواز ، ثم أخرجهم عنها إلى فارسَ ثم أخرجهم إلى كِرْمان . وفي ذلك يقول شاعرٌ منهم في هذه الحرب التي صاحبها صاحبُ الزِنجِ بالبَصْرة يَرْثي البلد ويذكر المَنْقَمَةَ التي كانت لهم . (قال الأخفش ، أنشدَنيه يَزيدُ المُهَلَّبِيُّ لنفسه) :

سَقَى اللهِ مِصْراً خَفَّ أهلوهُ من مِصْرِ وما الذي يَبْقَى على عُقَبِ الدَهْرِ

ولو كنتُ فيه إذ أُبِيحَ حريمُهُ لَمُتُّ كَريماً أو صَدَرْتُ على عُذرِ

أُبِيحَ فلم أمْلِكْ له غير عَبْرَةٍ تُهيبُ بها أن حارَدَتْ لَوْعةُ الصَدْرِ

ونحن رَدَدْنا أهلَهـا إذ تَرَحَّلوا وقد نُظِمَتْ خَيْلُ الأزارِقِ بالجَسْرِ

ومَنْ يَخْشَ أطْرافَ المنايا فإننـا لَبِسْنا لهنَّ السابِغاتِ من الصَبْرِ

فانَّ كَريهَ المَوْتِ عَذْبٌ مَذاقُـهُ إذا ما مَزَجْناهُ بِطيبٍ من الذِكْرِ

وما رُزِقَ الإنْسانُ مثلَ مَنِيَّةٍ أَراحتْ من الدنيا ولم تُخْزِ في القبر

وفي هذا الشعر :

لِيَشْكُرْ بنو العباس نعمَى تَجَدَّدَتْ فقد وَعَدَ اللهُ المَزيدَ على الشُكْرِ

لقـد جَنَّبَتْكُمْ أُسْرَةٌ حَسَدَتْكمُ فَسَلَّتْ على الاسلام سَيْفاً من الكفر

Marfat.com

وقد نَغَّصَتْهُمْ جَوْلَةً بَعدَ جَوْلَةٍ يُبيتونَ فيها المسلمينَ على دعرِ

وقال عبدالله بن قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ :

أَلا طَرَقَتْ من أهل بَيْنَةَ طَارِقَهْ على أنها مَعْشوقةُ الدلِّ عَاشِقَهْ
تبيتُ وأرضُ السُّوسِ بيني وبينها وسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الازَارِقَهْ
إذا نحن شِئْنا صادَفَتْنا عِصابةٌ حَرورِيَّةٌ أَضْحَتَ من الدين مارِقَهْ

وكان مقدارُ مَنْ أصابَ عليٌّ صلوات الله عليه منهم بالنَّهَرَوانِ ألفين وثمانِيَ مَائةٍ في أصح الأقاويل ، وكان عَدَدُهُمْ ستةَ آلافٍ . وكان منهم بالكوفةُ زُهاءُ ألفين ممن يُسِرُّ أمرَهُ ، ولم يشهد الحرب ، فخرج منهم رجل بعد أن قال عليٌّ رضوان الله عليه : إرْجِعوا وادفعوا إلينا قاتِلَ عبدِ الله بن خَبَّابٍ . فقالوا : كُلُّنا قَتَلَهُ وشَرِكَ في دمه . حَمَلَ منهم رجلٌ على صَفِّ عليٍّ .وقد قال عليٌّ : لا تبدؤوهم بقتال ، فَقَتَلَ من أصحاب عليّ ثلاثةً وهو يقول :

أَقْتُلُهُمْ ولا أرَى عَلِيّا ولو بَدَا أَوْجَرْتُهُ الخَطِّيّا

فخرج إليه عليٌّ صلوات الله عليه فقتله ، فلما خالطه السيف قال : حَبَّذا الرَّوْحةُ إلى الجنة . فقال عبدالله بن وَهْبٍ : ما أدْرِي أإلى الجنة أم إلى النار . فقال رجل من سعد : إنما حَضَرْتُ اغتراراً بهذا وأراه قد شَكَّ فانخزل بجماعة من أصحابه ، ومال ألفٌ إلى ناحيةِ أبي أيوب الانصاري . وكان رحمه الله على مَيْمنةِ عليٍّ وجعل الناس يتسللون. وقد قال عليٌّ وقيل له انهم يريدون الجِسْرَ . فقال: لن يبلغوا النُطْفة . وجعل الناسُ يقولون له في ذلك حتى كادوا يشكون . ثم قالوا : قد رجعوا يا أمير المؤمنين .

Marfat.com

فقال : والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ . ثم خرج إليهم في أصحابه ، وقد قال لهم : انه والله ما يُقْتَلُ منكم عشرة ، ولا يُفْلِتُ منهم عشرةٌ . فَقُتِلَ من أصحابه تسعةٌ وأَفْلَتَ منهم ثمانية . قال أبو العباس : وقيل أولُ مَنْ حَكَّمَ ولَفَظَ بالحكومة ولم يُشِدْ بها رجلٌ من بني سَعْدِ بن زيد مَناةَ بن تَميم بن مُرٍّ من بني صَرِيمٍ يقال له الحَجَّاجُ بن عبد الله ، ويُعْرَفُ بالبُرَكِ ، وهو الذي ضرب معاوية على أَلْيَتِهِ . فإنه لما سَمِعَ بذكر الحَكَمَيْنِ قال : أيُحَكِّمُ في دين الله لا حُكْمَ إلا لله . فسمعه سامع فقال : طَعَنَ واللهِ فَأَنْفَذَ ، وأَوّلُ مَنْ حَكَّمَ بين الصفَّين رجلٌ من بني يَشْكُرَ بن بكر بن وائل ، فإنه كان في أصحاب عليٍّ ، فحمل على رجلٍ منهم فقتله غِيلةً ثم مَرَقَ بين الصفين فَحَكَّمَ وحَمَلَ على أصحاب معاوية فَكَثَّروهُ ، فرجع إلى ناحية عليّ صلوات الله عليه فحمل على رجل منهم ، فخرج إليه رجل من هَمْدانَ فقتله . فقال شاعرُ هَمْدانَ :

ما كان أغنى اليَشْكُريَّ عن التي تَصَلَّى بها جَمْراً من النار حاميا
غَداةَ يُنادِي والرِماحُ تَنوشُهُ خَلَعْتُ عَلِيّاً بادِياً ومُعاويا

وجاء في الحديث : أن علياً رضي الله عنه تُلِيَ بحضرته، قل هل نُنَبِّئُكُمْ بالأَخسَرِينَ أعمالاً الذين ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحياة ، وهم يَحْسَبون أنهم يُحْسِنون صُنْعاً . فقال عليٌّ : أهلُ حَروراء منهم . وروي عن عليٍّ صلواتُ الله عليه ، أنه خرج في غَداةٍ يوقظ الناس للصلاة في المسجد ، فمرَّ بجماعة تتحدث فَسَلَّمَ وسَلَّموا عليه فقال ، وقبض على لحيته : ظننت أن فيكم أشقاها الذي يَخْضِبُ هذه من هذه . وأَوْمأ بيده إلى هامته ولِحْيَتِهِ ومن شعر علي بن

Marfat.com

أبي طالب الذي لا اختلاف فيه أنه ، وانه كان يُرَدِّدُهُ أنهم لَمَّا سَأَلُوهُ أن يُقِرَّ بالكفر ويتوبَ حتى يسيروا معه الى الشام . فقال : أَبَعْـــدَ صُحْبَة رسول الله ﷺ . والتفقهِ في الدين أَرْجِعُ كافراً :

يا شاهِدَ الله عليَّ فاشْهَدِ أني على دين النبي أَحْمَـــدِ

(مَنْ شَكَّ في الله فاني مُهْتَدِي)

ويروى : (أني مَوَلِيُّهُ وَلِيَّ أَحْمَدِ) . ويروى أن رجلا أسودشديد بياض الثياب ، وقف على رسول الله ﷺ وهو يَقْسِمُ غَنـائم خَيْبَرَ ، لم تكن إلا لِمَنْ شهد الحُدَيْبِيَّةَ فأقبل ذلك الأَسودُ على رسول الله ﷺ فقال : ما عَدَلْتَ مُنْذُ اليومِ . فغضِبَ رسول الله ﷺ حتى رُؤِيَ الغضبُ في وجهه ، فقال عمر بن الخطاب : ألا أقتله يا رسول الله ؟ فقال رسولُ الله : انه سيكونُ لهذا ولاصحابه نَبَأٌ . وفي حديثِ آخر ، أن رسول الله ﷺ قال له : وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إذا لم أَعْدِلْ . ثم قال لابي بكر : اقتله ، فمضى ثم رجع فقال : يا رسول الله رأيته راكعاً . ثم قال لعمر اقتله فمضى ثم رجع فقال يا رسول الله رأيتُهُ ساجداً . ثم قال لعلي : أقتـله . فمضى ثم رجع فقال : يا رسول الله لم أرَهُ ، فقال رسول : لو قُتل هذا ما اختلف اثنان في دين الله . قال أبو العباس : وحدثني ابراهيم بن محمد التَّيْمِيُّ قاضي البَصْرةِ في إسْنادٍ ذكره أن عليا رضي الله عنه وَجَّهَ الى رسول الله ﷺ بذَهَبةٍ من اليمن فَقَسمها أرْباعاً فأعطى رُبْعا للاقْرَعِ بن حابسٍ المجاشِعِيِّ وربعا لزَيْدِ الخَيْلِ الطائيِّ وربعا لعُيَيْنَةَ بن حِصْنِ الفَزارِي وربعا لعَلْقَمَةَ ابن عُلاثَةَ الكِلابِيِّ فقام اليه رجل مُضْطَرِبُ الخَلْقِ غائر العينين ناتىء الجبهة

Marfat.com

فقال : لقد رأيتُ قِسمةً ما أُريدَ بها وَجْهُ الله. فغضب رسولُ الله ﷺ حتى تَوَرَّدَ خدَّاه ثم قال : أَيَأْمنُني الله عز وجل على أهـــل الأرض ولا تَأْمَنوني . فقام اليه عمرُ فقال : أقتله يا رسول الله ؟ فقـــال ﷺ إنه سيكون من ضِئْضِىءِ هذا قومٌ يَمْرُقونَ من الدين كما يَمْرُقُ السَّهْمُ من الرَّمِيَّةِ تَنْظُرُ في النَّصْـــلِ فلا تَرَى شيئاً وتنظر في الرِّصافِ فلا تَرَى شيئاً وتَتَمارَى في الفُوق . وقوله صلى الله عليه وسلم : من ضئضىء هذا أي من جنس هذا يقال فلان من ضِئْضِىء صِدْقٍ ومن مَحْتِدِ صِدْقٍ وفي مُرَكَّبِ صِدْقٍ . وقال جَريرٌ للحَكَمِ بن أَيُّوبَ بن الحكم بن أبي عَقيل وهو ابن عَقيل وهو ابن عم الحجاج . وكان عامِلَهُ على البصرة :

أَقْبَلْنَ من نَهْلانَ أو وادي حِيَمْ على قِلاصٍ مثلِ خِيطانِ السَلَمْ
إذا قَطَعْنَ عَلَما بَدا عَـــلَمْ حتى أَنَخْناها الى باب الحَكَمْ
خَليفـــةِ الحَجَّاجِ غير المُتَّهَمْ في ضِئْضىءِ المَجْدِ ويُحْبوحِ الكَرَمْ

ويقال مَرَقَ السهم من الرمية : إذا نفـذ منها ، وأكثرُ ما يكونُ ذلك أن لا يَعْلَقَ به من دمها شيء ، وأقطعُ ما يكونُ السيف اذا سَبَقَ الدمَ . قال امرؤ القيس بن عابسٍ الكِنْديُّ .

وقد أَخْتَلِسُ الضَّرْبَةَ لا يَدْمَى لهـــا نَصْلي

فأما ما وضعه الاصمعي في كتاب الاختيار ، فعلى غَلَطٍ وُضِعَ ، وذكر الأصمعي أن الشعر لاسحق ابن سُوَيدٍ الفقيه . وهو لأعرابي لا يَعْـــرِفُ المقالات التي يَميلُ اليها أهلُ الأهواء . أنشد الأصمعي :

بِرئتُ من الخَوارجَ لَسْتُ منهم من الغَزَّالِ منهم وابن باب

Marfat.com

ومِنْ قوم إذا ذَكَروا عَلِيًّـــا يَرُدُّونَ السلامَ على السَّحاب
ولكني أُحِبُّ بـــكل قلـــبي وأعْلَمُ أن ذاكَ من الصَّواب
رسولَ الله والصِّـــدِّيقَ حُبًّا به أرجو غَداً حُسْنَ الثواب

فان قوله من الغزال منهم يعني واصِلَ بن عَطـــاء . وكان يُكْنَى أبا حُذَيْفَةَ . وكان معتزليا ولم يكن غزالا ولكنه كان يلقب بذلك لأنه كان يَلْزَمُ الغَزَّالينَ لِيَعْرِف المُتَعَفِّفاتِ من النساء فيجعلَ صَدَقَتَهُ لهنَّ . وكان طويلَ العُنُقِ ، ويروى عن عمرو بن عُبَيْدٍ أنه نَظَرَ اليه من قبل أن يكلمه فقال : لا يُفْلِحُ هذا ما دامتْ عليه هذا العنق . وقـــال بَشَّارُ بن بُرْدٍ . يهجو واصلَ بن عَطاء :

ماذا مُنيتُ بغزَّالٍ له عُنُـــقٌ كنِقْنِقِ الدَّوِّ إنْ وَلَّى وإن مَثَلاَ
عُنُقَ الزَّرافة ما بالي وبالكُمُ تُكَفِّرونَ رجالا أكْفَروا رَجُلا

ويروى لا بَلْ كأنه لا يَشُكُّ فيهِ أنَّ بَشَّاراً كان يَتَعَصَّبُ للنـــار على الارض . ويُصَوِّبُ رأيَ ابليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام . ويُرْوَى له :

الأرضُ مُظْلِمَةٌ والنارُ مُشْرِقَـــةٌ والنارُ معبودةٌ مُذْ كانت النارُ

فهذا ما يرويه المتكلمون ، وقَتَلَهُ المَهْدِيُّ على الإلحاد . وقد رَوَى قومٌ أن كتبه فُتِّشَتْ فلم يُصَبْ فيها شيء مما كان يُرْمَى به ، وأصيب له كتاب فيه : اني كتاب فيـــه : اني أردتُ هِجاء آل سُلَيْمانَ بن عليٍّ فذكرتُ قرابتهم من رسول الله ﷺ . فأمسكتُ منهـــم . (إلا أني قلتُ) :

Marfat.com

دينارُ آل سُلَيْمانِ ودِرهَمُهُمْ كبابِلِّيْنِ حُفا بالعَقــارِيتِ
(لا يُرْتَجيانِ ولا يُرْجى نَوالُهما كما سَمِعْتَ بهاروتٍ وماروتِ)

وحدثني المازنيّ قال : قال رجل لَبَشّارٍ : أتأكلُ اللَّحْمَ وهو مُباينٌ لديانَتِكَ يَذْهَبُ إلى أنه ثَنَوِيٌّ . قال : فقال بَشّارٌ : ليسوا يَدْرونَ أن اللحم يَدْفَعُ عني شَرَّ هذه الظلمة . وكان واصلُ بن عطاء أحدَ الأعاجيب، وذلك أنه كان أَلْثَغَ قبيحَ اللثْغةِ في الراءِ فكان يُخلِص كلامه من الراء ، ولا يُفْطَنُ بذاك لاقتداره وسهولةِ ألفاظِــهِ . ففي ذلك يقولُ شاعرٌ من المعتزلة يمدحه بإطالته الخُطَبَ واجتنابِه الراءَ على كثرة ترددها في الكلام . حتى كأنها ليستْ فيه :

عَليمٌ بابدالِ الحروفِ وقامِــعٌ لكلِّ خَطيبٍ يَغْلِبُ الحقَّ باطِلُهْ

وقال آخر :

ويَجْعَلُ البُرَّ قَمْحــاً في تَصرُّفِــهِ وخالَفَ الراءَ حتى احتالَ لِلشَّعَرِ
ولم يُطِقْ مَطَراً والقولُ يُعْجِــلُهُ فعاذَ بالغَيْثِ إشْفاقاً من المَطَرِ

ومما يُحْكَى عنه قوله : وذكر بَشّاراً أما لهذا الأعمى المُكْتَنى بابي مُعاذٍ مَنْ يَقْتُلُهُ ، أمّا واللهِ لولا أن الغِيلةَ خُلُقٌ من أخلاق الغالية لَبَعَثْتُ اليــه مَنْ يَبْعَجُ بطنه على مَضْجَعِهِ ، ثم لا يكون الا سَدُوسِيًّا أو عُقَيْلِيًّا . فقال هذا الأعمى : ولم يقل بَشّاراً ولا ابن بُرْدٍ ولا الصَريرَ وقال : من أخلاق الغالية ولم يقُل المغيريةِ ولا المَنْصوريةِ . وقال : لبعثتُ ، ولم يقل لأرسلت اليه . وقال : على مضجعه ، ولم يقل على فراشِهِ ولا مَرقَدِهِ . وقال : يبعج ، ولم يقل : يَبْقُرُ . وذكر بني عقيل لأن بشارا كان يَتَوالَى اليهم وذكر بني سدوس لأنه كان

Marfat.com

نازلاً فيهم واجتنابُ الحروفِ شديدٌ . قال ولما سَقطت ثنايا عبد المَلِكِ قال : والله لولا الخُطْبةُ والنساءُ ما حَفَلت بها . قال وخطب الجُمَحِيُّ وكان مَنْزوعَ إحدى الثَّنِيَّتَيْنِ ، وكان يَصْفِرُ إذا تكلم فأجاد الخُطْبةَ . وكانت لنِكاحِ فردَّ عليه زيد بن علي الحسين كلاماً جيداً ، إلا أنه فَضَلَهُ بتمكن الحروف وحُسْنِ مَخارج الكلام . فقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله ابن جعفر يذكر ذلك :

صَحَّتْ مَخَارِجُها وتَمَّ حروفُها فله بذاكَ مَزِيَّةٌ لا تُنْكَرُ

المزية الفضيلة . وأما قوله : وابن باب فانه عمرو بن عبيد بن باب . وكان مَوْلَى بني العَدَوِيَّة من بني مالك بن حَنْظلةَ ، فهذان مُعْتَزِليانِ وليسا من الخوارج ولكن قصد اسحق بن سويد الى أهل البِدَعِ والأهواء . ألا تراه ذكر الرافضةَ معها فقال :

ومن قَوْمٍ إذا ذَكَرُوا عليا آشاروا بالسلام على السحاب

ويروى (يردون السلام على السحاب) . ثم نرجع الى ذكر الخوارج . قال فلما قَتَلَ عليٌّ أهلَ النَهْرَوان ، وكان بالكوفةِ زُهاءُ ألفينِ ممن لم يَخْرُج مع عبدالله بن وهب وقوم ممن اسْتَأْمَنَ الى أبي أيوب الأنصاري ، فتجمعوا وأمّروا عليهم رجلا من طَيِّءٍ فوَجَّهَ اليهم عليٌّ صلوات الله عليه رجلا وهم بالنُخَيْلَةِ فدعاهم ورَفَقَ بهم ، فأبَوْا فعاودهم ، فأبَوْا فقُتِلُوا جميعاً . فخرجت طائفة منهم نَحْوَ مكَّةَ ، فوَجَّهَ معاويةُ مَنْ يُقيم للناس حَجَّهم فَناوَشَهُ هؤلاء الخوارجُ . فبلغ ذلك معاويةَ ، فوجه بُسْرَ ابن أرطاةَ أحدَ بني عامر بن لُؤيٍّ ، فتَوافقوا وتَراضَوْا بعد الحرب ، بان

Marfat.com

يصلي بالناس رجلٌ من بني شَيْبة ، لئلا يفوتَ الناسَ الحجُّ . فلما انقضى نَظَرَتِ الخوارج في أمرها ، فقالوا : إن علياً ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة ، فلو قتلناهما لعاد الامرُ الى حقِّهِ . وقال رجل من أشْجَع : والله ما عمرو دونهما ، وإنه لأَصْلُ هذا الفساد. فقال عبد الرحمن بن مُلْجَمٍ : أنا أقتل علياً ، فقالوا وكيف لك به . قال : أغْتالُهُ . فقال الحجاج بن عبد الله الصريميُّ وهو البُرَكُ وأنا أقتل معاوية . وقال زاذَوَيْهِ مَوْلى بني عمرو بن تميم : وأنا أقتل عمراً ، فأجْمَعَ رأيُهم على أن يكونَ قتلُهم في ليلة واحدة ، فجعلوا تلك الليلة ليلةَ إحدى وعشرين من شهر رمضان . فخرج كل واحد الى ناحية ، فأتى ابن مُلْجَمٍ الكوفة فأخْفَى نفسه وتزوج امرأةً يقال لها قَطامِ بنت عِلْقَمةَ من تَيْمِ الرِبابِ ، وكانت تَرَى رأيَ الخوارج ، والأحاديثُ تختلف وإنما يُؤْثَرُ صحيحها . ويُرْوَى في بعض الأحاديث أنها قالت : لا أقْنَعُ منك إلاّ بصداقٍ أسَمِّيهِ لكَ وهو ثلاثة آلاف درهم وعبدٌ وأَمَةٌ وأن تقتل علياً ، فقال لها : لك ما سألت فكيف لي به ؟ قالت : تَرومُ ذلك غِيلةً فان سَلِمْتَ أرحتَ الناس من شَرٍّ وأقمتَ مع أهلك وإن أصِبْتَ سِرْتَ الى الجنة ونعيم لا يزول فانعم لها . وفي ذلك يقول :

ثلاثةُ آلافٍ وعبدٌ وقَيْنَةٌ وضَرْبُ عليٍّ بالحسامِ المُصَمِّمِ
فلا مَهْرَ أغْلَى من عليٍّ وان غلا ولا قَتْلَ الا دونَ قَتْلِ ابنِ مُلْجَمِ

وقد ذكروا أن القاصد الى معاوية يَزيدُ بن ملجم ، والقاصدَ الى عمرو آخر من بني ملجم ، وأن أباهم نهاهم فلما عَصَوْهُ قال : استعدوا للموت ، وأن أمهم حَضَّتْهُمْ على ذلك . والخبرُ الصحيح ما ذكرتُ لك أول

Marfat.com

مرة. فأقام ابن ملجم ، فيقال أن امرأته قَطام لامَتْهُ وقالت : ألا تَمْضي لما قَصَدْتَ لَهُ ما أحببت أهلك ، قال : اني قد وَعدْتُ صاحِبَيَّ وقتاً بعينه . وكان هنالك رجل من أشجَعَ يقال له شَبيبٌ فواطأهُ عبد الرحمن . ويروى أن الأشعَثَ نظرَ الى عبد الرحمن متقلدا سيفاً في بني كِنْدَةَ فقال : يا عبدَ الرحمن أرني سيفك ، فأراه فرأى سيفاً حديداً فقال : ما تَقَادُكَ السيفَ وليسَ بأوانِ حَرْبٍ ؟ فقال : إني أردت أن أنْحَرَ به جَزُورَ القرية ، فركب الأشعَثُ بغلته وأتى علياً صلوات الله عليه. فَخَبَّرَهُ ، وقال له : قد عرفتَ بسالةَ ابن مُلْجَمٍ وفَتْكَهُ فقال علي : ما قتلني بَعْدُ ، ويروى أن علياً رضوان الله عليه كان يخطب مَرَّةً ويُذَكِّرُ أصحابه وابنُ مُلْجَمٍ تِلْقاءَ المِنْبَرِ فَسُمِعَ وهو يقول : والله لأُرِيحَنَّهُمْ منك . فلما انصرف علي صلوات الله عليه الى بيته أُتيَ به مُلَبَّباً فاشرف عليهم فقال : ما تريدون ؟ فَخَبَّرُوه بما سمعوا ، فقال : ما قتلني بَعْدُ ، فَخَلَّوْا عنه . ويروى أن علياً كان يتمثل إذا رآه ببيت عمرو بن مَعْدي كَرِبَ في قَيْسِ بن مَكْشوحِ المرادي ، والمكشوحُ هُبَيْرَةُ ، وإنما سمي بذلك لأنه ضُرِبَ على كَشْحِهِ :

أُريدُ حِباءَهُ ويُريدُ قَتْلي عَذِيرَكَ من خَليلِكَ من مُرادِ

فينتفي من ذلك حتى أُكْثِرَ عليه ، فقال له المُرادِيُّ : إن قُضِيَ شيء كان. فقيل لعلي كأنك قد عرفته وعرفتَ ما يريد بك أفلا تقتله ؟ فقال : كيف أقتل قاتلي . فلما كان ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان خرج ابنُ مُلْجَمٍ وشَبيبُ الأشْجَعِيُّ فاعْتَوَرَ البابَ الذي يدخل منه عليّ رضي الله عنه وكان مُغَلَّساً ويُوقِظُ الناسَ للصلاة فخرج كما كان يفعلُ فضربه شَبيبٌ فأخطأه وأصاب سيفُهُ البابَ ، وضربه ابنُ مُلْجَمَ على صَلْعَتِهِ . فقال علي : فُزْتُ ورَبِّ

Marfat.com

الكَعْبَةِ ، شَأْنَكُمْ بالرجل. فيروى عن بعض من كان بالمسجد من الأنصار قال : سمعتُ كلمةَ عليٍّ ورأيتُ بَريقَ السيف . فأما ابن ملجم فحمل على النـاس بسيفه فأفرجوا له وتلقَّاهُ المُغيرةُ بن نَوْفَلِ بن الحرث بن عبدالمطلب بَقَطِيفَةٍ فرمى بها عليه واحتمله فضرب به الأرض ، وكان المغيرةُ أيّـداً فقعد على صدره . وأما شبيب فانتزع السيفَ منه رجلٌ من حَضرَمَوْتَ وَصرَعَهُ ا وقعد على صدره ، وكَثُرَ الناسُ فجعلوا يَصيحون : عليكم صاحبَ السيفِ . فخاف الحَضْرَميُّ أن يُكِبُّوا عليـه ولا يَسْمعوا عذره ، فرمى بالسيف وانسَلَّ شبيبٌ بين الناس فَدَخلَ على عليّ رضوان الله عليه فأومر فيه فاختلف الناس في جوابه ، فقال علي : إن أعِشْ فالأمر اليَّ وأن أُصَبْ فالامر لكم فان آثَرْتُمْ أن تَقْتَصُّوا فضَرْبَةٌ بضربة وإن تعفوا أقْرَبُ للتقوى . وقال قوم بل قال : وإن أصبتُ فاضربوه ضربةً في مَقْتَلِهِ ، فأقام عليّ يومين فسمع ابن ملجم الرَّنَّةَ من الدار فقال له مَنْ حضره : أيْ عَدُوَّ اللهِ انه لا بأس على أمير المؤمنين. فقال : أعَلَى مَنْ تبـكي أمُّ كُلثومٍ أعَلَيَّ أما والله لقـد اشتريتُ سيفي بألف درهم وما زِلْتُ أعرِضُهُ فما يعيبه أحد إلاَّ أصلَحْتُ ذلك العيب ، ولقد أسقيته السُمَّ حتى لَفَظَه ، ولقد ضربتُهُ ضربةً لو قُسِمَتْ على مَنْ بالمشرق لأتَتْ عليهم . ومات عليٌّ صلوات الله ورضوانه عليه ورحمته في آخر اليوم الثالث فدعا به الحسنُ رضي الله عنه ، فقال : ان لك عندي سِرًّا فقال الحسن رضوان الله عليه أتَدْرون ما يريد؟ يريد أن يَقْرُبَ من وجهي فيَعَضَّ أذُني فيقطعَها . فقال أما واللهِ لو أمكنتني منها لاقتلعتها من أصلها . فقال الحسن : كلا والله لأضرِبَنَّكَ ضربةً تُوَدِّيكَ الى النار . فقال :

Marfat.com

لو علمتُ ان هذا في يدَيْكَ ما اتخذتُ الها غيرَك ، فقال عبد الله بن جعفر يا ابا محمد ادفعه اليَّ اشْفِ نفسي منه . فاختلفوا في قتله فقال قوم أحْمَى له ميلين وكَحَلَهُ بهما فجعل يقول . انك يا ابن أخي لتَكْحَلُ عَمَّكَ بمِلْمولَينِ مَضَّاضَيْنِ ، وقال قوم : بل قَطَعَ يديه ورجليه ، وقال قوم بل قطـــع رجليه وهو في ذلك يَذْكر الله عز وجل ، ثم عَمَدَ الى لسانه فشق ذلك عليه فقيل له لم تَجْزَعْ من قطع يديك ورجليك ونراك قد جَزِعْتَ من قطع لسانك ! فقال: نعم أحببتُ أن لا يزال فمي يذكر الله رَطْباً . ثم قتله . ويروى : أن علياً رضي الله عنه أُتي بابن مُلْجَمٍ وقيل له ، ان قد سمعنا من هذا كلاماً فلا تأمن قتله لك فقال : ما أصنع به ؟ ثم قال عليّ رضوان الله عليه .

اشْدُدْ حَيازِيمَكَ للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تَجْزَعْ من الموت اذا حَلَّ بِوادِيكا

والشعر انما يصح بأن تحذف اشدد فتقول :

حيازيمك للموت فان الموت لاقيكا

ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما عليه المعنى . ولا يعتدون به في الوزن ويحذفون من الوزن عِلْماً بان المخاطب يعلم ما يريدونه . فهو إذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر اشدد فأظهره ولم يعتد به . قال وحدثني أبوعثمان المازني قال فصحاء العرب يُنْشِدونَ كَثيراً :

لَسَعْدُ بن الضِبابِ إذا غَدا أَحَبُّ الينا مِنْكَ فافَرَسِ حَمِرْ

وإنما الشعر : (لَعَمْرِي لَسَعْدُ بن الضباب اذا غدا) . وأما الحجاج ابن عبدالله الصريمي وهو البُرَكُ فانه ضَرَبَ معاوية مُصَلِّياً فأصاب مَأْكَمَتَهُ وكان معاويةُ عظيم الأوْراك فقطع منه عِرْقاً يقال عرقُ النكاح فلم يُولَدْ

Marfat.com

لمعاوية بعد ذلك ولد ، فلما أُخذَ قال : الانسانُ والبشارةُ قُتِلَ عليٌّ في هذه الصَّبيحة . فاستُؤْنِيَ به حتى جاء الخبر ، فقطع معاويةُ يَدَهُ ورجله ، فأقام بالبصرة فبلغ زِياداً أنه قد وُلد له فقال : أيولد له وأميرُ المؤمنين لا يولد له ، فقتله . هذا أحد الخبرين * ويروى أن معاوية قصع يديه ورجليـــه وأَمَرَ باتخاذ المقصورة فقيل لابن عباس بعد ذلك: ما تأويلُ المقصورة؟ فقال : يخافون أن يَبْتَظِرَهُمُ الناسُ . وأما زاذَوَيْهِ فانه أرْصَدَ لعمرو واشتكى عمرو بطنه فلم يخرج للصلاة وخرج خارِجةُ . وهو رجلٌ من بني سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْصٍ رَهْطِ عمرو بن العاصي فضربه زاذويه فقتله . فلما دُخِلَ به على عمرو فرآهم يخاطبونه بالإمْرةِ قال أو مَا قَتَلْتُ عمرا ؟ قيل : لا انما قتلتَ خارِجةَ فقال : أَردتُ عمرا والله أراد خارجةَ . وقال أبو زُبَيْدٍ الطائيُّ يَرْثي علي بن أبي طالب صلوات الله عليه .

إنَّ الكِرامَ على ما كان من خُلُقٍ ... رَهْطُ امْرِىءٍ خارَهُ للدين مُخْتارُ
طَابَ بَصير بأَضْغانِ الرجالِ ولم ... يُعْدَلْ بِخَبْرِ رسولِ الله أخبارُ
وقطرةٌ قَطَرَتْ إذ حان مَوْعِدُها ... وكلُّ شيءٍ له وقتٌ ومِقْدار
حتى تَنَصَّلها في مسجـــد طُهُرٍ ... على إمامِ هُدًى إن مَعْشَرٌ جاروا
حُمَّتْ لِيَدْخُلَ جَنَّاتِ أبو حَسَنٍ ... وأُوجِبَتْ بعده للقاتل النـــارُ

قوله : خاره انما هو اختاره وهو فَعَلَه ، واختاره افْتَعَلَهُ كما تقول قَدَرَ عليه ، واقْتَدَرَ عليه . وقوله : بصير باضغان الرجال فهي أسرارها ومُخَبَّآتُها قال الله تعالى : فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ويُخْرِجْ اضغانكم ، والخَبَرُ العالم . ويروى أن علياً رضوان الله عليه مر بيهودي يسأل مُسْلِماً عن شيء من

* والتلفيق في القصة ظاهر . فقد كانت الضربة خفيفة لا تزيد عن خدش إلية معاوية .

Marfat.com

أمر الدين فقال له علي : اسألني ودَعِ الرجلَ ، فقال له : يا أمير المؤمنين أنت خَبْرٌ ، أي عالم . قال عليٌّ أنْ تَسألَ عالماً أجدَى لك . وقوله : حتى تنصلها يريد استخرجها ، وقوله حمت معناهُ قدِرَتْ قال الكُمَيْتُ :

والوصيُّ الذي أمالَ النَّجو ـ ـيُّ به عرْشَ أمَّةٍ لانْهدام
قَتَلُوا يوم ذاك اذ قَتَلوه حَكَماً لا كغابر الحُكَّام
الإمامَ الزَّكيَّ والفارِسَ المُعْلَمَ تحت العَجاج غيرَ الكَهام
راعِياً كان مُسْبِعاً ففقدنا هُ وفَقْدُ المسيمِ هُلْكُ السَّوام

قوله الوصي فهذا شيء كانوا يقولونه ويكثرون فيه . قال ابن قَيْسِ الرُّقَيَّات :

نحنُ منا النبيُّ أحمدُ والصدّيقُ منا التَقِيُّ والحكماء
وعليٌّ وجَعْفَرٌ ذو الجناحَيْنِ هُناكَ الوَصِيُّ والشُهداء

وقال كُثَيِّرٌ لما حَبَسَ عبدُ الله بن الزبير محمدَ بن الحَنَفيَّة في خمسة عشر رجلاً من أهله في سِجْنٍ عارِمٍ :

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ انكَ عائذٌ بل العائذُ المحبوسُ في سِجْنِ عارِمِ
وَصِيُّ النبي المصطفى وابنُ عَمِّهِ وفَكَّاكُ أعناقٍ وقاضي مَغارِمِ

أراد ابنَ وَصِيِّ النبيِّ والعربُ تُقيمُ المضاف اليه في هذا الباب مُقامَ المضاف ، كما قال الشاعر :

سَبَّحْنَ مِنْ كاظِمة الخَصَّ الخَرِبْ يَحْمِلْنَ عَبَّاس بن عبد المُطَّلِبْ

يريد ابنَ عباس رضي الله عنه . وقال الفرزدق لسليمان بن عبد الملك :

وَرِثْتُم ثِيابَ المَجْدِ فهي لَبوسُكُمْ عن ابني مَناف عبد شَمْسٍ وهاشم

...

Marfat.com

يريد ابني عبد مناف : وقال أبو الأسودِ :

أُحِبُّ مُحَمَّداً حبا شديـــداً وعَبَّاساً وحَمْزَةَ والوَصِيَّـــا
أحبهـــمُ لحـــبُّ الله حتى أجـــيءَ اذا بُعِثْتُ على هَوَيَّا
هَوَى أُعطِيتُهُ منذ اسْتدارَتْ رَحى الإسلام لم يَعْدِل سَوِياً

(السوى والسَّواء الذي قد سَوَّى الله خَلْقَهُ لا زَمانَةَ به ولا داء . وفي القرآن بَشَراً سَوِيًّا وتقول ساويت ذاك بهذا الامر أي جعلته مثلاً له) :

يقول الأرْذلونَ بنو قُشَيْرٍ طَوالَ الدهر ما تَنْسَى عليَّـــا
بنو عَـــمِّ النبي وأقربوهُ أَحَبُّ الناسِ كُلِّهِمُ إليَّـــا
فان يك حُبُّهم رُشْداً أُصِبْهُ وليس بمُخْطِئٍ ان كان غَيّا

(ويروى ولستُ) وكان بنو قشير عُثمانيَّةً . وكان أبو الأسود نازلاً فيهم فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاه مرةً فقـــالوا : ما نحن نرميك ولكنَّ الله يرميك ، فقال : كذبـــتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني . قال وكان نَقْشُ خاتمِهِ .

يا غَالبي حَسْبُكَ من غالبٍ إرْحَمْ عليَّ بن أبي طـــالب)

وقوله غير الكَهام فالكَهامُ الكليلُ من الرجال ، والسيوف يقال : سيف كَهامٌ وقوله :

راعياً كان مُسْجِعـــاً ففقدنا هُ وفقد المسيم هلك السوام

فالمسيم الذي يُسيمُ أبله أو غنمه تَرْعَى ، وكذلك كلُّ شيء من الماشية فجعل الراعي للناس كصاحب الماشية الذي يُسيمها ويَسوسُها ويُصْلِحها .

Marfat.com

ومتى لم يَرْجِعْ أمر الناس الى واحد فلا نظام لهم ولا اجتماع لأمورهم، قال ابن الرُقَيّات :

أيهـــا المُشتَهِي فَناءَ قُرَيْشٍ بيد الله عُمْرُها والفَنـــاء
إن تُوَدِّعْ من البلاد قُرَيْشٌ لا يَكُنْ بعدهم لحيٍّ بَقاء
لو تُقَفّي ويُتْرَكُ الناسُ كانوا غَنَمَ الذِّئْبِ غاب عنها الرِعاء

وقال الحِمْيَرِيّ يعني عليا رضوان الله عليه :

كان المُسِيمَ ولم يكن الا لمنْ لَزِمَ الطريقةَ واستقامَ مُسيما

ولما سمع علي صلوات الله عليه نِداءهم لا حُكْمَ الا الله قال : كلمة عادلة يُرادُ بها جَوْرٌ ، انما يقولون لا إمارةَ ولا بدمن امارةِ بَرَّةٍ أو فاجرة. ورَوَوْا أن عليـا رضي الله عنه لما أوصى الى الحسن في وقف أمواله ، وأن يَجْعل فيها ثلاثة من مَواليه وَقَفَ فيها عينَ أبي نَيْزَرَ والبُغَيْبِغَةَ ، وهذا غلط لأن وَقْفَهُ لهذين الموضعين لِسَنَتَيْنِ من خِلافته . حدثنا أبو مُعَلِّمٍ محمدُ بن هشام في أسنادٍ ذكَره آخره كان أبو نيزر . وكان أبو نيزر من أبناء بعض ملوك الأعاجم . قال : وصح عندي بعدُ أنه من ولد النَّجاشيّ فَرَغِبَ في الاسلام صغيراً فأتى رسولَ الله ﷺ ، فأسلم . وكان معه في بيوتـــه . فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها عليه السلام. قال أبو نيزر : جاءني عليُّ بن أبي طالب وأنا أقوم بالضَّيْعَتَيْنِ عَيْنِ أبي نيزر والبغيبغة فقال لي : عندك من طعام ؟ فقلت : طعام لا أرضاه لأمير المؤمنين قَرْعٌ من قرع الضَّيْعَةِ صنعته بِاهالةٍ سَنِخَةٍ . فقال: عَلَيَّ به . فقام الى الربيع، وهو جَدْوَلٌ فغسل يده ثم أصاب من ذلك شيئاً ثم رجع الى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى

Marfat.com

أنقاهما ثم ضم يديه كلَّ واحدة منهما الى أختها وشرب بهما حُسآ من مـــاء الربيع ، ثم قال : يا أبا نيزر إن الأَكُفَّ أنظفُ الآنية ، ثم مسح نَدَى ذلك الماء على بطنه ، وقال: مَنْ أدخله بطنُهُ النار فأبعده الله . ثم أخـــذ المِعْوَلَ وانْحَدَرَ في العين فجعل يضرب وأبطأ عليه الماء ، فخرج وقد تَفَضَّج جَبينُهُ عرَقاً ، فانتكف العَرَقَ عن جبينه ثم أخذ المعول وعاد الى العين فأقبل يضرب فيها ، وجعل يُهَمْهِمُ فانثالت كأنها عنق جَزورٍ فخرج مسرعاً فقال: أُشْهِدُ الله أنها صدقة ، عليَّ بدَواةٍ وصحيفةٍ . قال : فَعَجَّلْتُ بها اليه فكتب: ـــ بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما تَصَدَّقَ به عبدُ الله عليٌّ أمير المؤمنين ، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل لِيَقِيَ اللهُ بهما وجهه حَرَّ النار يوم القيامة لا تُباعا ولا توهَبا حتى يرثهما الله وهو خير الوارثين ، الا أن يحتاج اليهما الحسن أو الحسين فهما طِلْقٌ لهما وليس لاحد غيرهما . قـــال محمد بن هشام : فركب الحسينَ رضي الله عنه دَيْنٌ فحمل اليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار فأبى أن يبيـــع . وقال : انما تصدق بها أبي ليقي اللهُ بها وجهه حر النار ولست بائعها بشيء . وتحدث الزبيريون أن معاوية كتب الى مروان بن الحكم ، وهو والي المدينة : أما بعد فان أمير المؤمنين أَحبَّ أن يَرُدَّ الأُلْفَةَ ويَسُـــلَّ السَخيمةَ ، ويَصِلَ الرَحِمَ فإذا وصل اليك كتابي فاخْطُبْ الى عبد الله بن جعفر ابنته أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين وارْغَبْ له في الصداق . فوَجَّهَ مروانُ الى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رَدِّ الالفة من صلاح ذات البَيْنِ واجتماع الدَّعْوة . فقال عبد الله : انَّ خالها

Marfat.com

الحسين بيَنْبُعَ وليس ممن يُفْتاتُ عليه بأمر فَأَنْظِرْني الى أن يَقْدَمَ . وكانت أمها زينبَ بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبدالله بن جعفر فقام من عنده فدخل الى الجارية ، فقال : يا بُنَيَّةُ ان ابن عمـــكِ القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بكِ ولعلك ترغبين في كثرة الصداق وقد نَحَلْتُكِ البُغَيْبغاتِ . فلما حضر القومُ للإملاكَ تكلم مروانُ بن الحكَمِ فذكر معاويةَ وما قصده من صِلَةِ الرَحِمِ وجَمْعِ الكلمة . فتكلم الحسين فزوّجها من القاسم ، فقال له مروان : أَغَـــذْراً يا حسين؟ فقال : أنت بدأت . خَطَبَ أبو محمد الحسنُ بن عليّ عليه السلام عائشةَ بنتَ عثمان بن عَفّانَ واجتمعنا لذلك ، فتكلمت أنت فزوجتَها من عبدالله بن الزبير ، فقال مروانُ : ما كان ذلك فالتفتَ الحسن الى محمد بن حاطب فقال : أَنْشُدُكَ الله أكان ذاك ، قال : اللهم نعم . فلم تَزَلْ هذه الضَيْعَةُ في يَدَيْ بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها حتى ملك أمير المؤمنين المأمونُ فَذُكِرَ ذلك له ، فقال : كَلاَّ هذا وَقْفُ علي ابن أبي طالب صلوات الله عليه ، فانتزعها من أيديهم وعوّضهم عنها وردّها الى ما كانت عليه . قال أبو العباس رَجَـــعَ الحديثُ الى ذكر الخوارج وأمرِ عليّ بن أبي طالب ، قال : يروى أن علياً في أوّل خروج القوم عليه دعا صَعْصَعَةَ بن صُوحانَ العبديَّ ، وقد كان وَجَّهَهُ اليهم ، وزِيادَ بن النَضْرِ الحارثيّ مع عبد الله بن العباس فقال الصعصعة : بأي القوم رأيتهم أَشَدَّ إطاقةً ؟ فقال : بيزيد بن قَيْس الأرْحَبِيِّ . فركب عليٌّ اليهم الى حَروراء فجعل يتخللهم حتى صار الى مَضْرِبْ يزيدَ بن قيس ، فصلّى فيه ركعتـــين ثم

Marfat.com

خرج فاتكأ على قوسه ، وأقبل على الناس . ثم قال : هذا مقام مَنْ فَلَجَ فيه فَلَجَ يوم القيامة أَنشُدُكُمُ الله أعلمتم أحدا منكم كان أكْرَهَ للحكومة مني ؛ قالوا : اللهم لا ، قال : أفعلمتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتُهـــا ، قالوا : اللهم نعم ، قال : فَعَلامَ خالفتموني ونابذتموني ؟ قالوا : انا أتينا ذنبا عظيما فتبنا الى الله فتبْ الى الله منه واستغفرْه نعد لك . فقال عليٌّ : اني أستغفر الله من كل ذنب . فرجعوا معه وهم ستة آلاف فلما استقروا بالكوفة أشاعوا أن عليا رجع عن التحكيم ورآه ضلالا ، وقالوا : إنما ينتظر أمير المؤمنين أن يَسْمَنَ الكُراعُ ويُجْبَى المالُ فَيَنْهَضَ الى الشام ، فأتى الأشعثُ بن قَيْسٍ عليا عليه السلام فقال : يا أمير المؤمنين ان الناس قد تحدثوا أنك رأيت الحكومةَ ضلالا والاقامةَ عليها كُفْراً ، فخطب عليٌّ الناس فقال : مَنْ زَعَمَ أني رجعت عن الحكومه فقد كذب ، ومن رآها ضلالا فهو أضلُّ . فخرجت الخوارج من المسجد فَحَكَّمَتْ ، فقيل لعليّ انهم خارجون عليك ، فقال : لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسيفعلون فَوَجَّهَ اليهـــم عبدَ الله بن العباس فلما صار اليهم رَحَّبوا به وأكرموه ، فرأى منهم جِباهاً قَرِحةً لطول السجود وأيدِياً كَثَفِنَاتِ الابل عليهم قُمُصٌ مُرَحَّضَةٌ وهم مُشَمِّرونَ . فقالوا : ما جاء بك يا أبا العباس ؟ فقال : جئتـــكم من عند صِهْرِ رسول الله ﷺ وابن عَمِّهِ وأَعْلَمِنا بربه وسُنَّةِ نبيه ومن عند المهاجرين والأنصار . قالوا : انا أتينا عظيما حين حَكَّمْنا الرجال في دين الله فإن تاب كما تبنا ونَهَضَ لمجاهدة عدونا رجعنا . فقال ابن عباس : نَشَدْتُكُمُ اللهَ ما صَدَقتم أنفُسَكم ، أما علمتم أن الله أمر بتحكيم الرجال في أرْنَبٍ تُساوي

Marfat.com

رُبع درهم تُصادُ في الحرم وفي شِقاق رجل وامرأته ؟ فقالوا : اللهم نعم . فقال : فأنشدكم الله هل علمتم أن رسول الله ﷺ أمسَكَ عن القتال للهُدْنةِ بينه وبين أهل الحُدَيْبية؟ قالوا : نعم ولكن علياً محا نفسه من امارة المسلمين ! قال ابن عباس : ليس ذلك بمزيلها عنه وقد محا رسول الله ﷺ اسمه من النبوّة، وقد أَخذَ عليٌّ على الحَكَمَيْنِ أن لا يَجورا وان يجورا فعليٌّ أولَى من معاوية وغيره . قالوا : ان معاوية يَدَّعِي مثل دَعْوَى عليّ . قال : فأيُّهما رأيتموه أوْلَى فوَلُّوه ، قالوا : صدقت . قال ابن عبـــاس : متى جار الحَكَمانِ فلا طاعة لهما ولا قبول لقولهما . قال فاتبعه منهم ألفـان وبقي أربعة آلاف فصلى بهم صلواتهم ابنُ الكَوَّاء وقـــال : متى كانتْ حَرْبٌ فرئيسكم شَبَثُ ابن رِبْعِيٌّ الرياحيُّ ، فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البَيْعةِ لعبد الله بن وَهْبِ الراسبيّ . قال : ومضى القومُ الى النِهْروانِ وكانوا أرادوا المُضِيَّ الى المَداين . قال الأخفش كذا كان يقول المـــبرد النِهْروانُ بكسر النون والراء وانما هو النَّهْرَوانُ بالفتح وأنشد للطِرِمّاح :

قَلَّ في شَطِّ نَهْروان قاضي) . قال أبو العباس : فمن طَريف أخبارهم أنهم أصابوا مسلماً ونصرانياً فَقَتَلوا المسلم وأوْصَوْا بالنصراني ، فقالوا : احفظوا ذِمَّةَ نبيكم . ولقيهم عبد الله بن خباب وفي عنقه مصحف ومعه امرأته وهي حامل : فقالوا ان هذا الذي في عُنُقِكَ لَيأْمُرنا أن نقتلك . قال : ما أحيا القرآنُ فأحيوه وما أماته فأميتوه ، فوَثَبَ رجلٌ منهم على رُطَبةٍ فوضعها في فيه ، فصاحوا به ، فَلَفَظَها تَوَرُّعاً . وعَرَضَ لرجل منهم خنزير فضربه الرجل فقتله ، فقالوا : هذا فساد في الأرض. فقال عبد الله

Marfat.com

ابن خَبَّابٍ : ما عليَّ منكم بأسٌ إنّي لَمُسْلِمٌ ، قالوا له : حَدِّثنا عن أبيك قال ، سمعت أبي يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول : تكون فتنةٌ يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت بدنـــه يُمْسِي مؤمناً ويُصْبِحُ كافراً ، فَكُنْ عبدَالله المقتولَ ولا تكن القاتل . قالوا : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ فأثنى خيراً ، قالوا : فما تقول في عليّ قبل التحكيم وفي عثمان سِتَّ سنينَ ؟ فأثنى خيراً ، قالوا : فما تقول في الحكومة والتحكيم ؟ قال : أقول إن علياً أَعْلَمُ بكتاب الله منكم وأَشَدُّ تَوَقِّياً على دينه وأَنْفَذُ بصيرةً ، قالوا : إنك لستَ تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائها ، ثم قَرَّبوه إلى شاطئ النهر فذبحوه فامْذَقَرَّ دمـــه ، أي جرى مستطيلاً على دِقَّةٍ . وساموا رجلاً نصرانياً بنخلة له ، فقال هي لكم ، فقالوا : ما كنا لنأخذها إلا بثمن قال : ما أَعْجَبَ هذا أتقتلون مثل عبدالله بن خباب ولا تقبلون منا جنى نخلةٍ !

ومن طَريف أخبارهم أن غَيْلانَ بن خَرْشَةَ الضَّبِّيَّ سَمَرَ ليلة عند زِيادٍ ومعه جماعة ، فَذُكِرَ أمرُ الخوارِجِ فأنحى عليهم غيلانُ ثم انصرف بعد ليْلٍ إلى منزله فلقيه أبو مِرْداسُ ابن أُدَيَّةَ فقال له : يا غيلانُ قد بلغني ما كان منك الليلة عند هذا الفاسق من ذكر هـــؤلاء القوم الذين شَرَوا أنفسهم وابتاعوا آخرتهم بدْنياهم ، ما يُؤَمِّنُكَ أن يلقاك رجل منهم أَحْرَصُ واللهِ على الموت منك على الحياة فَيُنْفِذَ حِضْنَيْكَ برمحه . فقال غيلان : لن يَبْلُغَكَ أني ذكرتهم بعد الليلة . ومِرْداسٌ تنتحله جماعة من أهـــل الأهواء لِقَشَفِهِ وبَصيرته وصحة عبادته وظهور ديانته وبيانِهِ ، تنتحله المعتزلةُ ، وتزعم أنه خرج منكراً لجور السلطان داعياً إلى الحق وتحتج له بقوله لزياد حيث

Marfat.com

قال على المِنْبَرِ : والله لآخُذنَّ المحسنَ منكم بالمسيء والحاضرَ منكم بالغائب ، والصحيحَ بالسقيم . فقام إليه مرداسٌ فقال : قد سمعنا ما قلت أيها الانسانُ وما هكذا ذكر الله عز وجل عن نبيه إبراهيم عليه السلام إذ يقول : وإبراهيم الذي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى ، وأنْ ليسَ للإنسان إلا ما سَعَى ، وأن سعيه سوف يُرَى ثم يُجزاهُ الجزاءَ الأوفى ، وأنت تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي ! ثم خرج في عقب هذا اليوم والشِيَعُ تنتحله ، وتزعم أنه كتب إلى الحسين بن علي صلوات الله عليه : اني لَسْتُ أرى رأي الخوارج وما أنا إلا على دين أبيك . وهذا رأيٌ قد اسْتَهْوَى جماعةً من الأشراف . يروى أن المُنْذِرَ بن الجارود كان يرى رأي الخوارج وكان يزيد ابن أبي مسلم ، مولى الحجَّاج بن يوسف ، يراه . وكان صالح بن عبد الرحمن صاحب ديوان العراق يراه ، وكان عِدَّةٌ من الفقهاء يُنْسبون إليه منهم عِكْرِمَةُ مولى ابن عباس ، وكان يقال ذلك في مالك بن أنس . ويَرْوِي الزُبَيْرِيُّونَ أن مالك بن أنس المدينيَّ كان يذكر عثمان وعلياً وطَلْحَةَ والزُبَيْرَ فيقول : والله ما اقتتلوا إلا على التَرِيد الأعفرِ . فأما أبو سعيد الحسن البَصريُّ فإنه كان ينكر الحكومةَ ولا يرى رأيهم ، وكان إذا جَلَسَ فتمكن في مجلسه ذَكَرَ عثمانَ فَتَرَحَّمَ عليه ثلاثاً ولعن قَتَلَتَهُ ثلاثاً ويقول : لو لم نلعنهم لَلُعِنَّا . ثم يذكر علياً فيقول : لم يَزَلْ أميرُ المؤمنين عليٌّ رحمه الله يَتَعَرَّفُهُ النصرُ ويُساعده الظَفَرُ حتى حَكَمَ فَلِمَ تُحَكِّمْ والحقُّ معكَ ، ألا تمضي قُدُماً لا أبالَك وأنت على الحق . قال أبو العباس : وهذه كلمة فيها جَفاءٌ ، والعربُ تستعملها عند الحث على أخذ الحق

Marfat.com

والإغراء وربما استعملتها الجُفـــاة من الاعراب عند المسئلة والطلب ، فيقول القائل للامير والخليفة : انظر في أمر رعيتك لا أبا لكَ . وسَمِـــعَ سليمان ابن عبد الملك رجلا من الاعراب في سَنَةٍ جَدِيبةٍ يقول :

رَبَّ العِبادِ ما لَنا وما لـكا قد كنتَ تَسْقينا فما بَدَا لَـكا

(أَنْزِلْ علينا الغَيْثَ لا أبا لـكا)

فأخرجه سليمان أحسن مُخْرَج . فقال : أشهد أنه لا أبا له ولا وَلَدَ ولا صاحبة ، وأشهد أن الخَلْقَ جميعاً عباده . وقـــال رجل من بني عامر بن صَعْصعةَ ، أَبْعَدَ من هذه الكلمة لبعض قومه :

أبني عُقَيْلٍ لا أبا لابيـــكمُ أَبيٌّ وأَيُّ بني كِلابٍ أكْرَمُ

وقال رجل من طَيِّىءٍ أنشده أبو زيد الأنصاري :

يا قُرْطَ قُرْطَ حُيَيٍّ لا أبا لـكمُ يا قُرْطُ اني عليكم خائفٌ حَذِرُ

أأن رَوَى مِرْقَشٌ واصْطاف أعْنُزَهُ من التِلاع التي قد جادَها المطرُ

قلتم له اهْجُ تَميماً لا أبا لكمُ في كف عبدكمُ عن ذاكُمُ قِصَرُ

فإن بيت تَميمٍ ذو سَمِعْتَ بـــه فيه تَنَمَّتْ وأرستْ عِزَّها مُضَرُ

قوله : يا قرط قرط حيي نَصْبُهما معاً أكثر على السنـــة العرب ، وتأويلهما أرادوا يا قرط حيي فأقحموا قرطا الثاني توكيد . وكذلك لجرير :

يا تَيْمَ تَيْم عَدِيٍّ لا أبا لكمُ لا يُلْقِيَنَّكُمُ في سَوأة عُمَـــرُ

ومثله لعُمَرَ بن لَجا :

يا زَيْدَ زَيْدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبلِ تَطاوَلَ الليلُ عليـــكَ فانْزِلِ

فان لم ترد التوكيد والتكرير ولم يجز الا رفع الاول يا زَيْدُ زَيْـدَ

Marfat.com

اليعملات ويا تَيْمُ تَيْمَ عدي كما تقول : يا زيدُ أخا عمرو على النعت . ومثلُ الأول في التوكيد يا بُؤْسَ للحرب ، أراد يا بؤسَ الحربِ فَأَقحَمَ اللام توكيدا لانهـــا توجب الاضافة . وعلى هذا جاء : لا أبا لك، ولا أبا لزيد . ولولا الاضافة لم تثبت الألف في الاب لانك تقول : رأيت أباك؟ فاذا أفردتَ قلت : هذا أب صالح ، وإنما كانت لا أباك كما قال الشاعر :

أبالموتِ الذي لا بُدَّ أنّي مـــلاقٍ لا أباكِ تُخَوِّفيني

وقال آخر :

وقد مات شَمَّاغٌ ومات مُزَرِّدٌ وأيُّ كريمٍ لا أباكِ تُخَلَّدُ

وقوله : أأن رَوَى مِرقش رجل ، ورَوَى اسْتَقَى لاهله يقال : فلان راويةُ أهلِهِ إذا كان يستقي لأهله ، والتي على البعير والحمار مَزادةٌ . فإذا كَبُرَتْ وعَظُمَتْ وكانت من ثلاثة آدِمَةٍ فهي المُثَلَّثَة ، وأصغرُ منها السَّطيحةُ وأصغرهنَّ الطِبْعُ . وقوله : واصطاف أعنزه ، يريد افْتَعَلَتْ من الصَيْف أي أصابت البقلَ فيه . والتَّلْعَةُ ما ارتفع من الأرض في مُسْتَقَرِّ المَسيل إذا تجافى السيلُ عن مَتْنِهِ ، وجمعُه تِلاعٌ . وقوله : ذو سمعتَ به ، يريد الذي . وكذلك تفعل طيء تجعل ذو في معنى الذي . قال زَيْدُ الخَيْلِ لبني فَزارة ، وذكر عامر بن الطفَيْلِ فقال :

(إنّي أرَى في عامر ذو تَرَوْنَ) . وقال عارِقٌ الطائيُّ :

فان لم يُغَيِّرْ بعضُ ما قد فَعَلْتُمُ لأَنْتَحِيَنْ للعظم ذو أنا عارِقُه

يريد الذي . ومن ظُرَفاء المُحْدَثين اليمانيةِ مَنْ يعملُ هذا اعتماداً ألاّ يثار لغة قومه . قال الحسن ابن هانىء الحَكَمِيُّ :

Marfat.com

حُبُّ المُدامـــة ذو سمعتَ به لم يُبْقِ فيَّ لغيرهـــا فَضْلا

وقال حَبيبُ بن أوْسٍ الطائيُّ :

أنا ذو عَرَفْتِ فان عَرَتْكِ جَهالةٌ فأنا المُقيمِ قِيامةَ العُـــذَّالِ

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

عَلِّلاني بذكْرهـــا عَلِّلاني واسقِياني أوْلاَ فَمَنْ تَسْقيانِ

أنا ذو لم يَزَلْ يَهونُ على النَدْ مانِ إنْ عَزَّ جانبُ النَدْمـــان

ويكونُ العزيزَ في ساعةِ الرَوْ عِ بصَدْقِ الطِعان يوم الطِعان

عاد الحديثُ الى ذكر الخوارج . قال أبو العباس : وكان في جملة الخوارج لَدَدٌ واحتجاجٌ على كثرة خُطبائهم وشُعرائهم ونَفاذِ بَصيرتهم وتَوْطين أنفسهم على الموت . فمنهم الذي طُعِنَ فأنفَذَهُ الرُمْحُ ، فجعل يَسْعَى فيه الى قاتله وهو يقول : وعَجِلْتُ اليكَ رَبِّ لِتَرْضَى . ويروى عن النبي ﷺ أنه لما وصفهم قـــال : سيماهم التَحْليقُ يقرؤن القرآن لا يُجـــاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ علامَتُهُمْ رجـــل مُخْدَجُ اليدِ . وفي حديث عبدالله بن عمرو ، رجل يقال له : عمرو ذو الخُوَيْصِرةِ أو الخُنَيْصرة . وروى عن النبي ﷺ أنه نظر الى رجل ساجدٍ إلى أن صلى النبي عليه السلام . فقال : ألا رجلٌ يقتله ؟ فَحَسَرَ أبو بكر عن ذراعه ، وانْتَضَى السيفَ وصَمَدَ نحوه . ثم رجع الى النبي ﷺ . فقال أأقتل رجلا يقول : لا اله الا الله . فقـــال النبي صلى الله عليه وسلم ألا رجلٌ يفعلُ ، ففعل عمر مثل ذلك . فلما كان في الثالثة تَصَدَّ له عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام : فلم يره . فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو قُتِلَ لكان أولَ فِتْنةٍ وآخرَها . ويروى عن أبي مريم ،

Marfat.com

عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه أنـــه ذُكِرَ المُخْدَجُ عند النبي عليه السلام ، فقال أبو مريم : والله إن كان معنا لَفي المسجد . وكان فقـــيراً وكان يَحْضُرُ طعام عليّ إذا وضعه للمسلمين ، ولقد كسوته بُرْنساً لي . فلما خرج القوم الى حَروراء ، قلت : والله لأنظرن الى عسكرهم ، فجعلت أتخللهم حتى صِرْتُ الى ابن الكَوّاءِ وشَبَثِ بن رِبْعِيٍّ ورُسُلُ عليّ تناشدهم حتى وثب رجل من الخوارج على رسول لعلي ، فضرب دابته بالسيف . فحمل الرجل سرجه وهو يقول إنا لله وإنا اليه راجعون . ثم انصرف القوم الى الكوفة فجعلتُ أنظر الى كثرتهم كأنما ينصرفون من عيد ، فرأيت المُخْدَجَ . وكان مني قريباً فقلتُ : أكنتَ مع القوم . فقـــال : أخذتُ سلاحي أريدهم . فاذا بجماعـــة من الصِّبيان قد عَرَضوا لي فأخذوا سلاحي وجعلوا يتلاعبون بي . فلما كان يوم النهر قال علي : اطلبوا المُخْدَجَ فطلبوه فلم يجدوه حتى ساء ذلك عليا ، وحتى قال رجل : لا والله يا أمير المؤمنين ما هو فيهم . فقال عليٌّ : والله ما كذبتُ ولا كُذِبْتُ ، فجاء رجل فقال : قـــد أصبناه يا أمير المؤمنين . فخر عليٌّ ساجداً وكان إذا أتاه ما يُسَرُّ به من الفتوح سجد . وقال : لو أعلم شيئاً أفضلَ منه لفعلتُه . ثم قال : سِماهُ أن يده كالثَدْي عليها شعرات كشارب السِنَّوْر ، إيتوني بيده المُخْدَجةِ فأَتَوْهُ بها فنصَبها . ويروى عن أبي الجَلْدِ أنه نظر الى نافع بن الأزرق الحنفي وإلى نظره وتَوَغُّلِهِ وتَعَمُّقِهِ فقال : إني لأجد لجهنم سبعـــةَ أبواب وأنَّ أشدَّها حَرًّا للخوارج فاحذَرْ أن تكون منهم . قال ، وكان نافع بن الأزرق ينتَجِـعُ عبد الله بن العبـــاس فيسأله فله عنه مسائل من القرآن

Marfat.com

وغيره قد رجع اليه في تفسيرها فقبله وانتحله، ثم غلبتْ عليه الشِقْوةُ ونحن ذاكرون منها صَدْراً ان شاء الله. حَدَّثَ أبو عبيدة مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى التَيْمِيُّ النَسَّابةُ عن أُسامةَ ابن زيد عن عِكْرِمةَ قال: رأيت عبدالله بن العباس وعنده نافع بن الأزرق وهو سأله ويطلب منه الاحتجاج باللغة فسأله عن قول الله جل ثناؤه: والليل وما وَسَقَ. فقال ابن عباس: وما جَمَعَ فقال: أتعرفُ ذلك العربُ، قال ابن عباس: أما سمِعتَ قول الراجز:

إنَّ لنـــا قَلائصاً حَقائقـــا مُسْتَوْسِقاتٍ لو يَجِدْنَ سائقا

هذا قول ابن عباس، وهو الحق الذي لا يَقْدَحُ فيه قادح ويَعْرِضُ القولُ فيحتاج المبتدىء إلى أن يزداد في التفسير. قوله: حقائقا، انما بني الحِقَّةَ من الابل، وهي التي قد استحقت أن يُحْمَلَ عليها على فَعيلةٍ مثـــل حَقيقةٍ ولذلك جمعُها على حَقائق. ويقال اسْتَوْسَقَ القومُ، اذا اجتمعوا. وروى أبو عبيدة في هذا الاسناد وروى ذلك غيره، وسمعناه من غير وجه أنه سأله عن قوله عز وجل: وقد جَعَلَ ربكِ تحتك سَرِياً فقـــال ابن عباس: هو الجَدْوَلُ فسأله عن الشاهد فأنشده:

سَلْماً ترى الدالجَ منهـــا أزْوَرَا إذا يَعِجُّ في السَرِيِّ هَرْهَرا

السَلْمُ الدلو الذي له عُرْوةٌ واحدة، وهو دلو السَّقّائين وهو الذي ذكره طَرَفةُ فقال:

لها مِرْفَقانِ أفتلان كأنما أُمِرَّا بسَلْمَى دالجٍ مُتَشَدِّد

والدالج الذي يمشي بالدلو بين البـئر والحوض. وأصحابُ الحديث يُنْشِدونَ «تَرَى الدالِيَ منه أزورا»، وهذا خطأ لا وجه له. وروى أبو عبيدة

Marfat.com

وغيره أن نافعاً سأل ابن عباس عن قوله : عُتُلٍّ بعد ذلك زنيمٍ ، ما الزنيم ، قال : هو الدعِيُّ المُلْزَقُ ، أما سمعتَ قول حَسَّان بن ثابت :

زنيمٌ تَداعـــاه الرِجـالُ زِيادةً كما زِيْدَ في عَرْضِ الأديمِ الأكارع

ويزعم أهل اللغة أن اشتقاق ذلك من الزَنَمَـــةِ التي بحَلْقِ الشاةِ ، كما يقولون لمن دخل في قوم ليس منهم زَعْنَفَةٌ (الامُ زِعْنفةٌ بالكسر) وللجمع زعانفُ ، والزَعْنفةُ الجناح من أجنحة السمك . (قال أبو الحسن الأخفش : كذا قال زَعنفة . والناس كلهم يقولون زِعنفة بكسر الزاي ، وهو الوجه) ويروى عن غير أبي عبيدة أنه سأله عن قوله جل اسمـــه : والتَفَّتِ الساقُ بالساق . قال الشدَّة بالشدَّة . فسأله عن الشاهد فأنشده :

أخو الحَرْبِ إن عَضَّتْ به الحربُ عضَّها وإن شَمَّرتْ عن ساقها الحربُ شمرا

قال أبو العباس : وقرأت على عُمارةَ بن عَقيلِ بن بِـــلال بن جَريرٍ قصيدةَ جريرٍ التي يهجو فيها آل المُهَلَّبِ بن أبي صُفْرةَ ويمدح هـــلال بن أحْوَزَ المازنيَّ ، ويذكر الوقعة التي كانت لهم عليهم بالهِنْدِ في سُلْطان يَزيد بن عبد المَلِكَ بسبب خروج يزيد بن المهلب عليه :

أقول لها من ليلة ليس طولُهـــا كطول الليالي لَيْتَ صبحِكَ نَوَّرا
أخاف على نفس ابن أحْوَزَ انـــه جلا خَمَماً فوقَ الوجوه فأسفرا

(قال الشيخ أبو يعقوب الذي رويتُ في شعر جرير :

حِذاراً على نفس ابن أحوز انه جلا كلُّ وجهٍ من مَعَدٍّ فأسفرا

وقوله : عدي ، يعني عدي بن أرْطاةَ الفَزاري قتَله معاوية بن يزيد بن المهلب بواسِطٍ . وكان عامل عمر بن عبد العزيز رحمه الله) .

Marfat.com

جَعَلْتَ لِقَبْرٍ لِلْخِيـــارِ ومالكٍ وقبرِ عَدِيٍّ في المَقابر أقْبُرا

ويروى للخيار وواسطٍ : الخيار موضع بعُمان فيه قبر الخِيار بن سَبْرة المجاشعيّ ، وواسط بها عَدِيّ بن أَرْطاةَ الفَزاريّ) :

وأَطْفَأْتَ نيرانَ المَزونِ وأَهلِها وقـد حاولوهـا فِتْنَةً أن تُسَعَّرا

(المَزونُ عُمانُ بالفارسية) :

فلم تُبْقِ منهم رايةً يَعْرفونهـــا ولم تُبْقِ من آل المُهَلبِ عَسْكَرا

ألا رُبَّ ساهي الطَّرْفِ من آلِ مازِنٍ إذا شَمَّرتْ عن ساقها الحربُ شَمَّرا

فهذا نظير ذلكَ ، والمَزونُ عُمانُ . قال الكُمَيْتُ :

فأما الأَزْدَ أَزْدَ أبي سعيدٍ فأكرهُ أن أُسَمِّيها المَزُونا

وقال آخر يعني الحرب :

فإن شَمَّرتْ لك عن ساقهـــا فَوَيْهَا حُذَيْفَ ولا تَسْأم

(تقول : وَيْهَا لزيد إذا زجرتَهُ عن الشيء فأَغْرَيْتَهُ به ، وواهاً له إذا تعجبت منه ، وحذيف يريد حذيفة فرَخَّم) . ويروى عن أبي عبيدة من غير وجه أن نافع بن الازرق سأل ابن عباس فقال : أرأيتَ نبيَّ الله سليمان ﷺ مع ما خوّله الله وأعطاه كيف عُنِيَ بالهُدْهُدِ على قلته وضُؤولَتِهِ ، فقال له ابن عباس : انه احتاج إلى الماء والهُدْهُدُ قَنَّاءُ الارضُ له كالزُجاجةِ يَرَى باطنها من ظاهرها ، فسأل عنه لذلك . قـــال ابن الازرق : قِفْ يا وَقّافُ ، كيف يُبْصِرُ ما تحت الأرض والفَخُّ يُغَطَّى له بمقدارِ اصْبَعٍ من تراب فلا يبصره حتى يقع فيه؟ فقال ابن عباس : ويْحَكَ يا ابن الازرق أَمَا علمت أنه إذا جاء القَدَرُ عَشِيَ البَصَرُ ! وممـــا سأله عنه : آلم ذلك الكتاب ، فقال ابن

* والحق الى جانب الخارجي ، وتفسير حجة الماء من عند ابن عباس ، فهي أقرب الى الاسرائيليات

Marfat.com

عباس : تأويله هذا ، القرآنُ هكذا جاء ، ولا أحفظ عليه شاهدا عن ابن عباس ، وأنا أحسبه أنه لم يقبله ألا بشاهد. وتقديره عند النحويين إذا قال ذلك الكتاب أنهم قد كانوا وُعِدُوا كتاباً . هكذا التفسير كما قال جل ثناؤه : فلما جاءهم ما عَرَفوا كَفَروا به . يعني بذاك اليهودَ ، وقال: يعرفونه كما يَعْرِفون أبناءهم ، فمعناه : هذا الكتاب الذي كنتم تَتَوَقَّعُونه. وبيتُ خُفاف ابن نُدْبَةَ على ذلك يصح معناه . وكان من خبره أنه غزا مع معاوية بن عمرو أخي خَنْساء مُرَّةَ وفَزارةَ فَعَمَدَ ابنا حرْملةَ دُرَيْدٌ وهاشم المُرِّيَانِ عَمْدَ معاوية . فاستطرد له أحدُهما فَحَمَلَ عليه معاوية فطعنه وحمل الآخرُ على معاوية فطعنه مُتَمَكناً ، وكان صَميمَ الخَيْلِ . فلما تَنادَوا : قُتِلَ معاويةُ ! قال خفاف ابن ندبة ــ وهي أمه ، وكانت حبشية ، وأبوه عُمَيْرٌ أحد بني سُلَيْمِ بن منصور ــ قتلني الله إن رِمْتُ حتى أَثْأَرَ بهِ ، فحمل على مالك ابن حمار ، وهو سيد بني شَمْخِ بن فزارة فطعنه فقتله . فقال خُفاف ابن ندبة :

وإن تَكُ خَيْلي قد أُصيبَ صَميمُها فَعَمْداً على عَيْني تَيَمَّمْتُ مالكا
وَقَفْتُ له عَلْوَى وقد خام صُحْبتي لأَبْنيَ مَجْداً أو لأَثْأَرَ هالكا
أقول له والرُّمْحُ يَأْطِرُ مَتْنَهُ تَأَمَّلْ خُفافاً انّني أنا ذلكا

يريد، أنا ذلك الذي سمعتَ به . هذا تأويل هذا . وقوله : يأطر متنه ، أي يثني يقال : أَطَرْتُ القوس آطِرُها أَطراً وهي مأطورة ، وعَلْوى فرسُه . ومما سأله عنه قوله عز وجل : لهم أَجْرٌ غيرُ ممنون . فقال ابن عباس : غير مقطوع . فقال : هل تعرف ذلك العرب ؟ فقال : قد عرفه أخو بني

Marfat.com

يَشكُرَ حيث يقول :

وترى خَلْفَهُنَّ من سرعة الرَّجْـــعِ مَنيناً كأنه إهيـــاءُ

قال أبو العباس مَنينٌ يعني الغبار ، وذلك أنها تُقَطِّعُهُ قِطَعاً وراءها ، والمَنينُ الضعيف المُؤْذِنُ بانقطاع . أنشدني التَوَّزِيُّ عن أبي زيد :

يا رِيَّهـــا إنْ سَلِمَتْ يميني وسَلِمَ الساقي الذي يَلِيني

(ولم تَخُنّي عُقَدُ المَنين)

يريد الحبلَ الضعيف فهذا هو المعروف . ويقال : مَنينٌ ومَمْنونٌ ، كقَتيل ومقتول ، وجَريح ومَجْروح . وذكر التَوَّزِيُّ في كتاب الأضداد أن المَنين يكون القويَّ يجعله فَعيلاً من المُنة ، والمعروف هو الأول . وقال غير ابن عباس : لهم أجر غـير ممنون لا يُمَنُّ عليهم فَيُكَدَّرَ عندهم . ويروى من غير وجه ، ان ابن الأزرق أتى ابن عباس فجعل يسائله حتى أمَلَّهُ ، فجعل ابن عباس يُظْهِرُ الضَجَر . وطَلَعَ عمر بن عبدالله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلّم وجلس ، فقال له ابن عباس : ألا تُنْشِدُنا شيئاً من شِعْرِكَ فأنشده :

أمِنْ آلِ نُعْمٍ أنت غادٍ فَمُبْكِرُ غَداةَ غَدٍ أم رائحٌ فَمُهَجِّـــرُ

بحاجة نفسٍ لم تَقُلْ في جَوابِهـــا فَتُبْلِغَ عُذْراً والمقالةَ تُعْـذِرِ

تَهيمُ الى نُعْمٍ فلا الشَمْلُ جامعٌ ولا الحَبْلُ موصول ولا القَلْبُ مُقْصِرُ

ولا قُرْبُ نُعْمٍ ان دَنَتْ لك نافعٌ ولا نَأْيُها يُسْلي ولا أنتَ تَصْبِرُ

وأخرى أتَتْ من دون نُعْمٍ ومثلُها نَهى ذا النُهى لو يَرْعَوي أو يُفَكِّرُ

إذا زُرْتُ نُعْماً لم يَزَلْ ذو قرابةٍ لها كُلَّما لاقيتُـــه يَتَنَمَّـــرُ

Marfat.com

عَزيزٌ عليــــه أن أمرَّ ببابهــــا مُسِرٌّ لِيَ الشَحْناء والبُغْضَ مُظْهِرُ
أِلكْني إليهــــا بالسَّلام فانه يُشَهِّرُ إلْمامي بهــــا ويُنْكِّرُ
بآية ما قالتْ غَداةَ لقيتُهــــا بَمدْفَعِ أكْنانٍ أهــــذا المُشَهَّرُ
قِفي فانْظُرِي يا أسْمَ هل تَعرفينه أهذا المُغِيرِيُّ الذي كان يُذْكَرُ
أهذا الذي أطْرَيْتِ نعتاً فلم أكُنْ وَعَيْشِكِ أنساه الى يومِ أقْــــبَرُ
فقالتْ نَعَمْ لا شك غَيَّرَ لَونَهُ سُرَى الليل يُحْيِي نَصَّهُ والتَهَجُّرُ
لَئِنْ كانِ اياه لقد حالَ بَعْــــدَنا عن العَهْدِ والانسانُ قد يَتَغَيَّرُ
رأتْ رجلا أمّا اذا الشمسُ عارضتْ فَيَضْحَى وأمـا بالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

حتى أتمها ، وهي ثمانون بيتاً ، فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا ابن عباس أنضربُ اليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتُعْرِضُ ، ويأتيك غلام من قريش فيُنشِدُكَ سَفَهاً فتسمعهُ ؟! فقال: تالله ما سمعتُ سفهاً ، فقال ابن الازرق أما أنشدك :

رأتْ رجلاً أما إذا الشمسُ عارضتْ فيخزى وأمــــا بالعشيّ فيخسر

فقال : ما هكذا ؟ قال : إنما قال فيضحى وأما بالعشيّ فَيَخْصَرُ قال : أو تَحْفَظُ الذي قال . قال : والله ما سمعتُها إلا ساعتي هذه ، ولو شئت أن أردَّها لرددتها ، قال فاردُدها ، فأنشده إياها . وروى الزبيريون أن نافعاً قال له : ما رأيتُ أرْوَى منك قط ، فقال له ابن عباس : ما رأيتُ أروى من عُمَرَ ولا أعْلَمَ من عليٍّ . وقوله : فيضحى يقول : يظهر للشمس ، ويخصَر يقول في البَرْدَيْنِ ، فإذا ذكر العشي فقد دل على عقيب العشي ، قــال الله تبارك وتعالى : وأنكَ لا تَظْمأُ فيها ولا تَضْحَى ، والضِحُّ الشمسُ وليس من

Marfat.com

ضحِيتُ ، يقال : جاء فلان بالضَّحّ ، والريح يراد به الكثرة ، قال عَلْقَمة :

أَغرُّ أَبْرَزَهُ للضِحّ راقبُـــهُ مُقَلَّدٌ قُضُبَ الريحـان مَفْغومُ

له فَغْمةٌ ، أي رائحة طيبة يعني إبريقاً فيه شراب . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ لما توجه إلى تَبوكَ جاء أبو خَيْثمةَ ، وكانت له امرأتان وقد أَعدَّتْ كلٌّ واحدة منهما من طَيّبِ ثَمَرِ بستانه ومَهَّدَتْ له في ظل ، فقال : أَظِلٌّ ممدود ، وثمرة طيبة ، وماء بارد ، وامرأة حسناء ، ورسول الله في الضِحّ والروح! ما هذا بخير . فركب ناقته ومضى في أثره ، وقـــد قيل لرسول الله ﷺ في نفر تخلّفوا ، أبو خيثمةَ أَحدُهم ، فجعل لا يُذْكَرُ له أحدٌ منهم الا قال : دَعوهُ فان يُرِد الله به خيرا يُلْحِقْهُ بكم . فقيل ذات يوم : يا رسول الله نرى رجلا يرفعه الآلُ ، فقال رسول الله ﷺ : كُنْ أبا خيثمةَ ، فكان هو . وإذا انبسطت الشمس فهو الضحى ، مقصور ، فاذا امتد النهار وبينهما مقدار ساعة أو نحو ذلك فذلك الضَحاء ، ممدود مفتوح الأول . وذكرت الرواة أن الحجاج أُتِيَ بامرأة من الخوارج وبحضرته يزيد بن أبي مسلم مولاه ، وكان يَستَبِرُ برأي الخوارج ، فكَلَّمَ الحجاج المرأة فأعرضت عنه ، فقال لها يزيد بن أبي مسلم الأمير : وَيْلَكِ يكلمك فقالت : بـــل الويل والله لك يا فاسقُ الرِدِّيُّ . والرِدِّيُّ عند الخوارج هو الذي يعلم الحق من قولهم ويكتُمه . وذكروا أن عبد الملك بن مروان أُتِيَ برجـــل منهم فَبَحَثَهُ فرأى منه ما شاء فهماً وعلماً ، ثم بحثه فرأى ما شاء أرَباً ودَهياً ، فرغب فيه واستدعاه الى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مُستَبْصِراً مُحَقِّقـــاً فزاده في الاستدعاء ، فقال له : لِتُغْنِكَ الاولى عن الثانية وقد قلتَ فسمعتُ فاسْمَعْ

Marfat.com

أُقلْ . قال له : قل . فجعل يَبْسُطُ له من قول الخوارج ويُزيِّنُ لهُ من مذهبهم بلسان طَلِقٍ وألفاظ بَيِّنَةٍ ومَعانٍ قَريبةٍ . فقال عبد الملك بعد ذلك على معرفته : لقد كاد يوقع في خاطري ، أن الجنة خُلِقَتْ لهم وأني أَوْلَى بالجهاد منهم . ثم رجعتُ إلى ما ثَبَّتَ الله عليَّ من الحجة وقَرَّرَ في قلبي من الحق . فقلت له : لله الآخرة والدنيا وقد سلطني الله في الدنيا ، ومَكَّنَ لنا فيها وأراك لَسْتَ تُجيب بالقول ! والله لأَقتُلَنَّكَ إن لم تُطِعْ . فأنا في ذلك إذ دُخِلَ علي بابني مروان . (قال أبو العباس) : كان مروان أخا يزيد لامه أُمُّهُمَا عاتِكَةُ بنت يَزيدَ بن معاوية ، وكان أَبِيًّا عَزيزَ النفس فَدُخِلَ به في هذا الوقت على عبد الملك باكيـــاً لضرب المؤدّب إياه ، فشقّ ذلك على عبد الملك فأقبل عليه الخارجي . فقال له : دَعْهُ يَبْكِ فانه أَرْحَبُ لِشِدْقِـــهِ وأَصحُّ وأَذْهَبُ لصوته ، وأَحرَى أن لا تَأْبى عليه عينُهُ إذا حضرتْهُ طاعةُ ربه ، فاستدعى عَبْرَتَها . فأَعجَب ذلك من قوله عبدَ الملك ، فقال له متعجباً : أما يَشْغَلُكَ ما أنت فيه ، وبعَرَضِهِ عن هذا ؟ فقال : مـا ينبغي أن أن يَشْغَلَ المؤمنَ عن قول الحق شيءٌ . فأمر عبدُ الملك بحبسه وصَفَحَ عن قتله ، وقال بعدُ يعتذر اليه : لولا أن تُفْسِدَ بالفاظك أكثر رعيتي ما حبستك . ثم قال عبد الملك : من شَكَّكَني ووَهَّمني حتى مالت بي عِصْمَةُ الله فغيرُ بعيدٍ أن يَسْتَهْوِيَ مَنْ بعدي ، وكان عبدُ الملك من الرأي والعلم بموضع . وتزعم الرواة أن رجلاً من أهل الكتاب ، وفد على معاوية وكان موصوفاً بقراءة الكتب . فقال له معاويةُ : تَجِدُ نعتي في شيء من كتب الله ؟ قال : أي والله لو كنتَ في أُمَّةٍ لوضعتُ يدي عليكَ من بينهم ، قال : فكيف

Marfat.com

تجدني ؟ قال : أجدُك أولَ مَنْ يُحَوِّلَ الخلافة مُلْكاً والخشْنةَ ليناً ثم ان ربك من بعدها لغفور رحيم . قال معاوية ، فَسُرِّيَ عني . ثم قال : لا تقبل هذا مني ولكن من نفسك فاختبر هذا الخبر . قال : ثم يكون ماذا ؟ قال : ثم يكون منك رجل شَرَّابٌ للخمر سَفَّاكٌ للدماء ، يَخْتَجِنُ الأموال ويَصْطَنِعُ الرجال ويَجْنُبُ الخيولَ ويبيح حرمةَ الرسول . قال : ثم ماذا ؟ قال : ثم تكون فِتنةٌ تَتَشَعَّبُ باقوامٍ حتى يُفْضيَ الامرُ بها الى رجل أعْرِفُ نعتَهُ يبيع الآخرة الدائمةَ بخط من الدنيا مخسوس ، فَيُجْتَمَعُ عليه من آلِكَ وليس منكَ ، لا يزال لِعَدُوِّه قاهراً وعلى مَنْ ناوأه ظاهراً ، ويكون له قَرِينٌ مُبينٌ لَعينٌ ، قال : أفتعرفه ان رأيته ؟ قال : شَدَّ مَا . فأراه مَنْ بالشام من بني أُمَيَّةَ ، فقال : ما أراه ههنا . فوجه به الى المدينة مع ثِقاتٍ من رُسُلِهِ فاذا عبد الملك يسعى مُؤْتَزِراً في يده طائر ، فقال للرسل : ها هوذا . ثم صاح به إليَّ ابو مَنْ ؟ قال ، أبو الوليد . قال : يا أبا الوليد إن بشّرتك ببشارة تَسُرُّكَ ما تجعل لي ؟ قال : وما مقدارها من السرور حتى نَعْلَمَ مقدارَها من الجعل ؟ قال : أن تملك الارض ، قال : مالي من مال ولكن أرَأَيْتَكَ إنْ تكَلَّفْتُ لك جُعْلاً أأنالُ ذلك قبل وقته ؟ قال : لا ، قال : فان حَرَمْتُكَ أتؤخره عن وقته ؟ قال : لا ، قال : فَحَسْبُكَ ما سمعتَ . فذكروا أن معاوية كان يُكْرِمُ عبدَ الملك ليجعلَها يَداً عنده يجازيه بها في مُخَلَّفِيهِ في وقته . وكان عبدُ الملك من أكثر الناس علماً وأبرِعهم أدبا وأحسنهم في شَبيبَتِهِ ديانةً ، فَقَتَلَ عمرَو بن سَعيدٍ وتَسَمَّى بالخلافة ، فَسُلِّمَ عليه بها أولَ تسليمةٍ والمُصْحَفُ في حِجْرِهِ فأطبقه . وقال : هذا فِراقُ بيني وبينِكَ . قال أبو

Marfat.com

العباس : وحدثني ابن عـائشة عن حَمَّادِ بن سلمة في اسناد ذكره أن عبد الملك كان له صَديقٌ ، وكان من أهل الكتاب يقال له يوسف ، فأسلم ، فقال له عبد الملك يوماً ، وهو في عُنْفُوانِ نُسْكِهِ . وقد مضت جيوش يزيد بن معاوية مع مسلم بن عُقْبَةَ المُرِّيِّ ، من مُرَّةِ غَطَفانَ ، يريد المدينة : ألا تَرَى خَيْلَ عَدُوِّ الله قاصدة لِحَرَم رسول الله ﷺ . فقـــال له يوسف : جيشكَ واللهِ الى حَرَمِ رسول الله أعظم من جيشه ، فَنَفَضَ عبدُ الملك ثوبه ، ثم قال : مَعاذَ الله! قال له يوسف : ما قلتُ شاكًّا ولا مُرْتاباً واني لأَجِدُكَ بجميع أوصافك . قال له عبد الملك . ثم ماذا ؟ قال : ثم يتداولها رهطك ، قال : الى متى ؟ قال : الى آن تخرج الرايات السود من خُراسانَ . قال : وحُدِّثتُ عن ابن جُعْدُبَةَ قال : كنت عند أمير المؤمنين المنصور في اليوم الذي أتاه فيه خروجُ محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن قال : فَغَمَّهُ ذلك حتى امتنع من الغداء في وقته وطال عليه فكره . فقلت : يا أمير المؤمنين أُحَدِّثك حديثاً : كنت مـــع مَروانَ بن محمد وقد قصده عبدُ الله بن علي فإنَّا لَكذلك إذ نَظَرَ الى الاعلام السود من بُعْدٍ فقال : ما هذه البُخْت المُجلَّلَةُ ؟ قلت : هذه أعلام القوم ، قال : فمن تحتها ؟ قلت : عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس . قال : وأيهم عبد الله . فقلت : الفتى المَمْروقُ الطويلُ الخفيفُ العارِضين الذي رأيته في وَليمةِ كذا يأكل فَيُجِيدُ فسألتني عنه فنسبته لكَ فقلتَ : إن هذا الفتى لَتِلِقَّامةٌ . قال : قد عرفته ، والله لَوَدِدْتُ أن عليَّ بن أبي طالب مكانَهُ ، قال : فقال لي المنصور : آللهِ ، لَسَمعتَ هذا من مروان بن محمد ؟ قلتُ : والله لقد سمعتُهُ منه . قال : يا غلام هاتِ الغَداء . قال أبو العباس : وكان أهل النُخَيْلةِ جماعةً بعد

Marfat.com

أهل النَهْروانِ ممن فارق عبدَالله بن وَهْبٍ ، وممن لَجَأ إلى راية أبي أيوب وممن كان أقام بالكوفة ، فقال : لا أقاتل علياً ولا أقاتلُ معه . فَتَوَاصَوْا فيما بينهم، تعاضدوا وتأسفوا على خِذلانهم أصحابَهُمْ . فقام منهم قائم يقال له المُسْتَوْرِدُ من بني سعد بن زيدَ مناةَ فَحَمِدَ الله وأثنى عليه وصلى على محمد، ثم قال : إن رسول الله ﷺ أتانا بالعدل تَخْفِقُ راياتُهُ مُعْلناً مقالته، مُبَلِّغاً عن ربه ، ناصحاً لأمته حتى قبضه الله مُخَيَّراً مختاراً . ثم قام الصِدِّيقُ فَصَدَقَ عن نبيّه وقاتَلَ من ارتَدَّ عن دين ربه ، وذكر أن الله عز وجل قَرَنَ الصلاة بالزكاة فرأى أن تعطيل إحداهما طَعْنٌ على الأُخرى ،لا بل على جميع منازل الدين ثم قبضه الله إليه موفوراً . ثم قام الفاروقُ فَفَرَقَ بين الحق والباطل مُسَوِّياً بين الناس في اعطائه لا موثراً لاقاربه ولا مُحَكِّماً في دين ربه . وها أنتم تعلمون ما حَدَثَ ، واللهُ يقول : وَفَضَّلَ اللهُ المجاهدينَ على القاعدين أجراً عظيما . فكلٌ أجابَ وبايعَ فوجه إليهم عليُّ بن أبي طالب عبدَالله بن العباس داعياً ، فأَبَوْا فسار إليهم ، فقال له عَفيفُ بن قَيْسٍ : يا أمير المؤمنين لا تَخْرُجْ في هذه الساعة فإنها ساعةُ نَحْسٍ لعدوِّك عليك . فقال له عليٌّ : توكلتُ على الله وحده وعصيت رأي كل مُتَكَهِّنٍ . أنتَ تزعم أنك تعرف وقتَ الظَفَرِ من وقت الخِذْلانِ ، إني توكلتُ على الله ربي وربكم، ما دابة إلا آخِذٌ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم . ثم سار إليهم فَطَحَنهم جميعاً لم يَفْلِتْ منهم إلا خمسةٌ منهم المُسْتَوْرِدُ وابن جُوَيْنٍ الطائيُّ وفَرْوةُ بن شَرِيكٍ الأَشْجَعِيُّ . وهم الذين ذكرهم الحسنُ البصريّ فقال : دعاهم إلى دين الله فجعلوا أصابعهم في آذانهم واستَغْشَوْا ثيابهم

Marfat.com

وأَصرُّوا واستكبروا استكباراً ، فسار إليهم أبو حَسَنٍ فطحنهم طحناً .
وفيهم يقول عِمْرانُ بن الحَرِبِ :

إني أدِينُ بما دانَ الشراةُ بـــه يوم النُخَيْلَةِ عند الجَوْسَقِ الخَرِبِ

وقال الحِمْيَرِيُّ يعارض هذا المذهب :

اني أدين بما دانَ الوصيُّ بـــه يوم النُخَيْلَةِ من قتـــل المُحِلِّينا
وبالذي دانَ يوم النَهْرِ دِنْتُ بـه وشاركتْ كَفُّـــه كَفّي بِصفِّينا
تلك الدِماءُ مَعاً يا ربِّ في عُنُقي ومثلَها فاسْقِني آمـــينَ آمينا

وكان أصحاب النُخَيْلَةِ قـــالوا لابن عباس : إذا كان عليٌّ على حق، لمَ يَشْكُكْ فيه وحَكَّم مُضْطَرّاً فما باله حيث ظَفِرَ لم يَسْبِ ؟ فقال لهم ابنُ عباس : قد سمعتم الجوابَ في التحكيم ، فأما قولكم في السباء : أفكنتم سابين أمَّكُمْ عائشةَ ! فوضعوا أصابعهم في آذانهم وقالوا : أَمْسِكْ عنـــا حَرْبَ لِسانِكَ يا ابن عباس فإنه طُلَقٌ ذُلَقٌ غَوّاصٌ على موضع الحجة .
ثم خرج المُسْتَوْرِدُ بعد ذلك بمدةٍ على المغيرة بن شعبة وهو والي الكوفة ، فوَجَّهَ إليه مَعْقِلَ بن قَيْسٍ الرياحيَّ فدعاه المستوردُ إلى المبارزة. وقال له : عَلامَ يُقْتَلُ الناسُ بيني وبينك ؟ فقال له مَعْقِلٌ : النصَفَ سألتُ ، فأقسم عليه أصحابُهُ فقال : ما كنتُ لآبى عليه . فخرج إليـــه فاختلفا ضربَتَيْنِ فخرَّ كلُّ واحد منهما ميتاً . وكان المستوردُ كثير الصلاة شديد الاجتهاد وله آداب يُوصِي بها وهي محفوظةٌ عنه ، كان يقول : إذا أفْضَيْتُ بِسِرِّي إلى صديقي فأفشاه لم أَلُمْهُ لاني كنتُ أوْلَى بحفظه . وكان يقول : لا تُفْشِ إلى أحد سراً وإن كان مُخْلِصاً إلا على جهة المشاورة . وكان يقول : كُنْ

Marfat.com

أحرَصَ على حفظ سرّ صاحبك منك على حَقْنِ دمك . وكان يقول أولُ ما يَذِلُّ عليه عَائِبُ الناس مَعْرفتُهُ بالعيوب ولا يَعيبُ إلا مَعيبٌ . وكان يقول : المالُ غير باقٍ عليك فاشْتَرِ من الحَمْدِ ما يَبْقَى عليك . وكان يقول : بَذْلُ المال في حقه استدعاءٌ للمزيد من الجوادِ . وكان يُكْثِرُ أن يقول : لو مُلِكْتُ الأرضَ بحَذافيرها ثم دُعيتُ إلى أن أستفيد بها خطيئةً ما فعلتُ . قال ، وخرجتِ الخوارجُ واتصل خُروجها ، وإنما نذكر منهم من كان ذا خبر طَريفٍ واتصلتْ به حِكَم من كلام وأشعار . فأول مَنْ خَرَجَ بعد قتل عليٍّ عليه السلام حَوْثَرَةُ الأَسَدِيُّ فإنه كان مُتَنَحِّياً بالبَنْدَنيجَيْنِ فكتب إلى حابسٍ الطائيِّ يسأله أن يَتَوَلَّى أمر الخوارج حتى يسير إليه بجَمْعِهِ فيتعاضَدا على مجاهدة معاوية . فأجابه، فرجعا إلى موضع أصحاب النخيلة ، ومعاوية بالكوفة حيث دخلها مع الحسن بن علي صلوات الله عليه بعد أن بايعه الحسن والحسين عليهما السلام وقَيْسُ بن سَعْدِ بن عُبادةَ . ثم خرج الحسن يريد المدينة فَوَجَّهَ إليه معاويةُ وقد تَجَاوَزَ في طريقه يسأله أن يكون المتوليَ لمحاربتهم ، فقال الحسن : والله لقد كَفَفْتُ عنك لِحَقْنِ دِماء المسلمين وما أُحسِبُ ذلكَ يسعني ، أفأُقاتل عنك قوماً أنت والله أَوْلَى بالقتال منهم ، فلما رجع الجواب إليه وَجَّهَ إليهم جيشاً أكثرُهُمْ من أهل الكوفة ثم قال لأبيه أبي حَوْثَرَةَ : اكفِني أمر ابنك . فصار اليه أبوه فدعاه إلى الرجوع فأبى ، فأداره فصمم ، فقال له : يا بُنَيَّ أجيئك بابنك فلعلك تراه فَتَحِنُّ إليهِ . فقال : يا أبتِ أنا والله إلى طَعْنَةٍ نافذةٍ أتَقَلَّبُ فيها على كُعوبِ الرمح أشوَقُ مني إلى ابني ، فرجع إلى معاوية ، فأخبره فقال : يا أبا حوثرة

Marfat.com

عَتَا هذا جِدًّا ، فلما نظر حوثرة الى الكوفة قال : يا أعـــداء اللهِ أنتم بالأمس تُقاتلون مُعاويةَ لِتَهُدُّوا سلطانه ، واليومَ تقاتلون مع معاوية لِتَشُدّوا سلطانه ! فخرج اليه أبوه فدعـــاه الى البراز فقال : يا أبتِ لك في غيري مَنْدوحةٌ ولي في غيرك عنك مَذْهَبٌ . ثم حمل على القوم وهو يقول :

اكْرُرْ على هذي الجموعِ حَوْثَرَهْ فعَنْ قليلٍ ما تَنالُ المُغْفِـره

فَحَمَلَ عليه رجل من طَيّىء فقتله ، فرأى أثر السجود قد لَوَّحَ جبهته فَندِمَ على قتله ، ثم انهزم القوم جميعاً . وأنا أحسب أن قول القائل :

وأجرأُ مَنْ رأيتُ بظهرِ غَيْبٍ على عَيْبِ الرجالِ ذوو العُيوب

إنما أخذه من كلام المستورد ، قال رجل للمستورد : أريد أن أرى رجلاً عَيّاباً قال : التمسه بفضل مَعايِبَ فيه . وقال العباس بن الأحنف يعاتبُ من اتهمه بافشاء سره !

تَعَنَّيْتَ تَطْلُبُ مـــا أَسْتَحِقُّ به الهجرَ منك ولا تَقْدِرُ
ومـــاذا يَضُرُّكَ من شُهْرَتي إذا كان سِرُّكَ لا يُشْهَـــرُ
أمِنّي تخافُ انتشارَ الحديث وحَظّـــيَ في سَتْرِهِ أوفَـــر
ولو لم تَكُنْ فيَّ بُقْيَا عليك نَظَرْتُ لنفسي كما تَنْظُـــرُ

ويروى من حديث محمد بن كَعْبٍ القُرَظِيّ . قال : قال عَمّارُ بن ياسِرٍ خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة ذات العُشَيْرةِ ، فلما قَفَلْنا نزلنا مَنْزِلاً فخرجتُ أنا وعليُّ بن أبي طالب صلوات الله عليـــه ننظر الى قوم يعتملون ، فَنَعَسْنا فَنِمْنا ، فَسَفَتْ علينا الريحُ التُرابَ . فما نَبَّهَنَا إلا كلامُ رسول الله ﷺ ، فقال لعليّ : يا أبا تراب لما عليه من التراب ، أتعلم مَنْ أشقَى

Marfat.com

الناسِ ؟ فقال: خَبِّرني يا رسولَ الله، فقال: أشقَى الناسِ اثنان، أحمَرُ ثمودَ الذي عَقَرَ الناقة، وأشقاها الذي يَخْضِبُ هذه. ووضع يده على قرنه. ويروى عن عِياض بن خَليفةَ الخزاعي قال: تَلَقَّاني عليٌّ صلواتُ الله عليه في الغَلَسِ، فقال لي: مَنْ أنتَ ؟ قلت: عياضُ بن خليفة الخزاعي، فقال: ظننتك أشقاها الذي يخضب هذه من هذا ووضع يده على لحيته وعلى قرنه. ويروى أنه كان يقول كثيراً، قال أبو العباس ــ أحسبه عند الضَجَرِ بأصحابه ــ: ما يَمْنَعُ أشقاها أن يخضب هذه من هذا! ويروى عن رجل من ثَقيف انه قال: خرج الناس يعلفون دوابهم بالمَدائنِ وأراد عليّ المَسيرَ الى الشأم. فَوَجَّهَ مَعْقِلَ بن قيس الرياحيَّ ليُرْجِعَهُمْ اليه، وكان ابن عم لي في آخر من خرج، فأتيت الحسن بن عليٍّ عليه السلام ذات عشية فسألته أن يأخذ لي كتاب أمير المؤمنين الى مَعْقِلِ ابن قيس في الترفيه عن ابن عمي فانه في آخر مَنْ خَرَجَ. فقال: تغدو علينا والكتابُ مختومٌ ان شاء الله تعالى. فبتُّ ليلتي ثم أصبحت والناسُ يقولون قُتِلَ أميرُ المؤمنين الليلةَ، فأتيتُ الحسنَ وإذا به في دار عليّ عليه السلام فقال: لولا ما حَدَثَ لقضينا حاجتَكَ، ثم قال: حدثني أبي عليه السلام البارحةَ في هذا المسجد. فقال: يا بُنَيَّ اني صليتُ ما رَزَقَ اللهُ ثم نمت نومةً فرأيتُ رسولَ الله ﷺ. فَشَكَوْتُ اليه ما أنا فيه من مخالفة أصحابي وقلةِ رغبتهم في الجهاد فقال: ادْعُ اللَّهَ أن يُريحكَ منهم فدعوتُ الله. قال الحسن: ثم خرج الى الصلاة فكان ما قد علمتَ. وحُدِّثتُ من غير وجه أن عليّا لما ضُرِبَ ثم دخل منزله اعترته غَشْيَةٌ. ثم أفاق فدعا الحسن والحسين فقال: أُوصيكُمَا بتقوى الله والرغبة في الآخرة والزُّهدِ في الدنيا

Marfat.com

ولا تَأْسَفَا على شيء فإنكما منها . اعْمَلا الخيرَ وكونا للظالم خَصْماً وللمظلوم عَوْنا ثم دعا محمداً فقال : أما سمعتَ ما أوصيتُ به أَخَوَيْكَ . قال : بـــلى . قال : فاني أوصيك به وعليك بِبِرِّ أَخَوَيْكَ وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تَقْطَعْ أمرا دونهما . ثم أقبل عليهما فقال : أوصيكما به خيراً . فانه شَقيقكُما وابنُ أبيكما وأنتما تَعْلَمانِ أن أباكما كان يُحبُّهُ فأحِبَّاهُ . فلما قَضَى عليّ كرّم الله وجهه . قالت أم العُرْبانِ :

وكنا قَبْـــلَ مَهْلَكِهِ زمانا نَرَى نَجْوَى رسولِ اللهِ فينـا
فَتَلْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المطايا وأَكْرَمَهُمْ ومَنْ رَكِبَ السَفينا
ألا أَبْلِغْ مُعاويةَ بنَ حربٍ فلا قَرَّتْ عُيونُ الشامتينـــا

ويروى أن عبدالرحمن بن مُلْجَمٍ بات تلك الليـــلة عند الأشعَثِ بن قَيْسِ بن مَعْدي كرب ، وأن حُجْرَ بن عَدِيٍّ سمـــع الأشعث يقول له : فَضَحَكَ الصبحُ . فلما قالوا قُتلَ أمير المؤمنين ، قال حجر بن عدي للاشعث : أنت قتلته يا أعور . ويروى أن الذي سمع ذاك أخو الأشعَثِ عَفيفُ بن قيس وانه قال لاخيه : عَنْ أمرِكَ كان هذا يا أعْوَرُ . وأخبار الخوارج كثيرة طويلة وليس كتابنا مفردا لهم لكنا نذكر من أمورهم ما فيه معنى وأدب أو شعر مُسْتَطْرفٌ أو كلام من خطبة معروفة مختارة .

خرج قُرَيْبُ مُرَّةَ الأَزْدِيُّ وزَحّافٌ الطائي ، وكانا مجتهدَيْنِ بالبصرة في أيام زِيادٍ ، واختلف الناس في أمورهما أيُّهما كان الرئيسَ ، فاعترضا الناسَ فلقيا شيخاً ناسكاً من بني ضُبَيْعَةَ بن رَبيعةَ بن نِزارٍ فقتلاه ، وكان يقال له : رؤبة الضُبَعي . وتنادى الناس فخرج رجلٌ من بني قُطَيْعَةَ من الأَزْدِ وفي

Marfat.com

يـده السيف ، فناداه الناسُ من ظهور البيوت: اَلحروريةَ ! اَلحروريةَ! أنجُ بنفسك ، فنادَوْهُ : لسنا حرَورية ،نحن الشُرَطُ . فوقف فَقَتلوهُ وبلـــغ أبا بلال خبرهما فقال : قُرَيْبٌ لا قَرَّبَهُ اللهُ من الخير وزَحافٌ لا عفا الله عنه ركباها عَشْواء مظلمة يريد اعتراضهما الناس ، ثم جعلا لا يمرّان بقبيلة الا قَتلا مَنْ وجدا حتى مَرّا ببني عليّ بن سُودٍ من الأزد ، وكانوا رماة وكان فيهم ماثة يُجيدونَ الرَّمْيَ فرَموْهم رمياً شديداً فصاحوا : يا بني عليّ البُقيا لا رِماء بيننا . فقال رجل من بني علي .

لا شيء للقومِ سِوَى السِّهامِ مَشْحوذَةً في غَلَسِ الظلامِ

فَعَرَّدَ عنهم الخوارج ، وخافوا الطلب فاشتقوا مَقْبُرةَ بني يَشْكُرَ حتى نَفَذوا إلى مُزَيْنةَ ينتظرون من يلحق بهم من مضر وغيرهـــا . فجاءهم ثمانون ، وخرجت إليهم بنو طاحِيةَ بن سُودٍ ، وقبائلُ مُزَيْنةَ ، وغيرها فاستقتَل الخوارجُ فقُتلوا عن آخرهم . ثم غدا الناسُ إلى زياد فقال : ألا يَنْهَى كلُّ قوم سفهاءهم ، يا معشر الأزد ! لولا أنكم أطفأتم هذه النار لقلتُ انكم أرَّثتموها . فكانت القبائلُ إذا أحَسَّتْ بخارجية فيهم شَدَّتْهم وأتت بهم زياداً فكان هذا أحدَ ما يذكر من صحـــة تدبيره . وله أخرى في الخوارج.. أخرجوا معهم امرأة فَظَفِرَ بها فقتلَها ثم عَرَّاها فلم تَخْرج النساء بعد على زياد ، وكنَّ إذا دُعينَ إلى الخروج قلن : لولا التعرية لسارعنا . ولما قَتَلَ مصعب بن الزبير بنتَ النعمان بن بشير الانصاريةَ امرأةَ المختار (وليس هذا من أخبار الخوارج) أنكره الخوارجُ غايةَ الانكار ورأوه قد أتى بقتل النساء أمراً عظيماً لأنه أتى ما نهى عنه رسول الله ﷺ في سائر

Marfat.com

نساء المشركين وللخَواصّ منهن أخبار ، فقال عمر بن عبدالله بن ابي ربيعة :

إنَّ من أعظم الكبائر عندي قتلَ حَسْناء غادةٍ عُطْبولِ
قُتِلَتْ باطلاً على غير ذَنْبٍ ان لله دَرَّها من قَتيل
كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى المُحْصَناتِ جَرُّ الذيول

قال : وكانت الخوارج أيام ابن عامر أخرجوا معهم امرأتين يقال لأحداهما كُحَيْلَةُ والاخرى قَطامِ ، فجعل أصحابُ ابنِ عامر يُعَيّرونهم ويصيحون بهم : يا أصحاب كحيلة وقطام يُعَرِّضون لهم بالفجور فتناديهم الخوارج بالدفع والرَدْعِ ، ويقول قائلهم : لا تَقْفُ ما ليس لك به علم . ويروى عن ابن عباس في هذه الآية : والذين لا يَشْهَدونَ الزُورَ وإذا مَرُّوا باللغوِ مروا كِراماً ، قال : هي أعياد المُشركين ، وقال ابن مسعود : الزورُ الغناء، فقيل لابن عباس : أوَما هذا في الشهادة بالزور؟ فقال : لا إنما آية شهادة الزور ولا تقفُ ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤلاً . عاد الحديث إلى أمر الخوارج ، وكان من المجتهدات من الخوارج — ولو قلتَ من المجتهدين وأنت تَعْني امرأةً كان أفصح لأنك تريدُ رجالاً ونساء هي احداهم . كما قال الله عز وجل : وصَدَّقَتْ بكلمات ربها وكتبه وكانتْ من القانتين . وقال جل ثناؤه : الا عجوزاً في الغابرين - منهم البَلْجاء ، وهي امرأة من بني حَرَامِ بن يَرْبوع بن حَنْظلةَ بن مالك بن زيد مَناةَ بن تَميم من رهط سَجاحِ التي كانت تَنَبَّأتْ . وسنذكر خبرها في موضعه ان شاء الله. وكان مرداس بن حُدَيْرٍ أبو بلال ، وهو أحدُ بني ربيعة بن حَنْظلةَ تُعْظِمهُ الخوارج ، وكان مجتهداً كثيرَ الصواب في لفظه فَلقيه غَيْلانُ

Marfat.com

ابن خَرَشَةَ الضَبّيُ فقال : يا أبا بلال اني سمعت الأمير البارحة عُبَيْدَالله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ . فمضى إليها أبو بلال فقال لها : ان الله قد وَسَّعَ على المؤمنين في التَقِيَّةِ فاستتري فان هذا المُسْرِفَ على نفسه الجبارَ العنيدَ قد ذَكَرِك ، قالت : إن يأخذني فهو أشقى بي ، فأما أنا فما أحبُ أن يُعَنَّتَ انسانٌ بسببي . فوجه إليها عبيدُ الله بن زياد فأتى بها فقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق ، فمر أبو بلال والناسُ مجتمعون فقال : ما هذا ؟ فقالوا : البلجاء ، فعرَّجَ إليها فنظر ثم عض على لحيته وقال لنفسه : لَهذه أطيبُ نفساً عن بقية الدنيا منكَ يا مرداس . ثم ان عبيد الله تتبع الخوارجَ فحبسهم وحبس مِرْداساً . فرأى صاحبُ السجنِ شدة اجتهاده وحلاوةَ منطقِهِ ، فقال له : إني أرى لك مذهباً حسناً وإني لَأُحِبُ أن أُولِيَك معروفاً ، أفرأيتَ إن تركتُكَ تَنْصَرِفُ ليلاً الى بيتكَ أتَدَّلِجُ إليَّ ؟ قال : نعم. فكان يفعل ذلك به. ولَجَّ عبيدُ الله في حبس الخوارج ، وقتلِهِمْ فَكَلَّمَ في بعض الخوارج ، فَلَجَّ وأبى وقال : أقْمَعُ النفاقَ قبل أن يَنْجُمَ. لكلامُ هؤلاء أسرعُ الى القلوب من النار الى اليَرَاعِ . فلما كان ذات يوم قَتَلَ رجلٌ من الخوارج رجلا من الشُرَطِ . فقال ابن زياد : ما أدري ما أصنعُ بهؤلاء ! كلَّما أمرتُ رجلا بقتل رجل منهم فَتَكُوا بقاتله ، لأَقْتُلَنَّ مَنْ في حبسي منهم . فأخرج السَّجانُ مِرْداساً الى منزله كما كان يفعل وأتى مرداساً الخبرُ فلما كان السَحَرُ تهيأ للرجوع . فقال له أهله : اتق الله في نفسك فانك إن رجعتَ قُتِلْتَ ! فقال : إني ما كنت لأَلْقَى الله غادرا ، فرجع إلى السجان فقال : إني قد علمت ما عزم عليه صاحبك فقال : أعلمتَ ورجعتَ ؟!

Marfat.com

ويروى أن مرداساً مَرَّ بأعرابي يَهْنَأُ بعيراً له فَهَرِجَ البعيرُ فسقط مرداسٌ مغشياً عليه ، فظن الاعرابي أنه قد صُرِعَ فقرأ في أذنه. فلما أفاق قال له الاعرابي قرأت في أذنك. فقال له مِرْداسٌ : ليس بي ما خفتَهُ عليَّ ولكني رأيت بعيرك هَرِجَ من القَطران فذكرت به قَطِرانَ جهنم فأصابني ما رأيتَ . فقال : لا جَرَمَ والله لا فارَقْتُكَ أبداً . وكان مرداس قد شهد صِفِّينَ مع عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، وأنكر التحكيمَ وشهدَ النَّهْرَ ونَجا فيمن نجا ، فلما خرج من حبس ابن زيادٍ ورأى جِدَّا ابن زِيادٍ في طلب الشُراةِ عزم على الخروج. فقال لأصحابه : إنه والله ما يسعُنا المُقامُ بين هؤلاء الظالمينَ ، تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفَضْلِ . والله إن الصبر على هذا لَعظيمٌ ، وإن تجريد السيف وإخافَةَ السبيل لعظيم ولكنّا نَنْتَبِذُ عنهم ولا نجرّدُ سيفاً ولا نقاتل الا مَنْ قاتلنا . فاجتمع اليه أصحابه زُهاء ثلاثينَ رجلاً منهم حُرَيْثُ بن حَجْلٍ وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الضَبيُّ ، فأرادوا أن يولوا أمرهم حريثا فأبى فوَلَّوْا أمرهم مِرْداساً . فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رَبَاح الانصاريُّ . وكان له صديقاً ، فقال له : أين تريد ؟ قال : أريد أن أهْرُبَ بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجَوَرَةِ . فقال له : أعَلِمَ بكم أحدٌ ؟ قال : لا. قال فارجع . قال أو تَخافُ عليَّ مكروهاً ؟ قال نعم وأن يُؤْتَى بك ، قال فلا تخف فاني لا أجَرِّدُ سيفاً ولا أخِيفُ أحدا ولا أقاتل الا من قاتلني. ثم مضى حتى نزل آسكَ — وهو ما بين رامَهُرْمُزَ وأرّجان — فمر به مالٌ يُحْمَلُ لابن زِيادٍ وقد قاربَ أصحابُهُ الاربعين ، فَحَطَّ ذلك المالَ فأخذ منه عطاءه

Marfat.com

وأعطيات أصحابه وردّ الباقيَ على الرسل ، وقال : قولوا لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا فقال بعض أصحابه فَعَلامَ نَدَعُ الباقي فقال : إنهم يقسمون ، هذا ألفي ، كما يُقيمون الصلاةَ فلا نقاتلهم . ولأبي بِلالٍ أشعارٌ في الخروجِ اخترتُ منها قوله :

أَبَعْدَ ابن وهب ذي النَزاهةِ والتُقَى ومن خاض في تلك الحروب المَهالكا
أُحِبُّ بَقاءً أو أُرَجّي سَلامةً وقد قَتلُوا زيدَ بن حِصْنٍ ومالكا
فيا ربِّ سَلِّمْ نِيَّتي وبَصيرتي وهَبْ لي التُقَى حتى ألاقي أولئكا

قوله : وقد قتلوا ولم يذكر أحدا ، فإنما فعل ذلك لِعلْم الناس أنه يعني مُخالفيه وإنما يحتاج الضمير الى ذكرٍ قبله ليُعْرَفُ . فلو قال رجل : ضربته ، لم يجز ، لانه لم يذكر أحداً قبل ذكره الهاء . ولو رأيت قوماً يلتمسون الهلال فقال قوم : هذا هو ، لم يَحْتَجْ إلى تَقْدِمةِ الذكرِ لان المطلوب معلوم ، وعلى هذا قال عَلْقَمةُ بن عَبَدَةَ في إفتتاح قصيدته :

هل ما علمت وما اسْتُودِعتَ مكتومُ أم حَبْلُها إذ نَأَتْك اليومَ مَصرومُ

لانه قد عُلِمَ انه يريد حبيبة له . وقوله : حتى ألاقي ولم يحرك الياء فقد مضى شرحه مستقصى . ويروى أن رجلاً من أصحاب ابن زياد قال : خرجنا في جيش نريد خراسان ، فمررنا بآسَكَ فإذا نحن بهم ستةٌ وثلاثين رجلاً ، فصاح بنا أبو بلال : أقاصدون لقتالنا أنتم ؟ وكنت أنا وأخي قد دخلنا زَرْنَجاً ، فوقفَ أخي ببابه فقال : السلام عليكم . فقال مِرْداس : وعليكم السلام . فقال لأخي : أجئتم لقتالنا ؟ فقال له : لا ، إنما نريد خُراسان ، قال : فأبلغوا من لقيكم أنا لم نخرج لنُفْسِدَ في الأرض ولا

Marfat.com

لِنُرَوِّعَ أحداً ولكن هَرَباً من الظلم ، ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنـــا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتِنا . ثم قال : أُنْدِبَ إلينا أحدٌ ؟ قلنـــا : نعم، أسْلَمُ بن زُرْعةَ الكلابي ، قال: فمتى تُرَوْنَهُ يصل إلينا؟ قلنا يوم كذا وكذا فقال أبو بـــلال : حسبنا الله ونعم الوكيل ! وجهز عُبَيْدُ الله أسْلَمَ بن زُرْعةَ في أسرع وقت ووجهه إليهم في ألفين ، وقد تَتَامَّ أصحابُ مِرْداسٍ أربعين رجلاً ، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال : اتّق الله يا أسلم فإنا لا نريد قتالا ولا نَحْتَجِنُ فيئاً ، فما الذي تُريدُ؟ قال : أريد أن أردكم إلى ابن زياد ، قال مرداس : إذاً يَقْتُلنا ، قال : وإن قتلكم ؟ قال، تَشْرَكُهُ في دمائنا ، قال : إني أدينُ بأنه مُحِقٌّ وانكم مبطلون . فصاح به حُرَيْثُ بن حَجْلٍ : أهو محق وهو يطيع الفَجَرةَ وهو أحدهم ، ويَقتل بالظِّنَّةِ ويَخُصُّ بالفيء ويَجورُ في الحكم ؟ أما علمتَ انه قتل بابن سُعادَ أربعةً بُرَآءَ وأنا أَحَدُ قَتَلَتِهِ ، ولقد وضعتُ في بطنه دراهم كانت معه. ثم حملوا عليه خَمْلة رجلٍ واحد فانهزم هو وأصحابه من غير قتال . وكان مَعْبَدٌ أحدُ الخوارج قد كاد يأخذه ، فلما ورد على ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً . وقال : وَيْلَكَ ، أتمضي في ألفين فتنهزم لحمـــلة أربعين ؟ وكان أسْلَمُ يقول : لأنْ يَذُمَّني ابن زياد حَيّاً أحبُّ الى من أن يَمْدَحَني ميتا . وكان إذا خرج الى السوق أو مَرَّ بصبيان صاحوا به : أبو بلال وراءكَ ! وربما صاحوا به : يا مَعْبَدُ خذه ، حتى شكا ذلك الى ابن زياد فأمر ابن زياد الشُرَطَ أن يَكُفُّوا الناس عنه . ففي ذلك يقول عيسى بن فاتِكٍ من بني تَمـــيمِ اللاتِ بن ثَعْلَبةَ في كلمةٍ له :

Marfat.com

فلمـــا أصبحوا صَلَّوْا وقاموا الى الُجرْدِ العِتـــاق مُسَوَّمينا
فلمـــا أستجمعوا حَمَلُوا عليهم فَظَلَّ ذوو الجعائلِ يُقْتَلونا
بقيّـــةَ يومهم حتى أتاهم سوادُ اللَّيْلِ فيـــه يُراوِغونا
يقول بَصيرُهم لَمَّـــا أتاهم بأنَّ القَوْمَ ولَّوْا هاربينـــا
أأَلْفـــا مؤمنٍ فيما زَعَمْتُمْ ويَهْزِمُهُمْ بآسَـــكَ أربعونا
كذبتم ليس ذاكَ كما زعمتم ولكـــنَّ الخوارِجَ مُؤْمنونا
هم الفِئَةُ القليلةُ غَـــيْرَ شَكٍّ على الفِئَةِ الكثيرةِ يُنْصَرونا

ثم نَدَبَ لهم عبيدُ الله بن زِيادٍ الناسَ فاختار عَبَّادَ بن اخْضَرَ (وليس بابن أخضر هو عبادُ بن عَلْقَمَةَ المازنيُّ . وكان أخضرُ زوجَ أُمِّهِ فَغَلَبَ عليه) فوجهه في أربعة آلاف ، فَنَهَدَ لهم . ويزعم أهل العلم أن القوم قد كانوا تَنَحَّوْا عن درَابَجِرْد من أرض فارِسَ فصار اليهم عباد . وكان التقاؤهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال : اخرج إليَّ يا عبادُ فإني أريد أن أُحاوِرَكَ ، فخرج اليه فقال : ما الذي تبغي ؟ قال : آخذ بأقفائكم فأَرُدَّكُمَ الى الأمير عبيدِ الله بن زِيادٍ . قال : أو غيرَ ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : أن ترجع فإنا لا نُخيفُ سَبيلا ولا نَذْعَرُ مسلماً ولا نحاربُ إلا مَنْ حاربنا ولا نَجْبي إلا ما حَمَيْنا . فقال له عَبَّادٌ : الأمر ما قلتُ لك . فقال له حُرَيْثُ ابن جَبَلٍ : أتحاه ل أن تَرُدَّ فئة من المسلمين الى جَبَّارٍ عَنيدٍ ! قـــال لهم : أنتم أَوْلى بالضلال منه وما من ذاك بُدّ . وقدم القَعْقاعُ بن عَطيَّةَ الباهليُّ من خُراسان يريد الحج ، فلما رأى الجَمْعَيْنِ قال : ما هذا ؟ قالوا : الشُراةُ فَحَمَلَ عليهم . ونَشِبَتِ الحربُ فَأُخِذَ القعقـاع أسيرا فَأُتِيَ به أبو بلال ،

Marfat.com

فقال: ما أنت ؟ قال لستُ من أعدائِكَ وإنما تدمت للحج فَجَهِلْتُ وغرِرْتُ ، فأطلقه . فرجع الى عباد فأصلح من شأنه ثم حمل عليهم ثانيةً وهو يقول :

أقاتِلُهُمْ وليس عليّ بَعْـــثٌ نَشاطاً ليس هـــذا بالنشاط
أكُرُّ على الحَرورِيّينَ مَهْري لأحمِلَهُمْ على وَضَحِ الصِراطِ

فحمل عليه حريث بن حجل السدوسيُّ وكَهْمَسُ بن طَلْقِ الصريميُّ ، فأسَرَاهُ فقتلاه ، ولم يأتيا به أبا بلال . فلم يزل القوم يجتلِدون حتى جاء وقت الصلاة صلاة يوم الجمعة ، فناداهم أبو بلال : يا قومُ هذا وقتُ الصلاة فوادِعونا حتى نُصَلِّي ونُصَلُّوا ! قالوا : لك ذاك. فرمى القومُ أجمعون أسلحتَهم وعَمَدُوا للصلاة ، فأسرع عباد ومن معه والحرورية مطئون فهم من بين راكع وقائم وساجد في الصلاة وقاعد ، حتى مال عليهم عَبَّادٌ ومن معه فقتلوهم جميعاً . وأُتِيَ برأس أبي بلال وتَرْوِي الشُراةُ أن مِرْداساً أبا بلال لما عَقَدَ على أصحابه وعَزَمَ على الخروج رفع يديه وقال : اللهم إن كان ما نحن فيه حقا فأرِنا آيةً ، فرَجَفَ البيتُ ، وقال آخرون فارتفع السقف . وروى أهلُ العلم أن رجلاً من الخوارج ذكر ذلك لأبي العالية الرياحيِّ يُعْجِّبُهُ من الآيه ويرغبه في مذهب القوم ، فقال أبو العالية كادَ الخَسْفُ يَنْزِلُ بهم ثم أدركتهم نِظْرَةُ الله . فلما فرغ من أولئك الجماعة أقبل بهم فَصُابَتْ رؤسهم ، وفيهم داود بن شَبَث ، وكان ناسكا ، وفيهم حبيبةُ النَصْرِيُّ من قَيْسٍ ، وكان مجتهدا . فيروى عن عمْرانَ بنِ حطّان أنه قال : قال لي حبيبة ، لما عزمت على الخروج فَكَّرْتُ في بناتي فقلت ذاتَ ليلةٍ ، لأُمسِكَنَّ عن تَفَقُّدِهِنَّ حتى أنظر ، فلما كان في جوف الليل

Marfat.com

استسقتْ بُنَيَّةٌ لي فقالت : يا أبت اسقني ، فلم أُجِبْها فأعادتْ فقامت أُخَيَّةٌ لها أَسَنُّ منها فسقتها . فعلمت أن الله عز وجل غيرُ مُضَيِّعِهِنَّ فأتممت عزمي . وكان في القوم كَهْمَسُ ، وكان من أَبَرِّ الناس بأمه ، فقال لها : يا أُمَّةِ لولا مكانُكِ لخرجتُ . فقالتْ : يا بُنَيَّ قد وهبتُكَ لله ، ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك الحَبَطِيُّ :

ألاَ في الله لا في الناس شالتْ ... بداودٍ وإخوَتِهِ الجذوعُ
مَضَوْا قَتْلاً وتمزيقا وصَلْباً ... تَحومُ عليهمُ طيرٌ وُقوعُ
إذا ما الليلُ أظْلَمَ كابَدوهُ ... فيُسْفِرُ عنهمُ وهمُ ركوعُ
أطار الخوفُ نومَهُمُ فقاموا ... وأهلُ الأمنِ في الدنيا هُجوعُ

وقال عمران بن حطان :

يا عَيْنُ بَكِّي لِمِرْداس و مَصْرَعِهِ ... يا رَبَّ مِرداسٍ اجعلني كمِرْداسِ
تركتَني هائماً أبكي لِمَرْزِئتي ... في منزل مُوحِشٍ من بعد إيناس
أنكرتُ بعدكَ من قد كنتُ أعرفه ... ما الناسُ بعدَكَ يا مِرْداسُ بالناس
إنَّما شَرِبتَ بكاسٍ دارَ أوَّلُها ... على القُرونِ فذاقوا جُرْعةَ الكاس
فكل مَنْ لم يَذُقْها شاربٌ عَجِلاً ... منها بانفاس وِرْدٍ بعد أنفاس

ثم أن عباد بن أخضر المازني ، لَبِثَ دهرا في المصر محمودا موصوفا بما كان منه ، فلم يزل على ذلك حتى ائتمر به جماعة من الخوارج ، أن يَفْتُكُوا به . فَذَمَرَ بعضُهُمْ بعضاً على ذلك ، فجلسوا له في يوم جمعة ، وقد أقبل على بغلة له وابنُهُ رديفه . فقام اليه رجل منهم فقال : أسألك عن مسئلة قال : قل ، قال : أرأيتَ رجلاً قَتَلَ رجلا بغير حق ، وللقاتل جاهٌ وقَدْرٌ

Marfat.com

وناحية من السلطان ، أَلوَلِيّ ذلك المقتول أن يَفْتُكَ به إن قَدَرَ عليه ؟قال : بل يرفعه الى السلطان ، قال : إن السلطـان لا يُعْدِي عليه لمكانه وعَظيم جاهه عنده . قـال : أخاف عليه أنْ فَتَكَ به فَتَـكَ به السلطان . قال : دَعْ مـا تخافه من ناحية السلطان ، أتَلْحَقُهُ تَبِعةٌ فيما بينه وبين الله؟ قال : لا ، قال : فَحَكَّمَ هو وأصحابه وَخبَطوهُ بأسيافهم. ورَمَى عبادٌ ابنَهُ فَنَجـا ، وتنادى الناس قُتِلَ عبّادٌ . فاجتمع الناس فأخذوا أفواه الطُرُقِ ، وكان مَقْتَـلُ عباد في سكة بني مازِنٍ عند مسجد بني كُلَيْبٍ فجاء معبـدُ بن أَخْضَرَ أخو عَبّادٍ ــ وهو معبد بن علفمة وأخضرُ زوجُ أمِّهما ــ في جماعة من بني مازن ، فصاحوا بالناس : دَعُونا وثَأْرَنا . فَأَحجَمَ الناسُ وتقـدم المازِنيُّون فحاربوا الخوارجَ حتى قتلوهم جميعاً لم يُفلِتْ منهم أحدٌ الا عَبيـدة بنِ هلالٍ فانه خَرَقَ خُصًّا ونفذ منه : ففي ذلك يقول الفرزدق .

لقد أدركَ الأوْتارَ غيرَ ذَميمةٍ إذا ذُمَّ طُلاَّبُ التِراتِ الأخاضِرُ
هُمُ جرَّدوا الأسيافَ يومَ ابنِ أخْضرٍ فنالوا التي ما فَوْقَهـا نال ثائِرُ
أقادوا به أُسْداً لها في اقتِحامها إذا بَرَزَتْ نحوَ الحروب بَصائر

ثم ذكر بني كليب لأنه قُتِلَ بحضرة مسجدهم ولم ينصروه ، فقـال في كلمته هذه :

كفِعْلِ كُلَيْبٍ إذ أَخَلَّتْ بِجارِها ونَصْرُ اللئيمِ مُغْنِمٌ وهو حاضر
وما لكليب حين تُذْكَرُ أولٌ وما لكليب حين تُذْكَرُ آخر

وقال معبد بن أخضر :

سَأَحْمِي دِماء الأخْضَرِيّين أنـه أتى الناسُ إلا أن يقولوا ابنُ أخْضَرا

Marfat.com

وكان مقتل عباد وعبيدالله بن زياد بالكوفة ، وخليفتُهُ على البصرة عُبَيْدُ الله بن أبي بَكْرَةَ . فكتب اليه يأمره أن لا يدع أحداً يُعْرَفُ بهذا الرأي إلا حبسه ، وجَدَّ في طلبه ممن تَغَيَّبَ منهم . فجعل عبيد الله بن أبي بكرة يتتبّعهم فيأخذهم ، فإذا شُفِعَ إليه في أحد منهم كَفَّلَه إلى أن يَقْدَمَ ابنُ زيادٍ حتى أُوتِيَ بعروة بن أُدَيَّةَ فأطلقه وقال : أنا كفيلُكَ . فلما قَدِمَ عبيدُ الله بن زيادٍ أخذ مَنْ في السجن منهم فقتلهم جميعاً ، وطلب الكُفَلاءَ بمنْ كَفَلُوا به منهم فكلُّ مَنْ جاءه بصاحبه أطلقه وقَتَلَ الخارجيَّ ومن لم يأت بمن كَفَل به منهم قتله . ثم قال لعُبَيْدِ الله بن أبي بكرة : هاتِ عُرْوَةَ بن أُدَيَّةَ ، قال : لا أقدر عليه. قال: إذاً والله أقتلَكَ فانك كفيله. فلم يزل يطلبه حتى دُلَّ عليه في سَرَبِ العَلاءِ بنْ سَوِيَّةَ المِنْقَرِيِّ . فكتب بذلك إلى عبيد الله بن زيادٍ ، فقرأ عليه الكاتبُ انا أصَبْناهُ في شَرْبٍ فتهانَفَ به عبدُ الله بن زِيادٍ ، وكان كثير المحاورة عاشقاً للكلام الجيد مستحسناً للصواب منه لا يزال يبحث عن عُذَرِهِ ، فإذا سمع الكلمة الجَيِّدَةَ عَرَّجَ عليها . ويروى انه قال في عقب مقتل الحسين بن علي عليه السلام لزينب بنت علي رحمها الله تعالى ، وكانت أَسَنَّ مَنْ حُمل إليه منهن ، وقد كلمته فأفصحتْ وأبلَغتْ وأخذَت من الحجة حاجَتها ، فقال لها : إن تكوني بلغتِ من الحجة حاجتك ، فقد كان أبوك خطيباً شاعراً . فقالت : ما للنساء والشعر . وكان مع هذا ألْكَنَ يَرْتَضِخُ لغة فارسية ، وقال لرجل مرة واتهمه برأي الخوارج أَهرُوري منذ اليوم . رجع الحديث . فقال للكاتب : صَحَّفْتَ والله ولَوْمتَ إنما هو في سَرَبِ العلاء بن سُوَيَّةَ ، ولَوَدِدْتُ أنه

Marfat.com

كان ممن يشرب النبيذَ . فلما أقيم عُرْوَةُ بن أُدَيَّةَ بين يديه حاوره ، وقد اختلف الناس في خبره ، وأصحه عندنا أنه قال له : جَهَّزْتَ أخاكَ عليّ ؟ فقال : والله لقد كنتُ به ضَنيناً ، و كان لي عِزًّا ، ولقد أردتُ له ما أريده لنفسي ، فعزم عزماً ، فمضى عليه وما أُحِبُّ لنفسي إلا المُقامَ وتركَ الخروج . قال له : أفأنت على رأيه ؟ قال : كلُّنا نعبدُ رَبًّا واحداً ، قال : أما لَأُمَثِّلَنَّ بك ، قال : اختر لنفسك من القصاص ما شئت . فأمر به فقطعوا يديه ورجليه ، ثم قال : كيف تَرَى ؟ قال : أفسدتَ عليّ دُنياي وأفسدتُ عليكَ آخرتك . ثم أمر به فَقُتِلَ ثم صُلِبَ على باب داره ، ثم دعا مولاه فسأله عنه فأجابه جواباً مضى ذكره . قوله : فتهانف حقيقته ، تضاحك به ضحك هُزْءٍ ، وقال ابن أبي ربيعة المخزومي :

ولقد قالتْ لجاراتٍ لها ... وتَعَرَّتْ ذاتَ يوم تَبْتَرِدْ
أكما يَنعتني تُبْصِرْنَني ... عَمْرَكُنَّ الله أم لا يَقْتَصِدْ
فتهانَفْنَ وقد قُلْنَ لها ... حَسَنٌ في كلّ عينٍ مَنْ تَوَدّ
حَسَدٌ حَمَّلْنَهُ من أجلها ... وقديماً كان في الناس الحَسَدْ

وكان عُبيدالله لا يُلَبِّثُ الخوارج يحبسهم تارة ويقتلهم تارة ، وأكثر ذلك يقتلهم ولا يتغافل عن أحد منهم . وسبب ذلك أنه كان أطلقهم من حبس زياد لما وُلِّي بعده ، فخرجوا عليه . فأما زياد فكان يقتل المُعْلِنَ ويستصلح المُسِرَّ ولا يُجَرِّدُ السيف حتى تزولَ التهمة . ووَجَّهَ يوماً بُجَيْنَةَ ابن كُبَيْشٍ الأعرجيّ إلى رجل من بني سعد يَرَى رأيَ الخوارج ، فجاءه بُجَيْنَةُ فأخذه فقال : اني أريد أن أُحدِثَ وُضوءاً للصلاة ، فَدَعْني أدخل إلى

Marfat.com

منزلي ، قال : ومَنْ لي بخروجك ؟ قال : الله عز وجل . فتركه فدخل فأحدث وضوءاً ، ثم خرج فأتى به بحينةُ زياداً ، فلما مَثَلَ بين يديه ذكر الله زياد ثم صلى على نبيه ، ثم ذكر أبا بكر وعمر وعثمان بخير ، ثم قال : قعدتَ عني فأنكرتُ ذلك، فذكر الرجلُ ربه فحَمِدَهُ ووَحَّدَهُ ، ثم ذَكَرَ النبيَّ عليه السلام ثم ذَكَرَ أبا بكر وعمر بخير ، ولم يذكر عثمان ، ثم أقبل على زياد فقال : انك قد قلت قولاً فَصَدِّقْهُ بفعلك . وكان من قولك ومَنْ قَعَدَ عنا لم نَهِجْهُ ، فقعدتُ ، فأمر له بصلةٍ وكسوة وحُمْلانٍ . فخرج الرجلُ من عند زياد ، وتلقّاه الناس يسألونه فقال : ما كلكم أستطيع أن أخبره ولكني دخلت على رجل لا يملك ضرًّا ولا نفعاً لنفسه ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً فرزق الله منه ما تَرَوْنَ . وكان زياد يبعث إلى الجماعة منهم فيقول : ما أحسبُ الذي يمنعكم من اتياني إلا الرُّجلةَ ؛ فيقولون أَجَلْ ، فيحملهم ويقول : اغشَوْني الآن واسْمُروا عندي ، فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال : قاتل اللهُ زياداً ، جَمَعَ لهم كما تَجْمَعُ الذَرَّةُ ، وحاطهم كما تَحوطُ الأُمُّ البَرَّة ، وأصلح العِراقَ بأهل العراق ، وترك أهل الشام في شأمهم ، وجبى العراق مائةَ ألفِ ألفٍ وثمانيةَ عشرَ ألفَ ألفٍ . قال أبو العباس : وبلغ زياداً عن رجل يُكْنَى أبا الخير من أهل البأس والنَجْدَةِ أنه يَرَى رأي الخوارج ، فدعاه فولّاه جُنْدي سابورَ وما يليها ورزقه أربعةَ آلاف درهم في كل شهر وجعل عُمالتَهُ في كل سنة مائةَ ألف ، فكان أبو الخير يقول : ما رأيت شيئاً خيرا من لزوم الطاعة والتقلبِ بين أظهر الجماعة فلم يزل والياً حتى أنكر منه زيادٌ شيئاً فتَنَمَّرَ لزياد فحبسه . فلم يخرج من

. الرجلة : السير على أرجلكم لتعذر الحولة والدابة ، ولذلك قال: فيحملهم، أي يوفرها لهم

Marfat.com

حبسه حتى مات . وقال الرُّهَيْنُ وكان رجلاً من مرادٍ وكان لا يَرَى القعود عن الحرب ، وكان في الدهاءِ والمعرفةِ والشعر والفقهِ ـــ يقول الخوارج ـــ بمنزلة عِمْرانَ ابن حِطَّانَ ، وكان عمرانُ بن حطانَ في وقته شاعرَ قَعَدِ الصُفْرِيَّة ورئيسَهم ومفتيَهُمْ . وللرُّهَيْنِ المُراديّ ولعمران بن حطان مسائلُ كثيرة من أبواب العلم في القرآن والآثار ، وفي السيَر والسنن ، وفي الغريب والشعر نذكر منها طَريفهَا ان شاء الله ، قال المرادي :

يا نَفْس قد طال في الدنيا مُرَاوَغَتي لا تَأْمَنَنَّ لِصَرفِ الدَهْرِ تَنْغيصا
إني لَبائعُ ما يَفْنَى لباقيةٍ إن لم يَعُقْني رجاءُ العيشِ تَرْبيها
وأسألُ اللهَ بَيْعَ النفسِ محتسِبا حتى أُلاقيَ في الفِرْدَوْسِ حُرْقوصا

(قال الأخفش حرقوصٌ ذو الثُدَيَّةِ) :

وابنَ المَنيحِ ومِرْداساً وإخوَتَهُ إذ فارقوا زَهرة الدنيا مَخاميصا

قال أبو العباس : وهذه كلمة له ، وله أشعار كثيرة في مذاهبهم . وكان زياد وَلَّى شَيْبان بن عبدالله الأشعري صاحب مَقْبُرةِ بني شيبان بابَ عثمان وما يليه . فَجَدَّ في طلب الخوارجِ ، وأخافهم وكانوا كثروا ، فلم يزل كذلك حتى أتاه ليلةً وهو متكىء بباب داره رجلان من الخوارج فضرباه بأسيافهما فقتلاه . وخرج بنون له للاغاثة ، فَقُتِلوا ثم قتلهما الناس . فَأُتِيَ زيادٌ بعد ذلك برجل من الخوارج فقال : اقتلوه متَّكِئا كما قُتِلَ شيبانُ متكئا فصاح الخارجي ! يا عَدْلاهْ ، يَهْزَأُ به . فأما قول جرير :

ومنا فَتَى الفِتْيانِ والباسِ مَعْقِلٌ ومنا الذي لاقَى بدِجْلةَ مَعْقِلا

فانه أراد معقل بن قيس الرياحي ، ورِياحٌ ابنُ يربوع وجريرٌ من كُلَيْبٍ

Marfat.com

بن يربوع . وقوله : ومنا الذي لاقى بدجلة معقلا ، يريد المستورد التيْمي وهو من تَيْمِ بن عبد مَناةَ بن أُدٍّ وتميمٌ ابنُ مُرٍّ بن أد . وأما قول ابن الرُّقَيّات :

والذي نَغَّصَ ابنَ دَوْمَةَ ماتو حي الشياطينْ والسيوفُ ظِماء
فأباح العراقَ يضربهم بالسَّيف صَلْتاً وفي الضِراب غِلاء

فإنما يريد بابن دَوْمَةَ المختارَ بن أبي عبيد الثَقَفِيَّ ، والذي نَغَّصَهُ مُصْعَبُ بن الزبير . وكان المختار لا يوقف له على مذهب : كان خارجيا ثم صار زبيريا ثم صار رافضيا في ظاهره . وقوله: ما توحي الشياطين ، قال المختار كان يدّعي أنه يُلْهَمُ ضربا من السِجاعةِ لامور تكون ثم يحتال فيوقعها فيقول للناس : هذا من عند الله عز وجل ،فمن ذلك قوله ذات يوم : لَتَنْزِلَنَّ من السماء نارٌ دَهْماء ، فَلَتُحْرِقَنَّ دار أسماء . فَذُكِرَ ذلك لاسماء بن خارجة فقال : أقد سَجَعَ بي أبو أسحق! هو والله مُحْرِقٌ داري. فتركه والدارَ وهربَ من الكوفة . وقال في بعض سَجْعِهِ : أما والذي شَرَعَ الأديانَ وَجَنَّبَ الأوثان وكَرَّهَ العِصْيان ، لاقتلن أزْدَ عُمانَ وجُلَّ قيسِ عَيْلان وتميما أولياء الشيطان ، حاشا النَّجيبَ ظَبْيان ، فكان ظبيان النجيب يقول : لم أزل في عمر المختار أتقلب آمنا . ويروى أن المختار ابن أبي عبيد حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة ، اتهمه ابن الزبير فَوَلَّى رجلا من قريش الكوفة . فلما أَطَلَّ ، قال لجماعة من أهلها : اخرجوا الى هذا المغرور فردوه . فخرجوا اليه، فقالوا : أين تريد ! والله لئن دخلتَ الكوفة ليقتلنَّكَ المختارُ . فرجع ، وكتب المختارُ الى ابن الزبير : ان صاحبك جاءنا فلما

Marfat.com

قاربنا رجـــع فما أدْرِي ما الذي رَدَّهُ ، فغضب ابن الزبير على القرشي وعَجَّزهُ ورده الى الكوفة ، فلما شارفها قال المختارُ : أخرجوا إلى هـذا المغرور فردوه . فخرجوا اليه ، فقالوا : إنه والله قاتلك ، فرجع . وكتب المختار الى ابن الزبير بمثل كتابه الاول فلام القرشيَّ ، فلما كان في الثالثة فَطِنَ ابنُ الزبير . وعلم بذلك المختارُ ، وكان ابن الزبير قـــد حبس محمدَ بن الحنفية مع خمسة عشر رجلاً من بني هاشم فقال : لتبايِعُنَّ أو لأحرقنـكم . فأبوا بيعته وكان السجن الذي حبسهم فيه يُدْعَى سجنَ عارِمٍ . ففي ذلك يقول كُثَيِّرٌ .

تُخَبِّرُ مَنْ لاقيتَ انـك عائذٌ ... ل العائذُ المظلومُ في سجن عارم
ومَنْ يَلْقَ هذا الشيخَ بالخَيْفِ من مِنَى ... من الناس يعلَمْ أنه غيرُ ظـالم
سَمِيُّ النبيِّ المصطفى وابن عمـــه ... وفَكَّاكُ أغلالٍ وقاضي مغارم

وكان عبدُ الله بن الزبير يدعى العائذَ لأنه عاذ بالبيت . ففي ذلك يقول ابن الرُّقَيّاتِ يذكر مُصْعباً :

بـــلدٌ تأمَنُ الحمامَـــةُ فيـــه ... حيث عاذ الخليفـــةُ المظلومُ

وكان عبدالله يدعى المُحِلَّ لاحلاله القتال في الحرَم . وفي ذلك يقول رجل في رَمْلةَ بنتِ الزُبَيْرِ :

ألا مَنْ لقلبٍ مُعَنًّى غَـــزِلْ ... بذكر المُحِلَّة، أختِ المَحِلْ

وكان عبد الله بن الزبير يُظْهِرُ البغضَ لابن الحنفية الى بغض أهله . وكان يحسده على أيْدِهِ . ويقال أن عليا استطال درعا فقال : لِيُنْقَصْ منها كذا وكذا حَلْقةَ ، فقبض محمدُ بن الحنفية باحدى يديه على ذيلها وبالاخرى

Marfat.com

على فضلها ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حدَّه أبوه، فكان ابن الزبير إذا حُدِّثَ بهذا الحديث غضب واعتراه له أفكلٌ . فلما رأى المختار بن الزبير قد فطن لما أراد كتب اليه : من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين الى عبدالله بن أسماء ثم ملأ الكتاب بسبِّه وسب أبيه . وكان قبل ذلك في وقت إظهاره طاعة ابن الزبير يَدُسُّ الى الشيعة ويُعْلِمهم مُوالاته اياهم ، ويخبرهم أنه على رأيهم وحَمْدِ مذاهبهم ، وأنه سيُظهر ذلك عما قليل . ثم وَجَّهَ جماعةً تسير الليل وتَكْمُنُ النهارَ حتى كسروا سجن عارم ، واستخرجوا منه بني هاشم ثم ساروا بهم الى مأمنهم . وكان من عجائب المختار أنه كتب الى ابراهيم بن مالك الأشترِ يسأله الخروجَ الى الطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، فأبى عليه ابراهيمُ إلا أن يستأذن محمدَ بن عليّ بن أبي طالب ، فكتب اليه يستأذنه ، فعلم محمد أن المختار لا عقد له . فكتب محمد الى ابراهيم بن الاشتر أنه ما يسوءني أن يأخذ اللهُ بحقنا على يَدَيْ مَنْ يَشاءُ من خلقه . فخرج معه ابراهيم بن الاشتر فتوجه نحو عبيد الله بن زياد وخرج يُشَيِّعُهُ ماشيا ، فقال له ابراهيم : اركب يا أبا اسحق . فقال : اني أحب أن تَغْبَرَّ قدماي في نصرة آل محمد ﷺ . فشيعه فرسخين ودفع الى قوم من خاصته حماما بيضا ضِخاماً وقال : ان رأيتم الأمر لنا فدعوها وان رأيتم الأمر علينا فأرسلوها . وقال للناس : ان استقمتم فبنصر الله وإن حِصْتُمْ حَيْصةً فاني أجد في محكم الكتاب وفي اليقين والصواب ان الله مؤيدكم بملائكة غِضابٍ تأتي في صُوَرِ الحمام دُوَيْنَ السحاب . فلما صار ابن الاشتر بخازِرَ

Marfat.com

وبها عُبَيْدُ الله بن زياد ، قال : مَنْ صاحبُ الجيش ؟ قيـــل له : ابن الأشتر . قال : أليس الغلامَ الذي كان يُطيرُ الحمامَ بالكوفة ؟ قالوا : بلى . قال : ليس بشيء . وعلى مَيْمنةِ ابن زياد حُصَيْنُ بن نُمَيْرٍ السَّكُونيَّ من كِنْدة . ويقال السَّكُونيَّ والسُكُونيّ والسَدوسيُّ والسُدوسيُّ ، كذا كان أبو عبيدة يقول : (قال أبو الحسن السَكونيُّ أكثر) وعلى ميسرته عُمَيْرُ بن الحباب فارس الإسلام ، فقال حُصَيْنُ بن نمير لابن زياد : ان عمير بن الحباب غير ناسٍ قَتْلَ المَرْج وأني لا أثِقُ لك به ، فقال ابن زياد : أنت لي عدوّ . قال حَصين : ستعلم . قال ابن الحباب : فلما كان في الليلة التي نريد أن نواقع ابن الاشتر في صبيحتها خرجت اليه وكان لي صديقا ومعي رجل من قومي ، فصرت الى عسكره فرأيته وعليه قميص هروي ومُلاءة وهو مُتَشَحٌ السيف يَجوسُ عسكره فيأمر فيه ويَنْهَى فالتزمته من ورائه فوالله ما التفت إليَّ ولكن قال : مَنْ هذا فقلت : عمير بن الحباب ، فقال : مرحباً بأبي المُغَلَّسِ كن بهذا الموضع حتى أعود اليـــك . فقلت لصاحبي أرأيت أشجعَ من هذا قطُّ ، يحتضنه رجلٌ من عسكر عدوه ولا يدري من هو فلا يلتفت اليه ! ثم عاد الي وهو في أربعة آلاف فقال : ما الخبر ؟ فقلت : القوم كثير والرأي أن تُناجزهم فإنه لاصبر بهذه العصابة القليلة على مُطاولةِ هذا الجمع الكثير ، فقـــال : نُصْبِحُ إن شاء الله ثم نحاكمهم الى ظُباتِ السيوف ، وأطراف القنا . فقلت : أنا مُنْخَزِلٌ عنـــكَ بثلث الناس غدا . فلما التقوا كانت على أصحـــاب ابراهيم في أول النهار فأرسل أصحابُ المختار الطير فتصايح الناس الملائكة ، فتراجعوا ونَكَسَ

Marfat.com

عميرُ بن الحباب رايتَهُ ونادى يا لثأراتِ المَرْجِ وانخزل بالميسرة كلها وفيها قيس فلم يعصوه . واقتتل الناس حتى اختلط الظلامُ وأسرع القتلُ في أصحاب عبيد الله بن زياد ، ثم انكشفوا ووُضِعَ السيفُ فيهم حتى أُفنُوا . فقال ابن الاشتر لقد ضربتُ رجلا على شاطىء هذا النهر فرجع اليَّ سيفي ومنه رائحةُ المسك ورأيتُ إقداماً وجُرأةً فصرعته فذهبت يداه قِبَلَ المشرق ورجلاه قِبَلَ المغرب . فأنظروه فأتوه بالنيران . فاذا هو عبيد الله ابن زياد ، وقد كان عند المختار كرسيٌّ قديمُ العهد فَغَشَّاهُ بالديباج وقال : هذا الكرسيّ من ذخائر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فضعوه في بَرَاكاءِ الحربِ وقاتلوا عليه ، فان محله فيكم محلُّ السكينةِ في بني اسرائيل . ويقال انه اشترى الكرسي بدرهمين من نجار . وقوله في براكاء القتال يقال : بَرَاكاءُ وبَرُوكاءُ وهو موضع اضطدام القوم. قال الشاعر :

وليس بمُنقذٍ لك منه إلا بَرَاكاءُ القتالِ أو الفرارُ

٥٠ (هذا باب اللام التي للاستغاثة والتي للاضافة)

إذا استغثت بواحد أو بجماعة فاللام مفتوحة تقول : يا لَلرِّجال ويا لَلقومِ ويا لزَيدٍ إذا كنتَ تدعوهم ، وإنما فتحتها لتفصل بين المدعوّ والمدعو له . ووجب أن تفتحها لأن أصل اللام الخافضة ، إنما كان الفتح فَكُسِرَتْ مع المُظْهَرِ ليُفْصَلَ بينها وبين لام التوكيد. تقول : إنّ هذا لزَيْدٌ إذا أردت أنّ هذا زيد . وتقول : إن هذا لِزيدٍ إذا أردت أنه في ملكه، ولو فتحت

Marfat.com

لالْتَبَسَتا . فان وقعت اللامُ على مضمَر فتحتَها على أصلها فقلت : إن هذا لَكَ وإن هذا لأَنتَ إذا أردت لام التوكيد لأَنه ليس ههنا لَبْسٌ ، وذاك أن الاسماء المضمرة على غير لفظ المظهرة فلهذا أجريتَها على الأَصل والاستغاثةُ تَرُدُّها الى أصلها من أجل اللبس . والمدعوُّ له في بابه ، فاللام معه مكسورة تقول : يا لِلرِّجال لِلْماءِ ، ويا لِلرِّجال لِلعَجَب ، ويا لزَيدٍ لِلْخَطْب الجَليـــل .

قال الشاعر :

يا لَلرجالِ ليوم الارْبعاءِ أمـــا يَنْفَكُ يَبْعثُ لي بعد النُهَى طَرَبا

وقال آخر :

تَكَنَّفني الوُشـــاةُ فَأَزْعجوني فيا لَلناسِ للواشي المُطـــاع

وفي الحديث : لما طَعَنَ العِلْجُ أو العبدُ عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه ، صاح : يا للهَ يا لَلْمسلمين ، وتقول يا لِلْعَجَبِ ، إذا كنت تدعو اليه ويا لِغَيْرِ العَجَب كأنك قلت : يا لِلنَّاسِ للعجب . ويُنْشَدُ هذا البيتُ :

يا لعنـــةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهِمِ والصالحينَ على سِمْعانَ من جار

فيا لغير اللعنة كأنه قال : يا قوم لعنةُ اللهِ والاقوامِ كلِّهم . وزعم سيبويه أن هذه اللام التي للاستغاثة دليلٌ بمنزلة الألف التي تُبَيِّنُ بالهاء في الوقف . إذا أردتَ أن تُسمِـــعَ بعيدا ، فإنمـــا هي للاستغاثة بمنزلة هذه اللام وذلك قولك يا قَوْماهُ على غير النُدْبـةِ ، ولكنْ للاستغاثة ومـدِّ الصوت . والقِولُ كما قال : محلُّها عند العرب محلٌّ واحد ، فإن وصلتَ حذفتَ الهـاء لأنها زِيدت في الوقف لخفاء الألف ، كما تُراد لبيان الحركة . فإذا وصلت أغْنَى ما بعدها عنها ، تقول : يا قَوْما تعالَوْا ويا زيـدَ ألا تَفْعلْ . ولا

Marfat.com

يجوز أن تقول : يا لَزَيْدٍ وهو مقبلٌ عليك . وكذلك لا يجوز أن تقول: يا زيداهْ وهو معك ، إنما يقال ذلك للبعيد أو يُنَبَّهُ به النائم. فإن قلت : يا لِزَيدٍ ولِعمرٍو كسرتَ اللام في عمرو وهو مَدْعُوٌّ لانك إنما فتحتَ اللام في زيد لتفصل بين المدعوّ والمدعوّ اليه . فلما عطفتَ عليه شيئاً صار في مِثْل حالِهِ ، ونظيرُ ذلك الحكايةُ . يقول الرجل : رأيتُ زيداً فتقول : مَنْ زَيداً ؟ وإنما حكيتَ قوله لِيَعْلَمَ أنك إنما تستفهمُهُ عن الذي ذَكَرَ بعينه ولا تسأله عن زيد غيره . والموضع موضع رفع لأنه ابتداء وخبر ، فان قلت ومَنْ زيدٌ ؟ أو فمن زيدُ ؟ لم يكن إلا رفعاً ، لانك عطفتَ على كلامه فاستغنيت عن الحكاية لان العطف لا يكون مستأنفا . ونظير هذا الذي ذكرتُ لكَ في اللام قول الشاعر :

يَبْكيكَ ناءٍ بعيدُ الدار مُغْتَرِبٌ يا لَلْكُهولِ ولِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ

فقد أحكمتُ لك كلَّ ما في هذا الباب . ثم نعود إلى ذكر الخوارج ، قال : وذُكِرَ لعُبَيْدِ الله بن زِيادٍ رجل من بني سَدوسٍ يقال له خالدُ بن عَبَّادٍ أو ابن عُبادةَ ، وكان من نُسَّاكهم ، فَوَجَّهَ إليه فأخذه . فأتاه رجل من آل ثَوْرٍ فكَذَبَ عنه وقال : هو صِهْرِي وهو في ضِمْني فَخَلَّى عنه . فلم يزل الرجل يَتَفَقَّدُهُ حتى تَغَيَّبَ فأتى ابنَ زياد فأخبره فَبَعَثَ إلى خالد ابن عباد فَأُخِذَ فقال عبيد الله بن زياد : أين كنتَ في غيبتك هذه ؟ قال : كنت عند قوم يذكرون الله ويذكرون أئمة الجَوْرِ فيتبرؤن منهم . قال : دُلَّني اذَنْ يَسْعَدوا وتَشْقى ولم أكن لِأُرَوِّعَهُمْ . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر ؟ قال : خيراً قال فما تقول في أمير المؤمنين عثمان ؟ أتتولاه

Marfat.com

وأمير المؤمنين مُعاويةَ ؟ قال : إن كانا وَلِيَّيْن لله فلستُ أعاديهما . فأراغَهُ مراتٍ فلم يرجع فعزم على قتله ، فأمر باخراجه إلى رحبةِ تعرف برَحبــة الزَيْنَبِيِّ فجعل الشُرَطُ يَتَفادَوْنَ من قتله ويروغون عنه تَوَقِّياً لأنه كان شاسِفاً عليه أثر العبادة حتى أتى المُثَلَّمُ بن مَسْروحٍ الباهـليُّ ، وكان من الشُرَطِ فتقدم فقتله . فائتَمَرَ به الخوارجُ ليقتلوه ، وكان مُغْرَماً باللِقاح يتتبعها فيشتريها من مَظَانِّها وهم في تَفَقُّدِهِ ، فدَسُّوا إليه رجلاً في هيئة الفِتْيانِ ، عليــه رَدْعُ زعفران فلقيه بالمِرْبَدِ وهو يسأل عن لِقْحةٍ صَفيٍّ ، فقال له الفتى : ان كنتَ تبلغُ فعندي ما يُغْنيكَ عن غيره ، فامضِ معي . فمضى المثلم على فرسه والفتى أمامه ، حتى أتى به بني سَعْدٍ فدخل داراً ، وقال له : ادخل على فرسكِ . فلما دخل وتوغل في الدار أغلق الباب وثارتْ به الخوارج فاعْتَوَرَهُ حُرَيْثُ بن حَجْلٍ وكَهْمَسُ بن طَلْقٍ الصَريميُّ فقتلاه وجَعلا دراهم كانت معه في بطنه ودفناه في ناحيــة الدار وحَكَّا آثار الدم وخَلَّيا فرسه في الليل ، فأصيبَ من الغد في المِرْبَدِ . وتَحَسَّسَ عنه الباهليون فــلم يَرَوْا لهُ أثراً فاتهموا به بني سَدوسٍ فاسْتَعْدَوْا عليهم السلطانَ وجعل السدوسيّونَ يحلفون . فتحامل ابنُ زياد مع الباهليين فأخذ من السدوسيين أربعَ دِياتٍ وقال : ما أدْرِي ما أصنعُ بهؤلاء الخوارج كلما أمرتُ بقتل رجــل منهم اغْتالَ قاتله فلم يُعْلَمْ بمكانه حتى خرج مِرْداسٌ . فلما واقفهم ابن زُرْعةَ الكلابيُّ ، صاح بهم حُرَيْثُ بن حَجْل : أهنا من باهلةَ أحــدٌ ؟ قالوا : نعم . قال : يا أعداء الله أخذتم بالمثلم أربع ديات وأنا قاتله ، وجعلتُ دراهمَ كانتْ معه في بطنه ، وهو في موضع كذا مدفونٌ . فلمــا انهزموا

Marfat.com

صاروا إلى الدار فأصابوا أثلاثه والدراهمَ ، ففي ذلك يقـــول أبو الاسود الدُؤَلِيُّ :

آليتُ لا أغدو إلى رَبِّ لِقْحةٍ أساوِمُهُ حتى يَعودَ المُسَلَّمُ

ثم خرجتْ خوارجُ لا ذِكْرَ لهم كلهم قُتِـــلَ حتى انتهى الأمر إلى الأزارقةِ . ومن ههنا افترقت الخوارج فصارت على أربعة أضرب : الإباضيَّةُ وهم أصحاب عبدالله بن اباضٍ ، والصُّفْرِيَّةُ واختلفوا في تسميتهم ، فقـــال قوم سُمُّوا بابن صَفَّارٍ وقال آخرون ، وأكثر المتكلمين عليـــه : هم قوم نَهِكَتْهُمُ العبـادةُ فاصفرّتْ وجوههم ، ومنهم البَيْهَسِيَّةُ ، وهم أصحاب أبي بَيْهَسٍ ، ومنهم الأزارقةُ وهم أصحاب نافع بن الأزْرَقِ الحَنَفي ، وكانوا قبلُ على رأي واحد لا يختلفون إلا في الشيء الشاذ من الفروع . كما قال صَخْرُ بن عُرْوةَ : اني كرهتُ قتالَ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لسابقته وقَرابته . فأما الآن فلا يسعني إلا الخروج ، وكان اعتزل عبدَ اللهِ بن وَهْبٍ يوم النهر فَضَلَّلَتْهُ الخوارجُ بامتناعه من قتـــال عليّ فكان أولُ أمرهم الذي نستاقه أن جماعة من الخوارج منهم نَجْدةُ بن عامر الحنفي ، عزموا على أن يقصدوا مكةَ لما توجه مسلم بن عُقْبةَ يريد المدينةَ لوقعة الحَرَّةِ فقالوا : هـذا ينصرف عن المدينة الى مكة ويجب علينا أن نمنع حَرَمَ الله منه ، ونمتحنَ ابن الزبير فان كان على رأينا بايعنـــاه ، فمضوا لذلك . فكان أولَ أمرهم أن أبا الوازِعِ الرابِيَّ ، وكان من مجتهدي الخوارج ، كان يَذْمُرُ نفسه ويلومها على القعود ، وكان شاعرا وكان يفعل ذلك باصحابه . فأتى نافعَ بن الأزرق ، وهو في جماعة من أصحابه يصف لهم جور السلطان ، وكان ذا لسان

Marfat.com

عَضْبٍ واحتجاج وصبر على المنازعة . فأتاه أبو الوازع فقال : يا نافع لقد أُعطِيتَ لساناصارماً وقلباً كَليلاً ، فَلَوَدِدْتُ أن صَرامةَ لسانك كانت لقلبك وكَلالَ قلبك كان للسانك أتَحُضُّ على الحق وتقعد عنه ، وتُقَبِّحُ الباطلَ ، وتُقيم عليه؟ فقال : إلى أن تجمع من أصحابك من تَنْكى به عدوَّك . فقال أبو الوازع :

لسانُكَ لا تَنْكى به القومَ إنمـــا تَنالُ بكفّيْكَ النجاةَ من الكرْب
فجاهِدْ أناساً حاربو الله واصطَـبِرْ عسى الله أن يُخْزي غَوِيَّ بني حَرْب

ثم قال : والله لا ألومك ونفسي ألومُ ، ولأَغْدُوَنَّ غَدْوةً لا أنثني بعدها أبدا . ثم مضى فاشترى سيفاً وأتى صَيْقلاً كان يَذُمُّ الخوارج ، ويَدُلُّ على عوراتهم فشاوره في السيف فحمده فقال : اشْحَذْهُ ، فَشَحَذَهُ حتى إذا رَضِيهُ حكَّمَ وَخبَطَ به الصيقل وحملَ على الناس ، فتهاربوا منه حتى أتى مقبرة بني يَشْكُرَ فَدَفَعَ عليه رجـال حائطَ السُّتْرةِ فكرهتْ ذلك بنو يشكر خوفاً أن تَجْعلَ الخوارجُ قبرهُ مُهاجَراً . فلمـا رأى ذلك نافع وأصحابه جَدُّوا ، وخرج في ذلك جماعة فكان ممن خرج عيسى بن فاتك الشاعر الخَطِّيُّ من تَيمِ اللاتِ بن ثَعْلبةَ ، ومَقْتَلُهُ بعد خروج الأزارقة . فمضى نافع وأصحابه من الحرورية قبل الاختلاف الى مكة ليمنعوا الحَرَمَ من جيش مسلم بن عُقْبة ، فلماصاروا الى الزبير عرَّفوه أنفسهم فأظهر لهم أنه على رأيهم حتى أتاهم مسلم بن عُقْبةَ وأهل الشام فدافعوهم الى أن يأتي رأي يزيد ابن معاوية ولم يبايعوا ابن الزبير . ثم تَناظروا فيما بينهم فقالوا : ندخل الى هذا الرجل فننظرُ ما عنده فان قَدَّمَ أبا بكر وعمر وبرىء من عثمان وعليّ

Marfat.com

وكَفَّر أباه وطلحةَ بايعناه ، وان تكن الأُخرى ظهرَ لنا ما عنده فتشاغلنا بما يُجْدِي علينا . فدخلوا على ابن الزبير وهو مُتَبَذِّلٌ وأصحابه متفرقون عنه ، فقالوا : انَّا جئناك لنخبرنا رأيك فإن كنتَ على الصواب بايعناك ، وإن كنت على غيره دعوناك الى الحق، ما تقول في الشيخين ؟ قال : خيرا قالوا فما تقول في عثمان الذي أَحْمَى الحِمى وآوى الطَريدَ وأظهر لاهل مصر شيئاً ، وكتب بخلافه ، وأَوطأ آلَ أبي مُعَيْطٍ رِقاب الناس وآثرهم بفَيء المسلمين . وفي الذي بعده الذي حكَّم في دين الله الرجالَ وأقام على ذلك غير تائب ولا نادمٍ ، وفي أبيك وصاحبه وقد بايعا علياً ، وهو إمام عادلٌ مرضيّ لم يظهر منه كفر ثم نَكَثا بعَرَض من أعراض الدنيا ، وأخرجا عائشة تقاتل ، وقد أمرها الله وصواحبَها أن يَقِرْنَ في بيوتهنَّ وكان لك في ذلك ما يَدْعوكَ الى التوبة ؟ فإن أنت قلعتَ كما نقول فلك الزُلْفةُ عند الله والنصرُ على أيدينا ونسأل الله لك التوفيق، وإن أبيتَ الا نَصْرَ رأيك الأول وتصويبَ أبيك وصاحبه والتحقيقَ بعثمان والتَوَلّيَ في السنينَ السِتّ التي أحلَّت دمه ونقضت [1] وأفسدت امامته ، خذَلَك الله وانتصر منك بايدينا . فقال ابن الزبير : إن الله أمر وله العِزةُ والقدرةُ في مخاطبة أكْفَرِ الكافرين ، وأعْتَى العُتاةِ بأرْأفَ من هذا القول ؟ فقال لموسى ولاخيه صلى الله عليهما في فرعون : فقولا له قَوْلاً لَيِّناً لعله يَتَذَكَّرُ أو يَخْشى . وقال رسول الله ﷺ : لا تُؤْذوا الاحياء بسبِّ المَوْتى، فَنَهى عن سب أبي جهل من أجل عِكْرِمةَ ابنِهِ . وأبو جهل عدوّ الله وعدوُّ الرسول ، والمقيمُ على الشرك والجادُّ في المحاربة والمُتَبَغِّضُ الى رسول الله ﷺ قبل الهجرة والمحارب له

(١) بياض في الاصل .

Marfat.com

بعدها وكفى بالشرك ذنباً ، وقد كان يغنيكم عن هذا القول الذي سميتم فيه طلحةَ وأبي أن تقولوا أتبرأ من الظالمين فان كانا منهم دخلا في غُمار الناس ، وإن لم يكونا منهم لم تُحْفِظوني بسبِّ أبي وصاحبه ، وأنتم تعلمون أن الله جل وعز قال للمؤمن في أبويه : وإن جاهداك على أن تُشْرِكَ بي ما ليس لك به عِلْمٌ فلا تُطِعْهُما وصاحِبْهُما في الدنيا مَعْروفاً . وقال جل ثناؤه : وقولوا للناس حُسْناً ، وهذا الذي دَعَوْتم اليه أمرٌ له ما بعده . وليس يقْنعُكُمْ إلا التوقيفُ والتصريحُ ، ولَعَمْري أن ذلك لأحرَى بقطع الحجج وأوضحُ لِمنْهاج الحق وأوْلَى بأن يَعرف كلٌّ صاحبه من عدوِّه . فروحوا إليَّ مِنْ عَشِيَّتكم هذه أكْشِفْ لكم ما أنا عليه إن شاء الله . فلما كان العشيُّ راحوا اليه فخرج اليهم وقد لَبِسَ سِلاحَهُ ، فلما رأى ذلك نَجْدةُ قال : هذا خروج مُنابذٍ لكم ، فجلس على رَفْعٍ من الأرض فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ﷺ ، ثم ذكر أبا بكر وعمر أحسن ذكر ، ثم ذكر عثمان في السنين الاوائل من خلافته ، ثم وصَلَهُنَّ بالسنين التي أنكروا سيرته فيها فجعلها كالماضية وخَبَّرَ أنه يَرَى الحكَمَ بن أبي العاص باذن رسول الله ﷺ . وذكر الحِمى وما كان فيه من الصلاح ، وأن القوم استعتبوه من أمور ، وكان له أن يفعلها أوّلا مصيبا ثم أعْتَبَهُمْ بعدُ محسِنا . وأن أهل مصر لما أتوه بكتاب ذكروا انه منه ، بعد أن ضمن لهم العُتْبَى . ثم كُتِبَ لهم ذلك الكتاب بقتلهم فدفعوا الكتاب اليه ، فحلف أنه لم يكتبه ولم يأمر به ، وقد أُمِرَ بقبول اليمين ممن ليس له مثلُ سابقته مع ما اجتمع له من صِهْرِ رسول الله ﷺ ، ومكانه من الإمامة ، وأن بَيْعةَ الرِضوان تحت الشجرة

Marfat.com

إنما كانت بسببه . وعثمانُ الرجل الذي لزمته يمينٌ لو حَلَفَ عليها لحلف على حق فافتداها بمائة ألف ، ولم يحلف ، وقد قال رسولُ الله ﷺ : مَنْ حَلَفَ بالله فَلْيَصْدُقْ ، ومَنْ حُلِفَ له بالله فَلْيَرْضَ فعثمان أمير المؤمنين كصاحبيه ، وأنا وليُّ وَلِيِّهِ وعدوُّ عدوِّهِ ، وأبي وصاحبه صاحبا رسول الله ﷺ ، ورسولُ الله يقول عن الله تعالى يومَ أُحدٍ لما قطعتْ إصبعُ طلحة : سبقتْه الى الجنة ، وقال : أوْجَبَ طلحةُ . وكان الصديقُ إذا ذَكَرَ يومُ أُحدٍ قال : ذاك يوم كله أوْلَهُ لطلحةَ ، والزبيرُ حواريُّ رسولِ الله وَصِفْوَتُهُ . وقد ذكر أنهما في الجنة ، وقال جل وعز : لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ، وما أخبرنا بعدُ أنه سَخِطَ عليهم . فإن يكن ما سَعَوْا فيه حقاً فأهل ذلك هم وأن يكن زَلَّةً ففي عفو الله تمحيصها ، وفيما وفقهم له من السابقة مع نبيهم ﷺ . ومهما ذكرتموهما به فقد بدأ ثم بأمكم عائشة رضي الله عنها فإن أبى آبٍ أن تكون له أمًّا نَبَذُ اسم الإيمان عنه . قال الله جل ذكره وقولهُ الحقُّ : النبيُّ أوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجُهُ أمهاتُهُمْ . فنظر بعضهم الى بعض ثم انصرفوا عنه . وكان سبب وضع الحرب بين ابن الزبير وبين أهل الشام ، بعد أن كان حُصَيْنُ بنُ نُمَيْرٍ قد حصر ابن الزبير أنه أتاهم موتُ يَزيد بن معاوية فتوادَعَ الناسُ ، وكان أهلُ الشام ضَجِرُوا من المُقامِ على ابن الزبير وحَنِقَتِ الخوارجُ في قتالهم . ففي ذلك يقول رجل من قضاعة :

يا صاحبيَّ ارْتَحِلا ثم أمْلُسا لا تَحْبِسا لَدَى الحُصَيْنِ مَحْبَسا
إنَّ لَدَى الأركانِ ناسا بُؤَّسا

Marfat.com

(قال الأخفش حفظي بأسا أبؤسا) :

وبارقاتٍ يَخْتَلِسْنَ الأنفسا إذا الفتى حَكَم يوما كلّسا

قوله : ثم أملسا يريد تَخَلَّصا تَخلصاً سهلا ، وكَلَّسَ أي حَمَلَ وجَدَّ .

ولما سَمَّحَ ابن الزبير للخوارج في القول وأظهر أنه منهم قال رجل يقال له قَيْسُ بن هَمَّامٍ من رَهْط الفَرَزْدَقِ :

يا ابنَ الزبير أتَهْوَى عُصْبَةً قَتلوا ظلماً أباك ولما تُنْزَعِ الشِكَكُ

ضَحَّوْا بعثمان يومَ النحر ضاحيةً ما أعظَمَ الحرمةَ العُظْمَى التي انتهكو

فقال ابن الزبير : ولو شايَعَتْني التُرْكُ والدَّيْلَمُ على قتال أهل الشام لشايعتها . الشكك جمع شِكَّةٍ وهي السلاح . قال الشاعر :

ومُدَجَّجاً يَسْعَى بِشِكَّتِهِ مُحْمَرَّةً عيناه كالكلب

فتفرقتِ الخوارجُ عن ابن الزبير لما تولى عثمان ، فصارت طائفة الى البصرة وطائفة الى اليمامة . وكان رَجاء النميريُّ ، وهو الذي كان جمعهم للمدافعة عن الحرم . فكان فيمن صار إلى البصرة نافع ابن الأزرق الحنفي ، وبنو الماحوز السَليطيُّونَ ورئيسهم حسان بن يَخْرَجٍ . فلما صاروا الى البصرة نظروا في أمورهم ، فأمرّوا عليهم نافعاً . ويُرْوى أن أبا الجَلْدِ اليَشْكُرِيَّ قال لنافع يوماً : يا نافع ان لجهنم سبعة أبواب ، وأن أشدها حَرّاً البابُ الذي أُعِدَّ للخوارج فإن قَدَرْتَ أن لا تكون منهم فافعل . فأجمع القومُ على الخروج فمضى بهم نافع الى الأهواز في سنة أربع وستين فأقاموا بها لا يَهيجون أحدا ويُناظرهم الناس . وكان سببُ خروجهم الى الاهواز أنه لما مات يزيدُ بايع أهلُ البصرة عُبَيْدَ الله بن زِياد ، وكان في

Marfat.com

السجن يومئذ أربعمائة رجل من الخوارج . وَضَعُفَ أمر ابن زياد فَكَلَّمَ فيهم فأطلقهم فأفسدوا البَيْعَةَ عليه ، وفَشَوْا في الناس يدعون الى محاربة السلطان ويُظهرون ما هم عليه ، حتى اضطرب على عبيد الله أمرهُ فتحول عن دار الامارة الى الأَزْد ، ونَشَأت الحرب بسببه بين الأَزد وربيعة وبين بني تميم . فاعتزلهم الخوارج الا نفراً منهم من بني تميم معهم عَبْسُ بن طَلْقٍ الصَريميُّ أخو كَهْمس فإنهم أعانوا قومهم . فكان عبسُ الطِعانِ في سعد والرِبابُ في القَلْبِ بحِذاء الأَزد ، وكان حارِثةُ بن بَدْرٍ اليربوعي في حَنْظلة بحذاء بَكْر بن وائل . وفي ذلك يقول حارثة بن زيد للأَحْنف وهو صَخْرُ بن قيس :

سَيكفيكَ عبسٌ أخو كَهْمسٍ مُواقَفةَ الأَزْدِ بالمِرْبَدِ
وتكفيكَ عمرو على رِسْلِها لُكَيْزَ بن أَفْضَى وما عَدَّدوا

لكيز هو عبد القيس :

وتكفيكَ بَكْراً إذا أقبلتْ بضربٍ يَشيبُ له الأَمْردْ

فلما قتل مسعودُ بن عمرو المَعْنِيُّ وتَكافَّ الناسُ ، أقام نافع بن الأَزرق بموضعه بالأَهواز ولم يَعُدْ إلى البصرة . وطردوا عُمَّالَ السلطان عنها وجَبَوْا الفَيْءَ ولم يزالوا على رأي واحد يتولَّوْنَ أهلَ النهروِمِرْداساً ومن خرج معه حتى جاء مَوْلًى لبني هاشم الى نافع فقال له : أن أطفال المشركين في النار ، وان من خالفنا مشركٌ فدماء هؤلاء الأَطفال لنا حلالٌ . قال له نافع : كفرتَ وأذْلَلْتَ بنفسك ، قال له : إن لم آتِك بهذا من كتاب الله فاقْتُلْني . قال نوح : ربِّ لا تَذَرْ على الأَرض من الكافرين

Marfat.com

دَيّاراً انكَ إن تَذَرْهُمْ يُضِلوا عبادك ولا يَلِدُوا إلا فاجراً كَفّاراً . فهذا أمر الكافرين وأمرُ أطفالهم فشهدَ نافع انهم جميعاً في النار ، ورأى قتلهم ، وقال الدارُ دارُ كفرٍ إلا مَن أظهر إيمانَهُ ولا يحل أكلُ ذبائحهم ولا تَناكُحُهُمْ ولا تَوارُثُهُمْ ومتى جاء منهم جاء فعلينا أن نمتحِنه، وهم ككُفّار العرب لا نقبل منهم إلا الإسلامَ أو السيفَ والقَعَدُ بمنزلتهم والتَقِيَّةُ لا تحل . فإن الله تعالى يقول : إذا فَريقٌ منهم يَخْشَوْن الناس كخشية الله أو أشدَّ خشية . وقال عز وجل فيمن كان على خلافهم : يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لَوْمَةَ لائمٍ . فنفر جماعة من الخوارج عنه منهم نَجْدةُ بن عامر ، واحتج عليه بقول الله عز وجل : إلا أن تتقوا منهم تُقاةً ، وبقوله عز وجل: وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه، فالقَعَدُ منا والجهادُ إذا أمكن أفضلُ لقوله جل وعز : وفَضّلَ اللهُ المجاهدين على القاعدين أجراً عظيما . ثم مضى نَجْدةُ بأصحابه إلى اليمامة وتفرقوا في البلدان . فلما تَتَابَعُ نافعٌ في رأيه وخالف أصحابَهُ ، وكان أبو طالوتَ سالمُ بن مَطَرٍ بالحَضارِمِ في جماعة قد بايعوه، فلما انخزل نجدةُ خلعوا أبا طالوتَ وصاروا إلى نجدةَ فبايعوه . ولقي نجدةُ وأصحابُهُ قوماً من الخوارج بالعَرِمةِ . والعرمةُ كالسِكْرِ وجمعها عَرِمٌ وفي القرآن المجيد : فأرسلنا عليهم سَيْلَ العَرِمِ . وقال النابغة الجَعْدِيُّ :

من سَبَأ الحاضرين مَأْرِبَ اذ يَبْنونَ من دون سيله العَرِما

فقال لهم أصحاب نجدةَ : ان نافعاً قد كَفَّرَ القَعَدَ ، ورَأى الاستعراضَ وقَتْلَ الاطفال . فانصرفوا مع نجدة ، فلما صار باليمامة كَتَبَ إلى نافع :

Marfat.com

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فان عَهْدي بك وأنت لليتيم كالأب الرحيم ، وللضعيف كالأخ البَرّ ، لا تأخذك في الله لومةُ لائمٍ ، ولا تَرَى مَعونةَ ظالمٍ ، كذلك كنت أنت وأصحابك ، أمَا تذكر قولك : لولا أني أعلم أن للامام العـــادلِ مثلَ أجر جميع رعيته ، ما توليت أمر رجلين من المسلمين . فلما شَرَيْتَ نفسك في طاعة ربك ابتغاء رضوانه وأصبتَ من الحق فَصَّهُ ، وركبتَ مُرَّهُ تَجَرَّ ذلك الشيطانُ ، ولم يكن أحد أثقلَ عليـــه وطْأةً منك ومن أصحابك ، فاستمالَكَ واستهواك واستغواك وأغواك فَغَوَيْتَ . فأكفرتَ الذين عَذَرهم الله في كتابه من قَعَدِ المسلمين وضَعَفَتِهم . فقال جل ثناؤه ، وقولُهُ الحقُّ ووعْدُهُ الصِدْقُ : ليس على الضُعَفاء ولا على المَرْضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حَرَجٌ ، إذا نصحوا لله ورسوله . ثم سَمَّاهم في أحسن الاسماء فقال : ما على المحسنين من سبيل . ثم استحللتَ قتل الاطفال ، وقد نَهَى رسول الله ﷺ عن قتلهم ، وقال عز ذكره : ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أخرى . وقال في القعد خيراً : وفَضَّلَ الله مَنْ جاهد عليهم . ولا يَدْفَعُ مَنْزِلةُ أكثر الناس عملاً منزلَةَ مَنْ هو دونـــه ، أوَ ما سمعتَ قوله عز وجل : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضَرَرِ ، فجعلهم الله من المؤمنين وفَضَّلَ عليهم المجاهدين بأعمالهم . ورأيتَ ألا تؤدِّيَ الامانه إلى مَنْ خالفك والله يأمر أن تُؤَدّى الامانات إلى أهلها ، فاتَّقِ اللهَ وانظر لنفسك ، واتقِ يوماً لا يَجْزِي والدٌ عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن والده شيئاً ، فان عز ذكره بالمِرْصاد وحُكْمُهُ العَدْلُ وقوله الفصل ، والسلام . فكتب إليـه نافع : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ،

Marfat.com

فقد أتاني كتابك تَعِظُني فيه وتُذَكِّرني وتنصح لي وتزجرني وتصف ما كنتُ عليه من الحق ، وما كنتُ أوثره من الصواب ، وأنا أسأل الله جل وعز أن يجعلني من الذين يستمعون القولَ ، فيتَّبعون أحسنَهُ . وعِبْتَ عليَّ ما دِنْتُ به من إكفار القَعَدِ وقتلِ الاطفال ، واستحلال الامانَة فسأفسر لك لِمَ ذلك إن شاء الله . أما هؤلاء القَعدُ فليسوا كمن ذكرتَ ممن كان بعَهْدِ رسول الله ﷺ : لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين لا يجدون إلى الهَرَبِ سبيلا ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقاً ، وهؤلاء قـــد فَقُهوا في الدين وقرؤا القرآن والطريقَ لَهم نَهْجٌ واضح ، وقد عرفتَ ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم إذ قالوا : كنا مستضعَفين في الأرض ، فقيل لهم : ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتهاجروا فيها ، وقال : فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله . وقال : وجاء المُعَذِّرونَ من الأعراب ليؤذَن لهم ، فَخَـــبَّر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسولَهُ ، وقال : سيصيب الذين كفروا منهم عذابٌ أليم . فانظُر إلى أسمائهم وسِماتهم . وأما أمر الأطفال فان نبيَّ الله نوحاً عليه السلام كان أعلمَ بالله يا نَجْدةُ مني ومنك ، فقال : رَبِّ لا تَذَرْ على الأرض من الكافرين دَيَّاراً إنك إنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عبادَكَ ولا يَلِدوا إلا فاجراً كَفَّاراً ، فسماهم بالكفر وهم أطفال ، وقبل أن يولَدوا ، فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نكون نقوله في قومنا والله يقول : أكُفّارُكُمْ خيرٌ من أولئكم أم لكم بَرَاءةٌ في الزُّبُرِ* . وهؤلاء كمشركي العرب لا نقبل منهم جزيةً وليس بيننا وبينهم إلا السيفُ أو الاسلامُ . وأمـــا أستحلال أمانات من خالفنا فان الله عز وجل أحلَّ لنا أموالهم كما أحل لنا

* الزبر ج زبور ، وهو السفر والكتاب على رق من جلد ، ويأتي بمعنى القطعة كذلك .

Marfat.com

دِماءهم ، فدماؤهم حلالِ طِلْقٌ ، وأموالهم في ء للمسلمين ، فاتّقِ الله وراجِعْ نفسك فإنه لا عذر لك إلا بالتوبة ولن يَسَعَكَ خِذْلانُنا والقعودُ عنا وتَرْكُ ما نَهَجْناه لك من طريقتنا ومَقالتنا . والسلام على مَنْ أَقرَّ بالحق وعمل به . وكتب نافع الى عبدالله بن الزبير يدعوه إلى أمره : أما بعد ، فاني أُحَذِّرُكَ من الله يوم تَجِدُ كلُّ نفس ما عَمِلَتْ من خيرٍ مُحْضَراً وما عملتْ من سوء تَوَدُّ لو أن بينها وبينه أَمَداً بعيدا ، ويحذركم الله نفسه ، فاتق الله ربك ولا تَتَوَلَّ الظالمين . فان الله يقول : لا يتخذ المؤمنونَ الكافرينَ أولياء مِنْ دون المؤمنين ، ومَنْ يفعلْ ذلك فليس من الله في شيء . وقد حَضَرْتَ عثمان يوم قُتِلَ فلعمري لئنْ كان قُتِلَ مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ، ولئن كان قاتلوه مهتدين وإنهم لمُهْتَدونَ لقد كفر مَنْ يتولاه وينصره ويَعْضُدُهُ . ولقد علمتَ أن أباك وطلحةَ وعليّا كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا في أمره من بين قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان . وكيفَ ولايةُ قاتلٍ مُتَعَمِّدٍ ومقتول في دين واحد ! ولقد مَلَكَ عليٌّ بعده فَنَفَى الشُبُهاتِ ، وأقام الحدود وأجرى الأحكام مَجاريَها ، وأعطى الأمور حقائقها فيما عليه وله . فبايعه أبوك وطلحةُ ثم خلعاه ظالمَيْنِ له وإنَّ القولَ فيك وفيهما لَكَما قال ابنُ عباس : إنْ يكنْ عليٌّ في وقت معصيتكم ومُحاربتكم له كان مؤمناً أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكمِ جائراً لقد بُؤْتُمْ بغضبٍ من الله لِفراركم من الزَّحفِ . ولقد كنتَ له عدوًّا ولسيرته عائبا فكيف تَوَلَّيْتَهُ بعد موته فاتّقِ الله فانه يقول : ومَنْ يَتَوَلَّهُمْ منكم فانه منهم . وكتب نافع الى مَنْ بالبَصْرة من المُحَكِّمةِ : بسم

Marfat.com

الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فإن الله اصطفى لكم الدينَ فلا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمونَ ، واللهِ إنكم لتَعلمونَ أن الشريعةَ واحدةٌ ، ففيم المُقامُ بين أظهُرِ الكفار ، تَرَوْنَ الظلم ليلاً ونهاراً ، وقد نَدَبكم الله الى الجهاد فقال : وقاتِلوا المشركين كافَّةً ، ولم يجعل لكم في التَخَلُّفِ عذراً في حال من الحالات ، فقال : انْفِروا خِفافاً وثِقالاً . وإنما عَذَرَ الضُعَفاء والمَرْضى والذين لا يجدون ما ينفقون ، ومَنْ كانت إقامته لِعِلَّةٍ . ثم فضَّل عليهم مع ذلك المجاهدين فقال : لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضَرَرِ والمجاهدون في سبيل الله ، فلا تغتَّروا ولا تطمئنوا الى الدنيا فانها غَرَّارةٌ مَكَّارةٌ لَتَنُّها نافذة ونعمتها بائدة حُفَّتْ بالشهوات اغترارا ، وأظْهَرَتْ حَبْرةً وأضمرتْ عَبرة ، فليس آكلٌ منها أكْلةً تَسُرُّه ولا شاربٌ شُرْبةً تُؤْنقُهُ الا دنا بها درجةً الى أجله ، وتباعَدَ بها مسافة من أمَلِهِ ، وإنما جعلها الله داراً لمن تزود منها الى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فلن يرضى بها حازمٌ داراً ولا حليم بها قَراراً فاتقوا الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى والسلام على من اتبع الهدى .

فورد كتابه عليهم ، وفي القوم يومئذ أبو بَيْهَسٍ هَيْصَمُ بن جابر الضُبَعيُّ وعبدُ الله بن أباضٍ المُرِّيُّ من بني مُرَّةَ بن عبيد فأقبل أبو بيهس على ابن أباض فقال : إن نافعا غَلاَ فَكَفَرَ وانك قَصَّرْتَ فكفرتَ زعم أن من خالفنا ليس بمشرك ، وإنما كفار النِعَمِ لتمسُّكهم بالكتاب واقرارهم بالرسول . وتزعم أن مَناكحهم ومَواريثهم والإقامةَ فيهم حِلٌّ طَلْقٌ وأنا أقول ان أعداءنا كأعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الإقامةُ فيهم كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة وأحكامُ المشركين تجري فيها وأزعم أن مناكحهم

Marfat.com

ومواريثهم تجوز لانهم منافقون يظهرون الاسلام وأن حكمهم عند الله حكمُ المشركين . فصاروا في هذا الوقت على ثلاثة أقاويل قول نافع في البراءة والاستعراض واستحلال الامانة ، وقتل الاطفال . وقول أبي بيهس الذي ذكرناه ،وقول عبد الله بن أباض وهو أقربُ الأقاويل الى السُنَّةِ من أقاويل الضُلاَّلِ ، والصُفْرِيَّةُ والنَجْدِيَّةُ في ذلك الوقت يقولون بقول ابن أباض ما ذكرنا من مقالته ، وأنا أقول ان عدونا كعدو رسول الله ﷺ ، ولكني لا أحرِّمُ مناكحتهم ومَواريثهم لان معهم التوحيدَ والاقرارَ بالكتاب والرسول عليه السلام ، فأرى معهم دَعْوَةَ المسلمين تجمعهم وأراهم كُفَّاراً للنِعَمِ . وقالت الصفرية أَلْيَنَ من هذا القول في أمر القَعَدِ حتى صار عامتهم قَعَـــداً واختلفوا فيهم ، وقد ذكرنا ذلك ،فقال قوم سُمُّوا صَفْرِيَّةَ لانهم أصحابُ ابن صَفَّارٍ وقال قوم : إنما سُمُّوا بصُفْرةٍ عَلَتْهُمْ وتصديقُ ذلك قولُ ابنِ عاصمٍ الليثيِّ . وكان يَرَى رأي الخوارجِ وصار مُرْجِئاً .

فارقتُ نجـــدةَ والذين تَزَرَّقوا وابنَ الزبير وشيعةَ الكَـــذَّاب
والصُفْرَ الاذان الذين تَخَـــيَّروا دينا بلا ثِقَـــةٍ ولا بكتاب

خَفَّفُ الهمزة من الآذان ولولا ذلك لانكسر الشِعْرُ . وقال أبو بيهس : الدارُ دارُ كفرٍ ، والاستعراضُ فيها جائز وإن أُصيبَ من الأطفال فلا حَرَجَ ، الى ههنا انتهت المقاتلة . وتفرقت الخوارج على الاضراب الاربعة التي ذكرنا وأقام نافع بالاهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال فإذا أُجيبَ الى المقالة جَبَا الخراجَ وفَشَا عُمَّالُهُ في السواد . فارتاع لذلك أهلُ البصرة فاجتمعوا الى الاحنف بن قيس فشكوا ذلك اليه وقالوا : ليس بيننا وبين العدوّ الا ليلتان وسيرتُهم ما تَرَى ، فقال الاحنفُ ، إن فعلهم في مصركم إن ظَفِروا به كَفِعْلِهِمْ

Marfat.com

في سوادكم فجِدُّوا في جهاد عدوّكم. فاجتمع اليه عشرةُ آلاف، فأتى عبدَ الله ابن الحرثِ بن نَوْفَلِ بن الحرث بن عبد المطّلِبِ وهوَ بَيِّنُهُ فسأله أن يؤمّرَ عليهم فاختار لهم ابن عُبَيْسِ بن كُرَيْزٍ ، وكان دَيِّنا شجاعا فأمّره عليهم وشَيَّعهُ . فلما نفذ من جِسْرِ البصرة أقبل على الناس ، فقال : اني ما خرجت لامتيار ذهب ولا فضة . واني لاحارب قوماً إن ظفرتُ بهم ، فما وراءهم إلا سيوفُهم ورماحُهم ، فمن كان شأنه الجهادَ فَلْيَنْهَضْ ، ومَن أحب الحياة فليرجع . فرجع نَفَرٌ يسير ومضى الباقون معه . فلما صاروا بدُولابَ خرج اليهم نافع ، فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرتِ الرماحُ ، وعُقِرَتِ الخيلُ وكثرت الجِراحُ والقتلُ ، وتضاربوا بالسيوف والعَمَدِ ، فَقُتِلَ في المَعْرَكَةِ ابنُ عُبَيْسٍ ونافع بن الازرق . وكان ابن عُبيس تَقَدَّمَ الى أصحابه فقال : ان أُصبتُ فأميركُم الربيعُ بن عمرو الأَجْذَمُ الغُدَانيّ . فلما أُصيبَ ابنُ عبيس ، أخذَ الربيعُ الرايةَ ، وكان نافع قد استخلف عُبَيْدَ الله بن بَشير بن الماجوز السَّليطيّ ، فكان الرئيسان من بني يربوع رئيسُ المسلمين من بني غُدانَةَ بن يربوع ، ورئيسُ الخوارج من بني سَليطِ بن يربوع . فاقتتلوا قتالا شديدا وادَّعى قتلَ نافعٍ سلامةُ الباهليُّ . وقال لما قتلتُهُ وكنتُ على بِرْذَوْنِ وَرْدٍ إذا برجل على فرس ، وأنا واقف في خُمسِ قَيْسٍ ينادي : يا صاحب الوَرْدِ ، هَلُمَّ الى المبارزة . فوقفتُ في خُمسِ بني تميم ، فإذا به يعْرِضُها عليّ ، وجعلت أتنقل من خمس الى خمس، وليس يزايلني فَصِرْتُ الى رَحلي ، ثم رجعتُ فرآني ، فدعاني الى المبارزة فلما أكثَرَ خرجتُ إليه ، فاختلفنا ضربتين ، فضربته فصرعته . فنزلتُ

Marfat.com

لِسَلْبِهِ وأخذِ رأسِهِ فإذا امرأة قد رأتني حين قتلتُ نافعاً فخرجتْ لتَثْأرَ به ، فلم يزل الربيعُ الاجذمُ يقاتلهم نَيِّفاً وعشرين يوماً حتى قال يوماً : أنا مَقْتولٌ لا محالةَ ، قالوا : وكيفَ ؟ قال لأني رأيت البارحةَ كان يدي التي أصيبتْ بِكابُلَ انحطتْ من السماء فاسْتَشْلَتْني . فلما كان الغدُ قاتل الى الليل ، ثم غاداهم فَقُتِلَ فتدافعَ أهلُ البصرة الرايةَ حتى خافرا العَطَبَ ، إذا لم يكن لهم رئيسٌ . ثم أجمعوا على الحجّاج بن باب الحِمْيَريّ فأباها فقيل له : ألا تَرَى أن رؤساء العرب بالحضْرة ، وقد اختاروك من بينهم ؟ فقال : مَشْؤمةٌ، ما يأخذها أحد إلا قُتِلَ. ثم أخذها فلم يزل يقاتل الخوارجَ بدولاب والخوارج أعدُّ بالآلات والدُروع ، والجواشِنِ ، فالتقى الحجاجُ بن باب وعِمْرانُ ابن الحرث الراسيُّ وذلك بعد أن اقتتلوا زُهاء شَهر ، فاختلفا ضربتين فسقطا ميتين فقالت أم عمران ترثيه :

اللهُ أيَّدَ عَمْراناً وطَهَّرهُ ... وكان عَمرانُ يدعو اللهَ في السَحَرِ
يدعوه سِرّاً وإعلانا لِيَرْزُقَهُ ... شَهادةً بيدي مِلْحادةٍ غُدُرِ
وَلّى صَحابتُهُ عن حَرِّ مَلْحمةٍ ... وشَدَّ عمرانُ كالضِرْغامةِ الهَصِرِ

قول الربيع : استشلتني ، أي أخذتني اليها واستنقذتني . يقال استشلاه واشتلاه . وفي الحديث أن السارق إذا قَطِعَ سبقتْهُ يده الى النار ، فان تاب اسْتَشْلاها ، قال رؤبة :

(إنَّ سليمان اشتلانا ابنَ عَلي) . وقول الناس أَشْلَيْتُ كلبي ، أي أغريتُهُ بالصيد ، خطأٌ ، إنما يقال : آسدته ، وأَشْلَيْتُهُ دعوتُهُ . وقولها بيدي ملحادةٍ ، مِفْعال من الإلحاد ، كما تقول : رجل مِعْطاء يا فتى ومِحْسانٌ

Marfat.com

ومِكْرامٌ ، وأُدْخِلَتِ الهاء للمبالغة ، كما تُدْخَلُ في راوية وعَلامةٍ ونَسَّابة. وغُدَرُ فُعَلٌ من الغَدْرِ ، ولقُتَلَ باب نذكره في عقب هذه القصة ، إذا فرغنا من خبر هذه الوقعة ، والضرغامةُ من أسماء الاسد ، والهِصرُ الذي يَهْصِرُ كل شيء أي يَثْنيه . قال امرؤ القيس :

فلما تَنازَعْنا الحديثَ وأَسْمَحَتْ هَصَرْتُ بغُصنٍ ذي شَماريخ مَيَّالِ

ولذِكرِنا الصفريةَ والأَزارقةَ والبيهسيةَ والإباضيةَ ، تفسير لِمَ نُسِبَ الى ابن الأَزرق بالازارقة ، والى أبي بيهس بالكنية المضاف اليها ، ونُسِبَ الى صُفْرٍ ولم يُنْسَبْ الى واحدهم ، ونُسِبَ الى ابن اباض فَجُعِلُ النسبُ الى أبيه . وهذا نذكره بعد باب فُعَلَ ، ومما قيل من الشعر في يوم دُولابَ قول قَطَرِيّ :

لَعَمْرُكَ إِنِّي في الحياة لزاهدٌ وفي العيش ما لم أَلْقَ أُمَّ حكيم*
من الخَفِراتِ البيضِ لم يُرَ مِثْلُها شِفاءَ لذي بَثٍّ ولا لسَقيم
لَعَمْرُكَ انيَ يَوْمَ أَلْطِمُ وَجْهَها على نائباتِ الدهرِ جِدُّ لئيم
ولو شهدتني يومَ دولابَ أبصرتْ طِعانَ فَتًى في الحرب غيرَ ذَميم
غداةَ طَفَتْ عَلْماءُ بكرُ بن وائلٍ وعُجْنا صُدورَ الخيلِ نحو تَميم
وكان لعبد القيس أولُ جَدِّها وأَحلافِها من يَخْصُب وسليم
وظَلَّتْ شُيوخُ الأَزْدِ في حَوْمةِ الوَغَى تَعومُ وظِلْنا في الجِلادِ نَعوم
فلم أرَ يوماً كان أكثرَ مُقْعَصاً يَمُجُّ دماً من فائظٍ وكَليم
وضاربةٍ خَدًّا كريماً على فَتًى أغرَّ نَجيبِ الأُمَّهاتِ كَريم
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تلكُ مَوطِناً له أرضُ دولابٍ ودَيْرُ تَميم

* وهذا من أصدق الشعر العربي قاطبة من حيث العاطفة وفيض النفس العاشقة البطلة .

Marfat.com

فلو شَهدْتنا يومَ ذاك وخَيْلُنـــا تُبيحُ من الكُفـــار كل حَريم
رأتْ فِتيَـةً باعوا الاله نَفُوسَهم بجنَّاتِ عَدْنٍ عنده ونَعـــيم

قوله : ولو شهدتنا يوم دولاب ، فإنما ذاكَ لأنه أراد البلدةَ ، ودولاب أعجمي مُعْرَبٌ وكل ما كان من أسماء الأعجميةِ نكرةً بغير الألف واللام ، فإذا دخلْته الالفُ واللام فقد صار مُعْرباً وصار على قياس الاسماء العربية ، لا يمنعه من الصرف إلا ما يمنع العربيّ . فدولاب فُوعـــالٌ مثل طُومارٍ وسُولافٍ ، وكلُّ شيء لا يَخُصُّ واحداً من الجنس من غيره فهو نكرة نحو رجلٍ ، لأن هذا الاسمَ يَلْحَقُ كلَّ ما كان على بِنْيتِهِ ، وكذلك حَمَـــلٌ وجَبَلٌ وما أشبه ذلك ، فان وقع الاسمُ في كلام العجم معرفـــةً فلا سبيل الى إدخال الألف واللام ، لأنه معرفة ، فلا معنى لتعريفٍ آخر فيه ، فذلك غير منصرف نحو فرعون وقارون ، وكذلك اسحق وابراهيم ويعقوب ، وقوله : غداة طفت علماء بكر بن وائل ، وهو يريد : على الماء ، فان العرب إذا التقتْ في مثـــل هذا الموضع لامانِ استجازوا حذف احداهما استثقالا للتضعيف ، لأن ما بقي دليلٌ على ما حذف . يقولون علماء بنو فلان ، كما قال الفرزدق .

وما سُبِقَ القَيْسِيُّ من ضَعْفِ حيلةٍ ولكن طَفَتْ عَلْماءُ قُلْفةُ خالد

وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فانهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك بنو ، لِقُرب مَخْرج النون من اللام ، وذلك قولُك فلان من بَلْحرِث وَبَلْعَنْبَرِ وبَلْهُجَيْمِ . وقال آخر من الخوارج .

يرى مَنْ جاه ينظر من دُجَيْـــلٍ شيوخَ الأَزْدِ طافيـــةً لِحاها

Marfat.com

وقال رجل منهم :

شَمِتَ ابنُ بدْرٍ والحوادثُ جَمَّـةٌ والحائرونَ بنافـع بن الأزْرَقِ
والموتُ خَتْمٌ لا محالةَ واقِـعٌ مَنْ لا يُصَبِّحْهُ نهـاراً يَطْرُق
فَلَئِنْ أميرَ المؤمنينَ أصابـه رَيْبُ المَنونِ فَمَنْ يُصِبْهُ يَغْلَقِ

نصب بعد أنْ ، لان حرف الجزاء للفعل . فإنما أراد: فلئن أصاب أمير المؤمنين ، فلما حذف هذا الفعل وأضمر: ذكر أصابه ليدل عليه . ومثله قول النَمِر بن تَولَبٍ :

لا تَجْزَعي إنْ مُنفِساً أهلكتُـه وإذا هَلكتُ فعند ذلك فاجزعي

وقال ذو الرُّمَّةِ :

إذا ابنَ أبي موسى بلالاً بَلَغْتِهِ فقامَ بفأسٍ بين وِصْلَيْكِ جازِرُ

لان إذا لا يليها إلا الفعل وهي به أوْلَى :

٥١ (هذا باب فُعَلٍ)

أعلم أن كل اسم على مثال فُعَلٍ فهو مصروف في المعرفة والنكرة ، إذا كان اسماً أصلياً او نعتاً ، فالاسماء نحو صُرَدٍ ونُغَرٍ وجُعَلٍ ، وكذلك ان كان جمعاً نحو ظُلِمَ وغُرَفٍ وان سميتَ بشيء من هذا رجلا انصرف في المعرفة والنكرة، وأما النعتُ فنحو رجلٍ حُطَمٍ كما قال :

(قد لَفها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ) وكذلك مال لُبَدٌ ، وهو الكثير من قوله جل جلاله : أهلكتُ مالاً لُبَداً ، فان كان الاسم على فُعَلَ معدولاً عن فاعل لم ينصرف إذا كان اسم رجل في المعرفة ، وينصرف

Marfat.com

في النكرة . وذلك نحو عُمَرَ وقُثَمَ لانه معدول عن عـــامر ، وهو الاسم الجاري على الفعل فهذا مما معرفتُه قبل نكِرته. فإذا أريد به مذهبُ المعرفـــة جاز أن تنتيه في النداء من كل فِعْلٍ، لان المنادى مشارٌ اليه . وذلك قولك : يا فُسَقُ ويا خُبَثُ . تريد ، يا فاسق ويا خبيث . وإنمـــا قالت : بيدي لِملحادةٍ غُدَرِ في غير النداء للضرورة فنقلتْه معرفةً من النداء ، ثم جعلتـه نكرةً لخروجه عن الإشارة فنعتَتْ به ملحادةً . كما قال الحُطَيْئةُ :

أَجوّلُ مـــا أَجوّلُ ثم آوِي الى بيتٍ قَعيـــدَتُهُ لَكاعِ

وهذا لا يقع إلا في النداء ، ولكن للشاعر نقْلَه نكرةً ونقله معرفةً على حد ما كان له في النداء فيَلْحَقُ قولها غُدَرُ بقوله : خُطَمُ ، ومـــالُ لُبَدُ وما أشبهه . وفَعالِ في المؤنث بمنزلةُ فُعَلَ في المذكر. ولو سميتَ رجلا خُطَماً لصرفته من قولك : هذا سائق خُطَمُ لانه قد وقع نكرة غير معدول فهو في النعوت بمنزلة صُرَد في الاسماء .

٥٢ (هذا باب النَسَب الى المضاف)

أعلم انك إذا نسبتَ الى عَلَمٍ مضاف فالوجهُ أن تنسب الى الاسم الاول ، وذلك قولك في عبد القَيْس عَبدِيٌ ، وكذلك في عبدالله بن دارِمٍ. فإن كان الاسم الثاني أشهر من الاول جاز النسب اليه لئلا يقع في النسب التباسٌ من اسم باسم وذلك قولك في النسَب الى عَبْدِ مَنافٍ : منافيٌ . وإلى أبي بَكْرِ بن كِلاب : بَكْرِيٌ . وقد يجوز وهو قليل أن تبني له من الاسمين إسماً على مثال الأربعـــة لينتظم النسب ، وذلك قولك في النسب

Marfat.com

الى عبدِ الدارِ بن قَصَيٍّ : عَبْدَرِيٌّ . وفي النسب الى عبد القيس عَبْقَسِيٌّ . فان كان المضاف غير عَلَمٍ ، فالنسب الى الثاني على كل حال وذلك قولك في النسب الى ابن الزبير : زُبَيْرِيٌّ ، لان ابن الزبير إنما صار معرفة بالزبير . وكذلك النسب الى ابن زَأْلانَ : زَأْلانِيٌّ . فلذلك قالوا في النسب الى ابن الأَزْرَقِ : أَزْرَقِيٌّ . والى أبي بَيْهَسٍ ، بَيْهَسِيٌّ . فأما قولهم : صَفْرِيٌّ فإنما أرادوا اصفُرَ الالوانِ ، فنسبوا الى الجماعة ، وحَقُّ الجماعة إذا نُسِبَ اليها أن يقع النسب الى واحدها كقولك : مُهَلَّبِيٌّ ومِسْمَعِيٌّ . ولكن جعلوا صفراً اسماً للجماعة ، ثم نسبوا اليه ولم يقولوا : أَصْفَرِيٌّ فينسب الى واحدها . وإنما كان ذلك لانهم جعلوا الصُفْرَ اسما للجماعة كما تسمّى القبيلةُ بالاسم الواحد . ألا تَرَى أن النسب الى الانصارِ أَنصَارِيٌّ لانه كان عَلَماً للقبيلة؟ وكذلك مَدائنيٌّ ؟ وتقول في النسب الى الأَبْناءِ من بني سَعْدِ : أَبْناوِيٌّ ، لانه اسم للجماعة . فأما قولهم الأَزارقةُ فهذا باب من النَسَب آخرُ وهو أن يُسَمَّى كلُّ واحد منهم باسم الاب إذا كانوا اليه، ونظيره المهالبةُ والمَسامعةُ والمناذرةُ ويقولون: جاءني النُمَيْرونَ والأَشْعرونَ جعَل كل واحد منهم نُمَيراً وأَشْعَرَ . فهذا يتصل في القبائل على ما ذكرتُ لك . وقد تُنْسَبُ الجماعةُ الى الواحد على رأي أودينٍ فيكون له : مثلَ نسب الوِلادةِ كما قالوا : أزرقيٌّ لمن كان على رأي ابن الازرق كما تقول : تميميٌّ وقيسيٌّ لمن وَلَدُه تميم وقيس . ومن قرأ سلام على الياسينَ فإنما يريد الياسَ عليه السلام ، ومَنْ كان على دينه كما قال : (قَدْنِيَ مَن نَصْرِ الخُبَيْبِينَ . قَدِي) يريد أبا خُبَيْب ومن معه . وقد يجتمع الرجل مع الرجل في التثنية

* قدني : يكفيني . ومثله : قالت الا ليتما هذا الحمام لنا الى حمامتنا ونصفه فقد

Marfat.com

إذا كان مَجازُهما واحدا في أكثر الامر على لفظ أحدهما ، فمن ذلكقولهم العُمَرانِ لابي بكر وعُمَرَ رضي الله عنهما ، ومن ذلك قولهم الخُبَيْبانِ لعبدالله ومُصْعَب ، وقد مضى تفسيره . عاد القول في الخوارج . قال والأزارقة لا تَكَفِّرُ أحدا من أهل مَقالتها في دار الهِجْرةِ إلا القاتلَ رجلاً مسلما ، فإنهم يقولون : المسلمُ حجَّةُ الله والقاتلُ قَصَدَ لقطع الحجة . ويروى أن نافعاً مَرَّ بمالك بن مِسْمَعٍ في الحرب التي كانت بين الأزْد وربيعة وبني تَميم ، ونافعٌ متقلدٌ سيفاً ، فقام اليه مالك ، فضرب بيده الى حِمالةِ سيفه ، وقال : ألا تنصُرنا في حربنا هذه ؟ فقال : لا يَحِلُّ لي . قال : فما بالُ مؤمني بني تميم ينصرون كفّارهم في هذه الحرب ؟ فأمسكَ عنه ، وخرج بعد ذلك بأيام الى الأهوازِ فلما قُتِلَ مَنْ قُتِلَ ممن بحازَرَ من الخوارج في أيام ابن الماحوز كره بَيِّنُ القتالَ ، وأقام حارِثةُ بن بَدْرٍ الغُدانيُّ بازاء الخوارج يناوِشهم على غير ولايةٍ ، وكان يقول : ما عُذْرُنا عند اخواننا من أهل البصرة ان وَصَلَ اليهم الخوارجُ ونحن دونهم . فكتب أهل البصره الى ابن الزبير يخبرونه بقعود بَيِّنَ ، ويسألونه أن يولّي والياً . فكتب الى أَنَسِ بن مالك أن يصلي بالناس ، فصلى بهم أربعين يوماً ، وكتب الى عمر بن عُبَيْدِ الله بن مَعْمَرٍ فولاه البصرة ، فلقيه الكِتاب وهو يريد الحج وهو في بعض الطريق ، فرجع فأقام بالبصرة وَوَلَّى أخاه عثمانَ محاربة الأزارقة ، فخرج اليهم في اثني عشر ألفاً . ولقيه حارثةُ فيمن كان معه وعبيدُ الله بن الماحوزِ في الخوارج بسوق الأهواز ، فلما عَبَروا اليهم دُجَيْلاً نهض اليهم الخوارج وذلك قُبَيْلَ الظهرِ ، فقال عثمانُ بن عبيد الله لحارثةَ بن بَدْرٍ : أما الخوارج الا ما أرى . فقال له حارثةُ : حَسْبُكَ بهؤلاء ، فقال : لا جَرَمَ والله لا أتغدى حتى أُناجِزَهُمْ .

Marfat.com

فقال له حارثةُ : إن هؤلاء لا يقاتلُونَ بالتعسُّف فَأبقِ على نفسك وجُنْدِك ، فقال : أبيتم أهلَ العراق الا جُبْنَا ، وأنت يا حارثة ! ما عِلْمُكَ بالحرب ! أنت واللهِ بغير هذا أعْلَمُ ، يُعَرِّضُ له بالشَراب . فغضب حارثةُ فاعتزل وحاربهم عثمان يومه الى أن غابت الشمس فأجلت الحرب عنه قتيلا ، وانهزم الناس وأخذ حارثةَ الرايةَ ، وصاح بالناس : أنا حارثةُ بن بدر ، فثاب اليه قومُهُ فَعَبَرَ بهم دُجَيْلاً . وبلغ قَلُّ عثمانَ البصرةَ وخاف الناسُ الخوارجَ خوفاً شديداً ، وعَزَلَ ابنُ الزبير عمر بن عبيدالله ووَلَّى الحرثَ بن عبد الله ابن أبي ربيعة المعروف بالقُباعِ أحدَ بني مَخْزوم ، وهو أخو عمر بن عبد الله بن المخزوميِّ الشاعرِ . فَقَدِم البصرةَ ، فكتب اليه حارثة بن بدر يسأله الوِلايةَ والمَدَدَ فأراد أن يُوَلِّيَهُ ، فقال له رجل من بَكْرِ بن وائل : ان حارثةَ ليس بذلك إنما هو صاحبُ شَرابٍ . وفيه يقول رجل من قومه :

ألم تَرَ أن حارثةَ بن بَدْرٍ يُصَلِّي وهو أكفَرُ من حمار
ألم تر أن للفِتْيان حَظًّا وحظك في البَغايا والقِمار

فكتب اليه القُباع تُكْفَى حربَهم ان شاء الله ، فأقام حارثةُ يدافعهم ، فقال شاعر من بني تميم يذكر عثمان بن عبيدالله بن مَعْمَرٍ ومسلَم بن عُبَيْسٍ وحارثة بن بدر :

مَضَى ابن عُبيسٍ صابراً غيرَ عاجز وأعْقَبَنا هذا الحجازيُّ عثمانَ
فأرْعَدَ من قبل اللقاء ابنُ معمرٍ وأبْرَقَ والبَرْقُ اليمانيُّ خَوَّانُ
فضحتَ قُرَيْشاً غَثُّها وسَمِينَها وقيل بنو تَيْمِ بن مُرَّةَ عُزْلان
فلولا ابنُ بدرٍ للعراقَيْنِ لم يَقُمْ بما قام فيه للعِراقين انسانُ

Marfat.com

إذا قيل مَنْ حامي الحقيقةِ أوْمَأتْ اليه مَعدٌّ بالانوف وقَحْطانُ

قوله : فأرعدَ زعمَ الأصمعي أنه خطأ وأن الكُمَيْتَ أخطأ في قوله :

أرْعِدْ وأبْرِقْ يا يَزيدُ فما وَعِيدُكَ لي بضَائِرْ

وزعم أن هذا البيت الذي يُروى لمُهَلْهِلٍ مصنوعٌ مُحْدَثٌ . وهو قوله:

أنبَضوا مَعْجِسَ القِسِيِّ وأبْرَقْنا كما تُرْعِدُ الفُحولُ الفُحولا

وانه لا يقال الا رَعَدَ وبَرَقَ إذا أوعد وتهدد ، وهو يَرْعُدُ ويَبْرُقُ وكذا يقال : رَعَدْتِ السماء وبَرَقَتْ وأرْعَدْنا نحن وأبْرَقْنا إذا دخلنا في الرَّعْدِ والبَرْقِ . قال الشاعر :

(فَقُلْ لأبي قابوسَ ما شئت فارْعِدِ) وروى غيرُ الأصمعي أرْعَدَ وأبرقَ على ضُعْفٍ . وقوله : والبرق اليمانيُّ خوّان، يريد والبرقُ يَخونُ . وأجود النسب إلى اليمن يَمَنِيٌّ ويجوز يَمانٍ بتخفيف الياء ، وهو حسن وهو في أكثر الكلام تكون الألف عوضا من إحدى الياءين ويجوز يمانيٌّ فاعلم تكونُ الألف زائدةً وتُشَدَّدُ الياء . قال العباس بن عبد المُطَّلِبِ :

ضربناهُمُ ضَرْبَ الأحامِسِ غُدْوَةً بكل يمانيٍّ إذا هُزَّ صَمَّمَا

ثم إن حارثة لما تفرق الناس عنه أقام بنهرِ تِيرَى فَعَبَرَتْ اليه الخوارج فهربَ وأصحابُهُ يَرْكُضُ حتى أتى دجيلا. فجلس في سفينة ، وأتبعه جماعة من أصحابه فكانوا معه . وأتاه رجل من بني تميم وعليه سلاحه والخوارجُ وراءه وقد تَوَسَّطَ حارثةُ فصاح به : يا حارثَ ليسَ مثلي يُضَيَّعُ فقال للملاح : قَرِّبْ ، فَقَرَّبَ الى جُرُفٍ ولا فُرْضَةَ هناك . فَطَفَرَ

Marfat.com

بسلاحه في السفينة فساخت بالقوم جميعاً ، وأقام ابن الماحوز يَجْبي كُوَرَ الاهواز ثلاثة أشهر . ثم وجّهَ الزبير بنَ علي نحو البصرة فضجَّ الناسُ الى الأحنف فأتى القُبـــاعَ فقال : أصلحَ اللهُ الأميرَ ، ان هذا العدوَّ قـــد غلبَنا على سَوادنا وفَيْئنا فلم يبق إلا أن يَحْصُرَنا في بلدنا حتى نموت هَزْلاً قال : فسموا رجلاً . فقال الأحنف : الرأيُ لا يُخيلُ ، ما أرى لها إلا المَهَلَّبَ بن أبي صُفْرةَ ، فقال : أوَ هذا رأيُ جميعِ أهل البصرة ، اجتمِعوا الي في غَدٍ . وجاء الزبيرُ حتى نزل الفُراتَ وعَقَدَ الجِسْرَ ليعْبُرَ الى ناحية البصرة فخرج أكثر أهلِ البصرة اليه . وقد اجتمع للخوارج أهـــلُ الأهواز وكُوَرِها رغبةً ورهبةً ، فأتاه البصريون في السُفُنِ وعلى الدواب ورَجَّالةً ، فاسوَدَّتْ بهم الأرضُ فقال الزبير لما رآهم : أبي قومُنا الا كفرا . فقطعوا الجسر ، وأقام الخوارج بالفرات يازائهم ، واجتمع الناس عند القُباع وخافوا الخوارج خوفاً شديدا . وكانوا ثلاثَ فِرَقٍ فَسَمَّى قومٌ المهلبَ وَسَمَّى قومٌ مالـــك بن مِسْمَعٍ وسمى قوم زِيادَ بن عمرو بن الأشرف العَتَكِيَّ فصرفهم . ثم اختبر ما عند مالك وزياد فوجدهما متثاقلين عن ذاك . وعاد اليه مَنْ أشار بهما وقالوا : قد رجعنا عن رأينا ما نَرَى لها إلا المهلبَ . فوَجَّهَ الحرثُ اليـــه فأتاه فقال له : يا أبا سعيدٍ قد ترى ما رَهِقَنا من هذا العدوِّ ، وقد اجتمع أهلُ مِصْرِكَ عليك . وقال الأحنف : يا أبا سعيد، إنا والله ما آثرناك بها ولكننا لم نر مَنْ يقوم مقامك . فقال له الحرث ، وأومأ الى الاحنف ، إن هذا الشيخ لم يُسَمِّكَ إلاّ إيثاراً للدين ، وكل مَنْ في مصرك ماذٌّ عَيْنَهُ اليك

Marfat.com

راجٍ أن يكشف اللهُ عز وجل هذه الغمَّةَ بك : فقال المهلب : لا حول ولا ولا قوة إلا بالله ، اني عند نفسي لدونَ ما وَصفْتم ولستُ آبياً ما دعوتم اليه على شُروطٍ أشترطها . قال الأحنف ، قُلْ . قال على أن أنتَخِبَ مَنْ أحببتُ ، قال ذاكَ لَكَ . قال : ولي إمْرَةُ كلِّ بلد أغلب عليه ، قال : وذاك لَكَ ، قال : ولي فَيءُ كُلِّ بلد أظفَرُ به ، قال الأحنف : ليس ذاك لَكَ ولا لنا إنما هو فيء المسلمين ، فان سلبتَهم إياه كنتَ عليهم كعدوِّهم ، ولكن لك أن تعطي أصحابك من فيء كل بلد تغلب عليه ما شئتَ وتُنفق على محاربة عدوّك فما فضُل عنكم كان للمسلمين . فقال المهلب : فمن لي بذلك؟ قال الاحنف : نحن وأميرك وجماعة أهل مصرك . قال : قد قَبِلْتُ . فكتبوا بذلك كتابا ووُضع على يدي الصَلْتِ بن حُرَيْثِ بن جابر الحنفي . وانتَخَبَ المُهَلَّبُ من جميع الاخماس ، فبلغت نُخْبتُهُ اثني عشر ألفا ، ونظروا ما في بيت المال فلم يكن إلا مائتي ألف درهم ، فعجزتْ ، فبعث المهلَّب الى التجارِ أن تجارتكم مُذْ حَوْلٍ قد كَسَدَتْ عليكم بانقطاع موادّ الاهواز وفارس عنكم فَهَلُمَّ فبايعوني وأخرجوا معي أوَفِّكمْ إن شاء الله حقوقكم . فتاجروه فأخذ من المال ما يُصْلحُ به عسكره واتخذ لأصحابه الخَفافِيَنَ والرانات المَحْشُوَّةَ بالصوف ، ثم نَهَضَ وأكثرُ أصحابه رَجَّالةٌ حتى إذا صار بحذاء القوم أمر بسُفُنٍ فأُحضِرتْ وأُصلِحتْ . فما ارتفع النهار حتى فُرِغَ منها ثم أَمرَ الناسَ بالعُبور الى الفُراتِ وأَمّر عليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فخرج الناس . فما قاربوا الشاطىء خاضتْ اليهم الخوارج فحاربهم المغيرةُ ونَضَحَهم بالسهام حتى تَنَحَّوْا . فصار هو وأصحابه على الشاطىء ، فحاربوهم فَكَشَفوهم وشَغَلوهم

Marfat.com

حتى عَقَــدَ المهلَّبُ الجسر وعَبَر والخوارجُ منهزمونَ فَنَهَى الناسَ عن إتباعهم، ففي ذلك يقول شاعر من الأَزْدِ :

إنَّ العِراقَ وأهــلَهُ لم يَخْبُروا مثلَ المُهَلَّبِ في الحروب فَسَلَّموا
أمْضَى وأيْمَنَ في اللِّقاء نَقيبــةً وأَقَلَّ تهليــلا إذا ما أُحْجَموا

التهليل التكذيب والانهزام . وأَبْلَى مع المغيرة يومئذ عَطِيَّةُ بن عمر العَنَبريُّ ، وكان من فُرْسان بني تميم وشجعانهم فقال عطية :

يُدْعَى رجالٌ للعطاء وإنمــا يُدْعَى عَطِيَّةُ للطِعانِ الأَجْرَدِ

وقال الشاعر :

وما فارسٌ إلا عطيّــةُ فوقــه إذا الحرب أَبْدَتْ عن نواجِذِها الفَما
به هَزَمَ اللهُ الأزارقَ بعدما أباحوا من المصرَيْن حِلاًّ ومَحْرَما

فأقام المهلب أربعين يوماً يَجْبِي الخراجَ بكُوَرِ دِجْلةَ والخوارجُ بنهرِ تيري ، والزبيرُ بن عليٍّ منفرد بعسكره عن عسكر ابن الماحوز ، فقضى المهلَّب التِجارَ وأعطَى أصحابه ، فأسرع إليه الناس رغبة في مجاهدة الخوارج ، ولما في الغنائم والتجارات ، فكان فيمن أتاه محمــدُ بن واسع الازديُّ وعبدالله بن رِياحٍ ومُعاويةُ بن قُرَّةَ المُزَنِيُّ . وكان يقول يعني معاوية : لو جاء الدَّيْلَمُ من ههنا والحرورية من ههنا لحاربتُ الحرورية ، وأبو عِمْرانَ الجَوْنِيُّ وكان يقول : كان كعبٌ يقول ، قَتيلُ الحرورية يَفْضُلُ قَتيلَ غيرهم بعشرة أنوارٍ . ثم نهض المهلبُ إليهم إلى نهر تيري فَتَنَحَّوْا عنه إلى الاهواز وأقــام المهلب يَجْبِي ما حَوالَيْهِ من الكُوَرِ ، وقد دَسَّ الجواسيسَ إلى عسكر الخوارج ، فأتوه بأخبارهم ومَنْ في عسكرهم ، فإذا

Marfat.com

حُشْوةٌ ما بين قَصّارٍ وصَبّاغ ، وداعِرٍ وحَدّاد . فَخَطَبَ المهلبُ الناس ، فذكر مَن هناك ، وقال للناس : أمِثْلُ هؤلاء يغلبونكم على فَيْئكم ؟ فلم يزل مقيماً حتى فَهِمَهُمْ وأحْكَمَ أمره وقَوّى أصحابه ، وكثرت الفُرْسان في عسكره ، وتَتامّ إليه زُهاء عشرين ألفاً ، ثم مضى يَوْمٌ سوقَ الأهواز ، فاستَخْلَفَ أخاه المُعارِكَ بن أبي صُفْرةَ على نهر تِيرَى ، وفي مقدمته المغيرة ابن المهلب حتى قارَبَهُمُ المغيرةُ فناوشوه فانكشفَ عنه بعضُ أصحابه وثبت المغيرة بَقِيَّةَ يومِهِ وليلته يُوْقِدُ النيرانَ . ثم غاداهم القتالَ فإذا القومُ قد أوقدوا النيران في ثِقْلةِ متاعهم وارتحلوا عن سوق الاهواز ، فدخلها المغيرة وقد جاءت أوائلُ خيل المهلب. فأقام بسوق الاهواز وكتب بذلك الى الحَرِث بن عبدالله بن أبي ربيعة كتاباً يقول فيه: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، فإنا منذ خرجنا نَوْمٌ هذا العدوّ في نِعَمٍ من الله متصلةٍ علينا ونِقَمٍ من الله متتابعة عليهم ، نُقْدِمُ ويُحْجِمونَ ونَحُلُّ ويرتحلون ، الى أن حللنا سوق الاهواز والحمدُ لله ربّ العالمين ، الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم . فكتب اليه الحرثُ : هنيئاً لك أخا الأزْدِ الشرفُ في الدنيا والذُّخرُ في الآخرة إن شاء الله . فقال المهلبُ لاصحابه : ما أجفَى أهلَ الحجاز ، أما تَرَوْنَهُ يعرف اسمي واسمَ أبي وكُنيتي ! وكان المهلبَ يَبُثُّ الأحراسَ في الأمن كما يبثُّهم في الخوف ويُذْكي العيون في الأمصار كما يُذْكيها في الصحاري ، ويأمر أصحابه بالتحرز ويخوّفهم البياتَ وإن بَعُد منهم العدوُّ ، ويقول : احْذَرُوا أن تُكادوا كما تَكيدون ولا تقولوا هَزَمْنا وغَلَبْنا ، فإن القوم خائفون وَجِلونَ والصرورةُ تفتح بابَ الحيلةِ . ثم قام

Marfat.com

فيهم خطيبا فقال : يا أيها الناس ، إنكم قد عرفتم مذهبَ هؤلاء الخوارج ، وانهم إن قدروا عليكم فَتَنوكُمْ في دينكم وسفكوا دماءكم فقاتِلوهم على ما قاتَلَ عليـــه أولَهم عليٌّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فقد لقِيهم قبلكم الصابرُ المحتسِبُ مسلم بن عُبَيْسٍ ، والعَجِلُ المُفَرَّطُ عثمان بن عُبَيْـدِ الله ، والمَعْصِيُّ المخالَفُ حارثة ابن بدر ، فقُتِلوا جميعاً وقَتَلُوا فالقَوْمُ بِجِدٍّ وحَدٍّ فإنما هم مَهَنَتَكُمْ وعبيدكم وعارٌ عليكم ونقصٌ في أحسابكم وأديانكم أن يغلبكم هؤلاء على فيئكم ويطؤا حَريمكم . ثم سار يريدهم وهم بِمَناذِرَ الصُغْرَى ، فَوَجَّهَ عبيدُ الله بن بشير بن الماحوز رئيسُ الخوارج رجلا يقال له واقِدٌ مَوْلَى لآل أبي صَفْرةَ من سَبْي الجاهلية في خمسين رجلا ، فيهم صالح بنُ مِحْراق الى نهرِ تيرَى وبها المُعارِكُ ابن أبي صفرة ، فقتلوه . فَنَمَى الخبر الى المُهَلَّب فَوَجَّهَ ابنَهُ المغيرةَ فدخل نهر تيرى وقد خرج وافدٌ منها فاستنزله ودفنه وسَكَّنَ الناس واستخلف بها ورجع الى أبيه. وقد حَلَّ بسُولافَ والخوارجُ بها ، فواقعهم . وجَعَلَ على بني تميم الحَريشَ بن هِلالٍ فخرج رجلٌ من أصحاب المُهَلَّبِ يقال له عبدُ الرحمن الأسكافُ ، فجعل يَحُضُّ النـــاسَ وهو على فرس له صفراء فجعل يأتي الميمنةَ والمَيْسرةَ والقَلْبَ فَيَحُضُّ الناس ويُهَوِّنُ أمر الخوارج ، ويختال بين الصفّين ، فقال رجل من الخوارج لأصحابه : يا معشر المهاجرين ، هل لكم في فَتْكَةٍ فيها أُرْيَحِيَّةٌ ؟ فحمل جماعـــة منهم على الاسكاف فقاتلهم وحده فارساً . ثم كَبَا به فرسُهُ فقاتلهم راجلا قائمـــا وباركاً ، ثم كثرت به الجراحاتُ فَذَبَّبَ بسيفه وجعـــل يَحْثو التُرابَ في وجوههم والمهلبُ غيرُ حاضرٍ ثم قُتِلَ رحمه الله . وحَضَرَ المهلب فَأُخبِرَ ، فقال للحريش وغطيةَ العَنْبَرِيِّ : أسلمتما سيد أهل العسكر لم تعينـــاه ولم

Marfat.com

تستنقذاه حسداً له لانه رجل من الموالي ، ووبخهما . وحَمَلَ رجلٌ من الخوارج على رجل من أصحابه فقتله ، فحمل عليه المهلب فطعنه وقتله ، ومال الخورج باجمعهم على العسكر فانهزم النـــاس وقتلوا سبعين رجلاً ، وثبت المهلَّب وأبْلَى المغيرةُ يومئذ ، وعُرِفَ مكانُهُ ويقال : حاص المهلَّبُ يومئذ حَيْصةً . وتقول الأَزْدُ : بل كان يَرُدُّ المنهزمةَ ويَحْمِي أدبارهم . فقال رجل من بني مِنْقَرِ بن عُبَيْدِ بن الحرثِ بن كَعْبِ بن سَعْدِ بن زيد مَناةَ بن تميم :

بسولافِ أَضَعْتَ دِمـــاء قومي وطِرْتَ على مُواشِكَةٍ دَرُورِ

قوله مواشكة يريد سريعةً ، ويقال نحن على وَشْكِ رَحيل ، ويقـال ذَميلٌ مُواشِكٌ اذا كان سريعاً قال ذو الرمة :

إذا ما رَمَيْنا رَمْيَةً في مَفـــازةٍ عَراقِيبَهـــا بالشَيْظَميّ المُواشِكِ

ودرورٌ فَعولٌ ، من دَرَّ الشيء إذا تتابـع ، وقال رجـــل من بني تميم ، آخرُ :

تَبِعْنا الأَعورَ الكَذَّابَ طوعا يُرَجِّي كُلُّ أربعةٍ حِمـــارا
فيا نَدَمَى على تَرْكي عَطـــائي مُعاينـــةً وأطلبُـــه ضِمارا
إذا الرحمـــنُ يَسَّرَ لي قفولاً فَحَرَّقَ في قُرَى سُولافَ نارا

قوله : الاعور الكذاب ، يعني المهلب . ويقال عارتْ عينُه بسهم كان أصابها . وقال الكذّابَ ، لان المهلب كان فقيهـا وكان يعلم ما جـاء عن رسول الله ﷺ من قوله : كل كذِب يُكْتَبُ كَذِباً إلا ثلاثـــة الكذبُ في الصلح بين الرجلين ، وكذبُ الرجلِ لامرأتهَ يعِدُها ، وكَذبُ الرجل في الحرب يَتَوَعَّدُ ويَتَهَدَّدُ . وجاء عنه ﷺ : إنما أنتَ رجـــل

Marfat.com

فَخَذِّلْ عنّا فإنما الحرب خَدعَةٌ . وقال عليه السلام : في حرب الخَنْدقِ لسعد بن عُبادة وسعد بن مُعاذٍ وهما سيدا الحَيَّيْنِ الخَزْرج والأَوْسِ : أَنْتِيا بني قُرَيْظَة فإن كانوا على العهد فأَعْلِنا بذلك وإن كانوا قد نقضوا ما بيننا فالْحَنا لي لَحْناً أعرفه ، ولا تَفُتَّا في أعضاد المسلمين . فرجعا بغَدْر القوم فقالا : يا رسول الله عَضَلٌ والقارةُ . قال : فقال رسول الله ﷺ للمسلمين : أبشروا فان الامر ما تحبّون . (قال الاخفش : سالت المُبَرِّدَ عن قولهما عَضَلٌ والقارةُ ، فقال هذان حيان كانا في نهاية العداوة لرسول الله ﷺ فأراد انهم في الانحراف عنه والغدر به كهاتين القبيلتين) . قال أبو العباس : فكان المهلبُ ربما صَنَعَ الحديثَ لَيَشُدَّ به من أمر المسلمين ويُضَعِّفَ من أمر الخوارج ، فكان حَيٌّ من الأَزْدِ يقال لهم النَدَبُ إذا رأو المهلبَ رائحا اليهم قالوا قد راح المهلّب ليكذِبَ . وفيه يقول رجل منهم:

أنتَ الفتَى كلُّ الفتَى لو كنتَ تَصْدُقُ ما تَقول

فبات المهلب في ألفين ، فلما أصبح رجع بعض المنهزمة فصار أربعة آلاف ، فخطب أصحابه . فقال : والله ما بكم من قِلَّةٍ ، وما ذهب عنكم إلا أهلُ الجُبْنِ والضَعْفِ والطمع والطَبَعِ فإن يَمسسْكمْ قَرْعٌ فقد مَسَّ القوم قَرْعٌ مثلُهُ . فسيروا إلى عدوّكم على بركة الله . فقام اليه الحريشُ ابن هِلالٍ فقال : أَنشُدُكَ الله أيها الأميرُ أن تقاتلهم إلا أن يقاتلوك فإن بالقوم جِراحاً وقد أَثْخَنَتْهم هذه الجَوْلةُ . فَقَبِلَ منه . ومضى المهلب في عشرة فأشرف على عسكر الخوارج ، فلم يَرَ منهم أحداً يتحرك . فقال له الحريشُ : ارْتَحِل عن هذا الموضع ، فارتحل فَعَبَرَ دُجَيْلاً وصار إلى عاقول

Marfat.com

لا يُؤْتَى إلا من وجه واحدٍ ، فأقام به واستراح الناس ثلاثا . وقال ابن قَيْسٍ الرُقَيَّاتِ .

أَلا طَرَقَتْ من آلِ بِيبةَ طارِقَهْ على أنها مَعْشوقةُ الدَلِّ عاشِقَهْ
تَبيتُ وأرضُ السُّوس بيني وبينها وسُولافُ رُسْتاقٌ حَمَتْهُ الأزارقه
إذا نحن شئنا صادفتْنا عِصابةٌ حَروريةٌ أضحتْ من الدين مارِقه
أجازتْ الينا العسكرين كِلَيْهما فباتت لنا دون اللِحافِ مُعانِقَهْ

وقد ذكرنا الضِمار ومعناه الغائبُ وأصله من قولك أضْمرتُ الشيء أي أخفيتُهُ عنك ويقال : مالٌ عَيْنٌ للحاضر ومالِ ضمارٌ للغائب . قال الأعشَى .

ومَنْ لا تَضيعُ له ذِمَّةٌ فيجعلَها بعد عَيْنٍ ضِمارا

وقال أيضاً :

تَرانا إذا أضْمَرَتْكَ البِلا دُ نُجْفَى وتُقطعُ منا الرَحِمْ

والفعل من هذا أضْمَرَ يُضْمِرُ والمفعول به مُضْمَرٌ ، والفاعل مُضْمِرٌ ، والضِمار اسم للفعل في معنى الإضمار ، وأسماء الأفعال تَشْرَكُ المصادرَ في معانيها . تقول أعطيته عَطاءً فَيَشْرَكُ العَطاءُ الإعطاءَ في معناه ويسمى به المفعولُ ، وتقول كَلَّمته تكليما وكِلاماً في معناه . والمصدر يُنْعَتُ به الفاعل في قولك : رجل عَدْلٌ ورجل كَرَمٌ ورجل نَوْمٌ ويوم غَمٌّ وغَيْمٌ . وينعت به المفعول في قولك رجل رِضاً وهذا درهم ضَرْبُ الأمير . وجاءني الخَلْقُ تَعْني المخلوقين . وقال رجل من الخوارج في ذلك اليوم :

وكائنْ تَرَكْنا يوم سُولافَ منهمُ أسارَى وقَتْلَى في الجحيم مَصيرُها

Marfat.com

قوله: وكائنْ معناه كَمْ، وأصله كاف التشبيه دخلت على أيٍّ فصارتا بمنزلة كم ونظير ذلك له كذا وكذا درهما إنما هي ذا دخلتْ عليها الكافُ والمعنى له كهذا العدد من الدراهم فإذا قال: له كذا كذا درهما، فهو كناية عن أحد عشر درهما الى تسعة عشر لانه ضم العددين. فإذا قال: كذا وكذا فهو كناية عن أحد وعشرين الى ما جاز فيه العطف بعده، ولكن كثرت كأيٍّ فخففت والتثقيل الاصل قال الله تعال: وكأيٍّ من قرية أمليتُ لها وهي ظالمة، وكأيّ من نبي قاتل معه رِبِّيُّونَ كثير، وقد قرىء بالتخفيف كما قال الشاعر.

وكائن رددنا عنكم من مُدَجَّجٍ يجيء أمامَ الالف يَرْدى مُقَنَّعا

وقال آخر:

وكائن ترى يوم الغُمَيْصاء من فتى أُصيبَ ولم يُجْرَحْ وقد كان جارحا

قال أبو العباس: وهذا أكثر على ألسنتهم لِطلب التخفيف، وذلك الاصلُ. وبعض العرب يقلب فيقول كَيْءٍ يا فتى فيؤخر الهمزة لكثرة الاستعمال. قال الشاعر:

وكَيْءٍ في بني دودانَ منهم غداةَ الرَوْع معروفا كَمِيُّ

فأقام المهلبُ في ذلك العاقول ثلاثة أيام ثم ارتحل والخورجُ بسِلّى وسِليْرَى. (قال الأخفش: سَلّى وسَلّيْرَى بفتح السين فيهما موضعان بالأهواز. وسِلّى بكسر السين موضع بالبادية وهكذا ينشد هذا البيت:

كأنَّ غديرَهم بجُنوبِ سِلّى نَعامٌ فاقَ في بلدٍ قفار)

فنزل قريباً منهم فقال ابن الماحوز لأصحابه: ما تنتظرون بعدوّكم

Marfat.com

وقد هزمتموهم بالأمس وكسرتم حَدَّهم !! فقال له وافِدٌ مَوْلَى أبي صُفْرةَ : يا أمير المؤمنين إنما تَفَرَّقَ عنهم أهلُ الضعف والجُبْنِ وبقي أهل النَجْدةِ والقوة ، فإن أصبتَهم لم يكن ظَفَراً هنيئاً لأني أراهم لا يُصابون حتى يُصيبوا ، فإن غَلَبوا ذهبَ الدين . فقال أصحابه : نافَقَ وافِدٌ ، فقال ابن الماحوز : لا تعجَلوا على أخيكم فانه إنما قال هذا نَظَراً لكم . ثم تَوَجَّهَ الزبير بن عليّ الى عسكر المهلَّب لينظر ما حالُهم فأتاهم في مائتين فحزرهم ورجع . وأمر المهلبُ أصحابه بالتحارُسِ حتى إذا أصبح ركب اليهم على تَعْبِيةٍ صحيحة فالتقوا بسلّى وسليرى فتصافُّوا . فخرج من الخوارج مائةُ فارس فَرَكَزوا رِماحهم بين الصفين واتكئوا عليها ، وأخرج اليهم المهلبُ عِدادَهم ففعلوا مثل ما فعلوا لا يَريمونَ إلا لصلاة حتى أمسوْا فرجع كل قوم الى مُعَسْكَرِهِمْ ، ففعلوا هذا ثلاثةَ أيام ، ثم إن الخوارج تَطاردوا لهم في اليوم الثالث فَحَمَلَ عليهم هؤلاء الفرسانُ يجولون ساعةً ، ثم إن رجلاً من الخوارج حَمَل على رجل فطعنه فحمل عليه المهلبُ فطعنه ، فحمل الخوارجُ بأجمعهم كما صنعوا يوم سُولافَ فضَعْضَعوا الناسَ ، وفُقِدُ المهلب ، وثبتَ المغيرةُ في جَمْعٍ أكثرُهم أهلُ عُمانَ ثم نَجَمَ المهلبُ في مائة فارس وقد انغمست كَفَّاهُ في الدم وعلى رأسه قَلَنْسُوةٌ مربعة فوق المِغْفَرِ مَحْشُوَّةٌ قَزّاً وقد تمزقت وانّ حشوَها ليتطاير وهو يَلْهَثُ ، وذلك في وقت الظهر ، فلم يزل يحاربهم الى الليل حتى كثر القتل في الفريقين . فلما كان الغَدُ غادام . وقد كان رَجَّهَ بالامس رجلا من طاحِيةَ بن سُودِ ابن مالك بن فَهْمِ بن الأزْدِ يَرُدُّ المنهزمين فمر به عامرُ بن مِسْمَعٍ فرده ، فقال : إن الامير أذن لي

Marfat.com

فبعث الى المهلب فأعلمه فقال : دَعْهُ فلا حاجة لي في مثله من أهل الجُبْنِ والضَعفِ . وقد تفرق أكثر الناس فغاداهم المهلب في ثلاثة آلاف ، وقال لاصحابه : ما بكم من قِلَّةٍ ؟ أيَعْجِزُ أحدكم أن يرمي برمحه ثم يتقدم فيأخذَه ؟ ففعل ذلك رجلٌ من كِنْدةَ يقال له عَيَّاشٌ. وقال المهلب لأصحابه: أعِدُّوا محالِيَ فيها حجارة وارموا بها في وقت الغفلة فإنها تَصُدُّ الفارس وتَصْرَعُ الراجلَ. ففعلوا ، ثم أمر مناديا ينادي في أصحابه يأمرهم بالجِدِّ والصبر ويُطمعهم في العَدُوِّ ففعل حتى مر ببني العَدَوِيَّةِ من بني مالك بن حَنْظلةَ فضربوه. فدعا المهلبُ بسيدهم وهو معاويةُ بن عمرو فجعل يَرْكُلُهُ برِجله ، وهذا معروف في الازد ، فقال : أصْلَحَ اللهُ الاميرَ أعفِني من أمِّ كَيْسانَ والرُكْبَةُ تسميها الأزد أمَّ كيسانَ ، ثم حَمَلَ المهلب وحملوا فاقتتلوا قتالا شديدا فَجُهِدَ الخوارجُ فنادى مناديهم: ألا ان المهلب قد قُتِلَ ، فركب المهلب بِرْذَوْنا قصيرا أشهب وأقبل يَرْكُضُ بين الصفين وإن إحدى يديه لفي القَبـاءِ وما يشعر بها ، وهو يصيح : أنا المهلب. فسكنَ الناسُ بعد أن كانوا قـد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قُتِلَ ، وكلَّ الناسُ مـع العصر فصاح المهلب بابنهِ المُغيرةِ تَقَدَّمَ ففعل وصاح بذَكْوانَ مولاه قَدِّمْ رايَتَك ففعل فقال له رجل من ولده ، انك تُغَرِّرُ بنفسك فَذَمَرَهُ ثم صاح : يا بني تميم أآمُرُكُمْ فتَعْصونني ؟ فتقدمَ وتقدَم الناس واجتلدوا أشَدَّ جِلادٍ حتى إذا كان مع المساء قُتِلَ ابن الماحوز وانصرف الخوارجُ ولم يَشْعُرِ المهلبُ بقتله فقال لأصحابه ائتوني برجلا جَلْداً يطوف في القَتْلَى ، فأشاروا عليه برجل من جَرْمٍ وقالوا إنا لم نر رجلاً قط اشد منه . فَطَوَّفَ ومعه النيران فجعل إذا

Marfat.com

مر بجريح من الخوارج، قال : اكافر وربّ الكعبةِ ، فَأَجهَزَ عليه . وإذا مر بجريح من المسلمين أَمرَ بسَقْيهِ وحَمْلِهِ . وأقام المهلبُ في عسكره يأمرهم بالاحتراس حتى إذا كان نصفُ الليل وَجَّهُ رجلاً من اليَحْمَدِ) قال الأخفش : اليحمدُ من الأَزْدِ والخليل من بَطْنٍ منهم يقال لهم الفراهيدُ ، والفُرْهودُ في الاصل الحَمَلُ فان نسبت الى الحي قلت فَراهيديٌّ وإن نسبتَ الى الحُمْلانِ قلت فُرْهوديٌّ لا غير) في عشرةٍ فصاروا الى عسكر الخوارج فإذا القوم قد تحملوا الى أَرَّجان. فرجع الى المهلب فأعلمه فقال : أنا لهم الساعةَ أشدُّ خوفا فاحذروا البياتَ : قال أبو العباس : ويروى عن شُعْبةَ بن الحجاج أن المهلب قال لاصحابه يوماً أن هؤلاء الخوارجَ قد يئسوا من ناحيتكم الا من جهة البيات فان كان ذلك فاجعلوا شِعاركم حم لا ينصرون فان رسول الله ﷺ كان يأمر بها ويُرْوَى أنه كان شعارَ أصحاب علي بن أبي طالب صلواتُ الله عليه . فلما أصبح المهلب غدا على القَتْلَى فأصاب ابنَ الماحوز فيهم ، ففي ذلك يقول رجل من الخوارج :

بِسِلَّى وسِلَّيْرَى مصارعُ فتيةٍ كرامٍ وجَرْحَى لم تُوَسَّدْ خدودُها

وقال آخر :

بسلى وسليرى مصارِعُ فتيةٍ كرامٍ وعَقْرَى من كُمَيْتٍ ومن وردِ

وقال رجل من موالي المهلب : لقد صرعتُ يومئذ بحجر واحد ثلاثة رميت به رجلاً فأصبتُ أصل أذنه فصرعته ثم أخذتُ الحجر فضربت به آخرَ على هامته فصرعته ثم صرعت به ثالثا . وقال رجل من الخوارج .

أتانا بأحجارٍ ليقتلَنا بها وهل تُقْتَلُ الأَبطالُ ويْحَكَ بالحَجَرْ

Marfat.com

وقال رجل من أصحاب المهلب في يوم سلى وسليرى وقتِل ابن الماحوز .

ويومَ سلى وسليرى أحاط بهم مناصَوا عقُ ما تُبْقي ولا تَذَرُ
حتى تركنا عُبَيْدَ الله منجدلا كما تَجَدَّلَ جِذْع مالَ مُنْقَعِرُ

قال أبو العباس : تقول العرب صاعقة وصواعقُ وهو مذهب أهل الحجاز وبه نزل القرآن، وبنو تميم يقولون صاقعة وصواقع . والمنقعرُ المنقلعُ من أصله ، قال الله أصدق القائلين : كأنهم أعجاز نخل منقعر . ويروى أن رجلا من الخوارج يوم سلى حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه فلما خالطه الرمح صاح يا أُمتاهُ فصاح به المهلب لا كَثَّرَ اللهُ بمثلك المسلمين فضحك الخارجي وقال :

أُمكَ خيرٌ لك مني صاحبا تَسْقيكَ مَخْضاً وتَعُلُّ رائبا

وكان المغيرةُ بن المهلب إذا نظر الى الرماح قد تشاجرت في وجهه نكس قَربوس سرجه وحَمَلَ من تحتها فبَراها بسيفه وأَثَّرَ في أصحابها حتى تخرمت المَيْمنة من أجله ، وكان أشدَّ ما تكون الحرب أشدَّ ما يكون تبسماً ، فكان المهلب يقول : ما شهد معي حر باقط الا رأيتُ البُشْرَى في وجهه . وقال رجل من الخوارج في هذا اليوم :

فان تك قَتْلَى يوم سلّى تتابعتْ فكم غادرتْ أسيافُنا من قُماقم
غداةَ نَكُرُّ المَشْرَفيّةَ فيهم بسُولافَ يوم المأزِقِ المُتلاحِمِ

والمازِقُ هو يوم الحرب، والمتلاحمُ نعتٌ له ، والمشرفيةُ السيوف نسبت الى المشارف من أرض الشام ، وهو الموضع الملقب مُوتَةَ الذي قُتِلَ به

Marfat.com

جعفرُ بن أبي طالب وأصحابه . (قال الاخفش : كان المبرد لا يهمز موتة ولم أسمعها من علمائنا الا بالهمز) قـــال أبو العباس : فكتب المهلَّبُ الى الحرث بن عبد الله بن أبي ربيعة القُباعِ : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنا لقينا الأزارقة المارقةَ بِجَدٍّ وجِدٍّ فكانتْ في الناس جَوْلةٌ ، ثم تاب أهلُ الحفاظِ والصبر بنيّات صادقةٍ وأبدان شِدادٍ وسيوف حِدادٍ فأعقب الله خيرَ عاقبةٍ وجاوز بالنعمة مِقدارَ الأَمَل فصاروا دَرَكَةَ رِماحِنـــا وضرائبَ سيوفنـا وقَتَلَ اللهُ أميرَهم ابنَ الماحوز وأرجو أن يكون آخرُ هـــذه النعمة كأولها ، والسلام . فكتب اليه القُباعُ : قد قرأت كتابك يا أخا الأَزْدِ فرأيتك وقد وَهَبَ الله لك شرف الدنيا وعِزَّها وذَخَرَ لك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرَها ورأيتك أوثقَ حُصونِ المسلمين وهادَّ أركانِ المشركين وأخا السياسةِ وذا الرياسةِ فاستَدِمِ اللهَ بشكره يُتْمِم عليك نِعمَهُ ، والسلام . وكتب اليه أهل البصرة يهنؤنه ولم يكتب اليه الأحنف ، ولكن قـــال : أقرؤا عليه السلام وقولوا له أنا لك على ما فارقتك عليه . فلم يزل يقرأ الكتب ويلتمس في أضعافها كتاب الأحنف ، فلما لم يره قال لاصحابه : أما كتب الينا ؟ فقال له الرسول : حَمَّلني اليك رسالةً ، وأَبْلَغَهُ ، فقال هذه أحبُّ اليَّ من هذه الكتب ، واجتمعت الخوارج بأرَّجان فبايعوا الزبير ابن علي وهو من بني سَليطِ بن يَرْبوعٍ من رهط ابن الماحوز فرأى فيهم انكساراً شديداً وضَعْفاً بَيِّناً فقال لهم : اجْتَمِعوا فحمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ، ثم أقبل عليهم فقال : إن البلاء للمؤمنين تَمْحيصٌ وأجر ، وهو على الكافرين عقوبة وخِزْيٌ ، وإن يُصَبْ منكم أمير المؤمنين فما صار اليه

Marfat.com

خيرٌ مما خلّف ، وقدأصبتم منهم مسلم بن عُبَيسٍ وربيعاً الأَجذَمَ والحجاجَ ابن باب وحارثةَ بن بدور ، أشجَيْتُمُ المهلَّبَ وقتلتم أخاه المعارِكَ ، والله يقول لإخوانكم من المؤمنين : إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فقد مَسَّ القوم قَرْحٌ مثله وتلك الايام نداولها بين الناس. فيوم سِلى كان لكم بلاء وتمحيصا ، ويوم سُولاف كان لهم عقوبةً ونكالا فلا تُغْلَبُنَّ على الشكر في حينه والصبر في وقته وثقوا بأنكم المستَخلَفون في الارض والعاقبةُ للمتقين. ثم تَحَمَّلَ لمحاربة المهلب فنفحهم المهلبُ نفحةً فرجعوا . فأكْمَن للمهلب في غَمْضٍ من غُموض الارض يَقْرُبُ من عسكره مائة فارس ليغتالوه . فسار المهلب يوماً يطوف بعسكره ويفقد سَواده فوقف على جبل فقال : إن من التدبير لهذه المارقة ان تكون قد أكْمَنَتْ في سَفْحِ هذا الجبل كَمينا فبعث عشرة فوارس فأطلعوا على المائة ، فلما علموا انهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة ونَجَوا . وكَسَفَتِ الشمسُ فصاحوا بهم يا أعداء الله ، لو قامت القيامة لَجَدَدْنا في جهادكم . ثم يئس الزبير من ناحية المهلب فضرب الى ناحية أصبهانِ ثم كَرَّ راجعاً الى أرّجان وقد جمع جموعا ،وكان المهلب يقول : كأني بالزبير وقد جمع جموعاً فلا تَرْهبوهم فَتَخْبُثَ قلوبُكم ولا تُغفِلوا الاحتراس فيطمعوا فيكم فجاؤه من أرجان فألفَوه مستعدا آخذا بأفواه الطرق فحاربوه فظهر عليهم ظهوراً بينا ، ففي ذلك يقول رجل من بني تميم أحسبه من بني رِياح بن يَرْبوع :

سَقَى اللهُ المهلبَ كلَّ غَيْثٍ من الوَسْمِيِّ يَنْتَحِرُ انتحارا
فما وَهَنَ المهلبُ يوم جاءت عَوابسُ خيلهم تَبْغِي الغِوارا

Marfat.com

وقال المهلب يومئذ : ما وقعتُ في أمر ضيّق من الحرب رأيتُ أمامي رجالاً من بني الهُجَيْمِ ابن عمرو بن تميم ، يجالدون وكأنَّ لِحاهم أذنابُ العَقاعِق وكانوا صبروا معه في غير موطن . وقال رجـــل من بني تميم من بني عَبْشَمْسِ بن سعد :

ألا يا مَنْ لِصَبٍّ مُسْتَحِـــنٍّ قَريحِ القلبِ قد صَحِبَ المزَونا
لَهانَ على المهلّبِ ما لقَينـــا إذا ما راح مَسْروراً بَطينـــا
يَجُرَّ السابِرِيَّ ونحن شُعْثٌ كأنَّ جلودنا كُسِيَتْ طَحينا

المزونُ عُمانُ وهو اسم من أسمائها . قال الكُمَيْتُ :

فأمـــا الأَزْدُ أَزْدُ أبي سعيدٍ فأكره أن أسميَهـــا المَزونا

وقال جرير :

وأَطفأتَ نِيرانَ المَزون وأهلها وقد حاولوها فتنةً أن تُسَعَّرا

وحمل يومئذ الحَريشُ بن هِلالٍ على قيسِ الإكافِ ، وكان قيس من أنجَدِ فُرْسانِ الخوارج ، فطعنه فَدَقَّ صُلْبَهُ وقال :

قَيْسُ الإكافِ غَداةَ الرَوْعِ بَعْلَمُني ثَبْتَ المَقـام إذا لاقيتُ أقراني

وقد كان قَلُّ المهلبِ يوم سلّى وسيرى صاروا إلى البصرة ، فذكروا أن المهلب أصيب ، فَهَمَّ أهل البصرة بالنُقْلة إلى البادية حتى ورد كتابـــه بظَفَره ، فأقام الناسُ وتراجع من كان ذهب منهم ، فعند ذلك يقـــول الأحنفُ بن قيس : البصرةُ بصرةُ المهلب . وقدِم رجلٌ من كِنْدَةَ يقال له فلان بن أرْقَمَ ، فَنَعَى ابن عم له وقال : رأيتُ رجلاً من الخوارج وقد مَكَّنَ رمحه من صلبه فقدِم المنعيُّ ، فقيل له ذلك فقال : صدقَ ابن أرقم

Marfat.com

لما أحسستُ بريحه بين كَتِفَيَّ صِحْتُ : البَقِيَّةَ . فرفعه عني وتلا : بقيَّـةُ الله خيرٌ لكم ان كنتم مؤمنين . ووَجَّهَ المهلب بعقب هذه الوقعة رجلاً من الأَزْدِ برأس عُبَيْدِ الله بن بَشير بن الماحوز إلى الحرث بن أبي ربيعة القُساعِ . فلما صار بِكُرْبَجِ دينارٍ لقيه حَبيبٌ وعبد الملك وعليّ بنو بشير بن الماحوز فقالوا له : ما الخبر؟ ولا يعرفهم ، فقال : قتل الله المارقَ ابنَ الماحوز ، وهذا رأسُهُ معي ، فوثبوا عليه فقتلوه وصلبوه ودفنوا الرأس . فلما وَلِيَ الحجاجُ دخل عليه عليُّ بن بشير ، وكان وسيماً جسيماً ، فقال : من هذا ؟ فَخُبِّرَ ، فقتله ووهب ابنه الأزهرَ وابنَتَهُ لأهل الأَزَدِيِّ المقتول . وكانت زينب بنت بشير لهم مواصلةً فوهبوهما لها . فلم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحرث بن القباع حتى عُزِلَ الحرثُ ووُلِّيَ مُصْعَبُ بن الزبير ، فكتب إليه أن أَقْدِمْ عليَّ واستخلفْ ابنك المغيرة ، ففعل ، فجمع الناسَ فقال لهم : اني قد استخلفتُ عليكم المغيرةَ وهو أبو صغيركم رِقَّةً ورحمةً وابنُ كبيركم طاعةً وبِرًّا وتبجيـلاً وأخو مثله مُواساةً ومُناصحةً ، فَلْتَحْسُنْ له طاعتُكُمْ ولْيَلِنْ له جانبكم ، فوالله ما أردتُ صواباً قط إلا سبقني إليه . ثم مضى إلى مصعب ، وكتب مصعب الى المغيرة بولايته وكَتَبَ إليه : إنك لم تكن كأبيك ، فإنك كافٍ لما وَلَّيْتُكَ ، فَشَمِّرْ واتَّزِرْ وَجِدَّ واجتهدْ . ثم شَخَصَ المصعبُ إلى المَذار فَقَتَلَ أحمر بن شُمَيْطٍ ، ثم أتى الكوفة فَقَتَلَ المختارَ بن أبي عُبيد وقال للمهلب : أشِرْ عليّ برجل أجعله بيني وبين عبد المَلِكِ ، فقال : اذكرُ لك واحداً من ثلاثة ، محمد بن عمير بن عُطارِدٍ الدارِمِيّ أو زيادَ بن عمرو بن الأشرف العَتَكِيّ ، أو داود بن

Marfat.com

قَحْذَمِ . فقال : أوَتكفيني ؟ قال : أكفيك ان شاء الله . فولاه المَوْصِلَ، فَشَخَصَ المهلبُ إليها وصار مصعب إلى البصرة ، فسأل من يستكفي أمرَ الخوارج ويَفِدُ إلى أخيه ، فشاوَرَ الناسَ . فقال قومٌ : وَلِّ عبيدَ الله ابن أبي بَكْرةَ . وقال قوم : وَلِّ عمر بن عبيد الله بن مَعْمرٍ . وقال قوم : ليس لهم إلا المهلَّبُ فارددْه إليهم . وبلغت المشورة الخوارجَ فأداروا الامر بينهم فقال قَطَرِيُّ بن الفُجاءة المازنيُّ : ان جاءكم عبيدُ الله بن أبي بكرة أتاكم سيدٌ سَمْحٌ جَواد كريم مُطيعٌ لعسكره . وان جاءكم عمر بن عبيد الله أتاكم شجاعٌ بَطَلٌ فارسٌ جادٌّ يقاتِلُ لدينه ومُلْكِهِ وبطبيعة لم أرَ مثلها لأحد، فقد شَهِدْتُهُ في وقائعَ فما نُودِيَ في القوم لحرب إلا كان أول فارس يَطْلُعُ حتى يَشُدَّ على قِرْنِهِ فيضربه ، وإن رُدَّ المهلَّبُ فهو مَنْ قد عرفتموه ، ان أخذتم بطرَف ثوب أخذ بطرفه الآخر يَمُدُّه إذا أرسلتموه ويرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم إلا أن تبدؤه ، الا أن يَرَى فُرْصةً فينتهزَها فهو الليث المُبِرُّ والثعلب الرَوَّاغُ والبلاء المقيم ، فوَلَّى عليهم عمرَ بن عُبَيْدِ الله وولاه فارسَ والخوارجُ بأرَّجانَ وعليهم الزبيرُ بن عليٍّ السَليطيُّ، فَشَخَصَ اليهم فقاتلهم وألَحَّ عليهم حتى أخرجهم عنها فألحقهم بأسبَهان . فلما بلغ المهلَّبَ أن مصعبا وَلَّى عمر بن عبيد الله قال : رماهم بفارسِ العرب وفتاها . فجمعوا له وأعَدُّوا واستعدوا ثم أتَوْا سابور فسار اليهم حتى نزل منهم على أربعة فراسخ فقال له مالكُ بن حَسَّانَ الأزْدِيُّ : ان المهلب كان يُذْكي العيونَ ويخاف البياتَ ويَرْتَقِبُ الغفلة وهو على أبْعَدَ من هذه المسافة منهم ، فقال له عمر : اسكت خَلَعَ الله قلبك أتراكَ تموتُ قبل

Marfat.com

أجلك ؟ فأقام هناك . فلما كان ذاتَ ليلة بَيَّتَهُ الخوارجُ فخرج اليهم فحاربهم حتى أصبح فلم يَظْفَرُوا منه بشيء ، فأقبلَ على مالكِ بن حسان فقال : كيف رأيتَ ؟ قال : قد سَلَّمَ اللهُ عز وجل ولم يكونوا يطمعون من المهلب بمثلها ، فقال : أما انكم لو ناصحتموني مُناصَحَتَكُمُ المُهَلَّبَ لرجوت أن أنفي هذا العدوّ ولكنكم تقولون قرشيٌّ حجازيّ ، بعيدُ الدار خيرُهُ لغيرنا فتقاتلون معي تَعْذيراً . ثم زَحَفَ الى الخوارج من غد ذلك اليوم فقاتلهم قتالاً شديداً حتى ألجأهم الى قنطرة فتكاثف الناسُ عليها حتى سقطت ، فأقام حتى أصلَحها ثم عبروا . وتقدم ابنه عبيدُ الله بن عمرَ وأُمُّهُ من بني سَهْمِ بن عمرو بن هُصَيْصِ بن كَعْبِ فقاتلهم حتى قُتِلَ فقال قَطَرِيٌّ . لا تقاتلوا عمر اليوم فانه موتور ولم يعلم عمرُ بقتل ابنه حتى أفضَى الى القوم ، وكان مع ابنه النعمانُ بن عَبَّادٍ فصاح به : يا نعمانُ أين ابني ؟ فقال احْتَسِبْهُ فقد اسْتُشْهِدَ رحمه الله صابرا مُقْبِلاً غير مُدْبِر : فقال : إنا لله وإنا اليه راجعون ، ثم حَمَلَ على الناس حَمْلَةً لم يُرَ مثلها ، وحمل أصحابه بحَمْلَتِهِ فَقَتَلوا في وجههم ذلك تسعين رجلا من الخوارج ، وحَمَلَ على قطريّ فضربه على جبينه فقلقه . وانهزمت الخوارجُ وانتهبها . فلما استقروا قال لهم قَطَرِيٌّ : أما أشرت عليكم بالانصراف؟ فجعلوه وُجوههم حتى خرجوا من فارس . وتلقاهم في ذلك الوقت الفِزْرُ بن هِفْزَمِ العبديُّ فسألوه عن خبره ، وأرادوا قتله فأقبل على قطري فقال : اني مؤمن مهاجر ، فسأله عن أقاويلهم فأجاب اليها ، فخلّوا عنه . ففي ذلك يقول في كلمة له :

وشَدُّوا وِثاقي ثم أَلْجَؤا خُصومتي الى قَطَرِيٍّ ذي الجبين المُفَلَّقِ

Marfat.com

وحاجَجْتُهُمْ في دينهم وحَجَجْتُهمْ وما دينُهم غيرُ الهوى والتَخَلُقِ

ثم انهم تراجعوا وتكانفوا (قال الأخفش : تكانفوا أعانَ بعضُهم بعضاً واجتمعوا وصار بعضهم في كَنَفِ بعضٍ) وعادوا إلى ناحية ارَّجانَ ، فسار اليهم عمر وكتب الى مُصْعَبٍ : أما بعد ، فإني قد لقيت الأزارقةَ فَرَزَقَ الله عُبَيْدَ الله بن عمر الشهادة ووهب له السعادةَ ، ورزقنا عليهم الظَفَرَ فتفرقوا شَذَرَ مَذَرَ ، وبلغتني عنهم عَودةٌ فَيَمَّمْتُهُمْ ، وبالله أستعين وعليه أتوكل. فسار عليهم ومعه عطية بن عمرو ومُجَّاعةُ بن سَعيدٍ ، فالتقوا ، فألَحَّ عليهم حتى أخرجهم . وانفرد من أصحابه فَعَمَدَ له أربعةَ عشر رجلاً منهم من مَذْكوريهم وشُجْعانهم وفي يده عمود ، فجعل لا يضرب رجلا منهم الا صَرَعَهُ ، فَرَكَضَ اليه قَطَرِيٌّ على فرس طِمِرٍ وعمرُ على مُهْرٍ فاستعلاه قَطَرِيٌّ بقوة فرسه حتى كاد يصرعه ، فَبَصُرَ به مُجَّاعةُ فأسرع اليه فصاحت الخوارج بقطريّ : يا أبا نَعامةَ ان عدوَّ الله قد رَهِقَكَ ، فانحط قطريٌّ عن قَرَبوسِهِ فطعنه مُجَّاعةُ ، وعلى قطري درعان، فهتكهما ، وأسرع السِنانُ في رأس قطري فَكَشَطَ عنه جلدةً ونجا . وارتحلَ القوم الى أصْفَهانَ فأقاموا برهةً ثم رجعوا الى الأهواز . وقد ارتحل عمر بن عبيد الله الى اصْطَخْرَ فأمر مُجَّاعةَ فَجَبَى الخراج أسبوعا ، فقال كم جَبَيْتَ ؟ قال تسعمائة ألف . فقال هي لك ، فقال يزيد بن الحَكَمِ الثقفيُّ لمجاعة :

ودَعاكَ دَعْوةَ مُرْهِقٍ فأجبتَه عُمَرٌ وقد نسي الحياةَ وضاعا
فَرَدَدتَ عاديةَ الكَتيبةِ عن فَتًى قد كاد يُتْرَكُ لَحْمُهُ أوْزاعا

وعُزِلَ مُصْعَبُ بن الزبير ، ووُلِّيَ حمزةُ بن عبد الله بن الزبير ، فَوَجَّهَ

Marfat.com

المهبَ اليهم فحاربهم فأخرجهم عن الاهواز ، ثم رُدَّ مُصْعَبُ والمهلبُ بالبصوة ، والخوارجُ بأطراف أصبهان ، والوالي عليها عَتَّابُ بن وَرْقاء الرياحيُّ . فأقام الخوارج هناك شيئاً يَجْبونَ القُرَى ، ثم أقبلوا الى الأهواز من ناحية فارس ، فكتب مَصْعَبٌ الى عمر بن عبيد الله : ما أنصفتَنا ، أقمت بفارس تجبي الخراج ومثلُ هذا العدوُّ يحاربك ، والله لو قاتلتَ ثم هربتَ لكان أعذرَ لك . وخرج مصعب من البصرة يريدهم ، وأقبل عمر بن عبيدالله يريدهم فتنحى الخوارج الى السُّوس ، ثم أتوا المدائن فقتلوا أَحْمَرَ طَيىء وكان شجاعا وكان من فُرْسانِ عبيدالله بن الحرِّ ، ففي ذلك يقول الشاعر :

كتمَ فتى الفتيـــان أَحْمَرَ طيىء بساباطَ لم يَعْطِفْ عليه خَليلُ

ثم خرجوا عامدين الى الكوفة ، فلما خالطوا سوادها ووليها الحرثُ ابن عبد الله أَلْقُباعُ فتثاقـــل عن الخروج ، وكان جَباناً ، فَذَمَرَهُ ابراهيمُ بن الأشتَر ولامـــهُ الناس فخرج متحاملا حتى أتى النُخَيْـــلةَ ، ففي ذلك يقول الشاعر :

ان القُباعَ سار سَيْراً نُكْرا يسير يوما ويُقـــيمُ شهرا

وجعل يَعِدُ الناس بالخروج ولا يخرج والخوارج يَعيثون حتى أخذوا امرأة فقتلوا أباها بين يديها وكانت جميلةً ثم أرادوا قتلها فقالت : أتقتلون مَنْ يُنَشَّأُ في الحِيَة وهو في الخِصام غيرُ مبينٍ ؟ فقال قائلٌ منهم : دعوها . فقالوا : قد فَتَنَتْكَ ثم قدّموها فقتلوها ثم قَرّبوا أخرى وهم بِحَذاء القُباع ، والجسر معقودٌ بينهما ، فقطعه القباع وهو في ستة آلاف والمرأة تستغيث بـــه وتقول : عَـــلامَ تقتلوني ؟ فوالله ما فَسَقْتُ ولا كفرتُ ولا ارْتَدَدْتُ

Marfat.com

والناس يتفلّتون الى الخوارج والقباعُ يمنعهم فلما خاف أن يعصوه أمر عند ذلك بقصع الجسر فاقام بين دَناها ودَبِيرَى خمسة أيام، والخوارج بقربه وهو يقول للناس في كل يوم : اذا لقيتم العدو غداً فأثبتوا أقدامكم واصبروا فإن أول الحرب التَرامي . ثم إشراعُ الرِماح ثم السَلَّةُ فَتَكِلَتْ رجلا أُمُّهُ فَرٌّ من الزَحفِ فقال بعضهم لما أكثر عليهم ، أما الصفةُ فقد سمعناهـا فتى بقع الفعل ، وقال الراجز :

ان القُبـاعَ سار سيراً مَلْساً بين دَباهـا ودَبِيرَى خَمْسا

فأخـذ الخوارجُ حاجتهم ، وكان شأنُ القُباع التحصنَ منهم ، ثم انصرفوا ورجع الى الكوفة وصاروا من فورهم الى أصبهان فبعث ، عَتّابُ ابن وَرْقاء الى الزبير بن عليّ : انا ابن عمـك ولست أراك تقصد في انصرافك من كل حرب غيري فبعث اليه الزبير أن أدنى الفاسقين وأبعدَهم من الحق سَواء . وإنما سُمّيَ الحرثُ بن عبدالله القُباعُ لانه وُلّي البصرة ، فَعَيَّرَ على الناس مكاييلهم ، فنظر الى مكيال صغير في مرآةِ العـين وقد أحاط بدقيق استكثره فقال : ان مكيالكم هـذا لقُباعُ ، والقُباع الذي يُخْفي أو يَخْفَى ما فيه يقال : انْقَبَعَ الرجل إذا استتر ، ويقـال للقُنْفُذِ القُبَعُ وذلك أنه يَخنِسُ رأسه . وأقام الخوارجُ يغادون عَتّابَ بن وَرْقاء القتالَ ويراوحونه حتى طال عليهم المُقامُ ولم يَظْفَروا منه بكثير . فلما كثر ذلك عليهم انصرفوا لا يمرون بقرية بين أصفهان والأهوازِ إلا استباحوها وقتلوا من فيها وشاوَرَ المُصْعَبُ الناسَ . فأجمع رأيهم على المهلب فبلغ الخوارجَ مَشُورتُهُ فقال لهم قَطَرِيٌّ : ان جاءكم عتّاب بن ورقاء فهو فاتك يَطّلِعُ في

Marfat.com

أول المِقْنَبِ ولا يظفر بكبير ، وإن جاءكم عمر بن عبيد اللهففارسٌ يُقْدِمُ فإما له وإما عليه ، وإن جاءكم المهلب فرجل لا يناجزكم حتى تناجزوه ويأخذ منكم ولا يعطيكم فهو البَلاءُ اللازم والمكروهُ الدائم . وعزم المصعب على توجيه المهلب وان يَشْخَصَ هو لحرب عبد الملك . فلما أَحسَّ به الزبير بن علي خرج الى الرَّيِّ وبها يزيد بن الحرث بن رُوَيْمٍ فحاربه ثم حصره . فلما طال عليه الحصار خرج اليه فكان الظَفَر للخوارج فَقُتِلَ يزيدُ بن رؤيم ونادى يومئذ ابنه حَوْشَباً ففر عنه وعن أمه لَطيفةَ . وكان علي بن أبي طالب عليه السلام . دخل على الحرث بن رؤيم يعود ابنه يزيد فقـــال : عندي جارية لطيفةُ الخدمةِ أبعثُ بها اليك ، فسماها يزيد لَطيفةَ ، فقتلت معه يومئذ ففي ذلك يقول الشـاعر : ·

مَواقِفُنا في كل يومٍ كَريهـــةٍ أَسَرُّ وأَشقَى من مواقف حَوْشَب
دعـــاه يزيـــدٌ والرماحُ شَوارِعٌ فلم يستجب بل راغ تَرْواغ ثعلبِ
ولو كان شَهْمَ النفسِ أو ذا حَفيظةٍ رأى ما رأى في الموت عيسى بن مُصْعَب

وقد مر خبر عيسى بن مصعب مستقصى ، وقال آخر :

نَجَّى حَليلَتَـــهُ وأَسْلَمَ شيخَه نَصْبَ الأسِنَّةِ حَوْشَب بن يزيد

وقال ابن حوشب لبِلال بن أبي بُرْدةَ يعيره بأمه ، وبلالٌ مَشْدود عند يوسف بن عمر : يا ابن حَوْراء : فقال بلال ، وكان جَلْداً أن الأَمَةَ تسمى حَوْراء وجَيْداء ولَطيفةَ . وزعم الكلبي أن بلالاً كان جلداً حيث ابْتُلِيَ قال الكلبي : ويُعْجبني أن أرى الاسير جَلْداً . قال ، وقال خـــالد بن صَفْوان له بحضرة يوسف : الحمد لله الذي أزال سُلْطانَكَ ، وهَدَّ ركنك ،

Marfat.com

وغيَّر حالك ، فوالله لقد كنتَ شديد الحجاب مستخفاً بالشريف ، مظهراً للعصبية ، فقال له بلال : انما طال لسانك يا خالدُ لثلاثٍ معك هُنَّ عليَّ : الامرُ عليك مُقْبِلٌ وهو عني مُدبِرٌ ، وأنت مُطْلقٌ وأنا مأسور ، وأنت في طينتكَ وأَنا في هذا البلد غريب . وإنما جَرَى إلى هذا لأنه يقال ان أصل آل الاهْتَمِ من الحِيرة ، وأنهم أُشابةٌ دخلت في بني مِنْقَرٍ من الروم . ثم انحط الزبير بن علي على أصفهان فَحَصَرَ بها عَتَّابَ بن وَرْقاء الرِياحيَّ سبعة أشهر ، وعتّاب يحاربه في بعضهن ، فلما طال به الحِصار قال لأصحابه : ما تنتظرون ، والله ما تُوتَوْنَ من قِلَّةٍ وإنكم لفُرْسانُ عشائركم . ولقد حاربتموهم مراراً فانتصفتم منهم وما بقي مع هذا الحصار إلا أن تَفْنى ذخائركم فيموتَ أحدكم ، فيدفنه أخوه ، ثم يموت أخوه فلا يجد من يدفنه . فقاتِلوا القومَ وبكم قوة من قبل أن يضعف أحدكم عن أن يمشيَ إلى قِرْنِهِ . فلما أصبح الغدَ صلى بهم الصبح ، ثم خرج إلى الخوارج وهم غارّون ، وقد نَصَبَ لواء لجاريةٍ له يقال لها ياسمين : من أراد البقاء فليلحق بـــلواء الياسمين ، ومن أراد الجِهادَ فليخرج معي . فخرج في ألفين وسبعمائة فارس ، فلم يَشْعُرْ بهم الخوارج حتى غَشوهُمْ فقاتلوهم بِجِدٍّ لم ير الخوارج منهم مثـله ، فعقروا منهم خَلْقاً وقتلوا الزبير بن عليٍّ وانهزمت الخوارج ، فلم يَتْبَعْهُمْ عَتابٌ . ففي ذلك يقول الشاعر :

ويَوْمٌ بِجَيٍّ تلافيتَـه ولولاك لاصْطُلِمَ العَسْكَرُ

قال أبو العباس : نُفَسِّرُ قوله ولولاك في آخر هذا الخبر إن شاء الله.

وقال رجل من بني ضَبَّةَ في تلك الوقعة :

Marfat.com

خَرَجْتُ من المدينـــة مُسْتَميتا ولم أَكُ في كَتيبـــةٍ باسِمينـــا
أليس من الفضائـــل أنَّ قَوْمي غَدَوْا مُسْتَلْئِمين مُجاهِدينـــا

وتزعم الرُواةُ أنهم في أيام حِصارِهم كانوا يَتوَاقفون ، ويَحْمِلُ بعضُهم على بعض . وربما مُواقَفةٌ بغير حرب ، وربما اشتدت الحرب بينهم . وكان رجل من أصحاب عتّاب يقال له شريح ويُكْنَى أبا هريرة ، إذا تَحـــاجزَ القوم مع المساء نادى بالخوارج وبالزُبَيْرِ بن عليٍّ :

يا ابنَ أبي الماحوزِ والأشرار كيف تَرَوْنَ يا كِلابَ النار
شَـدَّ أبي هريرة الهَـــرَّارِ يَهْرُكُمْ بالليـــل والنهـارِ
أَلَم تَرَوْا عَجَبًـا على المِضْمارِ تُمْسِي من الرحمن في جِوارِ

فغاظهم ذلك منه ، فَكَمَنَ له عُبَيْدَةُ بن هِلالٍ فضربه ، واحتمله أصحابه فظنت الخوارج أنه قد قُتِلَ . فكانوا إذا تَواقفوا نادَوْهُمْ : ما فَعَلَ الهرَّارُ ؟ فيقولون : ما به من بأس حتى أَبَلَّ من عِلَّتِـــهِ ؟ فخرج إليهم فصاح : يا أعداء الله ، أترون بي بأساً ؟ فصاحوا به : قد كنا نُرَى أنك لَحِقْتَ بأُمِّكَ الهاوية في النار الحامية . قال أبو العباس : نفسر أشياء من العربية تحتاج إلى الشرح ، من ذلك قوله : ولولاك ، ومنـــه قوله : ألم تروا عَجَبًا . ومنه قوله : يهركم بالليل والنهار . أما قوله لولاك فان سيبويه يزعم أنَّ لولا تخفض المضمر ، ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء فيقـــال : إذا قلتَ لولاك فما الدليل على أن الكاف مخفوضة دون أن تكون منصوبة ، وضمير النصب كضمير الخفض ؟ فتقول : إنك تقول لنفسك لولاي ، ولو كانت منصوبة لكانت النون قبل الياء كقولك رماني وأعطاني . قـــال يزيدُ بن

Marfat.com

الحكم الثقفي :

وكَمْ مَوْطِنٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى بأجْرامِهِ من قُلَّةِ النِيقِ مُنْهَوِي

النيق أعلى الجبل، وجِرْمُ الإنسان خَلْقُهُ فيقال له : الضمير في موضع ظاهرهِ فكيف يكون مختلفا ، وإن كان هذا جائزا فَلِمَ لا يكون في الفعل وما أشبهه نحو إنَّ وما كان معها في الباب . وزعم الأخفشُ سَعيدٌ أن الضمير مرفوع ، ولكن وافَقَ ضمير الخفض كما يستوي الخفض والنصب فيقال فهل هذا في غير هذا الموضع؟ قال أبو العباس : والذي أقوله إن هذا خطأ لا يصلح الا أن تقول لولا أنتَ كما قال الله عز وجل: لولا أنتم لكنا مؤمنين، ومن خالفنا يزعم أن الذي قلناه أجْوَدُ ويَدَّعي الوجه الآخر فيُجيزه على بُعْدِهِ . وأما جَيٌّ فالأجود فيهـــا أن تقول : (ألم تروا جَيٌّ على المضمار) فلا تُنَوِّن، لانها مَدينة والاسم أعجمي ، والمؤنث إذا سمي باسم أعجمي على ثلاثة أحرف لم ينصرف إذا كان مؤنثـــا ، وإن كان أوسطه ساكناً نحو جُوَر وحِمْصَ وما كان مثل ذلك ، ولو كان إسماً لمذكر لانصرف فإن صرفته جعلته إسماً لبلد ، وإن لم تصرفه جعلته إسماً لبلدة ، أو لمدينة . ألا ترى أنك تصرف نُوحاً ولوطاً وهما أعجميان ؟ وكذلك لو كان على ثلاثة أحرف كلهـا متحرك، لانك تصرف قَدَماً لو سميتْ به رجلاً ، فالأعجمي بمنزلة المؤنث لان امتناعهما واحدٌ . وأما قوله يهركم فإن كل مـا كان من المضاعف على ثلاثة أحرف ، وكان متعديا فان المضارع منـــه على يَفْعُلُ نحو شدَّهُ يَشُدُّه وزَرَّه يَزُرُّه وردَّه يَرُدُّه وحَلَّه يَحُلُّه . وجاء منه حرفان على : يَفْعِلُ ويَفْعُلُ ، فيهما جيدٌ : هَرَّهَ يَهِرُّه إذا كرهه ، ويَهُرُّه أجود ،

Marfat.com

وعَلَّهُ بالحناء ، يَعِلهِ ويَعُلُّهُ أجود ومن قال حَبَبْتُهُ قال يَحِبُّه لا غير . وقرأ أبو رجاء العُطارِدِيُّ : فاتبعوني يَحبِبْكُمُ اللهُ . وذلك أن بني تميم تَدْغِمُ في موضع الجزم ، وتُحَرِّكُ أواخره لالتقاء الساكنين . رجـــع الحديث . ثم ان الخوارج أداروا أمرهم بينهم فأرادوا تولية عُبَيْدَة بن هِلالٍ ، فقـــال : أدُلُّكُمْ على مَنْ هو خير لكم مني ، مَنْ يُطاعِنُ في قُبُلٍ ، ويَحْمِي في دُبُرٍ عليكمَ قَطَرِيَّ بن الفُجاءةِ المـــازنيَّ فبايعوه. فوقف بهم فقالوا : يا أمير المؤمنين ، امْضِ بنا الى فارِسَ . فقال : ان بفارِسَ عمر بن عبيد الله بن مَعْمر ولكن نصير الى الاهواز ، فان خرجْ مُصْعَبُ بن الزبير من البصرة دخلناها . فأتوا الأهواز ، ثم تَرَفَّعوا عنها الى إيذَجَ . وكان مصعب قد عزم على الخروج الى باجُمَيْرَ فقال لاصحابه : ان قَطَرِيًّا قد أَطَلَّ علينا وان خرجنا عن البصرة دخلها . فَبَعَثَ الى المهلب فقال : اكفِنا هذا العدوَّ ، فخرج اليهم المهلب ، فلما أحس به قطريٌّ تَيَمَّمَ نحو كِرمانَ فأقام المهلب بالأهواز ثم كَرَّ قَطَرِيٌّ عليه ، وقد استعد ، فكان الخوارجُ في جميع حالاتهم أحسن عُدَّةً ممن يقاتلهم بكثرة السلاح وكثرة الدواب وحَصانـــة الجُبَنِ ، فحاربهم المهلبُ فنفاهم الى رامَ هُرْمُزَ ، وكان الحرثُ بن عَميرةَ الهَمْدانيُّ قد صار الى المهلب مُراغماً لعَتَّابِ بن وَرْقاء يقال : انه لم يُرْضِهِ عن قتله الزبيرَ بن عليٍّ ، وكان الحرثُ بن عَميرةَ هو الذي تَوَلَّى قتـــله ، وحاصَ اليه أصحابُهُ . ففي ذلك يقول أعْشَى هَمْدانَ :

إنَّ المَكارمَ أكْمِلَتْ أسبابها لابن اللُّيوثِ الغُرِّ من قَحْطان
للفارس الحامي الحقيقةِ مُعْلِمـــاً زادِ الرِفاقِ الى قُرَى نَجْرانِ

Marfat.com

الحرثِ بن عَمـــيرةَ الليثِ الذي يَحْمِي العِراقَ الى قُرَى كِرْمانِ
ودَّ الأَزارِقُ لو يُصابُ بصَعْنَةٍ ويَموتُ من فُرْسانهم مائتان

(ويروى : زادِ الرفاقِ وفارسِ الفُرْسان) وتأويله أن الرُّفقةَ إذا صحبها أغناها عن التزود ، كما قال جرير وأراد ابنٌ له سَفراً وفي ذلك السفرِ يحيى بن أبي حفصة ، فقال لأبيه : زَوِّدني ، فقال جرير :

أزاداً سوى يَحْيَى تُريدُ وصاحباً ألا إنَّ يحيى نعمَ زادُ المسافـــرِ
فما تُنْكِرُ الكَمْاءُ ضربةَ سيفِهِ إذا أرْمَلوا أو خَفَّ ما في الغرائر

وقوله : ويموت من فرسانِهم ، يكون على وجهين مرفوعاً ومنصوباً ، فالرفع على العطف ، ويدخل في التمني ، والنصبُ على الشرط ، والخروج من العطف . وفي مصحف ابن مسعود وَدُّوا لو تُدْهِنُ فَيُدْهِنـــوا ، والقراءةُ فيدهنون ، على العطف . وفي الكلام : وَدَّ لو تأتيه فَتُحَدِّثُه وإن شئت نصبت الثاني . وخرج مصعب بن الزبير الى باجُمَيْراءَ ، ثم أتى الخوارجَ خـــبرُ مَقْتَلِهِ بَمسْكِنٍ ، ولم يأت المهلبَ وأصحابه ، فتواقفوا يوماً على الخندق ، فناداهم الخوارجُ : ما تقولون في المصعب ؟ قالوا ، إمامُ هُدًى ، قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : ضالٌّ مُضِلٌّ . فلما كان بعـــد يومين أتى المهلَّبَ قَتْلُ مصْعَبٍ وأن أهل الشام اجتمعوا على عبد المَلِكِ وورد عليـــه كتاب عبد الملك بولايته . فلمـــا تواقفوا ناداهم الخوارجُ : ما تقولون في مصعب ؟ قالوا : لا نخبركم . قالوا : فما تقولون في عبد الملك ؟ قالوا : أمامُ هُدًى ، قالوا : يا أعداء الله ، بالأمس ضالٌّ مُضِلٌّ واليومَ إمامُ هُدًى ! يا عَبيدَ الدنيا عليكم لعنةُ الله . وَوَلِي خالدُ بن عبدالله بن أسيدٍ فَقَـــدِمَ

Marfat.com

فدخل البصرة ، فأراد عزل المهلب فأشير عليه بأن لا يفعل وقيل له : إنما أمِنَ أهلُ هذا المصر بأنَّ المهلَّب بالأهواز وعُمَرَ بن عبيد الله بفارِسَ فقد تَنَحّى عمرو إن تَحَيّزَ المهلَّب لم تأمن على البصرة . فأبى إلا عَزْلَهُ ، فقدم المهلَّب البصرة ، وخرج الى الأهواز فأشخصه فلما صار بِكُرْبَجِ دينارٍ لقيه قطريّ فمنعه حَطَّ أثقاله ، وحاربه ثلاثين يوماً ، ثم أقام قطري بإزائه وخَنْدَقَ على نفسه ، فقال المهلَّب : ان قطرياً ليس أحق بالخندق منك ، فعبر دجيلا الى شِقِّ نهر تيرَى ، وأتبعه قطريٌّ فصار إلى مدينة نهر تيرى ، فبنى سُورها وخندق عليها ، فقال المهلَّبُ لخالد : خَنْدِقْ على نفسك ، فاني لا آمَنُ عليك البَيَاتَ ، فقال : يا أبا سعيد ، الامر أعجل من ذلك . فقال المهلبُ لبعض ولده : إني أرى أمراً ضائعاً ، ثم قال لزياد بن عمرو : خَنْدِقْ علينا ، فخندقَ المهلَّب وأمرَ بسُفنه فَفُرِّغَتْ وأبى خالدٌ أن يفرّغ سُفُنَهُ ، فقال المهلَّب لفَيْروزِ حُصَيْنٍ : صِرْ معنا ، فقال : يا أبا سعيد ، الحَزْمُ ما تقول غير أني أكره أن أفارق أصحابي . قال : فَكُنْ بقربنا . قال : أما هذه فنعم . وقد كان عبدُ الملك كتب الى بِشْرِ بن مروان يأمره أن يُمِدَّ خالداً بجيش أميره عبد الرحمن بن محمد بن الأشعَثِ . ففعل فَقَدِمَ عليه عبد الرحمن فأقام قَطَرِيٌّ بغاديهم القتال ويُراوِحهم أربعين يوماً ، فقال المهلَّب لِمَوْلًى لابي عُيَيْنَةَ : أنتَبِذْ الى ذلك الناوس فَبِتْ عليه في كل ليلة ، فمتى أحسَسْتُ خَبَراً من الخوارج أو حركةً أو صَهيلَ خيلٍ فأعجَل إلينا . فجلده ليلة فقال : قد تَحَرَّكَ القوم ، فجلس المهلَّب بباب الخندق وأعَدَّ قطريٌّ سفناً فيها حطب فأشعلها ناراً وأرسلها على سُفُنِ خالدٍ ، وخرج في أدبارها

Marfat.com

حتى خالَطَهُمْ ، فجعل لا يَمُرُّ برجل إلا قتله ، ولا بدابة إلا عقَرها ، ولا بفُسْطاطٍ إلا هَتَكَهُ . فأمر المهلَّبُ يزيدَ فخرج في مائة فارس فقاتل وأبْلَى يومئذٍ ، وخرج عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث فأبْلَى بلاءً حسناً ، وخرج فَيْروزُ حُصَيْنٍ في مَواليه فلم يزل يرميهم بالنُّشَّابِ هو ومن معه ، فأثَّرا أثراً جميلا فَصُرِعَ يزيدُ بن المهلَّب يومئذ وصُرِعَ عبدُ الرحمن فحامى عنهما أصحابُهما حتى ركبا . وسَقَطَ فَيْروزُ حُصَيْنٍ في الخندق . فأخذ بيده رجل من الأزد ، فاستنقذه ، فوهب له فَيروزُ حُصينٍ عشرة آلاف درهم . وأصبح عسكرُ خالد كأنه حَرَّةٌ سوداءُ ، فجعل لا يَرَى إلا قَتيلاً أو صريعاً . فقال للمهلَّب : يا أبا سعيد ، كِدْنا نفتضح ! فقال : خَنْدِقْ على نفسك فإن لا تفعل عادوا اليك ، فقال : آكفني أمر الخندق . فجمع له الأخماسَ فلم يبق شَريف إلا عَمِلَ فيه ، فصاح بهم الخوارجُ : والله لولا هذا الساحر المزَوني لكان الله قد دَمَّرَ عليكم ، وكانت الخوارج تُسَمِّي المهلَّبَ الساحرَ لأنهم كانوا يدبرون الامر فيجدونه قد سبق الى نفس تدبيرهم . فقال أعْشَى هَمْدانَ لابن الأشعث في كلمة طويلة :

ويومَ أهوازِك لا تَنْسَهُ ليس الثَنا والذكرُ بالداثِرِ

وقد ذكرنا في قصر الممدود من أن مَدَّ المقصور لا يجوز ما يغني عن إعادته . وتذكر فيروز حُصَيْنٍ لما مر من ذكره ، وكان فيروزُ حصينٍ رجلاً جيد البيت في العجم ، كريم المَحْتِدِ مشهور الآباء . فلما أسلم والَى حصينا ، وهو حصينُ بن عبد الله العَنبريُّ من بني العنبر بن تميم بن مُرٍّ . ثم من ولد طَريفِ بن تميم ، وكان فيروزُ حصينٍ شجاعاً جَواداً نَبيلَ الصُّورة ،

Marfat.com

جهير الصوتِ . وتَرْوِي الرُواةُ أن رجلا من العرب كانت أمه فَتـــاةَ ، فقاوَلَ بني عم له ، بالجمِيَّةِ . ومَـرَّ فيروزُ حصينٍ فقال : هذا خالي فمن منكم له خالٌ مثله ؟ وظن أن فَيروزَ لم يسمعها ، وسَمِعَها فيروزُ ، فلما صار الى منزله بعث الى الفتى فاشترى له منزلا وجاريةً ووهب له عشرةَ آلافِ درْهم . ومن مآثره المعروفة أن الحجاج لما واقَفَ ابن الأَشْعَثِ برُسْتَقاباذَ نادى منادي الحجاج : من أتى برأس فيروز فله عشرة آلاف درهم . فَفَصَلَ فيروز من الصف ، فصاح بالناس : مَنْ عرفني فقد اكتفى ومَنْ لم يعرفني فأنا فيروزُ حُصينٍ ، وقد عرفتم مالي ووفائي ، من أتى برأس الحجاج فله مائة ألف . فقال الحجاج : والله لقـد تركني أَكْثِرُ التَلَفُّتَ ، واني لَبَـيْنَ خاصتي . فَأُتِيَ به الحجاجُ فقال له : أأنت الجاعلُ في رأسِ أميرِك مائة ألف ؟ قال : قد فعلتُ ، فقال : والله لأُمهِدَنَّكَ ثم لأحملنـــك ! أينَ أين المال ؟ قال : عندي فهل الى الحياة من سبيل ؟ قال : لا . قـــال : فأخرجني الى الناس حتى أجمع لك المـــال فلعلّ قلبك يَرِقُّ عليَّ . ففعل الحجاج . فخرج فيروز فَأَحلَّ الناسَ من ودائعه ، وأعتق رقيقه ، وتَصَدَّقَ بماله ثم رُدَّ الى الحجـاج ، فقـال : شأنَكَ الآن فاصنع ما شئتَ . فَشُدَّ في القصب الفارسيِّ ثم سُلَّ حتى شُرِّحَ ثم نُضِحَ بالخل والملح فما تَأوَّه حتى مات. ومضى قطريٌّ الى كَرْمان ، فانصرف خالدٌ الى البصرة ، فأقام قطري بِكَرْمان أشهراً ، ثم عَمَدَ لفارسَ وخرج خالد الى الأهواز وندب للناس رجلا فجعلوا يطلبون المهلَّب، فقال خالد : ذهب المهلبُ بخط هذا المصر ، اني قد وَلَّيتُ أخي قِتال الازارقة . فوَلَّى أخاه عبـد العزيز ، واستخلفَ

Marfat.com

المهلَّبُ على الاهواز في ثلثمائة ومضى عبد العزيز في ثلاثين ألفـاً ، والخوارجُ بدَرَابَ جَرْدَ ، فجعل عبد العزيز يقول في طريقه : يَزْعُمُ أهلُ البصرة أن هذا الامر لا يَتِمُّ الا بالمهلَّب ، فسيعلمون . قال صَعْبُ بن زيد : فلما خرج عبدُ العزيز عن الاهواز ، جاءني كُرْدُوسٌ حاجبُ المهلَّبِ فقال : أجِب الامير ! فجئت الى المهلَّب وهو في سطح وعليـــه ثياب هَرَوِيَّةٌ فقال : يا صَعْبُ أنا ضائعٌ ، كأني أنظر الى هزيمـة عبد العزيز وأخشى أن توافيني الأزارقة ولا جند معي فابعث رجلا من قبلك يأتيني بخبرهم سابقا به اليَّ ، فوجهتُ رجلا يقال له عِمْرانُ بن فلانٍ فقلت : أصحَب عسكر عبدالعزيز واكتب اليَّ بخبر يوم يوم . فجعلت أورده على المهلب ، فلما قاربهم عبد العزيز وقف وقفة ، فقال له الناس : هذا يوم صالح فينبغي أن تترك أيها الامير حتى نطمئن ثم نأخذ أُهبَتَنا فقال : كَلاَّ ، الامرُ قريب . فنزل الناسُ على غير أمره ، فلم يُستَتَمَّ النزولُ حتى وَرَد عليهم سعدُ الطلائعِ في خمسمائة فارس كأنهم خيط ممدود ، فناهضهم عبد العزيز فواقفوه ساعـــة ثم انهزموا عنه مكيدةً ، فاتبعهم ، فقال له الناس : لا تتبعهم فإنا على غير تَعْبِيَةٍ فأبى ، فلم يَزَلْ في آثارهم حتى اقتحموا عَقَبَةَ فاقتحمها وراءهم والناسُ يَنْهَوْنَهُ ويَأْبى . وكان قد جعل على بني تمـــيم عَبَسَ بن طَلْقِ الضَريميَّ الملقبَ عَبْسَ الطِعانِ ، وعلى بَكْرِ بن وائِلٍ مُقاتلَ ابن مِسْمَعٍ القيسيَّ ، وعلى شُرْطَتِهِ رجلا من بني ضُبَيْعَةَ بن ربيعة بن نِزار ، فنزلوا عند العقبة ونزل خلفهم ، وكان لهم في بطن العقبة كَمِينٌ . فلما صاروا وراءهـــا خرج عليهم الكَمينُ ، وعطف سعدُ الطلائعِ فَتَرَجَّلَ عبْسُ بن طَلْقِ فَقُتِلَ وقُتلَ

Marfat.com

مُقاتلُ بن مِسْمَعٍ وقُتِلَ الضُبَيْعيُّ صاحبُ الشرطة وانحاز عبد العزيز . وَأتبعهم الخوارجُ على فرسخين يقتلونهم كيف شاؤا ، وكان عبد العزيز قد شرج معه بأمّ حَفْصٍ ابنة المُنْذِرِ بن الجارود امرأتِهِ ، فَسَبوا النساء يومئذ وأخذوا أسْرَى لا تُحْصَى ، فقذفوهم في غارٍ بعد أن شَدُّوهمَ وَثاقاً . ثم سَدُّوا عليهم بابه حتى ماتوا فيه . وقال رجل حضر ذلك اليومَ : رأيتُ عبدَ العزيزِ وان ثلاثين رجلا ليقربونه بأسيافهم وما تُحِيكُ في جسده ، يقال : ما أحاكَ فيه السيف وما يُحيكُ فيه وما حددا الامرُ في صدري وما حَكَى في صدري وما احْتَكَى في صدري، ويقال : حاك الرجلُ في مشيته يَحيكُ إذا تبختر ، ونُودِيَ السَبْي يومئذ فَغُولِيَ بأم حفْص فبلغ بها رجلٌ سبعين ألفاً ، وذلك الرجلُ من مَجوسَ كانوا أسلموا ولَحِقُوا بالخوارج فَفَرَضَ لكل واحد منهم خمسمائة . فكاد يأخذها فشقّ ذلك على قَطَرِيٍّ وقال: ما ينبغي لرجل مسلم أن يكون عنده سبعون ألفاً ، ان هذه فتنة ، فَوَثَبَ اليها أبو الحديد العبديُّ فقتلها فَأُتِيَ به قطريٌّ ، فقال : يا أبا الحديد مَهْيَمْ ، فقال : يا أمير المؤمنين، رأيت المؤمنين قد تزايدوا في هذه المشركة فخشيت عليهم الفتنةَ ، فقال قطري : قد أصبتَ وأحسنتَ، فقال رجل من الخوارج :

كفانا فتنةً عَظُمَتْ وَجَلَّتْ بحمد الله سيفُ أبي الحديد
أهابَ المسلمونَ بها وقالوا على فَرْطِ الهَوَى هل مِنْ مَزِيدِ
فزاد أبو الحديد بنَصْلِ سيفٍ رَقيقِ الحدِّ فِعْلَ فتى رَشيدِ

قوله : أهاب، يريد أعلن، يقال : أَهَبْتُ به إذا دعوتَهُ مثل صَوَّتَ : قال الشاعر :

Marfat.com

أَهابَ بأحزانِ الفؤاد مُهيبُ وماتَتْ نفوسٌ للهوى وقُلوبُ

وقوله : مهيم ، حرف استفهام ومعناه ما الخبرُ؟ وما الأمرُ ؟ فهو دال على ذلك محذوف الخبر . وفي الحديث أن رسول الله ﷺ رأى بعبد الرحمن بن عَوْفٍ رَدْعَ خُلُوقٍ ، فقال : مَهْيَمْ ! فقال تزوجتُ يا رسول الله ، فقال : أَوْلِمْ ولو بشاةٍ . وكان تزوج على نَواةٍ . وأصحابُ الحديث يروونه على نواةٍ من ذهب قيمتها خمسة دراهم، وهذا خطأ وغلط . العرب تقول نَواةٌ فتَعْنِي بها خمسة دراهم ، كما تقول النَشُّ لعشرين درهماً ، والأُوقِيَّةُ لأربعين درهماً فانما هو اسم لهذا المعنى . وكان العَلاءُ بن مُطَرِّفٍ السَعْدِيُّ ابن عَمٍّ عَمْرو القَنَا ، وكان يحب أن يلقاه في تلك الحروب مبارزةً ، فلحقه عمرو القنا وهو منهزم ، فضحك عمرو وقال متمثّلًا :

تَمَنَّاني لِيَلْقاني لَقيطٌ أعامِ لَكَ ابنَ صَعْصَعَةَ بنِ سَعْدِ

ثم صاح به : انْجُ أبا المُصَدَّى . وكان عمرو القنا يكنّى أيضاً أبا المصدَى . وهذا البيت الذي تَمثّل به عمرو ليزيد بن عمرو بن الصَعِقِ الكلابِيِّ يقوله يعني لَقيطَ بن زُرارةَ وكان يطلبه . وقوله : أعامِ لك ، يريد يا عامِرُ فَرَخَّمَ وإنما يريد الحَيَّ تعجباً ، أي لكم أعْجَبُ من تمنيه للقائي قد عابني عامر بن صعصعة ، وهم بنو صعصعة بن معاوية بن بكر بن هَوازنَ ، ويقال ان عامر بن صعصعة هو ابن سعد بن زيد مَناةَ بن تميم لا ابنُ مُعاوية وانهم نافِلةٌ في قيس ، ولذلك تمنعتْ بنو سعد من محاربتهم مع بني تميم يوم جَبَلَةَ ، ولذلك أنذرهم كَرِبُ بن صَفْوان . وهذا البيت وضعه سيبويه في باب النداء الذي معناه معنى التعجّب . وشَبيهٌ بـه قول

Marfat.com

الصَّلَتان العَبْدِيّ :

فيا شاعراً لا شاعرَ اليومَ مثلُهُ جَريرٌ ولكن في كُلَيْبٍ تَواضُعُ

على معنى قوله : فلله دَرُّهُ شاعراً . وكان العَلاء بن مُطَرِّفٍ قد حَمَلَ معه امرأتين له ، احداهما من بني ضَبَّةَ يقال لها ام جَميلٍ ، والاخرى بنت عمه وهي فلانة بنت عَقيلٍ ، فطلّقَ الضبّيّة وتخلص بها يومئذ وحمل الضبية أوّلا ، ففي ذلك يقول :

أَلَسْتُ كَريمــاً إذْ أقولُ لِفتْيتي قِفوا فاحملوها قبلَ بنت عَقيل

ولو لم يكن عُودي نُضاراً لأصبحتْ تَخِرُّ على المَتْنَيْنِ أمُّ جَميــل

قال الصَعْبُ بن يزيد : بعثني المهلَّب لآتيه بالخبر ، فَصِرْتُ الى قنطرة أرْبُكَ على فرس اشتريته بثلاثة آلاف درهم ، فلم أُحسِسْ خبراً ، فَسِرْتُ مُهَجِّراً الى أن أمسيت . فلما أظلمنا سمعتُ كلام رجل عرفته من الجَهاضِمِ فقلتُ : ما وراءك ؟ فقال : الشرُّ . قلتُ : فأين عبدُ العزيز ؟ قــال : أمامَكَ . فلما كان من آخر الليل إذا أنا بزُهاء خمسين فارساً معهم لواء هذا ، فقلتُ : مَن هذا ؟ فقالوا : هذا لواء عبد العزيز . فتقدمت اليه ، فسلمتُ وقلتُ : أصلَحَ اللهُ الاميرَ ، لا يَكْبُرَنَّ عليكَ ما كان فإنك كنت في شر جندٍ وأخبثِه ، قال لي : أوَكنت معنا ؟ قلت : لا ولكن كأني شاهدٌ أمْرَكَ ، قال : كأنك كنت معنا . قلت : ما يسرك ، قد هُزِمَ وفُلَّ جيشُه ، فقال : ويحك ، وما يسرني من هزيمة رجل من قريش وفَلّ جيش من المسلمين ؟ قلت : قد كان ذاك ، ساءك أو سَرَّك . فوَجَّهَ رجلا الى خالد يخبره . قال الرجل : فلما أخبرتُ خالداً قال : كذبتَ ولَؤُمتَ . ودخل رجل من قريش فكذَّبني ، وقال لي خالد : والله

Marfat.com

لهممت أن أضرب عنقك ! قلتُ : أصلح الله الاميرَ إن كنتُ كاذبا فاقتلني وإن كنتُ صادقاً فأعطني مُطْرَفَ هذا المُتَكَلِّفِ ، فقـــال خالد : لبئسما أَخطَرْتَ به دمك . فما برحتُ حتى دخل بعضُ الفَلِّ وقدم عبد العزيز سوق الأهواز فأكرمه المهلّبُ وكساه ، وقَدِم معه على خالد واستخلف ابنه حبيبا ، وقال له : تَحَسَّسْ عن الاخبار فان أحسست بخبر الازارقة قريبـــاً منك فانصرف الى البصرة . فلم يزل حَبيبٌ مقيما والازارقةُ تدنو منـه حتى بلغوا قنطرة أَرْبُكَ ، فانصرف الى البصرة على نهر تِيرَى ، فلما دخلها أُعْلِمَ خالدٌ ، فغضب عليه واستتر حبيب في بني هِلال بن عامر بن صعصعة فتزوج هناك في استتاره الهلاليَّةَ أم عَبَّاد بن حبيب . وقال الشاعر لخالد يُفَيِّـــلُ رأيه أي يخطئه :

بَعَثْتَ غلاما من قريش فَروقـــةً وتترك ذا الرأي الأصيلِ المُهَلَّبَا
أَبى الذَّم واختار الوَفاء وأُحكِمَتْ قُواهُ وقد ساسَ الامورَ وجَرَّبَا

وقال الحرث بن خالد المخزومي :

فَرَّ عبدُ العزيز لما رأى الابطـــالَ بالسَّفْـــح نازلوا قَطَـــرِّيَا

ويروى :

فر عبدُ العزيز إذ راءَ عيسى وابن داود نازَلاَ قَطَـــريا
عاهدَ اللهَ إن نَجَـــا مِلْمنايا لَيَعودَنْ بعدهـــا حُرْمِيَّـــا
يسكنُ الخَلَّ والصِفاحَ فَمَرًّا نَ وسَلْعـــاً وتارةً نَجْـــدِيَّا
حيث لا يَشْهدُ القتالَ ولا يسمـــع يوماً لِكَرِّ خَيْـــلٍ دَوِيَّا

قوله : إذ راءَ عيسى ، الاصل رأى ، ولكنه قلب فقدّم الالف وأخر

Marfat.com

الهمزة ، كما قال كُثَيِّرٌ :

وكلُّ خليـــل راءني فهو قائلٌ من أجلكِ هذا هامةُ اليوم أو غَدِ

والقلب كثير في كلام العرب . وسنذكر منه شيئاً في موضعه إن شاء الله . وقوله ملمنايا يريد من المنايا ، ولكنه حَذَفَ النون لقرب مخرجها من اللام فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيُحْذَف أحدهما . ومن كلام العرب أن يحذفوا النونَ إذا لقيتْ لام المعرفةِ ظاهرةً فيقولون في بني الحرث وبني العنبر وما أشبه ذلك : بَلْحَرث وبَلْعنبر وبَلْهُجَيْم ، كما يقولون عَلْما بنو فلان فيحذفون إحدى اللامين . وقوله ليعودن بعدها حُرميا ، العربُ تَنْسُبُ الى الحرم فيقولون : حِرْمِيٌّ وحُرْمِيٌّ على قولهم حُرْمَةُ البيت وحِرْمَةُ البيت وقال النابغة الذُبيانيُّ :

من قول حُرْمِيَّةٍ قالتْ وقد رحلوا هل في مُخَفِّيكُمُ مَنْ يشتري أدَمَا

والخَلُّ ههنا ، موضع وأصله الطريق في الرمل . وكتب خالد الى عبد الملك بعُذْر عبد العزيز . وقال للمهلَّب : ما تُرَى عبدَ الملك صانعاً بي ؟ قال : يعزلك ، قال : أتراهُ قاطعاً رَحِمي ؟ قال : نعم أتَتْهُ هزيمة أَمَيَّةَ أخيك من البحرين وتأتيه هزيمةُ أخيك عبد العزيز من فارس . قال أبو العباس : فكتب عبد الملك الى خالد : أما بعد ، فإنْ كنتُ حَدَدْتُ لك حدًّا في أمر المهلَّب فلما ملكتَ أمرك نبذتَ طاعتي واستبددت برأيك فوَلَّيتَ المهلَّب الجباية ووليت أخاك حَرْبَ الأزارقة ، فَقَبَحَ اللهُ هذا رأياً ، أتبعثُ غلاماً غِرًّا لم يُجَرِّبِ الحروبَ وتترك سيداً شجاعاً مُدَبِّراً حازما قد مارس الحروبَ تَشْغَلُهُ بالجباية ! أما لو كافأتُك على قدر ذنبك لأتاك من

Marfat.com

نَكيري ما لا بَقيَّةَ لك معه ، ولكن تذكرتُ رَحِمَكَ فلفتتني عنك وقد جعلتُ عقوبتك عزلَك . ووَلَّى بِشْرَ بن مَرْوانَ وهو بالكوفة وكتب اليه : أما بعد ، فإنك أخو أمير المؤمنين ، يجمعك وإياه مَرْوانُ بن الحَكَمِ ، وإن خالداً لا مجْتَمَعَ له مع المؤمنين دون أُمَيَّةَ ، فانظر المهلب فوَلِّهِ حربَ الأزارقة فإنه سيِّد بَطَلٌ مُجَرَّبٌ فأمدده من أهل الكوفة بثمانية آلاف رجل . فشقّ عليه ما أمره في المهلب وقال : والله لا قتلنَّه ، فقال له موسى بن نُصَيْر : إن للمهلب حِفاظاً وبَلاءً ووَفاءً . وخرج بشر بن مروان يريد البصرةَ ، فكتب موسى وعِكْرِمةُ الى المهلب أن يتلقّاه لِقاءً لا يعرفه به فتلقاه المهلب على بغل ، فسلَّم عليه في خُمارِ الناس . فلما جلس بِشْرٌ مَجْلِسَه قال : ما فعل أميركُم المهلبُ ، قالوا : قد تلقاك أيها الامير وهو شاكٍ . فهمّ بشر أن يُوَلِّيَ حرب الازارقة عمر بن عبيدالله ، فقال له أسماء بن خارجة : إنما ولاك أمير المؤمنين لترى رأيك . فقال له عكرمة بن رِبْعِيٍّ أكتب الى أمير المؤمنين وأعلمه علة المهلَّب ، فكتب إليه يُعْلِمُهُ عِلَّةَ المهلَّب ، وإن بالبصرة من يغني غَناءهُ ، ووَجَّهَ بالكتاب مع وَفْدٍ أوفدهم إليـــه ، ورئيسُهم عبدالله بن حَكيمٍ المجاشعي . فلما قرأ الكتاب خلا بعبدالله بن حكيم ، فقال : إن لك ديناً ورأياً وحَزْماً ، فمن لقتال هؤلاء الأزارقة ؟ قال : المهلب . قال : إنـــه عَليلٌ . قال : ليست علته بما نعته . قال عبد الملك : أراد بِشْرٌ أن يفعل ما فعل خالد فكتب يَعْزِمُ عليه أن يولي المهلَّب ، فوجَّهَ إليه ، وقال المهلبُ : أنا عَليلٌ ولا يمكنني الاختلافُ . فأمر بشر بحمل الدواوين إليه ، فجعل ينتخب ، فاعترض بشر عليه ، فاقتطع أكثر نخبته ، ثم عزم أن لا يقيم

Marfat.com

بعد ثالثة . وقد أخذتْ الخوارج الأهواز ، وخَلْفوها وراء ظهورهم ، وصاروا بالفُراتِ . فخرج إليهم المهلَّب حتى صار إلى شَهارْطـــاقَ ، فأتاه شيخ من بني تميم فقال: أصلحَ الله الأمير ، ان سنّي ما ترى فَهبْني لعيالي . قال : على أن تقول للامير إذا خَطَبَ فَحَثَّكُمْ على الجهاد كيف تَحُثُّنا على الجهاد وأنت تحبس أشرافَنا وأهل النَجْدة منا ! ففعل الشيخ ذلك فقال له بشر : ما أنت وذاك ؟ قال : لا شيء . وأعطى المهلَّبُ رجلاً ألف درهم على أن يأتي بشراً فيقول له : أيها الأمير أعِنِ المهلَّبَ بالشُرْطةِ والمقاتِلةِ ، ففعل الرجل ذلك فقال له بشر : ما أنتَ وذاك ! قـــال : نصيحةٌ للأمير والمسلمين ولا أعود إلى مثلها ، فأَمَدَّهُ بالشُرْطةِ والمقاتِلة . وكتب بِشر إلى خليفته بالكوفة أن يعقد لعبد الرحمن بن مِخْنفٍ على ثمانية آلاف من كُلِّ رُبعٍ ألفين ويُوَجِّهَ به مَدَداً إلى المهلَّب . فلما أتاه الكتاب بعث إلى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ الأَزْدِيِّ ، فعقد له واختار له من كل رُبعٍ ألفَين ، فكانَ على ربع أهل المدينة بشر بن جَريرٍ البَجَلِيُّ ، وعلى رُبعِ تميم وهَمْدانُ عبدُ الرحمن بن سعيد بن قيس الهَمْدانيّ ، وعلى رُبعِ كِنْدةَ وربيعةَ محمد ابن اسحق بن الأشعثِ الكِنْدِيّ ، وعلى مَذْحِجٍ وأَسَدٍ زَحرُ بن قيس المَذْحِجيُّ . فقدِموا على بشر فخلا بعبد الرحمن بن مِخْنفٍ ، فقال له : قد عرفتَ رأيي فيك وثقتي بك فكن عند ظني ، انظر هذا المَزَوِيَّ فخالفْه في أمره وأفسِدْ عليه رأيه ! فخرج عبد الرحمن بن مِخنف ، وهو يقول : ما أعجبَ ما طمع مني فيه هذا الغلامُ ! يأمرني أن أَصغُرَ شيخاً من مشايخ أهلي وسيداً من ساداتهم ، فلحق بالمهلب . فلما أَحسَّ الازارقةُ بدنوه منهم

Marfat.com

انكشفوا عن الفُراتِ . فاتّبعهم المهلبُ الى سوق الاهواز فنفاهم عنها ، ثم تبعهم إلى رامَ هُرْمُزَ فهزمهم منها ، فدخلوا فارسَ . وأبلَى يزيدُ ابنهُ في وقائعه هذه بَلاءً حسناً تقدم فيه ، وهو ابن احدى وعشرين سنة . فلما صارَ القومُ بفارس وَجَّهَ إليهم ابنَهُ المُغيرةَ ، فقال له عبد الرحمن بن صُبْحٍ : أيها الأمير ، ليس برأيٍ قتلُ هذه الأكلُب ، ولئن واللهِ قتلتَهم لتقعدنَّ في بيتك ولكن طاوِلْهُمْ وكُلْ بهم ، فقال : ليسَ هذا من الوفاء ، فلم يلبث برامَ هرمزَ الا شهراً حتى أتاه موت بشر ، فاضطرب الجند على ابن مِخْنَفٍ ، فوَجَّهَ إلى محمد بن اسحق بن الأشعثِ وابن زَحْرٍ واستحلفهما أن لا يبرحا ، فحلفا له ولم يَفِيَا . فجعل الجندُ من أهل الكوفة يتسللون حتى اجتمعوا بسوق الأهوَاز. وأراد أهل البصرة الانسلالَ من المهلب ، فخطبهم فقال : انكم لستم كأهل الكوفة إنما تَذُبُّونَ عن مصركم وأموالكم وحُرَمِكُمْ . فأقام منهم قوم وتَسَلَّلَ منهم ناسٌ كثير . وكان خالد بن عبدالله خليفةَ بشر بن مروان ، فوَجَّهَ مَوْلًى له بكتاب منه إلى من بالأهواز يحلف فيه بالله مجتهداً لئن يرجعوا إلى مراكزهم وانصرفوا عُصاةً لا يَظْفَرُ بأحد منهم إلا قتله ، فجاء مولاه فجعل يقرأ الكتاب عليهم ولا يرى في وجوههم قبوله ، فقال : إني لأرى وُجوهاً ما القبولُ من شأنها ، فقال له ابن زحر : أيها العبد ، اقرأ ما في الكتاب وانْصَرِفْ إلى صاحبك ، فإنك لا تدري ما في أنفسنا . وجعلوا يستعجلونه في قراءته ، ثم قصدوا قَصْدَ الكوفة فنزلوا النخيلة وكتبوا إلى خليفة بِشر يسألونه أن يأذن لهم في الدخول ، فأبى ، فدخلوها بغير إذن . فلم يزل المهلَّبُ ومن معه من قُوّادِهِ وابنُ مخنف في عدد قليل

Marfat.com

فلم ينشَبوا أن وَلِيَ الحجاجُ العِراقَ فدخل الكوفةَ قبل البصرة وذلك في سنة خمس وسبعين ، فخطبهم وتهددهم . وقد ذكرنا الخطبة متقدماً . ثم نزل فقال لوُجوهِ أهلِها : ما كانت الوُلاةُ تفعلُ بالعُصاة ؟ فقالوا : كانت تَضرِبُ وتَحْبس ! فقال الحجاج : ولكن ليس لهم عندي إلا السيفُ ، ان المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون ، ولو ساغت المعصيـــة لأهلها ما قوتل عدوّ ولا جُبِيَ فَيْءٌ ولا عَزَّ دينٌ . ثم جلس لتوجيـــه الناس ، فقال : قد أَجَّلتكم ثلاثاً ، وأُقسم بالله لا يَتخَلَّفُ أحـــدٌ من أصحاب ابن مخنف بعدها ولا من من أهل الثُغور إلا قتلتُه . ثم قـــال لصاحب حَرَسِهِ وصاحب شُرَطِهِ : إذا مضتْ ثلاثةُ أيام فاتخذا سيوفكما عِصِيًّا ، فجاءهُ عُمَيْرُ بن ضابىء البُرْجُمِيُّ بابنه فقال : أَصلح الله الأمير ، ان هذا أنفعُ لكم مني ، هو أشدُّ بني تميم أيْداً وأجمعهم سلاحاً وأربطُ بهم جَأْشاً ، وأنا شيخ كبير عليلٌ ، واستشهدَ جلساءه ، فقال الحجاج : إن عذرك لواضح وان ضعفك لبَيِّنْ ، ولكني أكره أن يجترىء بك الناسُ عليَّ ، وبعـــدُ فأنتَ ابن ضابىء صاحبُ عثمان ، ثم أمر بـــه فَقُتِلَ فاحتَمَل الناسُ وان أحدهم لَيُتْبَعُ بزاده وسلاحه ، ففي ذلك يقول ابن الزَبِيرِ الأَسَدِيُّ :

أقولُ لعبد الله يوم لقيتُـــهُ أَرَى الأمر أمسَى مُنْصِباً متشعِّبا
تَخَيَّرْ فإما أن تَزورَ ابنَ ضابىء عُمَيْراً وإما أن تَزورَ المهلَّبـــا
هما خُطَّتا خسف نَجَاؤُكَ منهما رَكوبُكَ حَوْلِيًّا من الثَلْجِ أشهبا
هما إن أرى الحجاجَ يَغْمِدُ سيفه يَدَ الدهرِ حتى يترك الطِفْلَ أشيَبا
فأَضحَى لو كانتْ خُراسانُ دونه رآها مكانَ السُّوقِ أو هي أقربا

Marfat.com

وهَرَبَ سَوَّارُ بن المُضَرَّبِ السَعْدِيّ من الحجاج ، وقال :

أقاتِلَيَ الحجاجُ ان لم أزُرْ له دَرابَ وأترُكْ عند هندٍ فؤاديا

وقد مرت هذه الأبيات . وخرج الناس عن الكوفة ، وأتى الحجاجُ البصرةَ فكان عليهم أشدَّ إلحاحاً ، وقد كان أتاهم خبرهُ بالكوفة فتحمل الناسُ قبل قدومه ، فأتاه رجل من بني يَشْكُرَ ، وكان شيخاً كبيراً أعور ، وكان يجعل على عينه العوراء صوفةً فكان يلقب ذا الكُرْسُفةِ فقال : أصلح اللهُ الأمير ، إن بي فَتْقاً وقد عَذَرني بشر وقد رددتُ العطاء ، فقال : إنك عندي لصادق ، ثم أمر به فَضُرِبَتْ عنقُه ، ففي ذلك يقول كعب الأشْقَرِيُّ أو الفَرَزْدقُ :

لقد ضَرَبَ الحَجّاجُ بالمصر ضربةً تَقَرْقَرَ منها بطنُ كلِّ عَريفِ

ويروى عن ابن مَيْرةَ قال : إنا لنتَغَدَّى معه يوماً إذ جاء رجل من سُلَيْمٍ برجل يقوده ، فقال : أصلح الله الأمير ان هذا عاصٍ ، فقال له الرجل : أنْشُدُكَ الله أيها الامير في دمي ، فوالله ما قبضت ديواناً قطُّ ولا شهدت عسكراً ، واني لحائك أُخذَتْ من تحت الَلفِّ ، فقال : اضربوا عنقه . فلما أحس بالسيف سَجَدَ فلحقه السيفُ وهو ساجد فأمسكنا عن الطعام فأقبل علينا الحجاج ، فقال : مالي أراكم صَفِرَتْ أيديكم واصْفَرَّتْ وجوهكم وحَدَّ نظرُكم من قتلِ رجل واحدا ان العاصيَ يجمع خِلالاً يُخِلُّ بمركزه ويَعْصِي أميره ويَغُرُّ المسلمين وهو أجيرٌ لهم ، وإنما يأخذ الاجرة لما يعمل والوالي مُخَيَّر فيه ان شاء قَتَلَ ، وان شاء عفا . ثم كتب الحجاج الى المهلَّب : أما بعد ، فان بشراً رحمه الله استكره نفسَه عليك

Marfat.com

وأراك غناءهُ عنك ، وأنا أُريك حاجتي إليك فأرني الجِدَّ في قتال عدوّك ومَنْ خِفْتَهُ على المعصية ممن قِبَلَكَ فاقتله فإني قاتلٌ مَنْ قِبَلي ، ومَنْ كان عندي من وَلِيٍّ مَنْ هَرَبَ عنك فأعلمني مكانه فاني أرى أن آخذ الوليَّ بالوليّ ، والسَمِيَّ بالسميّ . فكتب إليه المهلَّب : ليس قِبَلي إلا مُطيعٌ وإن الناس إذا خافوا العقوبةَ كَبَّرُوا الذنب وإذا أَمِنوا العقوبـــةَ صَغَّروا الذنب ، وإذا يئسوا من العفو أكفرَهم ذلك ، فهب هؤلاء الذين سميتهم عصاةً ، فإنما هم فرسـان أبطال أرجو أن يقتل الله بهم العدوّ ، ونادِمٌ على ذنبه . فلما رأى المهلب كثرةَ الناس عليه قال : اليوم قُوتِلَ هذا العدوُّ ولما رأى ذلك قطريّ قال : انهضوا بنا نريد السَرَدانَ ، فَنَتَحَصَّنَ فيهـــا فقال عُبَيْدَةُ بن هِلالٍ : أو نأتي سابور . وخرج المهلبُ في آثارهم فأتى أرَّجانَ وخاف أن يكونوا قد تحصنوا بالسَرَدانِ ، وليست بمدينـــة ولكن جبال مُخْدِقةٌ مَنيعة ، فلم يُصِبْ بها أحداً فخرج نحوهم فَعَسْكَرَ بكازرونَ ، واستعدّوا لقتاله ، وخندق على نفسه . ثم وَجَّهَ الى عبد الرحمن بن مِخْنَفٍ خَنْدِقْ على نفسك ، فوجه اليه : خَنادُقنا سُيوفنا . فوجه اليه المهلبُ : اني لا آمن عليك البياتَ . فقال ابنه جعفر : ذاك أهونُ علينا من ضَرْطَةِ جَمَلٍ . فأقبل المهلب على ابنه المغيرة فقال : لم يصيبوا الرأي ولم يأخذوا بالوثيقـــة فلما أصبح القومُ غادَوْهُ الحرب ، فبعث الى ابن مِخْنَف يستمـــدّه فأمدّه بجماعة وجعل عليهم ابنه جعفرا ، فجاؤا وعليهم أقْبِيَةٌ بيضٌ جُدَدٌ فقاتلوا يومئـــذ حتى عُرِفَ مكانُهم ، وحاربهم المهلبُ وأبْلَى بنوه يومئذ كبلاء الكوفِيّينِ أو أشد ، ثمّ نظر الى رئيس منهم يقال له صالح بن مِخْراقٍ

Marfat.com

وهو ينتخب قوماً من جِلّةِ العسكر حتى بلغوا أربعمائة، فقال لابنه المُغيرة: ما يُعِدُّ هؤلاء الا للبيات. وانكشف الخوارج والامرُ للمهلّب عليهم وقد كثر فيهم القتــلُ والجِراحُ، وقد كان الحجاج في كل يوم يتفقد العُصاةَ ويوَجِّهُ الرجال، فكان يحبسهم نهاراً ويفتح الحبس ليلاً فينسل الناس إلى ناحية المهلَّب وكأنَّ الحجاج لا يعلم، فإذا رأى إسْراعَهُمْ تَمَثَّلَ:

إنَّ لها لسائقاً عَشَنْزَرا إذا وَنَيْنَ وَنْيةً تَغَشْمَرا

العشنزر الصلب، والتغشمر ركوب الرأس، والمُتَغَشْمِرُ الجادُّ على ما خَيَّلَتْ. وكتب إلى المهلَّب من قبل الوَقْعةِ: أما بعد، فإنــه بلغني أنك أقبلتَ على جباية الخراج، وتركتَ قتال العدوِّ، واني وَلّيتُكَ وأنا أرى مكان عبدالله بن حَكيم المُجاشعيِّ وعَبّاد بن حَصَيْنٍ الحَبَطِيِّ، واخترتك وأنت من أهل عُمانَ، ثم رجل مِن الأَزْدِ فالْقَهُمْ يوم كذا في مكان كذا والا أشرعتُ إليكَ صَدْرَ الرمح. فشاور بنيــه، فقالوا: ان أمير فلا تَغْلُظْ عليه في الجواب، فكتب إليه المهلَّبُ: ورد عليَّ كتابك، تزعم اني أقبلتُ على جباية الخراج وتركتُ قتالَ العدوِّ، ومَنْ عجِز عن جباية الخراج فهو عن قتال العدو أعجَزُ، وزعمتَ أنك وليتني وأنت ترى مكان عبدالله بن حكيم المجاشعي وعبادِ بن حصين الحبطي، ولو وليتهم لكانا مستحقين لذلك في فضلهما وغَنائهما وبطشهما، واخترتني وأنا رجــل من الأزْدِ، ولعمري ان شراً من الأزد كقبيلةٌ تُنازِعُها ثلاثُ قَبائلَ لم تستقر في واحدة منهن، وزعمتَ أني ان لم ألقَهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعتَ اليَّ صدرَ الرمح، فلو فعلتَ لقلبتُ اليك ظهرَ المِجَنّ والسلام. ثم كانت

Marfat.com

الوقعة ، فلما انصرف الخوارج قال المهلّب لابنه المُغيرة : اني أخاف البياتَ على بني تميم فانْهَضْ إليهم فَكُنْ فيهم ، فأتاهم المغيرة ، فقال له الحَريشُ بن هِلالٍ : يا أبا حاتم ، أيخاف الأَميرُ أن يُؤْتَى من ناحيتنا ، قُـــلْ له فَلْيَبِتْ آمناً فإنا كافوه ما قِبَلَنا ان شاء الله . فلما انتصف الليل وقد رجع المغيرةُ الى أبيه سَرَى صالح بن مِخْراقٍ في القوم الذين أَعدَّهم إلى ناحية بني تميم ، ومعه عبَيدهُ بن هِلال ، وهو يقول :

إنِّي لَمُذْكٍ للشُراةِ نارَهـــا ومانعٌ ممن أتاهـــا دارَهـــا
وغاسِلٌ بالطَعْنِ عنهـا عارَهـــا

فوجد بني تميم أيقاظاً متحارسين ، فخرج إليهم الحريش بن هلال ، وهو يقول :

لقد وَجدْتُمْ وُقُراً أنْجـــادا لا كُنُفاً مِيلاً ولا أوْغـــادا •
هَيْهاتَ لا تُلفونَنا رُقَّـــادا لا بَـــلْ إذا صِيحَ بنا آسادا

ثم حَمَلَ على القوم فرجعوا عنه ، فاتبعهم وصـــاح بهم : إلى أين يا كِلابَ النارِ ؟ فقالوا : انما أُعِدَّتِ النارُ لك ولأصحابك . فقال الحريشُ : كل مملوك لي حُرٌّ ان لم تدخلوا النار ان دخلها مجوسيّ فيما بين سَفوانَ وخُراسانَ . قوله : وجدتم وُقُرَا ، جمعُ وقورٍ . والنَجْدُ ضد البليد ، وهو المتيقظ الذي لا كسل عنده ولا فُتورَ . والأَمْيَلُ فيه قولان ، قالوا : الذي لا يستقر على الدابة ، وقالوا : هو الذي لا سيف معه . والأَكشفُ الذي لا تُرْسَ معه ، والأَجمُّ الذي لا رمح معه ، والحاسِرُ الذي لا درع عليه ، والأَعزَلُ الذي لا يتقوم على ظهر الدابة ، والوَغْدُ الضعيفُ . ثم قال

• وقرا: ذوي وقار ج وقور، كنفا: والأصح كشفا: بالشين، بمعنى جبناء. ميلا ج أميل: أعزل

Marfat.com

بعضهم لبعض نأتي عسكر ابن مخنف فانـــه لا خَنْدَقَ عليهم ، وقد تعب فرسانهم اليوم مع المهلَّب ، وقد زعموا أنا أهون عليهم من ضَرْطةِ جمـــل فأتوهم . فلم يشعر ابن مخنف وأصحابُهُ بهم إلا وقد خالطوهم في عسكرهم ، وكان ابن مخنف شريفاً ، يقول رجل من غامِدٍ لرجل يعاتبه ، ويضرب بابن مخنف المَثَلَ :

تَروحُ وتَغْدو كل يوم معظَّما كأنك فينا مِخْنَفٌ وابنُ مخنفِ

فترجل عبد الرحمن بن مخنف ، فجالدهم فَقُتِلَ وقُتِلَ معه سبعون من القُرَّاء فيهم نَفَرٌ من أصحاب عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ونفر من أصحاب ابن مسعود . وبلغ الخبرُ المهلَّبَ وجعفرُ بن عبد الرحمن بن مخنف عند المهلَّب ، فجاءهم مُغيثاً فقاتلهم حتى أُرْنثَّ وصُرِعَ . ووَجَّه المهلَّب إليهم ابنه حبيباً فكشفهم ، ثم جاء المهلَّبُ حتى صَلَّى على ابن مخنف وأصحابِهِ رحمهم الله وصار جنده في جند المهلَّب ، فضمهم إلى ابنه حبيب فعيرهم البصريون ، فقال رجل لجعفر بن عبد الرحمن :

تركتَ أصحابنا تَدْمَى نُحورُهم وجِئْتَ تَسْعَى إلينا خَضْفَةَ الجَمَلِ

قوله : خضفة الجمل ، يريد ضرطة الجمل يقال خَضَفَ البعيرُ . وأنشدني الرياشي لاعرابي يذم رجلاً اتخذ وليمة :

انا وجدنا خَلفاً بئس الخَلَفْ أغْلَقَ عنا بابَـــهُ ثم حَلَفْ

لا يُدْخِلُ البوابُ إلا مَنْ عَرَفْ عَبْدٌ إذا ما ناء بالحِمْلِ خَضَفْ

يقال : ناء بحمله ، إذا حمله في ثِقْلٍ وتكلُّفٍ . وفي القرآن : ما إنَّ مَفاتِحَهُ لَتنوء بالعُصْبةِ أولي القوة . والمعنى أن العصبة تنوء بالمفاتيح ، وقد

Marfat.com

مضى تفسير هذا (وتقول العرب حَبَحَ الرجلُ وحَبَقَ وخضَفَ وَرَدَمَ . كلُّ ذلك إذا ضَرَطَ) فلامهم المهلَّب ، وقالمنبئسما قلتم ، واللهِ ما فَرُّوا ولا جَبُنوا ولكنهم خالفوا أميرهم : أفلا تذكرون فِراركم يوم دُولابَ وفراركم بدارِسَ عن عثمان وفراركم عني . وَوَجَّهَ الحجاج البَراء بن قَبيصةَ إلى المهلَّب يَستَحِثُهُ في مُناجزة القوم وكتب إليـــه : انك لتحب بقاءهم لتأكل بهم . فقال المهلَّبُ لأصحابه : حَرِّكوهم ، فخرج فرسان من أصحابـــه إليهم ، فخرج إليهم من الخوارج جَمْعٌ فاقتتلوا الى الليل ، فقـال لهم الخوارج : أَما تَمَلُّون ؟ فقالوا : لا ، حتى تَمَلُّوا . قالوا : فمن أنتم ؟ قالوا تميم ، قـالت الخوارجُ : ونحن بنو تميم . فلما أمسَوْا افترقوا فلما كان الغد خرج عشرة من أصحاب المهلب ، وخرج اليهم عشرة من الخوارج ، فأحفر كل واحد منهم حفيرة وأثبت قدمه فيها ، فكلَّما قُتِلَ رجلٌ جـــاء رجل من أصحابه فاجْتَرَّهُ ووقف مكانه حتى أعتموا فقال لهم الخوارجُ : ارجعوا ، فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم من أنتم ؟ فقالوا تميم ! قالوا : ونحن تميم . فرجع البَراء بن قَبيصةَ الى الحجاج فقال له : مَهْ ؟ قال : رأيت قوماً لا يُعينُ عليهم إلا اللهُ وكتب اليه المهلبُ اني منتظر بهم إحدى ثلاثٍ موتٌ ذريعٌ أو جوع مُضِرٌّ أو اختـــلاف من أهوائهم . وكان المهلبُ لا يَتَّكِلُ في الحراسة على أحدٍ بل كان يتولى ذلك بنفسه ، ويستعين بولده وبمن يَحُلُّ محلَّهم في الثقة عنده ، وقال أبو حَرْمَلةَ العَبْديُّ يهجو المهلب :

عدمتُـــكَ يا مُهَلَّبُ من أمير اما تَندَى يمينُـــكَ للفقير
بدُولابٍ أضعتَ دمـــاء قومٍ وطِرْتَ على مُواشكةٍ دَرور

Marfat.com

فقال المهلب : ويحك ! والله إني لأُقِيكُمْ بنفسي وولدي ، قـال : جعلني الله فِداءَ الامير ، فذاك الذي نَكْرَهُ منكَ ، ما كلنا يحب الموت ، قال : ويحك ! وهل عنه مَحيصٌ . قال : لا ولكنا نكره التعجيل وأنت تُقْدِمُ عليه إقْداماً . قال المهلب : أما سمعت قول الكَلْحِيةِ اليَرْبوعي :

فقلتُ لكأسِ أَلْجِميها فإنمـــا نَزَلْنا الكَثيبَ من زَرودَ لِنَفْزَعا

قال : بلى ! والله قد سمعته ، ولكن قولي أَحبُّ إليَّ منه :

فلما وقفتم عُدْوةً وعَدُوَّكُمْ الى مُهْجتي وَلَّيْتُ أعداءَكم ظَهْري

وطِرْتُ ولم أَحفِلْ مَقالةَ عاجز يُساقى المَنايا بالرُّدَيْنِيَّـةِ السُّمْرِ

فقال المهلب : بئس حَشْوُ الكَتيبة والله أنتَ ، فإن شئتَ أذنتُ لكَ فانصرفتَ الى أهلك ، فقال : بل أقيم معك أيها الأمير ، فوهبَ له المهلَّبُ وأعطاه ، فقال يمدحه :

يَرَى حتماً عليـــه أبو سَعيدٍ جِـــلادَ القومِ في أُولى النَفير

إذا نادى الشُراةُ أبـــا سَعيدٍ مَشَى في رَفْـــلِ مُحْكَمةِ القَتير

الرفل : الذيل . وقـــال المهلَّب : ما يسرني أن في عسكري ألف شجاع بدلَ بَيْهَسِ بن صُهَيْبٍ ، فيقال له : أيها الأمير بيهس ليس بشجاع ، فيقول : أَجَلْ ، ولكنه سَديدُ الرأي مُحْكَمُ العقل وذو الرأي حَذِرٌ سَؤول فأنا آمَنُ ان يُغْتَفَلَ فلو كان مكانه ألفُ شجاع ، قلت : انهم يَتْشامونَ حتى يُحْتاجَ إليهم . ومطرت السماء ليلة مطراً شديداً ، وهم بسابورَ وبين المهلَّب وبين الشُراةُ عَقبةٌ . فقال المهلَّب : من يكفينا هذه العقبةَ الليلةَ ؟ فلم يقم أحد ، فلبس المهلَّبُ سِلاحه وقام إلى العقبة ، واتبعه ابنه المغيرة ،

Marfat.com

فقال رجل من أصحابه يقال له عبدالله : دعانا الامير إلى ضبط العقبـــة ، والحظ في ذلك لنا فلم نُطِعْهُ ، فلبس سلاحه . واتبعه جماعة من أهـــل العسكر فصاروا اليه، فإذا المهلب والمُغيرةُ لا ثالثَ لهما ، فقالوا : انصرف أيها الأمير فنحن نكفيك إن شاء الله . فلما أصبحوا إذا بالشُراة على العقبة فخرج اليهم غلام من أهل عُمانَ على فرس ، فجعل يَحْمِلُ وفرسه يَزْلَقُ ، وتلقّاه مُدْرِكُ بن المهلب في جماعة معه حتى ردَّهم . فلما كان يومُ النَحْرِ والمهلبُ على المنبر يخطب الناس إذا الشراة قد تَألَّبُوا ، فقال المهلب: سبحانَ اللهِ ! أفي مثل هذا اليوم ! يا مُغيرةُ اكفِنيهم . فخرج اليهم المغيرةُ بن المهلب وأمامه سَعْدُ بن نَجْد القُرْدوسيُّ ، وكان سعد شجاعاً متقدماً في شجاعته ، وكان المهلّب إذا ظَنَّ برجل أن نفسه قدأعجبتْه قال له : لو كنتَ سعدَ بن نجد القُرْدوسيَّ ما عَدَا (وقُرْدوسٌ من الأزْدِ) . فخرج أمامَ المغيرة ، وتبع المغـــيرةَ جماعةٌ من فرسان المهلَّب فالتقوا وأمامَ الخوارج غلامٌ جامعُ السلاح مَديدُ القامة ، كريهُ الوجه ، شديد الحَمْلةِ صحيح الفُروسيةِ . فأقبل يحمل على الناس وهو يقول :

نحن صَبَحْناكُمْ غَـداةَ النحر بالخيل أمثالِ الوَشيج تَجْرِي

فخرج اليه سعد بن نجد القردوسي من الأزد ، ثم تجاولا ساعة فطعنه سعد فقتله . والتقى الناسُ فَصُرِعَ يومئذ المغيرةُ ، فحامى عليه سعدُ بن نجد وذُبيانُ السِخْتيانيُّ وجماعةٌ من الفُرْسانِ حتى ركب . وانكشف الناس عند سَقْطةِ المُغيرةُ حتى صاروا الى أبيه المهلَّبِ ، فقالوا : قُتِلَ المغيرة ، ثم أتاه ذُبيانُ السختياني فأخبره بسلامته فأعتقَ كلَّ مملوك كان بحضرته . ووجه

Marfat.com

الحجاج الجرّاحَ بن عبدالله الى المهلب يستبطئه في مُناجزة القوم ، وكتبَ اليه : أما بعد ، فإنك جَبَيْتَ الخراج بالعِلَلِ وتحصنت بالخنادق ، وطاوَلْتَ القوم ، وأنت أعزُّ ناصراً وأكثر عدداً وما أظن بك مع هـــذا معصيةً ولا جُبْناً ولكنك اتخذتَ أُكْلاً وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم فناجِزْهُمْ وإلا أنكرتَني والسلام . فقال المهلب للجرّاح : يا أبا عُقْبةَ والله ما تركتُ حيلة إلا احتَلْتُها ولا مكيدة ألا أعملتُها وما العَجَبُ من إبطاء النصر ، وتَراخي الظَفَر ولكنَّ العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يُبْصِرُهُ ، ثم ناهضهم ثلاثة أيام يُغاديهم القتال ، ولا يزالون كذلك الى العصر ويصرف أصحابه وبهم قَرْحٌ وقَتْلٌ ، فقـــال له : قد أعْذَرْتَ فكتب المهلب الى الحجاج : أتاني كتابك تستبطئني في لقاء القوم على أنك لا تظن بي معصية ولا جبنا وقد عاتبتني معاتبة الجبان ، وأوعدتني وَعيد العاصي فاسأل الجرّاحَ والسلام . فقال الحجاج للجراح : كيف رأيتَ أخاك ؟ قال : والله ما رأيتُ ايها الأمير مثله قَطُّ ولا ظننت أن أحداً يبقى على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدتُ أصحابه أياماً ثلاثةً يغدون الى الحرب ، ثم ينصرفون عنها وهم بها يتطـاعنون بالرماح ، ويتجالدون بالسيوف ، ويتخابطون بالعَمَدِ ، ثم يروحون كأن لم يصنعوا شيئاً رواحَ قومٍ تلك عادتُهم وتجارتهم . فقال الحجاج : لَشَدَّ مَا مدحتَهُ أبا عُقْبةَ ، قال : الحقُّ أوْلَى . وكانت رُكُبُ الناسِ قديما من الخشب فكان الرجلُ يُضْرَبُ رِكابُهُ فينقطـــع ، فإذا أراد الضرب أو الطعن لم يكن له معتمدٌ ، فأمر المهلّبُ

Marfat.com

فَضُرِبَتِ الرُّكُبُ من الحديد ، وهو أول من أمر بطبعهـــا ، ففي ذلك يقول عِمْرانُ بن عِصامٍ العُنَزِيُّ :

ضربوا الدراهم في إمارتهـــم وضربتَ للحَدَثانِ والحرب
حلَقا تُرَى منهـــا مَرَافقُهم كَمناكب الجَمّالةِ الجُـــرْبِ

وكتب الحجاج الى عَتّاب بن وَرْقـاء الرياحيّ من بني رِياحِ بن يربوع بن حَنْظَلَةَ ، وهو والي أصبهان يأمره بالمسير إلى المهلَّب ، وأن يضم اليه جُنْدَ عبدِ الرحمن بن مِخْنَفٍ فكل بلد تدخلانه من فتوح أهـــل البصرة فالمهلّب أمير الجماعة فيه ، وأنتَ على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلداً فَتْحُهُ لأهل الكوفة ، فأنت أمير الجماعة والمهلّب على أهل البصرة ، فقدم عتّاب في إحدى جُمادَيَيْنِ من سنة ست وسبعين على المهلّب وهو بسابورَ ، وهي من فتوح أهل البصرة ، فكان المهلبُ أمير الناسِ وعتابٌ على أصحاب ابن مِخنفٍ ، والخوارجُ في أيديهمِ كَرْمـــانُ ، وهم بازاء المهلب بفارسَ يحاربونه من جميع النواحي . فَوَجَّهَ الحجاجُ الى المهلب رجلين يَسْتَحِثَّانِـــهِ مُناجَزَةَ القوم : أحدهما يقـــال له زِيادُ بن عبد الرحمن من بني صعصعة ، والآخر من آل أبي عقيل جد الحجاج فضم زياداً الى ابنـه حَبيبٍ وضم الثَقَفيُّ الى يزيـــد ابنه ، وقال لهما خُذَا يزيد وحبيبا بالمناجزة فغادَوْا الخوارجَ فاقتتلوا أشدَّ قتال ، فَقُتِلَ زِيادُ بن عبد الرحمن وفُقِدَ الثقفيُّ . ثم باكروهم في اليوم الثاني ، وقد وُجِدَ الثقفيُّ فدعا به المهلب ودعا بالغدَاء فجعل النَبْلُ يقع قريباً منهم والثقفيّ يعجب من أمر المهلب ، فقال الصَلَتـــانُ العبـــديُّ :

Marfat.com

ألا يا أصبحاني قَبْلَ عَوْقِ العَوائق وقبل اختراطِ القوم مثلَ العقائق
غداة حَبيبٌ في الحديـــد يقودُنا نَخوضُ المنايا في ظِلال الخوافق
حَرونٌ إذا ما الحربُ طارَ شرارُها وهاجَ عَجاجُ الحرب فوق البَوارق
فمَنْ مُبْلِغُ الحجـــاجَ أن أمينه زياداً أطاحتْـــه رِماحُ الازارق

قوله : وقبل اختراط القوم مثل العقائق ، يعني السيوف ، والعقائق جمع عقيقة يقال سيف كأنه عقيقة بَرْق ، أي كأنه لمعَةُ برق. ويقال انعـــقَّ البرق اذا تبسم . وللعقيقة مواضع ، يقال : فلان بعقيقة الصِبَى أي بالشَعَرِ الذي وُلِدَ به لم يحلقه ، ويقال : عققت الشيء إن قطعته ، ومِن ذا فلان يَعُقُّ أبويه . وكذا عققتُ عن الصبي إذا ذبحتَ عنه ، وقال أعرابي :

ألم تَعْلَمِي يا دارَ بَلْجـــاء أنني إذا أجدَبتْ أو كان خِصْباً جَنابُها
أحبُّ بلادِ الله ما بين مُشْرِفٍ اليَّ وسَلْمَى أن يَصوبَ سَحابُها
بـــلادٌ بها عَقَّ الشبابُ تَميمتي وأولُ أرضٍ مَسَّ جلْدي تُرابُها

فلم يزل عَتّابُ بن وَرْقاء مع المهلَّب ثمانية أشهر حتى ظهر شبيب ، فكتب الحجاج إلى عتّاب يأمره بالمصير إليه ليوجهه إلى شَبيب ، وكتب إلى المهلَّب بأن يَرْزُقَ الجُنْدَ ، فرزق المهلَّبُ أهل البصرة ، وأبى أن يرزق أهل الكوفة . فقال له عتّاب : ما أنا ببارح حتى ترزق أهل الكوفة ، فأبى ، فجرتْ بينهما غِلْظَةٌ ، فقال عتّاب : قد كان يبلغني انك شجاع فرأيتك جَباناً ، وكان يبلغني إنك جواد فرأيتك بخيلاً . فقال له المهلَّب : يا ابن اللَخْناء ! فقال له عتّابٌ : لكنك مُعَمٌّ مُخَوَّلٌ ، فغضبتْ بَكْرُ بن وائل للمهلَّب لِلْحِلْفِ ، ووثب ابن نُعَيْمِ بن هُبَيْرَةَ بن أخي مَصْقَلةَ على عتّاب فشتمه . وقد كان

Marfat.com

كارهاً للحِلْفِ ، فلما رأى نُصْرةَ بكر بن وائل له سرّه الحِلْفُ واغتبط به ولم يزل يؤكده ، فغضبت تميمُ البصرةِ لعتّاب ، وغضبت أزْدُ الكوفـــة لِلمهلَّب . فلما رأى ذلك المغيرةُ بن المهلب ، مشى بين أبيه وبين عتّاب ، فقال لعتّاب : يا أبا ورقاء ! ان الأمير يصير لك الى كل ما تحب . وسأل أباه أن يرزق أهل الكوفة ، فأجابه ، فَصَلَحَ الأمرُ ، فكانت تميم قاطبة وعَتَّاب بن ورقاء يَحْمدونَ المُغيرة بن المهلَّب ، وقال عتَّاب : اني لأعرف فضله على أبيه . وقال رجل من الازد من بني إيادِ بن سُودٍ :

ألا أبْلِغْ بني وَرْقاء بني عنا فلولا أننا كنا غِضابا
على الشيخ المهلَّب إذ جفانا لَلاقَتْ خيلُكم منا ضِرابا

وكان المهلَّب يقول لبنيه : لا تَبْدؤوهم بقتـــال حتى يبدؤوكم فيَبْغوا عليكم ، فإنهم إذا بَغَوْا نُصِرْتم عليهم . فَشَخَصَ عَتَّابُ بن وَرْقـــاء إلى الحجاج في سنة سبع وسبعين ، فوجهه إلى شَبيب . فقتله شَبيبٌ ، وأقام على حربهم . فلما انقضى من مُقامِهِ ثمانية عشر شهراً اختلفوا ، وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حداداً من الازارقة كان يعمل نِصالاً مسمومة فيُرْمَى بها أصحابُ المهلَّب ، فرُفع ذلك إلى المهلَّب ، فقال : أنا اكفيكموه إن شاء الله ، فَوَجَّهَ رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطَرِيٍّ فقال : ألْقِ هذا الكتاب في عسكر قطريّ ، واحْذَرْ على نفسك ، وكان الحدّاد يقال له أبْرَى . فمضى الرسول ، وكان في الكتاب : أما بعد ، فان نِصالكَ قد وصلتْ إليَّ ، وقد وجهتُ إليك بألف درهم فاقْبِضْها وزِدْنا من هذه النصال . فوقع الكتابُ والدراهمُ إلى قطريّ ، فدعا بأبْرَى ، فقال ،

Marfat.com

ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ! قال : فهذه الدراهم ؟ قال : ما أعلم عِلْمَها ، فأمر به ، فَقُتِلَ فجاءه عبدُ رَبِّهِ الصغيرُ مَوْلَى بني قيس بن ثَعْلَبة ، فقال له : أقتلتَ رجلا على غير ثقة ولا تَبَيُّنٍ ؟ فقال له : ما حالُ هـذه الدراهم ؟ قال : يجوز أن يكون أمرُها كَذِبا ، ويجوز أن يكون حقاً ، فقال له قطريٌّ : قَتْلُ رجُلٍ في صلاح الناس غير مُنْكَرٍ ، وللامام أن يحكم بما رآه صلاحاً وليس للرعية أن تعترض عليه. فَتَنَكَّرَ له عبدُ رَبِّهِ في جماعة ولم يفارقوه ، فبلغ ذلك المهلَّبَ ، فَدَسَّ إليه رجلا نصرانياً ، فقال له : إذا رأيتَ قطرياً فاسجدْ له ، فإذا نهاك فقل إنما سجدتُ لكَ . ففعل النصراني ، فقال له قطري : إنما السجودُ لله ، فقال : ما سجدت إلا لك ، فقال له رجل من الخوارج : قد عَبَدَكَ من دون الله ، وتلا : إنكم وما تعبدون من دون الله حَطَبُ جهنم أنتم لها واردون . فقال قطري : ان هؤلاء النصاري قد عَبدُوا عيسَى بن مريم ، فما ضَرَّ ذلك عيسى شيئاً . فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله ، فأنكر ذلك عليه . وقال : أقتلتَ ذِمِّيًّا ! فاختلفت الكلمة ، فبلغ ذلك المهلبَ ، فَوَجَّهَ إليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به إليه . فأتاهم الرجل ، فقال : أرأيتم رجلين خرجا مهاجرَين إليكم فمات أحدُهما في الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه ، فلم يُجِزِ المِحْنَةَ ما تقولون فيهما ؟ فقال بعضهم : أما الميتُ فمؤمن من أهل الجنة ، وأما الآخر الذي لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها ، وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يُجيزا المِحْنَةَ . فكثر الاختلاف ، فخرج قطري إلى حدودِ اصْطَخْرَ ، فأقام شهراً والقوم في اختلافهم ، ثم أقبل فقال لهم صالح

Marfat.com

ابن مِخْراقٍ : يا قوم ، إنكم قد أقررتم أعْيُنَ عدوّكم وأطمعتموهم فيكم لما ظهر من اختلافكم فعودوا إلى سلامةِ القلوب واجتماعِ الكلمة . وخرج عمروُ القَنَا فنادَى : يا أيها المحِلُّون هل لكم في الطِراد فقد طال العهد بهِ ثم قال :

ألم تر أنّا مذ ثلاثون ليلةً قَريبٌ وأعداءُ الكتابِ على خَفْض

فَتَهايَجَ القومُ وأسرع بعضهم الى بعض، فأبْلَى يومئذ المغيرةُ بن المهلب وصار في وسط الأزارقة ، فجعلت الرماح تَحُطُّهُ وترفعه واعْتَوَرَتْ رأسَه السُيوفُ ، وعليه ساعدُ حديد فوضع يده على رأسه فجعلت السيوف لا تعمل فيه شيئاً واستنقذه فُرْسانٌ من الأزد بعد أن صُرِعَ ، وكان صرعه عَبيدةُ بن هلالٍ وهو يقول :

أنا ابن خَيْرِ قومِهِ هِلالِ شيخٍ على دين أبي بِلال

(وذاكَ دِيني آخرَ الليالي)

فقال رجل للمغيرة : كنا نَعْجَبُ كيف تُصْرَعُ والآن نعجب كيف تنجو ! وقال المهلب لبنيه : ان سَرْحكم لَغارٌ ولست آمَنُهم عليه ، أفوَكَّلْتُم به أحداً ؟ قالوا : لا ، فلم يستتم الكلامَ حتى أتاه آتٍ فقال : إن صالح بن مِخْراقٍ قد أغار على السَرْحِ ، فشق ذلك على المهلب ، وقال : كلُّ أمر لا أَلِيهِ بنفسي فهو ضائع ، وتَذَمَّرَ عليهم . فقال له بُشْرُ بن المغيرم : أرِحْ نفسك فإن كنتَ إنما تريد مثلك فوالله لا يَعْدِلُ أحدُنا شِسْعَ نعلك ، فقال : خذوا عليهم الطريقَ . فثار بِشْرُ بن المغيرة ومُدْرِكٌ والمُفَضَّلُ ابنا المهلَّب فسبق بشرٌ الى الطريق فإذا رجل أسودُ من الأزارقة يَشُلُّ السَرْح أي يطرده

Marfat.com

وهو يقول :

نحن قَمَعْناكُمْ بِشَـلْ السَرْحِ وقد نَكَأنا القَرْحَ بعد القَرْحِ

الشَلُّ الطَرْدُ ويقال : نَكَأْتُ القرحةَ مهموز ، ونَكَيْتُ العدوَّ غير مهموزمن النكاية ، ونكأت القَرحةَ نَكَأ قال ابن هَرْمَةَ :

ولا أَراهـــا تَزالُ ظالمـــةً تُحْدِثُ لي قرحة وتَنْكَؤُهـــا

ولحقه المفضّل ومدرِك فصاحا برجل من طيّءٍ : أكْفِنا الأسودَ ، فاعتوره الطائيُّ وبشر بن المغيرة فقتلاه وأَسرَا رجلاً من الأزارقة ، فقال له المهلب: ممن الرجل ؟ قال : رجل من هَمْدانَ ! قال: إنك لَشَيْنُ هَمْـدانَ ، وخَلَّى سبيله . وكان عَيّاشٌ الكِنْديّ شجاعاً بئيساً فأُبْلِيَ يومئذ ثم مات على فراشه بعد ذلك ، فقال المهلب : لا وَأَلَتْ نفسُ الجبان بعـــد عياش . وقال المهلّب : ما رأيت كهؤلاء كلما يُنْقَصُ منهم يَزيدُ فيهم . ووجه الحجاجُ الى المهلّب رجلين أحدهما من كَلْبٍ والآخر من سُلَيْمٍ يستحثّانه بالقتال . فقال المهلبُ متمثلاً :

ومُسْتَعْجِبٍ ممـــا يرى من أناتنا ولو زَبَنَتْهُ الحربُ لم يتَرَمْرَمِ

الشعر لأوس بن حَجَرٍ . وقوله زبنته ، يقول : دفعته ، ولم يترمرم أي لم يتحرك ، يقال قيل له كذا وكذا فما ترمرم . وقال ليزيد : حرِّكهم، فحركهم فتهايجوا ، وذلك في قرية من قرى اصْطَخْرَ ، فحمـــل رجل من أصحاب المهلّب ، فطعنه فَشَكَّ فَخِذَهُ بالسرج ، فقال المهلب للسُلَميِّ والكلبي : كيف نقاتل قوماً هذا طَعْنُهم ؟ وحمل يزيد عليهم وقد جاء الرُقَـادُ ، وهو من فرسان المهلّب ، وهو أحد بني مالك بن ربيعة ــ على فرس له أدْهَمَ وبه

Marfat.com

نيف وعشرون جِراحةً ، وقد وضع عليها القطن ، فلما حَمَلَ يَزيدُ ولّى الجمعُ وحماهم فارسان ، فقال يزيد لقيس الُخشَنِيِّ مَوْلَى العَتيك : مَن لهذين ؟ قال : أنا ، فَحَمَلَ عليهما فعطف عليه أحدهما فطعنه قيس الخشني فصرعه ، وحمل عليه الآخر فعانقة فسقطا جميعاً إلى الأرض ، فصاح قيس الخشني : اقتلونا جميعاً ، فحملتْ خيلُ هؤلاء وخيل هؤلاء فحجزوا بينهما فإذا معانِقُهُ امرأة ، فقام قيس مستحييا ، فقال له يزيد : أما أنت فبارَزْتَها على أنها رجل ، فقال : أرأيت لو قُتِلْتُ ! أما كان يقال قَتَلَتْهُ إمرأة ! وأبلَى يومئذ ابن الُمنْجِبِ السَدوسيُّ ، فقال له غلام له يقال له خِلاجٌ . والله لوددنا أنا فَضَضْنا عسكرهم حتى أصيرَ الى مُستقرهم فأستَلِبَ مما هناك جاريتين ، فقال له مولاه : وكيف تمنّيتَ اثنتين ؟ قال : لاعطيك احداهما وآخذ الاخرى . فقال ابن المنجِبِ :

أخِلاجُ انك لن تعانق طَفْلة ... شَرِقاً بها الجاديُّ كالتمثال
حتى تُلاقِيَ في الكَتيبة مُعْلِما ... عَمْرَو القَنا وعَبيدةَ بن هِلال
وتَرَى الُمقَعْطَرَ في الكَتيبة مُقْدِماً ... في عُصْبةٍ قَسَطُوا مَعَ الضُلّالِ
أو أن يُعَلِّمك المهلبُ غَزوةً ... وتَرَى جِبالا قد دَنَتْ لجبال

قوله : طَفْلة يقول ناعمة ، وإذا كسرتَ الطاء فقلت طِفلةٌ فهي الصغيرة . والجاديُّ : الزعفران ، والكتيبة ، الجيش . وإنما سُمي الجيشُ كتيبةً لانضمام أهله بعضهم الى بعض ، وبهذا سمي الكتابُ . ومنه قولهم : كَتَبْتُ البغلةَ والناقةَ ، وكَتَبْتُ القِربةَ إذا خرزتَ ذلك الموضع منها . والُمعْلَمُ الذي قد شَهَرَ نفسه بعلامة ، إما بعمامة صَبيغٍ وإما بُمشْهَرةٍ وأما بغير ذلك .

Marfat.com

وكان حمزة بن عبد المطلب رضوانُ الله عليه مُعْلِماً يوم بدر بريشةِ نعامةٍ في صدره ، وكان أبو دُجانةَ وهو سماك بن خَرَشَةَ الأنصاريُّ يوم أحد لما قال رسول الله ﷺ : من يأخذ سيفي هذا بحقه ؟ قالوا : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن يُضْرَبَ به العدوّ حتى يَنْحَنِيَ ، فقال أبو دجانة : أنا . فدفعه اليه ، فلبس مُشَهَّرةً فأعْلَمَ بها ، وكان قومه يعلمون لِما بَلَوْا منه أنه إذا لبس تلك المشهرةَ لم يُبْقِ في نفسه غايةً ، ففعل ، وخرج يمشي بين الصفين ، فقال رسول الله ﷺ : انها لَمِشْيةٌ يُبْغِضُها اللهُ عز وجل إلا في مثل هذا الموضع . ويروى أن رسول الله ﷺ سمع علياً صلوات الله عليه يقول لفاطمة ، ورمى اليها بسيفه ، فقال : هاكِ حَميداً فاغسلي عنه الدم ، فقال رسول الله ﷺ : لئن كنتَ صدقتَ القتالَ اليوم لقد صَدَقَهُ معكِ سماكُ ابن خَرَشَه وسَهْلُ بن حُنَيْفٍ والحرث بن الصِمَّةِ . وفي بعض الحديث ، وقَيْسُ بن الرَبيع وكل هؤلاء من الانصار . عاد الحديث الى ذكر الخوارج . وعَمْرُو القَنا من بني سعد بن زيد مَناة بن تميم ، وعُبيدة ابن هلال من بني يَشْكُرَ بن بكر بن وائل ، والذي طعن صاحبَ المهلب في فخذه فشكّها مع السرج من بني تميم ، قال: ولا أدري أعمرو هو أم غيره ، والمقعطر من عبد القيس . وقوله : قسطوا ، أي جاروا ، يقال : قَسَطَ يَقْسط ، فهو قاسط إذا جارَ ، قال الله جل ثناؤه : وأما القاسطون فكانوا لجهنم حَطَبا . ويقال : أقْسَطَ يُقْسِطُ ، فهو مُقْسِطٌ إذا عدل . قال اللهُ تعالى : إن الله يحب المُقْسِطينَ . وكان بَدْرُ بن الهُذَيْلِ شجاعاً ، وكان لَحّانَةً فكان إذا أحس بالخوارج نادى : يا خَيْل الله اركبي . وله يقول القائلُ :

Marfat.com

وإذا طَلَبْتَ الى المهلّب حاجـــةً عَرَضَتْ توابعُ دونه وعَبيدُ
العبدُ كُرْدُوسٌ وعَبْدٌ مِثْـلُهُ وعلاجُ باب الأحمرينَ شديـدُ

كردوس رجل من الأزد ، وكان حاجب المهلّب . وقوله : وعلاج باب الأحمرَين شديد، العرب تسمى العجم الحمراء ، وقـــد مر تفسير ذا . وله : توابع ، أراد به الرجال فجاز في الشعر ، وإنما رده الى أصله للضرورة ، وما كان من النعوت على فاعل ، فجمعهُ فاعلون، لئلا يلتبس بجمع فاعـــلة التي هي نعت. وقد قلنا في هـــذا : ولم ؟ قالوا : فَوارسُ وهالك في الهوالك . وكان بشر بن المغيرة أبْلَى يومئذ بلاء حسنا عُرِفَ مكانُهُ فيه ، وكانت بينـه وبين بني المهلّب جَفْوةٌ ، فقال لهم : يا بني عَمٍّ اني قد قَصَّرت عن شَكاة العاتِب وجاوَزْتُ شَكاةَ المستعتِب حتى كأني لا مَوْصولٌ ولا مَحْـــرومٌ فاجعلوا لي فُرْجةً أعِشْ بها وَهبوني أمرأً رجوتم نصره أو خفتم لسانه ، فرجعوا له ووصلوه وكلموا فيه المهلب فوصله . وَوَلّى الحجـــاجُ كَرْدَماً فارس ، فوجهه الحجاج اليها والحرب قائمـــة ، فقال رجل من أصحاب المهلب :

ولو رآها كَرْدَمٌ لكَرْدَمـــا كَرْدمةَ العَيْرِ أحسَّ الضَيْغَما

الضيغمُ : الاسدُ ، والكردمة : النمور ، فكتب المهلّب الى الحجاج يسأله أن يتجافى له عنِ اصطَخْرَ ودَرَا بِجَرْدَ لأرزاق الجند ، ففعـــل . وكان قَطَريٌّ هدم مدينة اصطخر لان أهلها كانوا يكاتبون المهلب بأخباره ، وأراد مثل ذلك بمدينة فَسَا فاشتراها منه آزاذْ مَرْدُ بن الهِرْبِذِ بمائـة ألف درهم ، فلم يهدمها فواقعه المهلبُ فهزمه ونفاه الى كرمان، وأتبعه ابنَه المغيرة ،

Marfat.com

وقد كان دفع اليه سيفاً وَجَّهَ به الحجاجُ الى المهلب ، وأقسم عليه أن يتقلده فدفعه الى المغيرة بعدما تقلد بـه ، فرجع به المغيرةُ اليه وقد دَمَّاه ، فَسُرَّ المهلَّبُ بذلك، وقال : ما يسرني أن أكون كنتُ دفعته الى غيرك من ولدي، أكفني جِبايةَ خراج هاتين الكُورَتَيْنِ . وضم اليه الرُّقادَ ، فجعلا يَجْبيانِ ولا يُعْطيانِ الجُنْدَ شيئاً . ففي ذلك يقول رجل منهم وأحسبه من بني تمـــيم في كلمة له :

ولو عـــلم ابن يوسف ما نُلاقي من الآفات والكُرَب الشِداد
لفاضتْ عينُهُ جَزَعـــاً علينا وأصْلَحَ ما استطاع من الفساد
ألا قُلْ للامير جُزيتَ خيراً أرِحْنا من مُغيرةَ والرُقاد
فما رَزقا الجنودَ بهـــا قَفيزاً وقد ساسَتْ مَطاميرُ الحصاد

يقال : ساسَ الطعـــامُ وأساس ، إذا وقـــع فيه السوس . ودَادَ وأدادَ من الدود . وروى أبو زيد دِيدَ فهو مَدودٌ في هذا المعنى. فحاربهم المهلَّب بالسِبرَجانِ حتى نفاهم عنها الى جِيرُفتَ ، واتَّبعهم فنزل قريباً منهم . واختلفت كلمتهم ، وكان سببُ ذلك أن عَبيدةَ بن هلال اليَشْكُرِيَّ اتُّهِمَ بامرأة رجل حدّاد رأوه مراراً يدخل منزله بغير اذنٍ ، فأتَوا قطريا فـذكروا ذلك له ، فقـــال لهم : ان عَبيدةَ من الدين بحيث علمتم ، ومن الجهاد بحيث رأيتم ، فقالوا : أنا لا نُقارُّه على الفاحشة، فقال: انصرفوا ، ثم بَعَثَ الى عبيدة فأخبره ، وقال : أنا لا نُقارُّ على الفاحشة، فقال : بَهَتوني يا أمير المؤمنين فما تَرَى ، قال : إني جامِعٌ بينك وبينهم فـــلا تَخْضَعْ خُضوع المُـــذْنِبِ ، ولا تَتَطاوَلْ تَطاوُلَ البَريء . فَجَمَعَ بينهم فتكلموا ،

Marfat.com

فقام عبيدة ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، إن الذين جاؤا بالإفْـــكِ عُصْبَةٌ منكم لا تَحْسِبوهُ شَرّاً لكم بل هو خير لكم الآيات . فبكوا وقاموا اليه فاعتنقوه ، وقالوا : اسْتَغْفِرْ لنا ، ففعل ، فقال لهم عبدُ رَبِّه الصغيرُ مولى بني قيس بن ثعلبة : والله لقد خدَعكم فبايـــع عبدَ ربه منهم ناسٌ كثير لم يُظْهروا ولم يَجِدُوا على عَبيدةَ في إقامة الحدِّ ثَبَتا . وكان قطري قـــد استعمل رجلاً من الدّهاقين ، فظهرت له أموالٌ كثيرة فأتوا قطريا ، فقالوا : إن عمر بن الخطاب لم يكن يُقارُّ عُمّالَهُ على مثل هذا ، فقال قطري : إني استعملته وله ضياع وتجارات . فأوْغَرَ ذلك صدورهم وبلغ ذلك المهلَّب ، فقال : إن اختلافهم أشد عليهم مني . وقالوا لقطريٍّ : ألا تَخْرُجُ بنا إلى عدونا ، فقال : لا . ثم خرج . فقالوا : قد كَذَبَ وارتد فاتبعوه يوماً ، فأَحسَّ بالشر ، فدخل داره جماعة من أصحابه ، فصاحوا به : يا دابَّـــةُ ! أخرج الينا فخرج اليهم ، فقال : رجعتم بعدي كُفّاراً ؟ فقالوا : أولستَ دابة ؟ قال الله عز وجل : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . ولكنك قد كفرتَ بقولك إنا قد رجعنا كفّاراً فَتُبْ الى الله عز وجل . فشاور عَبيدةَ ، فقال : إن تُبْتَ لم يقبلوا منك ولكن قل إنما استفهمتُ . فقلت : أرجعتم بعدي كفاراً ! فقال ذلك لهم ، فقبلوه منه ، فرجع الى منزله وعزم أن يبايع المُقَعْطَرَ العبديَّ فكرهه القوم وأبوه ، فقال له صالح بن مِخْراقٍ عنه وعن القوم : أَبْغِ لنا غير المقعطر ، فقال قطري : أرى طولَ العهد قد غَيَّرَكُمْ وأنتم بصَدَدِ عدوكم فاتقوا الله وأقبِلوا على شأنكم واستعدّوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن مخراق : إن الناس قبلنـــا ساموا عثمان بن

Marfat.com

عفان أن يَعْزِلَ عنهم سعيد بن العاصي ، ففعل ، ويجب على الإمام أن يُعفِي الرعية مما كرهتْ فأبى قطري أن يعزله ، فقال له القوم : إنا خلعناك وولّينا عَبْدَ رَبِّه الصغيرَ . فانفصل الى عبد ربه أكثر من الشطر وجُلُّهُمْ من الموالي والعَجَمُ ، وكان هناك منهم ثمانيةُ آلاف ، وهم القُرّاء . ثم ندم صالح بن مخراق ، فقال القطري : هذه نَفْحَةٌ من نَفحات الشيطان فَأْعفِنا من المقعطر وسِرْ بنا إلى عدوّك ، فأبى قطريٌّ إلا المقعطر ، فَحَمَلَ فَتًى من العرب على صالح بن مخراق فطعنه فأنفذه وأَجرّه الرمح فقتله ، ومعنى أجرّه الرمح طعنه وترك الرمح فيه ، قال عَنْتَرَةُ :

وآخرَ منهمُ أَجرَرْتُ رمحي وفي البَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وقَيــــعُ

فَنَشِبَتِ الحربُ بينهم ، فتهايجوا ثم انحاز كلُّ قوم إلى صاحبهم ، فلما كان الغد اجتمعوا فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فأَجلَتْ الحرب عن ألفي قتيل . فلما كان الغد باكروهم القتالَ ، فلم ينتصف النهار حتى أخرجت العجمُ العربَ من المدينة ، وأقام عبد ربه بها وصار قطري خارجــاً من مدينة جِيرُفْتَ بإزائهم ، فقال له عَبيدة : يا أمير المؤمنين ، ان أقمتَ لم آمَنْ هذه العبيدَ عليك إلا أن تُخَنْدِقَ ، فَخَنْدَقَ على باب المدينة ، وجعل يُناوشهم . وارتحل المهلبُ فكان منهم على ليلة ، ورسول الحجاج معه يستحثه ، فقال له : أصلح الله الأمير عاجِلْهُمْ قبل أن يصطلحوا ، فقال المهلّب : انهم لن يصطلحوا ولكن دَعْهُمْ فإنهم سيصبرون الى حال لا يفلحون معها . ثم دَسَّ رجلا من أصحابه ، فقال : أيتِ عسكر قطريّ فقُل إني لم أزل أرى قطريا يُصيبُ الرأيَ حتى نزل منزله هذا ، فبــان خطؤه ، أنقيم بين المهلّب وعَبْدِ رَبِّهِ

Marfat.com

يغاديه هذا القتالَ ويُراوِحُهُ هذا ، فَنَمَا الكلامُ الى قَطَرِيٍّ فقـــال : صدق ، تَنَحَّوْا بنا عن هذا الموضع فإن اتّبعنا المهلب قاتلناه وإن أقام على عبد ربه رأيتم فيه ما تحبون ، فقال له الصَلْتُ بن مُرَّةَ : يا أمير المؤمنين إن كنت تريد اللهَ فَأْقدِمْ على القوم ، وإن كنت تريد الدنيـــا فَأَعْلِمْ أصحابك حتى يَسْتأمِنوا ، وأنشأ الصلت يقول :

قل للمحِلّينَ قد قَرَّتْ عُيونُكُمُ ... بغُرقةِ القوم والبَغْضاء والهَرَبِ
كنا أُناساً على دِينٍ فَغَـــيَّرَنا ... طولُ الجِدال وخَلْطُ الجِدِّ باللعب
ما كان أغْنَى رجالاً ضَلَّ سَعْيُهُمُ ... عن الجدال وأغناهم عن الخُطَبِ
أني لَأَهْوَنُكم في الأرض مُضْطَرَباً ... ماليَ سوى فرسي والرُمْحِ من نَشَبِ

ثم قـال : أصبح المهلَّب يرجو منا ما كنا نطمع فيـــه منه ، فارتحل قطري . وبلغ ذلك المهلَّبَ فقال لِهُرَيْمِ بن عَدِيٍّ بن أبي طَحْمَةَ المجاشعي : إني لا آمن أن يكون قطري كادَنا بترك موضعه ، فاذهبْ فَتَعَرَّفْ الخبر ، فمضى هريم في اثني عشر فارساً فلم ير في العسكر إلا عبداً وعِلْجـــاً ، فسألهما عن قطري وأصحابه ، فقالا : مَضَوْا يرتادون غير هذا المـــنزل ، فرجع هريم الى المهلَّب فأخبره ، فارتحل المهلَّب حتى نزل خنـــدق قطري ، فجعل يقاتلهم أحياناً بالغَداة وأحياناً بالعشي . ففي ذلك يقول رجـــل من سَدوسَ يقال له المُعْتِقُ وكان فارساً .

ليتَ الحرائر بالعراق شَهِدْنَنـــا ... ورأَيْنَنا بالسَفْحِ ذي الأَجْيال
فنكحن أهلَ الجزْء من فُرْساننا ... والضارِبين جَمَاجِم الأَبْطـــال

ووجّه المهلَّبُ يزيد إلى الحجاج يخبره أنه قد نزل منزلَ قطري ، وإنه

Marfat.com

مقيم على عبد ربه ، ويسأله أن يُوَجِّهَ في أثر قطري رجلاً جَلْداً في جيش ، فسَرَّ ذلك الحجاج سروراً أظْهَرهُ ، ثم كتب إلى المهلَّب يستحثه مع عُبَيْدِ بن مَوْهَبٍ ، وفي الكتاب : أما بعد ، فإنك تتراخى عن الحرب حتى يأتيك رسلي فتتراجعَ بعُذْرِك ، وذلك أنك تُمْسِكُ حتى تَبْرَأ الجِراحُ وتُنسَى القَتْلَى ويَجِمَّ الناسُ ، ثم تَلْقَاهم فتحتمل منهم مثل ما يحتملون منك من وحشة القتل وألم الجراح ، ولو كنتَ تلقاهم بذلك الجِدِّ لكان الداء قد حُسِمَ والقَرْنُ قد قُصِمَ ، ولعمري ما أنتَ والقومُ سواءٌ ، لأن من ورائكَ رجالًا وأمامكَ أموالًا ، وليس للقوم إلا ما معهم ، ولا يُدْرَكُ الوَجِيفُ بالدَبيبِ ولا الظَفَرُ بالتعذير . فقال المهلَّب لأصحابه : إن الله عز وجل قد أراحكم من أقران أربعة : قطري بن الفُجاءة وصالح بن مِخْراق وعبَيدة بن هِلال وسَعْدِ الطَلائعِ ، وإنما بين أيديكم عبدُ رَبِّهِ في خُشار من خشار الشيطان ، تقتلونهم إن شاء الله . فكانوا يَتَغادَوْنَ القتال ويتراوحون فتصيبهم الجراح ، ثم يتحاجزون كأنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه فيضحك بعضهم إلى بعض ، فقال عبيد بن مَوْهَب للمهلَّب : قد بانَ عُذْرُكَ وأنا مخبر الأميرَ ، فكتب المهلَّب إليه : أما بعد ، فإني لم أعطِ رُسلكَ على قول الحق أجراً ولم أحتجْ منهم مع المشاهدة الى تَلْقين ، ذكرتَ أني أجِمُّ القومَ ولا بد من راحة يستريح فيها الغالبُ ويحتال فيها المغلوب ، وذكرتَ أن في ذلك الجَمامِ ما يُنْسي القتلى وتبرأ منه الجراح ، وهيهات أن يُنْسى ما بيننا وبينهم . تأبى ذلك قَتْلَى لم تُجَنَّ وقروح لم تَتَقَرَّفْ ونحن والقومُ على حالةٍ ، وهم يَرْقُبونَ منا حالاتٍ إن

Marfat.com

طمعوا حاربوا وإن مَلوا وقفوا وإن يئسوا انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ونتحرّز إذا وقفوا ، ونطلب إذا هربوا ، فإن تركتني والرأيَ كان القَرْنُ مَقْصوماً ، والداءُ بإذن الله مَحْسوماً ، وإن أعجلتني لم أُطِعْكَ ولم أعصِ وجعلتُ وجهي إلى بابك ، وأنا أعوذ بالله من سَخَطِ الله ومقت الناس . ولما اشتد الحِصارُ على عبد ربه ، قال لأصحابه : لا تفتقروا إلى من ذهب عنكم من الرجال ، فإن المسلم لا يفتقر مع الاسلام إلى غيره ، والمسلم إذا صح توحيده عَزَّ بربّـــه ، وقد أراحكم الله من غِلْظَةِ قطريٍّ وعَجَلَةِ صالح بن مِخْراق ونخْوتِهِ ، واختلاطِ عَبيدةَ بن هِلالٍ ووَكَلَكُم إلى بصائركم ، فالقوا عدوّكم بصبر ونية ، وانتقلوا عن منزلكم هذا . مَنْ قُتِلَ منكم قُتِلَ شهيداً ، ومَنْ سَلِمَ من القتل فهو المحروم . وقدم في هذا الوقت على المهلّب عُبَيْدُ بن أبي ربيعة بن أبي الصَلْتِ الثَقَفِيُّ يَستَحِثُّـــه بالقتال ، ومعه أمينانِ ، فقال له : خالفتَ وصيةَ الأمير وآثرتَ المدافعةَ والمطاولَةَ ، فقال له المهلب : ما تركتُ جهداً . فلمـــا كان العشيُّ خرج الأزارقةُ ، وقد حملوا حُرَمَهُمْ وأموالهم وخِفَّ متاعِهم لينتقلوا ، فقـــال المهلّب لأصحابه : الزموا مَصَافَّكُمْ وأشرعوا رماحكم ودَعُوهم والذَهاب . فقال له عبيد : هذا لَعَمْري أيسرُ عليك ، فقال للناس : رُدُّوهم عن وِجْهتهم ، وقال لبنيه : تفرّقوا في الناس . وقال لعبيد بن أبي ربيعة : كن مع يزيد فخذه بالمحاربة أشد الأخذِ . وقال لأحد الأمينين : كن مع المغيرة ولا ترخّص له في الفُتورِ . فاقتتلوا قتـــالاً شديداً حتى عُقِرَتِ الدواب ، وصُرِعَ الفُرسانُ ، وقُتِلَتِ الرجالُ ، فجعلتِ الخوارج تقاتلُ على القدَح

Marfat.com

يؤخذ منها والسوطِ والعِلْقِ الخسيسِ أشدَّ قتال، وسقط رمح لرجل من مُرادٍ من الخوارج ، فقاتلوا عليه حتى كثر الجِراحُ والقتلُ وذلك مع المغرب ، والمرادي يقول :

الليلُ ليلٌ فيه وَيْلٌ وَيْلُ وسال بالقوم الشُراةِ السَيْلُ
إن جاز للاعداء فينا قَوْلُ

فلما عظم الخَطْبُ فيه ، بعث المهلب الى المغيرة : خَلِّ عن الرمح عليهم لعنهم الله . فخلوا لهم عنه ، ثم مضت الخوارج حتى نزلوا على أربعة فراسخ من جِيرُفتَ ودخلها المهلّبُ ، وأمر بجمع ما كان لهم من المتاع وما خلفوه من رقيق ، وخَتَمَ عليه هو والثقفيُّ والأمينان ، ثم اتبعهم فإذا هم قد نزلوا على عين لا يشرب منها الا قويّ ، يأتي الرجل بالدلو قد شَدَّها في طرف رمحه فيستقي بها . وهناك قرية فيها أهلها فغاداهم القتالَ ، وضَمَّ الثقفيُّ إلى يزيد وأحدَ الأمينَيْنِ إلى المغيرة ، واقتتل القومُ إلى نصف النهار . فقال المهلب لأبي عَلْقمةَ العبدي ، وكان شجاعاً عاتياً : أمْدِدْ بخيل اليَحْمَدِ وقل لهم ، فليعيرونا جماجمهم ساعة . فقال له : ان جماجمهم ليست بفَخّار فتُعارَ ، وليست أعناقُهم كَرادِيَ فتنبتَ (قال أبو الحسن الاخفش تقول العرب لأعْذاقِ النخل كَرادٍ وهو فارِسيٌّ أعْرِبَ) وقال لحَبيبِ بن أوْسٍ : كُرَّ على القوم فلم يفعل ، وقال :

يقول لي الأميرُ بغير عِلم تَقَدَّمْ حين جَدَّ بِه المِراسُ
فمالي إن أطعتُكَ من حياةٍ ومالِيَ غيرَ هذا الرأسِ راسُ

نصب غيرَ لانه استثناء مُقَدَّمٌ ، وقد مضى تفسيره . وقال لمَعْنِ بن

Marfat.com

المغيرة بن أبي صُفرةَ : آنْحِلْ . فقال : لا ، إلا أن تزوجني أمّ مالك، بنتَ المهلّب ، ففعل . فحمل على القوم فكشفهم وطعن فيهم ، وقال :

يحثَ مَنْ يَشتري الغَداةَ بمـــال هُلْكَهُ اليومَ عنـــدنا ألوانا
نَصِلُ الكَرَّ عنـــد ذاك بطَعْنٍ إن للموت عنـــدنا ألوانا

ثم جال الناسُ جَوْلَةً عند حَمْلة حَملَها عليهم الخوارجُ ، فالتفت عند ذلك المهلّب إلى المغيرة ، فقـال : ما فعل الأمينُ الذي كان معك ؟ قـال : قُتل . وكان الثقفيُّ قد هرب ، وقال ليزيد : ما فعلَ عُبَيْدُ بن أبي ربيعة ؟ قال : لم أره منذ كانت الجولة ، فقـال الأمينْ الآخر للمغيرة : أنت قتلتَ صاحبي . فلما كان العشيُّ رجع الثقفي ، فقال رجـل من بني عامر ابن صَعْصَعة :

ما زلتَ يا ثَقَفيُّ تخطبُ بيننـا وتَغُمُّنـا بوصيـة الحجَّـاج
حتى إذا ما الموتُ أقبل زاحِراً وسَمَـا لنا صِرْفاً بغير مـزاح
وَلّيْتَ يا ثَقَفيُّ غير مناظِـرٍ تَنْسابُ بين أحِزَّةٍ وفجـاج
ليستْ مقارعةُ الكُماة لدَى الوَغَى شربَ المُدامةِ في إناء زُجـاج

قوله بين أحِزَّةٍ هو جمع حزيزٍ ، وهو متن ينقاد من الأرض ويَغْلُظُ ، والفِجاجُ الطرقُ ، واحدها فَجّ . وقـال المهلّب للامين الآخر : ينبغي أن تتوجه مع ابني حبيب في ألف رجل حتى يُبَيِّتوا عسكرهم . فقال : ما تريد أيها الأمير الا أن تقتلني كما قتلتَ صاحبي . قال : ذاك اليك . وضحك المهلّبُ . ولم تكن للقوم خَنادقُ فكان كلٌّ حَذِراً من صاحبه ، غير أن الطعام والعُدَّةَ مع المهلّب ، وهم في زُهاء ثلاثين ألفاً . فلما أصبح أشْرَفَ

Marfat.com

على واد فإذا هو برجل معه رمح مكسور ، وقد خضبه بالدماء ، وهو ينشد :

جَزاني دَوائي ذو الخِمار وصَنْعتي إذا باتَ أطواءَ بَنيّ الأصاغرُ
أُخادِعُهم عنه لِيُغْبَقَ دونهم وأعلمُ غيرَ الظنّ أني مُغاورُ
كأني وأبدانَ السلاح عَشيةً يمرُّ بنا في بطن فَيْحانَ طائر

فدعاه المهلَّب ، فقال : أتميميّ أنت ؟ قال : نعم ! قال : أحَنْظَليّ ؟ قال : نعم ! قال : أيربوعي ؟ قال : نعم ! قال : ثعلبي ؟ قال : نعم ! قال : أمن آل نُوَيْرةَ ؟ قال : نعم ، أنا من ولد مالك بن نويرة وسبحان الله أيها الأمير ، أيكون مثلي في عسكرك لا تعرفه ؟ قال : عرفتك بالشعر . قوله : ذو الخمار ، يعني فرسا . وكان ذو الخمار فرس مالك بن نويرة ، قال جرير يهجو الفرَزْدقَ :

بيربوعٍ فخرتُ وآلِ سَعْدٍ فلا نَجْدي بَلَغْت ولا افتخاري
بيربوع فَوارسُ كلّ يوم يُوارِي شَمْسَهُ رَهَجُ الغبار
عُتَيْبةُ والأَحيْمرُ وابن عمرو وعَتّاب وفارسُ ذي الخِمار

قوله : أطواء يقال رجل طَويّ البطن أي مُنْطوٍ يخبر أنه كان يؤثر فرسه على ولده فيشبعه وهم جياع ، وذلك قوله : (أخادعهم عنه ليغبق دونهم) والغَبوق شربُ آخر النهار ، وهذا شيء تفتخر به العرب ، قال الأَشعَرُ الجُعْفيّ :

لكن قَعيدةُ بيتنا مَجْفُوّةٌ بادٍ جناجنُ صَدْرِها ولها غِنَى
تُقْفي بعيشه أهلها وثابةً أو جُرْشُعا نَهْدَ المراكِلِ والشَوَى

Marfat.com

قال : فمكثوا أياماً على غير خَنادقَ يتحارسون ودوابُّهم مُسَرجةٌ ، فلم يزالوا على ذلك حتى ضَعُفَ الفريقانِ . فلما كانت الليلةُ التي قُتِلَ في صبيحتها عبدُ ربِّهِ جمع أصحابه ، وقال : يا معشر المهاجرين ، ان قطرياً وعبيدة هربا طلبَ البقاء ، ولا سبيل اليه ، فالقوا عدوكم فإنغلبوكم على الحياة فلا يغلبُنَّكم على الموت، فتلقوا الرماح بنحوركم والسيوفَ بوجوهكم ، وهَبوا أنفسكم لله في الدنيا يهبها لكم في الآخرة . فلما أصبحوا غادوا المهلب فقاتلوه قتالاً شديداً نُسِيَ به ما كان قبله ، فقال رجـــل من الأَزْدِ من أصحاب المهلَّب : من يُبايعني على الموت ؟ فبايعه أربعونَ رجلاً من الازد وغيرهم ، فَصُرِعَ بعضُهم ، وقتل بعض ، وجُرِحَ . وقال عبد الله بن رِزامٍ الحارثي لاصحاب المهلَّب : احملوا ! فقال المهلَّب : أعرابيٌّ مجنونٌ ، وكان من أهل نَجْرانَ ، فَحَمَلَ وحده فاخترق القوم حتى نَجَمَ من ناحية أخرى ، ثم رجع ثم كَرَّ ثانية ففعـــل فَعْلتَهُ الأولى ، وتَهايَجَ الناس فَتَرَجَّلَتِ الخوارجُ وعقروا دوابهم ، فناداهم عمرو القنا ، ولم يترجل هو وأصحابه من العرب ، وكانوا زهاء أربعمائة : موتوا على ظهور دوابكم ولا تعقروها ، فقالوا : أنا إذا كنّـــا على الدواب ذكرنا الفِرار . فاقتتلوا ، ونادى المهلبُ بأصحابه: الأرضَ الأرضَ ! وقال لبنيه : تفرقوا في الناس ليروا وجوهكم ، ونادى الخوارجُ ألا أن العِيالَ لمن غلبَ ، فصبر بنو المهلب وصبر يزيدُ بين يدي أبيه ، وقاتل قتـــالاً شديداً أبْلَى فيه ، فقال له أبوه: يا بُنَيَّ ، أني أرى مَوْطناً لا ينجو فيه الا مَنْ صبر وما مرَّ بي يوم مثلُ هذا منذ مارَسْتُ الحروب . وكسرت الخوارجُ أجفانَ سيوفها وتَجاولوا ، فأجلتْ

Marfat.com

جَوْلَتُهم عن عبد ربه مقتولاً ، فهرب عمرو القنا وأصحابـــه ، واستأمن قومٌ ، وأجلَت الحرب عن أربعة آلاف قتيل وجرحى كثير من الخوارج ، فأمر المهلَّب بأن يُدْفَعَ كلُّ جريح الى عشيرته ، وظَفِرَ بعسكرهم فحَوى ما فيه ، ثم انصرف الى جِيرُفتَ . فقال : الحمد لله الذي ردنا الى الخَفْضِ والدَّعَةِ ، فما كان عيشُنا بعيش ، ثم نظر الى قوم في عسكره لم يعرفهـــم فقال ما أشد عادة السلاح ، ناولوني درعي . فلبسها ، ثم قال : خذوا هؤلاء ! فلما صِيرَ بهم اليه قال : ما أنتم ؟ قالوا : نحن قوم جئنا لنطلب غِرَّتَكَ لِنَفْتُكَ بك ، فأمر بهم ، فَقُتِلوا . ووجه المهلَّب كَعْبَ بن مَعْدانَ الأَشْقَرِيَّ وُمرَّةَ بن تَليد الأَزْدِيَّ من أَزْدِ شَنوءةَ فَوَفَدَ على الحجاج ، فلما طلعا عليه تقدم كَعْبٌ فأنشده :

يا حَفْصَ اني عَدَاني عنكمُ السفرُ (وقد سَهِرْتُ فأَرْدَى نَوْمِيَ السهرُ)

فقال له الحجـــاج : أشاعر أم خطيب ؟ قال : كلاهما . ثم أنشده القصيدة ، ثم أقبل عليه فقال له : أخبرني عن بني المهلَّب قال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، وكفى يزيد فارساً شجاعاً وجوادُهم ، وسَخِيُّهم قبيصةُ ولا يستحي الشجاع أن يفر من مُدْرِكٍ ، وعبدُ الملك سَمٌّ ناقِعٌ ، وحبيبٌ موت زُعافٌ ، ومحمد ليثُ غابٍ ، ونفاك بالمفضل نَجْدةَ ، قال : فكيف كان بنو المهلَّب فيكم ؟ قال : كانوا حُماةَ السَرْحِ نهاراً ، فإذا أَلْيَلُوا ففُرسانُ البَيات ، قال : فأيُّهم كان أنْجَدَ ؟ قال : كانوا كالحَلْقةِ المُفْرَغةِ لا يُدْرَى أين طَرَفُها ، قال : فكيف كنتم أنتم وعدوُّكم ؟ قال : كنا إذا أخذْنا عفونا ، وإذا أخذوا بَشِسنا منهم ، وإذا اجتهدوا واجتهدنا طمعنا فيهم ،

Marfat.com

فقال الحجاج : إن العاقبة للمتقين كيف أفلتكم قطريٌّ ؟ قال : كِدْناه ببعض ما كادنا به فَصِرْنا منه الى الذي نحب ، قال : فهلا اتبعتموه ؟ قال كان الحدُّ عندنا آثَرَ من الفَلِّ ، قال : فكيف كان لكم المهلَّبُ وكنتم له ؟ قال : كان لنا منه شفقةُ الوالد وله منا برُّ الولدِ ، قال : فكيف اغتباط الناس ؟ قال : فشافيهم الأمنُ وشَمِلَهُمُ النَفَلُ ، قال : أكنتَ أعددتَ لي هذا الجواب ؟ قال : لا يعلم الغيب إلا الله ، قال : فقال هكذا تكون ، واللهِ الرجالُ ، المهلبُ كان أعلمَ بكَ حيث وجَّهكَ . وكان كتاب المهلَّب الى الحجاج : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الكافي بالإسلام فَقْدَما سواه الذي حكم بأن لا ينقطع المَزيدُ منه حتى ينقطعَ الشكرُ من عباده أما بعد ، فقد كان من أمرنا ما قد بلغك وكنا نحن وعدوّنا على حالين مختلفين ، يسرُّنا منهم أكثر مما يسوءنا ، ويسوءهم منا أكثرُ مما يسرهم على اشتداد شوكتهم ، فقد كان عَلَنَ أمرُهم حتى ارتاعتْ له الفَتاةُ ونُوِّمَ به الرضيعُ فانتهزتُ منهم الفُرْصةَ في وقت إمكانها ، وأدنيتُ السواد حتى تعارفت الوجوهُ ، فلم نزل كذلك حتى بَلَغَ الكتابُ أجَلَهُ فَقُطِعَ دابرُ القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين . فكتب اليه الحجاج : أما بعد ، فإن الله عز وجل قد فعل بالمسلمين خيراً وأراحهم من حَدِّ الجهاد ، وكنتَ أعلمَ بما قِبَلكَ ، والحمد لله رب العالمين فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسم في المجاهدين فَيْئَهُمْ ونَفِّلِ الناسَ على قدر بلائهم ، وفضِّلْ مَنْ رأيت تفضيله ، وإن كانت بقيتْ من القوم بقيةٌ فَخَلِّفْ خيلا تقوم بازائهم ، واستعمل على كرْمانَ مَنْ رأيتَ وولِّ الخيلَ شِهْماً من ولدك ، ولا تُرَخِّصْ لأحد في

Marfat.com

اللحاق بمنزله دون أن تَقْدَمَ بهم عليَّ ، وعَجِّلِ القُدومَ إن شاء الله. فَوَلَّى المهلَّبُ ابنه يزيد كرمان ، وقال له : يا بُنَيَّ إنكَ اليوم لست كما كنتَ ، إنما لك من مال كرمان ما فضُلَ عن الحجّـــاج ، ولن تُحْتَمَلَ إلا على ما ما أُحتُمِلَ عليه أبوك . فأحسنْ الى مَنْ معك ، وإن أنكرتَ من إنسان شيئاً فوجِّهه اليَّ وتَفَضَّلْ على قومك . وقدم المهلَّب على الحجاج فأجلسه الى جانبه . وأظهر إكرامه وبرَّهُ ، وقال : يا أهل العراق أنتم عبيدُ المهلَّب ، ثم قال : أنت والله كما قال لَقيطٌ الإيادِيُّ :

وقَلِّـدوا أمركـم لله دَرُّكُمُ ... رَحْبَ الذِراع بأمر الحَرْبِ مُضْطَلِعاً
لا يَطْعَمُ النومَ إلا رَيْثَ يبعثُه ... هَمٌّ يكاد حَشاهُ يَقْصِمُ الضِلَعا
لا مُتْرَفاً ان رَخاءُ العيش ساعَدَهُ ... ولا إذا عَضَّ مكروهٌ له خَشَعاً
ما زال يَحْلُبُ هذا الدهرَ أشْطُرَهُ ... يكون مُتْبِعاً طَوْراً ومُتَّبَعاً
حتى استمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرَتُهُ ... مُسْتَحْكِمِ الرأي لا قَحْماً ولا ضَرَعاً

فقام إليه رجل ، فقال : أصلحَ اللهُ الامير ، والله لكأني أسمع الساعةَ قطرياً ، وهو يقول المهلَّبُ كما قال لقيط الأيادي ، ثم أنشد هذا الشعر ، فَسُرَّ الحجاجُ حتى امتلأ سروراً . قوله نفِّل ، أي اقسم بينهم. والنَفَـلُ العطية التي تَفْضُلُ . كذا كان الأصل ، وإنما تفضل الله عز وجل بالغنائم على عباده ، قال لَبيدٌ :

ان تَقْوَى ربنا خَيْرُ نَفَـــلْ ... (وباذن الله رَيْثٌ وعَجَـلْ)

وقال جل جلاله : يسألونك عن الأنفال . ويقال نَفَّلْتُكَ كذا وكذا أي أعطيتك . ثم صار النَفَلُ لازماً واجباً . وقول الإياديِّ رَحْبَ الذراع ،

Marfat.com

فالرَّحْبُ الواسع ، وإنما هذا مَثَلٌ يريد واسعَ الصدر ، متباعـــدَ ما بين المَنْكِبَيْنِ والذراعين ، وليس المعنى على تَباعُدِ الخَلْقِ ، ولكن على سهولة الأمر عليه ، قال الشاعر :

رَحيبُ الذراعِ بالتي لا تَشينُهُ وان قيلَتِ العَوْراءُ ضاق بها ذَرْعا

وكذلك قوله جل وعز : يَجْعَلْ صدره ضيقاً حرجاً . وقوله مضطلعاً إنما هو مُفْتَعِلٌ من الضَليع ، وهو الشديد يريـــد أنه قويّ على أمر الحرب مستقل بها ، وقوله : يكون متبِعا طورا ومتبَعا أي قد اتَّبَعَ الناس ، فعلم ما يُصْلِحُ الرئيس ، كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : قد أُلْنـــا وإلَ علينا ، أي قد أصلحنا أمور الناس وأُصلِحَتْ أمورُنا . وقوله على شزْر مريرته فهذا مَثَلٌ يقال شَزَرْتُ الحبل ، إذا كررتَ فتـــله بعد استحكامه راجعاً عليه والمَريرةُ الجبَل ، والضَرَعُ الصغير الضعيف ، والقَحْمُ آخِر سن الشيخ ، قال العَجّاجُ .

رأينَ قَحْماً شاب واَقْلَحَمَّـــا طال عليه الدهرُ فاسْلَهَمَّـــا

والمُقْلَحِمُّ مثل القحم ، وهو الجاف ويقال للصبي : مقلحمّ إذا كان سيء الغِذاء أو ابن هَرِمَيْنِ ، ويقال رجلٌ انْقَحْلٌ وامرأةٌ انْقَحْـــلةٌ إذا أَسَنَّ حتى ييبس ، والمُسْلَهِمُّ الضامر ، قـــال الشاعـــر :

(لما رأتني خَلَقاً إنْقَحلا) . ويقال في معنى قحمٍ قَحْرٌ ، ويقال بعير قُحارِيَةٌ في هذا المعنى . وقوله : لا يطعم النوم إلا ريث يبعثـه هَمٌّ ، فَرَيْثٌ وعَوْضٌ مما يضاف الى الأفعال . وتأويله أنه لا يَطْعَمُ النومَ إلا يسيراً حتى يبعثَـه الهَمُّ . فعناه مقدار ذلك ، ومما يضاف إلى الأفعال أسماء الزمان كقوله عز

Marfat.com

ذكره : هذا يومُ ينفعُ الصادقين صدقُهُمْ فأسماء الزمان كلها تضاف الى الفعل نحو قولك آتيك يوم يَخرج زيد وجئتك يوم قَام عبد الله ، وما كان منها في معنى الماضي جاز أن يضاف الى الابتداء والخبر ، فتقول : جئتك يومَ زيدٌ أميرٌ ولا يجوز ذلك في المستقبل ، وذلك لأن الماضي في معنى إذْ وأنت تقول جئتك إذْ زيدٌ أميرٌ ، والمستقبل في معنى إذا فلا يجوز أن تقول أجيئك إذا زيد أمير فلذلك لا يجوز أجيئك يوم زيدٌ أمير . فأما الأفعال في إذ وإذا فهي بمنزلة واحدة تقول : جئتك إذ قام زيد وأجيئك إذا قام زيد ، فهذا واضح بيّن ، ومما يضاف الى الفعل ذو في قولك : افعَلْ ذاكَ بِذِي تَسْلَمُ وافعلاه بذِي سَلْمانِ ، معناه بالذي يُسَلِّمُكما ، ومن ذلك آية في قوله :

بآيةِ تُقْدِمونَ الخيلَ شُعْثاً كأنَّ على سَنابكِها مُداما

والنحو ويتصل بكثَر ، وإنما تركنا الاستقصاء لأنه موضعُ اختصارِ . فقال المهلَّب إنا والله ما كنا أشدَّ على عدونا ولا أَحدَّ ولكن دَمغَ الحقُّ الباطلَ وقهرت الجماعةُ الفتنةَ والعاقبةُ للتقوى ، وكان ما كرهناه من المطاولة خيرا مما أحببناه من العَجَلةِ ، فقال له الحجاج : صدقتَ اذكر لي القوم الذين أبْلَوْا وِصفْ لي بَلاءَهُمْ . فأمر الناس ، فكتبوا ذلك للحجاج ، فقال لهم المهلَّب : ما ذَخرَ الله لكم من عاجل الدنيا إن شاء الله . ثم ذكرهم للحجاج على مراتبهم في البَلاء وتَفاضُلِهِمْ في الغَناء ، وقدَّمَ بَنيه المُغيرةَ ويَزيدَ ومُدْرِكاً وحَبيباً وقَبيصةَ والمُفَضَّلَ وعبدَ الملك ومحمداً ، وقال : إنه والله لو تقدمهم أحد في البلاء لَقَدَّمْتُهُ عليهم ، ولولا أن أظلمهم لأخرتهم ، قال الحجاج : صدقتَ وما أنتَ بأعلم بهم مني ، وإن حضرتَ وغِبْتُ . إنهم لَسُيوفٌ من

Marfat.com

سُيوف الله . ثم ذكر مَعْنَ بن المُغيرةِ بن أبي صُفْرةَ والرُقادَ وأشباههما ، فقال الحجاج أين الرقاد ؟ فدخل رجل طويلٌ أجنأُ ، فقال المهلَّبُ : هذا فارسُ العربُ ، فقال الرُقادُ : أيها الأمير ، اني كنتُ أقاتل مع غـــير المهلَّب فكنتُ كبعض الناس ، فلما صِرْتُ مع مَنْ يُلْزِمُني الصبرَ ويجعلُني إسوةَ نفسه وولده ويجازيني على البَـــلاء ، صرت أنا وأصحابي فُرْساناً . فأمر الحجاج بتفضيل قوم على قوم على قدر بلائهم ، وزاد ولد المهلَّب ألفين وفعل بالرقاد وجماعة شبيها بذلك ، قال يزيد ابن حَبْناء من الأزارقة :

دَعي اللَّوْمَ إن العَيْشَ ليس بدائم ولا تعجلي باللوم يا أمَّ عاصم
فإذْ عجلتْ منكِ الملامةُ فاسْمَعي مقالةَ مَعْنِيٍّ بحقـــكِ عـــالم
ولا تَعْذُلينا في الهَدِيَّةِ إنمـــا تكون الهدايا من فُضول المَغانم
فليس بُمْهدٍ من يكون نهـــارُهُ جِلاداً ويُمْسي ليـــلهُ غيرَ نائم
يريـــد ثواب الله بوما بطَعْنهِ غَموسٍ كشِدْق العَنْبَرِيِّ بنِ سالم
أبيتُ وسِرْبالي دِلاصٌ حَصينة ومِغْفَرُها والسيفُ فوق الحَيازم
حلفتُ برب الواقفـــين عَشِيَّةً لدى عرفاتٍ حَلْفةً غـــيرَ آثم
لقـــد كان في القوم الذين لقيتُهم بسابور شغلٌ عن بُروزِ اللُّطائم
تَوَقَّدُ في أيديهمُ زاعِبِيَّـــةٌ ومُرْهَفةٌ تَفْري شُؤن الجَماجم

قوله : من يكون نهاره جلاداً ويمسي ليله غير نائم ، يريد يمسي هو في ليله ويكون هو في نهاره ، ولكنه جعل الفعل لليل والنهار على السَعة ، وفي القرآن : بل مَكْرُ الليلِ والنهارِ ، والمعنى بل مكركم في الليل والنهار . وقال رجل من أهل البَحْرَيْنِ من اللصوص :

Marfat.com

أما النهـــارُ ففي قَيْدٍ وسِلسلةٍ والليلُ في جوفِ مَنْحوتٍ من الساجِ

وقال آخر :

لقد لُمْتِنا يا أمَّ غَيْلانَ في السُرَى ونِمْتِ وما ليلُ المَطِيِّ بنائمِ

ولو قال : من يكون نهارَه جلاداً ويُمْسي ليلَهُ نَائم : لكان جيداً وذاك أنه أراد من يكون نهارَه يجالد جلاداً ، كما تقول : إنما أنت سَيْراً وإنما أنتَ ضَرْباً ، تريد تسير سيراً وتضرب ضرباً فأُضْمِرَ لعلم المخاطب أنه لا يكون هو سيراً ، ولو رفعه على أن يجعل الجلاد في موضع المُجالِدِ على قوله : أنت سير أي أنت سائرٌ ، كما قالت الخنساء . (فإنما هي إقبـــالٌ وإدبارُ) وفي القرآن : قل أرأيتم ان أصْبَحَ ماؤكم غَوْراً . أي غائراً ، وقد مضى تفسيرُ هذا بأكثر من هذا الشرح . ولو قال ويُمْسي ليلُهُ غـــيرُ نائم لجاز يُصَيِّرُ اسمه في يُمسي ويجعل ليله ابتداء ، وغير نائم خبره ، على السعة التي ذكرنا . وقوله : غَموس يريد واسعة محيطة ، والعنبري بن سالم رجل منهم كان يقال له الأشْدَقُ ، واللَّطائمُ واحدتها لَطيمةٌ ، وهي الإبل التي تحمل البَزَّ والعِطر . وقوله : توقد في أيديهم زاعبية يعني الرماح والتوقد للأَسِنَّةِ والزاعبيةُ منسوبة الى زاعِبٍ وهو رجل من الخَزْرج كان يعمـــل الرماح ، وتفري تَقُدُّ ، يقال : فَرَى إذا قطع وأفْرَى إذا أصلح ، وقال حَبيبُ ابن عوف من قُوّادِ المهلب :

أبا سعيدٍ جزاكَ اللهُ صالحةً فقد كَفَيْتَ ولم تَعْنُفْ على أحد

داوَيْتَ بالحلم أهلَ الجهل فانقمعوا وكنت كالوالد الحاني على الولد

وقال عَبيدةُ بن هلال في هَرَبِهم مع قَطَرِيٍّ :

Marfat.com

ما زالت الأقدارُ حتى قَذَفْنَني بقُومِسَ بين الفُرْخانِ وصُول

ويروى أن قاضي قَطريّ ، وهو رجل من بني عبد القيس سمع قول عَبيدة بن هلال :

علا فوقَ عَرْشٍ فوق سبع ودونه سَماءٌ ترى الأرواحَ من دونها تجزى

فقال له العبديّ : كفرت إلا أن تأتي بمَخْرَجٍ ، قال : نعم، روح المؤمن تعرج الى السماء ، قال : صدقت ، وقال يذكر رجلا منهم :

يَهْوِي وترفعُه الرِماحُ كأنه شِلْوٌ تَنَشَّبَ في مَخالِبِ ضاري

فَثَوَى صَريعاً والرماحُ تنوشه إن الشُراةَ قصيرةُ الأَعْمار

تنوشه تأخذه وتتناوله، قال الله عز وجل : وأنّى لهمُ التَناوُشُ من مكان بعيد ، أي التناول ، ومثل بيته هذا قول حَبيب الطائي :

فيم الشَماتَةُ إعْلاناً بأُسدٍ وَغَىً أفناهم الصبرُ إذ أبقاكمُ الجَزَعُ

وقال أيضاً في شبيه بهذا المعنى :

إن يَنْتَحِلْ حَدَثانُ الموتِ أنفسَكم ويَسْلَمِ الناسُ بين الحوض والعَطَن

فالماء ليس عجيباً أنّ أعذَبَهُ يَفْنَى ويمتد عمرُ الآجِنِ الأَسِنِ

وقال أيضاً :

عليكَ سلامُ الله وَقْفاً فإنني رأيتُ الكريم الحُرَّ ليس له عُمْرُ

وقال القاسم بن عيسى :

أُحِبُّكَ يا جَنانُ فأنتَ مني مكانَ الروحِ من بَدنِ الجَبان

ولو أني أقولُ مكانَ روحي لَخِفْتُ عليك بادرةَ الزمان

لإقدامي إذا ما الحربُ جاشَتْ وهابَ حُماتُها حَرَّ الطِعان

Marfat.com

وقال معاويةُ بن أبي سُفْيانَ في خلاف هذا المعنى :

أكان الجَبانُ يُرَى أنـــه يُدافِعُ عنه الفِرارُ الأَجَـــلْ
فقد تُدْرِكُ الحادِثاتُ الجبانَ ويَسْلَمُ منها الشجاعُ البَطَـــلَ

رجع الحديث ، وقال رجل من عبد القيس من أصحاب المهلب :

سائِلْ بنا عَمْرَو القَنا وجُنودَهُ وأبا نَعامـــةَ سيدَ الكُفَّار

وأبو نعامـــة هو قطريّ . وقال المُغيرة ابن حَبْناء الحَنْظَليُّ من أصحاب المهلَّب :

أني امرؤ كَفَّني ربي وأكْرَمني عن الأمور التي في رَغْيها وَخَمْ
وإنمـــا أنا إنسانٌ أعيش كما عاشَتْ رجالٌ وعاشتْ قبلَها أمم
ما عاقني عن قُفول الجُنْدِ إذ قَفَلُوا عني بما صنعوا عجـز ولا بَكَمُ
ولو أردتُ قُفولاً ما تَجَهَّمني إذْنُ الأمير ولا الكُتّابُ إذ رقموا
ان المهلَّب ان أشْنَقْ لرؤيتـــه أو أمْتَدِحْهُ فان الناس قد علِموا
أنَّ الأريبَ الذي تُرْجَى نوافِلُهُ والمُسْتعانَ الذي تُجْلَى به الظُلَـــمُ
القائـــلُ الفاعلُ الميمونُ طائرُهُ أبو سَعيدٍ إذا ما عُدَّتِ النِعَمُ
أزمانَ أزمانَ إذ عَضَّ الحديدُ بهم وإذ تمنى رجـــال انهم هُزِموا

قال أبو العباس : وهذا الكتاب لم نبتدئه لتتصل فيه أخبار الخوارج : ولكن ربما اتصل شيء بشيء ، والحديث ذو شُجونٍ ، ويقْتَرِحُ المُقْتَرِحْ ما يَفْسَخُ به عزمَ صاحب الكتاب ، ويصدُّه عن سَنَنِهِ ، ويزيله عن طريقه ، ونحن راجعون إن شاء الله إلى ما ابتدأنا له هذا الكتاب ، فإنْ مَرَّ من أخبار الخوارج شيء مَرَّ كما يمر غيره ، ولو نَسَقْناه على ما جَرَى من ذكرهم

Marfat.com

لكان الذي يَلي هذا خبرُ نَجْدَةَ وأبي فُدَيْكٍ ، وعُمارةَ الرجلِ الطويـــلِ ، وشَبيبٍ ، ولكان يكون الكتاب للخوارج مُخْلَصاً .

٥٣ ــ باب في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ

كان الحسن يقول : الحمد لله الذي كَلَّفنا ما لو كلفنا غيرَه لَصِرْنا فيـه إلى معصيته وآجرنا على ما لا بد لنا منـــه ، يقول : كلفنا الصبر ولو كلفنا الجَزَعَ لم يمكنّا أن نُقيم عليه وآجرَنا على الصبر ، ولا بُدَّ لنا من الرجوع إليه . وكان عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه ، يقول عند التعزية : عليكم بالصبر ، فان به يَأْخذُ الحازمُ وإليه يعود الجازعُ . وقال للأشْعَثِ بن قَيْسٍ : إن صبرتَ جَرَى عليكَ القـــدَرُ وأنت مأجورٌ ، وان جَزِعْتَ جرى عليك القدر وأنت مَوْزورٌ ، وقال الحُرَيْميُّ :

ولو شئتُ أن أبْكِي دَماً لبكيتُهُ عليه ولكن ساحةُ الصبر أوْسَعُ

وفي هذا الشعر ، وان لم يكن من هذا الباب :

وأعْدَدْتُهُ ذُخْراً لكل مُلِمَّـةٍ وسَهْمُ المَنايا بالذَخائر مولـــع

وخطب أبو طالب بن عبد المطلب لرسول الله ﷺ في تزوّجه خديجةَ بنتَ خُوَيْلِدٍ رحمة الله عليها ، فقال : الحمد الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزَرْعِ اسماعيلَ ، وجعل لنا بلداً حراماً وبيتاً محجوجاً ، وجعلنا الحُكّامَ على الناس ، ثم ان محمدَ بن عبدالله ابن أخي ، مَنْ لا يُوازَنُ به فَتًى من قريش إلا رَجَحَ عليه بِرًّا وفضلاً وكرماً وعقلاً ومجداً ونُبْلا ، وإن كان في المال قُلٌّ ، فإنما المال ظِلٌّ زائل ، وعارية مسترجَعةٌ ، وله في خديجة

Marfat.com

بنت خويلد رغبةٌ ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعــليَّ وهذه الخطبة من أقصد خطب الجاهلية . ومن جميل محاورات العرب مــا رُوِيَ لنا عن يحيى بن محمد بن عُرْوةَ عن أبيه عن جده ، قال : أقْحَمَتِ السنةُ علينا النابغةَ الجَعْدِيَّ فلم يشعر بــه ابن الزُّبَيْرِ حين صلى الفجر حتى مَثَلَ بين يديه ، يقول :

حكيتَ لنا الصِدِّيقَ حين وَلِيتَنا ... وعثمانَ والفاروقَ فارْتاحَ مُعْدِمُ
وسَوَّيْتَ بين الناس في العَدْل فاسْتَووْا ... فعاد صَباحاً حالِكُ الليل مظلمُ
أتاكَ أبو لَيْلَى يَشُقُّ به الدُجَى ... دُجى الليل جَوَّابُ الفَلاةِ عَثَمْثَمُ
لِتَرْفَعَ منه جانباً ذَعْذَعَتْ بــه ... صُروف الليالي والزمانُ المُصَمِّمُ

فقال له ابن الزبير : هَوِّنْ عليك أبا ليــلى ، فأيْسَرُ وسائِلكَ عندنا الشِعْرُ ، أما صَفْوَةُ أموالنا فلبني أسَدٍ ، وأما عِقْوتُها فلآل الصِدِّيق ، ولك في بيت المــال حقّان ، حقٌّ لعصبتك رسول الله ﷺ ، وحق بحقك في المسلمين ، ثم أمر له بسبع قلائص وراحلةٍ رحيلٍ . ثم أمر بأن تُوقَرَ له حبًّا وتمراً ، فجعل أبو ليلى يأخذ التمر فيستجمع به الحب فيأكله ، فقال له ابن الزبير : لَشَدَّ ما بلغ منك الجَهدُ يا أبا ليلى ، فقال النابغة : أمَا على ذاك لسمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : مــا اسْتُرْحِمَتْ قريشٌ فَرَحِمتْ وسُئِلَتْ فأعطتْ ، وحَدَّثَتْ فصدقت ووعدتْ فأنجزتْ ، فأنا والنبيون على الحوض فُرَّاطٌ لقادمين ، قوله : أقحمت السنة يكون على وجهين ، يقال : اقتحم إذا دخل قاصداً . وأكثر ما يقال من غير أن يدخــل ويكون من القُحْمةِ ، وهي السنة الشديدة ، وهو أشبه الوجهين ، والآخر حسن والسنة الجدب ،

Marfat.com

يقال أصابتهم سنة ، أي جدب . ومن ذا قوله جل وعز : ولقد أخذْنا آل فرعون بالسنين ، أي بالجدب . وقوله : صِفْوَة ، فهي في معنى الصَفوِ ، وأكثر ما يستعمل الكسر ، والباب في المصادر للحال الدائمة الكسرُ كقولك حسن الجِلْسةِ والرِكْبةِ والمِشْيةِ والنِعمةِ ، كأنها خِلْقةٌ . والعِفْوةُ إنما هو ما عفا أي ما فضُل وخُذِ العَفْوَ ، قالوا : الفضل . وكذلك قوله جل اسمه : ويسألونك ماذا ينفقونَ قل العَفْوَ . وقوله : عشمتم ، يريد المُوَثَّقَ الخَلْقِ الشديدَ ، وذعذعت ، أي أذهبتْ مالَهُ وفَرَّقتْ حاله . وقولـه : راحلةٍ رحيلٍ أي قوية على الرِحْلة مُعَوَّدَةٍ لها ، ويقال : فَحْلٌ فَحيلٌ ، أي مُسْتَحْكِمٌ في الفِحْلةِ . وفي الحديث أن ابن عمر قال لرجل : اشتر لي كبشاً لأُضحي به أَمْلَحَ واجعله أَقْرَنَ فَحيـلا . وقوله فأنا والنبيون على الحوض فراط القادمين ، الفارط الذي يتقدم القوم ، فَيَصْلِحُ لهم الدِلاء والأَرْشِيةَ وما أشبه ذلك من أمرهم حتى [1] ومن ذلك قول المسلمين في الصلاة على الطفل : اللهم اجعله لنا سَلَفاً وفَرَطاً . وجـاء في الحديث عن النبي ﷺ : أنا فَرَطُكُمْ على الحوض ، وكان يقال يكفيك من قريش أنها أقربُ الناس من رسول الله ﷺ نَسَباً ومن بيت الله بيتاً . ويقال إن دار أسد بن عبد العُزَّي كان يقال لها رَضيعُ الكعْبةِ ، وذلك أنها كانت تفيء عليهـا الكعبةُ صباحاً وتفيء على الكعبة عشياً ، وإن كان الرجل من ولد أسد لَيطوفُ بالبيت فينقطع شِسْعُ نعله فيرمي بنعله في منزله فَتُصْلَحُ له فإذا عاد في الطواف رُمِيَ بها إليه . وفي ذلك يقول القائل :

لِهاشمٍ وزُهَيْرٍ فضلُ مَكْرُمَة ... بحيث حَلَّتْ نجومُ الكبش والأسد

(١) بياض في الاصل .

Marfat.com

مُجاوِرُ البيتِ ذي الأركانِ بيتُهما ما دونهم في جِوارِ البيت من أَحَدِ

وقال آخر :

سَمينُ قُرَيْشٍ مانعٌ منك لَحمهُ وعثٌ قريشٍ حيث كان سَمينُ

وقال آخر :

وإذا مـــا أَصبْـــتَ من قريشٍ هاشميًّا أصبتَ قَصْدَ الطريق

وقال حَرْبُ بن أُمَيَّـةَ لأبي مَطَرٍ الحَضْرميِّ يدعوه إلى حِلْفِـــهِ ونزولِ مكة :

أبا مَطَرٍ هَـــلُمَّ إلى صَلاحِ فَتَكْتَفَ كالنَدامَى من قُرَيْشِ

وتأمَنَ وَسْطهم وتعيشَ فيهـــم أبا مطر هُديت لخـــير عيشِ

وتسكنَ بلدة عَزَّتْ قديمـــاً وتأمَنَ أن يزورَكَ رَبُّ جَيْشِ

صلاح : إسم من أسماء مكة ، وكانت مكةُ بلداً لَقاحاً واللَّقاحُ الذي ليس في سلطان مَلِكٍ ، وكانت لا تُغْزَى تعظيماً لها حتى كان أمر الفِجار ، وإنما سُمي الفِجارَ لفُجورهم إذ قاتلوا في الحرم ، وكانت قريش تُعِـــزُّ الحليف وتُكْرِمُ المولى وتكاد تُلْحِقُهُ بالصَميم ، وكانت العرب تفعل ذلك ، وتقريش فيه تَقَدُّمٌ . ودخل سُدَيْفٌ مولى أبي العباس السَفَّاح على أبي العباس أمير المؤمنين وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقد أدناه وأعطاه يـــده فقبلها ، فلما رأى ذلك سديف أَقبل على أبي العباس ، وقال :

لا يَغُرَّنْـــكَ ما تَرَى من أُناسٍ إن تحت الضُلُوعِ داء دَوِيًّا

فَضَعِ السيفَ وارفع السوطَ حتى لا تَرَى فوق ظهرهـــا أُمَوِيًّا

فأقبل عليه سليمان ، فقال : قتلتني أيها الشيـخ قتلك الله . وقام أبو

Marfat.com

العباس فدخل فإذا المنديل قد أُلقِيَ في عنق سليمان ثم جُرَّ فَقُتِلَ . ودخل شِبْلُ بن عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي ، وقد أُجلِسَ ثمانين رجلاً من بني أمية على سُمُطِ الطعام ، فَمَثَلَ بين يديه ، فقال :

أصبح الملكُ ثابتَ الآساس ... بالبَهاليل من بني العَبَّاس

طلبوا وِتْرَ هاشم فَشَفَوْها ... بعد مَيْلٍ من الزمان وياس

لا تُقيلَنَّ عبدَ شمس عِثاراً ... واقْطَعَنْ كلَّ رَقْلةٍ وأواسي

ذُلُّها أظهر التَوَدُّدَ منها ... وبها منكمُ كَحَزِّ المواسي

ولقد غاظني وغاظ سَوائي ... قُرْبُهُمْ من نَمارقٍ وكَراسي

أنزلوها بحيث أنزلها الله ... بدار الهوانِ والإتعاس

واذكروا مَصْرَعَ الحسين وزيداً ... وقَتيلاً بجانب المِهْراسِ*

والقَتيلَ الذي بحَرَّانَ أضحَى ... ثاوياً بين غُرْبةٍ وتَناس

نعم شِبْلُ المِراش مولاك شِبْلٌ ... لو نجا من حَبائل الإفلاس

فأمر بهم عبد الله فَشُدِخوا بالعَمَدِ ، وبُسِطَتْ عليهم البُسُطُ ، وجلس عليها ودعا بالطعام ، وانه ليسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً . وقال لِشبْلٍ : لولا أنك خلطت كلامك بالمسئلة لأغْنَمتُك جميع أموالهم ، ولَعَقَدْتُ لك على جميع موالي بني هاشم . قوله الآساس ، واحدها أُسٌّ ، وتقديرها فُعْلٌ وأفعال ، وقد يقال للواحد : أساسٌ ، وجمعه أُسُسٌ . والبهلول الضَحّاكُ . وقوله بعد ميل من الزمان وياس يقال فيك مَيْلٌ علينا ، وفي الحائط مَيَلٌ ، وكذلك كل منتصب . وقوله واقطعن كل رقلة ، الرقلة : النخلة الطويلة ، ويقال إذا وُصف الرجل بالطول : كأنه رَقْلةٌ . والأواسي

* الحسين : الإمام . زيداً : زيد بن علي بن الحسين . قتيل المهراس : حمزة بن عبد المطلب
قتيل حران : ابراهيم بن محمد .

Marfat.com

ياؤه مشدة في الأصل ، وتخفيفها يجوز ، ولو لم يجز في الكلام لجـاز في الشعر لأن القافية تقتطعه وكل مثقل فتخفيفه ، في القوافي جائز ، كقوله :

أصحَوْتَ اليوم أم شاقَتْكَ هِرْ (ومن الحُبِّ جَنونٌ مُسْتَعِرْ)

وواحدها آسِيَةٌ ، وهي أصل البناء بمنزلة الأساس . وقوله وغاظ سَوائي ، تقول : ما عندي رجل سِوَى زيد ، فتَقْصُرُ إذا كسرتَ أوله فإذا فتحت أوله على هذا المعنى مددتَ ، قال الأعشَى :

تَجانَفُ عن جَوِّ اليمامة ناقتي وَما قَصَدَتْ من أهلها لَسوائكا

والسَواء ممدود في كل موضع ، وإن اختلفت معانيه فهذا واحد منه ، والسَواء الوسط منه ، قوله عز وجل : فرآه في سَواء الجحيم . وقال حَسَّان :

يا وَيْحَ أنصارِ النبي ورَهْطِهِ بعد المُغَيَّبِ في سَواء المَلْحَدِ

والسَواء العدل والاستواء ، ومنه قوله عز وجل : الى كلمة سَواء بيننا وبينكم . ومن ذلك عمرو وزيد سَواء ، والسواء التمام ، يقال : هذا درهم سواء وأصله من الأول ، وقوله عز وجل : في أربعة أيام سَواء للسائلين ، معناه تماماً ومن قرأ سواء فإنما وضعه في موضع مُسْتَوِيات . والنارقُ واحدتها نُمْرُقَةٌ ، وهي الوسائد ، قال الفرزدق :

وإنا لَتَجْرِي الكأسُ بين شُروبنا وبين أبي قابوسَ فوق النَمارق

وقال نُصَيْبٌ :

إذا ما بِساطُ اللَّهْوِ مُدَّ وقُرِّبَتْ لِلَذَّاتِهِ أنماطُهُ ونَمارِقُه

وقوله : مصرع الحسين وزيد ، يعني زيد بني عليّ بن الحسين كان

Marfat.com

خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتلَه يوسفُ بن عمر الثَقَفِيُّ وصلَبَـــه بالكُناسة عرياناً هو وجماعة من أصحابه . ويَرْوِي الزُبَيْرِيُّونَ أنه كان بين يوسفُ بن عمر الثَقَفي ، وبـــين رجـلٍ إحنـــةٌ ، فكـان يطلب عليه عِلَّةً ، فلما ظفر بزيد بن علي وأصحابه أحسّوا بالصلب فأصلحوا من أبدانهم واستَحَدُّوا فصُلبوا عُراةً وأخذ يوسف عدوَّه ذلكَ فَنَحَلَه ، أنه كان من أصحاب زيد فقتله وصلبه ، ولم يكن استعد لانه كان عنـد نفسه آمناً ، وكان بالكوفة رجل معتوه عَقَدَه التشَيُّعُ ، فكان يجيء فيقف على زيـد وأصحابه ، فيقول : صلى الله عليك يا ابن رسول الله فقـد جاهدتَ في الله حقَّ جهاده وأنكرت الجور ودافعتَ الظالمين . ثم يُقْبِـلُ عليهم رجلاً رجـلاً ، فيقول : وأنتَ يا فلانُ فجزاكَ الله خيراً فقـد جاهدتَ في الله حق جهاده وأنكرتَ الجَوْرَ ونصرتَ ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى يقف على عدوّ يوسف ، فيقول : فأما أنت يا فلانُ فوفورُ عاَنَتَكَ يدل على أنك بريء مما قُرِفْتَ به. وقال حبيبُ بن جَدَرةَ ، ويقـال جُدْرَة وهي السِلعةُ الهِلاليُّ (قـال الاخفش الصحيح عندنا ابن خِذْرةَ بالخاء وكسرها وقال المبرد :لم أسمعه الا جَدَرةَ ويقال جُذْرةَ) وهو من الخوارج يعني زيد بن علي .

يا با حُسينٍ لو شُراةُ عِصابـة صَبَحوكَ كان لِوِرْدِهمْ إصدار
يا با حسين والجديدُ الى بِلَى أولادُ دَرْزَةَ أسلموكَ وطارو

تقول العرب للسَفِلَةِ والسُقاطِ أولادُ دَرْزَةَ ، وتقول لمن تَسُبُّهُ : ابن

Marfat.com

فَرْتَنَى وأولاد فَرْتَنَى ، وتقول للصوص : بنو غَبْراء وفي هذا باب . ويروى أن شاعراً لبني أُمَيَّةَ ، قال معارضاً للشِيَعِ في تسميتهم زيداً المهديَّ ، والشاعرُ هو الاعْوَرُ الكَلْبيُّ :

صَلَبْنا لكم زيداً على جِذْعِ نخلةٍ ولم نَرَ مَهدِياً على الجذع يُصْلَبُ

وُنظِرَ بعد زُمَيْنٍ الى رأس زيد مُلْقَى في دار يوسف وديكٌ ينقره ، فقال قائل من الشِيعة :

اطرُدوا الديك عن ذُؤابة زَيدِ طالَ ما كانَ لا تَطـاهُ الدَجاج

وقوله : وقتيـلاً بجانبِ المِهْراسِ ، يعني حمزةَ بن عبد المطلب ، والمِهْراسُ ماء بأُحدٍ . ويروى في الحديث أن رسول الله ﷺ عَطِشَ يوم أُحد فجاءه عليّ في ذَرَقةٍ بماء من المهراس ، فعافه فغسل به الدم عن وجهه ، وقال ابن الزِبَعْرَى في يوم أُحدٍ :

ليتَ أشياخي ببَـدْرٍ شَهدوا جَزَعَ الخَزْرَجِ من وَقْعِ الأَسَلْ

فاسألِ المِهْراسَ مَنْ ساكِنُهُ بعد أبْدانٍ وهامٍ كالجَـلْ

وإنما نَسَبَ شِبْلٌ قتل حمزة الى بني أمية ، لأن أبا سفيان بن حَرْبٍ كان قائد الناس يوم أحد . والقتيلُ الذي بحَرّانَ هو إبراهيم بن محمد بن عليّ وهو الذي يقال له الإمام ، وكان يقال ضَحّى بنو حرب بالدين يوم كَرْبلاء وضَحّى بنو مروان بالمُروءة يوم العَقْرِ . فيوم كربلاء يوم الحسين ابن علي بن أبي طالب وأصحابِهِ ، ويومُ العقر يومُ قُتِلَ يَزيدُ بن المهلّب وأصحابُهُ . وإنما ذكرنا هذا لتقدم قريش في إكرام مواليها . ولّى رسولُ رسولُ الله ﷺ جيشَ مُوتَةَ زيداً مولاه ، وقال : إن قُتِـلَ فأميركم

Marfat.com

جعفر ، وأمر رسولُ الله أسامةَ بن زيد فبلغه أن قوماً قد طعنوا في إمارته وكان أمّرهُ على جيش فيه جِلّة المهاجرين والأنصار ، فقال عليه السلام : إن طعنتم في إمارته لقد طعنتم في إمارة أبيه ، ولقد كان لها أهلاً ، وإنّ أسامةَ لها لأهلٌ . وقالت عائشة : لو كان زيـــد حياً ما استخلف رسولُ الله غيرَهُ . وقال عبد الله بن عمر لأبيه : لم فَضَّلْتَ أسامة عليّ وأنا وهوسيّانِ. فقال : كان أبوه أحبَّ إلى رسول الله من أبيك ، وكان أحبَّ إلى رسول منكَ . وأوصى رسولُ الله ﷺ بعضَ أزواجه لِتُمِيطَ عن أسامة أذًى من مخاط أو لُعابٍ فكأنها تَكَرَّهَتْهُ فتولى منه ذلك رسولُ الله ﷺ بيـده وقال له يوماً ولم يكن أسامة من أجمل الناس : لو كنتَ جارية لَنَحَلْنـاكَ وحلَّيناكَ حتى يرغب الرجال فيك . وفي بعض الحديث أنه قال : أسامةُ من أحبِّ الناس إليّ ، وكان ﷺ أدّى الى بني قُرَيْظَة مكاتبة سَلْمانَ ، فكان سلمانُ مَوْلَى رسولِ الله ﷺ ، فقال عليّ بن أبي طالب عليـــه السلام : سلمانُ منا أهلَ البيت . ويروى أن المهديَّ نُظِرَ اليه ويَدُ عمارةَ بن حمزةَ في يده ، فقال له رجل : مَنْ هذا يا أمير المؤمنين ؟ فقـال : أخي وابنُ عَمّي عُمارةَ بن حمزة ، فلما وَلّى الرجل ذكر ذلك المهديُّ كالممازح لعمارة ، فقال له عمارة: انتظرتُ أن تقول ومولاي فأنفضَ والله يدكَ من يدي ، فتبسّم أميرُ المؤمنين المهديُّ . ولم يكن الإكرام للموالي في جُفاةِ العرب . زعم الليثي أنه كانت بين ابن سليمان وبين مِسْمعِ بن كِرْدِينَ منازعة ، وبين يدي مسمع مَوْلَى له ، له بَهاءٌ ورُواءٌ ولَسَنٌ ، فَوَجَّهَ جعفرٌ الى مسمع مَوْلَى له لينازعه ومجلسُ مسمع حافلٌ ، فقال : إن أنصفني والله جعفر أنصفته،

Marfat.com

وإن حضر حضرتُ معه ، وإن عَنَدَ عن الحق عَنَدْتُ ، وإن وَجَّهَ إلى مولى مثل هذا ، وأومأ الى مولى جعفر ، فقال مَوْلى مثل هذا عاضًّا لما يكره وجهتُ اليه . وأوماً الى مولاه ، فَعَجِبَ أهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي تَنْهَى بمثله العرب . وقد قيل الرجلُ لأبيه والمولى من مَواليه . وفي بعض الأحاديث أن المُعْتَقَ من فضل طينة المُعْتِقِ ، ويروى أن سلمان أخذ من بين يَدَيْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم تمرةً من تمر الصدَقة ، فوضعها في فيه فانتزعها منه رسولُ الله ﷺ ، فقال : يا أبا عبد الله إنما يحلّ لك من هذا ما يحلّ لنا . ويروى أن رجلاً من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان ، وكان من جِلَّةِ الرجال نازع عمرو بن هَدَّابٍ المازنيَّ ، وهو في ذلك الوقت سيدّ بني تميم قاطبةً ، فظهر عليه المولى حتى أذنَ له في هدْم داره فأدخلَ الفَعَلةَ دارَ عمرو فلما فَلَعَ من سطحه كَفَّ عنه ، ثم قال : يا عمرو ، قد أريتك القُدْرةَ وسأريك العَفْوَ . وقد كان في قريش مَنْ فيه جَفْوةٌ ونَبْوةٌ : كان نافع بن جُبَيْر أحدُ بني نَوْفَلِ ابن عبد مناف إذا مُرَّ عليه بالجنازة سأل عنها فإن قيل قرشيٌّ قال : واقوماه ! وإن قيل عربي ، قال : وامادّتاه ! وإن قيل مَوْلى أو عجمي ، قال : اللهم هُمْ عبادُك تأخذ منهم من شئتَ وتَدَعُ مَنْ شئتَ . ويروى أن ناسكاً من بني الهُجَيْم بن عمرو بن تميم كان يقول في قَصَصِهِ : اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامةً ، فأما العجم فهم عَبيدُكَ والأمرُ إليكَ . وزعم الأصمعي ، قال : سمعتُ أعرابياً يقول لآخر : أتُرَى هذه العجم تَنْكِحُ نساءنا في الجنة ؟ قال : أرَى ذلك والله بالأعمال الصالحة ، قال :

Marfat.com

تُوَطأُ والله رقابُنا قبل ذلك . وهذا باب لم نكن ابتدانا ذِكـــرَه ولكن الحديث يَجُرُّ بعضُه بعضاً ويُحْمَلُ بعضـــه على لفظ بعض . ثم نعود الى ما إبتدأناه إن شاء الله وهو ما نختاره من مختصرات الخُطَب وجميل المواعظ والزهد في الدنيا المتصل بذلك . وبالله التوفيق بسم الله الرحمن الرحـــيم : قد ذكرنا في صدر كتابنا هذا أنا نذكر فيه خطباً ومواعظ ، فما نذكره من ذلك أمرُ التعازي والمرَاثي فإنه باب جامعٌ ، وقد قيل إنه لم يُقَلْ في شَيء قَطُّ كما قيل في هذا الباب ، لأن النـــاس لا يَنفكون من المصايب ومن لم يَعْدَمْ نفيساً كان هو المعدومَ دون النفيس ، وحَقُّ الإنسانِ الصبرُ على النوائب واستشعارُ ما صَدَّرناه إذ كانت الدنيا دارَ فِراقٍ ودار بَوارٍ ، لا دار استواء ، وعلى فِراق المألوف حُرقة لا تُدْفَعُ ولوعةٌ لا ترد ، وإنما يتفاضل الناسُ بصحة الفكر وحسن العزاء والرغبة في الآخرة ، وجميل الذكر فقد قال أبو خِراشٍ الهُذَليُّ ، وهو أحد حكماء العرب يذكر أخاه عُرْوةَ بن مُرَّةَ :

تقول أراهُ بعد عُرْوةَ لاهِياً ... وذلك رُزْءٌ لو علمتِ جليلُ
فلا تَحْسَبي أني تناسَيْتُ عهدَه ... ولكنَّ صبري يا أُمَيْمَ جميلُ

وقال عمرو بن مَعْدي كَرِبَ :

كم من أخ لي حـــازمٍ ... بوّأْتُهُ بيديَّ لَحْـــدا
أعرضْتُ عن تَذْكارِه ... وخُلِقْتُ يوم خُلِقْتُ جَلْدا

وكان يقال : من حَدَّثَ نفسه بالبقاء ولم يُوَطِّنها على المصائب فعاجز الرأي . وعَزَّى رجلٌ رجلاً عن ابنه ، فقال : أكان يغيب عنك ؟ قال :

Marfat.com

كانت غيْبتُه أكثر من حضوره ، قال : فَانْزِلْهُ غائباً عنك فانه ان لم يَقْدَمْ عليك قدمتَ عليه . وقال ابراهيم بن المَهْدِيّ يذكر ابنه :

واني وان قُدِّمْتَ قبلي لَعالمٌ باني وان أبطأتُ منكَ قريبُ
وانَّ صَباحاً نلتقي في مَسائِهِ صباحٌ الى قَلْبي الغداةَ حَبيبُ

وكفى باليأس مُعَزّيا وبانقطاع الطمع زجراً كما قال الشاعر :

أيا عَمْرُو لم أصبر ولي فيكَ حيلةٌ ولكن دعاني اليأسُ منكَ الى الصبر
تَصَبَّرْتُ مغلوباً واني لَموجَعٌ كما صبرَ العطشانُ في البلد القَفْر

وقال بعض المُحدثين : (قال الاخفش هو حَبيبٌ الطائي) وليس بناقِصِهِ حَظُّهُ من الصواب أنه مُحْدَثٌ يقوله لرجل رثاه :

عجبتُ لصبري بعده وهو ميت وقد كنتُ أبكيهِ دماً وهو غائبُ
على انها الايامُ قد صِرْنَ كلُّها عجائبَ حتى ليس فيها عَجائبُ

وحُدِّثتُ أن عمر بن عبد العزيز لما مات ابنه عبد الملك خطبَ الناسَ ، فقال : الحمد لله الذي جعل الموت حَقاً واجبا على عباده ، فَسَوّى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورَفيعهم ودَنِيّهم ، فقال : تبارك وتعالى كلُّ نفس ذائقةُ الموت ، فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون الى قبورهم مُفرَدونَ بأعمالهم ، واعلموا أن لله مسئلة فاحِصَةً ، قال الله تبارك وتعالى : فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أجمعين عما كانوا يعملون ، وله يقول القائل :

تَعَزَّ أميرَ المؤمنين فإنه لما قد تَرَى يُغْذَى الصغيرُ ويولدُ
هل ابنُكَ إلا من سُلالةِ آدمٍ لِكلٍّ على حَوْضِ المنيّةِ مَوْرِدُ

وقال رجل من قريش يَرْثي ابنه (قال أبو الحسن هو العُتْبِيُّ) :

Marfat.com

بأبي وأمي مَنْ عَبَأْتُ حَنوطَهُ بيدي ووَدَّعني بماء شَبابه
كيف السُلُوُّ وكيف صبري بعده وإذا دُعِيتُ فإنما أُكْنَى به

وقال ابنٌ لعمر بن عبد العَزيز يَرْثي عاصمَ بن عُمَرَ :

فإن يك حُزْنٌ أو تَجَرُّعُ غُصَّةٍ أمارَا نَجيعاً من دم الجوف مُنْقَعا
تَجَرَّعْتُهُ في عاصم واحْتَسَيْتُهُ لَأَعْظَمُ منه ما احْتَسى وتَجَرَّعا

وقال أبو سعيد اسحق بن خلف يرثي ابنة أخته ، وكان تَبَنَّاها وكان حَدِباً عليها كَلِفاً بها :

أمستْ أُمَيْمةُ معموراً بها الرَجَمَ لَقَى صَعيدٍ عليها التربُ مُرْتَكِمُ
يا شِقَّةَ النفس ان النفْسَ والهةٌ حَرَّى عليكِ ودمعُ العينِ مُنْسَجِمُ
قد كنتُ أَخْشَى عليها أن تُقَدِّمَني إلى الحِمام فَيُبْدِي وَجْهها العَدَمُ
فالآن نمتْ فلا هَمٌّ يُؤَرِّقُني يَهْدَا الغَيورُ إذا ما أوْدَتِ الحُرَمُ
للموت عندي أيادٍ لستُ أُنكِرُها أحيا سروراً وبي مما أَتى أَلَمُ

وهذه المرثية ليست مما تقع مع الجزع القَراحِ والحزن المُفْرَدِ ، ولكنه باب للمَراثي يَجْمَعُ إفراطَ الجَزَعِ وحسن الاقتصاد ، والميلَ إلى التشكي والرُكون إلى التَعَزّي ، وقولَ مَنْ كان له واعظ من نفسه أو مُذَكِّرٌ من ربه ومن غلبت عليه الجسارةُ ، وكان طبعه إلى القَساوة فقد اختلط كُلٌّ بكلٍّ . وقال رجل من المُحْدَثينَ يرثي أخاه :

تَجِلُّ رَزِيَّاتٌ وتَعْرُو مَصايبُ ولا مِثْلَ ما أَنْحَتْ علينا يَدُ الدهر
لقد عَرَكَتْنا للزمان مُلِمَّةٌ أَذَمَّتْ بمحمود الجَلادةِ والصبر

فهذا يحسن من قائله ، أن الرُزْءَ كان جليلاً باجماعٍ ، فللقائل أن يَتَفَسَّحَ

Marfat.com

في القول فيه. وهذا يقوله عبدالعزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ بن عبدالله بن عباس ، وكان عبد الرحيم من جِلّةِ أهله لَسَناً ونعمــةً وسِنًّا وولاية ، ومات معزولاً عن اليمن في حبس الخليفة. وأمُّ جعفر بن سليمان أمُّ حسن بنت جعفر بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليهم ، فلذلك يقول عبد العزيز في هذه القصيدة :

بموتك يا عبدَ الرحيم بنَ جعفــرٍ ... تَفاحشَ صَدْعُ الدين عن الأَمِ الكَسْرِ
فيا ابنَ النبيِّ المصطفى وابنَ بنته ... ويا ابنَ عليٍّ والفَواطمِ والحَبْرِ
ويا ابن اختيارِ الله من آل آدَمٍ ... أباً فأباً طُهْــراً يُؤَدِّي الى طُهْرِ
ويا ابن سليمانَ الذي كان مَلْجَأً ... لَمَنْ ضاقت الدنيا بـه من بسي فِهْرِ
ومن مَلأَ الدنيا سَماحاً ونائــلاً ... ورَوَّى حَجيجاً بالمَلَمَّعَةِ القُفْــرِ
لَعَزَّ بما قــد نالنا من رَزِيئــةٍ ... بموتك محبوساً على صاحب القَــبْرِ
فإنْ تُضْحِ في حبس الخليفة ثاوِياً ... أَبِيًّا لما يُعْطي الذَليــلُ على القَسْرِ
لكَم من عدوٍّ للخليفة قد هَوَى ... بكفك أو أعطَى المَقادةَ عن صُغْرِ
فواحَزَنَا لو في الوَغى كان مَوْتُهُ ... بكينا عليه بالرُدَيْنِيَّةِ السُمْرِ
وكنا وَقَيْنــاه القَنــا بنُحورنا ... وفاتَ كذا في غير هَيْجٍ ولا نَفْرِ

وحُدِّثتُ أن عمر بن الخطاب ، لمــا وَلى كَعْبَ بن سُورٍ الأَزْدِيَّ قضاء البصرة أقام عاملاً له عليها إلى أن استُشهِدَ على أنه كان قد عزله ، ثم رده . فلما قام عثمانُ بن عَفّانَ أقرّه ، فلما كان يومُ الجَمَــلِ خرج مع إخوة له قالوا ثلاثةٌ وقالوا أربعةٌ ، وفي عنقه مصحف فَقُتِلُوا جميعاً . فجاءت أمهم حتى وقفت عليهم ، فقالت :

Marfat.com

يا عين جُودي بدمـــعٍ سَرِبْ على فتْيَةٍ من خِيـار العَـرَبْ
وما لهمُ غَـيْرَ حَـــيْنِ النفو س أيُّ أميرَيْ قريش غَلَبْ

هذه الرواية سَرِب ، وقـالوا : معناه جارٍ في طريقـــه من قولهم: انْسَرَبَ في حاجته . وبيت ذي الرُّمَّـةِ يُخْتارُ فيه الفتح (كأنـه من كُلّى مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ) لأنه اسم والأول المكسور نعت ، ويقبـح وضـع النعت في موضع المنعوت غير المخفوض (قال أبو الحسن : حقّ النعت أن يأتي بعد المنعوت ، ولا يقعَ في موقعه حتى يَبذلَّ عليه فيكون خاصًّا له دون غيره، تقول : جاءني إنسانٌ طويلٌ ، فإن قلتَ : جاءني طويلٌ لم يجز ، لأن طويلاً أعمُّ من قولك إنسان ، فلا يـــدلُّ عليه ، فإن قلت : جاءني إنسانٌ متكلمٌ ، ثم قلت بَعْدُ جاءني متكلمٌ جاز لأنك تَـــدُلُّ به على الإنسان . فهذا شرح قوله المخصوص) وقولها : غير حين النفوس ، نُصب على الاستثناء الخارج من أول الكلام ، وقد ذكرناه مشروحاً . والمراثي كثيرة كما وصفنا ، وإنما نكتب منها المختارَ والنادرَ ، والمُتَمَثَّلَ به السائرَ ، فمن مَليح ما قيل قولُ رجل يرثي أباه (قال أبو الحسن يقال إنه ابنٌ لأبي العَتاهِيَةِ) :

قَلْبِ يا قَلْبِ أوْجَعَكْ ما تَعَدَّى فَضَعْضَعَـــكْ
يا أبي ضَمَّكَ الـــثَّرَى وطَوَى الموتُ أجْمَعَـــكْ
ليتَني يومَ مُـــتَّ صِرْ تُ الى تُرْبَـــةٍ مَعَـــكْ
رَحِـــمَ اللهُ مَصْـرَعَـــك بَرَّدَ اللهُ مَضْجَعَـــكْ

وقال ابراهيم بن المهدي يرثي ابنه ، وكان مات بالبصرة :

نَأى آخرَ الأيام عنـــكَ حَبيبُ فللعين سَـــحٌّ دائم وغُروبُ

Marfat.com

دَعَتْهُ نَوَى لا يُرْتَجى أوْبَةٌ لهـا فقَلْبك مسلوبٌ وأنت كَئيبْ
يؤوبُ الى أوطانِـهِ كلُّ غائبٍ وأحمدُ في الغُيَّـابِ ليس يؤوب
تَبَـدَّلَ داراً غير داريَ وجيرةً سواي وأحداثُ الزمانِ تَنوبُ
أقام بها مستَوطنا غيرَ أنه على طولِ أيام المُقـام غَريبُ
كَأنْ لم يكن كالغُصْنِ في مَيْعةِ الضُحَى سَقاه النَّدَى فاهْتَزَّ وهو رَطيبُ
كَأنْ لم يكن كالدُرِّ يَلْمَعُ نُورُهُ بأصدافـه لمـا تَشِنْـهُ ثُقوبُ
كأنْ لم يكن زَيْنَ الفِناء ومَعْقلَ النسـاء إذا يومٌ يكون عَصيـبُ
ورَيْحانَ صدري كان حينَ أَشَمُّهُ ومُؤْنِسَ قصري كان حين أغيبُ
وكانتْ يدي مَلْأَى به ثم أصبحتْ بحمـدِ الهي وهي منـه سَليبُ
قليـلا من الأيام لم يَرْوَ ناظِري بها منه حتى أُعْلَقَتْهُ شعوبُ*
كظِلِّ سحاب لم يُقِمْ غيرَ ساعـةٍ الى أن أطاحَتْهُ فطـاح جَنوبُ
أو الشمسِ لَمَّا مِنْ غَمامٍ تَحَسَّرَتْ مَساءً وقد وَلَّتْ وحان غُروبُ
سأبكيك ما أبقتْ دموعي والبُكَى بعينيَّ ماء يا بُنَيَّ يُجيبُ
وما غارَ نَجْمٌ أو تَغَنَّتْ حمامةٌ أو اخضَرَّ في فَرْعِ الأراكِ قَضيبُ
حياتيَ ما دامتْ حَياتي فإن أُمتْ ثَوَيْتُ وفي قلبي عليك نُدوبُ
وأضْمِرُ إنْ أنْقَدْتُ دمعيَ لَوْعةً عليكَ لها تحت الضُلوع وَجيبُ
دعوتُ أطِبَّاء العراق فلم يُصِبْ دَواءكَ منهم في البلاد طَبيبُ
ولم يملك الآسونَ دفعاً لِمُهْجَةٍ عليها لِأَشْراكِ المَنونِ رَقيبُ
قَصَمْتَ جَناحي بعدما هَدَّ مَنْكبي أخوكَ فرأسي قد علاه مَشيبُ
فأصبحتُ في الهلاكِ إلا حُشاشةً تُذابُ بنار الحُزْنِ فهي تَذوبُ

* اعلقته : علقت به وادركته. والأصح : علقته . شعوب : اسم علم للموت ، أم قشعم .

Marfat.com

تَوَلَّيتما في حِقْبةٍ فتركتُما صَدًى يتولّى تارةً ويَثوبُ
فلا مَيْتَ إلا دون رُزْئِكَ رُزْؤُه ولو فُتِّتَتْ حُزْناً عليه قُلوبُ
وإني وإن قُدِّمتَ قبلي لَعالمٌ بأني وإن أبطأتُ منكَ قَريبُ
وأنَّ صَباحاً نلتقي في مسائِهِ صباحٌ إلى قلبي الغَداةَ حَبيبُ

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبي ، وتَتَابع له بَنُونَ :

كَلَّ لساني عن وصف ما أجدُ وذُقْتُ ثُكْلاً ما ذاقه أحَـد
وأوطِنَتْ حُرْقَةٌ حشايَ فقد ذابَ عليهـا الفُؤادُ والكَبِدُ
ما عالَجَ الحزنَ والحرارةَ في الأحشاء من لم يَمُتْ لـه ولدُ
فُجِعْتُ باثنـين ليس بينهما إلا لَيالٍ ليستْ لهـا عَدَدُ
فكلُّ حزن يَبْلَى على قِدَمِ الدهـر وحزني يُجِدُّه الأبَـدُ

وذكر بعض الرواة ، أن عُبَيْدَ الله بن العباس بن عبد المطلب ، وكان عاملا لعليّ بن أبي طالب على اليمن ، فَشخَصَ إلى عليّ واستخلف على اليمن عمرو بن أراكةَ الثَقَفيّ ، فَوَجَّهَ مُعاويةُ إلى اليمن ونواحيها بُسْرَ بن ارْطاةَ أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ ، فَقَتَلَ عمرو بن أراكة فَجَزِعَ عليه عبدُالله أخوه جَزَعاً شديداً ، فقال أبوه :

لَعَمْري لئن أتْبَعْتَ عينيك ما مَضَى به الدهرُ أو ساقَ الحِمامُ إلى القبر
لَتَسْتَنْفِدَنْ ماء الشؤون بأسْرِهِ ولو كنتَ تَمْرِيهِنَّ من ثَبَجِ البحر
لعمري لقد أرْدَى ابنُ أرطاة فارساً بصَنعاء كالليث الهِزَبْرِ أبي أجر
وقلتُ لعبدالله إذ حَنَّ باكيـاً تَعَزَّ وماء العـين مُنْهَمِرٌ يجري
تَبَيَّنْ فان كان البُكا رَدَّ هالكاً على أهـله فاشْدُدْ بكاكَ على عمرو

Marfat.com

ولا تَبْكِ مَيْتاً بعد مَيْتٍ أَجَنَّهُ عليٌّ وعباسٌ وآلُ أبي بَكْرِ

وقوله : من ثبج البحر فَثَبَج كلِّ شيء وَسَطُهُ . ويروى في الحديث : كنتُ إذا فاتحتُ الزُّهرِيَّ فَتَحْتُ منه ثَبَجَ البحر. وقوله : تمريهن، هو مثل يقال : مَرَيْتُ الناقةَ إذا مسحتَ ضرعِها لِتَدُرَّ ، فإنما هو استخراج اللبن ، ويقال : مَرَيْتُ بِرِجلي الأرضَ إذا مسحتها ، والاصل ذلك فإنما أراد ، كنت تستخرج الدموع من ثبج البحر، وكان بسر بن أرطاة في تلك الحروب أُرْشِدَ على ابنين لعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما طفلان وأُمُّهما من بني الحرث بن كعب فوارَتْهما ، فيقال : أخذهما من تحت ذَيْلِها فقتلهما ، ففي ذلك تقول الحارِثِيَّةُ :

أَلا مَنْ بَيَّنَ الأَخَوَيْـــنِ أُمهما هي الثَّكْلَى
تُسائلُ مَنْ رأى ابنيها وتَسْتَبْغي فما تُبْغَى

وفي ذلك تقول أيضاً :

يا مَنْ أَحسَّ بُنَيَّيَّ اللذَيْنِ همـــا كالدُّرَّتَيْنِ تَشَظَّى عنهما الصَـــدَفُ
يا مـــن أحس بُنَيَّيَّ اللذين همـــا سمعي وطَرْفي فَطَرْفي اليوم مُخْتَطَفُ
يا من أحس بنيي اللذين همـــا مُخُّ العِظام فَمُخِّي اليومَ مُزْدَهَفُ
نُبِّئْتُ بُسْراً وما صَدَّقْتُ ما زعموا من قولهم ومن الإفْكِ الذي اقْترفوا
أنْحَى على وَدَجَيْ طفْلَيَّ مُرْهَفَةً مَشْحوذةً وعظيمُ الإفكِ يُقْتَرَفُ
مَنْ دَلَّ والهةً حَرَّى مُفَجَّعةً على صبيَّين غابا إذْ مَضى السَلَفُ

ويروى أن معاوية لما أتاه موت عُتْبَةَ تَمَثَّل :

إذا سار مَنْ خَلْفَ امرِىءٍ وأمامَهُ وأَوحشَ من أصحابه فهو سائرُ

Marfat.com

فلما أتاه موتُ زِيادٍ تمثل :

وأفرِدْتُ سَهْماً في الكِنانة واحداً سَيُرْمَى به أو يَكْسِرُ السَهْمَ كاسِرُ

وماتت إمرأة للفرزدق بِجُمْعٍ ، ومعنى جُمْعٍ وَلَدُها في بطنها ، (وإن شئت قلت جِمْعٌ يا فتى) فقال :

وَجَفْنِ سلاح قد رُزِئْتُ فلم أُنَحْ عليه ولم أَبْعَثْ عليه البَواكيا

وفي جوفه من دارِمٍ ذو حَفيظةٍ لو آن المَنايا أنْسَأْتهُ لَياليا

وهذا من البَغْي في الحكم والتقدم . قال رجل من المُحْدَثين في ابنين لعبد الله ابن طاهر أُصيبا في يوم واحد ، وهما طفلان شَبيهاً بهذا ولكنه اعتذر ، فَحَسُنَ قولُهُ ، وصح معناه باعتذاره وهو الطائي :

لَهْفي على تلك الشواهد فيهما لو أُمْهِلَتْ حتى تكون شمائلا

إن الهلال إذا رأيتُ نُموَّهُ أيقنتَ أنْ سيكونُ بدراً كاملاً

وقال الفرزدق يرثي حَدْراء الشَيْبانية :

يقول ابنُ صَفْوانٍ بقيتَ ولم تكن على امرأةٍ عَيْني إخالُ لِتَدْمَعا

يقولون زُرْ حَدْراء والتُرْبُ دونها وكيف بشيء عَهْدُهُ قد تَقَطَّعا

ولَسْتُ وإن عَزَّتْ عليَّ بزائرٍ تراباً على مَرْموسةٍ قد تَضَعْضَعا

وأهْوَنُ مَفْقودٍ اذا الموتُ نالَهُ على المَرْءِ من أصحابه مَنْ تَقَنَّعا

وما مات عند ابن المَراغة مثلُها ولا تَبِعَتْهُ ظاعِناً يومَ وَدَّعا

وقال جَرير يرثي امرأته :

لولا الحياءُ لهاجَني اسْتِعْبارُ ولَزُرْتُ قبرَكِ والحبيبُ يُزارُ

نِعْمَ الخليلُ وكنتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ ولَدَيَّ منكِ سَكينةٌ ووَقارُ

Marfat.com

لن يُلْبِثَ القُرَناءَ أن يَتَفَـــرَّقوا ليلٌ يَكُرُّ عليهمُ ونهارُ
صلى الملائكةُ الذين تُخيِّروا والصالحونَ عليكِ والأبْرارُ
أفأُمَّ حَزْرةَ يا فرزدقُ عِبْتُمُ غَضِبَ المَليكُ عليكمُ الجَبَّارُ

وقال رجل من خُزاعةَ ويُنْحَلُهُ كُثَيِّرٌ يرثي عمر بن عبد العزيز بن مَرْوانَ :

(قال أبو الحسن الذي صح عندنا أن هذا الشعر لقُطْرُبٍ النحويّ) .

أما القُبورُ فإنهنَّ أوانسٌ بِجوارِ قبرِكَ والديار قُبورُ
جَلَّتْ رَزِيَّتُهُ فَعَمَّ مُصابُهُ فالناسُ فيه كلهم مأجورُ
(رَدَّتْ صَنائعُهُ اليه حَياتَهُ فكأنه من نَشْرِها مَنْشورُ)
والناسُ مَأْتَمُهُمْ عليه واحدٌ في كل دارٍ رَنَّةٌ وزفير
يُثني عليك لسانُ مَنْ لم تُولِهِ خيراً لأنك بالثَناءِ جَديرُ

ومثله قول عُمارةَ بمدح خالد بن يَزيدَ بن مَزْيَدٍ :

أرى الناسَ طُرًّا حامدين لخالدٍ وما كلهم أفضَتْ اليه صَنائعُهْ
ولن يَتْرُكَ الأقوامُ أن يمدحوا الفَتى إذا كَرُمَتْ أخلاقُــه وطَبائعُهْ
فَتًى أمعنت ضَرَّاؤه في عــدوِّهِ وخَصَّتْ وعَمَّتْ في الصديق منافِعُهْ

ومن قوله : والناس مأتمهم عليه واحد . أخذ الطائي في مَرْثِيتِهِ :

لئن أبْغِضَ الدهرُ الخؤُونُ لِفَقْدِهِ لَعَهْدي به حَيًّا يُحَبُّ بــه الدهرُ
لئن عَظُمَتْ فيه مصيبــةُ طَيِّيءٍ لَما عُرِّيَتْ منها تميمٌ ولا بَكْرُ

وقال القرشي :

قد كنتُ أبكي على مَنْ فات من سَلَفي وأهلُ وُدِّي جَميعٌ غيرُ أشتات
فاليومَ إذْ فَرَّقَتْ بيني وبينهمُ نَوَىً بكيتُ على أهل المرُوآت

Marfat.com

وما بقاءُ امرىءٍ كانت مَدامعُهُ مقسومةً بين أحياءٍ وأموات

ويروى أن عليّ بن أبي طالب رضوانُ الله عليه ، تمثل عند قبر فاطمة عليها السلام :

(لكل اجتماعٍ من خليلين فرقةٌ وانَّ الذي دون الفِراق قَليلُ)
وإن افتقادي واحداً بعد واحدٍ دليلٌ على أن لا يدومَ خليلُ

وقال عَقيلُ بن عُلَّفةَ المُرّيُّ من غَطَفانَ :

لَعَمْري لقد جاءتْ قَوافلُ خَبَّرَتْ بأمرٍ من الدنيا عليَّ ثقيلِ
وقالوا ألا تبكي لمصْرَع هالِكٍ أصاب سبيلَ الله خيرَ سبيل
كأنَّ المَنايَا تَبْتَغي في خِيارنا لها ثِرَةً أو تهتدي بدليل
لِتَأْت المَنايا حيث شاءت فإنها مُحَلَّلةٌ بعد الفَتَى بن عَقيل
فَتًى كان مولاه يَحُلُّ بنَجْوةٍ فَحَلَّ المَوالي بعده بِمَسيل

وتمثلت عائشة عند قبر عبد الرحمن بن أبي بكر بقول مُتَمِّم ابن نُوَيْرَةَ :

وكُنَّا كَنَدْمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً من الدهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعا
وعِشْنا بخيرٍ في الحياة وقَبْلَنا أصاب المنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعا
فلما تفرَّقنا كأنّي ومالكاً لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معاً

ومات صديق لسليمان بن عبد الملك يقال له شَراحيلُ ، فتمثل عند قبره :

وَهَوَّنَ وَجْدي عن شَراحيلَ أنني إذا شئتُ لاقيتُ امرءاً ماتَ صاحِبُهْ

Marfat.com

وقال أعرابي :

ألا لَهْفَ الأرامل واليَتامَى ولَهْفَ الباكياتِ على قُصَيّ
لَعَمْرُكَ ما خشيتُ على قُصَيٍّ مَتالَف بين حَجْرٍ والسُّلَيّ
ولكنّي خشيتُ على قصيّ جَريرةَ رمحه في كل حَيّ
فَتَى الفِتْيان مُحْلَوْلٍ مُمِرٌّ وأَمّارٌ بإرْشادٍ وغيّ

فهذا الشعر من أَجفى أَشعار العرب، ينبىء صاحبه أَن تقديره في المَرْثِيّ أن تكون منيته قتلا ويتأسف من موته حَتْفَ أنفه . ويقول في مدحه (وأمار بإرشاد وغي) وشبيهٌ بهذا قول لبيدٍ في أَخيه أَرْبَدَ لما أصابته الصاعقةُ ، وأصابتْ عامراً الغُدَّةُ بدعوة رسول الله ﷺ ، وكان عامرُ ابنُ الطُفَيْلِ صار الى رسول الله ﷺ ، ومعه أَربَد فقال لأربد : أنا أَشْغَلُهُ لكَ وأَضرِبْهُ أنت بالسيف من ورائه . فدعاه رسول الله ﷺ الى الإسلام على أن يجعل له أَعِنَّةَ الخيل ، فقال عامر : ومن يمنعها اليومَ مني ، ولكن ان شئتَ فَلَكَ المَدَرُ ولي الوَبَر أو لي المَدَر ولك الوبر ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ ، فقال : فاجعل لي هذا الأمر بعدكَ ، فأعلمه النبيُّ أن ذلك ليس بكائن ، قال : فأَبْشِرْ بخيلٍ أَوَّلُها عندك وآخرُها عندي ، فقال رسولُ الله ﷺ : يأبى الله ذلك وأَبنا قَيْلَةَ ، يعني الأَوْسَ والخَزْرَجَ . ويُروى أَن سعد بن عُبادةَ قال : يا رسول الله ، غلامَ يَسْحَبُ هذا الأعرابيُّ لسانه عليك دَعْني أقتله . ويروى أَن عامراً قال للنبيّ عليه السلام : لأَغْزُوَنَّكَ على ألف أَشقَرَ وألف شَقْراء . فلما قال ، قال رسول الله ﷺ : اللهمّ اكفنيهما . وتَرْوِي قَيْسٌ أنه قال : اللهم إن لم

Marfat.com

لم تهد عامراً فاكفنيه ، وقال عامر لإربـــد : قد شغَلتُه عنك مراراً فَالاً ضَربتَهُ ؟ قال أربد : أردتُ ذلك مرّتين فاعترض لي في إحداهما حائطٌ من حديد ، ثم رأيتكَ الثانيةَ بيني وبينه أفأقتلك ؟ قلم يَصِلْ واحدٌ منهـــما الى منزله ، أما عامر فَغُدّ في ديار بني سَلولٍ بن صَعْصعةَ ، فجعـل يقول : أُغدّةً كغُدّةِ البعير وموتاً في سَلوليةٍ ، وأما أربد فارتفعت له سحابة فَرَمَتْـهُ بصاعقةٍ فأحرقته. وكان أخا لبيدٍ لأُمه فقال يرثيه :

أَخشَى على أَرْبَدَ الحتُوفَ ولا أَرْهَـبُ نَوْءَ السِماكِ والأَسَدِ
ما إنْ تُعَرّي المَنونُ من أحـد لا والدٍ مشفـــقٍ ولا ولد
فَجّعَني الرعـدُ والصواعقُ بالفـــارس يوم الكَريهـــة النَجُدِ
يا عَيْن هَلاّ بَكَيْتِ أربـــدَ إذ قمنا وقام العَـــدُوُّ في كَبَـــدِ

وقال أيضاً :

ذهبَ الذين يُعاشُ في أكْنافهـــم وبقيتُ في خَلْفٍ كجِلْدِ الأجْرب
يتحدّثون مَخانَـــةً ومَـــلاذةً ويُعـابُ قائلُهم وإن لم يَشْغَب
يا أَرْبَدَ الخيرِ الكريمَ جُدودُه غادَرْتَني أمشي بقَـــرْنٍ أعضَبِ
إن الرزيئةَ لا رَزيئةَ مثلُها فِقْدانُ كلّ أخٍ كضوء الكوكبِ

قوله خَلْفٍ ، يقال هو خَلَفُ فلان لمن يَخْلُفُهُ من رهطـه ، وهؤلاء خلْفُ فلان إذا قاموا مقامه من غير أهله . وقلما يُستعمل خَلْفٌ إلا في الشر وأصله ما ذكرنا . والمَخانةُ مصدر من الخِيانة ، والمَلوذُ الذي لا يصدق في مودّته ، يقال : رجل مَلوذٌ ومَلْذانٌ ، وملاذةٌ مصدره . والأعضَبُ المقطوع . وفي الحديث : لا يُضحّى بعَضْباء . ويروى أن رجلاً قال لمعْنِ بن زائدة

Marfat.com

في مرضه : لولا ما مَنَّ الله به من بقائك لكنا كما قال لَبيدٌ :

ذَهَبَ الذين يُعاشُ في أكنافهم وبقيتُ في خَلْفٍ كجلد الأجرب

فقال له مَعْنٌ : انما تذكر أني سُدْتُ حين ذهب الناس ، هلا قلتَ كما قال نَهارُ بن تَوْسِعةَ :

قَلَّدْتُـهُ عُرَى الامور نِزارٌ قبل أن تَهْلِكَ السَراةُ البُحورُ

ثم نرجع إلى ذكر المراثي ، وقال أعرابي :

لَعَمْري لقد نادَى بأرفع صوته نَعِيٌّ حُيَيٌّ أن سيِّدكم هَوَى
أَجَلّ صادقاً والقائلُ الفاعلُ الذي إذا قال قولاً أنبَطَ الماء في الثَرَى
فتى قُبُلٌ لم تُعْنِسِ المِنُّ وجهَهُ سوى وَضَحٍ في الرأس كالبَرْق في الدُجى
أشارتْ له الحربُ العَوانُ فجاءها يُقَعْقِعُ بالأقرابِ أوَّلَ مَنْ أتى
ولم يَجْنِها لكن جَناها وَلِيُّـهُ فآسَى وآداهُ فكان كمَنْ جَنَى

ويروى أن عائشة رضي الله عنها نضَرتْ إلى الخَنْساء ، وعليها صِدارٌ من شعرٍ فقالتْ : يا خنساء ، أتَلْبَسينَ الصِدارَ وقد نَهَى رسولُ الله ﷺ عنه ؟ فقالت : لم أعلم بنهيه ، ولكنْ لهذا الصدار سبب ! فقالت : وما هو ؟ قالت لها : كان زوجي رجلًا مِتْلافـاً فَأخفَقَ فأراد أن يسافر فقلت له : أقِم وأنا آتي أخي صَخْراً فاسأله ، فأتيته ، فشاطَرَني مالَهُ فأتلفَـه زوجي فَعُدْتُ له ، فعاد لي بمثل ذلك فأتلفه زوجي ، فعدت له ، فلما كان في الثالثة أو الرابعة ، قالت له امرأة : ان هذا المالَ مُتْلَفٌ فامْنَحْهـا شِرارَها ، فقال صخر :

Marfat.com

والله لا أمْنَحُهـــا شِرارَهـا ولو هَلَكْتُ خَرَّقَتْ خِمارَها
واتخذْت من شَعَرٍ صِدارَهـــا

فلما هلَكَ اتخذتُ هذا الصِدار ، وكان صخر أخا الخنساء لأبيهـــا فقط . ويروى عن بعض نساء بني سُلَيْمٍ ، انها نظرت إليها في صِدَارٍ ، وهي تصنع طيباً لابنتها لتنقلها إلى زوجها ، فقاولَتْها في شيء كرهته الخنساء فقالت لها : اسكتي ، فواللهِ لقد كنتُ أبسطَ منكِ عَرْقاً ، وأطيبَ منكِ وَرْساً ، وأحسنَ منك عُرْساً ، وأرَقَّ منكِ نَعْلا وأكْرمَ منك بَعْلا . وكان بَشّارٌ يقول : لم تقل امرأة شِعراً قط الا تُبَيِّنَ الضعفُ فيـه . فقيل له : أو كذلك الخنساء ؟ فقال : تلك كان لها أربعُ خُصَى ! وقـــال القرشي ، وتَتابَعَ له بَنونَ :

أسُكّانَ بَطْن الأرض لو يُقْبَلُ الفِدا فُدِيْتُمْ وأعطينا بكم ساكِني الظَهْرِ
فيا ليتَ مَنْ فيها عليها ولَيْتَ مَنْ عليها ثَوَى فيها مقيماً إلى الحَشْر
فماتوا كأنْ لم يعرف الموتُ غيرهم فَثُكْلٌ على ثُكْلٍ وقبرٌ على قبر
لقد شَمِتَ الأعداءُ بي وتَغَيَّرَتْ عُيونٌ أراها بعد موت أبي عمرو
تَجَرّى عليّ الدهرُ لمّـا فقدتُهُ ولو كان حَيًّا لاجْتَرَأْتُ على الدهر
وقاسمني دهري بَنِيَّ مُشاطِـــراً فلما تَوَفّى شطرَهُ مالَ في شَطْري

وحدثني العباس بن الفَرَجِ الرياشيُّ قال : قَدِمَ رجلٌ من البادية ، فلما صار بجبل سَنامٍ مات له بنون ، فدفنهم هناك ، وقال :

دَفَنْتُ الدافعينَ الضَيْمِ عَني بِرابيةٍ مُجاورةٍ سَنامـــا
أقولُ إذا ذكرتُ العَهْدَ منهم بنفسي تلك أصداء وهاما

Marfat.com

فـــلم أرَ مثلهم ماتوا جميعاً ولم أرَ مثل هذا العام عاماً

(قال أبو الحسن الأخفش ، وفيها عن غير أبي العباس) :

فَليتَ حِمامَهُـــمْ إذْ فارقوني تَلَقَّانا فكانَ لنا حِماما

قال أبو العباس : ويروى أن رجلاً كان له بنونَ سبعةٌ . يَرْوِي ذلك أبو الحسن المدائنيُّ ، قال أبو العباس : فاخْتُلِفَ عليَّ فيهم ، فقال قوم : كانوا تحت حائط ، وقال قوم آخرون : بل حُلِبَ لهم في عُلْبةٍ ، فَمَجَّ فيها أفْعَى فَبُعِثَ بها اليهم فشربوها فماتوا جميعاً ، والرجلُ يقال له الحرث ابن عبد الله الباهليّ ، وهلكتْ لجار له شاة فجعل يُعْلِنُ بالبكاء عليها ، فقال قائل :

يا أيها الباكي على شاتِـــهِ يَبْكي جِهاراً غـــيرَ إسْرار

إنَّ الرَزِيئـــاتِ وأمثالَها ما لقي الحـــرثُ في الدار

دعا بني مَعْنٍ وإخوانَهُـــمْ فكلهم يعـــدو بمِحفـــار

قال أبو العباس : والمصائب ما عَظُمَ منها وما صَغُرَ تقع على ضربين ، فالحزْمُ التَسَلِّي عما لا يغني الغَمُّ فيه ، والإحتيالُ لدفع ما يُدْفَعُ بالحيلة . ومن أحسن القول في هذا المعنى في الاسلام قولُ عليّ ابن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب عليهم السلام ، حين مات ابنه فلم يُرَ منه جَزَعٌ ، فَسُئِلَ عن ذلك ، فقال : أمرٌ كنا نتوقعه ، فلما وقع لم ننكره . وفي هذا زيادة تُنْتَظَرُ ، وفَضْلُ تسليم لقضاء الله عز وجل ، والعرب تقول : الحَذَرُ أشدُّ من الوقيعة . وقال رجل من الحكماء: إنما الجزَعُ والإشفاقُ قبل وقوع الأمر ، فإذا وقع فالرضا والتسليمُ . ومن هذا قول عمر بن عبد العزيز رحمه

Marfat.com

الله إذا استأثر الله بشيء فألَهُ عنه ، يقال لَهِيتُ عن الأمر ألْهَى إذا أضربتَ عنه ، ولَهَوْتُ ألهو من اللعب . ومن أقدَمِ ما قيل في هذا المعنى قولُ أوس بن حَجَرٍ الأُسَيْدِيِّ ، من بني أُسَيِّدَ بن عمرو بن تميم يرثي فَضالةَ ابن كَلَدَة ، أحد بني أسَد بن خُزَيْمَةَ :

أيتها النفسُ أجمِلي جَزَعاً إن الذي تَحْذَرين قد وَقَعا
إن الذي جَمَّعَ السَماحةَ والـــنَجدةَ والحَزْمَ والقُوَى جُمَعا
(أوْدَى فما تنفع الإساعةُ من شيء لمن قد تحاوَلَ البِدَعا)
الأَلْمَعِيُّ الذي يظنُّ لكَ الـــظنَّ كأنْ قد رأى وقد سَمِعا
المُخْلِفُ المُتْلِفُ المُرَزَّأُ لم يُمْتَعْ بضعفٍ ولم يمت طَبَعا
والحافظُ الناسَ في تَحوطَ إذا لم يُرْسِلوا خَلْفَ عانذٍ رُبَعا
وعَزَّت الشَمْألُ الرياحُ وقد أمْسَى كَمِيعُ الفَتاة مُلْتَفِعا
وشُبَّهَ الهَيْدَبُ العَبامُ من الأقوام سَقْباً مُلَبَّساً فَرَعا
وكانت الكاعبُ المُمَنَّعةُ الحـــسناء في زاد أهلهـــا سَبُعا
لِيَبْكِكَ الشَرْبُ والمُدامةُ والـــفِتْيانُ طُرًّا وطامِـــعٌ طَمِعا
وذاتُ هِدْمٍ عارٍ نَواشِرُها تُصْمِتُ بالماء تَوْلَباً جَدِعا

وفيها زيادة لكنا اخترنا قوله ، الألمعيُّ الحديدُ اللسان والقلب ، وقد أبانه بقوله ، الذي يظن لك الظن كأن قد رأى وقد سمعا ، وقوله : المخلف المتلف ، أراد أنه يُتلِفُ ماله كَرَماً ويُخْلِفهُ نَجْدةً ، كمال قال :

ناقَتُهُ تُرْقِلُ في الثِقـــال مُتْلِفُ مالٍ ومُفيدُ مـــال

وقال آخر (فأتلف ذاكَ مِتْلافٌ كَسوبُ) . والمرزَّأ الذي تنـــاله

Marfat.com

الرَزِيئاتُ في ماله لما يُعْطِي ويُسْئل . والإمتاع الإقامة ، فيقول : لم يُقِمْ وهو ضعيف ، والطَبَعُ أسوأ الصمع ، وأصله أن القلب يعتاد الخلّة الدنيئة فتركبه كالحائل بينه وبين الفهم لقبح ما يظهر منه ، وهذا مَثَلٌ وأصله في السيف وما أشبهه يقال : طَبِعَ السيفُ ، إذا ركبه صَدَأ يستر حَديدَهُ ، وطبع الله على قلوبهم من ذا . ونَحوطُ وقَحوطُ إسمان للسنة الجَدْبَة ، كما يقال حَجْرَةٌ وكَحْلٌ . وقوله : لم يرسلوا خلف عائذ ربعا ، فالعائذُ الحديثةُ النِتاج ، والربعُ الذي يُنْتَجُ في الربيع ، ومن شأنهم في سنة الجدب أن ينحروا الفِصال لئلا ترضع فَتَضُرَّ بالأُمهات . وقوله : وعزت الشمأل الرياح ، يقول غلَبَتْها وتلك علامة الجدب وذهابِ الأمطار ، ومن ذلك قولهم : مَنْ عَزَّ بَزَّ أى من غلب استلب . وفي القرآن : وعزّني في الخطاب ، أي غلبني بالمخاطبة . وقوله : وقد أمسى كميع الفتاة ، فالكَميعُ الضَجيع ، وهو الكِمْعُ ، قال الراجز : (ومَشْحوذُ الغِرار يبيتُ كِمْعي) يعني السيف أي يبيت مُضاجِعي مُلْتَفِعاً ، يقال : تَلَفَّع في مُطْرفه وفي كسائه إذا تلفف وتَزَمَّلَ فيه ، فيقول من شدة الصِرّ يلتفع به دون ضجيعه ، والكاعب التي كَعَبَ ثديها ، يقول : تصير كالسبُع في زادِ أهلها بعد أن كانت تعافُ طيِّبَ الطعام . وقوله : وذات عِدْمٍ ، يعني امرأةً ضعيفة ، والهِدْمُ الكساء الخَلَقُ الرَثُّ ، وقوله: عارِ نواشرها ، النواشرُ عروقُ الساعد ، ولتولبُ الصغير ، والجدع السيء الغذاء ، وهو الجَحِنُ والقَتينُ ، وقال أعرابي :

خليليَّ عوجا بارَكَ اللهُ فيكما ... على قبر أهبانٍ سقته الرواعدُ
فذاكَ الفتى كلُّ الفتى كان بينه ... وبين المُزَجّى نَفْنَفٌ متباعدُ

Marfat.com

إذا نازع القومَ الأحاديثَ لم يكن عَيِيًّا ولاعِبًا على مَنْ يُقاعِدُ

وقالت لَيْلَى الأَخْيَلِيَّةُ :

دعا قابِضاً والمُرْهَفاتُ يَنُشْنَهُ فَقُبِّحْتَ مَدْعُوًّا ولَبَّيْكَ داعيا

فليت عُبَيْدَ الله كان مكانَـــه صَريعاً ولم أسمع لتَوْبَةَ ناعيا

وكان سبب هذا الشعر أن توبة بن حُمَيِّرٍ العُقَيْلِيَّ : ثم الخَفاجيَّ غزا فَغَنِمَ ثم انصرف فَعَرَّسَ في طريقه فَأَمِنَ ، فقال: فَنَدَّتْ فرسه فأحاط به عدوّه ومعه عبيد الله أخوه وقابضٌ مولاه ، فدعاهما فَذَبَّ عبيـــدُ الله شيئاً وانهزما ، وقُتِلَ توبةُ . ففي ذلك تقول ليلى الأخيلية :

أَعَيْنِي ألا فابكي على ابن حُمَيِّرٍ بدمعٍ كَفَيْضِ الجَدْولِ المُتَفَجِّرِ

لِتَبْكِ عليه من خَفاجةَ نِسْوةٌ بماء شُؤون العَبْرةِ المُتَحَـــدِّرِ

سَمِعْنَ بَهيْجا أزحفتْ فَذَكَرْنَهُ وقد يَبْعَثُ الأحزانَ طولُ التَذَكُّرِ

كأنَّ فتى الفِتْيـــان توبةَ لم يُنِخْ بنَجْدٍ ولم يَطْلُعْ مع المُتَغَوِّرِ

ولم يَرِدِ الماءَ السَّدامَ إذا بدا سَنا الصُّبْحِ في أعقاب أَخْضَرَ مُدْبِرِ

ولم يَقْدَعِ الخصمَ الأَلَدَّ ويملإِ الـــجِفانَ سَديفاً يوم نَكْباءَ صَرْصَرِ

ألا رُبَّ مكروبٍ أَجَبْتَ وخائفٍ أَجَرْتَ ومعروف لديك ومُنْكَرِ

فيا تَوْبَ للمَوْلَى ويا تَوبَ للنَدَى ويا تَوْبَ للمُسْتَنْبِحِ المُتَنَـوِّرِ

قولها : لتبك عليه من خفاجة نسوة ، تعني خفاجة بن عُقَيْلِ بن كَعْبِ بن ربيعة بن عامر بن صَعْصعةَ، والهيجاء تمدّ وتقصر ، وقدمر هذا . وقولها بنجد ولم يطلع مع المتغور ، فالنَجْدُ كل ما أشرف من الأرض ، والغَورُ

Marfat.com

كل ما انخفض . ويقال ماء سدام ، ومياه سُدُمٌ ، وهي القديمة المندفقة ، قال الشاعر :

وعلْمي بأسْدام المياه فلم تَزَلْ قَلائصُ تُحْدَى في طَريقٍ طَلائحُ

وسنا الصبح ضوءه ، وهو مقصور ، فإذا أردت الحَسَبَ مددتَ ، والأخضر الذي ذكرتْ هو الليلُ ، والعرب تسمي الأسود أخضر . وقولها ولم يقدع الخصم الألد ، فالألد الشديد الخِصام ، والسديف شِقَقُ السَنام ، والنَكْباء الريح بين الريحين ، الشديدة الهبوب . والصرصرُ الشديدةُ الصوت ، والمستنبِح الذي يَسْرِي فلا يعرف مَقْصِداً فينبح لتجيبه الكلابُ ، فيقصدها ، والمتنوّر الذي يلتمس ما يَلوحُ له من النار فيقصده . قال الأخطَلُ يَعيّرُ جريرا :

قَومٌ إذا اسْتَنْبَحَ الأضيافُ كلبهم قالوا لِأُمِّهمُ بُولي على النار

فيقال ان جريراً توجع من هذا البيت ، وقال جَمَعَ بهذه الكلمة ضروبا من الهجاء والشتم : منها البخلُ الفاحش ، ومنها عقوق الأم في ابتذالها دون غيرها ، ومنها تقذير الفِناء ، ومنها السوءة التي ذكرها من الوالدة ، وقال آخر :

وإني لأَطْوِي البطن من دون مِلْئِهِ لِمُخْتَبِطٍ في آخر الليْل نابحِ
وان امتلاء البطنِ في حَسَب الفتى قَليلُ الغَناء وهو في الجسم صالح

وقالت لَيْلَى الأخيلية :

نَظرتُ وركنٌ من بُوَانَةَ دونَنا وأركانُ حِسْمَى أي نظرةِ ناظر
الى الخيل أجلَى شَأوُها عن عَقيرةٍ لعاقِرها فيها عَقيرةُ عاقر

Marfat.com

كأن فَتَى الفِتْيان تَوْبَةَ لم يُنِخْ قَلائصَ يَفْحَصْنَ الحصى والكَراكر
ولم يَبْنِ أبراداً رِفاقاً لِفِتْيةٍ كِرام ويَرْحَلْ قبل فَيْءِ الهواجر
فتى لا تخَطَّاه الرفاقُ ولا يَرَى لِقدْرٍ عيالاً دون جارٍ مجاوِرِ
وكنتَ إذا مَوْلاكَ خاف ظلامةً دعاك ولم يقنع سواك بناصِر

قولها : أي نظرة ناظر ، يصلح فيه الرفع والنصب على قوله نظرت أيَّ نظرةٍ وأيَّةَ نظرة وأيَّتَا نظرةٍ وأيَّما نظرةٍ ، كما تقول : مررتُ برجل أيَّما رجلٍ . وتأويله : مررت برجل كامل، فأيما في موضع : كامل . وتقول : مررت بزيد أيَّما رجل ،على الحال. ومن قال : أيُّ نظرةِ ناظرٍ ، فعلى القطع والابتداء ، والمَخْرَجُ مَخْرَجُ استفهام ، وتقديره أيُّ نظرة هي ، كما تقول : سبحان الله أيُّ رجل زيد . وهذا البيت يُنْشَدُ على وجهين :

فَأومَأتُ إيماءً خفيا لِحَبْتَرٍ ولله عينا حَبْتَرٍ أيَّما فتى

وأيُّما إن شئت على ما فسرنا . وقولها الى الخيل أجلا شأوها عن عقيرة ، شأوُها طَلَقُها . وقولها : لعاقرها فيها عقيرة عاقر ، أي قد أصابوا عقيرةَ نفيسة ، كقول القائل : نعم غنيمة المغتنم ، وكقولهم : عَقيرةٌ وكما تكون ، وهذا نظير قوله :

ولما أصابوا نَفْسَ عمرو بن عامر أصابوا به وِتْراً يُنيمُ ذوي الوِتْرِ

يقال : ثأر مُنيمٌ إذا أصابه المُثْئِرُ هَدَأً واستقر لأنه أصاب كفؤا ، وهذا خلاف قول الآخر :

قوم إذا جَرَّ جاني قومِهم أمِنوا لِلُؤْمِ أحسابهم أن يُقْتَلُوا قَوَدا

Marfat.com

وخلاف قول الحرثِ بن عُبادٍ :

لا يُجَيْرٌ أغْنَى قَتيلاً ولا رَهْـــطُ كُلَيْبٍ تزاجروا عن ضـــلال

ولكن كما قال دُرَيْدُ بن الصِمَّةِ :

قتلتُ بعبد الله خيرَ لِداتِـــهِ ذُؤاباً فلم أفْخَرْ بذاك وأجزعا

وكما قال عبيد الله بن زياد بن ظَبْيانَ التَيْمِيُّ ، من بني تَيْمِ اللاتِ بن ثَعْلبةَ ، حيث قَتَلَ مُصْعَبَ بنَ الزبير بأخيه النَّابِي بن زِيادٍ :

إن عُبَيْدَ الله ما دام سالمـــاً لَسارٍ على رَغْم العدوِّ وغـادي

ونحن قتلنا ابن الزبـــير وراسَهُ حَـزَزْنا برأس النـابي بن زِياد

كسر الياء على الأَصل ، كما قال ابن قَيْسٍ الرُقَيَّاتِ :

لا بارِكَ الله في الغَواني هـــل يُصْبِحْنَ إلا لَهُـــنَّ مُطَّلَبُ

ومن أخـــذه من نبأت على القوم ، أي طلعت عليهم فلا علة فيه ولا ضرورةَ (قال الأخفش : المعروف فيه الهمز والمبرد لم يهمزه ، فإنما أخذه من نَبا يَنْبو ، فصار مثل رامٍ وقاضٍ ، وما أشبههما) وقال أبو الأسد مَوْلَى خالد بن عبد الله القَسْرِيِّ ، لما قتلوا الوَليد بن يزيد بن عبد الملك بخالد ابن عبد الله :

فإن تَقْتلوا منا كَريمـــاً فإننا قتلنا أميرَ المؤمنين بخـــالد

وإن تَشْغَلونا عن نَدانا فإننـــا شَغَلْنا وَليداً عن غناء الولائد

تركنا أمـــيرَ المؤمنـــينَ بخالدٍ مُكبّاً على خَيشومه غيرَ ساجد

وقال الخُزاعيُّ بعد :

قتلنا بالفتى القَسْرِيِّ منهم وَليدَهُمُ أمـــيرَ المؤمنينـــا

Marfat.com

(ومَرْواناً قَتَلْنا عن يزيـــدٍ كذاك قضاؤنا في المعتدينـــا
وبابن السِمْطِ مِنّا قـــد قَتلْنا محمـــداً بن هرون الأمينـــا)
فمن يـــك قتـــلهُ سُوَقاً فإنا جعلنا مَقْتلَ الخُلَفـــاء دِينا

وقولها : ويرحل قبل فيء الهواجر ، تريد أنه متيقظ ظَعَّانٌ . والمولى في قولها : إذا مولاك خاف ظلامة ، يحتمل ضروباً ، فالمولى ابن العم . وقوله عز وجل : وإني خِفْتُ الموَالي من ورائي ، يريد بني العم ، قـــال الفَضْلُ بن العباس :

مَهْلاً بني عمنـــا مهلا مَوالينا لا تَنْبشُوا بيننا ما كان مَدْفونا

ويكون المولى المُعْتَق ، ويكون المولى من قوله جَلَّ ثناؤه : وإن الكافرين لا مَوْلَى لهم . ويكون المولى الذي هو أحقُّ وأوْلَى به ، قوله : مأواكم النار هي مولاكم ، أي أولى بكم ، والمولى المالك . وقولها ولم يبن أبراداً تريد الخيام . قال أبو العباس : وكانت الخَنْساء ولَيْلَى بائنتين في أشعارهما ، متقدمتين لأكثر الفحول ، ورب امرأة تتقدم في صِناعةٍ ، قلما يكون ذلك والجملة ما قال الله عز وجل : أو من يُنَشَّأُ في الحِلْيَةِ وهو في الخصام غيرُ مُبينٍ . وقال النبي ﷺ إن المرأة خُلِقَتْ من ضِلَعٍ عَوْجاء ، وإنك ان تُرِدْ إقامتَها تَكْسِرها فدارِها تَعِشْ بها . فممن نَدَرَ من النساء في باب من الأبواب ، أمُّ أيوب الأنصاريةُ ، وأمُّ الدَرْداء ، ورابعةُ القَيْسِيَّةُ ، ومُعاذَةُ العَدَوِيَّةُ . فإن هؤلاء النسوة تَقَدَّمْنَ في الفضل والصلاح على تقدُّم بعضهن بعضاً . حدثني الجاحظ عن ابراهيم بن السِنْدِيّ قال : كانت تصير إليّ هاشِمِيَّةٌ . جاريةُ خَنْدوَنَةُ ، في حاجات صاحبتها فَأَجْمَعُ نفسي لها

Marfat.com

وأطردُ الخواطر عن فكري ، وأحضِرُ ذهني جهدي خوفاً من أن تورِدَ عليَّ ما لا أفهمه ، لبُعْدِ غَوْرِها واقتدارها على أن تُجْرِي على لسانها ما في قلبها . وكذلك ما يُؤْثَرُ عن خالصةَ وعُتْبـــةَ جاريتي رَيْطَةَ بنت أبي العباس . فأما النساء الأشراف فإن القول فيهن كثير مُتَّسِعٌ فما نَدَرَ من شعر الخنساء ، قولها ترثي صَخْراً :

يا صخر وَرَّادَ ماءٍ قد تَنَاذَرَهُ ... أهلُ المياه وما في وِرْدِهِ عارُ
مشى السَّبَنْتَى الى هَيْجاء مُعْضِلةٍ ... له سلاحان أنيابٌ وأظفـــارُ
وما عَجولٌ على بَوٍّ تَحِـــنُّ له ... لها حَنينانِ إعْلانٌ وإسْرارُ
تَرْتَعُ ما غَفَلَتْ حتى إذا ادَّكَرَتْ ... فإنمـــا هي إقبـــال وإدْبارُ
يوماً بأوْجَـــعَ مني يوم فارقني ... صَخْرٌ وللعيش إحْلاءٌ وإمْرارُ
وإنّ صخراً لَوالينا وسيدُنا ... وإن صخرا إذا نَشْتُو لنَحَّـــارُ
وإن صخرا لَتَأْتَمُّ الهُـــداةُ به ... كأنـــه عـــلَمٌ في رأسه نار
لم تره جارةٌ يمشي بساحتهـــا ... لِريبةٍ حين يُخْلي بيتَهُ الجـــارُ

قولها :

يا صخر ورّاد ماو قـــد تناذره ... أهل المياه وما في ورده عـــار

تعني الموت ، أي لإقْدامِهِ على الحرب ، والسبنتى والسَّبَنْدَى واحد ، وهو الجريء الصدر وأصله في النَمِرِ . والعجول التي فارقها ولدها ، والبَوُّ قد مضى تفسيره . وكذلك فإنما هي إقبال وادبار ، وقـــد شرحنا كيف مذهبه في النحو وقولها : الى هيجاء معضلة ، تعني الحرب ، وقولها : كأنه علم في رأسه نار ، فالعلَم الجبلُ ، قال الله جل وعز : وله الجَوارِ المُنْشآتُ في البحر كالأعْـــلام

Marfat.com

وقال جرير (إذا قَطَعْنَ عَلَماً بدا عَلَمْ) ومن حَسَن شعرها قولها :

أَعَيْنَيَّ جُودا ولا تَجْمُدا ... ألا تَبْكِيانِ لصخر النَّدَى
ألا تبكيان الجريء الجميلَ ... ألا تبكيان الفَتَى السَّيِّدا
طويلَ النِجاد رَفيعَ العِما ... دِ سادَ عَشيرَتَهُ أَمْرَدا
إذا القومُ مَدُّوا بأيديهمُ ... الى المَجْدِ مَدَّ اليه يدا
فنالَ الذي فوقَ أيديهمُ ... من المجد ثم مضى مُصْعِدا
يكلّفه القومُ ما عالَهُمْ ... وإن كان أصغرَهم مولدا
تَرَى الحمدَ يَهْوي الى بيته ... يرى أفضلَ الكسبِ أن يُحْمَدَا

قولها : طويل النجاد ، النِجادُ حمائل السيف ، تريد بطول نجاده طولَ قامته . وهذا مما يُمْدَحُ به الشريف ، قال جرير :

فإني لأَرْضَى عبدَ شمس وما قَضَتْ ... وأرضى الطِوال البِيضَ من آلِ هاشم

وقال مَرْوان للمَهْدِيِّ :

قَصُرَتْ حمائِلُهُ عليه فَقَلَّصَتْ ... ولقد تَأَنَّقَ قَيْنُها فأطالها

وقال رجل من طَيِّىء :

جَديرٌ أن يُقِلَّ السيفَ حتى ... يَنوسَ إذا تَمَطَّى في النِجاد

وقال الحَكَمِيُّ أبو نُواسٍ :

سَبِطُ البَنَانِ إذا احْتَبَى بنِجاده ... غَمَرَ الجَماجِمَ والسِماطُ قِيامُ

وقال عَنترة :

بَطَلٍ كأنَّ ثيابه في سَرْحَةٍ ... يُحْذَى نِعالَ السِبْت ليس بتَوْأَم

وقولها : رفيع العماد ، إنما تريد ذاك يقال رجل مُعَمَّدٌ أي طويل

Marfat.com

ومنه قوله عز وجل : إرَمَ ذاتِ العِمادِ أي الطِوال . وقولها : ما عالهم ، أي نابهم ونَزَلَ بهم . تقول العرب ما عالَكَ فهو عائلي ، أي ما نابك فهو نائبي ، ومن ذا قولُ كُثَيِّر :

يا عَـــيْنِ بَكّي للّذي عالَني منكِ بدمعٍ مُسْبِلٍ هامِـــلِ

ومن جيد قولها :

أَبَعْدَ ابن عمرو من آل الشَريـــدِ حَلَّتْ به الأرضُ أثقالها
لَعَمْرُ أبيه لَنِعْمَ الفَتى إذا النفس أعجبها ما لَهـــا
فإنْ تكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به فقد كان يُكثر تَقْتالها
فَخَرَّ الشوامخُ من فَقْده وزُلْزِلَتِ الأرضُ زِلْزالها
هَمَمْتُ بنفسي كلَّ الهموم فَأَوْلَى لنفسيَ أوْلى لَهـا
لِأَحْمِلَ نفسي على آلةٍ فَإما عليها وإمّا لهـــا

قولها : حلّتْ به الأرضُ أثقالها ، حلت من الحَلْي تقول زينتْ به الارضُ المَوْتَى ، وقال المفسرون في قول الله عز وجل : وأخرجت الارض أثقالها . قالوا الموتى . وقولها : لنعم الفَتَى إذا النفس أعجبها ما لَها ، تقول : يَجودُ بما هو له في الوقت الذي يُؤْثِرُهُ أهلهُ على الحمد ، والشوامخُ الجبال والشامخ العالي ، ويقال للمتكبر شَمَخَ بأنفه . وقولها على آلة ، أي على حالة ، وعلى خُطَّةٍ هي الفَيْصَلُ ، فإمّا ظَفِرْتُ وإمّا هلكت . وقولها فأولى لنفسي أولى لها ، يقول الرجل : إذا حاول شيئاً فَأَفْلَتَهُ من بعدما كاد يصيبه ، أوْلَى له . وإذا أَفْلَتَ من عظيمة ، قال : أوْلَى لي . ويروى عن ابن الحَنَفِيَّة أنه كان يقول : إذا مات ميت في جُوارِهِ أو في

Marfat.com

دارِه ، أوْلَى لي ، كِدْتُ والله أكونُ السَوادَ المُخْتَرَمَ ، وقـــد مضى هذا مُفَسَّراً . وأنشِدَ لرجل يَقْتَنِصُ فإذا أفْلَتَهُ الصيد ، قال : أوْلَى لك ، فكثر ذلك منه فقال :

فلو كان أوْلَى يُطْعِمُ القومَ صِدْتُهم ولكنَّ أوْلَى يَتْرُكَ القومَ جُوَّعا

وقالت الخَنساء ترثي أخاها معاوية بن عمرو ، وكان معاويةُ أخاها لأبيها وأمها ، وكان صَخْرٌ أخاها لأبيها ، وكان أحبهما اليها ، وكان صخر يستحقّ ذلك منها بأمور منها أنه كان موصوفاً بالحِـــلم ومشهوراً بالجود ، ومعروفا بالتقدّم في الشجاعة ، ومَحْظوظاً في العَشيرة :

أرِيقي من دُموعِكِ واسْتَفيقي وصَبْراً إن أطَقْتِ ولن تُطيقي
وقولي أن خـــير بني سُلَيْمٍ وفارِسُها بصَحْراءِ العَقيق
ألا هل تَرْجِعَنَّ لنا الليالي وأيامٌ لنا بِلوَى الشَقيق
وإذْ نحن الفَوارسُ كلَّ يوم إذا حَضَروا وفتيانُ الحُقوق
وإذ فينا معاويةُ بن عمرو على أدْماء كَالجَمَل الفَنيق
فَبَكّيه فقد أودى حميداً أمـــينَ الرَأي محمودَ الصّديق
فلا واللهِ لا تَسْلاكَ نفسي لِفاحشةٍ أتيتَ ولا عُقوق
ولكني رأيتُ الصبر خيراً من النَعلين والرأسِ الحَليقِ

قولها : أريقي من دموعك واستفيقي ، معناه أن الدَمْعَـــةَ تُذْهِبُ اللَوْعَةَ . ويروى عن سليمان بن عبد الملك أنه قال عند موت ابنه أيوب لعمر بن عبـد العزيز ورَجاء بن حَيْوَةَ : إني لأجِدُ في كبـدِي جَمْرةً لا تطفئها إلا عَبْرةٌ ، فقال عمر : أذكر الله يا أمير المؤمنين وعليك الصبرَ ،

Marfat.com

فنظر الى رجاء بن حَيْوةَ كالمستريح الى مَشُورَتِهِ ، فقال له رجاء : أَفِضْها يا أمير المؤمنين فما بذاك من بأس فقد دمعتْ عينا رسولِ الله ﷺ على ابنه إبراهيم ، وقال : العين تدمعُ والقلب يُوجَعُ ولا نقول ما يُسْخِطُ الربَّ وإنا بكَ يا إبراهيم لَمحزونون . فأرسل سليمانُ عينه ، فبكى حتى قَضَى أرَباً ، ثم أقبل عليها ، فقال : لو لم أُنزِفْ هذه العَبْرةَ لانصدَعَتْ كبدي . ثم لم يبكِ بعدها ولكنه تمثل عند قبره لما دَفَنه وحثا على قبره التراب ، وقال : يا غلامُ دابَّتي ، ثم وَقَفَ ملتفتاً الى قبره فقال :

وقفتُ على قبرِ مقيمٍ بقَفْرةٍ متاعٌ قليلٌ من حبيبٍ مُفارِقِ

رجعنا الى تفسير قولها . وقولها : وصبراً إن أطقْت ولن تطيقي ، كقول القائل : إن قدرتَ على هذا فافعل . ثم أبانتْ عن نفسها ، فقالت : ولن تطيقي . وقولها : فلا والله لا تَسْلاكَ نفسي ، تريد لا تسلو عنك ، كقوله عز وجل : وإذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرونَ . أي كالوا لهم أو وزنوا لهم . وقولها : لفاحشة أتيتَ ولا عقوق ، معناه لا أجد فيك ما تسلو نفسي عنك له ، ثم اعتذرتْ من إقصارها بفضل الصبر فقالت :

ولكنني رأيت الصبر خيراً من النعلَين والرأس الحليق

تأويلُ النعلين: أن المرأة كانت إذا أصيبت بحَميمٍ جعلتْ في يديها نعلين تُصَفِّقُ بهما وجهها وصدرها ، قال عبد مناف بن رِبعٍ الهُذليُّ :

ماذا يَغيرُ ابنتيْ رِبْعٍ عَويلُهما لا تَرْقدانِ ولا بؤسَى لمن رَقَدا
كلتاهما أبْطِنَتْ أحشاؤها قَصَباً من بطن حَلْيةَ لا رَطْباً ولا نَقِدا
إذا تَأوَّبَ نَوْحٌ قامتا معه ضرباً أليما بسيتٍ يَلْعَجُ الجِلِدا

Marfat.com

قوله : ماذا يغير ابنتيْ رِبع عويلهما ، يعني أختيه يقول : ماذا يَرُدُّ عليهما العويلُ والسهرُ ، وقوله كلتاهما أبطنت أحشاؤها قصباً أراد لترديد النائحة صوتاً كأنه زَميرٌ ، وإنما يَعْني بالقصب المزَاميرَ ، قال الراعي :

زَجِلُ الحداء كأن في حَيْزومِهِ قَصَباً ومُقْنَعَةَ الحنين عَجولا

(قال الأخفش : الزَّجَلُ اختلاط الصوتِ الذي لصوته تطريب ، والحيزوم الصدر ، وقصباً يعني زِماراً شَبَّهَ صوت الحادي بالمِزْمار ، وصوتَ مقنعة يعني ناقة . ثم حذف الصوت وأقام مقنعة مقامه) وقال عَنْترةُ :

بَرَكَتْ على ماء الرِداع كأنما بركتْ على قَصَبٍ أَجشَّ مُهَضَّمِ

قال الأصمعي : هو نَزْمَناي ، وقوله : لارطبا ولا نقدا ، يقول : ليس برطب لا يَبين فيه الصوت ، ولا بمؤتكلَ . يقال : نَقِدت السِنُّ إذا مسها ائتكال ، وكذلك القَرْنُ . قال الشاعر :

(يَأْلَمُ قَرْناً أرومُهُ نَقِدُ) وقوله : بسبتٍ ، يعني المنجَرِدَة ، ويلمج يُؤثِّرُ واحتاج الى تحريك الجِلْدِ فأتبع آخره أوله ، وكذلك يجوز في الضرورة في كل شيء ساكن . وأما قول الفرزدق :

خَلَعْنَ حُليَّهُنَّ فهنَّ عُطْلٌ وبِعْنَ به المُقابلةَ التُوامـا

يعني اشترْينَ النعال ، فليس هذا من هذا الباب ، إنما سُبِينُ فاشترْينَ نعالا للخِدمة ، وكذلك قوله :

أخِذْن حَريراتٍ وأبْدَيْنَ مِخْلَداً ودار عليهنَّ المُنَقَّشةُ الصُفْرُ

يعني القِداح ، يقول : سُبِين فاقْتُسِمْنَ بالقِداح . وإنما قالت الخنساء هذا الشعر في معاوية أخيها قبل أن يُصابَ صَخْرٌ أخوها ، فلما أصيب

Marfat.com

صخر نسبت به مَنْ كان قبله . وكان معاويةُ فارساً شجاعاً ، فأغـــار في جمع من بني سليم على غَطَفان ، وكان صَميم خَيلهم ، فَنَذِرَ به القوم فاحْتَرَبوا فلم يزل يَطْعَنُ فيهم ويضرب . فلما رأوا ذلك تهيأ له ابنا حَرْملةَ دُرَيْـدٌ وهاشم ، فاستطرد له أحدهما ، فحمل عليه معاويةُ فطعنه ، وخرج عليـه الآخر وهو لا يَشْعُرُ فقتله ، فتنادَى القوم قُتِلَ معاويةُ . فقـال خُفافُ ابن نَدْبةَ : قتلني الله ان رِمْتُ حتى أَثْأرَ به . فَحَمَلَ على مالك بن حمار ، وهو سيد بني شَمْخِ بن فزارة فقتله ، وقال :

فان تك خيلي قد أُصِيب صَميمُها فَعَمْداً على عيني تَيَمَّمْتُ مالـكا
وقفتُ له عَلْوَى وقد خام صحبتي لِأَبْنيَ مَجْـداً أو لِأَثْأرَ هالـكا
أقول له والرُّمحُ يَأطِرُ مَتْنَـهُ تَأَمَّـلْ خُفافـاً انني أنا ذلكا

فلما دخلت الأَشهرُ الحُرُمُ ، ورد عليهم صَخْرٌ ، فقال : أيكم قاتلُ أخي ؟ فقال أحدُ ابْنَيْ حَرْملةَ للآخر : خَبِّرْهُ ! فقـال : اسْتَطْرَدْتُ له فطعنني هذه الطعنة ، وحَمَلَ عليه أخي فقتلَه ، فأينا قَتَلْتَ فهو ثَأْرُكَ . أما إنا لم نَسْلُبْ أخاك ، قال : فما فعلتْ فرسُهُ السُّمَّى ؟ قال : ها هي تلك فخُذها ، فانصرف بها . فقيل لصخر : ألا تهجوهم ؟ فقـال : ما بيني وبينهم أَقْذَعُ من الهِجاء ، ولو لم أُمسِكْ عن سبِّهم إلا صِيانة لِلساني عن الخَنَا لفعلتُ ، ثم خاف ان يُظَنَّ به عِيٌّ فقال :

وعاذلةٍ هَبَّتْ بليـــلٍ تَلومني ألا لا تَلوميني كَفَى اللومَ ما بيا
تقول ألا تَهجـــو فوارسَ هاشم ومالِيَ إذ أهجوهُمُ ثم ما ليـــا
أَبَى الشَّتْمَ أني قد أصابوا كَريمتي وأن ليس إهداءُ الخَنا من شِماليا

Marfat.com

إذا ما امرؤٌ أهدى لَمَيْتٍ تَحِيَّةً فَحَيَّاكَ ربُّ العرش عنّي مُعاويا
وَهَوْنَ وَجْدي أنني لم أُقَلْ له كَذبتَ ولم أَبْخَلْ عليه بماليا

قال أبو عبيدة : فلما أصاب دُرَيْداً زاد فيها :

وذي إخوَةٍ قَطَّعْتُ أرحامَ بينهم كما تركوني واجداً لا أخا ليا

(قال أبو الحسن الأخفش : وزادني الأحولُ بعد قوله معاويا :

لَنِعْمَ الفتى أدْنَى ابنُ صِرْمَةَ بَزَّهُ إذا راح فَحْلُ الشَوْلِ أجدَبَ عاريا)

قال أبو العباس : فلما انقضت الأشهر الحرم جمع لهم ليُغيرَ عليهم ، فنظرتْ غَطَفانُ الى خيله بموضعها ، فقال بعضهم لبعض : هذا صَخْرُ بن الشَريد على فرسه السُمَّى ، فقيل : كَلاَّ السُمَّى غَرَّاءُ وكان قد حَمَّمَ غُرَّتَها فأصاب فيهم وقَتَلَ دُرَيْدَ بن حَرْمَلةَ ، وأما هاشم فإن قيس بن الأسْوار الجُشَميّ من جُشَمُ بن هَوازِن بن منصور لقيهم منصرفين كل واحد منهم من وجهه ، فرآه وقد انفرد لحاجته ، فقال : لا أطلب بمعاوية بعد اليوم فأرسل عليه سهماً فَفَلَقَ قُحْقُحَهُ ، فقالت الخنساء :

فِدًى للفارس الجُشَميّ نفسي وأفديه بمَنْ لي من حَميم
فَداك الحيُّ حَيُّ بني سُلَيْمٍ بظاعنهم وبالأَنس المَقيم
كما من هاشم أقْرَرْتَ عيني وكانت لا تَنام ولا تُنيم

فأما صخر فسنذكر مَقْتَلَهُ مع انقضاء ما نذكر من مراثي الخنساء إياه ، قالت الخنساء :

ألا يا صخر إن أبكيتَ عيني لقد أضحَكْتني دهراً طويلا
بكيتُك في نساءٍ مُعْولاتٍ وكنتُ أحقُّ مَنْ أبدَى العَويلا

Marfat.com

دفعتُ بك الجليلَ وأنت حيٌّ فمن ذا يدفع الخطبَ الجليلا
إذا قَبُحَ البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءكَ الحسنَ الجميلا

وقالت أيضاً :

تَعَرَّفَني الدهرُ نَهساً وحَزّاً وأوجعني الدهرُ قَرْعاً وغَمْزا
وأفْنَى رجالي فبادوا معاً فأصبحَ قلبي بهم مُسْتَفَزّا
كأنَّ لم يكونوا حِمًى يُتَّقَى إذا الناسُ إذ ذاك مَنْ عَزَّ بزّ
وكانوا سَراةَ بني مالكٍ وزَيْنَ العشيرة نَجْداً وعزّا
وهم في القديم سَراةُ الأديم والكائنونَ من الخوْفِ حِرْزا
وهمْ مَنَحوا جارَهُم والنِسا ءَ يَخْفِزُ أحشاءها الخوفُ حَفْزا
غَداةَ لقوهم بِمَلْمومةٍ رَداحٍ تُغادِرُ للأرض رِكزا
وخَيْلٍ تَكَدَّسَ بالدارعين تحت العَجاجة يَجْمُزْنَ جَمْزا
ببيض الصِفاح وسُمْرِ الرماح فبالبِيضِ ضَرْباً وبالسُمْرِ وَخْزا
جَزَزْنا نَواصيَ فُرْسانهم وكانوا يَظُنُّونَ ألا تُجَزَّا
ومَنْ ظن ممن يُلاقي الحروبَ بأن لا يُصابَ فقد ظَنَّ عَجْزا
نَعِفُّ ونَعْرِفُ حق القِرَى ونتخذ الحمد ذُخْراً وكنزا

وكان سببُ قتل صخر بن عمرو بن الشريد ، أنه جمع جمعاً وأغار على بني أَسدِ بن خُزَيْمَةَ ، فَنَذِرُوا به فالتقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فانْفَضَّ أصحابُ صخر عنه وطعنه أبو نور طعنةً في جنبه استقلّ بها ، فلما صار إلى أهله تعالجَ منها فنتأ من الجرحِ كمثلِ اليد فأضناه ذلك حَوْلاً ، فسمع سائلاً يسأل امرأتَه وهو يقول : كيف صَخْرٌ اليومَ ؟ فقالت :

Marfat.com

لا مَيِّتٌ فَيُنْعَى ولا صحيحٌ فَيُرْتَجى . فعلم أنها قد بَرِمَتْ به ، ورأى تَحَرُّقَ أمه عليه ، فقال :

أرى أمَّ صخر ما تَجِفُّ دُموعُها ... وَمَلَّتْ سُلَيْمَى مَضْجَعي ومكاني
وما كنتُ أخشَى أن أكون جنازةً ... عليكِ ومَنْ يَغْتَرُّ بالحدَثانِ
أُهِمُّ بأمر الحَزْم لو أستطيعُه ... وقد حِيلَ بين العَيْرِ والنَّزَوان
لعمري لقد أنْبَهْتِ مَن كان نائماً ... وأسمعتِ مَن كانت له أذنانِ
فأيُّ امرِىءٍ ساوَى بأُمٍّ حَليلةً ... فلا عاش إلا في شَقًى وهَوان

ثم عزم على قطع ذلك الموضع ، فلما قطعه يئس من نفسه ، فبكاها فقال :

أيا جارتا إنَّ الخُطوبَ غريب ... من الناس كلَّ المخطئين تُصيبُ
أيا جارتا إنا غَريبانِ ههنا ... وكلُّ غَريبٍ للغَريب نَسيبُ
كأني وقد أدْنَوْا إليَّ شِفارَهُمْ ... من الأُدْمِ مَصْقُولُ السَّراة نَكِيبُ

قال أبو العباس : ومن حُلْوِ المَراثي وحَسَنِ التأْبينِ شِعْرُ ابن مُناذِرٍ ، فإنه كان رجلاً عالماً مُقَدَّماً شاعراً مُغْلِقاً ، وخطيباً مِصْقَعاً وفي دهر قريب ، فله في شعره شِدَّةُ كلام العرب بروايته ، وأدبه وحَلاوةُ كلام المُحْدَثِينَ بعصره ومشاهدته ولا يزال ، قد رَمَى في شعره بالمَثَلِ السائر ، والمعنى اللطيف ، واللفظ الفَخْمِ الجليل ، والقول المُتَّسِي النَبيل. وقصيدتُهُ لها امتداد وطول وإنما نُمْلي منها ما اخترنا من نحو ما وصفنا . قال يرثي عبد المجيد بن عبد الوهاب الثَقَفِيَّ ، وكان به صَبًّا واغْتُبِطَ عبدُ المجيد لعشرين سنة من

Marfat.com

غير ما علَّةٍ . وكان من أجمل الفِتْيان وآدَبِهِمْ ، وأظرفهم فذلك حيث يقول ابن مُناذرٍ :

حين تَمَّتْ آدابه وتَرَدَّى بِرِداءٍ من الشَبابِ جَديد
وسَقاهُ ماءَ الشَبيبة فاهتز اهتزاز الغُصْنِ النَدِي الأُمْلود
وسَمَتْ نَحْوَهُ العيونُ وما كا ن عليه لزائدٍ من مَزيدِ
وكأني أدعوه وهو قريبٌ حين أدعوه من مكان بعيد
فلئن صار لا يجيبُ لقد كا ن سميعاً هَشًّا إذا هو نُودي
يا فَتَى كان للمُقامات زَيْناً لا أراه في المُحْفِل المشهود
لَهْف نفسي أَمَا أراك وما عندك لي أن دَعَوْتُ من مردود
كان عبدُ المجيد سَمَّ الأعادي مِلْءَ عينِ الصديقِ رَغْمَ الحسود
عاد عبدُ المجيد رُزْأً وقد كا ن رَجاءَ لَرَيْبِ دَهْرٍ كَنُودِ
خِنْتُكَ الوُدَّ لم أمت كَمَداً بعدكَ أني عليكَ حقُّ جَليدِ
لو فَدَى الحيُّ ميّتاً لَفَدَتْ نفسَكَ نفسي بطارِفي وتَليدي
ولئن كنتُ لم أُمتْ من جَوَى الحُزْ نِ عليه لأَبْلُغَنْ مَجْهودي
لَأُقيمنَّ مَأْتماً كنجوم الليل زُهراً يَلْطِمْنَ حُرَّ الخُدود
مُوجِعاتٍ يَبْكينَ للكبد الحَرَّى عليه وللفُؤاد العَميدِ
ولِعَيْنٍ مَطْروقةٍ أبداً قا ل لها الدَهْرُ لَا تَقَرِّي وجُودي
كُلَّما عَزَّكِ البكاءُ فأَنفَذْ تِ لعبد المجيد سَجْلاً فعودي
لفتى يَحسُنُ البكاءُ عليه وفَتًى كان لامتداح القصيد

وأول هذا الشعر :

Marfat.com

كُلُّ حَيٍّ لاقى الحِمامِ فَمُودِي ما لِحَيٍّ مُؤَمَّلٍ من خلود
لا تَهَابُ المَنونُ شيئاً ولا تُرْ عِي على والدٍ ولا مَوْلود
يَقْدَحُ الدهرُ في شَماريخ رَضْوَى ويَحُطُّ الصخورَ من هَبُّود
ولقد تتركُ الحوادثُ والأيامُ وَهْياً في الصخرة الصَيْخود

وفي هذا الشعر مما استحسنته :

أَيْنَ رَبُّ الحِصْنِ الحصينِ بسُورا ءٍ ورَبُّ القصر المُنيف المَشيدِ
شادَ أركانَهُ وبَوَّبَهُ با بَيْ حديدٍ وحَفَّهُ بجنود
كان يُجْبَى إليه ما بين صَنْعا ءَ فَمِصْرٍ الى قرى بَيْرودِ*
وتَرَى خلفه زَرافاتِ خَيْلٍ جافلاتٍ تَغدو بمثل الأُسود
فَرَمَى شَخْصَهُ فأقصدَه الدهـ ـرُ بسهمٍ من المنايا سديد
ثم لم يُنْجِهِ من الموت حِصْنٌ دونَه خَنْدَقٌ وبابا حَديدِ
ومُلوكٌ من قبله عَمَّروا الأَر ضَ أعينوا بالنصر والتأييد
فلو أنَّ الأيام أَخْلَدْنَ حَيًّا لِعَلاءٍ أَخْلَدْنَ عبدَ المجيد
ما دَرَى نَعْشُه ولا حامِلوه ما على النعش من عَفافٍ وجود
وَيْحَ أَيْدٍ حَثَتْ عليه وأَيْدٍ دفنته ما غَيَّبَتْ في الصَعيد
إن عبدَ المجيد يوم تَوَلَّى هَدَّ رُكْناً ما كان بالمَهْدود
(وأرانا كالزرع يَحْصُده الدهـ ـرُ فَمِنْ بين قائمٍ وحَصيدِ
وكأنّا للموت رَكْبُ مُخِبُّو نَ سِراعاً لِمَنْهَلٍ مَوْرود)
هَدَّ رُكْني عبدُ المجيد وقد كنـ ـتُ بركنٍ أنوءُ منه شَديد
(فَبِعَبد المجيد تأمورِ نَفْسي عَثَرَتْ بي بعد انتعاشِ جُدودي

* بيرود : السياق يفرض ان يكون المقصود بيروت بعينها ، فقد ذكر اليمن ومصر والشام على هذه الصورة .

Marfat.com

وبعبد المجيد شَلَّتْ يدي اليمنـــى وشَلَّتْ به يَمينُ الجُودي)

وفي هذا الشعر :

فبرَغْمي كنتَ المُقدَّم قَبْـــلي وبكُرْهي دُلِّيتَ في المَلْحود
كنتَ لي عِصْمةً وكنتَ سَماءً بك تَحْيا أرضي ويَخْضَرُّ عودي

قال أبو العباس : وكانت العرب تُقَدِّمُ مراثي وتفضلها ، وترى قائلها بها فوق كل مُؤبِّنٍ ، وكأنهم يرون ما بعدها من المراثي منهـــا أُخِذَتْ ، وفي كَنَفِها تَصْلُحُ . فمنها قصيدة أَعْشَى باهلةَ ، ويُكْنَى أبا قحافة التي يرثي بها المُنْتَشِرَ بن وَهْبٍ الباهليَّ ، وكان أحدَ رِجْلِيِّ العرب (قال الأخفش : هو منسوبٌ إلى الرِجْلِ) وهم السعاة السابقون في سعيهم ، وكان من خبره أنه أَسَرَ صَلاءةَ بن العَنْبَرِ الحارثي ، فقال أَفْدِ نفسك ، فأبى . فقـــال : لأقطعنَّكَ أُنْمُلةً أُنْمُلةً وعُضْوا عُضْواً ما لم تَفْتَدِ نفسك . فجعل يفعل ذلك به حتى قتله ، ثم حجّ من بعد ذلك المُنْتَشِرُ ذا الخَلَصةِ ، وهو بيتٌ كانت خَثْعَمٌ تحجُّهُ . زعم أبو عبيدة أنه بالعَبَلاتِ ، وأنه مسجدُ جامعها فَدَلَّتْ عليه بنو نُفَيْلِ بن عمرو بن كِلاب الحارثيين ، فقبضوا عليـــه ، فقالوا : لنفعلَنَّ بك كما فعلت بصَلاءة ، ففعلوا ذلك به ، فلقي راكبٌ أعشَى باهلة ، فقال له أعشى باهلة : هل من جائبة خَبَرٍ ؟ قال : أُسِرَتْ بنو الحرث المنتشرَ ، وكانت بنو الحرث تسمى المنتشر مُجَدَّعاً ، فلما صار في أيديهم ، قالوا : لَنُقَطِّعنكَ كما فعلتَ بصلاءة ، فقال أعشى باهلة يرثي المنتشر :

إني أَتَتْني لِسانٌ لا أُسَرُّ بها من عَلْ لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ
فَبِتُّ مُرْتَفِقاً للنجم أَرْقُبُـــهُ حَيْرَانَ ذا حَذَرٍ لو ينفع الحَذَرُ

Marfat.com

فجاشت النفس لما جاء جَمْعُهُمُ ... وراكبٌ جاء من تَثْليثَ مُعْتَمِرُ
يأتي على الناس لا يَلْوِي على أحد ... حتى التقينا وكانتْ دونَنا مُضَرُ
يَنْعَى امرءاً لا تُغِبُّ الحيَّ جَفْنتُهُ ... إذا الكواكب أخطا نَوْءها المَطَرُ
من ليس في خيره شَرٌّ يُكَدِّرُهُ ... على الصَديق ولا في صَفْوِهِ كَدَرُ
طاوي المَصيرِ على العَزَّاء مُنْصَلِتٌ ... بالقوم ليلةَ لا ماءٌ ولا شَجَرُ
لا تُنْكِرُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَرْبَتَهُ ... بالمَشْرِفيِّ إذا ما اللَّوْذَ اتَّسَفَرُ
وتَفْزَعُ الشَوْلُ منه حين تُبْصِرُهُ ... حتى تَقَطَّعَ في أعناقِها الجِرَرُ
لا يُصْعِبُ الامرَ الا رَيْثَ يركبه ... وكلُّ أمر سوى الفحشاء يَأْتَمِرُ
تكفيه فِلْذَةُ كِبْدٍ إنْ أَلَمَّ بها ... من الشِواء ويكفي شُرْبَهُ الغُمَرُ
لا يَتَأَرَّى لما في القِدْر يَرْقُبُه ... ولا تراه أمامَ القوم يَقْتَفِرُ
لا يَغْمِزُ الساقَ من أينٍ ولا وَصَبٍ ... ولا يَعَضُّ على شُرْسوفِهِ الصَفَرُ
مُهَفْهَفٌ أهْضَمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ ... عنه القميصُ لسير الليلِ مُخْتَقِرُ
عِشْنا بذلك دَهْراً ثم فارَقَنا ... كذلك الرُمْحُ ذو النَصْلَيْنِ ينكسر
(فإن جَزِعْنا فقد هَدَّتْ مُصيبتُنا ... وإن صبرنا فإنا معشر صُبُرُ
إني أُشَدُّ حَزيمي ثم يُدْرِكُني ... منكَ البَلاءُ ومن آلائِكَ الذُكَرُ)
لا يأمنُ الناسُ مُمساهُ ومُصْبَحَهُ ... من كل أَرْبٍ وإن لم يأتِ يُنْتَظَرُ
أما يُصيبُكَ عدوٌّ في مُباوَأَةٍ ... يوماً فقد كنت تَسْتَعْلي وتَنْتَصِرُ
لو لم تَخُنْهُ نُفَيْلٌ وهي خائِنَةٌ ... أَلَمَّ بالقومِ وِرْدٌ منه أو صَدَرُ
وَرَّادُ حَرْبٍ شِهابٌ يُسْتَضاءُ به ... كما يضيءُ سَوادَ الطَخْيَةِ القَمَرُ
أما سلكتَ سبيلاً كنت سالِكَها ... فاذهب فلا يُبْعِدَنْكَ الله منتشِر

Marfat.com

مَنْ ليس فيه إذا قاوَلْتَـــهُ رَهَقٌ وليس فيه إذا عاسَرْتَهُ عَسَرُ

قوله : اني أتتني لسان ، يقال هو اللسان ، وهي اللسان . فمن ذَكَّرَ فَجَمْعُهُ أَلْسِنَةٌ ، ونظيره حِمارٌ ، وأَحْمِرَةٌ وفراشٌ وأَفْرِشَةٌ ، وإزارٌ وآزِرَةٌ . ومن أَنَّثَ ؟ قال : لسان وأَلْسُنٌ ، كما تقول ذِراعٌ وأَذْرُعٌ وكُراعٌ وأَكْرُعٌ لا تبالي ، أمضموم الأول كان أم مفتوحاً أو مكسوراً ، إذا كان مؤنثاً . ألا تَرَى أنك تقول شِمال وأَشْمُلٌ قال أبو النَجْمِ : (يأتي لها من أَيْمُنٍ وأَشْمُلِ) وقال آخر أنشدنيه المازني :

فَظَلَّـــتْ تَكوسُ على أَكْرُعٍ ثلاثٍ وكان لهـــا أَرْبـــعُ

وأراد باللسان ههنا الرسالة . وقوله : من علُ : يقول من فوق ، فإذا كان معرفة مفرداً بُني على الضم كقبلُ وبعدُ وإذا جعلته نكرةً نوّنته ، وصرفته كما قال جرير :

إني انْصَبَبْتُ من السماء عليكُم حتى اختطفتُك يا فَرَزْدَقُ من عَلِ

والقوافي مجرورة وإن شئت رددت ما ذهب منه ، وهي ألف منقلبة من واو ، لأن بناءه فَعَلٌ من علا يا فتى ، قال الراجز :

وهي تَنوشُ الحوْضَ نَوْشاً من عَلا نَوْشاً به تَقْطَعُ أَجْرازَ الفَلا *

وقوله : فبتُّ مرتفقاً ، وهو المتكىء على مِرْفَقِهِ ، وإنما أراد السهر ، كما قال أبو ذُؤَيْبٍ :

إني أَرِقْتُ فَبِتُّ اللَيلَ مُرْتَفِقاً كأنَّ عينيَّ فيها الصابُ مذبوحُ

وقوله : جاشَت النفس ، يقول : خَبُثَتْ بكون ذلك من تذكرهـــا للتَهَوُّعِ ، ومن جَزَعها منه . ويروى عن معاوية انه قال : اجعلوا الشعر

* ناش : أخذ خطفاً ، وطعن مساً . اجراز ج جرز ، جرف . الفلا : الفلاة ، البيداء .

Marfat.com

أكثر هَمِّكُم وأكثر آدابكم ، فإن فيه مآثِرَ أسلافكم ومواضعَ ارشادكم ، فلقد رأيتُني يوم الهَرِيرِ ، وقد عزمتُ على الفِرار . فما يَرُدُّني إلا قول ابن الإطنابةِ الانصاري :

أَبَتْ لي عِفَّتي وأَبى بَـلائي وأَخذِي الحمدَ بالثمن الربيح
وإجشامي على المكروه نَفْسي وضَرْبي هامةَ البَطَلِ المشيح
وقَوْلي كُلَّما جَشَأَتْ وجاشَتْ مكانَكِ تُحْمَدي أو تَستريحي

يقال : جَشَأَتْ مهموز ، وجاشَتْ غير مهموز ، وتثليثُ موضعٌ بعينه. وقوله : لا يلوي على أحد، يقال : استقام فلانٌ فما لَوَى على أحد ، ويقال : ألْوَى بالشيء إذا ذهب به . وقوله : إذا الكواكب أخطا نوءها المطر ، فالنَوْءُ عندهم طلوع نجمٍ وسقوطُ آخَرَ ، وليس كلُّ الكواكب لها نوء ، وإنما كانوا يتقوّلون هذا في أشياء بعينها . ويروى عن النبي ﷺ أنه قال : إذا ذُكِرَتِ النجومُ فأمسِكوا ، يعني أمرَ الأنْواءِ لم يختلف في ذلك المفسرون . وعنه عليه السلام في غِبِّ سَماءٍ : أتدرون ما قال ربكم تبارك وتعالى قال ، أصبح عبادي مؤمنـاً بي وكافراً بالكواكب وكافراً بي ومؤمناً بالكواكب ، فأمـا المؤمنُ بي الكافر بالكواكب ، فهو الذي يقول : مُطِرنا بنوء الرَّحمةِ ، والمؤمن بالكواكب الكافر بي الذي يقول : مُطِرْنا بنوء كذا . والنَوْءُ مهموز ، وهو من قولك ناء بحِمْـلِهِ ، أي استَقَلَّ به في ثَقلٍ . فالنوء مهموز ، وهو في الحقيقة الطالع من الكواكب لا الغائر . وكان الأصمعي لا يُفَسِّرُ من الشِعْرِ ما فيه ذكرُ الأنواء بل كان لا يسمع ما فيه هجاء أو كان فيه ذكر النجوم ، ولا يفسّر ما وافق تفسيرهُ

Marfat.com

بعضَ ما في القرآن إلا ساهِياً فيما يذكر أصحابه عنه . ويروى أنه سئل عن غير شيء من ذلك فأباه ، وزَجرَ السائلَ . وقوله : طاوي المصير ، يقال لواحد المُصْرانِ مَصيرٌ ، وتقديره قَضيبٌ وقُضْبانٌ ، وكَثيبٌ وكُثْبانٌ . والعَزّاء الامر الشديد ، يقال : فلان صابر على العَزّاء ، كذلك اللأواء ، وكذلك الجَلَّى مقصور . فأما العَزّاء واللأْواء . فممدودان . وقوله : منصلت وصَلْتٌ ، هو السّيفُ إذا جُرِّدَ من غِمْدِهِ . وقوله : ليلة لا ماء ولا شجر ، يريد القَفْرَ ووقت الصعوبة . وقوله : لا تنكر البازل الكوماء ضربته بالمشرفي. يقول : قد عَوَّدَ الإبل أن ينحرها . ومن شأنهم أن يعرقبوهـا قبل النحر والمشرفيّ السيفُ ، وهو منسوب الى المَشارِفِ . وقوله إجلَوَّذَ امتدّ يعني، وأنشدني الزِيادي لرجل من أهل الحجاز أحْسِبُهُ ابن أبي ربيعة :

ألا حَبّذا حبذا حبذا حَبيبٌ تحملتُ منه الأذَى
ويا حبذا بَرْدُ أنيابه إذا أظلمَ الليلُ واجلَوَذّا

وقوله : حتى تَقَطَّعَ في أعناقها الجِرَرُ : يقول : حتى اعتادت أن ينحرها فهي تَفزَعُ منه حتى تَقَطَّعَ جِرَّتُها ، ومثل هذا قول الخِنّوْتِ :

سأبكي خليلي عَنْتَراً بعد هَجْعةٍ وسَيْفَي مِرْداساً قَتيلَ قَنان
قَتيلانِ لا تبكي اللِقاحُ عليهما إذا شَبِعَتْ من قَرْمَلٍ وأفان

يقول : كانا ينحران الإبل فهي لا تجزع لفقدهما ، وقرمل وأفان ضربان من النبت ، وشبيهٌ بهذا قوله حيث يقول :

فلو كان سَيْفي باليمينَ تباشَرَتْ ضِبابُ المَلا من جمعهم بقَتيل

يقول : هؤلاء قوم كانوا يحترشون الضِباب ، فكلما قُتِلَ منهم واحد

Marfat.com

سُرَّتْ بذلك الضباب واستبشرت . وقوله : لا يتأرّى لما في القدر يرقبه ، يقول لا ينحبس له ، ومن ذا سُمي الآرِيُّ لأنه مَحْبِسُ الدابة . وقوله : ولا تراه أمامَ القوم يقتفر ، يقول : لا يسبقهم الى شيء من الزاد . وقوله : ولا يَعَضّ على شُرْسوفــه الصَفَرُ ، الشَراسيف أطراف الضلوع ، والصَفَرُ ههنا حيّة البطن ، وله مواضــع . وقوله مهفهفٌ يعني ضامراً ، وأهضَمُ الكَشْحَيْنِ توكيد له . وقوله : أما يصبك عدو في مُباوأة ، يقول في وِتْرٍ يقال : باء فلان بكذا ، كما قال مُهَلْهِلٌ بُوءُ بِشِسْعِ كُلَيْبٍ ، أي هو تَأْرٌ بالشِّسْع والطَخْيَةُ والطُخْيَةُ والطخْيَةُ ثلاث لغاتٍ شدة الظلمة ، وكان الذي أصابه هنْدَ بن أسماء الحارثيَّ ، ففي ذلك يقول :

أَصَبْتَ في حَرَمٍ منا أخا ثِقَةٍ هندَ بن أسماء لا يَهْنِئ لك الظَفَرُ

يقال : هَنأهُ ذلك وهَنَأ له ، كما تقول : هَنيا لك ، قال الأخطَلُ :

الى إمامٍ تُغادينــا فَواضِــلُهُ أظفَرَهُ اللهُ فَلْيَهْنِئ له الظَفَرُ

وقوله : وليس فيه إذا عاسرته عَسَرُ ، مــدحٌ شريف مثل قولهم : إذا عَزَّ أخوك فَهُنْ . وإنما هذا فيمن لا يخاف استذلاله بأن يخرج صاحبُه عند مساهلته الى باب الذُلّ ، فأما مَن كان كذلك فعاسَرَتُهُ أحْمَدُ ومدافَعتُه أمْدَحُ ، كما قال جرير :

بشرٌ أبو مَرْوانَ إن عاسَرْتَــهُ عَسِرٌ وعنــد يساره مَيْسورُ

قال أبو العباس : ومن أشعار العرب المشهورة والمُتَخيَّرَةِ في المراثي قصيدة مُتَمِّمِ بن نُوَيْرَةَ في أخيه مالكٍ ، وسنذكر منها أبياتاً نختارها ، من ذلك قوله :

Marfat.com

أقول وقد طارَ السَّنا في رَبابِهِ ... وغَيْثٍ يَسُحُّ الماءَ حتى تَرَبَّعا
سَقَى اللهُ أرضاً حلَّها قبرُ مالكٍ ... ذِهابَ الغَوادي المُدْجِناتِ فأمْرَعا
وآثَرَ سيلَ الوادَيْنِ بِديمةٍ ... تُرَشِّحُ وَسْمِيًّا من النبت خِرْوَعا
تَحِيَّتَهُ مني وإن كان ناثياً ... وأضحَى تَرابا فَوْقَهُ الارضُ بَلْقَعا
فما وَجَدُ أظآرٍ ثلاثٍ رَوائمٍ ... رَأَيْنَ مَجَرًّا من حُوارٍ ومَصْرَعا
يُذَكِّرْنَ ذا ٱلْبَثِّ الحزينَ بِبَثِّهِ ... إذا حَنتِ الأُولى سَجَعْنَ لها معا
بأوْجَعَ مني يوم فارقتُ مالكاً ... ونادى به الناعي الرَفيعُ فأسْمَعا

وفيها :

وكنا كَنَدْمانَيْ جَذيمةَ حِقْبةً ... من الدهر حتى قيلَ لن يَتَصَدَّعا
فلما تَفَرَّقْنا كأني ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا
وعِشْنا بخيرٍ في الحيـــاة وقَبْلنا ... أصابَ المَنايا رَهْطَ كِسْرَى وتُبَّعا
فإن تكنِ الأيامُ فَرَّقْنَ بيننـــا ... فقد بانَ محموداً أخي يوم وَدَّعا
تقول ابنةُ العَمْريِّ مالكَ بعدما ... أراكَ حَديثاً ناعمَ البال أفْرَعا
فقلتُ لها طولُ الأسَى إذ سَألتِني ... ولَوْعةُ حُزْنٍ تترك الوجه أسْفعا
وفَقْدُ بني أمٍ تَفانَوْا فلم أكن ... خِلافَهُمُ أن أستَكينَ وأسْرَعا
ولستُ إذا ما الدهرُ أحدَثَ نَكْبةً ... ورُزْءاً بزَوَّارِ القَرائب أخْضَعا
ولا فَرِحٍ إن كنتُ يوماً بِغِبْطةٍ ... ولا جَزِعٍ أن نابَ دَهْرٌ فأوْجَعا
ولكنني أمْضِي على ذاكَ مُقْدِماً ... إذا بعضُ مَنْ لاقى الخطوبَ تَكَعْكَعا
فَعَمْرَكِ ألاَّ تُسْمعيني مَلامةً ... ولا تَنْكَئي قَرْحَ الفؤاد فَيَيْجَعا
وقَصْرَكِ اني قد شهدتُ فلم أجد ... بكَفَّيَّ عنه للمنيـــة مَدْفعا

Marfat.com

فلو أن ما ألقى أصاب مُتالعاً أو الرُكْنَ من سَلْمَى إذاً لَتَضَعْضعا

وفي هذه القصيدة :

لقد كَفَّنَ المِنْهالُ تحت رِدائِـهِ فَتًى غيرَ مِبْطانِ العَشِيَّاتِ أرْوَعا
ولا بَرَمٍ تُهْدي النساءُ لِعِرْسِهِ إذا القَشْعُ من برد الشتاء تَقَعْقَعا
لَبيباً أعانَ اللُبَّ منه سَماحَـةٌ خَصيباً إذا ما زائدُ الجَدْبِ أوضَعا
تراه كَنَصْلِ السيف يَهْتَزُّ للنـدَى إذا لم تَجِدْ عند امرىء السوء مَطْمَعا
إذا ابتدر القومُ القِداحَ وأُوقِدَتْ لهم نارُ أيسارٍ كَفَى مَنْ تَضَجَّعا
بَمُثْنَى الأيادي ثم لم تُلْفِ مالـكاً على الفَرْثِ يَحْمي اللحمَ أن يُتَمَزَّعا

قوله : وقد طار السنا في ربابه ، السنـا الضوء ، وهو مقصور ، وقال الله جل وعز : يكاد سنا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بالابصار . والسناء من الحسب ممدود ، والرباب سحاب دون السحاب ، كالمتعلق بما فوقه . قال المازني:

كأنَّ الرَبابَ دُوَينَ السحـاب نَعامٌ تَعَلَّقَ بالأرْجُـلِ

وقوله : يسحّ معناه يصبّ ، فإذا قلت : يَسْحو أو يَسْحَى فمعنـاه يَقْشِرُ ، ومن ذا سُمِيتْ سِحاءة القِرْطاس وسِحايَتُهُ . ومنه قيل للحديد التي يُقْشَرُ بها وجهُ الأرض مِسحاةٌ قال عَنْترةُ :

سَحًّا وساحيـةً فكلُّ قَرارةٍ يَجْرِي عليها المـاءُ لم يَتَصرَّم

وقوله : تريـع أي كَثُر حتى جاء وذهب يقال : راع يَريـعُ إذا رجع ، ومنه سمي رَيْعُ الطعام لأنه يرجع بفَضْلٍ . قال مُزَرِّدٌ :

خَلَطْتُ بصاعَيْ عجوةٍ صاعَ حنطةٍ الى صاعِ سَمْنٍ فوقه يَتَرَيَّـعُ

والذِهابُ الامطار اللينة ، والمُدْجِنات من السحاب السود ، وهو مأخوذ

Marfat.com

من الدَّجنِ والدُّجنَّةِ ، ومعناه : الْباسُ الغيم وظلمته ، قال طَرَفَةُ :

وتَقْصيرُ يوم الدَّجنِ والدَّجنُ مُعْجِبٌ ببَهْكَنَةٍ تحتَ الطِراف المُمَـدَّدِ

ويقال : أَمْرَعَ الوادي إذا أخصب ، من ذلك قولُ مولاة ابن الأَجْيَدِ عن أَوْفَى بن دَلْهمٍ ، قال أبو العباس : حدثني به ابن المهدَيّ أحمد بن محمد النحوي يُحَدِّثُ به عن الأَصْمعي عن أبيه عن مولاة ابن الأَجيد عن أوفى . قال في النساء : أربـع فمنهن الصَدَعُ تُفَرِّقُ ولا تَجْمَعُ ، ومنهن من لها مَشْيُها أجمعُ ، ومنهن غَيْثٌ وقع في بلدٍ فأمرع ، ومنهنّ التَبَعُ تَرَى ولا تَسْمَعُ ، قال : فذكرت ذلك لرجل فقال : ومنهن القَرْنَعُ ، قلت : ومـا هي ؟ قال : التي تَكْحَلُ عيناً وتَدَعُ الاخرى ، وتلبس ثوبها مقلوبا (قال الأَخفش : حدثني بذلك أبو العَيْناء عن الاصمعيّ ، وذكر نحو ذلـك) وقوله : وآثر سيل الواديين بديمة : زعم الأَصمعي وغيره من أهل العلم أن الديمة المطر الدائم أياماً بِرِفْقٍ ، وقوله : ترشّح وسمياً أي تهيئه لذلك يقال فلان : يُرَشَّحُ للخلافـة ، والوَسْمِيُّ أول مطر يَسِمُ الأَرض ، والوَلِيُّ كل مطرة بعد مطرة فالثانية وَلِيٌّ للاخرى لانها تليها ، والخَرْوَعُ كل عود ضعيف . وقوله : فما وجد أظآر جمع ظئر ، وهي النوق تعطف على الحُوارِ فتألفه ، وروائم واحدتها رؤومٌ . ومعنى تَرْأَمُهُ تَشَمُّهُ ، والحوار ولد الناقـة . ويقال له حيث يسقط من أمه : سَلِيلٌ قبل أن تقع عليه الأَسماء فإن كان ذكراً فهو سَقْبٌ ، وإن كانت أنثى فهي حائلٌ ، وهو في ذلك كله حوارٌ سنةً . وقوله : ندماني جذيمةَ يعني جَذيمةَ الأَبْرَشَ الأَزديَّ ، وكان ملكاً ، وهو الذي قتلته الزَّبّاء وهو أول من أوقدَ بالشمع ونصب المجانيق للحرب .

Marfat.com

وله قصص تطول وقد شرحنا ذلك في كتاب الاَختيار ، وندمياه يقال لهما مالك وعَقيلٌ ، ففي ذلك يقول أبو خراشٍ الهُذَليُّ :

أَلم تَعْلَمي أنْ قد تَفَرَّقَ قبلَنا خَليلا صَفاءٍ مالكٌ وعَقيلُ

والمَثَلُ يضرب بهما لطول ما نادماه كما يُضْرَبُ باجتماع الفرقدين ، قال عمرو بن معدي كرب :

وكل أخٍ مُفارقُــهُ أخــوه لَعَمْرُ أبيكَ إلا الفَرْقدانِ

قال هذا من قبل أن يُسْلِمَ . وقال اسمعيل بن القاسم :

ولم أرَ ما يــدومُ له اجتماعٌ سَيَفْتَرِقُ اجتماع الفَرْقَدَيْنِ

وقوله : أراك حديثاً ناعمَ البال أفرعا ، الأَفْرَعُ : التامُّ شعرِ الرأس ، وقيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : الفُرْعانُ خيرٌ أم الصُلْعانُ ، فقال بل الفرعان ، وكان أبو بكر أَفْرَعَ ، وكان عمر أَصْلَعَ فوقع في نفسه أنه يُسْأل عنه وعن أبي بكر ، والأَسفعُ الأسود ، يقال سَفَعَتْهُ النار أي غَيَّرَتْ وجهَه الى السواد . وقوله : فعمرِك يقسم عليهــا ، ويقال : عَمْرَكَ الله . أي أُذَكِّرُكَ الله ، قال :

عَمَّرْتُكِ اللهَ إلا ما ذكرتِ لنا هل كنتِ جارتنا أيامَ ذي سَلَم

وقوله : غير مبطان العشيات ، يقول : كان لا يأكل في آخر نهاره انتظاراً للضيف . ويروى أن عمر بن الخطاب سأله ، فقال : أكذبتَ في شيء مما قلته في أخيك ، فقال : نعم ، في قولي غير مبطانٍ ، وكان ذا بطنٍ. ويقال في غير هذا الحديث : ان من سِيما الرئيسِ السيدِ أن يكون عظيمَ البطن ضخم الرأس فيه طَرَشٌ . وقال رجل لفتًى : والله ما أنت بعظيم

Marfat.com

الرأس فتكونَ سيّداً ولا بأرْسَحَ فتكون فارساً . وقال رجل لرجل : والله ما فُتِقْتَ فَتْقَ السادة ، ولا مُطِلْتَ مَطْلَ الفرسان . والأروعُ ذو الروعة ، والهيئة والبَرَمُ الذي لا ينزل مع الناس ولا يأخذ في المَيْسِرِ ، ولا يَنْزِعُ إلا نكِداً ، قال النابغة :

هلا سألتِ بني ذُبْيانَ ما حَسَبي إذا الدُخانُ تَغَشّى الأَشْمَطَ البَرَما

وقوله : إذا القشع وهو الجلد اليابس ، ويقال لكناسة الحمّام القِشْعُ ، قال أبو هريرة : وكُذِّبت حتى رُميتُ بالقِشْعِ . وحدثني العباس بن الفَرَج الرِياشيّ عن محمد بن عبدالله الانصاري القاضي في إسنادٍ ذكَره ، قال : صلى مُتَمِّمٌ مع أبي بكرٍ الصديق الفجرَ في عقب قتل أخيه ، وكان أخوه خرج مع خالد مَرْجِعَهُ من اليمامة يظهر الاسلام ، فظن به خالد غير ذلك ، فأمر ضِرارَ بن الأَزْوَرِ الأَسَدِيَّ فقتلَه . وكان مالك من أرداف الملوك ، ومن متقدمي فرسانِ بني يَرْبوعٍ قال : فلما صلى أبو بكر قام متمم بحِذائهِ ، واتكأ على سِيةِ قوسه ، ثم قال :

نِعم القَتيلُ إذا الرياحُ تَناوَحتْ خَلْفَ البيوت قَتَلْتَ يا ابن الأَزْوَرِ
ولَنِعم حَشْوُ الدِرْعِ كنتَ وحاسراً ولنعم مَأْوَى الطـارِقِ المُتَنَوِّرِ
أدَعَوْتَهُ بالله ثم غَرَرْتَـهُ لو هُوَ دعاكَ بذِمَّةٍ لم يَغْـدرِ

وأومأ إلى أبي بكر ، فقال : والله ما دعوته ولا غررتـه ، ثم أتم شعره فقال :

لا يُمْسِكُ الفحشاء تحت ثيابه حُلْوٌ شَمائلُهُ عَفيف المِـئْزَرِ

ثم بكى وانحط على سِيَةِ قوسه ، وكان أعور دميماً ، فما زال يبكي

Marfat.com

حتى دمعت عينُه العوراء ، فقام إليه عمر بن الخطاب ، فقال : لوَدِدْتُ أني رَثَيْتُ أخي زيداً بمثل ما رثيتَ به مالكاً أخاك ، فقال : يا أبا حفص، والله لو علمتُ أن أخي صار بحيث صار أخوك ما رَثَيْتُهُ . فقال عمر : ما عَزَّاني أحدٌ بمثل تعزِيتك ، وكان زيد بن الخطاب قُتل شهيداً يوم اليمامـــة . وكان عمر يقول : إني لَأَهَشُّ للصَبا لأنها تأتينا من ناحية زيـد . ويروى عن عمر أنه قال : لو كنتُ أقول الشعرَ كما تقول لرثيتُ أخي كما رثيتَ أخاك . ويروى أن متمّماً رثى زيداً ، فلم يُجِدْ ، فقال له عمر : لم ترث زيداً كما رثيت أخاك مالكاً ! فقال : لأنه والله يحركني لمالكٍ ما لا يحركني لزيد ، ومن طَريف شعره :

لَعَمْري وما دهري بتأبينِ هالكٍ ... ولا جَزَعٍ والموتُ يَذْهَبُ بالفتى
لئنْ مالكٌ خَلَّى عليَّ مكانَـــهُ ... لفي أسْوةٍ ان كنتِ باغيةَ الأُسَا
كُهولٌ ومُرْدٌ من بني عمِّ مالكٍ ... وأيفاعُ صدقٍ قد تمليتُهم رضا
سُقُوا بالعُقارِ الصِرْفِ حتى تتابعوا ... كَدَأْبِ ثَمودٍ إذْ رغا سَقْبُهم ضُحى
إذا القوم قالوا مَنْ فَتًى لِمُلِمَّةٍ ... فما كُلُّهمْ يُدْعى ولكنـــه الفتى

ومثل هذا الشعر قول الهَشْلِيِّ :

لو كان في الألف منا واحد فَدَعَوْا ... مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعْنونا

وأول هذا المعنى لِطَرَفَةَ :

إذا القومُ قالوا مَنْ فَتًى خِلْتُ أنني ... عُنِيتُ فلم أكْسَلْ ولم أتَبَـــلَّدِ

وقال متمم أيضاً في كلمة له يرثي بها مالكاً :

جَميلُ المُحَيَّا ضاحكٌ عند ضيفه ... أَغَرُّ جَميعُ الرَأْيِ مُشْتَرَكُ الرَحْلِ

Marfat.com

وقَورٌ إذا القومُ الكِرامُ تَقاوَلوا فَحُلَّتْ حُباهُمْ واسْتُطيروا من الجَهْلِ
وكنتَ إلى نفسي أشدَّ حلاوةً من الماء بالَماذِيِّ من عَسَل النحل
وكلُّ فَتًى في الناس بعد ابن أُمِّهِ كساقطةِ إحدى يَدَيْهِ من الخبلِ
وبَعْضُ الرجال نخلةٌ لا جَنَى لها ولا ظِلَّ إلا أن تُعَدَّ من النخل

وقال له عمر بن الخطاب : انك لَجَزْلٌ فأين كان أخوك منك ؟ فقال : كان والله أخي في الليلة المظلمة ذاتِ الأَزيزِ والصُّرَّادِ يركب الجملَ الثَّفّالَ ويَجْنُبُ الفرس الجَرور ، وفي يده الرمح الثقيل وعليه الشَمْلةُ الفَلوتُ ، وهو بين المزادتين حتى يُصْبِحَ فيُصَبِّحَ أهلَه متبسّماً . الجمل الثفّال البطيء الذي لا يكاد ينبعث والفرس الجرور الذي لا يكاد ينقاد مع من يجنبه إنما يجرّ الحبلَ ، والشملَة الفَلوتُ التي لا تكاد تثبت على لابسها . وذُكِر لنا أن مالكا كان من أرْداف الملوك ، وفي تَصْداقِ ذلك يقول جَرِيرٌ يَفْخَرُ ببني يَرْبوع :

منهم عُتَيْبةُ والمُحِلُّ وقَعْنَبٌ والَحَنْتَفانِ ومنهم الرِدْفانِ

فأحدُ الردفين مالكُ بن نُوَيْرةَ اليربوعي ، والردف الآخر من بني رِياح بن يَرْبوع ، وللردافة موضعان أحدهما أن يردفه المَلِكُ على دابته في صيد أو تَرَيُّف ، أو ما أشبَهَ ذلك من مواضع الأُنس . والوجه الآخر أَنْبَلُ ، وهو أن يَخْلُفَ الملكَ إذا قام عن مجلس الحكم فينظر بين الناس بعده :

• المراد: شدة القر . الثفال : البطيء . الجرور: الشكس . الفلوت : الفضفاضة .

Marfat.com

٥٤ ـ باب

قال أبو العباس : لما احتُضِر إبراهيمُ النخعيّ رحمه الله جَزِعَ جَزَعاً شديداً ، فقيل له في ذلك ، فقال : وأيُّ خَطَرٍ أعظم من هذا ، إنما أتوقع رسولاً يَرِدُ عليَّ من ربي إما بالجنة وإما بالنار . ولما احتضر ابن سيرين ، جعل يقول : نفسي والله أعزُّ الأنفُسِ عليّ . ولما احتضر حُجْرُ ابن عَدِيٍّ ليُقْتَلَ ، سأل أن يُمْهَلَ حتى يصلي ركعتين ، وظهر منه جزع شديد . فقال له قائل : أتجزعُ ؟ فقال : وكيف لا أجزع؟ سيف مشهور ، وكفن منشور ، وقبر محفور ، ولست أدري أيؤدّيني الى جنة أم الى نار .

(قال أبو الحسن : ما يقوم بقتل حجر بن عدى شيء وإني لأعجَبُ من قوله هذا ، ولست أدري أيدنيني الى جنة أو الى نار ، وهو شهيد الشهداء رحمه الله . وقد ذكرنا موت عمرو بن العاصي وكلامه عند الموت ؟ وممن ظهرت منه عند الموت قَسْوةٌ حَلْحَلةُ الفَزاريُّ ، وسعيد بن أبان بن عُيَيْنةَ بن حِصْن الفَزارِيُّ فإن عبد الملك لما أحضرهما ليقيد منهما قال لحلحلة : صَبْراً حَلْحَلَ ؟ فقال : إي والله :

أصبَرُ من ذي ضاغِطٍ عَرَكْرَكِ ألقَى بَواني زَوْرِهِ للمَبْرَكِ

ثم قال لابن الأسود الكلبيّ : أجِدِ الضَرْبةَ فإني والله ضربتُ أباك ضربةً أسْلَحَتْهُ فعددتُ النجوم في سلحته ، ثم قال عبد الملك لسعيد بن أبان : صبراً سعيد؟ فقال إي والله :

أصبَرُ من عَوْدٍ بجَنْبَيْهِ الجَلَبْ قد أثَرَ البِطانُ فيه والحَقَبْ

Marfat.com

ومنهم وكيع بن أبي سُودٍ أحد بني غُدانةَ بن يَرْبوع ، فإنه لما يُئِسَ منه خرج الطبيب من عنده ، فقال له محمدٌ ابنه : ما تقول ؟ قال : لا يُصَلّي الظهرَ . وكان محمد ناسكاً ، فدخل الى أبيه ، فقال له أبوه وكيع : ما قال لك المَعْلوجُ ؟ قال : وَعدَ أنك تَبْرَأُ ، قال : أسألك بحقّي عليك . قال : ذكر أنك لا تصلي الظهر ! قال : ويلي على ابن الخبيثةِ ، والله لو كانتْ في شِدْقي لَلُكْتُها الى العصر . ويروى أن ابراهيم النخعي قال في الحديث الذي ذكرناه : والله لوددت أنها تَلَجْلَجُ في حلقي الى يوم القيامة . وفي وكيعِ بن أبي سود يقول الفرزدق :

لقد رُزِئَتْ بأساً وحَزْماً وسُودَداً تَميمُ بن مُرٍّ يوم ماتَ وكَيعُ
وما كان وَقّافاً وكيعُ إذا دَنتْ سحائبُ موتٍ وَبْلُهُنّ نَجيعُ
إذا التقتِ الأبطالُ أبصرتَ لونه مُضيئاً وأعناقُ الكُماةِ خُضوعُ
فصبراً تَميمُ إنما الموتُ مَنْهَلٌ يصير اليه صابرٌ وجَزوعُ

وقال أيضاً :

لِتَبْكِ وَكيعاً خَيْلُ ليلٍ مُغيرةٌ تَساقى المَنايا بالرُّدَيْنِيّةِ السُّمْرِ
لَقُوا مثلهم فاستَهْزَموهم بدعوة دَعَوْها وكيعاً والجِيادُ بهم تَجْري

ومن الجُفاة عند الموت هُدْبةُ بن خَشْرَمِ العُذْرِيُّ ، وكان قَتَلَ زِيادةَ ابن زيد العُذْريَّ ، فلما حُمِلَ إلى معاوية تقدم معه عبد الرحمن أخو زيادةَ بن زيد ، فادَّعى عليه ، فقال له معاويةُ : ما تقول ؟ قال : أتحبُّ أن يكون الجواب شعراً أم نثراً ؟ قال : بل شعراً فإنه أمْتَعُ ، فقال هدبة :

فلما رأيتُ أنّما هي ضَرْبةٌ من السيف أو إغضاءُ عينٍ على وِتْرِ

Marfat.com

عَمَدْتُ لِأَمْـرٍ لا يُعَيِّرُ والدي ... خَزَايَتَهُ ولا يُسَبُّ بـــه قبري
رُمينا فَرَامَيْنا فصادَفَ سَهْمُنا ... مَنِيَّةَ نَفْسٍ في كتاب وفي قَـدْرِ
وأنت أميرُ المؤمنين فما لَنـــا ... وراءَكَ من مَعْدًى ولا عنكَ من قَصْرِ
فإن تَكُ في أموالنا لا نَضِقْ بها ... ذِراعاً وان صَبْرٌ فنصبرُ للصبر

فقال له معاوية : أَراك قد أقررتَ يا هدبة ؟ قال : هو ذاك ، فقال له عبد الرحمن : أَقِدْني . فَكَرِهَ ذاك معاويةُ ، وضَنَّ بهدبة عن القتل ، وكان ابن زيادة صغيراً ، فقال له معاويةُ : أو ما عليك أن تشفي صَدْرَك وتَحْرِمَ غيرَكَ . ثم وَجَّهَ به إلى المدينة ، فقال : يُحْبَسُ إلى أن يَبْلُغَ ابنُ زِيادةَ ، فبلغ . وكان والي المدينةِ سعيدَ بن العاصي ، فلما وُقِفَ عليه من قسوته قوله :

ولمـــا دخلتُ السجنَ يا أمَّ مالكٍ ... ذكرتكِ والاطرافُ في حَلَقِ سُمْرِ
وعند سَعيد غيرَ أنْ لم أُبحْ به ... ذكرتُكِ ان الامرَ يُذْكَرُ بالأمر

فسئل عن هذا القول ، فقال : لما رأيتُ ثَغْرَ سعيد ، وكان سعيدٌ حسنَ الثغرِ جدًّا ذكرتُ به ثغرها ، ويقال : انه عُرِضَ على ابن زيادةَ عشرُ دِياتٍ ، فأبى إلا القَوَدَ ، وكان ممن عَرَضَ الدياتِ عليه ممن ذُكِرَ لنا الحسينُ بن عليّ ، وعبدالله بن جعفر عليهما السلام ، وسعيدُ بن العاصي ، ومَرْوانُ بن الحكَمِ ، وسائرُ القوم من الأنصارِ . فلما خُرِجَ به ليُقادَ بالحَرَّةِ ، جعل يُنْشِدُ الأشعار ، فقالت له حُبَّى المَدينيَّةُ : ما رأيتُ أقسَى قلباً منك ، أتُنْشِدُ الأشعارَ وأنتَ تُمْضَى بك لتُقْتَلَ ، وهذه خَلْفَك كأنها

Marfat.com

ظَبْيٌ عَطْشانُ تُوَلْوِلُ . تعني امرأته ، فوقف ووقف الناسُ معه ، فأقبل على حُبَّى ، فقال :

أما وَجِدَتْ وجْدي بها أمُّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبّى بابن أمّ كلاب
رأته طَويلَ الساعدَيْن شَمَرْ دَلاً كما انْعَتَتْ من قـــوة وشَباب

فأغلقت حُبَّى البابَ في وجهه ، وسَبَّتْهُ ، وعَرَضَ له عبدُ الرحمان ابن حَسَّانِ ، فقال : أنشِدْني . فقال له : أعَلى هذه الحال ؟ قـــال : نعم . فأنشده :

ولَسْتُ بِمفْراحٍ إذا الدهرُ سَرَّني ولا جازِعٍ من صَرْفِهِ المُتَقَلِّبِ
ولا أتَبَغَّى الشرَّ والشَّرُّ تاركي ولكنْ متى أُحْمَلْ على الشر أرْكَبِ
وحَرَّبَـــني مولاي حتى غَشيتُهُ متى ما يُحَرِّبْكِ ابنُ عَمِّكِ تَحْرَبِ

فلما قُدِّمَ نظر إلى امرأته ، فدخلته غَيْرةٌ ، وقد كان جُـــدِع في حربهم ، فقال :

فان يَكُ أنْفي بانَ منـه جَمالُهُ فما حَسَبي في الصالحين بأجْدَعا
فلا تَنْكِحي إنْ فَرَّقَ الدهرُ بيننا أغَمَّ القفا والوجهِ ليس بأنْزَعا

فقالت : قفوا عنه ساعة . ثم مضت ورجعت ، وقد اصْطَلَمَتْ أنفها ، فقالت : أهذا فعلُ مَنْ له في الرجال حاجة ! فقال : الآن طاب الموتُ .

ثم أقبل على أبَوَيْهِ ، فقال :

أبْلِيانِ اليومَ صَـــبْراً منكما ان حُزْناً منكما اليومَ لَشَرْ
ما أظنُّ الموت الّا هَيِّنـــاً إنَّ بعد الموت دارَ المُسْتَقَرْ

ثم قال :

Marfat.com

أذا العَرْشِ اني عائذٌ بك مؤمِنٌ مُقِرٌّ بزَلاَّتي اليـك فَقيرُ
وإني وإن قالوا أميرٌ مُسَلَّـطٌ وحُجَّابُ أبوابٍ لهـنَّ صَريرُ
لأَعْلَمُ أنَّ الامر أمرُكِ أنْ تَدِنْ فَرَبٌّ وإنْ تَغْفِرْ فأنتَ غَفور

ثم قال لابن زيادةَ : أَثْبِتْ قَدَمَيْكَ وأَجِدِ الضربة ، فإني أَيْتَمْتُكَ صغيرا ، وأرْمَلْتُ أُمَّكَ شابَّةً . ويزعم بعضُ أصحاب الاخبار أنـه قال : ما أَجزَعُ من الموت ، وآيةُ ذلك أني أضرب برجلي اليسرى بعـد القتل ثلاثا ، وهو باطل موضوع ، ولكن سأل فَكَّ قيودِهِ ، فَفُكَّتْ ، فذلك حيث يقول :

فإن تَقْتُلوني في الحَديـد فإنني قَتَلْتُ أخاكم مُطْلَقاً لم يُقَيَّـدِ

قال أبو العباس ، ووقف حَبَّارُ بن سَلْمَى على قبر عامر بن الطُفَيْلِ . ولم يكن حَضَرَهُ . فقال : أَنعِمْ صباحاً أبا عليّ ، فوالله لقد كنتَ سريعاً الى المولى بوَعْدِك ، بطيئاً عنه بإيعادك ، ولقد كنت أهدَى من النجم ، وأجرى من السيل . ثم التفت اليهم ، فقال : كان ينبغي أن تجعلوا قـبر أبي عليّ ميلاً في ميلٍ . وذكر الحِرْمازِيُّ أن الأحنَفَ بن قَيْسٍ لما مات ، وكان موتُه بالكوفة ، مشى المُصْعَبُ بن الزبير في جنازتـه بغير رِداءٍ ، وقال اليومَ مات سيدُ العرب . فلما دُفِنَ قامت امرأةٌ على قبره أحسِبُها من بني مِنْقَرٍ ، فقالت : لله دَرُّكَ من مُجَنٍّ في جَنَنٍ ، ومُدْرَجٍ في كفن ، فنسأل الذي فَجَعنا بموتِكَ ، وابتلانا بفقدك أن يَجْعَلَ سبيلَ الخير سبيلك ، ودَليلَ الخير دليلك ، وأن يُوَسِّعَ لك في قبرك ، ويغفر لك يوم حشرك فوالله لقد كنتَ في المحافل شريفاً ، وعلى الأرامل عَطوفاً ، ولقد كنتَ في الحيّ

Marfat.com

مُسَوَّدا ، وإلى الخليفة مُوَفَّداً . ولقد كانوا لقولك مستمِعين ، ولرأيك متّبِعين . قال : فقال الناسُ ما سمعْنا كلامَ امرأةٍ أبلغَ ولا أصدَقَ معني منها . ووقف رجل على قبر النجاشيّ فَتَرَحَّمَ وقال : لولا أن القول لا يُحيطُ بما فيكَ ، والوصفَ يَقْصُرُ دونك لأطنَبْتُ بل لأسهَبْتُ ثم عَقَرَ ناقتـه على قبره ، وقال :

عقرتُ على قبر النجـاشيّ ناقتي ... بأبيضَ عَضبٍ أخلَصَتْهُ صَياقِلُهْ
على قبر مَنْ لو أنني مُتُّ قبـله ... لهـانَتْ عليه عند قبري رَواحِلُهْ

وروى ابن دَأْبٍ أن حَسَّانَ بن ثابت الأنصاريّ ، اجتاز بقبر ربيعة ابن مُكَدَّمٍ ، فأنشد :

لا يَبْعَدَنْ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ ... وسَقَى الغَـوادي قـبره بِذَنوب
نَفَرَتْ قَلوصي من حجارة حَرَّةٍ ... نصِبَتْ على طَلَقِ اليَدَيْنِ وَهوبِ
لا تَنْفِري يا ناقَ منه فإنـــه ... شِرِّيبُ خَمْرٍ مِسْعَـــرٌ لِحروب
لولا السِفارُ وطولُ قَفْرٍ مَهْمَهٍ ... لتركتُهـــا تَحْبُو على العُرْقوب
نِعْمَ الفتى أدَّى نُبَيْشةُ رَحْلَهُ ... يوم الكَديد نُبَيْشـةُ بن حَبيب

وربيعةُ بن مُكَدَّمٍ رجل من بني كنانة ، وكان قتله أُهبانُ بن غادِيَةَ الخزاعيّ ، وقَيْسٌ تقول : قتله نُبَيْشةُ بن حبيب السُلَمِيُّ ، وكان أُهبان أخا نبيشة لأمه . وكان أتاه زائراً ، وأغار ربيعةُ بن مكدم على بني سليم فخرج أهبان مع أخيه فحمل عليه فقتله ، وحمى أخو ربيعة على أهبان فقاته فَلاَنَّهُ في بني سُلَيْمٍ ، قال حسان ، (نفرت قلوصي من حجارةِ حَرةٍ ، لأن الحرة هناك لبني سليم ، وفي تَصْداقِ ما تَدَّعِيهِ خُزاعةُ ، يقول أهبان :

Marfat.com

ولقد طَعنتُ رَبيعةَ بن مُكدَّم يوم الكَديد فَخَرَّ غيرَ مُوَسَّدِ
في عارِضٍ شَرِقٍ بناتُ فُؤادِهِ منه بأَحمَرَ كالنقيع المُجْسَدِ
ولقد وَهَبْتُ سِلاحَهُ وجَوادَهُ لأخي نُبَيْشَةَ قبل لَوْمِ الحُسَّدِ

وقال أخو ربيعة يجيبه :

فات ابنُ غاديةَ المَنيَّةَ بعدما رَفَّعْتُ أسفلَ ذيله بالمِطْرَدَ
قُلْ لابن غادية المُتاحِ لقَتْلِنا ما كان يَقْتُلُنا الوَحيدُ المُفْرَدَ

يريد أن أهبان مفرد من قومه في أخواله ، وقال أيضاً :

فإن تَذْهَبْ سُلَيْمُ بِوَتْرِ قومي فأَسْلَمُ من منازلنا قَريبُ

وقالت لَيْلَى الأخيليَّة :

آليْتُ أبكي بعد تَوْبةَ هالكاً وأُحفِلُ مَنْ دارتْ عليه الدَوائرُ
لَعَمْرُكَ ما بالموت عارٌ على الفتى إذا لم تُصِبْهُ في الحياة المَعايرُ
فلا يُبْعِدَنْكَ اللهُ يا تَوْبَ إنما لِقاءُ المَنايا دارِعاً مثلُ حاسِر

ويروى :

فلا يبعدنك الله يا توب هالكا أخا الحربِ إنْ دارتْ عليه الدَوائر
فكلُّ جَديدٍ أو شَباب الى بِلَى وكل امرِىءٍ يوماً الى الله صائرُ

وذكر المدائنيّ أن رجلاً عَزَّى رجلاً أفرَطَ عليه الجَزَعُ على ابنه ، فقال : يا هذا سُرِرْتَ به ، وهو حُزْنٌ وفتنة ، وجَزِعْتَ عليه ، وهوَ صَلاةٌ ورحمةٌ ، فَسُرِّيَ عنه . ويروى أن رسول الله ﷺ قال تَعَزَّوا عن مصائبكم بي . وقال رجل لابن عمر : أعظمَ اللهُ أجرَك ! فقال : نسأل الله

Marfat.com

العافية معناه أنه لما قال له أعظمَ الله أجرك إنما دعا بأن يكثُرَ ما يُؤجَرُ عليه ، ودَلَّ على أنه من باب المصائب تَعزِيَتُهُ إياه :

٥٥ (وهذا باب طَريفٌ من أشعار المُحدَثينَ)

قال مُطيعُ بن إياسٍ اللَّيْثيُّ يَرثي يحيى بن زِيادٍ الحارثيَّ . وكان صديقَهُ وكانا مَرْمِيَّيْنِ جميعاً بالخروج عن المِلة :

يا أهلِ بَكوا لقَلْبيَ القَرِح ... وللدُّموع الهَوامِلِ السُّفُحِ
راحوا بيَحْيَى الى مُغَيَّبةٍ ... في القبر بين التُراب والصُفُحِ
راحوا بيحيى ولو تُطاوعني الأقـ ... ـدارُ لم يَبْتَكِرْ ولم يَرُحِ
يا خَيرَ مَنْ يَحْسُنُ البُكاءُ له ... اليومَ ومَنْ كانَ أمسِ للمِدَحِ

وفي يحيى يقول مطيع لنبوةٍ كانت بينهما .

كنتُ ويَحْيَى كَيدَيْ واحدٍ ... نَرْمي جميعاً ونُرامِي مَعا
إنْ سَرَّهُ الدهرُ فقد سَرَّني ... أو حادِثٌ نابَ فقد أقْطَعا
أو نامَ نامتْ أعْيُنٌ أربعٌ ... منا وإن هَبَّ فلن أهْجَعا
حتى إذا ما الشَيْبُ في عارِضي ... لاحَ وفي مَفْرِقِهِ أسرَعا
سَعَى وُشاةٌ طُبِّنَ بيننا ... فكاد حَبْلُ الوَصْلِ أن يُقْطَعا
فلم أُلمْ يَحْيَى على حادِثٍ ... ولم أقُلْ خانَ ولا ضَيَّعا

وقال أبو عبد الرحمن العُتْبِيُّ يرثي عليَّ بن سَهْلِ بن الصَبَّاحِ ، وكان له صديقاً :

يا خيرَ إخوانِهِ وأعطَفَهُم ... عليهمُ راضياً وغَضْبانا

Marfat.com

أمسَيْتَ حُزْناً وصار قُرْبُكَ لي بُعْداً وصار اللِقـــاء هِجْرانا
إنا الى الله راجعونَ لقد أصْبَحَ حزني عليـــكَ ألْواناً
حُزْنُ اشتياقٍ وحزنُ مَرْزِنَـــةٍ إذا انقَضَى عـــادَ كالذي كانا

قوله : يا خيرا إخوانه محال وباطل. وذلك أنه لا يضاف أفعل الى شيء إلا وهو جزء منه . وقال أيضاً :

دعوتُكَ يا أُخَيَّ فـــلم تُجِبْني فَرَدَّتْ دَعْوتي حُزْناً عَلَيَّـــا
بموتـــك ماتَتِ اللَّذّاتُ مني وكانتْ حَيَّةً إذْ كنتَ حَيَّا
فيا أسفي عليك وطولَ شَوْقي إليـــكَ لو أنّ ذاكَ يَرُدُّ شَيْـا

وحدثني رجل من أصحابنا ، قال شهدتُ رجلاً في طريق مكة معتكفاً على قبرٍ يردّد شيئاً ودموعُهُ تَكِفُ من لحيته ، فَدَنَوْتُ إليه لأسمع ما يقول فجعلت العَبْرةُ تحول بينه وبين الإبانةِ . فقلتُ له : يا هذا ! فرفع رأسه اليَّ ، وكأنما هَبَّ من رَقْدةٍ فقال : ما تشاء ؟ فقلت : أعلى ابنك تبكي؟ قال : لا . قلت : فعلى أبيك ؟ قال : لا ، ولا على نَسيبٍ ولا صَديقٍ ، ولكن على مَنْ هو أَخصُّ منهما ، قلت : أو يكون أحـــد أخص ممن ذكرت ؟ قال : نعم ، من أُخبِرُكَ عنه ، ان هذا المَدْفونَ كان عدوًّا لي من كل باب: يَسْعَى عليّ في نفسي ، وفي مالي ، وفي ولدي فخرج الى الصَيْدِ أيأسَ ما كنتُ من عَطَبه وأكْمَلَ ما كان من صحته ، فرمى ظبيا فَأقصَدَهُ فذهب ليأخذه فإذا هو قد أنفذه حتى نَجَمَ سهمهُ من صَفْحةِ الظَبْي فَعَثَرَ فَتَلَقَّى بفُؤادِهِ ظُبَةَ السَهْمِ فَلَحِقَهُ أولياؤه فانتزعوا السهم ، وهو والظبي مَيِّتانِ فَنَمى اليَّ خبرُهُ فأسرعتُ الى قبره مُغْتَبِطاً بفقـــده ، فإني لضاحكُ

Marfat.com

السِنّ إذْ وقعت عيني على صخرة فرأيتُ عليها كتاباً فَهَلُمَّ فاقرأه . وأومأ الى الصخرة ، فإذا عليها :

وما نَحْنُ إلا مثلُهُمْ غير أننـــا أَقَمْنـا قليلاً بعدهم وتَقَدَّموا

قلتُ أشهد أنك تبكي على مَنْ بُكاؤُكَ عليه ، أحقُّ من النسيب . ومما استطرفنا من شعر المُحْدَثينَ قولُ يعقوب بن الربيع في جارية طالَبَها سبعَ سنين يَبْذُلُ فيها جاهه وماله وإخوانه حتى ملكها ، فأقامتْ عنده ستة أشهر ثم ماتت . فقال فيها أشعاراً كثيرة ، اخترنا منها بعضهـــا من ذلك قوله :

للهِ آنِسةٌ فُجِعْتُ بهـــا ما كان أَبْعَدَها من الدَنَسِ
أَتت البِشارةُ والنَعِيُّ مَعـــاً يا قُرْبَ مَأْتَمِها من العُرُسِ
يا مُلْكُ نالَ الدَهْرُ فُرْصَتَـهُ فَرَمَى فُؤاداً غير مُحْتَرِسِ
كم من دُموعٍ لا تَجِفُّ ومن نَفْسٍ عليكِ طويلةِ النَفَسِ
أبكيك ما ناحتْ مُطَوَّقَـــةٌ تحت الظلام تَنوحُ في الغَلَس
يا مُلْكُ فيَّ وفيـــكِ مُعْتَبَرٌ ومواعظٌ يُوحشن ذا الأُنسِ
ما بعد فُرْقَـــةِ بَيْنَنا أبداً في لَذَّةٍ دَرَكٌ لُمْلْتَمِسِ

وأخذ في صدر هذا الكلام من قول القائل :

رُبَّ مَغْروسٍ يُعاشُ بـــه فَقَدَتْـــهُ كَفُّ مُغْتَرِسِه
وكذاكَ الدَهْرُ مَأْتَمُـــهُ أَقْرَبُ الأشياء من عُرُسِه

وقريبٌ من هذا قول امرأة شريفـــة ترثي زوجها ، ولم يكن دخل بها :

Marfat.com

أبكيك لا للنعيم والأنسِ بل للمعالي والرمحِ والفرسِ
أبكي على فارسٍ فُجِعْتُ به أرملني قبل ليلة العُرسِ
يا فارساً بالعَراءِ مُطَّرَحاً خانته قوّادُهُ مع الحرسِ
مَنْ للبتامى إذا هُمُ سَغِبوا وكلّ عانٍ وكُلّ مُختَبِسِ
أم مَنْ لِبِرٍ أم مَنْ لفائدةٍ أمْ مَنْ لذِكْرِ الإله في الغَلَس

ومما أستطرفه من شعر يعقوب ، قوله :

ليتَ شِعْري بأيّ ذنب لِمُلْكٍ كان هَجْري لقبرها واجْتِنابي
الذنب حَقَدْتُهُ كان منها أم لعِلْمي بشُغْلها عن عِتابي
أم لِأَمْني لِسُخْطِها ورِضاها حين واريتُ وَجْهَها في التراب
ما وفى في العباد حَيٌّ لمَيْتٍ بعد يَأسٍ منه له في الإياب

وفي هذا الشعر :

إنما حَسْرتي إذا ما تَذَكَّرْ تُ عَنائي بها وطولَ طِلابي
لم أزَلْ في الطِلاب سبعَ سِنينٍ أتأتّى لذاك من كلّ باب
فاجتمعنا على اتفاقٍ وقَدْرٍ وغَنينا عن فُرْقةٍ باصْطِحاب
أشْهراً ستة صَحِبْتُكِ فيها كُنَّ كالحُلْمِ أو كَلَمْعِ السَراب
وأتاني النَعِيُّ منك مع البشـ ـرى فيا قُرْبَ أوْبةٍ من ذَهاب

ومن مَليح شعره قوله يرثيها :

حتى إذا فَتَرَ اللسانُ وأصبحتْ للموت قد ذَبَلَتْ ذُبولَ النَرْجِس
وتَسَهَّلَتْ منها محاسنُ وجهها وعلا الأنينُ تحثّه بتنفس
رَجَعَ اليقينُ مطامعَ المتلمّس رَجَعَ اليقين مَطامعي بأساً كما

Marfat.com

ومن مليح شعره أيضاً قوله :

فُجِعْتُ بمُلْكٍ وقد أَيْنَعَتْ وتَمَّتْ فَأَعْظِمْ بها من مُصيبَه
فأصبحتُ مُغْتَرِباً بعدها وأمست بحُلْوانَ مُلْكٌ غَريبه
أراني غَريباً وإن أصبحتْ مَنازلُ أهْلِيَ منّي قَريبه
خَلَفْتُ على أختها بعدها فصادفتُ ذاتَ عَقْلٍ أديبه
فأقبلتُ أبكي وتَبْكي معي بُكاء كَئيبٍ بِحُزْنٍ كَئيبه
وقلتُ لها مَرْحَباً مرحباً بوجه الحَبيبةِ أختِ الحَبيبه
سَأُصْفيكِ وُدّي حِفاظاً لها فَذاكِ الوَفاءُ بظهر المَغيبهْ
أراكِ كمُلْكٍ وإن لم تكن لِمُلْكٍ من الناس عندي ضَريبَهْ

ومما اخترنا من مرثية يزيد المُهَلَّبيّ للمتوكل على الله قوله :

لا حُزْنَ إلا أراه دون ما أجدُ وهل كمن فَقَدَتْ عيناي مُفْتَقَدُ
لا يَبْعَدَنْ هالكٌ كانتْ منيتُهُ كما هَوَى عن غِطاءِ الزُّبْيَةِ الأَسَدُ
لا يَدْفَعُ الناسُ ضَيْماً بعد ليلتهم إذْ لا تُمَدُّ الى الجاني عليك يَدُ
لو أن سيفي وعَقْلي حاضرانِ له أبْلَيْتُهُ الجُهْدَ إذ لم يُبْلِهِ أحدُ
جاءت مَنِيَّتُهُ والعينُ هاجعةٌ هلا أَتَتْهُ المَنايا والقَنا قِصَدُ
هلا أَتَتْهُ أعاديه مُجاهَرةً والحربُ تُسْعَرُ والأبْطالُ تَجْتَلِدُ
فَخَرَّ فوق سرير المُلْكِ مُنْجَدِلاً لم يَحْمِهِ مُلْكُهُ لما انقضى الأَمَدُ
قد كان أنصاره يحمون حَوْزَتَهُ وللردَى دون أرْصاد الفتى رَصَدُ
وأصبح الناسُ فَوْضَى يَعْجبونَ له لَيْثاً صَريعاً تَنَزَّى حَوْلَهُ النَقَدُ
عَلَتْكَ أسيافُ مَنْ لا دونه أحدٌ وليس فوقَكَ إلا الواحدُ الصمد

Marfat.com

جاؤا عظيماً لدُنيا يَسْعدون بهـــا ... فقد شَقُوا بالذي جاؤا وما سَعِدوا
ضَجَّتْ نِساؤُكَ بعد العِزِّ حين رأت ... خَدًّا كريماً عليـــه قارِتٌ جَسِد
أضحَى شهيدُ بني العباس موعظةً ... لكل ذي عِزَّةٍ في رأسه صَيَـــدُ
خَليفةٌ لم يَنَلْ ما ناله أحـدٌ ... ولم يُضَعْ مثلَه روحٌ ولا جسد
كم في أديمِكَ من فَوْهاء هادِرةٍ ... من الجَوانِفِ يَغْلى فوقها الزَبَـدُ
إذا بُكِيتَ فإن الدمع مُنْهَمِلٌ ... وإن رُثِيتَ فإن القول مُصَّرِدُ
قد كنتُ أُسرِفُ في مالي وتُخْلِفُ لي ... فَعَلَّمَتْني اللَّيالي كيف أَقتَصِدُ
لمّا اعتقـــدتم أناساً لا حُلوم لهم ... ضِغْتُمْ وضَيَّعْتُمُ مَنْ كان يُعْتَقَـــدُ
ولو جعلتم على الأحرارِ نِعْمَتَكُمْ ... حَمَتْكُمُ السادةُ المذكورةُ الحُشُدُ
قوم همُ الجِذْمُ والأنسابُ تجمعهم ... والمَجْدُ والدِينُ والأرْحامُ والبَلَدُ
إذا قريش أرادوا شَدَّ مُلْكِهِـــمُ ... بغير قَحْطانَ لم يَبْرَحْ بـــه أوَدُ
قد وُتِرَ الناسُ طُرًّا ثم قد صَمَتوا ... حتى كأن الذي نِيلوا بـــه رَشَدُ
من الاولى وَهَبوا للمَجْدِ أنفسَهم ... فما يُبالونَ ما نالوا إذا حُمِـــدوا

(قال أبو الحسن ، قوله : قارت ، يقال : قَرَتَ الدمُ يَقْرُتُ قُروتاً ، ودم قارت قد يبس بين الجلد واللحم ، ومسك قارت ، وهو أخفه وأجوده قال : (يُعَلُّ بقَرَّاتٍ من المسك قاتِنِ) وقَرَّاتٌ فَعَّالٌ ، وقاتن مسكٌ قاتن قد قَتَنَ قُتوناً ، أي يابس لا نُدُوَّةَ فيه) .

٥٦ ــ باب ذكر الأذْواء من اليمن في الاسلام

فأما في الجاهلية، فيكثرون نحو ذي يَزَنٍ ، وذي كَلاعٍ وذى نُواسٍ

Marfat.com

وذي رُعَيْنٍ وذي أَصبَحَ وذي المناوِر وذي القرنين . فأما في الاسلام، فمنهم خزَيْمةُ بن ثابت ذو الشهادتين ، سمـــاه رسول الله ﷺ وهو أنصاريٌّ . ومنهم قَتادةُ بن النعمان االانصاري ذو العَيْنِ . كانت عينُه أُصيبتْ فردها رسول الله ﷺ ، فكانت أَحسنَ عينيه . وكانت تَعْتَلُّ عينُه الصحيحةُ فلا تَعْتَلُّ المردودة معها .* ومنهم أبو الهَيْثمِ بن التَّيِّهانِ الانصاريُّ ذو السيفين كان يتقلد سيفين في الحرب . ومنهم حُبابُ بن المُنْـذِرِ بن الجموحِ ذو الرأْيِ ، وهو صاحب المَشورةِ يوم بدر ، أَخذ برأيه رسول الله ﷺ ، وكانت له آراء في الجاهلية مشهورة ، ومنهم سَعْدُ بن صُفَيْحٍ ذو السِيال، ومنهم ذو المُشَهَّرةِ ، وهو أبو دُجانَةِ سماكُ بن خَرَشَةَ ، وكانت له مشهَّرة اذا لبسها وخرج يختال بين الصفَّين لم يُبْقِ ولم يَذَرْ وكلُّ هؤلاء من الانصار ، ومن اليمن من غيرهم عبدُالله بن الطفَيْلِ الأَزْدِيُّ ، ثم الدَوْسِيُّ ذو النور أعطاه رسول الله ﷺ نوراً في جبينه ليدعو به قومه ، فقال : يا رسول الله ، هذه مُثْلَةٌ . فجعله رسول الله ﷺ في سَوْطه . فلما ورد على قومه بالسَراة جعلوا يقولون : ان الجبل لَيَلْتَهِبُ ، وكان أبو هريرة ممن اهتدى بتلك العلامة . ومنهم ثم من خُزاعةَ ذو اليدين سماه رسول الله ﷺ ذا اليدين ، وكان قبل يدعى ذا الشِمالين ، وكان رسول الله ﷺ صلَّى بهم الظهر فسلَّم في الركعة الثانية ، فقال ذو اليدين : يا رسول الله ، أَقصُرَتِ الصلاةُ أم نسيتَ ؟ فقال ما كان ذاك . فقال : بلى يا رسول الله . فالتفت إلى أصحابه ، فقال : ما يقول ذو اليدين ؟ فقالوا : صدق يا رسول الله . فنهض فَأَتَمَّ ، ثم قال : اني لِأَنسَى أو أُنسَّى لِأُسْتَنَّ .

* لم نجد في الأثر ذكراً لهذا ولا ندري عمن رواه المبرد .

Marfat.com

وهذه تسمية من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية

منهم سعد بنُ معاذٍ الانصاريُّ ، وهبط لموته سبعون ألف ملك لم يهبطوا إلى الأرض قبلها ، وقَبَضَ رسول الله ﷺ من رجليه في المشي لئلا يَطَأَ على جناح مَلَك ، واهتز لموته عَرْشُ الله جل وعز . وفي ذلك يقول حسان :

وما اهتَزَّ عَرْشُ اللهِ من موت هالكٍ سمعنا به إلا لِسَعْدٍ أَبي عمرو *

وكَبَّرَ عليه رسول الله ﷺ تسعاً ، كما كبر على حمزة بن عبد المطلب ، وشُمَّ من تراب قبره رائحةُ المِسْكِ . ومنهم حسان بن ثابت الانصاريُّ ، قال له رسول الله ﷺ : اهْجُهُمْ ورُوحُ القُدُسِ معك ! وقال في حديث آخر : ان الله مُؤَيِّدٌ حسَّاناً بروح القدس ، ما نافَحَ عن نبيِّه ، وقالت عائشة : كان يوضع لحسان مِنْبَرٌ في مؤخر المسجد فينافح عن رسول الله ﷺ . ومنهم حَنْظَلَةُ بن أبي عامر الانصاري غَسَّلته الملائكة ، وذاك أنه خرج يوم أُحدٍ فَأُصِيبَ ، فقال رسول الله ﷺ : صاحبُكُم هـذا قد غَسَّلَتْهُ الملائكة . فسئل عن ذلك ، فقالت امرأته : كان معي على ما يكون الرجلُ مع امرأته . فَأَعْجَلَتْهُ حَطْمَةٌ بلغتْهُ في المسلمين ، فخرج ، فأصيب . ففي ذلك يقول الاحوَصُ بن محمد بن عاصم بن ثابت بن أبي الأَقْلَحِ حَمِيُّ الدَّبْرِ ، وكان خال أبيه :

غَسَّلَتْ خالَيَ الملائكةُ الابـرار مَيْتاً أكْرِمْ به من صَريعِ
وأنا ابنُ الذي حَمَتْ ظهرَه الدَّبْـرُ قَتِيلِ اللِحْيان يومَ الرَّجيعِ

* إن عرش الله جل وعلا لا يهتز لموت بشر . وفي الشعر مبالغة مذمومة .

Marfat.com

ومنهم حارثةُ بن النعمان ، رأى جبريلَ ﷺ مرتين وأقرأه جبريلُ السلامَ ، ومنهم ثَمَّ من خُزاعةَ عِمْرانُ بن حُصَين ، كانت تصافحه الملائكةُ ، وتَعودُهُ ثم افتقدها فأتى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله إن رجالاً كانوا يأتونني لم أر أحسن منهم وُجوهاً ، ولا أطيبَ أرواحاً . ثم قد انقطعوا عني ، فقال رسول الله ﷺ : أصابك جُرْحٌ فكنت تكتمه، فقال : أَجَلْ . قال : ثم أظهرتَهُ . قال : قد كان ذلك . قال : أما لو أقمتَ على كِتْمانِهِ لزارتك الملائكةُ الى أن تموت . ومنهم جَرير بن عبدالله البَجَلِيُّ ، قال رسول الله ﷺ : يَطْلُعُ عليكم من هذا الفَجِّ خَيْرُ ذي يَمَنٍ عليه مَسْحةُ مَلكٍ . ومنهم دِحْيةُ بن خليفةَ الكَلْبِيُّ ، كان جبريل صلى الله عليه يَهْبِطُ في صورته فمن ذلك يوم بني قُرَيْظةَ لما انصرفَ رسولُ الله ﷺ من الخَنْدَقِ ، وهبط عليه جبريل عليه السلام ، فقال : يا محمد ، أقد وَضَعْتُمْ سِلاحكم ما وضعتِ الملائكةُ أسلحَتَها بَعْدُ ، إن الله يأمرك أن تسير الى بني قريظة ، وها أنا ذا سائر اليهم فَمُزَلْزِلٌ بهم ، فأمر رسول الله ﷺ الناسَ ألاَّ يُصَلُّوا العصر إلا في بني قريظة، فجعل يمر بالناس ، فيقول: أمَرَّ بكم أحد ؟ فيقولون : مر بنا دِحْيةُ بن خليفة على بغلة عليها قَطيفةُ خَزٍّ نحو بني قريظة . فيقول : ذاك جبرائيل ثم مَرَّ دحيةُ بعد ذلك ، وكان لا يزال عليه السلام في غير هذا اليوم ينزل في صورته كما ظهر إبليسُ في صورة الشيخ النجديِّ :

٥٧ (وهذا باب قد تقدم ذِكْرُنا إياه ووَعْدنا استقصاءه)

إعلم أن كل شيء من الحيوان كان مما يُخْبِرُ الناسُ عنه كما يخبرون

Marfat.com

عن أنفسهم ، ومما يقتنونه ويتخذونه فَبِهِمْ جاجةٌ الى الفَصْلِ بين معرفته ونكرته، ومذكره ومؤنثه ، تقول : جاءني رجل إذا لم تَدْرِ مَنْ هو بعينه أو دَرَيْتَ فلم ترد أن تُبَيِّنَ ، ثم تُعَرِّفُهُ لصاحبك إذا أردتَ ذلك إما بألف ولام واما باسم معروف أو إضافة أو غير ذلك . وكذلك يفصل الناس بين الخيل بأسماء أو نُعوت يعرفون بها بعضها من بعض ، وكذلك الشاء والكلاب والإبلُ ، لولا تميز بعضها من بعض لم يستقم الإخبارُ عنها ، والاختصاصُ بما أريد منها . فإذا كان الشيء ليس مما يتخذونه لم يحتاجوا الى التمييز بين بعضه وبعض يقول : الرجل رأيت الاسدَ ، فليس يعني أسداً بعينه ولكن يريد الواحدَ من الجنس الذي قد عرفتَ ، وكذلك الذئبُ والعقربُ والحيّةُ ، وما أشبه ذلك . ألا تَرَى أن ابن عِرْسٍ ، وسامٌ أبرَصَ وأمُّ حُبَيْنٍ وأبا الحرث وأبا الحُصَيْنِ ، معارفُ لا على أن تُمَيِّزَ بعضها من بعض ، ولكن تعريفَ الجنس ، وقولك : ابن مَخاضٍ وابن لَبونٍ وابن ماءٍ نكراتٌ لأن هذا ما يتخذه الناس ، وابن ماء إنما هو مضاف الى الماء الذي يعرف . فإذا أردت التعريف من هذا لهذه النكراتِ أدخلتَ فيما أضيفتْ اليه الألفُ واللامُ أو لَقَّبْتَها ألقاباً تُعرف بها كزيد وعمرو . واعلم أن كل جمع مؤنثٌ لانك تريد معنى جماعة. ولا تُذَكِّرْ من ذلك إلا ما كان فعله يجري بالواو والنون في الجمع ، وذلك كلُّ ما يَعْقِلُ ، تقول : مسلم ومسلمون . كما تقول قوم يُسْلِمونَ ، وتقول للجمال هي تسير وهُنَّ يَسِرْنَ ، كما تقول للمؤنث لأن أفعالها على ذلك ، وكذلك المواتُ قال الله عز وجل في الأصنام : رَبِّ انهنَّ أضْلَلْن كَثيرا

Marfat.com

من الناس . والواحد مذكر ، وقال المفسرون في قوله : إنْ يَدْعونَ من ونه إلا اناثاً ، قالوا : الَموات فكل ما خرج عما يعقل فجمعه بالتأنيث ، وفِعْلُهُ عليه لا يكون إلا ذلك ، إلا ما كان من باب المنقوص نحو سِنينَ وعِزِينَ وليس هذا موضعه ، وجملته أنه لا يكون إلا مؤنثاً فلهذا كان يقع على بعض هذا الضرب الاسم المؤنث فَيَجْمَعُ الذكرَ والانثى . فمن ذلك قولهم : عقرب فهو اسم مؤنث ، الا أنك إن عَرَّفتَ الذَكَرَ قلت : هذا عقرب . وكذلك الحية ، تقول للانثى : هذه حيـــة ، وللذكر : هذا حية .

قال جرير :

إن الَحفَافِيثَ منكم يا بني لَجإٍ يُطْرِقْنَ حيثُ يَصولُ الحيةُ الذكر

(قال الأخفش : الحفافيثُ ضرب من الحيات يكون صغير الجرم ينتفخ ، ويعظم ويَنْفُخُ نفخاً شديداً لا غائلة له) وتقول : هذا بَطة . للذكر ، وهذه بَطَّةٌ للانثى . وهذا دَجاجةٌ ، وهذه دجاجةٌ . قال جرير :

لمـــا تَذَكَّرْتُ بالدَيْرَيْن أرَّقَني صوتُ الدَجاج وقَرْعٌ بالنَواقيس

يريد زُقاء الديوك ، فالاسم الذي يجمعها دُجاجةٌ للذكر والانثى . ثم يُخَصُّ الذكر بأن يقال : ديك ، وكذلك تقول : هذا بقرة لهما جميعاً ، وهذا حُبارَى . ثم يُخَصُّ الذكر فتقول : ثور . وتقول للذكر من الحبارى حَرَبٌ . فعلى هذا يَجْرِي هذا الباب . وكل ما لم نذكره فهذا سبيله . وقد كنا أرْجأنا أشياء ذكرنا أنا سنذكرها في آخر هذا الكتاب منها خُطَبٌ ومواعظ ورسائل . ونحن ذاكرون ما تَهَيَّأ من ذلك إن شاء الله . قـــال الأصمعي : فيما بلغني خَطَبَنا أعرابي بالبادية ، فحمد الله واستغفره ، ووَحَّدَهُ

Marfat.com

وصلى على نبيه . فَبَلَغَ في ايجاز . ثم قال : أيها الناس ، ان الدنيا دارُ بَلاغ ، والآخرةَ دار قرار ، فخذوا من مَمَرِّكم لِمَقَرِّكم ، ولا تَهْتِكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسرارُكم ، في الدنيا كنتم ولغيرها خُلِقْتُمْ . أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والمُصَلَّى عليه رسولُ الله ، والمدعوُّ له الخليفة ، والأمير جعفرُ بن سليمان. وحُدِّثتُ في بعض الأسانيد أن عمر بن عبد العزيز ، قال في خطبة له : أيها الناس ، إنما الدنيا أَمَلٌ مُخْتَرَمٌ ، وأَجَلٌ مُنْتَقَصٌ ، وبلاغٌ إلى دارٍ غيرها ، وسيرٌ إلى الموت ليس فيه تَعْريجٌ ، فَرَحِمَ الله امرأً فَكَّرَ في أمره ، ونَصَحَ لنفسه وراقب ربَّه ، واستقال ذنبه ، ونَوَّرَ قلبه . أيها الناس ، قد علمتم أن أباكم قد أُخرِجَ من الجنة بذنبٍ واحد ، وأن ربكم وَعَدَ على التوبة ، فليكنْ أحدُكم من ذنبه على وَجَلٍ ، ومن ربه على أَمَلٍ . ويروى أن رجلاً معروفاً ذهب اسمه عني ، قال : أتيتُ ابن عمر ، فقلت : أتَجِبُ الجنةُ لعاملٍ بكل الخيرات ، وهو مُشْرِكٌ ؟ فقال : لا . فقلت له : أتَجِبُ النار لعامل بالشر كله وهو مُوَحِّدٌ قال : عَشٌ ولا تَغْتَرَّ ، قال : قال : وأتيت ابن عباس ، فسألته ، فأجابني بمثل جوابه سَواءً وقال : عَشٌ ولا تغتر . قال : وحدثني بهذا الحديث القاضي (يعني اسماعيل بن اسحق) وذكر العُتْبيُّ ، أحسبه عن أبيه عن هشام ابن صالح عن سعدِ القَصْرِ ، قال : خَطَبَ الناس بالمَوْسِمِ عُتْبةُ في سنة إحدى وأربعين ، وعَهْدُ الناسِ حديثٌ بالفتنة ، فاستفتح ثم قال : أيها الناس ، إنا قد وَلِينا هذا الموضعَ الذي يُضاعِفُ الله فيه للمحسن الأَجرَ ، وعلى المسيء الوِزْرَ ، فلا تمدوا الأعناقَ إلى غيرنا ، فانها تنقطع دوننا ،

Marfat.com

ورب مُتَمَنٍّ حَتْفُهُ في أُمْنِيَّتِهِ ، اقبلوا العافية ما قبلناها منكم وفيكم ، وإياكم ولَوْ ، فقد أتعبتْ من كان قبلكم ولن تُريحَ مَنْ بعدكم ، فاسألوا الله أن يُعينَ كُلاًّ على كلٍّ ، فَنَعَقَ به اعرابي من مؤَخرِ المسجد ، فقال: أيها الخليفة ! فقال : لَسْتُ به ولم تُبْعِدْ . قال : فيا أخاه . قال : قد أسمعتَ ففعل ، فقال : واللهَ لأنْ تُحْسِنوا وقد أسأنا خير لكم من أن تسيؤا وقد أحسَنَّا فإن كان الإحسان لكم فما أحَقَّكم باستتمامه ، وإن كان لنا فما أحقكم بمكافأتنا . رجل من بني عامر يَمُتُّ اليكم بالعُمومة ويختص اليكم بالخؤلة ، وقد وطئه زمانٌ ، وكثرةُ عيالٍ وفيه أَجرٌ وعنده شُكْرٌ فقال عتبة: أستعيذُ بالله منك وأستعينه عليك ،قدأمرت لك بِغِناك ،فليت إسراعنا اليك يقوم بالهائنا عنـــكَ . وذكَر العتبيّ أن عتبة خطب الناسَ بمصرعن مَوْجِدَةٍ فقال : يا حاملي الأَمِ آنُفٍ رُكِّبتْ بين أَعْيُنٍ ، إني إنما قَلَّمْتُ أظفاري عنكم ليلينَ مَسِّي لكم ، وسألتكم صَلاحكم إذ كان فسادُكم باقياً عليكم . فأما إذ أبيـــتم إلا الطَعْنَ على السلطان والتَنَقُّصَ للسلَفِ ، فوالله لأُقَطِّعَنَّ بطونَ السِياط على ظهوركم فإن حَسَمَتْ أدواءكم وإلا فإن السيف من ورائكم ، فكم من حكمة منا لم تَعِها قلوبكم ، ومن موعظةٍ منا صَمَّتْ عنها آذانُكم ولَسْتُ أَبْخَلُ عليكم بالعقوبة إذ جُدْتُمْ بالمعصية، ولا أُويسُكُمْ من مراجعة الحُسْنَى إن صرتم الى التي هي أَبَرُّ وأَتْقَى ثم نزل . وذكر العتبي أو غيره ان داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس خطب الناس في أول موسم مَلَكَهُ بنو العباس بمكة فقال : شُكْراً شُكْراً إنا والله ما خرجنا لِنَحْفِرَ فيكم نهراً ، ولا لِنَبْنِيَ فيكم قَصْراً ، أَظَنَّ عدوُّ الله أنْ لن

Marfat.com

نَقْدِرَ عليه أن رُوخيَ له من خِطامِهِ حتى عَثَرَ في فَضْلِ زِمامِهِ. فالآن حيث أخذ القوسَ باريها وعادت النَبْلُ الى النَزَعةِ ، ورجع المُلْكُ في نِصابه في أهل بيت النبوّة والرحمة ، واللهِ لقد كنا نتوَّجعُ لكم ونحن في فُرُشِنا ، أمِنَ الاسودُ والأحمرُ ، لكم ذِمَّةُ الله ، لكم ذمة رسول الله ﷺ لكم ذمة العباس ، لا وَرَبَّ هذه البَنِيَّةِ . وأومأ بيده الى الكَعْبَةِ . لا نَهِيجُ منكم أحداً . قال : وخطبَ الناسَ معاويةُ بن أبي سفيان ، فحمد الله وصلى على نبيه ، ثم قال: أيها الناس ، إنّي مِنْ زرعٍ قد اسْتَحْصَدَ ولن يأتيكم بعدي إلا مَنْ أنا خيرٌ منه كما لم يكن قبلي إلا مَنْ هو خير مني . وفي غير هذا الخبر أنه قال لبناته عند وفاته : قَلِّبْنَني فَفَعَلْنَ ! فقال : انكنَّ لَتُقَلِّبْنَهُ حوّلاً قُلَّباً إن وُقِيَ كَبَّةَ النار ، ثم قال متمثلاً :

لا يَبْعَدَنَّ ربيعةُ بن مُكَدَّمٍ وسَقَى الغَوادي قبرَه بِذَنوب

وقال لابنة قَرَظَةَ ابكيني فقالت :

ألا أَبْكِيهِ ألا أَبكيه ألا كلُّ الفَتَى فيه

فلما مات دخل الناسُ على يزيد يُعَزّونه بأبيه ، ويُهَنّؤنه بالخلافة فجعلوا يقولون حتى دخل رجلٌ من ثَقيفٍ فقال : السلامُ عليكَ أميرَ المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، إنك قد فُجِعْتَ بخير الآباء وأعطيتَ جميع الأشياء ، فاصبر على الرَزيئة واحمد الله على حُسْنِ العطيّة ، فلا أُعْطِيَ أحدٌ كما أعطيت ، ولا رُزِيءَ كما رُزِئْتَ . فقام ابن هَمّامٍ السلوليُّ فأنشده شعراً ، كأنما فاوَضَه الثقفي فقال :

أَصْبِرْ يَزيدُ فقد فارقتَ ذا ثِقةٍ واشكُرْ بَلاءَ الذي بالمُلْكِ أصفاكا

Marfat.com

أصبحتَ تملك هـــذا الخلقَ كلَّهم فأنتَ تَرْعـــاهُمُ واللهُ يَرْعاكا
ما إنْ رُزِي أحدٌ في الناس نَعْلَمُهُ كما رُزِئْتَ ولا عُقْبَى كعُقْبـــاكا
وفي معاوِيةَ البـــاقي لنا خَلَفٌ إذا نُعِيتَ ولا تَسْمَـــعْ بمَنْعاكا

المُحوَّلُ معناه ذو الحِيلة ، والقُلَّبُ الذي يقلّب الأمور ظهراً لبطنٍ . وقوله : إن وقى كبة النار . فكَبَّةُ النار معظمها ، وكذلك كَبَّةُ الحرب ، ويقال : لقيته في كبة القوم ، ويروى عن بعض الفرسان أنه طعن رجلاً في حرب ، فقال : طعنته في الكَبَّةِ فوضعت رمحي في اللَبَّةِ وأخرجته من السَبَّةِ . والسَبَّةُ الدُبُرُ . ويروى أن خالد بن صَفْوانَ دخل على يزيد بن المُهَلَّبِ وهو يَتَغَدى ، فقال : ادْنُ فكُل يا أبا صَفْوانَ ، قال: أصلح اللهُ الأميرَ لقد أكلتُ أكلةً لست ناسيها ، قال : وما أكلت ؟ قال : أتيتُ ضَيْعتي لإبّانِ الغِراس ، وأوان العِمارة فجُلْتُ فيهـــا جَوْلَةً حتى إذا صَخَدَتِ الشمسُ ، وأزْمَعْتُ بالرُكود مِلْتُ الى غرفة لي هَفَّافةٍ في حَديقة قد فُتحت أبوابها ، ونُضِحَ بالماء جوانبُها ، وفُرشت أرضها بألوان الرياحين ، من بين ضَمْرانٍ نافحٍ وسُمْسُقٍ فائحٍ ، وأقحُوانٍ زاهرٍ ووَرْدٍ ناضر . ثم أُتيت بخـــبز أرز كأنه قِطَعُ العَقيقِ ، وسَمَكٍ بُنانيٍ بيضِ البطون زُرْقِ العيون سُودِ المُتون عِراضِ السُرَرِ غِلاظِ القَصَرِ ودُقَّـــةٍ وخلُولٍ ومُرْيٍ وبُقولٍ . ثم أُتيتُ برُطَبٍ أصفر صافٍ غيرِ أكدر لم تبتذله الأيدي ولم يَهْشِمْهُ كيل المكاييل ، فأكلت هذا ثم هذا . فقال يزيدُ : يا ابن صَفْوانَ لألْفُ جَريبٍ من كلامك مَزْروعٍ خيرٌ من ألف جريب مذروع . ونحن ذاكرون الرسائل بين أمير المؤمنين المنصورِ وبين محمد بن عبدالله بن حسن العَلَوِيِّ ، كما وعَدْنا

Marfat.com

في أول الكتاب ، ونختصر ما يجوز ذكره منه ونُمْسِكُ عن الباقي فقد قيل الراويةُ أحد الشاتمين، قال: لما خرج محمد بن عبد الله على المنصور كتب اليه المنصورُ : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين الى محمد بن عبد الله ، أما بعد فأما جزاءُ الذينَ يحاربون الله ورسوله . ويَسْعَوْنَ في الأرض فساداً أن يُقَتَّلوا أو يُصَلَّبُوا ، أو تُقَطَّعَ أيديهم وأرجلُهم من خلاف أو يُنفَوْا من الأرض ذلك لهم خِزْيٌ في الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل أن تقدِروا عليهم ، فاعلموا إن الله غفور رحيم . ولك عَهْدُ الله وذِمَّتُهُ وميثاقه ، وحقُّ نبيه محمد ﷺ إن تُبتَ من قبل أن أقدرَ عليك أن أؤَمِّنَكَ على نفسك وولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك . وأن أعطيك ألف ألف درهم وأُنزِلَكَ من البلاد حيث شئت وأقضي لك ما شئتَ من الحاجات ، وأن أُطلقَ مَنْ في سجني من أهل بيتك وشيعتك وأنصارك ثم لا أتتبع أحداً منكم بمكروه فإن شئتَ أن تتوثق لنفسك فوجِّه الىَّ مَنْ يأخذ لك من الميثاق والعهد والأمان ما أحببتَ . والسلامُ . فكتب اليه محمد بن عبد الله : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبدالله محمد المهدي امير المؤمنين الى عبد الله بن محمد . أما بعد طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعونَ بالحقِّ لقوم يؤمنون ، أن فرعون عَلا في الأرض ، وجعلَ أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبِّح أبناءهم . ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ، ونريد أن نَمُنَّ على الذين استضعفوا في الأرض . ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونُمكِّن لهم في الأرض . ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا

• ان نص الرسالة بين المنصور ومحمد العلوي تحمل في طياتها نقيضها ، فهي ملفقة منحولة .

Marfat.com

يَحْذَرونَ ، وأَنَا أَعْرِضُ عليك من الامان مثل الذي أعطيتَني ، وقد تَعْلَمُ أَن الحقَّ حقُّنا ، وأنكم إنما طلبتموه بنا ونَهَضْتُمْ فيـــه بشيعتنا وخيطتموه بفضلنا ، وإن أبانا علياً عليه السلام كان الوصيَّ والإمامَ ، فكيف ورثتموه دوننا ، ونحن أحياء وقد علمتَ أنه ليس أحد من بني هاشم يَمُتُّ بمثل فَضْلنا ولا ولا يَفْخَرُ بمثل قديمنا وحديثنا ، ونسبنا وسببنا ، وأنّا بنو أم رسول الله ﷺ فاطمةَ بنت عمرو في الجاهلية دونكم وبنو ابنته فاطمةَ في الإسلام من بينكم ، فأنا أَوْسَطُ بني هاشم نسباً ، وخيرُهم أمّاً وأباً ، لم تلدني العجَم ، ولم تُعْرِقْ فيَّ أُمَّهاتُ الأولاد ، وأن الله تبارك وتعالى لم يَزَلْ يختار لنا فوَلَدَني من النبيّين أفضلُهم محمد صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه أقدمُهم إسلامـــاً ، وأوسعُهم علماً ، وأكثرهم جهاداً عليُّ بن أبي طالب ، ومن نسائـــه أفضلهنَّ خديجة بنت خُوَيْلِدٍ ، أولُ مَنْ آمن بالله وصَلَّى القبلةَ ، ومن بناته أفضلُهن وسيدةُ نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام الحسنُ والحسينُ سيدا شَبابِ أهلِ الجنة . ثم قد علمتَ أن هاشماً وَلَدَ عَلِيّاً مرتين ، وأن عبد المطلب وَلَدَ الحسن مرتين ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قِبَلِ جدَّيَّ الحسن والحسين. فما زال الله يختار لي حتى اختار لي في النار ، فوَلَدَني أرفعُ الناسِ درجةً في الجنة ، وأهونُ أهلِ النـار عذاباً . فأنا ابنُ خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار ، ولك عهدُ الله إن دخلتَ في بيعتي أن أؤمّنَكَ على نفسك وولدك ، وكلُّ ما أصبتَهُ إلا حَدّاً من حدود الله ، أو حقاً لمسلم أو مُعاهِدٍ فقد علمت ما يلزمك في ذلك ، فأنا أوْفى بالعهد منك ، وأحرَى لقبول الأمان . فأما أمانُكَ

Marfat.com

الذي عرضتَ عليَّ فأيُّ الاماناتِ هو . أأمانُ ابن هُبَيْرةَ أم أمانُ عمك عبدِ الله ابن عليٍّ ، أم أمانُ أبي مُسْلِمٍ والسلام . فكتب اليه المنصور : بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين ، الى محمد بن عبدالله . أما بعد ، فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فإذا جُلُّ فَخْرِكَ بالنساء لتُضِلَّ به الجُفاةَ والغَوْغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعُمومة ، ولا الآباء كالعَصَبة والأولياء ، ولقد جَعَلَ العم أباً وبدأ به على الوالد الأدْنى ، فقال جل ثناؤه عن نبيه عليه السلام : واتبعتُ مِلَّةَ آبائي إبراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب ، ولقد علمتَ أن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم وعُمومتُهُ أربعة ، فأجابه اثنان أحدهما أبي وكفر إثنان أحدهما أبوك . فأماما ذكرتَ من النساء وقَراباتِهِنَّ ، فلو أُعطينَ على قُرْبِ الأنساب وحقِّ الأحساب لكان الخيرُ كُلُّه لآمنةَ بنت وَهْبٍ ، ولكن الله يختار لدينه مَنْ يشاء من خلقه ، فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي طالب ، فإن الله لم يَهْدِ أحداً من ولدها للإسلام ، ولو فعل لكان عبدُ الله بن عبد المطلب أوْلاهم بكل خير في الآخرة والأُولى ، وأسعدَهم بدخول الجنة غداً . ولكنَّ الله أبى ذلك ، فقال : إنك لا تهدي مَنْ أحببتَ ولكنَّ الله يَهدي من يشاء . فأما ما ذكَرتَ من فاطمة بنت أسدٍ أمِّ عليِّ بن أبي طالب ، وفاطمة أم الحسن ، وأن هاشماً وَلَدَ عليا مرتين ، وأن عبدالمطلب وَلَدَ الحسنَ مرتين ، فخيرُ الأولين والآخرين محمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يَلِدْهُ هاشم إلا مرةً واحدة ، ولم يلده عبدُ المطلب إلا مرة واحدة . وأما ما ذكرتَ من أنك ابن رسول الله فإن الله عز وجل أبى ذلك فقال : ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ،

Marfat.com

ولكنْ رسولَ الله وخاتَمَ النبيِّين ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنها لَقرابةٌ قريبة ، غيرَ انها امرأة لا تَحوزُ الميراث ولا يجوز أن تَؤُمَّ ، فكيف تورَثُ الإمامةُ من قِبَلِها ، ولقد طلبَ بها أبوك بكل وجهٍ ، فأخرجها تُخَاصِمُ ، ومَرَّضَها سِرًّا ودفنها ليلاً . فأبى الناسُ إلا تقديم الشيخين ، ولقد حضر أبوك ، وفاةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأَمَرَ بالصلاة غيرَهُ ثم أخذ الناسُ رجلاً رجلاً فلم يأخذوا أباك فيهم . ثم كان في أصحاب الشُورَى فكلٌ دفعه عنها بايَعَ عبد الرحمن عثمانَ وقَبِلَها عثمانُ ، وحارب أباك طَلْحةُ والزُبَيْرُ ، ودعا سعداً الى بيعته فأغلق بابه دونه ، ثم بايَعَ معاويةَ بعده وأفضَى أمرُ جدِّكَ الى أبيك الحسنِ فسلّمه الى معاوية بِخِرَقٍ ودراهم . وأسلَمَ في يديه شِيعَتَهُ ، وخرج الى المدينة ، فدفع الأمرَ الى غير أهله ، وأخذ مالاً من غير حِلِّهِ فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه . فأما قولك ان الله اختار لكَ في الكفر فجعل أباك أهوَنَ أهلِ النار عذاباً ، فليس في الشر خيارٌ ، ولا من عذاب الله هَيِّنٌ ، ولا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالنار ، وسَتَرِدُ فَتَعْلَمُ وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلبون . وأما قولك أنك لم تَلِدْكَ العجم ولم تُغرِقْ فيك أمّهاتُ الأولاد ، وأنك أوسطُ بني هاشم نسباً وخَيْرُهم أمًّا وأباً ، فقد رأيتك فَخَرْتَ على بني هاشم طُرًّا وقَدَّمتَ نفسك على مَنْ هو خير منك أولاً وآخراً ، وأصلاً وفصلاً . فخرتَ على إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والدِ وَلَدَه . فانظر ويْحَكَ أين تكونُ من الله غداً ، وما وُلِدَ فيكم مولودٌ بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلّم أفضلُ من عليّ بن الحسين ، وهو لِأُمِّ وَلَدٍ،

Marfat.com

ولقد كان خيراً من جدّك حسن بن حسن، ثم ابنُهُ محمدُ بن علي خـــير من أبيك وجدتُهُ أمُّ ولد . ثم ابنُهُ جعفرٌ وهو خير منك . ولقد علمتَ أن جدك علياً حكَّمَ حكَمَيْنِ وأعطاهما عهدَه وميثاقَهُ على الرِضا بما حكما به ، فاجتمعا على خَلْعِهِ ثم خرج عَمُّكَ الحسينُ بن عليّ على ابن مَرْجانةَ ، فكان الناسُ الذين معه عليه حتى قتلوه . ثم أتَوْا بكم على الأَقْتاب بغير أوْطِيَهِ كالسَبْي المجلوب الى الشام ، ثم خرج منكم غير واحـــد فقَتَلْتكم بنو أُمَيَّةَ وحَرَّقوكم بالنار وصَلَّبوكم على جذوع النخـــل ، حتى خرجنا عليهم فأدركنا بثأركم إذ لم تُدرِكوه ، ورفعنا أقْداركم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، بعد أن كانوا يلعنون أباك في أدبار الصلاة المكتوبة كما تُلْعَنُ الكفَـــرةُ فَعَنَّفناهم وكَفَّرْناهم وبيَّنا فضله وأَشَدْنا بذكره فاتخذتَ ذلك علينـــا حجـــةً وظننتَ أنا لما ذكرنا من فضل عليّ أنا قدمنـــاه على حمزة والعباسِ وجعفرٍ ، كل أولئك مَضَوْا سالمين مُسَلَّماً منهم ، وابتُلي أبوك بالدماء ، ولقد علمتَ أن مآثرنا في الجاهلية سِقايةُ الحجيج الاعظمِ وولايةُ زَمزم ، وكانت للعباس دون إخوته فنازعنا فيها أبوك الى عمر ، فقضى لنا عمر عليه ، وتوفي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وليس من عمومته أحد حَيًّا إلا العباس ، فكان وارثه دون بني عبد المطلب، وطَلَبَ الخلافة غيرُ واحد من بني هاشم فلم يَنَلْها إلا ولده فاجتمع للعباس أنه أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء وبنوه القادَةُ الخلفاء ، فقد ذهب بفضل القديم الحديث ، ولولا أن العباس أخرج الى بدر كَرْهاً لمات عَمّاك طالبٌ وعقيلٌ جوعاً ، أو يَلْحَسا جِفانَ عُتْبةَ وشَيْبةَ فأذهب عنهما العـــارَ والشَنارَ ،

Marfat.com

ولقد جاء الإسلام ، والعباسُ يَمونُ أبا طالب لِلأزْمةِ التي أصابتهم . ثم فَدَى عَقيلاً يوم بدر : فقد مُنَّاكُمْ في الكفر وفَدَيْناكم من الاسر ووَرِثْنا دونكم خاتم الأنبياء ، وحزنا شرف الآباء ، وأدركنا من ثأركم ما عجزتم عنه ، ووضعناكم بحيث لم تَضَعُوا أنفسكم والسلام . قال أبو العباس : وقد ذكرنا رسالة هشام الى خالد بن عبد الله وإنا سنذكرها بتمامها في غير هذا الموضع الذي ابتدأنا ذكرها أولاً فيه ، وكان سببُ هـذه الرسالة أفراطَ خالد في الدالَّةِ على هشام وأنه أخذ ابن حسان النَبَطِي فضربه بالسِياط ، وكان يقال له سهيلٌ ، قال : فبعثَ بقميصه الى أبيه وفيه آثار الدم فأدخله أبوه الى هشام مع ما قد اوْغَرَ صدرَ هشام عليه من افراط الدالَّة واحتجانِ الأموال ، وَكَفْرِ ما أسداهُ اليه من توليته إياه العِراقَ . فكتب هشام الى خالد : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغ أميرَ المؤمنين عنك أمر لم يحتمله لك إلا لِما أَحبَّ من ربِّ الصَنيعة قِبلَكَ ، واستتمامِ معروفه عندك ، وكان أميرُ المؤمنين أحقَّ مَن اسْتَصْلَحَ ما فَسَد عليه منك فإن تَعُدْ لمثل مقالتك وما بلغ أميرَ المؤمنين عنك رأى في معاجلتك بالعقوبة ، ورأيه أن النعمة إذا طالتْ بالعبد مُمْتدَّةً أبْطَرَتْهُ فأساء حَمْلَ الكرامة ، واسْتَقَلَّ العافيةَ ، ونَسَبَ ما في يديه الى حيلته وحَسَبه وبيته ورَهْطه وعَشيرته . فإذا نزلت به الغِيَرُ وانكشطتْ عنه عَمايةُ الغَيِّ والسلطانِ ذَلَّ مُنْقاداً ونَدِمَ حسيراً ، وتمكن منه عدوُّه قادراً عليه قاهراً له ، ولو أراد أمير المؤمنين إفسادَكَ لجمع بينك وبين من شهد فَلَتاتِ خَطَلِكَ ، وعظيمَ زَلَلِكَ حيث تقول لجلسائك والله ما زادتني وِلاية

Marfat.com

العراق شَرَفاً ؛ ولا وَلاّني أميرُ المؤمنين شيئاً لم يكن مَنْ قبلي ممن هو دوني يلي مثله ، ولَعَمْرِي لو ابتليتَ ببعض مَقاوِمِ الحجّاج في أهل العراق في تلك المضايق التي لقي لعلمتَ أنك رجل من بَجِيلةَ فقد خرج عليك أربعون رجلاً فغلبوك على بيت مالك ، وخزائنك حتى قلتَ أطعموني ماء دَهْشاً وبَغلاً وجُبْناً فما استطعتَهم إلا بأمان . ثم أخفَرْتَ ذِمّتَكَ منهم رَزينٌ وأصحابُهُ ، ولعمري أن لو حاول أميرُ المؤمنين مكافأتَكَ بخطَلِكَ في مجلسك ، وجحودك فضلَه اليك ، وتصغير ما أنعم به عليكَ فحَلَّ ، العُقْدةَ ونَقَضَ الصَنيعة ورَدَّكَ الى منزلة أنت أهلُها كنتَ لذلك مستحقاً ، فهذا جَدُّكَ يزيدُ بن أَسَدٍ قد حَشَدَ مع معاوية في يوم صِفّينَ ، وعَرَّضَ له دينه ودمه ، فما اصطنع إلاّ عنده ، ولا وَلاّهُ ما اصطنع اليك أمير المؤمنين وولاك . وقِبَلَهُ من أهل اليمن وبيوتاتهم مَنْ قبيلُهُ أكْرَمُ من قبيلتك ، من كِنْدةَ وغَسّانَ وآل ذي يَزَنَ وذي كَلاعٍ وذي رُعَيْنٍ في نُظَرائهم من بيوتات قومهم . كُلُّهم أكْرَمُ أوْلِيّهِ وأشرف اسلافاً من آل عبدالله بن يزيد ، ثم آثرك أميرُ المؤمنين بولاية العراق ، بلا بيت رَفيعٍ ، ولا شرف قديم ، وهذه البيوتات تَعْلُوك وتَغْمُرُك وتُسْكِتُكَ ، وتتقدمك في المحافل والمجامع عند بَدْأة الأمور ، وأبوابِ الخلفاء . ولولا ما أحبَّ أميرُ المؤمنين من رَدِّ غَرْبِكَ لعاجلك بالتي كنتَ أهلها وإنها منك لقريبٌ مأخذها سريعٌ مكروهها فيها ان أبْقَى الله أمير المؤمنين زوالُ نِعَمِهِ عنك ، وحلول نِقَمِهِ بك فيما تَضَيَّعْتَ وارْتكبتَ بالعراق من استعانتك بالمجوس ، والنصارى ، وتوليتهم رقاب المسلمين وجِبْوةِ خراجهم ، وتسلطهم

Marfat.com

عليهم، نَزَعَ بكَ الى ذلك عِرْقُ سَوْءٍ فيهم من التي قامت عنك ، فبئس الجنين أنت يا عُدَيَّ نفسِهِ ، وإن الله عز وجل لما رأى إحسان أمير المؤمنين اليك ، وسوء قيامك بشكره ، قَلَبَ قلبه فأسخطه عليك حتى قَبُحَتْ أمورُك عنده ، وآيَسَهُ من شكرك ماظهر من كفرك النعمةَ عندك ، فأصبحتَ تنتظر سقوط النعمة ، وزوالَ الكرامة وحلولَ الخزْي . فتأهبْ لنوازِل عقوبة الله بك ، فإن الله عليكَ أوْجَدُ ولما عملتَ أكْرَهُ . فقد أصبحتَ وذنوبك عند أمير المؤمنين أعظمُ من أن يُبَكِّتَكَ الا راتباً بين يديه ، وعنده من يُقَرِّرُكَ بها ذنباً ذنباً ، ويبكتُكَ بما أتيتَ أمْراً أمراً . فقد نسيتَه وأحصاه الله عليك ، ولقد كان لأمير المؤمنين زاجر عنك فيما عَرَفَكَ به من التَسَرُّعِ الى حماقتك في غير واحدة ، منها القُرَشِيُّ الذي تناولتَه بالحجاز ظالماً فضربك الله بالصوت الذي ضربته به مُفْتَضحاً على رؤس رعيتك ، ولعل أمير المؤمنين يعود لك بمثل ذلك فان يَفْعَلْ فأهلُهُ أنت ، وان يَصْفَحْ فأهلُه هو . ومن ذلك ذكرك زَمْزَمَ وهي سُقْيا الله وكرامته لعبد المطلب ، وهذا الحيُّ من قريش تسميها أمَّ جَعارٍ : فلا سَقاكَ الله من حوض رسوله وجعل شَرَّ كما لخيركما الفِداء . ووالله أن لو لم يَسْتَذِلَّ أميرُ المؤمنين على ضعف نحائزك وسوء تدبيرك ، إلا بغسالة دَخائلك وبطانتك وعُمّالك ، والغالبةُ عليك جاريَتُكَ الرائفة بائعة الفُهود ، ومُستَعْمِلةُ الرِجال ، مع ما أتلفت من مال الله في المُبارَكِ فإنك ادعيتَ أنك أنفقتَ عليه اثني عشر ألف ألف درهم ، والله لو كنت من ولد عبد الملك بن مروان ما احتمل لك أمير المؤمنين ما أفسدتَ من مال الله ، وضيعتَ من أمور

Marfat.com

المسلمين ، وسَلَّطْتَ من وُلاة السَوْء على جميع أهل كُوَرِ عملك ، تجمع اليك الدَهاقينُ هدايا النَيْروزِ والمِهرَجانِ حابساً لأكثره ، رافعاً لأقلّه ، مع مخابث مساوبك التي قد أخَرَ أميرُ المؤمنين تَقْريركَ بها ومُناصبتك أميرَ المؤمنين في مولاه حَسَّان ووكيله في ضِياعه وأحوازِهِ في العراق ، وإقدامك على ابنه بما أقدَمْتَ به . وسيكون لأمير المؤمنين في ذلك نَبَأٌ إن لم يَعْفُ عنك ، ولكنه يظنُّ أن الله طالبُكَ بامورٍ أتيتَها غير تارِكٍ لتكشيفك عنها ، وحملك الأموال ناقصة عن وظائفها التي جباها عمر بن هُبَيْرَةَ ، وتوجيهك . أخاك أسد الى خُراسان ، مظهراً العَصَبيَّةَ بها متحاملاً على هذا الحيّ من مُضَرَ قد أتتْ أمير المؤمنين بتصغيره بهم ، واحتقاره لهم ، وركوبه إياهم الثِقاتُ ناسيا لحديث زَرْنَبٍ ، وقِصصِ الهَجَريين كيف كانت في أَسد بن كُرْز ، فإذا خلوتَ أو توسطتَ مَلأً فاعرفْ نفسك وخَفْ رواجع البَغْي عليك وعاجلاتِ النِقَمِ فيك . وأعلم أن ما بعد كتابِ أمير المؤمنين هذا أشدُّ عليك ، وأفسَدُ لك ، وقِبَلَ أمير المؤمنين خَلَفٌ منك كثيرٌ في أحسابهم وبيوتاتهم وأديانهم . وفيهم عوض منك ، والله من وراء ذلك .

وكتب عبدالله بن سالم سنة تسع عشرة ومائة .

(هذا الكتاب قد وَفَّيْناهُ جَميعَ حقوقه . ووَفَيْنا بجميع شُروطِهِ إلا ما أذْهَلَ عنه النسيانُ . فإنه قلما يُخْلَى من ذلك ، ونحن خاتِموه بأشعار طَريفةٍ وآخِرُ ذلك الذي نختم به آياتٌ من كتاب الله عز وجل بالتوقيف على معانيها إن شاء الله) قال الشاعر :

أذْكُرْ مَجالسَ من بني أسدٍ بَعُدُوا وحَنَّ اليهمُ القلبُ

Marfat.com

الشَرْقُ منزلنـــا ومـــنزلهم غَرْبٌ وأنّى الشرقُ والغَرْبُ
من كل أبيض جُـــلٌ زينتِهِ مِسْكٌ أَحمٌ وصارمٌ عَضْبُ

وقال آخر :

حياة أبي العَوّام زَيْنٌ لقومـــه لكلّ امْرىءٍ قاسَ الامورَ وجَرّبا
وتَعْتِبُ أحياناً عليه ولو مَضَى لكنّا على الباقي من الناس أعْتَبا

وقال مسلم :

حَياتُكَ يا ابْنَ سَعدانَ بن يحيى حياةٌ للمَـــكارم والمَعـــالي
جَلَبْتُ لك الثناء فجـــاء عَفْواً ونفسُ الشكر مُطْلقةُ العِقال
وتَرْجِعُني اليك وإن نَأَتْ بي ديارِي عنك تَجْربـــةُ الرِجال

وقيل في المثل : المبالغةُ في النصيحة تقع بك على عظيم الظِنّة ، وأنشدني العباس بن الفَرَجِ الرياشي :

وكم سُقْتُ في آثاركم من نصيحة وقد يستفيد الظِنّةَ المُتَنَصِّـــحُ

وأنشدني الرياشيُّ :

إذا الأمرُ أغْنَى عنكَ حِنْوَيْهِ فاجْتَنِبْ مَعَرّةَ أمرٍ أنتَ عنه بمَعْـــزِل

وقال العَتّابيُّ :

لا تَرْجُ رَجْعـــةَ مذنبٍ خَلَطَ احتجاجاً باعْتـــذار

وقال أيضاً :

وَفَيْتُ كلَّ خليل وَدَّني ثَمنـــاً الا المُؤَمِّـــلَ دَوْلاتي وأيامي

وقيل للعتابي : ما أقربُ البلاغةِ ؟ قال : ألاّ يُؤْتَى السامعُ من سوء إفهام القائل ، ولا يُؤْتَى القائلُ من سوء فهم السامع . وقال ابن يَسيرٍ :

Marfat.com

اقدِرْ لرجلك قبل الحَطْوِ منزلَها فمن عَلا زَلَقاً عن غِرَّةٍ زَلِقا

وكان يقال : أَصْمِتْ لتفهمَ ، واذكر لتعلمَ ، وقُلْ لَتَذْلَقَ . ونذكر آيات من القرآن ربما غلط في مجازها النحويون ، قال الله عز وجل : إنما ذلكم الشيطانُ يُخَوِّفُ أولياءه . مجازُ الآية ، إن المفعول الأول محذوف ، ومعناه يخوفكم من أوليائه . وفي القرآن: فَمَن شَهِدَ منكم الشهر فَلْيَصُمْهُ ، والشهرُ لا يغيب عنه أحد ، ومجاز الآية : فمن كان منكم شاهداً بلده في الشهر فليصمه والتقدير . فمن شهد منكم أي فمن كان شاهداً في شهر رمضان فليصمه ، نَصْبَ الظروفِ لا نَصْبَ المفعولِ به . وفي القرآن في مخاطبة فرعون : فاليومَ نُنَجِّيكَ ببدنكِ لتكونَ لمن خَلْفَكَ آية . فليس معنى ننجيك نخلّصك ، ولكن نلقيك على نَجْوةٍ من الأرض ببدنك ، بِدِرْعِكَ يدلُّ على ذلك لتكون لمن خلقك آية . وفي القرآن : يُخْرِجونَ الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربِّكم ، فالوقفُ يخرجون الرسول ، وإياكم . أي يخرجونكم لأن تؤمنوا بالله ربكم .

وصلى الله على محمد خاتم النبيين ونستغفر الله ما قلناه من عَمْدٍ وقَصْدٍ وزَلَلٍ وخَلَلٍ .

Marfat.com

فهرس الجزء الثاني من الكامل

صفحة

٤٦ ـ باب

٢ في ذكر ما فيه استراحة للقـــارىء وانتقال ينفي الملل .

٣ ما قيل في الابل من ذم ومدح .

٥ للوليد بن يزيد يفتخر .

٦ الكلام وضروبه . الكتابة وضروبها .

٧ لأعرابي في زوجه .

٨ لرياح بن سنيح يجيب جريراً . لمروان بن أبي حفصة في الغزل وتفسير ما فيها الغريب .

١١ بعض طرائف العشاق .

١٣ لذي الرمة يشبب بمحبوبته مي وتفسير ما فيه من الغريب .

١٧ ما قيل في كتمان السر وإفشائه .

٢٢ لبكر بن النطاح يمدح مالك الخزاعي .

٢٣ للخليع يمدح عاصماً الغساني . لاسماعيل بن القاسم يعاتب صديقه . ليزيد بن محمد بن المهلب يمدح إسحاق بن ابراهيم .

٢٤ ما قالت الشعراء في سعيد بن سلم من مدح وذم .

٢٧ مبلغ احتقار العرب لباهلة .

٢٨ ما وقع بين الحضين وعبدالله بن ســـلم في مجلس قتيبة بن مسلم .

٢٩ للأعشى يمدح هوذة بن علي ذي التـــاج وتفسير ما ورد فيه من الغريب .

٣٥ لجرير يهجو بني حنيفة .

٣٦ لعمارة بن عقيل يهجو بني حنيفة .

٣٨ للوليد بن عقبة يخاطب بني هاشم . لليلى الأخيلية ترثي عثمان بن عفان . لآخر يرثيه أيضاً .

صفحة

٣٩ لأيمن بن خريم بن فاتك الأسدي يرثي عثمان ابن عثمان وتفسير ما ورد فيه من الغريب .

٤٧ ـ باب

٤٠ في بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب ومن ذلك ما ورد لامرىء القيس .

٤٢ ومن أعجب التشبيه للنابغة ومن عجيب التشبيه لذي الرمة .

٤٣ وله أيضاً من التشبيه المصيب في روضة .

٤٣ الأصمعي لا يفسر شعراً فيه ذكر للأنواء . يشبه القلب بقطاة قهرها شرك .

٤٦ ماينصب على المدح والذم ومايجوز فيه القطع .

٤٨ أحسن ما قيل في صفة الضلوع واشتباكها . أبو الهندي وميله إلى الشراب .

٤٩ للفرزدق في النوار . من عجيب التشبيه فيما يكنى عن ذكره لجرير . وله أيضاً من التشبيه الحسن في صفة الخيل ومن حسن التشبيه لعنترة .

٥٠ ومن التشبيه المتجاوز المفرط للخنساء . ومن تشبيه المحدثين المستطرف لبشـــار . للحسن بن هانىء في صفة الخمر .

٥١ لاسحاق بن خلف في صفة السيف . ما قيل في صفة مصلوب .

٥٢ ومن إفراط التشبيه لأبي خراش يصف سرعة ابنه في العدو .

٥٣ لابن عبدل يهجو رجلا بالبخر .

٥٣ لعبد الرحمن يهجو مصعب بن عبـــدالله وصباح بن خاقان .

حد التشبيه وتشبيهات العرب للنساء .

Marfat.com

صفحة

٥٧ الرياح ومواقعها .
٥٩ لجرير يعير بني مجاشع بخذلانهم الزبير بن العوام ٦٠ نذر لبيد بن ربيعة وعجزه عن الوفاء به ٦٣ لأوس بن حجر في شدة البرد وعلبة الشمال يرثي فضالة بن كلدة الاسدي.
٦٤ لرجل يهجو رجلا. ٦٥ للسليك يرثي فرسه.
٦٦ رجل من غنى يفاخر رجلا من بني فزارة.
٦٧ لعمارة يهجو بني أسد بن خزيمة .ماقيل في الترفع عن الوضيع ٧٠ حلم الأحنف وترفعه
٧١ عمرو بن العاص يسأل من أمه فيجيب .
٧٢ للفرزدق حين ولى عمرو بن هبيرة العراق.
لرجل من بني أسد يجيب الفرزدق .
٧٣ للفرزدق يهجو عمرو بن هبيرة عند ولايته العراق . ٧٥ للفرزدق لما عزل ابن هبيرة وحبس ٧٥ للفرزدق يهجو خالد بن عبدالله القسري . وله أيضاً في ابن هبيرة لما هرب من السجن ٧٧ ومن التشبيه المصيب لامرىء القيس في طول الليل ٧٨ للمهلهل وقد خطبت ابنته لراجز يصف غيماً .
٧٩ الكلام على قوله تعالى : (طلعها كأنه رءوس الشياطين) .
حديث أبي المنجم العجلي مع هشام بن عبدالملك.
٨٤ ما ذكر في سير الناقة وحركة قوائمها من التشبيه المطرد .
٨٦ لعمر بن أبي ربيعة في النسب .
٨٨ ما ذكر من الافراط في السرعة .
٨٩ لذي الرمة يشبه الرمل بأوراك العذارى .
للشماخ في صفة فرس .

صفحة

٩١ من التشبيه الحسن للشماخ يصف سهماً . ما قيل في شرح الشباب .
للشنفرى يصف امرأة بشدة الاستحياء.
٩٢ انتقاد بشار كثيرفي تشبيه محبوبته بالعصا.
تعرض امرأة مدنية لكثير وانتقاده في بعض أشعاره .
لجرير يهجو خالد عينين المبدي .
٩٥ لأم الهيثم في صفة جمل . ٩٦ لأبي النجم يصف المنجنيق . لراجز يصف معولا .
٩٧ للعجاج يصف حماراً. للراعي يصف الحادي.
٩٨ لعوف بن محلم وسح نوح حمامة .
لحميد بن ثور يصف حمامة.
لابن الرقاع وذكر حمامة .
١٠٠ لبعض المحدثين وكان سمع غناء العرب .
١٠١ العرب تشبه على أربعة أضرب. من التشبيه المفرط لبكر بن النطاح في أبي دلف .
١٠٣ من عجب التشبيه في إفراط قول النابغة في حصن بن حذيفة . من التشبيه القاصد الصحيح للنابغة يصف خوفه من أبي قابوس .
١٠٢ من التشبيه البعيد لآخر يريد الصحة .
لمروان بن أبي حفصة يهجو قوماً من رواة الشعر ١٠٤ ماورد في تشبيه عين الانسان بعين الظبي والقبرة .
١٠٥ لأبي نواس يمدح الفضل بن يحيى وتفسير ما ورد فيه من الغريب .
١٠٨ لأبي نواس وكان الخليفة تشدد عليه في شرب الخمر وحبسه. ١٠٩ فطنة الرشيد.
حد جرير لابن الرقاع على إجادته التشبيه .
لأبي نواس في الغزل وهو من التشبيه الحسن

Marfat.com

صفحة
١١٠ وله أيضاً من التشبيه الجيد يمدح الخصيب.
وله في صفة السفينة .
وله يصف الخمر ويذكر صفاءها ورقتها
وضياءها. ١١٢ من حسن التشبيه لبشار
ابن برد يصف حديث جارية .
من حسن التشبيه لعباس بن الأحنف
١١٣ من حسن التشبيه لأبي العتاهية في الرشيد
لعلي بن جبلة يمدح حميد بن عبد الحميد
١١٤ من ملح التشبيه لعبد الصمد بن المعذل في
صفة العقرب .من أحسن التشبيه ومليحه.
رجل يهجو رجلا برثاثة الحال .
١١٦ لدعبل في رجل نسبه الى السؤدد.
٤٨ ـ باب
١١٦ مدح زياد بن عمرو للحجاج عند الوليد
ابن عبد الملك .
١١٧ لابن قيس الرقيات في معاتبة المهلب.
١١٨ لدعبل بن علي يذم رجلا بالبخل .
١١٨ لرجل من طيء يفتخر .بخل الحطيئة.
١٢٠ لدعبل الخزاعي يهجر .
١٢٠ لجرير يهجو الأخطل وقومه بني تغلب
٤٩ ـ باب من أخبار الخوارج
١٢١ بيعة الخوارج لعبدالله الراسبي وتكرهه.
١٢٢ وقوع واصل بن عطاء في قبضة الخوارج
وحيلته . إرسال عبدالله بن عباس
للخوارج لمناقشتهم الخروج على علي .
١٢٣ استفتاء أعرابي عمر بن الخطاب فيمن
أصاب ظبياً وهو محرم. لقطري بن الفجاءة
يستنفر أبا خالد ورد أبي خالد عليه .

صفحة
١٢٤ حديث عمران بن حطان رأس العقد من
الصفرية ١٣٤ أول من حكم من الخوارج
١٣٦ مناظرة علي الخوارج وتسميته لهم بالحرورية
١٣٧ من كلمة للسلطان العبدي. للراعي يخاطب
عبد الملك .
١٣٨ محاربة المهلب لأصحاب نافع بن الأزرق
وما قاله شاعر الأزارقة في ذلك .
١٤١ حديث الرجل الأسود الذي وقف على
النبي ﷺ وهو يقسم غنائم خيبر .
١٤٣ واصل بن عطاء وهجاء بشار له .
١٤٤ لثقة واصل بن عطاء وقدرته على تجنبها
١٤٥ محاربة علي للخوارج وهرب طائفة منهم
الى مكة وقتال معاوية معهم .
١٤٦ اتفاق ثلاثة من الخوارج على قتل علي
ومعاوية وعمرو بن العاص ١٥٠ لأبي زبيد
الطائي يرثي علياً رضي الله عنه . للكميت
يرثي علياً .
١٥١ لكثير في محمد ابن الحنفية لما حبسه ابن
الزبير . لأبي الأسود في آل البيت .
١٥٣ وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه
المعروف بعين أبي نيزر . كتاب معاوية إلى
مروان بن الحكم يأمره فيه أن يخطب أم
كلثوم لابنه يزيد . ١٥٤ حديث علي مع
الخوارج في أول خروجهم عليه
١٥٦ حديث الخوارج مع عبد الله بن خباب
وقتلهم له . سمر غيلان بن خرشة عند زياد
ونيله من الخوارج .
١٥٨ معارضة مرداس بن أدية لزياد وهو يخطب.
من يرى رأي الخوارج من الفقهاء ومن لا
يراه. كلمة (لا أبالك) وفيم تستعملها العرب

Marfat.com

صفحة

١٦٢ وصف النبي ﷺ للخوارج .
١٦٣ انتجاع نافع بن الازرق لابن عباس يسأله في تفسير بعض الآيات .
لجرير يهجو آل المهلب ويمدح هلال بن أحوز
١٦٨ إعراض ابن عباس عن ابن الأزرق وسماعه لقصيدة عمر بن أبي ربيعة .
١٧٠ إعجاب عبد الملك برجل من الخوارج .
١٧١ وفادة رجل على معاوية وكان موصوفاً بقراءة الكتب .
١٧٢ صديق عبد الملك في أيام نسكه .
١٧٣ حديث ابن جمدة للمنصور .
١٧٤ كتاب علي لأهل النخيلة من الخوارج .
للحميري يعارض مذهب الخوارج .
سؤال أهل النخيلة لابن عباس في السباء .
١٧٥ خبر المستورد الخارجي وآدابه .
١٧٦ أول من خرج بعد قتل علي رضي الله عنه
على معاوية ١٧٧ للعباس بن الأحنف يعاتب من اتهمه بافشاء سره . حديث عمار ابن ياسر حينما خرج مع النبي ﷺ في غزوة ذات العشيرة ١٧٨ مقتل علي ووصيته الى أبنائه ١٧٩ خروج قريب بن مرة وزحاف الطائي بالبصرة على زياد . معاملة زياد لمن خرج من النساء .
١٨٢ قتل البلجاء وهي من الخوارج . أخبار مرداس أبي بلال الخارجي .
١٨٥ لعيسى بن فاتك يمدح الخوارج .
١٨٨ لعمران بن حطان يرثي مرداساً .

صفحة

١٨٩ قتل عباد بن أحضر المازني . للفرزدق يذكر أخذ ثأر عباد بن أخضر .
١٩١ تشديد عبيد الله بن زياد على الخوارج .
حديث زياد مع رجل خارجي .
١٩٣ سياسة زياد مع الخوارج . الرهين وشعره
١٩٤ المختار بن أبي عبيد الثقفي ودعوته .

٥٠ ـ باب

١٩٨ اللام التي للاستغاثة والتي للاضافة .
٢٠٠ حديث عبيدالله بن زياد مع رجل خارجي من سدوس ٢٠٢ فرق الخوارج .
٢٠٣ خروج الأزارقة الى ابن الزبير لامتحانه
٢٧٠ مشايعة ابن الزبير للخوارج وسبب تفرقهم عنه ٢٠٩ خروج نافع ابن الازرق الى الأهواز . خروج نجدة بن عامر الى اليمامة وكتابه الى نافع ٢١١ كتاب نافع الى نجدة بن عامر ٢١٣ كتاب نافع الى ابن الزبير يدعوه الى أمره ٢١٤ كتاب نافع الى من بالبصرة من المحكمة . ما تركه كتاب نافع في نفوس خوارج البصرة .
٣١٤ اقامة نافع بالأهواز يعترض الناس ويقتل الاطفال ٢١٥ وقعة دولاب وقتل نافع بن الأزرق ٢١٧ لقطري في يوم دولاب .

٥١ ـ باب

٢١٩ باب النسب الى المضاف .
٢٢٠ النسب إلى العلم المضاف . النسب إلى مضاف غير علم . النسب إلى الجماعة .
٢٢٢ الأزارقة لا تكفر إلا من قتل مسلماً .

Marfat.com

صفحة

٢٢٣ وقائع الأزارقة مع ولاة ابن الزبير وتغلبهم .
٢٢٥ استنجاد أهل البصرة بالأحنف وتدبيره الأمر . مفاوضة المهلب في قتال الخوارج واستعداده لذلك . محاربته للخوارج وكتابه إلى الوالي يبشره بالنصر .
٢٢٨ خطبة المهلب في أصحابه يحثهم على قتل الخوارج ٢٣٠ يوم سولاف وهزيمة المهلب وأصحابه ٢٣١ لرجل من بني تميم يذم المهلب . السبب في أن المهلب كان أعور كذا ٢٣٢ معنى كلمة الضمار .
٢٣٣ الكلام على كلمة « كائن » وأصلها .
٢٣٤ كتاب المهلب إلى الحارث يبشره بالنصر وتهنئة المهلب بذلك ٢٣٨ مبايعة الخوارج للزبير بن علي وخطبته فيهم يحثهم على الجهاد ٢٤١ تولية مصعب بن الزبير على البصرة واستقدامه للمهلب . مشاورة مصعب الناس فيمن يكفيه أمر الخوارج .
٢٤٢ عمر بن عبيد الله يخلف المهلب في قتال الخوارج ٢٤٧ حصار الخوارج لعتاب بن ورقاء وانتصاره عليهم ٢٤٩ الكلام على لولا عند اتصالها بالضمير ٢٥١ مبايعة الخوارج لقطري بعد قتل الزبير بن علي .
٢٥٢ محاربة المهلب للخوارج وطردهم من الاهواز إلى رامهرمز .
٢٥٢ كتاب عبد الملك الى المهلب بولايته بعد قتل مصعب . عزل خالد بن عبيد الله المهلب ومحاربته للخوارج .

صفحة

٢٣٤ فيروز حصين ومآثره .
٢٥٦ تولية خالد لأخيه عبد العزيز وقتاله الازارقة وهزيمته .
٢٦٠ كتاب خالد إلى عبد الملك يعذر أخيه . كتاب عبد الملك الى خالد بالعزل وتولية أخيه بشر بن مروان . كتاب عبد الملك الى أخيه بشر يأمره أن يولي المهلب قتال الازارقة وكراهيته لذلك .
٢٦٢ كتاب عبد الملك الى أخيه يعزم عليه أن يولي المهلب ٢٦٤ موت بشر بن مروان واضطراب الجند على ابن مخنف . احتماع الكلمة بولاية الحجاج أمر العراق .
٢٦٦ كتاب الحجاج الى المهلب يأمره بالجد في قتال الأزارقة ورد المهلب عليه .
٢٦٨ كتاب الحجاج الى المهلب يستبطئه ويتهدده ورد المهلب عليه ٢٧١ ارسال الحجاج البراء بن قبيصة الى المهلب يستحثه .
٢٧٤ ارسال الحجاج الجراح بن عبد الله الى المهلب يستبطئه في مناجزة القوم وسؤاله عما رآه . كتاب الحجاج الى عتاب بن ورقاء يأمره بالمسير الى المهلب ٢٧٦ وقوع الخلاف بين عتاب والمهلب بسبب ارزاق الجند وسعي المغيرة بينهما بالصلح ٢٧٧ دهاء المهلب وقوة حيلته في إيقاع الخلاف بين الخوارج . انقسام الخوارج وانضمام بعضهم الى عبد ربه الصغير . ارتحال قطري وبقاء عبد ربه
٢٨٦ كتاب الحجاج يستحثه .

Marfat.com

صفحة

٢٨٨ كتاب المهلب الى الحجاج .
٢٨٩ ما قاله عبدربه لأصحابـــه عند اشتداد الحصار عليه واستعدادهم للقتال .
٢٩٣ اشتداد الحرب بين الفريقين وإنهاؤها بقتل عبد ربه وهزيمة الخوارج .
٢٩٤ رسولا المهلب الى الحجاج وسؤاله لهما عن أبناء المهلب . كتاب المهلب الى الحجاج بالنصر ورد الحجاج عليه .
٢٩٥ تولية المهلب ابنه يزيد على كرمان وقدومه على الحجاج. الحجاج يكرم وفادة المهلب ويثني عليه ٢٩٧ الحجاج يطلب من المهلب أن يصف له بلاء أصحابه .
٢٩٩ ليزيد بن حبناء من الأزارقة وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب .
٣٠٢ للمغيرة بن حبناء الحنظلي من أصحاب المهلب يمدحه .

٥٢ ـ باب

في اختصار الخطب والتحميد والمواعظ .

٣٠٣ ما قيل في الموعظة .
٣٠٣ خطبة أبي طالب لرسول الله ﷺ في تزويجه خديجة . وفادة النابغة الجعدي . ابن الزبير يستجديه وما وقع بينهما من جميل المحاورة .
٣٠٦ تحريض سديف السفاح على الفتك بسليمان ابن هشام . تحريض شبل عبدالله بن علي على التنكيل بثمانين رجلا من بني أميـة وتفسير ما في شعره من الغريب .
٣١١ مكانة أسامة بن زيد عند رسول الله ﷺ

صفحة

٣١٢ الموالي عند العرب .
٣١٣ ما قيل من الشعر في رثاء الاخوة والأبناء والآباء .
٣٢٠ لمعاوية لما أتاه موت عتبة ثم زياد .
٣٢١ للفرزدق يرثي حدراء الشيبانية . لجرير يرثي امرأته . لرجل من خزاعة يرثي عمر ابن عبد العزيز ٣٢٢ لعلي بن أبي طالب يتمثل عند قبر فاطمة عليها السلام .
٣٢٣ لعقيل بن علقة يرثي ابنه علقة .
٣٢٣ لأعرابي في الرثاء . حديث عامر بن الطفيل أوربد أخي لبيد ٣٢٤ للبيد يرثي أخاه أربد ٣٢٥ لأعرابي في الرثاء . حديث صدار الخنساء ٣٢٧ من مات . أكثر من ابنين .
٣٢٨ المصائب تقع على ضربين . لأوس بن حجر يرثي فضالة وتفسير الغريب .
٣٣١ لليلى الأخيلية ترثي توبة وتفسير الغريب .
٣٣٦ للخنساء ترثي أخاها صخراً وتفسير ما ورد في ذلك من الغريب ٣٤٠ ولها أيضاً ترثي أخاها معاوية وتفسير الغريب .
٣٤٣ كيف قتل معاوية أخو الخنساء . إلتقاء صخر بقاتلي أخيه معاوية ٣٤٤ إغارة صخر على قاتلي أخيه . الخنساء ترثي أخاهـــا صخراً ٣٤٤ كيف قتل صخر أخو الخنساء
٣٤٦ لابن مناذر يرثي عبد المجيـــد بن عبد الوهاب الثقفي ٣٤٩ قصيدة اعشى باهلة يرثي بها المنتشر بن وهب وتفسير ما ورد فيها من الغريب ٣٥٤ لمتمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً وتفسير ما فيه من الغريب

Marfat.com

صفحة

٣٥٨ وله أيضاً يرثيه في حضرة أبي بكر .
٣٥٩ وله أيضاً وهو من طريف شعره وله من كلمة يرثي بها مالكاً .

٥٤ - باب

٣٦١ بعض من جزعوا عند الموت .
٣٦٣ بعض من ظهرت منه عند الموت قسوة .
٣٦٥ بعض من وقفوا على قبرهم وأثنوا عليهم
٣٦٧ لليلى الأخيلية ترثي توبة .

٥٥ - « وهذا باب طريف من أشعار المحدثين . لمطيع بن إياس في يحيى بن زياد الحارثي ٣٦٨ لأبي عبد الرحمن العتبي يرثي علي بن سهل حديث رجل معتكف على قبر وهو يبكي ٣٦٩ ليعقوب ابن الربيع في جارية له .
٣٧١ ليزيد المهلبي يرثي المتوكل .

٥٦ - باب

ذكر الاذواء من اليمن في الاسلام
٣٧٣ الأذواء في الجاهلية . الأذواء في الاسلام

صفحة

٣٧٥ من كان بينه وبين الملائكة سبب من اليمانية .

٥٧ - باب

٣٧٦ الفرق بين معرفة الحيوان ونكرته وبين مذكره ومؤنثه .
٣٨٠ خطبة أعرابي بالبادية . من خطبة لعمر بن عبد العزيز . خطبة عتبة بن أبي سفيان بالموسم ٣٨٠ خطبة عتبة بمصر ، وكان قد وجد عليهم . خطبة داود بن علي العباسي في أول موسم ملكه بنو العباس بمكة . ما قاله معاوية عند وفاته ٣٨١ ما قيل في حضرة يزيد بن معاوية يعزونه بأبيه ويهنئونه بالخلافة . أكلة خالد بن صفوان .
٣٨٢ كتاب المنصور الى محمد بن عبدالله يدعوه الى طاعته ورد محمد عليه . كتاب المنصور الى محمد بن عبدالله .
٣٨٨ رسالة هشام الى خالد بن عبدالله القسري .
٣٩٢ طائفة من الاشعار المختارة ٣٩٣ ذكر آيات من القرآن قد يغلط في مجازها النحويون .

تم الفهرس

Marfat.com